

مَجَلَّةُ الْمَجْمَعِ الْعِلْمِيِّ الْعَرَبِيِّ

انستنت سنة ١٣٣٩ هـ الموافقة لسنة ١٩٢١ م
تشرني دمشق مرة في اشهر

كانون الثاني — شباط

١٩٣٢

دمشق
المجمع العلمي العربي

قيمة الاشتراك السنوي
المدفع مقدماً
في سورية ولبنان ٢٥٠ قرشاً سورياً
وفي جميع الاقطار ٦٠ فرنكاً

مجاميع المجلة عن السنين الماضية

| | |
|---------------|---|
| في الداخل ٥٠٠ | من السنة الاولى الى الرابعة كل سنة منها |
| ٣٠٠ | الخامسة الى العاشرة |
| ٦٠٠ | الاولى الى الرابعة |
| ٣٥٠ | الخامسة الى العاشرة |

اعضاء المجمع العلمي

« في سنة ١٩٣١ »

الرئيس : السيد محمد كرد علي

| « الاعضاء » | | « الاعضاء » | |
|--------------|------------------------------|-------------|-----------------------------|
| محل الإقامة | السادة | محل الإقامة | السادة |
| بيروت | ١٩ السيد أمين الريحاني | دمشق | ١ الدكتور اسعد الحكيم |
| " | ٢٠ السيد بولس الخولي | " | ٢ الشيخ محمد بهجة البيطار |
| " | ٢١ الشيخ عبد الرحمن سلام | " | ٣ السيد جميل العظم |
| " | ٢٢ السيد عمر فاخوري | " | ٤ السيد خليل مردم بك |
| " | ٢٣ الدكتور فيليب حني | " | ٥ السيد رشيد بقدونس |
| " | ٢٤ الفيكونت فيليب دي طرازي | " | ٦ السيد سليم الجندي |
| " | ٢٥ الشيخ مصطفى الفلايبي | " | ٧ السيد سليم غنهوري |
| " | ٢٦ الدكتور نقولا فياض | " | ٨ السيد شفيق جبيري |
| زحلة | ٢٧ السيد عيسى اسكندر المعلوف | " | ٩ السيد عارف النكدي |
| النبطية | ٢٨ الشيخ احمد رضا | " | ١٠ الشيخ عبد القادر المبارك |
| " | ٢٩ الشيخ سليمان طاهر | " | ١١ الشيخ عبد القادر المغربي |
| طرابلس الشام | ٣٠ السيد جرجي بني | " | ١٢ السيد عبد الله رعد |
| اللاذقية | ٣١ الشيخ سليمان احمد | " | ١٣ السيد عز الدين النونجي |
| " | ٣٢ السيد ادوارد مرقص | " | ١٤ السيد فارس الخوري |
| انطاكية | ٣٣ الشيخ محمد زين العابدين | " | ١٥ الدكتور مرشد خاطر |
| حلب | ٣٤ الشيخ بدر الدين النعساني | " | ١٦ السيد معروف الارناؤط |
| " | ٣٥ السيد جبرائيل رباط | " | ١٧ الامير مصطفى الشهابي |
| " | ٣٦ الشيخ راغب الطباخ | بيروت | ١٨ الشيخ ابراهيم منذر |

« الاعضاء »

| السادة | محل الإقامة | السيّد اسمعّد خليل داغر | القاهرة |
|-----------------------------|--------------|---------------------------------------|----------------|
| ٣٧ الشيخ عبدالحميد الجابري | حلب | ٦٠ حافظ ابراهيم بك | " |
| ٣٨ السيّد عبدالحميد الكيالي | " | ٦١ السيّد خير الدين الزركلي | " |
| ٣٩ السيّد نسطاكي الحمصي | " | ٦٢ خليل بك مطران | " |
| ٤٠ الشيخ كامل الغزي | " | ٦٣ داود بك بركات | " |
| ٤١ السيّد ميخائيل الصقل | " | ٦٤ السيّد عباس محمود الهقاد | " |
| ٤٢ السيّد اصناف النشاشيبي | القدس | ٦٥ السيّد عبد العزيز البشري | " |
| ٤٣ الشيخ خليل الخالدي | " | ٦٦ الشيخ محمد الخطر حسين | " |
| ٤٤ السيّد عبد الله مخلص | حيفا | ٦٧ الشيخ محمد رشيد رضا | " |
| ٤٥ الشيخ سعيد الكرمي | طولكرم | ٦٨ محمد لطفي بك جمعة | " |
| ٤٦ الشيخ رضا الشبيبي | النجف الاشرف | ٦٩ الشيخ مصطفى عبد الرازي | " |
| ٤٧ الدكتور امين المعلوم | بغداد | ٧٠ السيّد مصطفى صادق الرافعي | طنطا |
| ٤٨ الاب انتاس الكرمي | " | ٧١ السيّد زكي مغاض | الاستانة |
| ٤٩ السيّد جليل صدق الزهاوي | " | ٧٢ السيّد حسن حسني عبد الوهاب | تونس |
| ٥٠ السيّد كاظم الدجيلي | " | ٧٣ السيّد عبدالحلي الكتاني | فاس |
| ٥١ الشيخ محمد بهجة الاثري | " | ٧٤ السيّد محمد الجبوري | رباط الفخ |
| ٥٢ السيّد معروف الرصافي | " | ٧٥ الامير شكيب أرسلان | جنيف |
| ٥٣ الشيخ احمد الاسكندري | القاهرة | ٧٦ السيّد عبد العزيز الميني الراجكوتي | طليكرة (الهند) |
| ٥٤ السيّد احمد امين | " | ٧٧ السيّد عبدالحق حيدر آباد الكن | " |
| ٥٥ السيّد احمد حسن الزيات | " | ٧٨ السيّد عبد الرحمن دلمي | " |
| ٥٦ احمد زكي باشا | " | ٧٩ الشيخ ابو عبد الله الزنجاني | فارس |
| ٥٧ احمد شوقي بك | " | ٨٠ السيّد عباس اقبال | " |
| ٥٨ الدكتور احمد عيسى | " | ٨١ الدكتور سعيد ابو حمزة | بزازيل |
| ٥٩ احمد لطفي بك السيّد | " | | |

« الاعضاء »

| محل الإقامة | السادة |
|-------------|---------------------|
| تونس | ٨٣ السيد مارسيه |
| الجزائر | ٨٤ " ماسه |
| فاس | ٨٥ " كي |
| باريز | ٨٦ " فرانس |
| " | ٨٧ " دوسو |
| " | ٨٨ " ماسينيون |
| " | ٨٩ " بولفا |
| " | ٩٠ " كولان |
| إيطاليا | ٩١ " جوبدي |
| " | ٩٢ " نلينو |
| ألمانيا | ٩٣ " الوب آسين |
| البرتغال | ٩٤ السيد لويس |
| سويسرا | ٩٥ " مونته |
| " | ٩٦ " هيس |
| هولاندة | ٩٧ " سنوك هورغرونجه |
| " | ٩٨ " هوتسما |
| " | ٩٩ " اراندونك |
| انكلترا | ١٠٠ " مارجليوث |
| " | ١٠١ " بيفن |
| " | ١٠٢ " كرينكو |
| ألمانيا | ١٠٣ " هومل |
| " | ١٠٤ " بروكلمان |
| " | ١٠٥ " هرزفيلد |

«الاعضاء»

| محل الإقامة | | السادة |
|---------------|--------------|-------------------|
| المانيا | Hartmann | ١٠٦ السيد هارتمان |
| " | Mittwoch | ١٠٧ " مينفوخ |
| السويد | Zetterstéen | ١٠٨ " سترستن |
| الدانمارك | OEustrup | ١٠٩ " اوسنروب |
| " | Buhl | ١١٠ " بول |
| " | Pedersen | ١١١ " پدرسن |
| النمسا | Mzik | ١١٢ " موجيك |
| المجر | Mahler | ١١٣ " ماهلر |
| بولونيا | Kowalski | ١١٤ " كوفالسكي |
| روسيا | Kratchkovsky | ١١٥ " كراتشكوفسكي |
| تشيكوسلوفاكيا | Musil | ١١٦ " موزل |
| اميركا | Macdonald | ١١٧ " ماكدونالد |
| فنلندا | Karsikko | ١١٨ " كرسيكو |

اعضاء المجمع الراحلون

- | | |
|----------------------------------|---------------------------------|
| ١٧ السيد براون (كبرديج) | ١ الشيخ طاهر الجزائري (دمشق) |
| ١٨ « كليمان هوار (باريز) | ٢ السيد فخرية زريق (القدس) |
| ١٩ الاب جرجس شلحت (حلب) | ٣ « اغناطيوس غولدسمير (بودابست) |
| ٢٠ الحكيم محمد اجمل خان (الهند) | ٤ « مرتين هارتمان (برلين) |
| ٢١ الشيخ سليم البخاري (دمشق) | ٥ « زينه باسه (الجزائر) |
| ٢٢ « محمد بن الي شنب (الجزائر) | ٦ احمد كمال باشا (القاهرة) |
| ٢٣ « عبدالله البستاني (بيروت) | ٧ السيد مصطفى لطفي المنفلوطي « |
| ٢٤ السيد جبر ضومط « | ٨ الدكتور يعقوب صروف « |
| ٢٥ الشيخ مسعود الكواكبي (دمشق) | ٩ السيد اوجنيو غريفي « |
| ٢٦ احمد تيمور باشا (القاهرة) | ١٠ « رفيق العظم « |
| ٢٧ السيد ميشو بلير (طنجة) | ١١ « محمود شكري الالوسي (بغداد) |
| ٢٨ « عبد الباسط فتح الله (بيروت) | ١٢ « حسن ايهم (بيروت) |
| ٢٩ المنسفيور جرجس منش (حلب) | ١٣ الاب لويس شينو « |
| ٣٠ السيد ساخاو (برلين) | ١٤ الدكتور صالح قنباز (حماء) |
| ٣١ « هوروليتز (ارنكفورت) | ١٥ السيد مالفور (دمشق) |
| ٣٢ « انيس سلوم (دمشق) | ١٦ « الياس القدسي « |

الكوكائين^(١)

— «X» —

تكلمت في محاضراتي السابقة عن المسكرات الغولية ومضارها الجسمية والنفسية والاجتماعية . وقد بظن بان الاسكار خاص بالمشروبات الغولية فقط ، فاذا قبل فلان سكران بفهم من ذلك انه ثمل من تعاطي الخمرة او الفول ، بينما السكر حالة نفسية سرضية ارادية تنشأ عن مؤثرات وعوامل كثيرة من جعلتها المشروبات الغولية . ولعل السبب في تخصيص السكر صرفا بالخمر والفول ناشئ عن كون الخمر أقدم العناصر المسكرة التي عرفها الانسان وسكر بها ، ولان العناصر الاخرى حديثة العهد بالاستعمال بالنسبة اليها ، فمن الخطأ والحالة هذه تخصيص السكر بالخمر والفول لا سيما وان الخمر في اللغة ما خاسر العقل ، وفي الحديث كل مسكر خمر . وان العلة التي بها عدت الخمر مسكراً وهي الاسكار قائمة بعينها في غيرها من المواد الكيماوية والنباتية ، فسبيل هذه المواد والحالة هذه سبيل الخمر في الحكم في الدلائل الواضح والقياس الصحيح .

وقد امتدى الانسان بسائقي المصادفة قديماً وبفضل العلم حديثاً الى مواد كثيرة مسكرة لا تختلف من حيث تأثيرها على العقل عن الفول . وولع بها ونفخ بمذبحها . اهمها الأفيون وعناصره والقنب او الحشيش والكوكائين الذي هو غرض هذه المحاضرة ونبدأ بدرسه لصلته بالفول من حيث المصدر والعدوى فأقول :

« الكوكا »

سيف اميركا الجنوبية (في البيرو) مملكة الذهب والفضة الغنية ، سيف تلك الجبال

(١) محاضرة للاستاذ الدكتور اسعد بك الحكيم القاها سيف المجمع العلمي سيف ،

حزيران سنة ١٩٣١ .

الشاحقة المطلة على البحر الهادي ، بنبت شجر صغير يدعى الكوكا ذو أوراق خضراء قائمة اللون رقيقة متينة بفضة الشكل ذات نمرق خاص ورائحة عطرية خفيفة وطعم مر ، وكان الطبيعة التي حرمت سكان تلك الاصقاع الاصليين سعادة الحضارة والمدنية لبانوا في ظلمات من الجهل قبائل متوحشة بغزو بعضهم بعضاً عرضة للقر والحر والعطش والجوع ومشاق الغزو والحروب المستمرة ، كان الطبيعة التي فضت عليهم بهذا الحرمان المؤلم لم نشأ الا ان تخفف من آلامهم فأودعت ورق تلك الشجرة المباركة شجرة الكوكا ، والكوكا في لغتهم معناها الشجرة خاصة من شأنها اذا مضغ الورق ان تبطل حس العطش والجوع والنعيب مدة طويلة مما حمل الانكاسيين وهم سكان بيرو الاصليين على الاعتقاد بان هذه الخاصة منحة أنزلت عليهم من السماء وان شجرة الكوكا مقدسة مباركة طيبة تقيهم حرمتها ورعايتها فعملوا زهرتها رمزاً تعلق به تروس أسرهم المألوفة وورقها لازماً من لوازم حياتهم يصطوبونه في اقامتهم ورحلاتهم كما نلازم طلبة الدخان جيب المدخنين في العصر الحاضر .

ليضعونه في جراب من الجلد يسمونه الشوسبا يعلقونه على جوانبهم . اما المفضة فهي مهيون من رماد الكوكا ومسحوق بعض الاصداف يهيونه في فرعة مجوفة جافة تسمى بالبوبورو وهي مباركة في صرهم يعلقونها على جوانبهم مع الشوسبا ، وبالنظر لما تعلق من الاعزاز الشديد عند الانكاسيين لاحتياجهم اليها في الاسفار والحروب فهم لا يهتدون طيها بورق الكوكا فيشد في عضدها ويساعدها على تحمل المشاق كما يساعد الرجال على تحمل اعباء المعارك الطويلة وشدائدها .

هكذا كان حال الانسان الهجي مع الكوكا في ذلك العهد الغابر ، اما بعد الفتح والاستيلاء فقد اخذ ذلك العنصر الاصلي بالانقراض بسمي العنصر المدني الفاتح الذي حل محله فجعل من تلك الجبال الخادومة مناجم لنبت الذهب والفضة ومد يده الى الكوكا فاستعجمته خمرتها وأعجمته نشوتها ففني بزراعتها وصناعتها فسكات له منها ثروة عظيمة ونجادة لا تبور .

بيد ان هذه الشجرة المباركة التي كانت عوناً للانسان الانكاسي على تحمل المشاق والشدائد وآلام الجوع والعطش لم تلبث ان انقلبت في عهد الانسان المدني الفاتح خمرة تلعب بالعقول وتبث بالاجسام تمهوية النفوس وتعيث بالابدان اثير الشهوة وتضمد الغيرة تشعشع كالبرق في الظلمات فتبصرها الميون الضالة فتسير اليها ، وتلع كالسراب في

الفلوات فتلظظها القلوب الغلابة فتمتافات عليها فتخطف تلك بنورها وتحرق هذه بنارها ، فكأنها وقد أغضبها عبث الفانج يجرمتها لم تشأ الا ان تثار لثأر المقدسها . فياله من ثأر تبدد فيه العقول وتفلج الأعضاء وتسلب فيه الأموال وتثلج الأعراض . ثأر مؤلم نفاهي فيه ضحايا الكوكابين فتلى الفانج من الانكاسيين بل هو أشد وانكى . وما نحن نقص عليكم كلمة العلم الحاضر في الكوكا والكوكابين وفي هذه الكلمة ذكرى وعبرة .

« تأثير الكوكا الفسيولوجي »

ظن الاطباء بادي بدء ان في ورق الكوكا مادة غذائية وذلك لابطالها حس العطش والجوع والتعب فأخذوا يستعملونها في الحالات المرضية التي يترافق بالضعف والوهن وسوء التغذية ، وصنفوها مع الادوية المقوية بصفتها بصورة خلاصة او صبيغ او حموضة مع الخمر او الفول ، غير ان هذه العقيدة لم تلبث حتى ظهر لسادها فقد تبين ان منع الكوكا الجوع والعطش ليس ناشئاً عن كونها غذائية بل لانها مخدرة مبطله للحس ، وذلك لان التجارب أثبتت ان الحيوانات التي تمنع من المواد الغذائية وتعطى الكوكا فقط تموت في الزمن نفسه الذي تمهلك فيه الحيوانات التي لاتعطى الكوكا ، وتبين ايضا ان النشاط العضلي الذي يشعر به المرء عند مضغ ورق الكوكا ليس منبهاً عن حرارة غذائية بل عن خاصة في الكوكا هي ان القلبيل منها يحدث اثاره في الجهاز العصبي المركزي وفي العضلات فيستر هذا النشاط الصناعي التعب مدة ، ويفسح لمرء مجالاً الى اتمام العمل الشاق دون ان يشعر بالتعب ولكن هذا التعب لا يد له من الوقوع غب انتهاء تأثير الكوكا في الجسم .

« الكوكابين »

تاريخ اكتشافه — وقد ظل ورق الكوكا مستعملاً في الطب كعلاج منه بالكيفيات الآتية المذكورة حتى منتصف القرن التاسع عشر حيث توصل الكيمائي الالمانى (Niemann) نيمان سنة ١٨٥٩ الى اكتشاف العامل المؤثر الموجود في ورق الكوكا وسماه الكوكابين . وقد كانت لهذا الاكتشاف الخطير أهمية كبرى في عالم الطب لا سيما في الجراحة وأمراض العيون والخلق والعيصرة ، لما سهل لها من الأعمال التي كانت ممثلة عليها قبل هذا الاكتشاف الذي بقيت فيه ضالة منشودة منذ العصور القديمة وهي التخدير الموضعي .

فتمافت عليه الاطباء والجراحون بطرو . منافعه ويستنكرون مضاره بصرفه لمضام
بامراف يسكنون به آلامهم ويبطلون بفعله حواسهم ولم يكن لينظر لاحدم على بال بان
هذا البلمس النافع الكرم سبكون بعد حين لصا خائفا يتسرب الى عقل لامه فيستمرقه
والى جسمه فيضنه والى اخلاقه فيفسدها .

صفاته الطبيعية — ماهو الكوكابين ؟ الكوكابين مسحق ناعم أبيض قليل الدوبان في
الماء ولذلك لا يستعمل في حالته الطبيعية ، بل يستعمل بصورة كلور مائية الكوكابين ، وهو
مسحق أبيض مؤلف من بلورات لطيفة شديدة الدوبان في الماء ، وللكوكابين عملان
مختلفان في الجسم احدهما موضعي والآخر عمومي .

تأثيره الموضعي — اما العمل الموضعي فان طلي البشرة ولا سيما الأغشية المخاطية
بالكوكابين يحدث تخديراً في نهايات الاعصاب السطحية فيبطل فيها الحس ، وبقل ورود الدم
اليها ، ويكون هذا الفعل شديداً بنسبة رقة الغشاء ووفرة عصبه .

العمل العمومي — ويتعدى الكوكابين هذا الحد من التأثير فيسرب الى المصعب الودي
فيثيره لتتوسع الحدقة ، والى البصلة الدماغية حيث نقطة الحياة فيهدد صاحبه بالسكتة
الصدرية والقلبية ، والى القشرة الدماغية حيث مراكز العقل وادراك الحس والحركات
الارادية فيسببها فتعري مدمنه الأوهام والتخيلات والعنه والجنون ، وينساب الى موارد
الاعصاب وألياف العضلات فيحدث فيها عندما تكون الكمية الممنصة قليلة نشاطاً وخفة
فيثوقد الذهن وتنبه الحواس وتسكن الآلام وتنبه العضلات ، ويشعر المرء بحاجة
للحركة وبقدرة على العمل ، وتشتد الانعكاسات الوترية وتزداد ضربات القلب وتنبض
الأوعية ويرتفع الضغط الدموي وتساعد الحرارة . اما اذا كانت الكمية كبيرة فان هذا
النشاط يشتد لدرجة الاختلاج ثم لا يلبث ان يعقبه الخدر والفالج وضياح الحس العمومي
فنضطرب ضربات القلب وننقطع ونفقد نظامها ، ويعسر النفس ويضعف وتزرق
الاطراف ثم ينقطع النفس ويقف القلب فيقع الموت .

ومن هذه الكمية النسيولوجية يتبين لنا ان الكوكابين خاصتين مختلفتين : احدهما
موضعية وهي تخدير نهايات الاعصاب السطحية وابطال الحس . والثانية دماغية عضلية

عمومية وهي إثارة الدماغ في بادئ الأمر ثم التغير العمومي .

استعماله في الطب — وبالنظر لما لهاتين الخاصتين من الأهمية الكبرى في الجراحة فقد لقي الكوكابين منذ اكتشافه رواجاً عظيماً في الطب الخارجي لاستعمل باديء يده مخدراً عاماً غير أنه لم يلبث طويلاً حتى أعرض عنه الجراحون لاسرین : أحدهما حصول الاحتداد الشديد قبل دور الخدر . وثانيهما كون المقدار اللازم لإبطال الحس العضلي العام يقرب من المقدار القاتل . واكتفوا باستعماله مخدراً موضعياً في العمليات الجراحية التي لا تتطلب إبطال الحس العام .

التسمم بالكوكابين — إن الكوكابين سم قاتل يبدأ فعله بالسكون والتخيلات البصرية والسمعية وهذيان شديد المرعدة والدوار ثم الرعدة والاختلاج الذي يعقبه هبوط القوى والخدر العمومي ثم الموت . وقد يؤثر الكوكابين فوراً علىصلة الدماغ حيث مراكز الحياة فيحدث السكونة القلبية فيصفر الوجه ويكمد وينشأ العرق البارد ثم يقف القلب ويقع الموت .

ويختلف المقدار الباعث لموت حسب كيفية أخذ الكوكابين وكميته وبنية الانسان فقد ذكر ان ولدأ عمره ٤ سنوات أعطي فتيلاً فمساء ٠١٢٥ من الكوكابين فمات وان مثل هذا الحادث وقع عندانسان تناول ٠١٣٠ من الكوكابين وعندآخر عقب تخدير سن بمقن ٠١٠٥ من الكوكابين في اللغة مما صرف الاطباء عن استعماله الى غيره من المخدرات الموضعية التي لها مالمالكوكابين من الفعل بينما أضرارها في الجسم أخف بكثير .

كيفية استعماله — اما كيفية استعمال الكوكابين في الطب الخارجي فمختلفة فهو يستعمل طلياً ونقطيراً وحقناً تحت الجلد .

اما طريقة الطلي فتستعمل في بعض أمراض الجلد وفي أمراض الاذن والأنف والحفيرة والفم . واما طريقة النقطير فيطلى بها في أمراض العين وعملياتها الجراحية . طريقة حقنه تحت الجلد — هذا وبما ان البشرة الصحية السالمة تمنع الكوكابين اذا طليت به من التسرب لما تحجبها من النسم فيظل حساساً — اضطر الجراحون لإبطال الحس في الطبقات الجلدية العميقة الى إدخال الكوكابين بها بطريقة الحقن تحت الجلد .

استعماله في الطب الداخلي — ١٠ استعمال الكوكابين في الطب الداخلي لم يرجع تاريخه الى زمن اكتشافه ، فقد اخذ الاطباء في أواخر القرن الماضي يصفون الكوكابين لمريض في جل الآفات المؤلمة وحالات الخمول العصبي جاهلين ما يخفيه هذا الاغص من السم النافع تحت طبقات ملامسه الناعمة وما هي الا سنون قليلة حتى ظهر للاطباء والجراحين خطر استعمال الكوكابين ومضاره العقلية فأعرضوا عنه لان كثيراً من المرضى الذين كان يوصف لهم الكوكابين بمقادير قليلة لتسكين آلامهم اخذوا يعتقدون استعماله فيكبرون لناولته مرات متعددة في اليوم حتى اذا أدمنوه تمكن من نفوسهم وتمنر عليهم تركه وأصبح من لوازم حياتهم لتظهر عليهم ثمة علامت التسم المزمن او الكوكابينية التي انتشرت خاصة عام ١٨٧٨ عندما قام (Bentley) بمداواة المورفينية بالكوكابين وراجت طريقتة هذه لا سيما في انكلترا واميركا ولكنها لم تلبث طويلاً حتى ظهر فسادها فأهممت بتأنيها وذلك لان المبطلين بالمورفين الذين عولجوا بالكوكابين القوا استعمال هذا السم ايضاً دون ان ينكروا المورفين فأصيبوا بالهذلين مما .

الكوكابينية — واول من وصف التسم الكوكابيني المزمن او الكوكابينية (Shaw) طبيب مستشفى سان لويس في لويزيانا من الممالك المتحدة سنة ١٨٥٩ ثم في سنة ١٨٨٦ نشر (Erlenmeyer) بحثاً معمّماً جمع فيه كثيراً من المشاهدات والاسانيد العلمية في الاختلالات النفسية الناتجة عن الكوكابين وفي سنة ١٨٨٩ عرض مانين ومعاونه سوربي على جمعية العلوم الحيوية بياناً مسهباً استقصيا فيه وصف جميع الاغراض النفسية التي تنتج عن استعمال الكوكابين المزمن مؤيدين آراءهما بالمشاهدات الكثيرة والتجارب العلمية الصادقة فأمر المجمع هذا البيان وعده حقيقة علمية لا تقبل الريب ولا الجدل .

وما تقدم ذكره يتضح لنا ان استعمال الكوكابين حتى أواخر القرن التاسع عشر كان مضمراً بالطب والصيدلة وان التسم الكوكابيني المزمن كان فردياً مرضياً ولم يكن اجتماعياً ارادياً . وان التجارب والمشاهدات اطلعت الاطباء على ما كانوا يجهلون من فعل الكوكابين وعلى مضاره النفسية فأخذوا يحددون منطقة استعماله ويحذرون مرضاهم اعتياده . ولكن ما الحيلة وقد سبق السيف المذل . فان النفوس التي كانت تستعمل الكوكابين

لاخمد آلامها الفائرة اخذت تلجأ اليه لاثارة شهواتها وضرائرها الخامدة فخرج الكوكابين من الصيدلية الى الحانة ومن مخدر الى مسكر ومن بد الاطباء الى تجار النفوس والاعراض ، وما يزغث شمس سنة ١٩١٤ على العالم الا والكوكابين يظلال بسلطانة عواصم الامم المتجدنة واملن على البشرية حرباً خروصاً لو انها استمرت لأربت ضحاياها على ضحايا الحرب العالمية الكبرى بكثير .

قال الدكتور (Maier) ماير : أستاذ ميريوات الطب النفسي في زوريخ في كتابه الكوكابينية ، المطبوع عام ١٩٢٦ ان التسم المزمن بالكوكابين قد ازداد في السنين الاخيرة زيادة عظيمة ، فاما من مملكة متجدنة الا وقد شملتها أضراره ، وقد شاهدت سويسرة هذا الوباء الاجتماعي بتأصل في تربتها في الحرب العالمية الاخيرة وبملاً بضحاياها دور الأمراض النفسية .

وقال كورتوا سوليت وجيرو (R. Giroux و Courtois - Suffit) في وصفها

تجارة الكوكو في حانات مون مارتر في باريس ما نصه :

« في سنة ١٩١٤ يكفي المرء ان يدخل احدى هذه الحانات في الساعة المسماة ساعة المشبهات لبشاهد فرقاً من النساء المبتليات رواد هذه المواطن يضطربن ويشملن ثم يذهبن زمرأ مؤلفة من اثنتين او ثلاثة الى المفاصل حيث يتعاطبن ثم الكوكابين ولا يلبثن حتى يخرجن منها براقات الاعين ، على ان الشائم هو عدم التستر ، فكثيراً ما تكون العابة المعمولة من الكرونون او من المعادن كالفضة او الذهب معروضة على (الطاولة) منضدة مقامي الرقص وعليها مغرفتها الصغيرة التي تكال بها كمية الشمة .

اما بين الساعة الخامسة والتاسعة مساء فان تجارة الكوكو تروج في الغالب في مقامي الطرب وفي المطاعم . وتستخدم سوق هذه التجارة بعد الساعة الواحدة من نصف الليل لاسيما في الرابعة والخامسة صباحاً في المؤسسات الليلية ، فهي ساعات عرض السم بالزاد العالمي ساعات ببعه بالجس الأثمان وقد استمرت هذه الحالة المؤلمة حتى صدور قانون سنة ١٩١٦ فاستمرت ثمة تجارة الكوكابين ولكنهما لم تنقذ تأثيرها في الخفاء فانه يوجد محلات ملاقة خاصة يجتمع فيها مدمنو الكوكابين مع تجاره للناول هذا السم الزعاف .

اما في البلاد العربية فقد شاع استعمال الكوكابين في بدء الحرب العامة في مصر

بسرعة غريبة حتى بات خطره يهدد أبناء ذلك القطر الشقيق بأشد الآفات واسوأ العواقب ، وانتقلت العدوى الى سورية بعد الحرب العامة فدخلها الكوكابين فانتجوا مع جيوش الاحتلال محمولاً على أنامل عشاقه الغيد الحسنان من الرافعات الغربيات يفرين به روادهن حتى ان منهن من جعلته مهرراً لوصالهن ونجوى يتقرب به اليهن ، ولا غرو فهو المحبوب المنوع عزيز مطلبه ، صعب مناله ، غال وصاله ، محرق هجره ، مميت منعه . ولولا صرامة في القانون وفساوة في تطبيقه وتوقف دخول الرافعات الفرنسية البلاد السورية وضعت الوراثة السكيرة عند السوريين وفداحة ثمن الكوكابين لا تنتشر داؤه فيهم انتشاراً مريعاً لا يحمد عقباه .

أسباب انتشاره — اما الاسباب الداعية لانتشار الكوكابين فكثيرة أهمها :
(اولاً) الاستعمال الطبي — وهذا بطل في أوائل القرن الحاضر ولم يعد له من قيمة فعلية .
(ثانياً) العدوى الاخلاقية — ونفعل هذه في الغالب في الفريق المتجنت بحب الجشمة (اي الموضة) والظهور والتقليد الفاسد وفي ذوي السذاجة العقلية التي ندفع صاحبها الى تحييد كل ما هو رائج ولذلك نشاهد الكوكابينية منتشرة في الغالب في الغرب عند النساء ، وبالعكس ذلك في الشرق لما في نفس الضعيف من حب التقليد والبلوك مسلك القوى .

(ثالثاً) الوراثة — الوراثة أهم السادة أقوى العوامل على انتشار السموم النفسية في الامم وقد أوضحنا هذه الحقيقة في المهاجرة السابقة عندما شاهدنا ابن السكر يولد مستعداً لتعاطي المسكر كما ان ابن المدخن يولد مستعداً للتدخين . وقد شاهدنا ان السوريين ضعيفو الاستعداد لادمان السموم النفسية لضعف هذه الوراثة فيهم وذلك لانهم حديثو العهد بالانفاس بالمذات وشرب المسكرات ، لاسيما وان أهماتهم على الاطلاق نقيات بفضل العامل الديني والتربية الصالحة الموروثة . ومن المؤلم ان فريقاً من الشابات اخذن بمخاطن النساء الغربيات في أعيادهن وأفراحهن فيقدمن اليهن شبتاً من المشروبات السكرية الروحية المسجات بالمعشاة فيأخذنه بمحاملة كي لا يرمين بالتعصب او بعبارة أوضح

كي يظهرن بمظهر المجددات على زعمهن جاهلات بان في عملهن هذا حطة أخلاقية واصاعة للقاليدهن . ودلالة على ضعف الجرأة الادبية فهن ، لان بوصفهن رفض هذه الكأس باسم الصحة والعلم اذا لم يكن باسم العادة والدين فهن يعملن هذا على علم صحيح واراادة حرة يكنسبن بها إعجاب الغريبة وحرمتها .

(رابعاً) ومن العوامل على انتشار الكوكابين الاضطراب الرهحي وعدم التوازن النفسي وفساد الميول والفرائز . سئم الناس أهبها السادة فربق شاذ بميوله وشهواته لا يلد له العيش ضمن الأوضاع الاجتماعية فيلجأ الى الملذات المروضة بواسطة السموم النفسية ليسكن بفعلها شهواته فيكون بعمله هذا كالمسقيج من الرمضاء بالنار .

(خامساً) الحمالة وضعف الارادة وقابلية التلقين — وذلك لان صاحبها قريب المأخذ سريع الاغواء يستغله تجار الاعراض والمواد المنوعة لمنافعهم فيمتدحون اليه بضاعتهم حتى اذا ذاق طعمها وقع في شركها وظل فيه الى ان يهلك ، ولهذا قيل : الادب يذهب عن المافل السكر ويزيد الأحمق سكرأ .

(سادساً) إثارة الحس الشهواني — وتلك من أعظم اسباب انتشار الكوكابين لاسيما في دور الفحش والبغاء . قال الاستاذ برواردل : (يدخل المرء الكوكابينية من باب الملذات الشهوانية) غير ان هذه الاثارة موفوتة لانطول كثيراً حتى يعقبا الاسترخاء والعقم .

(سابعاً) ومن الاسباب المروجة استعمال الكوكابين كيفية اخذه وسهولة تناوله واستعماله ، فهو لا يتطلب زجاجة ولا قندحاً ولا بشكل حجاب ولا وزناً ولا يحتاج صاحبه لحقنة يعتمها وابرة يوخز بها جلده ، بل جل ما يتطلبه طبعة صغيرة لأقبحها الجيب ولا تستغلها وقد يستغني عن العلبة ويمتاض منها بقصاصة ورق صغيرة يصر بها هذا المسكين العجيب الذي لا يدخل الجسم من باب الدوق بل بواسطة الشم والحلقن ، فيستعطف المرء على مرأى من الناس دون ان يستنكر احد فعلته وما هي الا دقائق معدودات حتى يشعر بدبيبته يدب الى نفسه فيطربها الى موضع الامرار فيهنكها .

« السكر الكوكائيني »

تأثيره لأول مرة — ويختلف لعل الكوكاين عند الناس حسب مزاجهم ودرجة إدمانهم وإياه والكمية الممنصة ، فيشعر المرء الحديث العهد به عند تسعته الكوكاين بخدر وبفقد الحس التام في غشاء أنفه وبرودة في الوجه لاسيما حول الأنف والفم يصحبها شعوب اللوث انقبض الأوعية وفاقدة الدم ، ولذلك تعد السعطة الأولى مزججة غير لذينة ، وتترافق أحياناً بالغثيان وهبوط القوى وخفقان القلب والأرق .

النشوة — اما مدمنو الكوكاين فانهم يشعرون غب لتناول هذا السم بوضع دقائق بانسراح في الصدر وبنشيط عظيم في الجسم والدهن وبقدرة على العمل غير منظرية وبخفة في الروح والحركة غير مألولة ، وبسرور لتلاشي فيه الآلام والأحزان وسعادة بنفس صاحبها عندما البؤس والشقاء ، وتسمى هذه الحالة النشوة الكوكائينية ، وتحصل عندما تكون الكمية الممنصة قليلة .

السكر الكوكائيني — اما عند تزايدها فيحدث السكر الكوكائيني وهو يتألف من عناصر او حوادث نفسية مختلفة يشتد ونضعف حسب تكرور لتناول الكوكاين والكمية والكيفية ، وذلك لان تناول الكوكاين سعوياً أخف من أخذه حقناً تحت الجلد ، وتسعته بكميات صغيرة غير متكررة أخف عملاً من امتصاصه بكميات كبيرة ، وام هذه الاعراض النفسية ، حدة الدهن ، ونشاط الحركة ، وخدر الحس بالألم ، ولحم القوة المراقبة والناقد الذاتية ، وإثارة الشعور الغامض ، وفساد الافعال العقلية .

حدة الدهن — ونفيل حدة الدهن بتولد الذاكرة والمخيلة وسرعة تداعي الافكار وتواردها على الخاطر وسهولة التكلم وكثرتة والضحك والقهقهة والمزاح ورفع الصوت والخطابة .

نشاط الحركة — وتترافق حدة الدهن هذه بحس دافع للحركة والعمل فلا يستطيع سكبر الكوكاين الاستقرار والسكون فتراها ذاهبة آتياً كثير التلفت والاشارات سريع الحركات خفيها يتكرر الاعمال وببائرها وبكثير الزيارات والدعوات . ويقفل حلياً

النشاط خاصة في الحس الشهواني فإنه يزداد باديءً بدءاً زيادة شديدة ولكنه لا يلبث أن يسترخي ، ولهذا نرى مدمني الكوكابين جميعهم يشكون العنة .

خدر الحس بالألم — وبالنظر لبطلان الحس بالألم تراه لا يشعر بالثعب ولا يعتبره ملل ويتناسى جميع أحزانه ومكدراته .

شلل القوة المراقبة والنافذة الدائية — ويتطرق بطلان الحس هذا الى القوة النافذة والمراقبة فيفلجها فيثور الشعور النفساني الغامض وتنتطلق الأهواء انكاسنة والشهوات المحصورة فيسعى لتحقيقها .

تبديل طباع المرء واخلاقه — وتبديل طباع المرء واخلاقه فيصبح صعب المراس مرهم الغضب شرس الخلق سهل الاندفاع كثير المفاجآت والتعدي ، لا يحتمل الاذى يحرق لاقل سبب وبقترف الأجرام لدى ادنى حادث .

فساد الافعال العقلية — وقد يقف السكر او التسمم الكوكابيني عند هذا الحد من الفعل اذا لم يكرر المرء تناوله اما اذا تكررت السمعات ولا سيما اذا كان تناوله بواسطة الحقن الجلدية ، فتظهر ثمة أعراض فساد الافعال العقلية فيختلط الذهن ويتغير الادراك والشعور وتستولي على السكر الأهوام والفتيلات لتسم الحواس ببصر الاشياء على غير ما هي عليه فيرى العصاة عبياتاً والثياب المعلقة شياطين او لصوصاً والاشخاص مشوهي الاشكال ، ويسمع صريراً ودوباً لوجود لها في الخارج ، وقارة يخيل اليه انه في جوف من الفبار لامع الذرات ، او وسط راب نحل يتطاير أمام عينيه الى غير ذلك من الأهوام البهرية والسممية المزعجة التي تشاهد في سائر حالات السكر المزمن على اختلاف مسبباته .

الفتيلات الحسية الجسدية — اما العرض الوهمي الخاص بالكوكابينية فهي الفتيلات الحسية الجلدية فان مدمني الكوكابين يشعر بمحشرات تدب وتركض وتقفز تحت جلد جسده فتقرشه كالبق والبراغيث والقمل والجرب والذهاب والعراييل والديدان وأحياناً هي بالوراث المسكوكابين نفسها تنهز في جلده فيعمل على مطاردتها ونزعها بالعكس ومصحح الجلد .

وقد تشترك الجواس بضلالها فيرى الكوكابين الحشرات تسير على جسده و يشعر بانهم -
تلدغه وتشمس في الجلد فينتزعها منه و يتناولها بيده و يضعها في وعاء فيه ماء يجانبه ، او انه
يألفها على الارض ويسحقها بظفره . ومنهم من يتناول أبرة و يأخذ باستقراء هذه الحشرات
ما بين الجلد والعضلات ليخرجها ، ليدعي بعمله هذا جسده و يعرضه للالتهابات والآفات
الوبيلة .

ثقب حاجز الأنف - ونشأ هذه الأوهام الجلدية عن تأثير الكوكابين في الاعصاب
السطحية فتقذيرها وعن ثقبض الاوعية الشعرية فيتوقف ورود الدم الى الجلد فيمثل
وتسبب حرارته ويتوقف فعل التغذية فيه فينتفخ واكثر ما يشاهد تلف الجلد في حاجز
الانف فانه ينثقب عند مدمي الكوكابين .

الهديان الكوكابيني - وقد لا يظهر هذا الوم والتخيل في الجواس فقط بل يتطرق
الى الفكر ايضا فيتصور الكوكابين امورا لا صحة لها ويدخل عليه الغرور والعجب والغيرة
والشك بالناس ليميل على الانتقام وبقتراف أفعط الاجرام وينتهي هذا الدور بالتخيل والخذل
العمومي والسيئات .

دور الصحو - ويسمر السكر الكوكابيني الممتدل ثلاث ساعات الى اربع ، ثم يأخذ
المرء بالافاقة لبشر بهبوط في قواه وثقل مزاج في حركاته وكسل شديد في اعضائه
وخمول عظيم في عقله مع خبل ووهن في اعصابه وبضيق في صدره مع انقباض وكدورة
في المزاج . ونمود اليه آلامه السابقة مضاعفة فهو لا يقوى على المشي لان ساقيه لا تتحملانه
ولا يقدر على الاضطجاع لانه يزيد في سأمته وكآبته ، وعندما يعيل صبره وتغور عزيمته
ولا يجد له ملجأ يلجأ اليه للخروج من هذا الضيق الخنق فيجئ الى الكوكابين سرعفاً وهو يعلم بانه
يت الداء وبصدر اليلاء ولكن ما الحيلة وهو وحده المسكين لهذه الآلام فيتناوله كرهاً
لا ليمسك به سعادته الاولى بل ليغدر به آلاماً هو مسببها ، وهكذا دواليك دور متسلسل
من صحو يرافقه خمول ونحور ، يداوى بسم يصحبه سكر وخذل وسيف ذلك العمري منتهي
اليأس والقي برجات الشقاء .

هذا اذا كان المرء ذا سعة وقدرة على الحصول على الكوكابين اما اذا كان بموزاً

فهناك الطامة الكبرى فهو لا يستنكف عن بذل ماء وجهه والتدلي لافظم الرذائل وارثكاب كل محرم الى ان يظفر بضالته وقد يستهوذ عليه الضجر واليأس فيعمد الى الانتحار .

الكوكابينية المزمنة — وقد لا يمضي زمن طویل على الكوكابيني المدمن حتى تنضمحل فواه وتنتلش مواهبه وعواطفه وبقل فعل التغذية على الجسم فيهزل ويكمد لونه وينقص وزنه ويعسر هضمه الطعام ويتعاقب عنده الامساك والاسهال وتغور عيناه ويتناهب الارق ويصبح كالجماد لا يكثرث ولا يبالي بشيء ، ضعيف العقل متدرجاً نحو العته والجنون .

ذلك مصير الكوكابينية ايها السادة وهي كما نرون : شعلة من نور الحياة تبيح الابصار تبرز وهلة في حلك الدماغ فتلهب بحرارتها كل مافيه من قوى شريفة في آن واحد ، حتى اذا نصب ذلك المعين الذي هو ذخيرة المحر في حين من الزمن يصير فخم ذلك الشعلة ، ويظلم ذلك النور ، ويصبح ذلك الهيكل الانساني كالسراج الذي نصب زيتة حيواناً وحشياً يقترف أنواع الاذى ، مصيره السجن حيناً ثم ملاجئ المرضى ثم دور المجانين .

قال كورنوا سوفي وجيرو « ان أصرار الكوكابين هائلة ، فان الاسراف باستعماله خلافاً لسائر السموم المسكرة يعود رويداً رويداً الى الاستهالة الجسمية والهلذان والجنون والتلاشي ، ويعي الجسم لقبول السل » .

وقال لوجرن « ان الوياة الكوكابيني على الرغم من كونه محدوداً لذو شأن بين العوامل في انحطاط الجماعات ، وذلك لان المشاهدات اطلعتنا على ان نسل الكوكابيني المدمن بأقبي مصاباً بالبلاهة — على ان ذلك نادر — لان إدمان الكوكابين يحدث عند صاحبه العنة فيصاب بالعقم وما العقم الا انقار الجنس » .

الوقاية — وما كادت المشاهدات الطبية تنفض هذه النتائج المؤلمة الناشئة من إدمان الكوكابين حتى اضطربت لها فرائض أساتذة العلم في أنحاء العالم اتحدوا فأخذوا يصيرون بهمهم باعلى أصواتهم ومن فوق منابر الاورشاد والتدريس على ألسنة الكتب والجرائد تارة ، وبافواه الخطباء والواظ والنواب والجامع العلمية والمعلمين تارة أخرى ينادون بحكوماتهم وأكرم به من نداء : الكوكابين هو الخطر الاجتماعي المدام لغاربوه .

وقد اُبت حكومات العالم هذا النداء ولا سيما فرنسا التي شاهدت هذا الوفاء ينشر في عاصمتها انتشاراً سريعاً فأصدرت القوانين الصارمة بمنع دخول الكوكابين بلادها ، ففي ١٢ حزيران سنة ١٩١٦ سنت الحكومة الفرنسية قانون منع المخدرات ووضعته موضع التنفيذ في الحال وهو يقضي بالحبس من ثلاثة أشهر الى سنتين وبدفع جزاء نقدي يتراوح ما بين مائة الفرنك والالف منه على كل من يتناول الكوكابين او يحمله او يسهل ادخاله البلاد او استعماله ، ويقضي بالجزاء نفسه على الاطباء والصيدالة الذين يساعدون المبتلى بالكوكابين على الحصول عليه او يصفونه لغير ضرورة طبية ، ولا أكثر من سبعة ايام ، على ان يكتشوا بالحدود المقدر الموصوف وكيفية استعماله ويوقعون على الوصفة بوضوح ، وعلى الرغم من صرامة هذا القانون والقساوة التي استعملتها الحكومة الفرنسية في تطبيقه فان تجارة الكوكابين ظلت رائجة في الخفاء اسموله امكان الحصول على هذا السم خارج البلاد وامكان ادخاله الحدود بالحيل وبهبة خفية بأمان باهظة تتناسب مع الصعوبات القائمة في وجه الحصول عليه ، وقد كان لهذا الغلاء الفاحش فائدة سبغة توفيق انتشار الكوكابين أعظم من فائدة المراقبة نفسها .

قال لوغر (Logre) « ان كثيراً من التجار يسافرون الى سويسرا وهولاندة والمانيا و يعودون منها بمدد كبير من كيلو غرامات الكوكابين المصنوع في مانهايم او دارمستاد ، وان الالمان لغايات قد لا تكون تجارية محضة يروجون دخول هذا السم البلاد الفرنسية » . وقال كورتوا سوفي وجيرو « ان الالمان استفادوا من الاحتلال الفرنسي البلجيكي بلاد الرين فأغروا الجنود المسكرة فيها واستخدموه واسطة لتهرب الكوكابين » وقد ساعدت الطيارات كثيراً على تهرب الكوكابين لهدم مراقبتها المكسبة .

ويطجأ مهربو الكوكابين لاختفائه عن أعين المراقبة بطرق من الحيل والخبديعة كثيرة يبدلون كل يوم خشبة النضاحا ، فمنهم من يجعله في عصاه او داخل أعمدة الاسرة الخفية ، او في كعب الحذاء ، او بطانة الثياب ، ومنهم من يجعل للوعاء طبقتين يخفيه بينهما . وذكر كورتوا سوفي وجيرو ان احد متهوري الساق كان يخفيه في قناة سافله الصنعية .

وعندما يدخل الكوكابين البلاد يباع فيها خلسة ضمن أوراق صغيرة تتضمن مقادير

زهيدة . ويكون الكوكابين فيها مفشوشاً باضافة بعض الاجسام الشبيهة به اليه كخامض البوريك او الفناستين او سكر الحليب . و يُطلى غواته بعضهم بمضاً على باعته ، وهم لعمري الطبقة المخطئة من الامة المنحردة عن الشرف والوجدان . ولا غرو فعملهم هذا عدا انه سلب وسرفه ، فهو جنسية فظيعة فيها قتل النفوس وهتك الاعراض وبتم الاولاد واستحالة الامة .

فيا ايها اليد الاثيمة التي تمسك لاختها لقتله به لقاء بعض دربهات ، ارجعي الى ربك نادمة مستغفرة ، واعلمي ان تجارة السمحت لا تثمر ، وان قتل النفوس التي حرم الله بالسيف او الكوكابين سواء .

ولما كانت طرق المنع الداخلي والمراقبة الشديدة لم تحل تماماً دون تسرب السم داخل المدن طلبت الحكومات الاوربية الى جمعية الامم وضع قانون دولي عام يقضي بتحديد كنية صنع الكوكابين في المعامل ومراقبتها مراقبة دولية شديدة .

على ان هذه التدابير وحدها لا تكفي لابقاف تيار المسكرات الجارف دون ان ندم بارادة الفرد بواسطة التربية الصحية الصحيحة . قال كورنواو في جبرو « يجب على المدارس عند انتهائهم الدروس الرسمية في السن التي تستيقظ فيها السموات وتسيطر الاهواء على النفوس ان يعلم الشبان بطرق بسيطة واضحة أخطار بعض الأمراض وبعض المساوي » الى ان قالوا « اذا كان المخطط من غائب القانون فان الوفاة وصيانة الاخلاق من واجبات التربية وحفظ الصحة » .

فهل للمعارف وهي المسيطرة على التربية في هذه البلاد ان تنهج هذا المنهج الصالح في التعليم المدرسي فتسدي بعملها هذا خيراً الى الامة والى العنصر وتعال به رضا الله والناس . وقد أدركت مديرية الصحة العامة السورية ما للدعاية الصحية من الشأن العظيم في وقاية الصحة والأخلاق فأقامت في نهجها الصحي معرضاً تمثل فيه الامراض الاجتماعية الناتجة عن الزهرى والمسكرات بشكائها الحقيقي معجوبة بالشروح الوافية والنصائح القوية ، وسيفتح هذا المعرض أبوابه للشبيبة السورية في القريب العاجل .

اسعد الحكيم

حروف التاج

وعلامات الترقيم

— « —

« ١ — حروف التاج »

ما كادت نماذج حروف التاج أعلن ونذاع حتى لناولتها أقلام الكتّاب ، البعض بالمدح والبعض بالنقد والدم . ويختصر نقد هذه الحروف في وجهين : (الاول) في أشكالها فقال المنقدون انها لا تأتلف . ثم الحروف العادية وليس فيها من الانسجام والمجانسة ما يوافق الذوق الفني . (الثاني) في فائدتها واستعمالها ، فذهبوا الى انه لا حاجة لنا بها في الكتابة العربية وانه باستعمالها تزداد حروف الطباعة وهذا يخالف قواعد الاقتصاد .

فالوجه الاول ليس من شأننا البحث فيه لعلاقته بقواعد الخط وأنواعه وأوضاعه ونحو ذلك مما يختص به ارباب هذا الفن . وبالنظر في الوجه الثاني اي في فائدة هذه الحروف واستعمالها نرى انها لم توضع لمجرد الزخرف والزينة او محاكاة الاصطلاحات الافرنجية حبا في التقليد والتقليد وانما الغرض من وضع حروف تختلف شكلاً او مجاً عن الحروف العادية هو تفتيح القاري الى أوائل الكلام وتمييز الأعلام ، فهي من قبيل الترقيم^(١) الذي يراد به الابضاح والايانة كما شهد بذلك احد النقاد (الاستاذ محمد وهي الخطاط الشهير والخبير بمحكمة الاستئناف بمصر) فقد قال : « ان الفكرة في حد ذاتها سامية » وأهم مزايا هذه الحروف الدلالة على الاعلام من أسماء وكُنى والقاب وتمييزها بما يشبهها من التسميات والصفات . ولو لم تكن هناك حاجة الى ما يميز الامم العلم لما وضعه اكثر الكتّاب بين أقواس دلفا للالتباس . وقد صرف الاتراك هذه المزايا

(١) رقم الكتاب اي مجموعه وبينه .

فوضعوا لذلك حروفاً تمتاز عن الحروف العادية وهي مقتبسة من الخط السكوفي المشهور واستعملوها في بعض مطبوعاتهم قبل استعمال الحروف اللاتينية بزمان بعيد .

وعلى ذكر الاعلام لا بأس من التنبيه الى امر جدير بالاهتمام وهو ضبط الاعلام الافرنجية المكتوبة بالحروف العربية اذ لا يتأتى النطق بها نطقاً صحيحاً خلواً الابدية العربية من حروف تؤدى في اللفظ ما تؤدبه الحروف المعروفة بالتحركة في اللغات الاوربية مثل e. i. o. u. eu. ou وليس عندنا ما يقوم مقامها في الكتابة غير الواو والياء على ان الافرنج يلفظون كلاً منها بشكل خاص . فلا بد اذاً من علامات تؤدى مخارج هذه الحروف وبغيرها يتمدّد ضبط الاعلام الافرنجية وبعض الاسماء العربية ولذلك نرى المجلات العربية نكتبها بالحروف اللاتينية وعن تنبيه الى هذا النقض الشيخ ابراهيم البازجي (رحمه الله) فوضع علامات 'نكتب فوق حروف العلة وتدل على طريقة النطق بها بحسب مخارج الحروف المتحركة في اللغات الاوربية ، ولكن هذه العلامات لم يتم استعمالها وأصبحت في طي الخفاء بعد احتجاب (الضياء) . وللا تترك فضل السبق في وضع مثل هذه العلامات لضبط النطق بالحروف التي يختلف لفظها في بعض الكلمات . مثل الضاد والطاء والكاف والواو والياء وقد استعملوها في الطباعة قبل استعمال الحروف اللاتينية بنحو نصف قرن . ومن الكتب المطبوعة بهذه العلامات القاموس التركي المسمى (لهجة عثمانية) تأليف اللغوي الكبير احمد وفيق باشا .

وانعقد الى انكلام على حروف التاج فنقول ان ما يذهب عن استعمالها من الزيادة في حروف الطباعة لا يعد شيئاً يذكر بالنسبة الى عدد الاشكال المستعملة الآن فان لكل حرف من حروف الهجاء أشكالاً متعددة بحسب موقعه في الكلمة وضرورة تركيب بعض الحروف وغير ذلك .

واذا نظرنا الى كثرة هذه الأشكال وما في جمعها وتفريقها من عناء وضياح الوات نرى ان أحسن طريقة وضعت لتقليل عددها مع المحافظة على رونق الخط انما هي الطريقة التي وضعتها لجنة إصلاح وتحسين الحروف العربية بمطبعة بولاق الاهلية في سنة ١٩٠٣ اما الطرق الاخرى التي اقترحها بعضهم لا ختزال الحروف فيما يذهب برونقها ويشوه محاسنها على ان الخط العربي يحجم أنواعه يمد من الآثار الجلية والدخائر النفيسة بل

أهو من مفاخر اللغة العربية لما امتاز به من الروعة والجمال ، ومن الواجب على أبناء هذه اللغة المحافظة عليه والحرص على استبقائه خالصاً من الشوائب .

وقد اقترح بعضهم كتابة الحروف منفصلة كالطريقة المتبعة في الطباعة الاثرية وهو اقتراح صحيح اذ يتعذر تنسيق الحروف العربية المفردة تنسيقاً هندسياً في السطور والطامة الكبرى ما رتآه بعض المنشرفين من كتابة اللغة العربية بالحروف اللاتينية . وقد بينتُ فساد هذا الرأي وما يحول دون العمل به من الموانع في مقالين نشر احدهما في (المقطع) بتاريخ ١٩ ابريل سنة ١٩٢٤ والثاني في (السياسة اليومية) في ١٤ لبرابر سنة ١٩٢٩ .

« ٢ - علامات الترقيم »

لم يكن للعرب علامات للدلالة على اصل الجممل والتعجب والاستفهام ونحو ذلك مما اقتبسناه من اللغات الاوربية بل كانوا يكتبون الكلام متصلاً معتمدين على سياق المعنى على ان لهذه العلامات من الفوائد ما لا يحتاج الى بيان لانها تعين القاري على فهم الكلام وايضاح ما قد يستنبه من وجوه المعاني ، فهي من قبيل الشكل والاعجام . ومعلوم ان الكتابة كانت في اول عهدنا غُفلاً منها وقد وضعها فيما بعد أئمة اللغة لما رأوا ما يقع في القراءة من الخطأ والتعجب . قال المسعودي : « الخطوط المعجمة كالبرود المعجمة » وقيل : « إجمام الخط يمنع من استنباهه وشككه يؤمن من اشكاله » و « رب علم لم يُعجم لصوله فاستعجمَ محصوله » فاذا جاز اننا إدخال الاعجام والشكل في الكتابة لا حرج طيننا في اقتباس بعض العلامات التي تُعين على فهم الكلام وتوضيح المعاني .

وليس من غرضي في الكلام على علامات الترقيم ان أبين فوائدها وانما أردت بهذه العُجالة التنبيه الى ما يقع من الخطأ في وضعها والامراف في استعمالها . فن العلامات التي بعضها بعض الكتاب في غير مواضعها او يسرفون في استعمالها (الفصلة) وهذه علامتها (،) ليستعملونها لفصل المفردات المعطوفة مثال ذلك انهم يكتبون : فصول السنة أربعة : الصيف ، والخريف ، والشتاء ، والربيع . وأقسام الكلام ثلاثة : اسم ،

وفعل^١ ، وحرف^٢ . على انه لا محل للفصلة مع واو العطف . اما الاقتران فانهم لا يستعملون أداة العطف بين المفردات المعطوفة ويستعملون عنها في الكتابة بهذه العلامة ، بيان ذلك اننا اذا ترجمنا البيت الآتي الى لغة اوربية :

الجيل والليل والبهاء تعرفني السيف والرمح والقرطاس والقلم

فيكتب هكذا :

الجيل الليل البهء تعرفني السيف الرمح القرطاس والقلم

فتوضع أداة العطف قبل الكلمة الأخيرة أي أنها لا تكرر كما في اللغة العربية . وهذا يشبه عندنا قول الشاعر :

مكر^٣ مفتر^٤ مقبل مدير مع^٥ كجلود صخر حطه السيل من عل

على انه يجوز وضع الفصلة بين الجمل المعطوفة ولو كانت صغيرة مثاله :

الطير بقرأ ، والفدير صحيفة ، والسحاب يكتب ، والندى ينقط^(١)

ومن الخطأ وضعها بين الموصوف والصفة ولو كانت جملة مثل : صادر من قلب ، مجرّد من غواشي الغرض ، ونفس ، سمّت عن كل غابة . كما انه لا حاجة لوضعها بين المبتدأ وخبره مثل : افضل المروف ، وإغاثة الملهوف . الا اذا حالت بينها جملة معترضة مثل : كل ذنب ، وان عظم ، صغير في جنب عفوك . وكل زليل ، وان اجل ، حقير عند صلحك . ولا ينبغي وضعها بين الشرط وجوابه مثل : من سلك السداد ، بلغ المراد . او بعد المنادى مثل : يا علي ، ناولي الكتاب . او بعد الفاء السببية مثل : محمد فاق أقرانه في الامتحان ، فاستحق الجائزة الاولى .

وأقول بالاجمال ان هذه العلامة لا توضع الا بين الجمل المعترضة والجمل التي يتركب منها كلام تام الفائدة ، ومن الخطأ استعمالها في غير هذين الموضعين . ومن الكتاب من يضع علامة الاستفهام او علامة التعجب والانفعال مكررة مثنى وثلاث على انه لا حاجة لهذا التكرار وبعضهم يضع العلامتين معا . اما الفصلة المنقوطة وهذه علامتها (،) فيحسن إغفالها اكتفاء بالفصلة .

(١) (المجموع) لعل الكاتب أراد في هذا الكلام نثره لا نظمته .

وخلاصة القول انه لا ينبغي الاسراف في علامات الترقيم فان الغرض منها انما هو الايضاح والارادة ، اما الاسراف في استعمالها او وضعها في غير مواضعها فما ينشأ عنه الخلط والارتباك .

هذا ما عن لي من البيان والملاحظات على حروف التاج وعلامات الترقيم اعرضه على أنظار اولي الشأن لعله يعود بالفائدة التي ننوحيها من البحث . ولو كان لنا مجمع لغوي وهو الأمنية التي طالما عللنا النفس بأدراكها ، لأغسانا عن البحث والنقد . فهو المرجع الذي يعود عليه في كل ما له علاقة باللغة وآدابها وكتابتها والنظر في أي اقتراح يراد به التجدد او الاصلاح .

حبيب غزالة

ابن خفاجة الاندلسي

- ٢ -

« لفظ شعره وأسلوبه »

يمكن قاري* ديوان ابن خفاجة الناظر فيه بعين النقد والتأمل — ان يصفه بما يأتي :
(١) — جزالة اللفظ

فان ابن خفاجة وان تختلف به زمنه عن أمثال احمد بن عبد ربه كثيراً وتأخر عصر
بوغه عن أمثال ابن زبدون قليلاً يقل* عنهما في الرفقة وسهولة اللفظ فتغلب عليه جزالة
اللفظ ونغماته في كثير من قصائده ومقطعاته سالكاً طريقة المتقدمين من أهل الاندلس ،
كابن هاني* والرمادي* وابن دراج القسطلي بالرغم من وصفه هو شعر نفسه باللين والدونة
سبحه قوله :

وحسبك من شعر يكاد لدونة تغني به التبت المشيم فيورق
ولا ننكر ان له من المقطعات والقصائد ما يكاد يذوب رقة وسهولة الا انه قليل
بالإضافة الى سائر شعره .

فمن جزل قوله من قصيدة يصف جبلاً :

| | |
|---------------------------------|----------------------------|
| وليل اذا ما قلت قد باد، وانقضى، | تكشف عن وعد من الظن كاذب |
| محبب الدياجي فيه سود ذوائب | لا هتلق الآمال بعض نرائب |
| فزقت جيب الليل عن شخص أطلس | تطأم وضاح المضاحك قاطب |
| رأيت به قطعاً من الفجر أغبشا | تأمل عن نجم نوّقد ثائب |
| وأر عن طراح الذؤابة باذخ | يطاول أعنان السماء بفارب |
| يسد مهيب الريح عن كل وجهة | ويزحم ليلاً شبهه بالمناسكب |

وفور على ظهر الفلاة مكانه
 بلوث عليه الغيم سود عمام
 أصحت اليه وهو أخرس صامت
 وقال ألا كم كنت ملجأ قاتل
 وكم سرّ بي من مدح ومؤوب
 ولاطم من نكب الرياح معاطي
 فما كان إلا ان طوتهم بد الردي
 فما خفي أبكي غير رجفة أضلع
 وما غيض السلوات دمي وانما
 فحق مني أبكي وبظمن صاحب
 وحق مني أرمي الكواكب ساهراً
 فأسممني بن وعظه كل عبدة
 فسأى بما أبكى وسوء ما شجا
 وقلت وقد تكبت عنه إطية ،

ومن سهله قوله في صفة بطاح وظلال :

مقياً لها من بطاح أنس
 فمأ توى غير وجه شمس
 ودوح حسن بها مطل
 أظل فيه عذار ظل

وقوله في غلام بقل عذاره :

أيها التائه مهلاً
 هل ترى فيما ترى
 وضاماً قد تسرى
 أين دمغ فيك يجري
 أين نفسي فيك تهدي
 أي الملك كان إلا
 وتخلى عنك إلا
 صاءني ان تهت جهلاً
 الا شباباً قد نولى
 وفؤاداً قد نسلى
 أين جنب بقل
 وضلوع فيك نصلى
 عارض وافي فولى
 أسفاً لا يتخلى

وانطوى الحسن فهلا أجمل الحسن وهلا
(٢) - ايجاز أسلوبه لكثرة ما يزحم لفظه بالعمالي والاستعارات او التشبيهات
المتعددة في البيت الواحد كما سيأتي بعد .

(٣) - مما كانه في كثير من قصائده لحول المتقدمين معارضاً لهم في وزنهم وروهم
كأبي نواس وأبي تمام : البحري وابن هاني والمنهبي ، فمن ذلك قصيدته الرائبة التي
يمدح بها الوزير ابا عامر : يعارض بها ابن هاني الاندلسي في رائبته التي اولها :
فلنقت لكم ريح الجلال بمنبر وأمدكم فلق الصباح المسفر
وجنيتكم ثمر الوفايم يانعا بالنصر من ورق الحديدا الاخضر
فيقول ابن خفاجة في مطلع قصيدته متغزلاً :

حذر القناع عن الصباح المسفر ولوى القضب على الكتيب الأغر
وتملكته هنرة بك عزة فارتيج في ورق الشباب الأخضر
منفساً عن مثل افحة مسكة منبسجاً عن مثل سحطتي بعوض
سألت علي سيولها أجفانه فلقيتهم من المشيب بمفر
مفجلاً أرباً بنفسي انت يرى هذا المزيو قنيل ذاك الجؤذر

وقوله في ميمية يعارض بها ابا نواس في قصيدته التي اولها :

يا شقيق النفس من حكم نمت عن ليلي ولم أنم

فان ابن خفاجة يقول في ميمية هذه وأغار عليه في بعضها :

قل لمسرى الريح من إضم وليالينا بذبي سلم

طالع ليلي في هوى قر نام عن ليلي ولم أنم

وهي طويلة جميلة .

وقوله في يائية يعارض بها ابا الطيب المنهبي في قوله (وأغار عليه) :

كفى بك داء ان ترى الموت شافياً وحسب المنايا انت يكن أمانيا

فان ابن خفاجة يقول في يائته :

كفاني شكوى ان أرى المجد شاكياً وحسب الزايا انت توالي باكياً

وهي طويلة جيدة .

(٤) — كثرة استعماله للجهاز والاستعارات والتشبيهات ، و كثيراً ما يرمم بها البيت الواحد حتى تفيض معانيه ، ويزيدها غموضاً خفاء علاقاتها ببعد لوازمها فمن الاول لموله بصف منفرجاً :

| | |
|------------------------------|--------------------------|
| وصيلة الأنوار تلويح عطفها | ريح تلب فردوسها معطار |
| عاطى بها الصبباء أحوى أحور | سحاب أذبال السرى سحار |
| والنور عقد الفصوص سواف | والجذع زند والخليل سوار |
| بهدفة ظل الله ظلا بها | وتطلعت شفقاً بها الأنوار |
| رفس القضبب بها وقد شرب الثرى | وشدا الحمام وصفى التبار |
| غناه ألحف عطفها الورق الندي | والنف سبى جنباتها الفوار |
| فتطلعت سبى كل موقع لحظة | من كل غصن صنعة وعذار |

ومن الثاني قوله في وصف فرس أشهب بعد موقعة :

| | |
|------------------------------|----------------------------------|
| وأشهب ناصع القرطاس مؤتلق | كأنما خاض ماء الصبح فاغتسلا |
| ترى به ماء نصل السيف منسكباً | يجري وجاح نار البأس مشعلا |
| فنادر الطمن أجفان الجراح به | رُمداً وصبراً أطراف القنا تُلُلا |
| وأشرق الدم في خد الثرى خجلاً | وأظلم النقع في جفن الوغى كحلاً |

معاني شعره

وابن خناجة من المحدثين المعاني المؤثرين جانبها على جانب اللفظ ، وكأنه أحس ذلك من نفسه فحاول جبره بكثرة الجناس والطباق كما فعل أبو تمام ، فإذا سلم له اللفظ من معرة التكلف مع تجويد المعنى جاء شعره غاية الغايات ، والا فقد أتعب الدهن واستوقف النظر في فهمه واستغلاء غامضه .

ويمكن القاري لديوانه إجمال الأمور الغالبة على معانيه فيما يأتي :

(١) — غلبة ازدحام المعاني على أكثر شعره فيحمل اللفظ القليل اما معنى متشعب المناحي والعلائق واما معاني متعددة : مما أوردت بعض شعره تعقيداً وغموضاً . وفي ذلك يقول ابن خلدون في باب انقسام الكلام الى فني النظم والنثر مما يجب على الشاعر ان يراعيه

في شعره « ولا يكون الشعر سهلاً إلا إذا كانت معانيه تسابق النفاذه الى الذهن ولهذا كان شيوخنا رحمهم الله يعيبون شعر ابى بكر بن خفاجة شاعر شرقي الاندلس لكثرة معانيه وازدحامها في البيت الواحد كما كانوا يعيبون شعر المنهجي والمعري بعدم النسيج على الأساليب العربية كما مر » يريد ابن خلدون بالأساليب انحاء منحنى العرب في جعل مادة الشعر الخيال والوجدان لا القضايا الفلسفية . اما ما يعيبه على ابن خفاجة فهو ازدحام البيت من أبياته بخيال منزع الصورة من متعدد كثير او بمدة أخيلة ، فيكون فيه جملة استعارات ومجازات في اللفظ والاسناد ، متداخل بعضها في بعض ، او جملة تشبيهات كذلك ، وقد كفى ابن خلدون ابن خفاجة بالي بكر مع اشتهاره بكنية ابى اسحاق ولا يعرف شاعر مسمى بابن خفاجة مشهور بانه شاعر شرقي الاندلس الا شاعرنا هذا فتكنيته بابى بكر سمو من ابن خلدون او أن له كنيته فمن ذلك قول ابن خفاجة في المدح :

فارضى الدهر ساجداً ، وانقض المدة دار سيقاً ، واستصعب السعد لامة
وقوله :

| | |
|----------------------------|----------------------------|
| وغمامة نشرت جناح حمامة | والبرق قد نزع الغلام نهارا |
| متألق صدع الدجى وسقى الثرى | فأبيض ذا نوراً وذا أنوارا |
| في أجمع خاف الربيع به ابنه | كرماً ، فأخضب ربوة وقوارا |
| هفت الصبا منه بمسرى دجيه | هطلاء قرَّبها العجاج وقارا |
| وصكفت فسات فضة ولربما | طبعت بكل قرارة دينارا |
| نثلت به زرق النطاف سوابقا | زرفاً وجردت الشعاب شفارا |
| فكأنما قلت هناك كتيبة | فرمت به عنها السلاح فرارا |
| ارض مبطت بها سماء طلقة | وخطبت من صدف بها أنوارا |

وقوله :

| | |
|--------------------------|-------------------------|
| فالروض مهبز الماطف نعمة | نشوان يعطفه الصبا فيميل |
| ربان فضضه الندى ثم انجلي | عنه فذهب صمغتيه أصيل |
| وارتد ينظر في نقاب غمامة | طرف يمرضه النعاس كليل |
| ساج كما يرنو الى هواه | شالتر ويلتح العزير ذليل |

وقوله في الكأس :

والكأس طرف أشقر قد جال في عرق طيبه من الحباب يسيل

وقوله :

ولوى الخليج هناك صفحة معرض ثمت سوا الفها ثغور أفايح

ومثل ذلك كثير في شعره :

(٢) - كثرة توليده معاني فنون الشعر غير وصف الطبيعة كالمدح والثناء والغزل

من معاني وصف الطبيعة ويضيق بنا المقام عن كثير من الشواهد المثلة لما نقول كل التمثيل

لفتحيل القاري الى ديوانه (طبعة جمعية المعارف المصرية) في صحائف ١٢ و ١٣ و ١٥ و ١٦ و ١٧ و ٣٦ و ٤٠ و ٤٦ و ٤٩ و ٦٩ و ٩١ و ٩٤ و ١٠٣ و ١١٠ الخ .

ونشير الى ذلك بأبواب فن ذلك قوله في رثاء وزير من قصيدة :

في كل ناد منك روض ثناء وبكل خد ليك جدول ماء

ولكل شخص حزة الفصن الندي غب البكاء ورفة الكاء

يا مطلع الانوار انت به قلني أسفا عليك لمنشأ الانواء

ومنها :

جالت بطرسية للصبابة هبرة كالغيم رقى لخال دون سماء

ومنها :

فلطالما كنا نرجح بظله فترج منه بسرحة غناء

فلنقت على حكم البشاشة نورها ولفقت في أوجه الجلساء

وقوله في المدح ويدعو على نفسه :

فان انا لم أشكرك والدار ضربة فلا جادني غاد من المزن رافع

ولا استشرفت يوما الى به الربا جلالات ولا هشت الي الأباطم

(٣) - توليد بعض معانيه من بعض بل ربما كرر اللفظ مع المعنى ناهيا بذلك معنى

ابن الرومي ، كان اذا اخترع معنى او استحسنه لا يزال يلج عليه بالاستعمال ، ويستقصي في

استخراج صور متعددة منه ، وذلك كثير في شعره . وفي قليل ما ذكره شبه مما لم نذكر .

فن ذلك قوله من قصيدة زهرية :

وقد ارتدت غصن النقا ونقلت
: بقول في قصيدة أخرى :

وبجر ذبل غمسة لبست به
وقوله في القصيدة الأولى :

نثرت بحجر الأرض فيه بدالصبا
و. بقول في الثانية :

نثرت بحجر الزوض فيه بدالصبا
درر الندى ودرام الأنوار

(٤) - كثرة اختراعاته لأماني الرائعة وحسن تصرفه في معاني غيرم حتى تصبغ
ناصيتها في ملك يمينه واكثر ما يكون ذلك منه في التشبيهات والاستعارات كقوله
في وصف فارس :

وأدم لولا انه راق صورة لما عرفته العين من ليلة الحجر

وقوله في وصف معركة يصف السيوف والنقع :

والبيض تحنى في الطلى فكأنما
كوبت عراً منها على أزرار

والنقع يكسر من سنى شمس الضحا
فكأنه صداً على دبنار

وقوله في حسن التعليل :

وما أرغت الكاس في كفه
ولكنها فحكمت عن مرور

وقوله :

وجه به من يدع الحسن ما
يقم للمناشق أعدارا

قد طبع الحسن به درهما
تسبك منه العين دبنارا

(أي من الخجل)

وقوله في وصف دمية متخيلة :

الابكي الدر فوق حالية
حلى بها العقد شر ما حلى

يرى بها ما يمر من خلق
محبساً تحت منظر الجلى

قد راقى مرأى وساء ظنبر
فهل ترى اثرت به دلى

والدلى هي شجرة ورد الحمار جميلة الزهر سامة .

وقوله في وصف لوس أشقر عليه حلية من فضة :
 بسام ثغر العنابي تحسب انه كأس أثار بها المزاج حبابها
 وقوله في وصف ساقى :

وأهيف قام يسقي والسكر يمطف قدده
 وقد تروخ غصناً واحمرث الكاس ورده
 وألحب السكر خدأ أوري به الوجد زنده
 لكاد يشرب نفسي وكدت أشرب خده
 وقوله في السرى :

ورفلت في خلق علي من الدجى عقدت لها من أنجم ازرار
 وقوله :

صح الموهبة منك ولكنني أعجب من بين لنا بقدر
 كأننا في فلك دائر فأنت تخفى وأنا أظهر

(٥) - إكثاره من الاغارة على معالي غيره ، بالرغم من ثروة شعره بالمعاني المتهررة
 والأخيلة الرائعة ، ولكن هذه فطرة البشر يأخذ الآخر عن الاول ما يحسن .

فن ذلك قوله في وصف الصباح في بيتين أبداع الاول وسرق الثاني :
 وفي مصطلى الآفاق جرم كواكب علاها من الفجر المظلم رما
 ولما أفرى من دجى الليل طحلب وأعرض من ماء الصباح ثماد
 حذت وقد ناح الحمام صباية وشق من الليل الهيم حداد
 سرق الثاني من قول الجعزي .

حتى تبدى الصبح في جنباته كالما يلج من خلال الطحلب
 وقوله :

فلو أنهم خلدوا خلود ثنائهم لم أنفصم عنهم عرا الأعمار
 اخذه من قول المتنبي .

كفل الثناء له برد حياته لما انقضى لكأنه منشور
 وقوله في مديح :

إذا رنا يجر حني طرفه لحظته أجرحه ثارا
 فيصبع الدر عبقا به وأصبح النوار أزهارا
 اخذه من قول احمد بن عبد ربه صاحب المقد وزاد عليه .
 ما ان رأيت ولا سمعت مثله درأ يعود من الحياء عبقا
 وقوله :

وكل حياة الى منهي اجل وكل حمام اجل
 اخذ كل الشطر الاول من بيت ابن هاني الاندلسي من مطلع مرثية له مقصورة وهي :
 مه كل آت قريب المدى وكل حياة الى منهي
 وربما كان هذا من التباقي الخواطر لانه معنى مبتذل . وقوله :
 فيها هو سنة السن السلام تأخرا وفي الحمد عنوان الكتاب نقدا
 ولد من قول المتنبي في رائيته يمدح عضد الدولة وابن العميد :
 من مبلغ الأهراب الي بعدها شاهدت رسطاليس والاسكندرا
 الى ان يقول :
 ورأيت كل الفاضلين كأنما رد الاله نفوسهم والاعصرا
 اسقوا كما نسق الحساب مقدما وأنى فذلك اذ أتيت مؤخرا
 لان لفظ (فذلك) كانت تذكر في الحساب عند نهايته فيقال فذلك كذا وكذا ولفظ
 (السلام) بوضع في آخر الخطاب .
 وقوله يمدح :

جدير باحراز العلا غير راكض مفند وادراك السهي غير قائم
 اخذه من قول اسمعني الموصلني بنفخر بولائه لخزيمة بن خازم .
 اذا مضى الحمراء كانت اروموني وقام بنصري خازم وابن خازم
 عطست بانف شامخ وناوات يداسيه الثريا قاعدا غير قائم
 ويقول ابن خفاجة في هذا المعنى ايضا من قصيدة :
 من منزل قد شب من نار القوي ما شباب عنه تفرق الظلاء
 لو شئت طلت به الثريا قاعدا ونثرت عقد كواكب الجوزاء

« ما يؤخذ عليه »

يؤخذ على ابن خفاجة عدة امور : منها مداخلة بعض معانيه في بعض وازدحامها في البيت ، ومنها الغرابة في استعمال المجاز وإيثاره على الحقيقة والحق نه لا يصار الى المجاز الا اذا قصرت الحقيقة عن أداء المعنى وتجيده ، ومنها خفاء بعض معانيه خلفاء لوازم المجاز او التجريد كقوله :

واقعد جريت مع الصبا جري الصبا وشربتها من كف احوى احور
فاجبت منه عطارداً ولربما قبلته فلتت وجه المشتري
لندى بفيه اقاقة نفاحة شربت على ظلم بقاء الكوثر
فقد يخفى ما يزيد في البيت الثاني ، فان قيل انه أراد المريح لانه احمر اللؤلؤ فغلط
بذكر المشتري كما غلط امرؤ القيس في قوله : « اذا ما الثريا في السماء تعرضت »
يريد الجوزاء لان الثريا لا تجري صراحة - فهو يريد ان وجهه احمر بالنقبيل .
قلت : فلا يظهر بسهولة تخصيص التشبيه بعطارد عند المناجاة فان أراد انه في بدء
المناجاة كان ابهى الوجه كمطارد ثم احمر بعد النقبيل كالمشتري ، فلم يخص عطارداً ؟
مع ان اكثر النجوم بهض على ان من سيارات الشمس ما هو ابهى ايضاً كالزهرة .
ومنها بعض الخطاء في اللغة او احكام القافية فالاول كاستعمال لفظ (اقاقة) في البيت
الثالث المتقدم على انه مفرد اقاح بدون ياء ممان (اقاح) هذا اسم اقاحي ياء مشددة وقد
ينقلب ويستعمل استعمال قاض وداع وعلى كل حال فالمفرد ليس الا القوانة ويقع في هذا
الخطأ كثير من الشعراء والكتّاب . والثاني كوقوع الايطاء في القافية دون مرور سبعة
ايات على الاشهر في معنى القصيدة لانه يقول :

ومرى بطير به عقاب كامر أمسى بلاعب من عنان ارقما

ثم قال بعد اربعة ايات :

ومررت باللال بدب فيها عتربا وانساب منمطت الهرة ارقما

ومنها يروى بعض تشبيهاته وخروجها عن مألف الذوق العام في كل زمان كقوله
في مطلع قصيدة يمدح بها اكبر امير من المثلثين في الاندلس :

ألا هل أطل الامير الاجل ام الشمس حلت ببرج الحمل

ولا يخفى علينا انه شبه وجه الامير بالشمس في اول الربيع ولكن برد في جعل هذا الوجه حالاً في حمل — وقوله منها :

يشد اللثام على صفحة ترى البدر منها بارقي زحل

فانه يبرد مع خفاء المعنى ان فللك البدر ادنى فللك الى الارض مع انه عند تشبيه الامير به تراء ابعاد الكواكب في ارتفاع المنزلة وانت تعلم ان جميع اصحاب الطوابع والقرانات ويتابعهم الادباء ان طالع زحل نحس — ومن ذلك قوله يتنزل في ملج وبهفه :

من بلى من لامج وجد به رجحا فقد لافيت اعصارا

تخفق احشائي به دوحة ونثر الاعين اوارا

تخفق الاحشاء هنا الشاملة للامعاء فتبج واستعمالها مع الريح والاعصار البع . وغير

ذلك كثير .

« الموازنة بينه وبين غيره »

اذا وازنا ابن خفاجة بكل شاعر من شعراء الاندلس وصاف الطبيعة وجدناه يهضم جميعاً في هذا الباب واغرب الناس شبيهاً به من شعراء المغاربة ابن حمديس الصقلي فانه اجاد وصف الطبيعة بما يقارب وصف ابن خفاجة او يساويه ولا يمكنه زاد عليه وصف امور كثيرة كوصف القلاع والحصون والمصانع والقصور والقنايل وكثيراً من أنواع الحيوان وزاد عليه في أعراض أخرى غير الوصف ، فانه يجيد الهجاء ، وابن خفاجة ليس له في هذا الباب قليل ولا كثير ويجيد المدح وهو صناعته التي يتكسب بها ، وفي ذلك يجيئ ابن خفاجة معه مصلياً لا مجلياً ، ويجيد الخمر بات وله فيها الكثير الجليل .

وامتاز عن ابن خفاجة بشكوى الزمان والمرض والغربة عن الأوطان والضيقة والدقل في البلاد والفقر الجيد والفقر يض على الجهاد وطول القوائد غالباً ، ولقد يرجع ابن حمديس على ابن خفاجة في جلته . واغرب الناس شبيهاً به من المشارقة الصنوبري فانه وصاف طبيعة مثله حتى يقايسه أدباء المغرب والمشرق به فيقولون في ابن خفاجة (صنوبري المغرب) غير ان الصنوبري أرق شعرأ وأسهل ، وابن خفاجة اجزل لفظاً وادق معنى ، ومن شبهه بالي الفخ كشاحر فقد ابعده عن جلته ، لان كشاحر وصاف لكل شيء ، ومقل في وصف الطبيعة عن ابن خفاجة .

اما مقايسته بابن المعتز وابن الرومي والبحتري لكل هؤلاء بفضلونه بمجموع مزاياهم ،
فابن المعتز بفضلته بالركة وجمال التحيل واجادة الطردبات ووصف بحال الانس ، والبحتري
وابن الرومي بفضلانه بالتبريز في كل غرض من أغراض الشعر حتى وصف الطبيعة نفسها
وان قل شعرهما فيه عنه .

اما الموازنة بينه وبين غيره في قطعة من الشعر قالها وقطعة قالها غيره فقد يفوق ابن
خفاجة وقد يختلف . ومن ذلك ما رواه المقرئ عنه قال : « قال ابن خفاجة في ديوانه
وخرجت يوماً إشاطة الى باب السجارين ابتغاء الفرجة على خرير ذلك الماء بتلك السائمة
وذلك سنة ٤٨٠ ، واذا بالفقيه ابي عمران بن ابي تليد رحمه الله تعالى قد سبقني الى ذلك
فألفيته جالسا على دكان كانت هناك مبنية لهذا الشأن فسلمت عليه وجلست مستأنسا به
فجري اثناء ما نأشدناه ذكر قول ابن رشيقي :

يامن يمر ولا تمر به القلوب من الفرق

بعامة من خده او خده منها استرق

فكأنه وكأنها قمر نمر بالشفق

فاذا بدا واذا انثى واذا شدا واذا نطق

شغل الخواطر والجوا فح والمسامع والحدق

فقلت وقد أعجب بها جداً وأثنى عليها كثيراً ، احسن ما في القطعة سيافة الاعداد
والافات تراء قد استرسل فلم يقابل بين الفضاخ البيت الاخير والبيت الذي قبله لينزل
بازاء كل واحدة منها ما يلائمها وهل ينزل بازاء قوله (واذا نطق) قوله (شغل الحدق)
وكأنه نازعني القول في هذا غاية الجهد فقلت بديها :

ومنهف ظاري الحشا خفت المعاطف والنظر

ملاً العيون بصورة تليت محاسنها سور

فاذا رنا واذا مشى واذا شدا واذا سفر

فضح الغزاة والغما مة والحمامة والقمر

فجن بها استهناساً « اه . قال ابن ظفر : « والقطعة القافية ليست لابن رشيقي بل
هي لابي الحسين علي بن بشر الكاتب احد شعراء الشيعة » .

ونحن نوافق ابن خفاجة في تفضيل قطعه على الأخرى إلا أنه لا ينبغي عليك أن
السابق هو الذي فتح الباب ، وطرق لابن خفاجة سرد النظم على ما في استعمال لفظ
الغزاة مؤثقا للغزاة من خلاف بين اللغويين وإنما الشمس عند أكثرهم .

ومن هذه القصة تعرف أن ديوانه المطبوع ليس هو النسخة التي جمعها بنفسه لأنها
لا توجد فيه كما أنه وجدت أشعاره خارجة عنه وشبهة ابن خفاجة يستدعي أن له ديواناً
أكبر منه وتجد في ديوانه بعض موازات بين مقطعاته ومقطعات غيره فراجع إن شئت .
« كتابته »

وابن خفاجة كاتب جيد على طريقة الأندلسيين الجارين على طريقة ابن العميد
وأكثر كتابته خيالات شعرية .

ولم نعرض للكلام على كتابته هنا بنوع تفصيل لأننا نترجم له شاعراً لا كاتباً ولأن
كتابته لا تمتاز عن كتابة غيره بفضل بلاغة أو رقة أو ميزة لفظية .
« مخفارات من شعره »

ومن شعره يصف علماء السوء من المسلمين والقساوسة من النصارى :

| | |
|------------------------------|-------------------------|
| درسوا العلوم ليحكموا بمقدالم | فجها صدور صرايب ومجالس |
| وتزهّدوا حتى أصابوا فرصة | في أخذ مال مساجد وكنائس |

وقال :

| | |
|---------------------------|--------------------------|
| أحسن المدامة والنسيم طيل | والظل خفاق الرواق ظليل |
| والنور طرف قد نثبه دابع | والماء مبسّم يروق صليل |
| ونظمت من برق كل غمامة | في كل أفق راية ورعيل |
| حتى شهادى كل خوطة أيكّة | ربا وغصت ثلعة ومسيل |
| عطف الأراكّة فأنثت شكرآله | طوبى ورجع في الغصون هدبل |
| فالروض مهتز المعاطف نعمة | نشوان يعطفه الصبا فيميل |
| ريان فضّه الندى ثم انجلى | هنه فذهب صفحّيه أصيل |
| وارند ينظر في نقاب غمامة | طرف يرضه النعاس كليل |
| ساج كما يرنو الى عواده | شباك وبتلمح العزير ذليل |

وقال يدي رأيه في توبة الطفل :

نبه وليدك من صباه بوجرة ولربما أغضبي هناك زكاؤه
وانهره حتى تستعمل دموعه سيفه وجنيته وتلتظي احشاؤه
فالسيف لا تذكو بكفك ناره حتى يسيل بصفغتيه ماؤه

وقال في طيف الخيال :

ورداء ليل بات ليله معاني طيف ألم لظنينة الوعاء
فجمعت بين رضائه وشرايه وشربت من ريق ومن صباه
ولثمت في ظلماء ليلة وفرة شفقاً هناك لوجنة حمراء
والليل مشمط الدواب كبيرة خرف بدب على عصا الجوزاء
ثم انثنى والسكر يسحب لرحه ويحمر من طرب لفول رداء

القاهرة : احمد الاسكندري

تهكم الجاحظ^(١)

- ١ -

« أساليب التهكم عند الألفجة »

الى جنب هذا المذهب الذي ذهبه الجاحظ في الضحك والافصاح مذهب آخر وهو التهكم ، ولعل بين المذهبين بعض الصلة وان كان كل منهما يختلف عن الآخر ، فصاحبهما يحتاج الى شيء من خفة الروح ولكن هذه الخفة في الافصاح بريئة من الممز والمز وانما غايتها التنشيط والاستبهام ، اما في التهكم فقد يمازجها الخبث سواء أكان هذا الخبث ظاهراً أم كان باطناً . -

وقد كان التهكم من جملة أساليب سقراط في تقرير فلسفته فكان سقراط في تهكمه يرمي الى مناقضة خصمه فيسأله مسائل من باب تجاهل العارف فكان في بدء الامر بقوله مذهب خصمه ثم يتلطف في سؤاله فلا يزال به من سؤال الى سؤال حتى يفضي به الى المناقضة في القول . -

أصل الأمر في التهكم ان نقول قولاً وانت تريد ضده ، فلما قال النظار لامرأته ابن هاني : ما بعد هذا الكلام كلام ، لم يقصد في هذه العبارة الا ضدها ، ظاهر كلامه الاعتراف بعلم امرأته ولكن باطنه مريض بجهله . -

لست في حاجة الى الكلام على خصائص التهكم فان هذا الكلام داخل في البديع وانما أقصر في مثل هذا المقام على الإشارة الى ان التهكم اكثر المستعمل في الخطاب فهو يطلب في الأحاديث حتى يكاد يكون لهجة بنفرد بها بعض الناس ، وقد يكون هذا التهكم

(١) سلسلة محاضرات الأستاذ السيد شفيق جبري احد اعضاء المجمع العلمي العربي

التي شرع في المحاضرة بها في كلية الآداب في دمشق سنة ١٩٣١ .

لباسي فكونة ليها فرح وسرور او صيفة مزح روحاني ، او قالاً بفرغ فيه غضب او حقد او بأس او غير ذلك من هواجس النفس ،
واذا أردنا ان نعرف رأي متهم من حذائق المتهمين في هذا المذهب لنسمع ما قاله
أنا تول فرانس :

« لا أزداد تفكيراً في حياة البشر الا ازدادت اعتقاداً ان من الواجب علينا ان نجعل
شهود هذه الحياة وقضائها التهم والشفقة —
التهم والشفقة ناصحان صالحان —

فالتهكم باتباعه يجب علينا الحياة ، والشفقة بدموعها تقدر هذه الحياة ، والتهكم
الذي أرغب فيه ليس فيه شيء من القساوة ، انه لا يستهزي بالحب والجمال ، فهو رفيق
وفيه عطف ، فصحة يكظم من الغيظ ، وهذا التهم هو الذي يعلمنا ان نسفر من الأشرار
والحقى ولولاه لأفنى بنا الضمف الى كراميتهم — »

ان هذا الكلام على وجازته بصورتنا قيمة التهم ، فلماذا اشتمل هذا المذهب على تعجيب
الحياة وتقديرها ، واذا درسنا على السخر بكل شئير وبكل أحمق بدلاً من ان نعبأ بهذا
الشئير او بهذا الأحمق ، فلما عظم شأنه وما أهناً بال الذين يعرفون كيف يتصرفون فيه .
أفلم الجاحظ ان يسفر من الأشرار والحقى ، وقبل ان ينظر في هذا كله لا أرى
محدوراً في ذكر أماط من تهكم الا لرغبة على سبيل المقايسة والموازنة —

إمام المتهمين في فرنسا انما هو (فولتير) وهذا نمط من اسمه :
أنشأ جان جاك روسو رسالة موضوعها : اصل تفاوت الناس والدكانت اكاومية
ديجون اقترحت هذا الموضوع وطلبت التسابق فيه ولكن روسو لم يجز في هذا الميدان
فلم يحرز فصب السباق الذي أحرزته سنة ١٧٤٩ في رسالة جعل فيها الآداب والعلوم
مصدر الفساد —

اتصلت هذه الرسالة بفولتير فكتب اليه كتاباً يرد فيه عليه وقد جاء في جملة هذا
الكتاب ما يلي :

لم يجترم الجرائم الكبيرة الا مشاهير الجهلاء فان الذي يجعل من هذا العالم وادي
دموع انما هو جشع الرجال الذي لا سبيل الى نفع غليله وعجبهم التي لا سلطان عليها فان

الآداب تغذي الروح وتصلحها وتساويها وانما لخدمك في الوقت الذي تعرض فيه عليها . —
ثم ختم رسالته بهذا الكلام :

أعلمني السيد . . . ان صحتك رديئة فينبغي لك ان تجود على شحم هواه وطنك وان
انتمتع بالحربة وان تشرب معي حليب بقرونا ، وترعى من عشبنا . — «

فالمعز يظفل هذا التهمم المصقول الحواشي . —

فكان فولثير يقول لروسو : ان جسمك معتل واعتلال الجسم يؤدسيه عادة الى
اعتلال العقل فكان فولثير يقول لروسو : ان عقلك لا يخلو من اعتلال . —

واليكم غلطاً آخر في التهمم وهو قول (لابروير) في الموهوسين في حب الكتابة :

« يأخذ فلان ورقة وقلماً فجأة من دون ان يفكر في ذلك من قبل فيقول في نفسه :
أريد ان أوّلف كتاباً على انه ليس له استعداد للكتابة ولكنه في حاجة الى خمسين (بستولا)
فأصبح به من غير جدوى : خذ المنشار يا (ديوسكور) وانشر ، او اضع دائرة دولاب
فنفصل على اجرتك ولكنه لم يتعلم هذه الحرف كلها فأقول له : السخ إذن او صحح في
المطبعة ، لا تكتب ، يبداه يربد انت بكتب وان يطبع كتاباته ، ولما كانت المطبعة
لا يرسل اليها دفتر ابض فانه يسوده بما يروقه فيكتب مثلاً : ان نهر السين يجري في
باريز وان الاسبوع فيه سبعة ايام او ان السماء ماطرة ، ولما كان هذا الكلام لا يخالف
الدين ولا الحكومة ولا يؤدي نشره بين العامة الا الى المساد الدوى وتعويد المسامة
الاشياء التي لا طعم لها بمرض على المراقبة ثم يطبع ليعاد طبعه مع ما في ذلك من العار على
الأجبال وعلى كبار المؤلفين . — «

فهذا الكلام كله تهمم ، فان قول (لابروير) ان نهر السين يجري في باريز ، او ان
هذا الكلام لا يخالف الدين ولا الحكومة ، ان هذا القول كله انما هو همز وانز . —

مالنا ولهذا كله فلننجل الى اسمعز الجاحظ !

اذا كان التهمم على نحو ما قال (اناول فرانس) يعلمنا ان نهزاً بالأشهر وبالحمى فقد
طام هذا التهمم الجاحظ ان نهزاً بطائفة من الناس فيهم الحمى ، وقد اجتمعت له أسباب
التهمم ومحدث له السبيل اليه .

ألم تلده أم مطبوعة على التهمم فان مجيئها يطبق الكراريس التي علمنا اسرها في

كلامنا على حياته استمزاء بولد يقضي ايامه في طلب العلم وهو عالة على امرأة قومه !
 أفلم يخرجه في الأدب والعلم رجال لا يضيعون فرص التهمك اذا سخطت هذه الفرص
 فعبارات أبي عبدة والنظام التي سررت بنا في كلامنا على ثقافة الجاحظ أشباه : لا عليك
 فان سرك لا يؤذي وامثال : ما بعد هذا الكلام كلام ، انما هي عبارات يخلها التهمك -
 ولقد ظهر ميل الجاحظ الى الاستمزاء من صغر امره وحدائه منه واليكم القصة التي
 ثناعت اليها وهي من آثار هذه الحدائث : قال الجاحظ^(١) : « وبينما انا جالس يوماً في
 المسجد مع فتيان من المسجد بين مما يلي أبواب بني سليم وانا يومئذ حدث السن اذ أقبل
 ابو صيف المروزي وكان لا يؤذي احداً وكان كثير الظرف من قوم سراقة حتى وقف علينا
 ونحن نرى سبط وجهه اثر الجدة ثم قال مجتهداً : والله الذي لا إله الا هو ان العزرا حلوا
 ثم والله الذي لا إله الا هو يميننا ثانياً يسألني الله عنها يوم القيامة ، فقلت له أشهد انك
 لا تأكله ولا تذوقه فمن أين علمت ذلك ؟ فان كنت علمت امراً فليدنا بما علمك الله ،
 قال : رأيت الذئبان يسقط على التبيد الحلوا ولا يسقط على الحمار ويقع على العسل ولا يقع
 على الخلل وأراه على العزرة اكثر منه على الثمر ، أفتر يدون حجة أبين من هذه ، فقلت :
 يا ابا سيف بهذا او شبهه يعرف فضل الشيخ على الشاب ! »

واشدد فيه هذا الميل الى الاستمزاء بالحقى كل حياته فمن استمزائه بماثال هذه
 الطبقة من الناس قوله في انشاء كلام له على المكي^(٢) :

« وكان المكي طبيباً طيب الحجاج ظريف الخيل عجيب الملل وكان بدعي كل شيء على
 غاية الاحكام ولم يحكم شيئاً قط من الجليل ولا من الدقيق واذا قد جرى ذكره فساد ذلك
 ببعض احاديثه وأخبرك عن بعض علله لألمى بها ساعة ثم نعود الى ذكر الذهان :

ادعى هذا المكي البصر بالبراذين ونظر الى يزدون واقف قد اتى صاحبه فيه الهيام ،
 فرأى فاس الهيام واين بلغ منه فقال لي : العجب كيف لا يذره الله التي وانا لو ادخلت
 اصبعي في حلقى لما بقي في جوفى شيء الا اخرج ، قلت : الآن علمت انك تبصر ، ثم مكث

(١) الحيوان الجزء الثالث (ص ١١٢) .

(٢) * * * (ص ١٠١) .

البرذون ساعة بلوك لجامه فأقبل عليّ فقال لي : كيف لا يبرؤ اسنانه ، قلت لئما يكون عند البصرهء مثلك ، ثم رأى البرذون كلما لآك الحمام والحديدة سال لاسبابه على الارض فقال لي : ان البرذون افسد الخلق حقلاً ولولا ذلك لكان ذهنه قد صني ، قلت له : قد كنت اشك في بصرك بالدواب فأما بعد هذا فلست اشك فيه .—

وقلت له مرة ونحن في طريق بغداد : ما بال الفرسخ يكون في هذا الطريق فرسخين والفرسخ يكون اقل من مقدار نصف فرسخ فنكر طويلاً ثم قال : كانت كسرى يقطع للناس الفراسخ فاذا صانع صاحب القطيعة زادوه واذا لم يصانع نقصوه .—

وقلت له مرة : علمت ان الشاري حدثني ان المخلوع بعث الى المأمون بجراب فيه سمسم كما انه يخبره ان عنده من الجند بعدد ذلك ، وان المأمون بعث اليه بديك اهور يريد ان طاهر بن الحسين يقتل هؤلاء كلهم كما يلقط الديك الحب ، قال : فأت هذا الحديث انا ولدته ، ولكن انظر كيف صار في الآفاق ، واحادثه واعاجبه كثيرة .— «

تهمك الجاحظ

- ٢ -

ظهر ميله الى الاستهزاء من فضاضة هوده واستحكم فيه هذا الميل بعد ان تهيأت له اسباب التهمك بهذا فبرها ، فقد خلق مطبوعاً على هذا التهمك ، وقويت فيه ثقافته هذا الطبع ، وعاش في عصر احتاج فيه الى السفرية ، عاش في عصر ترك فيه الجمهور الاكبر والسواد الاعظم التوقف عند الشبهة ، والنثبت عند الحكومة وعزل الحق فيه جانباً ومات ذكر الحلال والحرام ورفض ذكر القبيح والحسن ، والخلاصة عاش في عصر استغاضت فيه الزندقة وشاعت فيه طائفة من الخرافات في طبقات العامة وبعض العلماء والمؤلفين فلم يجد الجاحظ بداً له من التنبيه على هذه الخرافات ، وعلى هذا الضلال وهو الرجل الذي وقف نفسه على نصرة الحق عمره كله ، ولخاصة فقد امكن القول في عصره وضح الدهر ، فلم يبق للجاحظ الا اظهار ما عنده والقيام بما يلزمه من نصرة الحق ومجعة على الباطل ولا سيما بعد ان كثرت خصومه وحساده ومثقبوه فلم يجد له امضى سلاحاً من التهمك ، هذا التهمك الذي قال فيه فولتير : اذا أردت ان تقتل خصمك فاجعله 'هنراً' - فاجتمع الجاحظ في جعل خصمه 'هنراً' كل حياته ولئن عابه ابن قتيبة باستهزائه من الحديث استهزاء لا ينجي على اهل العلم ذكره فلم يستهزئ الجاحظ بالصحيح من الاحاديث وانما استهزأ ببعض نأويلات ونفسيرات لا يقرها عقل عالم اشتغل بالتحقيق والتجسس قرناً متكاملان -

للنجهتد في بيان بعض مواطن من هذا الاستهزاء -

للاجاحظ أسلوب في التهمك على بعض اهل التفسير والتأويل بسيط جداً وقد بلغ من بساطته انه لا يكاد يظهر عليه اثر الاستهزاء والسخرية فهو يدمس هذا التهمك دساً دون ان

يظهر على بانه بدلاً من ان يتعرض لهذه الطائفة من العلماء تعرضاً ويجادلهم جدالاً بكيفية في أكثر الأوقات بالدلالة على آرائهم والاشارة الى مذاهبهم ، ولكن هذه الاشارة معها كانت خفية ومعا كانت رمزاً لا تخلو من روح التفهم فبينما الجاحظ مثلاً يفيض قوله في باب من ابواب العلم كباب ما يعترى الانسان بعد الخفاء وكيف كان قبل الخفاء وبينما يفيض في هذا الباب في أمور علمية اذ يمرض له رأي من الآراء التي لا يؤيدها العلم فيكشفي بالنسبة عليها كقولها مثلاً وقد نعتهموه ^(١) :

« وزعم بعض المفسرين واصحاب الاخبار ان اهل سفينة نوح كانوا تأذوا بالغار فعمس الأسد عطسة فرمى من مخبره بزوج سنابز فلذلك السور أشبه شيء بالاسد وسلم الفيل زوج خنازير فلذلك الخنزير أشبه شيء بالفيل .
ثم يردف هذا القول كلامه الآتي :

قال كبسان : فينبغي ان يكون ذلك السور آدم السنانير وتلك السورة حواءها وضحك القوم . - »

ان مجرد ذكره لأشياء هذه الآراء في اثناء بحثه عن أمور مبنية على العلم والعقل كاف للدلالة على صحافته باصحابها فكأنه يفرز بينيه خيراً فهو لا يتولى الطعن على هذه الآراء والمذاهب وإنما يكفي نفسه مؤنة هذا الطعن بتركه للقاري حتى الحكم على مثل هذه الآراء وهذا الأسلوب على نزاهته الظاهرة لا يخلو من منارة رحيق ولم لا الولد لا يخلو من خبث ، فان الجاحظ لا يتولى فيه التشنيع والتجهين وإنما يجرى القاري جرأاً الى هذا التشنيع والى هذا التجهين ثم ينسحب انسحاباً فيخرج بمسد ايقاظه الفتنة كابين اللون لا ظهراً ولا خفياً . -

ولطائر هذا التفهم تشفيضة في كتاباته ومن هذا القبيل قوله : مثلاً ^(٢) :
ويؤم لرادشت وهو مذهب الجوس ان القارة من خلق الله ، وان السور من خلق الشيطان وهو ابليس وهرمن ، فاذا قيل له : كيف تقول ذلك ، والقارة مفسدة فتجذب وتيلة المصباح فتخرق بذلك البيت والقسمائل الكثيرة والمدن العظام والارياض الواسعة

(١) الحيوان الجزء الاول (ص ٦٧) .

(٢) « الرابع (ص ٩٩) .

بما فيها من الناس والحيوان والا، وال وتعرض دلائل العلم وكتب الله ودقائق الحساب والصكالك والشروط وتعرض الثياب وربما طابت القطن لتأكل يزره فتدع الحاف غير بالاً وتعرض الجُرُوب واوكية الاسقية والازقاق والقرب فتخرج جميع ما فيها وتقع في الآنية وفي البئر فتقوت فيه ، وتخرج الناس الى مؤن عظام وربما مضت رجل النائم وربما قتلت الانسان بمضتها ، والغار يجرسان ربما قطعت أذن الرجل وجردان انطاكية أنفجر عنها السنائير ، وقد جلا عنها قوم وكرها آخرون لمكان جردانها وهي التي فجرت المسنة حتى كان ذلك سبب الخسر بارض سبأ وهي المضروب بها المثل وسهل العريم مما تؤرخ بزمانه العرب ، والعوم المسنة ، وانما كان جرداً وتقتل النمل والفصيل وتخرّب الضيعة وتأتي على أفرحة الركاب والخضر وغير ذلك من الاموال والناس ربما اجتنبوا السنائير ليدفعوا بها بوائق النار ، فكيف صار خالق الضار المفسد من الله ، وخلق النافع من خلق الشيطان ، والسنور يمدى به على كل شيء خلقه الشيطان من الحيات والعقارب والجعلان وبنات وردان والفأرة لانقع لها وموتها عظيمة . قال : لان السنور لو بال في البحر لقتل عشرة آلاف سمكة ، فهل سمعت بحجة قط او بحيلة او بأضحوكة او بكلام ظهر على تلقح مرة يبلغ مؤن هذا الاعتلال ، فالحمد لله الذي كان هذا مقدار عقولهم واختيارهم . - «

على انه هذه المرة لم يكن استهزاء فقد دل عليه بقوله : فهل سمعت قط بحجة او بحيلة بيد انه وان افصح عن صغريته بهذه العبارة الاخيرة كان سبب مندوحة عنها فان تدبرته لمثل هذه الافوال كاف للاعتراف عن هذا التهم الكامن في ذهنه . -
ومثل هذا الاستهزاء كثير في كلامه لا أجد في حاجة الى الاستزادة منه وانما صرحت لكم مثلاً حتى تستأنسوا به . -

وقد يخرج في بعض الاحايين سبب رده على من يمين كتمه عن البساطة التي لفت اليها لغيره فله ويشد طبعه ، فبدلاً من ان يلجأ الى رباطة جأش المثبكين والى هدوئهم وسكونهم يثور ثورته فيقول لهذا العائب الذي عابه بأكثر كتمه ^(١) :
« بهرك ماسمت ، وملاً صدرك الذي قرأت وأهملت وأطرك فلم تنجبه للجمعة وهي

لا معوضة ، ولم تعرف المسائل^(١) وهي لا بادية ، ولم تعرف باب المخرج اذ جهلت باب المدخل ، ولم تعرف المصادر اذ جهلت الموارد ، رأيت ان سب الاولياء أشقى لدائك وأبلغ في شفاء سقمك ، ورأيت ان ارسال اللسان أحضر لذة وأبعد من النصب ومن إطالة الفكرة ومن الاختلاف الى ارباب هذه الصناعة ولو كنت فطنت ليجزك رحلت تفصلك بتمام غيرك واستكفيت من هو موقوف على كفاية مثلك وحبيس على تقويم اشباهك ، كان ذلك أزين في العاجل ، وأحق بالثبوت في الآجل ، وكنت ان اخطأتك الغنمة لم تخطئك السلامة ، وقد سلم عليك المخالف بقدر ما يتلي منك الموافق ، وعلى انه لم يئتل منك إلا بقدر ما لزمته من مؤنة تثقيبك والتشاغل بتقويمك وهل كنت في ذلك إلا كما قال العربي : هل يضر السحاب نبع الكلاب والأ كما قال الشاعر :

هل يضر البحر أمسي زائراً أنت رمي به غلام بحجر
وهل حالنا في ذلك إلا كما قال الشاعر :

ما حصر نغلب وائل أهجوتها ام بليت حيث لنا طمح البهران
وكما قال حسان بن ثابت :

ما أبالي أنب بالجزن نيس ام لحساني يظهر غيب لثيم
وما أشك أنك قد جعلت طول إعراضنا عنك مطية لك ، ووجهت حملنا عنك الى الخوف منك ، وقد قال زلزل بن الحارث لبعض من لم يرحق الصفح فجعل العفو سبباً الى سوء القول

فان عدت والله الذي فوق صرشه مخنك مصقول الفرار بن ازرقا
فان من الجهل ان تضرب الطلي وان تئس العريض حتى يفرقا وقال الاول
وضفائن داوئيتها بصفائن حتى شفيت وبالحقود حقودا
وقال الآخر

وما نعى عنك قوماً انت خائفهم كشل رقك جهالاً بجهال
فانص اذا حاربوا واحرب اذا قمعوا ووازن الشر مثقالاً بمثقال
الى آخر هذا الكلام

فكرة يعرض علينا طائفة من آداب نفسه وصفات عقله في معرض هنري فيقول⁽¹⁾

ثم لا يكفني بهذا المرض حتى يضيف اليه هذه الصورة (٢)

(١) رسائل الجاحظ على هامش المبرد (الجزء الاول ص ٤٦) .

(۲) ، ، ، ، ، ص ۴۷

وإذا فرغ من هذا المعرض عرض علينا محاسن عليه فيقول ^(١)

وإذا انتهى من محاسن علمه انقل الى محاسن اخلاقه ليقول^(٢)

بقى له الا الاستمراء بجماله الفائق فيعرض علينا هذا الجمال فيقول^(٢)

وَمَا كَانَ أَكْثَرُ مِنْ عِلْمِهِ وَأَسْمَى الْفَضْلِ مِنْ مَعْنَاهُ ، وَحَمَلْتُ اثْبَتَ مِنْ نَجْوَاهُ . — «

الى اصل المكفاب .

(۱) رسائل الجاحظ علی هامش المبرد (الجزء الاول ص ۵۶) .

(۲) * * * * * ص ۶۲

(۳) ص ۶۸

هذا آخر ما خطر على البال من تمكّم رجل هنأ بأشياء كثيرة سيّ هذا العالم ، هنأ بالخرافات والأباطيل وبالحمقى وربما كان خروجه من دهران الخليفة هنأ بالعظمة نفسها ، بل ربما سخر بشيء أعظم من العظمة فإذا كان الجاحظ في كتابه المحاسن والأضداد الذي وصف فيه الشيء وضده على السن مختلفة يرمي إلى حقيقة فلسفية فيصوّر لنا طبقة من الناس يستحسنون طائفة من الأمور ثم يصوّر لنا طبقة غيرهم يستقبحون ما استحسن غيرهم إذا كان غرض الجاحظ من هذا الكتاب تقرير هذه الحقيقة فكأنه يريد أن يقول لنا لا حقيقة مطلقة في الدنيا وإذا كان هذا قوله فكأنما الجاحظ هنأ بالحياة كلها . —
دمشق : في ٥ كانون الأول سنة ١٩٣١

آراء وافكار

—(٨)—

حول مقالة الشاعر الصنوبري

قرأت في الجزء الثامن من المجلد الحادي عشر (ص ٤٨٤) من مجلة المجمع مقالة للصدقي الأستاذ الشيخ كامل الغزي مقالة عنوانها (الشاعر الصنوبري) ذكر في مطلعها انه جمع نبذة من اخباره وجمع زهاء اربعمائة بيت من شعره وان اول سفر عثرفيه على كلمات في هذا الشاعر مجموع قديم مخطوط ثم قال : اذا أمعنا النظر في ترجمة الصنوبري التي اقتبها كل واحد من صاحب المجموع المخطوط وفوات الوفيات ومجمع البلدان وابن عساكر وابن جني فاننا لأول وهلة بظهور لنا اختلاف عظيم في اسم الصنوبري واسم ابيه وجده ووصفه مرة بالصيني وأخرى بالضبي وتسمية ياقوت لجدّه بمروان وتسمية ابن عساكر لجدّ أبيه بمرار ولقد ابن جني باسمه واسم ابيه دون جميع من ذكرناهم ممن ترجموا له .

ثم ذكر انه اتبع باسمه واسم ابيه ونسبه الاكثرية وانه احمد بن محمد الصيني الصنوبري الحلبي . وان كلمة الضبي الواردة فيما ترجم له ابن عساكر محرفة عن الصيني ثم قال :
اما تاريخ وفاته فلم ار من صرح به سوى صاحب المجموع فزعم انها كانت في سنة ٣٣٤ وهذا بلاريب تاريخ مغلوط اذا سلمنا بصحة الحسكابة التي أوردها صاحب التتمة عن ابن جني فانها كادت لتفيدنا صراحة ان الصنوبري كان في سنة ٣٤٦ حياً يرزق . نسفد هذا من قول ابن جني وانشدت ابا علي ليلاً قصيدة ابي الطيب التي اولها (واجر قلباء من قلبه شيم) الخ فان هذه القصيدة آخر ما نظمّه ابو الطيب في حلب اي انه نظمها حين فارق سيف الدولة وذلك في السنة المذكورة . وعلى كل حال فان تاريخ وفاة الصنوبري لا يخلو من إبهام فهو يحتاج الى تدقيق عميق اه .

أقول وأني أيضاً ممن عني بهذا مدة يجمع أخبار الصنوبري وشعره وقد أودعت ترجمته ونبذة من شعره المجلد الرابع من تاريخي (اعلام النبلاء بتاريخ حلب الشهباء) (ص ٢٣) نافلاً معظم ذلك عن تاريخ ابن عساكر المحفوظ بظاهرية دمشق وقد سميت هذه المجموعة (الروضيات) وفي نيتي طبعها إن شاء الله تعالى . وقد أرى ما جمعته من شعره إلى الآن على ٦٠٠ بيت .

أما قول الأستاذ الغزي أن اسمه واسم أبيه أحمد بن محمد فهو صواب لا ريب فيه لاجتماع كلمة من ذكرهم من المؤرخين وغيرهم على ذلك أما اسم جده فهو الحسن (لأحسبن كما جاء في المجموع المخطوط وهو تخرىف من الناسخ) وهكذا سماه (الحسن) ابن عساكر وياقوت والذهبي في تاريخه الكبير الموجود منه خمسة أجزاء في المكتبة الاحمدية بحلب وفي تاريخه (المعبر في أسماء من غير الموجود في هذه المكتبة بخط الحافظ ابن حجر) . وأما اسم أبي جده فهو ضرار لا مروان كما جاء في المعجم لياقوت فإنه هكذا في ابن عساكر وفي تاريخ الذهبي أيضاً وما في المعجم تخرىف .

وأما قول الأستاذ أن كلمة الضبي الواردة فيما ترجم له ابن عساكر محرفة عن الصبي وجزمه بأنه الصبي فهو بعيد عن الصواب وخطأ محض والصواب أنه الضبي كما قال ابن عساكر وهكذا في تاريخ الذهبي الكبير . في العبر أيضاً وهو نسبة لبني ضبة قبيلة من قبائل العرب وبغالب على الظن أنه لو كانت الصبي للذكره بياقوت في كلامه على الصين كما هو شأنه في نسبة المشاهير وبدوها إلى الجزم بأنه الضبي أن جد الصنوبري كان فاطماً في بغداد وهو صاحب بيت حكمة من يهوت حكم المأمون كما قاله ابن عساكر في أول ترجمته فهو عراقي . وبنو ضبة نزات بلاد العراق كما ذكر ذلك القلقشندي في صبح الأعشى حيث قال (ج ١ ص ٣٤٨) ومن قبائل طابجة بنو ضبة قال في العبر وكانت بالناحية الشمالية من نجد بجوار بني قميم ثم انتقلوا في الاسلام إلى العراق وهم الذين قتلوا المنفي الشاعر اه .

وقول الأستاذ أنه لم ير من صرح بتاريخ وفاته سوى صاحب المجموع فزعم أنها كانت في سنة ٣٣٤ وهذا بلار ب تاريخ مغلوط الخ .

أقول وبمن صرح بوفاته في هذه السنة الحافظ الذهبي في تاريخه المتقدم في وفيات هذه السنة وأورد له من نظمته (لأنوم أدري به ولا اتفاق) وذكره أيضاً في تاريخه المعبر في

حوادث سنة ٣٣٤ وأنص عبارته وفيها (أي توفي) الصنوبري الشاعر أبو بكر أحمد بن محمد ابن الحسن الضبي الحلبي وشعره في الدررة العليا ٥ .

وصاحب المجموع الذي هو من مخطوطات مكتبة الاوقاف في حلب المحفوظة في المدرسة الشرفية — عين لنا الشهر الذي توفي فيه وهو شهر رجب ليكون نقله لتاريخ وفاته عن غير الذهبي والذهبي لم يعين الشهر لاسيما تاريخه الكبير ولا في العبر فيكون الذهبي وصاحب المجموع قد انفتحت كليهما على ان وفاته في هذه السنة . وعلى هذا فيكون الصنوبري قد بقي مدة وجيزة بعد مجيء سيف الدولة الى حلب هي سنة واربعة اشهر لان سيف الدولة دخلها في ثمان خلون من شهر ربيع الاول سنة ٣٣٣ .

واما استدلاله بقول ابن جني انشدت ابا علي ليلاً الخ وانما كادت تفيد صراحة ان الصنوبري كان حياً في سنة ٣٤٦ الخ فهو غلط منه وسهوا في النقل فان المعكبري شارح ديوان المنذبي لم يذكر في شرحه لهذه القصيدة انها آخر ما نظمه المنذبي في سيف الدولة وانه فارقه بعد ذلك بل آخر قصيدة قالها فيه في حلب هي قصيدته التي اولها (عجب العجب على عجب الوفي ندم) الخ فقد ذكر المعكبري هنا (ج ٢ ص ٢٨٧) انه قالها سنة خمس واربعين وثلاثمائة وانما آخر قصيدة قالها بمحضرة سيف الدولة .

فعل هذا تكون وفاة الصنوبري في سنة ٣٣٤ اسراً محققاً لا ريب فيه . هذا ما ظهر لنا وفوق كل ذي علم عليم .

محمد راغب الطباخ

رجاء

عثر على جزء من تاريخ حلب للمصاحب كمال الدين أبي القاسم عمر بن أحمد الشهير بابن العديم الحلبي المتوفى سنة ٦٦٠ المسمى (بغية الطلب في تاريخ حلب) في المدرسة الحسينية في الموصل وقد ارسلت فاستنسخته وهو في نحو ٤٠٠ صفحة كبيرة اوله زهدم بن الحارث كان بدابق الخ وآخره سعيد بن سلام المغربي والفضل في ذلك يرجع للدكتور داود الحلبي مؤلف كتاب مخطوطات الموصل .

• ويوجد من هذا التاريخ الحافل الذي نحمد فيه مالا يجده في غيره من الاخبار والتراجم
مجلد في مكتبة الأمانة في باريز • ومجلد في مكتبة أبياصوفيا في الآستانة • ومجلد في مكتبة
لندن •

فترجو ممن وقف على شيء من هذا التاريخ غير المجلدات التي ذكرتها في المكاتب العامة
او الخاصة ان يفضل بالادق مع وصف الكتاب من الخط وعدد الاوراق وتاريخ الكتابة
وما هو اوله وما هو آخره وله مزيد الشكر • **حلب:** محمد راغب الطباخ

— «١٥٥٥» —

مخطوطات نفيسة^(١)

واما كتاب (تكملة القاموس) فهي المستدركات في شرح مؤلفها (الزبيدي) على القاموس
وانما بدله بعد فراقه منه ان يجردها في تأليف على حدتها كما ذكره في خطبتها ففعل مع تنقيح
واختصار يسير لبعض الجمل وطبعا منفردة لانتكر فائدته وعندي نصفها الاول اقر بها بخط
مشرقي صحيح والي اود توجيه عنايتكم الى الاهتمام بطبع حاشية القاموس المسماة : (باضاءة
الراموس ، واباضة الناموس ، على اضافة القاموس) تأليف سيدي محمد بن الطيب الشرقي
القاسمي شيخ سيدي مرتضى وعمدته في هذا الفن - هما أفصح ذلك في ديباجة شرحه (تاج
العروس) بقوله : ومن أجمع ما كتب عليه مما سمعت ورأيت شرح شيخنا الامام اللغوي ابي
عبدالله محمد بن الطيب بن محمد القاسمي المتولد بفاس سنة ١١١٠ والمتوفى بالمدينة المنورة سنة
١١٢٠ وهو عمدة في هذا الفن والمقلد جيدي الماثل بحلي اقر بره المستحسن وشرحه هذا
عندي في مجلدين ضخمين اه وهو مراده بشيخنا عند الاطلاق في تاج العروس ومم كون هذه
الحاشية او الشرح على ما عبر به سيدي مرتضى كانت عنده واستفد منها كثيرا في تاجه بل
هي عمدته كقولها فقد اتى عنائه عن نقل كثير من عيوننا ومباحثها النفيسة التي لا توجد في
غيرها كما يعلم بالوقوف عليها واولها بعد البسملة :

سبحان من القاموس المحيط وشجرة من آثار أياته والقاموس الوسيط لحة من أنوار آياته
فله الحمد على ما قلنا من فقد مصاح جوهر آلائه وأولانا من باب محكم ولأنه أنطقنا جلت

(١) [المجمع] من كتاب جاءنا من حضرة الاستاذ صاحب التوقيع .

حكيمته ومنطقنا جلت بالنم السوابغ نعمته وأذاقنا من حلاوة بارع لسان العرب . ما دونه
الفائق المذهب وقطر النداء ارتشاف الضرب . وقرب لنا جمهور خلاصة الشقيج والتهذيب وغاية
النقيب . وأتاحنا من صراح المجد اللغوي ما نهاية الفصح المختار المنتخب ان يستضي بنوره مصباحه
المزهر ففيه الكفاية عن كل مصنف ضرب . والصلاة والسلام الاثمان الاكلان على من
اقام أساس مجد الدين ابي الطاهر محمد بن الطيب ابي الطيب الطاهر بن الاطايب الاطاهر
المعرب عن كل مغرب من الآي الطواهر الخ .

ولصاحبها ترجمة حفيظة في الجزء الرابع ص ٩١ - ٩٤ من ملك الدرر في أعيان القرن
الثاني عشر لابي الفضل المرادي مفي دمشق وبالجملة فهي حاشية نفيسة في بابها وعندني نسخة
منها في مجلدين ضخمين بخط مغربي .

وأوجه عنايتكم ايضاً الى كتاب تهذيب الاسماء والافعال لابي القاسم بن القطاع فإنه
من أنفس المؤلفات التي اعتمدها سيدي مرتضى ايضاً وذكر في شرحه انه في مجلدين بيد ان
كتاب ابن القطاع الذي ذكره في ديوانه انه خلاصه وخلاصه من كتاب ابنية الافعال لابن
القوطية هو في مجلد واحد وعندني نسخة منه بخط مغربي ولا أدري هل هو احد قسمي الكتاب
الذي أشار اليه سيدي مرتضى او غيره .

- والى كتاب المثلث لابن السيد البطلومي فإنه مع صغر حجمه مفيد في بابيه وعندني
نسخة منه ايضاً بخط مغربي ولا أظن يعني عنه مثلث ابن مالك المطبوع فإنه نظم والاول
نثر وفرق بينهما .

- والى مختصر الزهبي لكتاب العين اول من صنف في جمع اللغة المنسوب للخليل بن احمد
وهذا وان أطبق الجهور على القدح فيه ونسبته الى الالبث بن نصر بن سيار الخراساني قال
صاحب المزهر بعد ذلك قد اجمع الناس كثيراً بمختصر العين للزهبي فاستعملوه وفضلوه على
كتاب العين لكونه حذف ما أورده مؤلف كتاب العين من الشواهد المختلفة والحروف المصحفة
والا بنية المختلفة وفضلوه ايضاً على سائر ما ألف على حروف المعجم من كتب اللغة مثل جمهرة ابن
دريد وكتاب كراع لاجل صغر حجمه الخ كلامه وعندني نسخة منه عتيقة بخط اندلسي
كتبته اثناء القرن السابع غير انها لا تخلو من خرق الارضة مع تجديد نحو العشرين ورقة منه
بنساخته قديمة ايضاً .
طبعة : عبد الهادي بن محمد السلاوي

مطبوعات حديثة

—(١)—

آداب الحسبة

« لابي عبدالله محمد بن ابي محمد السقطي المالبي الاندلسي نشره السيدان كولين »
« ولبي بروغانسال مع مقدمة له بالفرنسية وتعليقات لغوية وتفسير بعض »
« المفردات طبع في باريز سنة ١٩٣١ ص ٧٢ النص العربي ومثله بالفرنسية »
« وهو من مطبوعات معهد العلوم المغربية »

الحسبة أشبه بديوان الشرطة والصحة والبلديات لهذا العهد ، لم تبطل على الأظلم
من الديار الإسلامية إلا بظهور نظام البلديات المنقول عن أوضاع الغرب في القرن الماضي .
وقد كتب لنا انت هتونا على أربعة مخطوطات في الحسبة وصفتها في ص ٥٣٧ و ٦٠٩ من
المجلد الثالث من مجلة المقتبس منذ أربع وعشرين سنة الأولى منها « نهاية الرتبة في طلب
الحسبة » استنسخناه سنة ١٣٣٢ هـ عن نسخة جلبت من حلب والثاني كتاب الحسبة لمحمد بن
محمد بن احمد المعروف بابن الاخوة القرشي وهو من مخطوطات الخزانة الزكية بالقاهرة .
والثالث نصاب الاحساب لعمر بن محمد بن عوض الشامي (النسائي أو السنائي ؟) من
مخطوطات الخزانة التيمورية بالقاهرة . والرابع « نهاية الرتبة في طلب الحسبة » لعبد الرحمن
ابن نصر بن عبدالله بن محمد الشيزري (أو الشيرازي) من مخطوطات دار الكتب المصرية .
وهذه الكتب الأربعة من تأليف علماء من المشاركة ، أما كتاب السقطي المالبي فهو من
تأليف رجل من المغاربة الاندلسيين ولذلك وقعت له مصطلحات غير مألوقة في لغة المشرق
ومنها الاسماء الأصل أو ادخل في اللغة القشتالية من العربية ، وقد حل معانيها الاستاذان
الناشران لفهما بعلما كافلا مؤرخي المدنية الإسلامية في الغرب ومؤرخي اللغة العربية .

ونظن هذا المنشور بالطبع هو قطعة من كتاب المالبي الاندلسي يثر فيها المطالع على
أوضاع تخالف بعض الشيء ما جاء من نوعها في التأليف الاربعة التي ذكرنا (خطط الشام
م ٥ ص ١٣٥) . وأصناف الصنائع في الكتب التي اطلعنا عليها أوسع مادة وعدداً ولا يعقل
ان تكون الاندلس حتى في عهد الخطاطها اقل صنائع من بلدان المشرق . والمالبي كان
محبساً ولذلك جاء كلامه ممزراً بالشواهد والوفائغ التي خبرها بنفسه فجاء في تضاعيف
سطوره بامور اختص بها . وكان طبع كتاب الحسبة في الاسلام لشيوخ الاسلام ابن تيمية
في القاهرة وطبع كتاب آخر يدخل من بعض الوجوه في باب الحسبة بمدينة دمشق
سنة ١٣٠٢ هـ وهو كتاب « المختار في كشف الأسرار » للعلامة زين الدين عبد الرحيم
ابن عمر الدمشقي المعروف بالجوابري من اهل القرن السابع وفي هذا من كشف أسرار
من يدعون النبوة والمشيمة وكذبة الوعاظ والرهبان والاحبار وبني ساسان واهل الحراب
والفكرين وأصحاب السير والزمل والمزمنين والدجاجلة من الاطباء ومن يلعبون بالنار
ويعملون الطعام والمشقة بين الجوهرين الى ما يتعلق بذلك من الامور الغريبة في بابها
نقدم بها صاحبها الحجة من طريق غير مباشر . وعسى ان تصرف همه احد الطابعين فيطبع
جميع هذه الرسائل في مجلدة طبعة طمبة مثقنة فانما نفيد من عدة وجوه لاننا تصور
المدينة القديمة وتأنيبنا بالفاظ ضاعت من الاستعمال والمجتمع في حاجة اليها .

محمد كرد علي

اعلام السريان

« ترجمة مار سويريوس يعقوب البرطلي المنوفي سنة ١٢٤١ بقلم السيد »

« مار سويريوس أفرام برصوم طبعت في دير مار صرافس للسريان »

« بالقدس سنة ١٩٣١ ص ١٢ »

هذا علم من اعلام السريان من اهل القرن الثالث عشر للمسيح وهو من جملة من
نخرج بكامل الدين بن يونس الفياض الموصلي المشهور وكان اهل الذمة يقرأون طيبه
الثوراة والانجيل (راجع ترجمته في طبقات الاطباء لابن ابي أصبغة وفي تاريخ ابن

خلكان) . وذكر الاستاذ واضع الترجمة البرطلي ان هذا كان « يعني على السريان اهتمامهم
بسانهم اذ لم يضموا له الضوابط والقوانين كما فعل اليونان والعرب حتى انهم لم يمشوا بالقلم
به بل فضلوا عليه اللغات الأعجمية اليونانية والفارسية ثم العربية بعد انتشارها بينهم ومن
ثم أدخلوا فيه الفاظاً حوشية وأهملوا الفاظهم الأصلية التي حفظت بعضها اللغة العربية
وضاعت من السريانية على طول مدها مع وجودها في لغة كتبة السريان المتقدمين » اهـ
ولعل هذا كان من العوامل في دثور لغة السريان من الجزيرة والشام الا قليلاً .
م . ك

مجموعة الرقم العربية

« نشر بإدارة السادة كومب وسرفاجيه ولبيت في القاهرة سنة ١٩٣١ »

« المجلد الاول منه في ٣١٢ ص وهو من مطبوعات المعهد العلمي الاثري »

« الفرنسي في مصر »

يقوم بنشر هذا الكتاب تسعة عشر عالماً من علماء الآثار من الفرنسيين والامان
والانكليز والعرب وغيرهم وينشرون الرقم العربية كما وجدت وبيزونها الى ناشرها
او ناشرها مع بيان المصادر التي وردت فيها وقد وضعوا بجانبها بالفرنسية . وفي
هذا الجزء اربعائة رقم وسيكون في كل جزء من الاجزاء التالية مثلاً . وقد جعلوا هذا
السر المحتم تذكراً لوضع علم الرقم العربية العلامة المرحوم فان يرشم الاثري السويصري .
واكثر الرقم في هذا الجزء مما وجد في مصر وقد بدأ واضعوه بالقدم رقم عربي وجد
في الارض حتى الآن وهو الرقم النبطي الذي وجد في الفخرة من ارض الشام وصورته :
« في نفس امره القيس بن عمرو ملك العرب كله ذو أصر التاج وملك الاسدين ونزارو
وملوكم وهرمب مذحج عكدي وجاء بزجاي في حج فخراف مدينت شعر وملك معدو
وبين بنيه الشعوب ووكاهن فارسو لروم فلم يبلغ ملك مبلغه عكدي ملك سنت ٢٢٣
يوم ٧ بكسلول بالسعد ذو ولده » . ومعنى ذلك بمصطلحنا ان هذا فبراري القيس
ملك العرب كلهم الذي لبس التاج وأخضع اسطواناته قبائل اسد ونزار واسراءم وقرق

مذبح الى ذلك اليوم وظفر في حصار نجران مدينة شمر وأخضع قبيلة معد ووكل الى
بنيه أمر القبائل وأرسلهم على الفرس والرومان ولم يبلغ احد من الاسراء مبلغه في الجهد .
وقد هلك سنة ٢٢٣ في اليوم السابع من بكسلول (٧ كانون الاول ٣٢٨ م) كان
السعد لعقبه . واسم هذا الكتاب بالفرنسية Répertoire chronologique
d' épigraphie arabe . فأعظم بهمة هؤلاء العلماء الذين يحيون آثارنا ونحن عنها
خافلون . م . ك

المقصد

« تأليف عبد الحق الباديبي نشره بالفرنسية وعلق عليه السيد كولين »

« ص ٢٥٤ طبع في باريس سنة ١٩٢٦ »

اسم هذا التأليف كما قال ناشره « المقصد الشريف والمنزع اللطيف في ذكر صلحاء
الريف » تأليف ابي محمد عبد الحق بن اسماعيل بن احمد بن محمد بن الخضر بن قيس بن سعد
ابن عبادة الباديبي الغرناطي الخزرجي ألفه سنة ٢١١ (١٣١١ - ١٢ م) نسج فيه على
منوال كتاب التصوف للتادلي المصنف (سنة ٦١٧ - ١٢٢٠ - ٢١ م) وفيه تراجم صلحاء
الريف ريف المغرب الاقصى منهم المعروف بآثاره ومنهم الذي لم يشتهر عند الباحثين
وفي التعليقات اللطيفة التي اتبعها به ناشره الاستاذ كولين فوائد جغرافية واجتماعية
ومدنية تفيد الباحث في تاريخ الريف خاصة والمغرب الاقصى عامة وتدل دلالة واضحة
على مبلغ عناية علماء المشرقيات بالتدقيق والتوسع في البحث والدرس في موضوعات
استرحنا نحن اهلها من تعهدنا وانعموا أنفسهم باحيائها وهم غرباء عنها . وحبذا لو طبع
الاصل مع الترجمة اذا زدنا منه للناشر الحق .

م . ك

المنتخب

— من —

« أدب العرب »

[طبع بمطبعة دار الكتب المصرية بالقاهرة سنة ١٣٥٠ — ١٩٣١ جزآن]

[في ٢٨٨ ص و ٥٦٧ ص ونشرته لجنة التأليف والترجمة والنشر]

نقدمت وزارة المعارف في مصر الى الاساتيد : طه حسين واحمد الاسكندري واحمد امين وعلي الجارم وعبد العزيز البشري واحمد ضيف في جمع أنماط من قول العرب منظومه ومنشوره في مختلف الأغراض ، على متباين الأزمان . —

جمع هؤلاء الاساتيد شملهم فضافوا على انتخاب طائفة من ادب العرب ذكروا انهم حرصوا فيها على اسرين : الامر الاول ان يكون منتخبهم من الادب مرآة الحياة الادبية في العصر الذي استفاض فيه وصورة اهل هذا الادب . والامر الثاني ان يكون في مختارهم ما يثبت في قلوب الشباب حب اللغة والادب .

* * *

لقد كثرت نفورخ الأدباء من حين الى آخر لانتخاب نماذج من ادب العرب ، فربق بذلك الغاية التي يرمى اليها في منتخبه وفريق لا يذكر شيئاً من ذلك . —

لا ريب في ان ادبنا مبعثر بفتقر الى كثير من الترتيب حتى يكون سائلاً مطردة اذا قأبنا النظر فيها شهدنا تسلسل ما تشتمل عليه في العصور فانقلدنا فيها من طور الى طور ونراءى لنا مختلف هذه الأطوار . —

الكلام على انتقال الأدب من طور الى طور يرجع الى مؤرخي الادب أنفسهم فليس للذين يجمعون طائفة من منظوم القول ومنشوره لغرض من الاغراض او لغير غرض متعلق بهذا الكلام . —

غير انه قد ذهب بعض أدباء الافرنجة في كتبهم التي يختارون فيها جملة من شعر شعرائهم او كتابة كتبهم مذهباً لا يرى فيه عذوراً ، فبدلاً من ان يستخرجوا منتخبهم من مدافنه ويحشروه في كتبهم حشراً فانهم يسلكون في ذلك مسالك : بعضهم يصدرون

آثار كل عصر من المصور بكلام وجيز يصور الحياة الأدبية في هذا العصر ، وبمضمر
يشرحون منتخبهم شرحاً غير هذا الشرح الذي ألفناه . -

أنا تعودنا حتى اليوم ان نقصر في الشرح على توضيح معاني الألفاظ وهذا امر قد
يستطيع الطالب سبيلاً اليه فلا يفتقر في البحث عن معنى لنظ من الألفاظ في معجم . من
المعجمات الى كثير من الغناء وقد يجد في هذا البحث لذة في بعض الاوقات . -

فاذا كنا نلوح ان نبعث في قلب الطالب حب لغته وأدبه فالسبيل الى هذا ان
نعدل عن هذه الاصول الجافة التي نبني عليها في الشرح . -

من القواعد التي نحب الى الطالب لغته وأدبه قاعدة مدارها على توضيح امور كثيرة
في الشرح ، من جملة : الكلام على معاني القطعة المنخبة وتأليفها والكلام على لغتها
وبدخول في الكلام على لغتها الكلام على أسلوبها وعلى خصائص الفاظها ثم يتبع هذا
كله رأي في القطعة على صورة مجملة . -

أظن ان هذه القواعد قد تمهد للطالب سبيلاً الى الاوحاطة بعقوبة ادبه ولغته وقد
نفرش في صدره محبة هذه العقوبة ، اما الاقتصار على شرح الألفاظ فهذا امر يلهو به
الطالب نفسه . -

وإذا كانت هذه العمل المأخوذ من أعمال معلمي المدارس الثانوية لم يزل ضعيف ذوق
هؤلاء المعلمين ضعفاً احتاجوا فيه الى من ينتخب لهم طائفة من أدب العرب . -

شفيق جبوري

الاعلام العربية والفارسية

« عند السريان »

للسريان علاقات وثيقة بالعرب وأواصر أروحي غراها كالأيام ونقلب الحكام ونفسي الجبل ولكن دون ان نفهمها . فن السريان الاقدمين علماء اعلام مستعربون اتقنوا العربية والفوا فيها وترجموا تصانيف ذاع صيتها واستفاخت شهرتها كما ان من العرب عددان بمذهب السريان قبل الاسلام خاصة واختلط بالفراد هذه الملة حتى عد منهم . واللغة العربية في ايامنا هذه تحتاج الى من ينقح العربية والسريانية ويكشف لنا عما بقته الايام من آثار السريانية المحيطة وعما خدوا به اللغة العربية في مختلف العصور الاسلامية . وقد قبض الله لهذا العمل المفيد العلامة السيد صوريوس أفرام مطران السريان في سورية ولبنان فشر حتى اليوم بوضع رسائل تدل على تضلعه بهذه الموضوعات وتمكنه منها . والرسالة التي نكلم عليها هي من جملة هذه الرسائل وهي بحث تمتع عن الاعلام العربية التي شاعت بين السريان بعد الاسلام ولا سيما الأسماء العربية لبعض البطارقة والمطارنة والرهبات والروايب والقسوس وغيرهم مثالم البطريرك الانطاكي ديونيسيوس مجي والبطريرك عزيز ابولماني وجمال الدين ابو الفرج خريغور بوس ابن العبري المشهور الى عشرات من امثال هذه الاعلام العربية .

مصطفى الشهابي

رياحين الارواح

« الطبعة الثانية سنة ١٩٣١ »

السيد ابو الفضل الوليد شاعر مبدع وكاتب مجيد . في كتابه هذا « الرقيق الاول » من قصائده ديوان نفيس على صغر حجمه فيه ما بلذ الشعراء وبطرب اصحاب الشعور الرقيق . وقد جمع بين الهزل والجد والهم والزهو والخمر والزهد كما تجتمع طافة الزهور بين اصناف الورد والرياحين . وكله منظوم بابداع مزوج بفكاهة وقد صدره بمقدمة طويلة دعاها (بالترجمات) وهي ثمرته نثر فيه من الالفاظ والمعاني درراً جميلة غير قليلة . ولقد كننا نعيب في مثل هذا الديوان الجميل طبعه على ورق عادي يشبه ورق الجرائد

السيارة جنساً وكان حقه ان يطبخ على ورق صقيل ويجلد بجلد فاخر ليكون له مقامه
الرابع في خزان الادب والادباء — لولا ان المؤلف رغب في افادة الشبيبة وخدمة الامة
ببيع كتبه بثمن رخيص على علائها قدرأ وغلائها وضعا وهي والحق يقال فكرة صائبة .
عبد الله رعد

الصابون

« تأليف السيد عبد الله عمر عدرة »

هو كتاب صناعي قيم يبحث اصحاب الصنائع على تجدده طرائقهم القديمة واصكثار
انتاجهم ليجيوا بذلك ما اندثر او كاد مما كانت له في عهد سبق قيمة في بلادنا وشهرة
وتجارة حل بها الاضمحلال الا قليلاً وذلك من جملة الاسباب التي جرت ولا تزال تغير
وطنا الى الفقر .

عالج الاستاذ عدرة موضوع كتابه بنظام حسن واسلوب نحاشى فيه قدر الاستطاعة
استعمال الكلمات الفنية الثقيلة وتعايير الكيمياء التي لا يفهمها الا الكيمياوي وذلك ليقربه الى
افهام اصحاب المصانين وهم ليسوا على الغالب في بلادنا اصحاب فن بل ممن تعلموا صنع الصابون
عن اسلافهم دون ان يلوا بكيف ولا بكم مما يطبخ في الخلقين . فاستقرأ الزيوت والمواد
الاولية وطرق الطبخ المعول عليها في شرفنا ، وفاهلها بالطرق الفنية الغربية ، ودأل
على الفرق بينهما من حيث اجناس المحصول وزيادة الفائدة ، ومدى اصحاب المصانين
الشرقية بنصائح فنية ان هم عملوا بها نهضوا ببضاعتهم ان لم يكن الى مستوى معامل البلاد
الاوروبية ، فالى تجدده حياة الصناعات الوطنية بعيدا عنها شبيهاً من رواجها القديم .
عبد الله رعد

الرسالة النباتية

[في بعض نباتات زراعية لم ترد في معجم اسماء النبات للدكتور احمد عيسى]
[ومعجم العلوم الطبية والطبيعية للدكتور محمد شرف]

المعاجم العربية الحديثة التي يقام لها وزن في ابحاث النباتات واسماؤها العربية والمعرّبة
اثنتان : معجم اسماء النبات للدكتور احمد عيسى ومعجم العلوم الطبية والطبيعية
للدكتور محمد شرف . وقد نقل كلاهما عن أهم المؤلفين في النبات قديماً وحديثاً كزين
البيطار وابن العوام والأصمعي وفيجوري واحمد ندا وفورسكال وشوبنفورث وبوست
وغيرهم . وطبعا المؤلفين بالمطبعة الاميرية في القاهرة فجاءا فريدين في بابهما . وهما اليوم
أصلح المعاجم في هذا الصدد ، يوفران كثيراً من وقت القارئ الذي يفتش عن اسم نبتة
من النباتات ولا سيما معجم الدكتور احمد عيسى فانه يمتاز بسهولة مراجعة الالفاظ في اي
لغة من اللغات الاربع وهي العربية واللاتينية والفرنسية والانكليزية .

ومن البديهي ان المعجمين المذكورين لم يتناولوا سوى بعض المهم من النباتات
مما جاء في الكتب التي مر ذكرها او في بعض المعاجم الاجنبية . وهما ابعد من ان يتناولوا
كل ما نراه في كتب النبات الواسعة من مختلف الاسماء اللاتينية لنباتات شتى مفيدة
او غير مفيدة تُنبِتها الطبيعة في انحاء العالم ولا يوجد لكثير منها أسماء حتى في اللغات
الاوربية المشهورة . ومن البديهي ابضاً اني لا ابني في هذا البحث الموجز التعرض لتلك
النباتات وعددها عظيم وانا أجهل معظمها الا في الكتب ، بل غايي ذكر بعض نباتات
زراعية لم يوردها شرف ولا عيسى في معجميهما كـ بعض الأزهار والرياحين واشجار
التزيين وجنبااتها واشجار الحراج والفواكه ، وهي نباتات زرعتها او رأيتها في حدائق
النبات وقليل منها لم أزرعه ولم أركن قرأت عنه في الكتب والمجلات الفرنسية . ولا

نعرف لهذه النباتات اسماء عربية (لان أجدادنا كانوا يملكونها) لكن لاسماؤها العلمية (ومعظمها مأخوذ عن اليونانية) معاني وصفوا بها بعض اعضاء النباتات او بعض مميزاتها فيسهل علينا ترجمة تلك الاسماء بمدلولاتها . ثم انهم ينسبون بعض النباتات الى العلماء الذين كشفوها فيسمونها باسمائهم او يطلقون عليها اسم احد الملوك او الامراء او الالهة الأقدمين وجميع هذه الاسماء تترك على حالها عند تعريبها او تجعل بصيغة النسبة . ولم أذكر لكل نبات سوى اسم جنسه . ولو عمدت الى ذكر انواعه وذكر اصنافه خاصة لطال الكلام دون كبير فائدة من حيث الغاية التي نتوخاها في هذا البحث . ومن المعلوم انه لا يجوز ان اكتب في هذه الرسالة ما هو خاص بكتب الأزهار والأشجار ، اذ ليست الغاية هنا تحلية انواع تلك النباتات واصنافها وذكر مناباتها وفوائدها وغير ذلك من المعلومات التي لا تستوعبها غير الكتب ، بل الغاية بيان أصح اسم عربي او معرب او مترجم لجنسها . اما الالفاظ المختصة بالانواع فمنها ما يمكن سهل الترجمة في الغالب وكذا الالفاظ الدالة على الأصناف ولذلك لم أر لزوماً للتعرض لها في هذا المقال . (الا بعض انواع كما في زهرة القبس وزهرة زنبيا) مثال ذلك اني لم أتعرض للجنس المسعى (Campanula) البتة لان كلاً من الدكتور عيسى والدكتور شرف ذكره وذكر له اربعة انواع ، مع ان لديّ منه عشرين نوعاً لم يورداها وهي كلها تزرع وكلها يعرفها ارباب الأزهار وهالك بعضها :

Campanula grandiflora

الجريس الكبير الورق

» nobilis

» النبيل

» sibirica

جريس سبريا

» barbata

الجريس الملتحي

» glomerata

» المجتمع الزهر

» latifolia

» العريض الورق

» rotundifolia

» المستدير الورق

» turbinata

» الخذروفي

» boloniensis

» البولوني

Campanula caespitosa
» pyramidalis

الجريس القزم
» الهرمي
الخ ...

ومما لا ريب فيه اني لو اردت ذكر أهم الأنواع اكل جنس من الاجناس التي سقتها في رسالتي هذه لأربت اسمائها على الف لفظة .

ولم أذكر ايضاً اسماء الاجناس المترادفة بل اكتفيت بالاسم الأشهر ورأيت من العبث في هذه الرسالة الصغيرة وضع اسم صاحب انبات بجانب اسم الجنس لشهرة الاجناس المذكورة ووجودها في كتب الازهار والاشجار المهمة . ولم أر حاجة الى ذكر الفصيلة التي ينسب اليها كل جنس لان ذلك من متناول معاجم النباتات وكتبها . ولا بد لي من التنبيه الى ان النباتات التي ذكرتها في هذه الرسالة لم أجد منها شيئاً في كتاب النبات لشوينفورث . اما بوست فقد اورد منها عدداً صغيراً في كتابه « نباتات سورية وفلسطين ومصر وبواديها » دون ذكر اسماء عربية لهذا العدد الصغير ، والسبب في ذلك ان النباتات التي نحن بصددھا لا تنبتھا الطبيعة في بلادنا بل منابتها بلاد اجنبية مختلفة ومع هذا فهي اليوم شائعة في جميع العالم وما من حديقة او شارع او منبت الا فيه عدد منها . واعتمدت في تحري اشتقاق الاسماء العلمية على اهم موسوعات الازهار والاشجار الفرنسية . ويجب ان اعترف بان ضيق الوقت وقلة الوسائل حالاً دون البحث عن عدد كبير من اشجار التزيين المستعملة في البلاد الحارة خاصة كاشجار الفصيلة النخيلية التي شاهدت منها في حدائق مصر مجموعة بديمة . فلعل العلماء المصريين يسدون هذا الخلل .

ولست ادعي العصمة فيما ترجمته او عربته من الاسماء . ووب عالم بالنباتات الزراعية متمكن من اللغة يغاطني في بعض الالفاظ فأشكر له يده . وارجو من المؤلفين الذين يقتبسون الفاظ هذه الرسالة في مؤلفاتهم ان يذكروا النبع الذي استقوا منه وهو مجلة الجمع العلمي العربي بدمشق فهذا اقل ما يتطلبه من ربما لبث ساعات يتحرى لفظة واحدة وهو لا يبتغي على عمله جزاء ولا شكورا .

ولقد قسمت البحث قسمين واحداً بالازهار وآخر بالاشجار وسقت الالفاظ في كل منهما مرتبة على حروف المعجم .

القسم الأول في الأزهار

A

| | |
|----------------------|--|
| Abronia | الرشيقة (من اليونانية لرشافة ازهارها) |
| Accena | الثائكة (من اليونانية للشوك الدقيق في الكأس والثمرة) |
| Achimenes | المقرورة (= لشدة تأثيرها بالبرد) |
| Acroclinium | المنخنية الرأس (لأنحاء ازهارها الانتهاية قبل تفتحها) |
| Agapanthus | زهرة الحب |
| Ageratum | الدائمة الشباب (من اليونانية لطول عمر ازهارها) |
| Alonsoa | { الأنصوا او الأنصية (منسوبة الى Alonso zanon وهو نباتي من بيرو) |
| Alstroemeria | { الأنصاروميريا (منسوبة الى Cl. Alstroemer وهو نباتي وزراعي سويدي) |
| Arctotis | اذن الدب (ايماء الى ما في ثمارها الفقيرة من نتوءات) |
| Arenaria | { زهرة الرمال (لم يذكرها شرف وذكر عيسى لها نوعاً واحداً وهي لها عدة انواع منها الانواع الآتية المعروفة : |
| Arenaria Laricifolia | زهرة الرمال اللارقسية الورق |
| ≠ Montana | زهرة الرمال الجبلية |
| ≠ balearica | زهرة رمال جزائر باليار |
| ≠ Cespitosa | زهرة الرمال المفرخة |
| Asperella | الجويسنة (تصغير جاسنة) |
| Astilbe | المكدة |
| Astrantia | المنجمية (لشكل الدور في نباتات هذا الجنس) |
| Aubrietia | أبرياسيا (منسوبة الى الرسام الفرنسي Aubriet) |

B

- Bartonia (منسوبة الى النباتي الدكتور برطون الأمريكي)
 Bocconia (منسوبة الى Boccone النباتي الصقلي)
 Boltonia (باسم J. Bolton النباتي الانكليزي)
 Boussingaultia { بوسنغلطيا (احياء) ذكر بوسنغلط العالم الفرنسي المشهور
 بابجائه الزراعية والكيمياء الزراعية)
 Brachycome الزهرة الكثة (من اليونانية لقصر زغب البزور)
 Briza { المخبئة السبيلات (سميت بهذا الاسم لانحناء سنبيلاتنا وهي مبذولة في
 بلدنا تخاصبا حيث تنبتنا الطبيعة فيقطعونها ويضعونها في الزهريات)
 Browallia (منسوبة الى المطران السويدي Browallius)

C

- Calandrinia (منسوبة الى Calandrini وهو نباتي سويسري)
 Callirhoe زهرة السبيل (باسم احدى آلهات الجمال اليونانية)
 Callistephus { زهرة الملكة مرغرنا (هكذا يسمونها بالفرنسية اما اللفظة العلمية
 فهي من اليونانية بمعنى الجميلة الاكليل . ولهذا الزهرة عدة اصناف
 جميلة تولفت بها رسالة . وسمها لينوس Aster sinensis اسم
 الأستور الصيني)
 Centauridium الشنبطة بالأرجيقن او اخت الأرجيقن
 Centrosema الملقوفة العلم (لشكل العلم في زهرتها الفراشية)
 Cerastium زهرة القرون (لطول السنفات في بعض انواعها)
 Chionodoxa فخر الثلج (من اليونانية بهذا المعنى لكشفها في ذائب الثلج)
 Clarkia أكلاريا (باسم القبطان Clark)
 Clianthus زهرة المجد (لجمال تويجها)
 Clintonia إكلنطونيا (باسم Witt Clinton الاميركي)
 Cobaea قونيا (باسم Cobbe وهو نباتي يسوعي من الاندلس)

| | |
|-----------|--|
| Collinsia | قأنسبيا (باسم Collins معاون رئيس المجمع العلمي في فيلادلفيا) |
| Collomia | زهرة الغراء (لزورها المحاطية) |
| Coreopsis | زهرة البق (معناها باليونانية الشبيهة بالبق لشكل ثمارها) |
| Corydalis | زهرة القبرة (لم يذكروها عيسى . وذكرها شرف فسماها حب القنبر والاصلح زهرته . وهي من اليونانية لان شكل زهرتها كرجل القبرة لها عدة انواع واصناف) |
| Cosmidium | اخت الزينة (الشبيهة بزهرة الزينة) |
| Cosmos | زهرة الزينة (لجمال ازهارها) |
| Cuphea | المنحنية (لشكل كأسها) |

D

| | |
|---------------|---|
| Diascia | زهرة التزويق (لرشاقة ازهارها) |
| Dicentra | ذات الجناحين (لتوحيها الذي له جناحان) |
| Dracocephalum | رأس الغول (لشكل ازهارها) |

E

| | |
|---------------|--|
| Eccremocarpus | زهرة الثمار المتدلنية |
| Echeveria | أشوريا (باسم رسام نباقي من المكسيك) |
| Echinocystis | زهرة المثانة الشائكة (لشكل ثمرها الشوكي) |
| Eranthis | زهرة الربيع (من اليونانية بهذا المعنى) |
| Eremurus | زهرة الأذنان الوحيدة (لازهارها المجتمعة عناقيد طويلة سنبلية) |
| Eutoca | زهرة الخصب (لكثرة ازهارها) |

F

| | |
|---------|--|
| Fuchsia | فوشيا (منسوبة الي نباقي من بافاريا اسمه Leonard Fuchs) |
|---------|--|

G

| | |
|-----------|--|
| Galega | الزهرة المدرة |
| Gamolepis | المتحدة الحراشف (لاتحاد الحراشف في قنابة الزهرة) |

| | |
|------------|--|
| Gaura | زهرة البهاء (لجمال الزهر في بعض انواعها) |
| Gerardia | جيرارديا (منسوبة الى John Gérard) |
| Gerbera | جيربارا (منسوبة الى النباقي الالمانى Gerber) |
| Gilia | جيليا (منسوبة الى النباقي الاسباني Salvador gil) |
| Gloxinia | غلأقسينيا (باسم الكاتب النباقي Gloxin من كولمار) |
| Godetia | غداسيا (باسم النباقي Godet من نوشاتل) |
| Gymnothrix | زهرة الحرير العاري (لشبه الحرير في شفيلايتها) |
| Gynerium | زهرة المدقة الزغبية |

H

| | |
|-------------|---|
| Helichrysum | زهرة الشمس الذهبية (لشكل حراشف الرئيس ولونها) |
| Hugelia | هوجاليا (باسم البارون Hugel من وينا) |
| Humia | هوميا (باسم قريبة Sir Abraham Hume) |

I

| | |
|--------------------|---|
| Iberia (Thlaspi) | زهرة الأندلس |
| Ionopsidium | أخت البنفسج (نباتها الشبيه بنبات البنفسج) |
| Ixia | زهرة الدبق (للزوجة العصاراة في بهلاتها) |

L

| | |
|---------------------------------------|---|
| Lagurus | ذيل الارنب (سماها شرف شعر الارنب والاصح ما ذكرناه) |
| Lamarckia | لاماركيا (باسم لامارك العالم الفرنسي المشهور) |
| Lathyrus odoratus (pois de senteur) | زهرة الجلبان العطر |
| Layia | ليئا (منسوبة الى توماسي العالم بالموايد) |
| Leptosiphon | زهرة الانبوب الرقيق (لرفة انبوب تويجها) |
| Leptosyne | النحيلة (لثغار بعض انواعها النحيلة) |
| Limnanthes | زهرة المناقع (لانها تعيش في الارض الكثيرة الرطوبة) |
| Lonsa | لوازا (اسم لامعنى له ركبته أذنسون من حروف وردت على خاطره عفواً) |

Lophospermum العرفية الحب [لشكل حبوبها]

M

Maurandia مورانديا [باسم الدكتور الباقي Maurandy]

Melica العسلية اللب [من الابطالية]

Mimulus المقنعة [لان تويجها يشبه فتاع المشلين]

Mina ميننا [باسم وزير من المكسيك]

Morina مورينا [باسم النباتي الفرنسي L. Morin]

N

Noegelia نوجيليا [باسم الاستاذ Noegeli مدير حديقة النباتات في مونيخ]

Nemophila زهرة الحراج [لانها تجود في الحرجات]

Nolana زهرة الجريس [لشكل ازهارها الجرسية]

Nycteria زهرة الليل [لتفتح ازهارها في الليل]

O

Oxyura الحادة الذيل [لشكل السمات في ازهارها]

P

Pentstemon زهرة خمس الاسدية [لوجود خمس اسدية منها واحدة عقيمة]

Petunia اخت التبغ [لهالاتها النباتية بالتبغ]

Phacelia زهرة الجمة [لشكل ازهارها]

Phlox زهرة القبس [لشكل الازهار في احد انواعها وهو القبس المري]

وهذا الجنس من اشهر الازهار له عدة انواع وعشرات من الاصناف

زرعنا كثيراً منها فمن انواعه المعروفة :

Phlox Drummondii قبس أدروموند

» Pyramidalis القبس الهرمي

» Paniculata العشكولي

| | |
|-----------------|---|
| Phlox acuminata | القبس المونف ^(١) |
| » hybridæ | » البغي |
| » ovata | » البيضي |
| » verna | » الربيعي أو قبس الربيع |
| » subulata | » المخزوي |
| Podalyria | بوداليريا [بدم الطيب بودالير ابن اصفلاب] |
| R | |
| Rhodanthe | اخت الورد [للون زهرتها] |
| S | |
| Salpiglossis | لسان المزمار [لشكل مدقات زهرتها] |
| Schisanthus | الزهرة المخزوزة [لوجود حز في زهرها] |
| Schisopetalum | زهرة القعالات المخزوزة [للحز في القعالات اي البلات] |
| Streptocarpus | زهرة الثار الحزونية [لان ثمارها تستدير حلزونياً عندما تنضج] |
| Struthiopteris | سرخس النعامة [لان اوراقها تشبه ريش النعام] |
| T | |
| Tigridia | زهرة الببر [لابقع الجميلة في لفافة الزهرة] |
| Trachelium | زهرة العنق [لطول الأنبوب التويج] |
| Trichosanthes | الزهرة الشعرية [لتحيز دقيق في تويجها] |
| Triteleia | الزهرة الثلاثية الكاملة [لوضع اجزاء زهرتها الثلاثية المنتظمة] |
| Tritoma | الزهرة الثلاثية |
| Trollius | الزهرة المستديرة [من الالمانية Trol بهذا المعنى] |
| V | |
| Venidium | زهرة العرق [للعروق البارزة في الساق] |

(١) لفظة المونف من وضع العلامة الدكتور امين باشا العلوف . انظر مجلة المجمع

العلمي مجلد ٨ ص ٣٢٨ .

| | |
|---|---|
| Viscaria | اخت السابق [للزوجة ام انواعها] |
| W | |
| Watsonia | وطصونيا [باسم الاستاذ النباتي الانكليزي Watson] |
| X | |
| Xeranthemum | الزهرة الندية [اي الزهرة التي إن جفت لا تذبل] |
| Z | |
| Zinnia | زينبيا [باسم الاستاذ النباتي الالماني Zinn وهذا النبات من اشهر الأزهار له انواع معروفة منها : |
| Zinnia elegans | الزينبيا الرشيفة |
| » multiflora | » الكثيرة الزهر |
| » mexicana | » المكسيكية |
| وفي كل من هذه الأنواع اصناف مشهورة لدى غواة الأزهار لا مجال لذكرها في هذه الرسالة . | |

القسم الثاني في الشجر والجنبه (١)

| | |
|-----------|--|
| A | |
| Abelia | أبليا [منسوبة الى الله كتور Abel Clark] |
| Acmadenia | جنبه الغدد الحادة [الماعا الى غدد المثبر الحادة] |
| Adenandra | جنبه الغدد الذكورية [اشارة الى الغدد التي في المثبر] |
| Agathosma | جنبه الرائحة الزكية |
| Akebia | عقبيه [هكذا تسمى في اليابان وهي معرشة] |
| Amorpha | الجنبه الناقصة [لنقص في تركيب نورها] |

(١) الجنبه هي النباتات التي صغرت عن الشجر ونبلت عن البقول وقد اتخذناها لما يسمى بالفرنسية Arbrisseau و Arbuste على السواء واول من استعملها حديثا امين باشا المعروف

| | | |
|--------------|---|---|
| Ampelopsis | { | أخت الكرمة [لأنها تشبه الكرمة • ذكرها شرف بلفظتها العلمية ولم يترجمها] |
| Aotus | | العديمة الاذن [لقد الزوائد في الكأس] |
| Araucaria | { | أروكاريا [من Araucanus وهو اسمها في بلاد شيلي • ويسمونها في دمشق الشمسية أي المظلة] |
| Argyrolobium | | جنبنة السنفة الفضية [للون سنفتها الفضي] |
| Aucuba | { | أكوبا [هكذا تسمى في اليابان • شاهدناها في غريديون وفي غيرها • وهي اليوم مبذولة] |
| Azara | | عزارة [باسم العالم الاسباني J. N. Azara] |

B

| | | |
|------------|---|--|
| Baccharis | { | شجرة الخمر [يقال ان السبب في اطلاق هذا الاسم عليها رائحة جذورها • ذكرها عيسى وشرف بلفظتها العلمية ولم يترجمها] |
| Biota | | شجرة الحياة [من اليونانية بهذا المعنى اشارة الى اسمها القديم] |
| Boronia | | بورونيا [باسم النباتي Boroni] |
| Brachysema | | القصيرة العلم [لقصر العلم في زهرتها] |

C

| | | |
|-------------|---|--|
| Callistemon | | الجميلة الاسدية [من اليونانية لجمال أسديتها] |
| Calodendron | | شجرة البهاء [من اليونانية بهذا المعنى] |
| Carpinus | { | شجرة النير [من القوطية بمعنى خشب الرأس أي الخشب الصالح لصنع الانبار التي توضع وراء رأس الثيران • وهي من اشجار الحراج المنتشرة في اوردية ومنها نوع في جبل اللكام شمالي الشام] |
| Carya | { | أخت الجوز [من اليونانية بمعنى الجوز • وهي مبذولة في اميركة وتصلح لتزيين الشوارع] |
| Caryopteris | | الجوزة المجنحة [لثمارها المجنحة] |

- Cazuarina كورينا [باسم الطائر Cazuarus لان اغصانها الطوال المتدلية تشبه ريشه]
- Cephalanthus جنبة الازهار الرأسية [لان نورها انتهائي على شكل رؤيس .
ذكرها شرف باللفظة العلمية ولم يترجمها]
- Cestrum Syn. Habrothamnus جنبة البهاء [لها اكثر من ١٥٠ نوعاً]
- Chamocycparis شجرة السرو الصغير [الماعا الى انها تشبه السرو]
- Chamœlaucium اخت الحور الابيض [لان ساقها تشبه ساق الحور الابيض]
- Chorizema المثلثة السنقات [لان سنقتها تنقسم قسمين متفرقين]
- Cladrastis النخيلة الاغصان
- Clerodendron شجرة الرهبان [لان كهان الهند يستعملونها في صلاتهم . لها
اكثر من ثمانين نوعاً]
- Colletia كولسيا [باسم Collet وهو كاتب نباتي فرنسي]
- Coronilla جنس الأكيليل [لشكل ازهارها . لم يذكرها عيسى وذكرها
شرف باسمها العلمي]
- Corylopsis اخت البندق [لانها تشبه البندق اي الجلوز]
- Cotoneaster شبيه السفرجل [لان اوراقه زغبية كاوراق السفرجل . له
عدة انواع منها نوع في لبنان]
- Crataegus جنس الزعرور [لم يذكره شرف وذكر عيسى له ثلاثة
انواع مع ان له اكثر من اربعين نوعاً كثير منها معروف
يزرع او تنبته الطبيعة في مختلف البلاد]
- D
- Darwinia الدارونية [منسوبة الى دارون الشهير]
- Decumaria الشجرة العشرية [اشارة الى اجزاء الزهرة العشرة]
- Diervilla دياره يلا [منسوبة الى الجراح الفرنسي Dierville وهي من اشهر
جنبات التزيين]
- Dillenia دلتيا او الدلتية [منسوبة الى Dillenius وهو لم يثبت في اكسفورد]

- Diosma* { الجنبية العطرة [رائحة اوراقها الغددية . ذكرها شرف بلفظتها العلمية ولم يترجمها]
Diploleuca { المزدوجة اللفافة [لان لفافة زهرتها مزدوجة]

E

- Empetrum* جنبة الصخور [الماعا الى مكان نباتها]
Eriostemon جنبة الاسدية الزغبية
Erythrochiton شجرة الكأس الحمراء
Eutaxia شجرة الحشمة [لشكل الشجرة النحيل اiban ازهارها]
Evonymus { لم يذكّر عيسى وشرف لهذا الجنس سوى نوع واحد مع ان له عدة انواع زراعية اهمها *E. japonicus* وهو مبذول في حدائق بيروت دمشق حيث يسمى المرجان]

G

- Gastrolobium* البطنية السنقات [لشكل السنقة البطني]
Gleditschia { غلاديشيا [منسوبة الى النباتي الالماني Gleditsch وهي من اشجار التزيين المعروفة]
Gompholobium { المنتفخة السنقات [لانتفاخ سنقتها وكون السنقة تكون كروية في رأسها]
Grevillea غريفيليا [منسوبة الى C. F. Greville لها اكثر من ١٥٠ نوعاً]
Gymnocladus { المريانة الاغصان [لمنظر اغصانها في الشتاء . لم يذكّر عيسى هذا الجنس وذكّره شرف فسماه شيكو وهو الاسم الفرنسي]

H

- Hakea* هكيا [منسوبة الى البارون Hake لها اكثر من مئة نوع كثير منها معروف]
Hamamelis { الجنبية المشتركة [لانها تحمل نوراً وثماراً سوية . ذكرها شرف بلفظتها العلمية ولم يترجمها]
Hibbertia هيرسيا [لنسب الى النباتي الانكليزي Hibbert]

Hydrangea { شجرة الصكوب [لثمارها التي تشبه كوب الماء . ذكرها
شرف بلفظتها الاجنبية ولم يترجمها]

1

Idesia [باسم Ides وهو من الراد الهولانديين]

Itea اخت الصفاف

K

Kennedia [باسم Kennedy الانكليزي احد اصحاب النباتات]

L

Lagerstrœmia [باسم النباتي السويدي لاجرستروم]

Lardizabala [هكذا تسمى في بلاد ييرو . وهي جنبة معرشة]

Lecythis [لان الثمار تشبه القناني]

Leptospermum [لشكل بذورها]

M

Maclura [منسوبة الى W. Maclure وهو اميركي عالم بالمواليد]

Mahonia [منسوبة الى Mac Mahon النباتي الاميركي]

Margyricarpus [لثمرتها التي تشبه اللؤلؤ]

Melicope [لوجود اربعة اعضاء عسلية في قاعدة المبيض]

Metrosideros [له الابة خشبها]

Myoporum [لوجود نقط شفافة في اوراقها]

N

Nandina [من Nandin وهو اسمها في اليابان]

Nescea [لان انواعها تنبت في السواحل]

O

Olearia [لان اوراق بعض انواعها تشبه اوراق الزيتون]

ormosia [تستعمل في صنع العقود]

- Osmanthus الزهرة العبقية [الماعا الى رائحة زهرها]
- Ostrya { شجرة الحراشف [الماعا الى حراشف الزهرة . وهي من اشجار الحراج
المنشرة في ادرية . وتوجد في جبل اللكام شمالي الشام]
الشجرة الحامضة [لمخوطة اوراقها]
- Oxydendron
- P
- Paulownia بولوفنيا [منسوبة الى Paulownia ملكة هولاندة]
- Phebalium اخت الآس [لانها تشبه الآس]
- Phellodendron الشجرة الفلينية [لقشرتها الفلينية]
- Photinia { الشجرة اللامعة [للمان ورقها . لم يذكروها عيسى وذ كرسف
نوعاً قال انه مرادف لاسم الثمرة «ايكي دنيا» المعروفة في دمشق ؟
ولهذا الجنس انواع للتزيين جميلة]
- Pilocarpus { الكحمية الثمار [لان ثمارها تشبه الكمة . ذكروها شرف بلفظتها
العلمية ولم يترجمها]
- Piptanthus البكورة الأغبال [لان اجزاء زهرتها تبكر في سقوطها]
- Platilobium العريضة السنفات
- Poinciana { ابوانسيانا [منسوبة الى M. Poinci ذكروا عيسى نوعاً عن فورسكال
ولم يذكروا شرف شيئاً . وفي هذا الجنس انواع للتزيين جميلة ومشهورة]
- Pseudotsuga [تسوغة كاذبة [لانها تشبه الأتسوغة]
- Ptelea { الشجرة المجنحة [من اليونانية جناح لثمرتها المجنحة . سماها
شرف درداراً وهي غيره]
- Pterocarya اخت الجوز المجنحة [اشارة الى ثمارها الجوزية المجنحة]
- Pultencea باتنينا [بامم الطبيب الانكليزي Pulteney]
- Pyracantha شوك النار [لثماره الحمر الساطعة]
- R
- Rhynchospermum جنبه البزور المتقارية [الماعا الى شكل بزورها]

S

| | |
|----------------|--|
| Schizandra | المشقوق الأسدية |
| Sequoia | الشجرة الجبارة [سميت سكوبا لأنها كذا تدعى في كاليفورنيا . وأسميتها الجبارة لأنها تعلو حتى تبلغ ١٣٠ متراً في بلادها . وهي من جبارة الشجر ومن الفصيلة الصنوبرية] . |
| Sphaerolobium | الكروبة السنقات [لشكل سنقتها الكروبة] |
| Spiranthera | اللولبية المأبر [لشكل مأبرها اللولبية] |
| Spiraea | جنبه الاكاليل [لان اليونان اطلقوا هذه اللفظة على جنبه كانوا يصنعون الاكاليل من اغصانها . وفي هذا الجنس نحو ٥٠ نوعاً . لم يذكروا شرف منها سوى نوع واحد سماه ملكة المروج |
| Swietenia | شجرة الأبنوس [اللفظة العلمية منسوبة الى نباتي هولاندي . اهم انواعها S. Mahagoni وهو بالفرنسية Acajou] |
| Symphoricarpos | شجرة الثمار المتحدة [لاجتمع غدة ثمار في ربط الاوراق] |

T

| | |
|-----------|---|
| Thuya | شجرة العفص [هكذا تسمى في دمشق . ولم يذكروا شرف . وسماها عيسى شجرة الحياة مع ان شجرة الحياة هي Biota التي تشبه هذه الشجرة] |
| Triphasia | الشجرة الثلاثية [لعدد الوريقات في الكأس والتويج] |
| Tsuga | إتسوغة [هكذا تسمى في اليابان . وهي من اشجار الفصيلة الصنوبرية الشهيرة] |

U

| | |
|------|---|
| Ulex | جنبه الأذغال [ذكروا شرف ولم يترجم اللفظة العلمية] |
|------|---|

Z

| | |
|-------------|-----------------------|
| Zanthorhiza | الصفراء الجذور |
| Zinobia | زبنوبيا [باسم الزباء] |

مصطفى الشهابي

تصحيح نهاية الارب

« أغلاط الجزء الثامن »

سبق لي ان تنبعت أغلاط سبعة الاجزاء التي طُبعت من كتاب [نهاية الأرب في فنون الأدب] للعلامة النويري . وقد نشرت ذلك تباعاً في مجلدات السنة [١٩٦٦] من هذه المجلة . ثم اطلعت اخيراً على الجزء الثامن وهو آخر ما طبع من أجزاء ذلك السفر النفيس في مطبعة دار الكتب المصرية مصححاً بقلم الاستاذ [احمد الزين] ولم يكتفِ حضرته بالتصحيح فقط بل علق عليه في ذيل الصفحات تعليقات بلغ فيها الغاية من [إصلاح المحرف والمصحف . وتكميل الناقص . وتحقيق الاعلام . وضبط الملتبس . وتفسير الغريب . وايضاح الغامض . وشرح ما اشكل من الايات . وأسماء البلاد والامكنة . والتنبيه الى الكلمات العامية والالفاظ الاصطلاحية] اطلع — كل هذا أخذه المصحح الفاضل عني عاتقه . فقام حق القيام به . واستوفى الاجادة فيه . واستحق الثناء عليه . غير أنني — وانا أتصفحه — وقع نظري على اشياء أحببت التنبيه اليها . وبيان رأيي في ماهو الصواب فيها . مشايعةً للاستاذ المصحح في ماهو بصده من خدمة هذا الكتاب الثمين . وتكميلاً للعمل الذي بدأت به منذ سنين . والله ولي المحسنين :

فمن هذه الاغلاط ما في :

ص ٩٠ — قال المؤلف بصف القاضي الفاضل [ورافع علم البيان لاجالة . والفاصل بنغير إطالة] في السجعة الاخيرة . فصر يشبه ان يكون صوابها [والفاصل بين الحق والباطل بنغير إطالة]

وص ١٠٢ — قوله [والخيال الزائر . بالحبيب العاذر] لعل صوابه العاذر : فان الحبيب أجدر بان يوصف بالعدر من ان يوصف بالعدر .

وص ٦ س ٢ — [والنصرة خاصة بسلطانكم . والكفاية مكثفة بجماعتكم] و[مكتنفة] ضبطت بكسر النون . ولا يصح هذا لما أن [اكتنف] يتعدى بنفسه كما قال المصحح فالصواب فتح نون [مكتنفة] أو هي معرفة عن [مكتنية] .

وص ٩ س ٩ — [ونسأل الله أن يمين بقربه ورحاب الآمال فساخ والزمن المناظر بالقرب مسامح] قوله [المناظر] فسرہ المصحح بالمجادل . وعندى انه عوف عن [المناجز] وهو بمعنى المبارز المقاتل .

وص ٣٠ س ١ — [وحاشى جلالة من الاخلال بعهود الوفاء] هذه الجملة من إنشاء القاضي الفاضل وقوله [جلالة] بالجيم حسن بالجملة . ولكن احسن منه ان يكون محرفاً عن [يخلاله] بالخاء المعجمة ويكون فيه من جناس الاشتقاق ما للقاضي الفاضل حريص عليه . وقد عاش عمره يغذ السير اليه .

وص ٣٠ س ١٣ — [سقى الله ارض الغوطتين مداً مدي] قال المصحح [انما ذكر الغوطة بالثنائية جرياً على عادتهم من ذكر الواحد بلفظ المثني] أقول : غوطة دمشق مشهورة وتذكر تارة بالافراد مراداً بها مجموع داتين دمشق وتارة بالثنائية ويراد بها حينئذ الغوطة الكبرى المنبعدة في السهل الواقع شرقي دمشق — والغوطة الغربية الواقعة بين ضفتي الوادي وتسمى احبباً غوطة وادي بردى . ومثل ذلك [النيرب] فانه يذكر بالافراد مراداً به مجموع بسائنته وبذكر بالثنائية باعتبار قسميه اوجانبيه .

وص ٣١ س ٣ — [وماضراً اليد الكريمة التي آباديها بيض في ظلمات الايام . وأفعالها لا يقوم بمدحها إلا السنة الأُسنة والانلام] لا معنى لكون السنة أسنة الرماح تقوم بمدح افعال اليد . وانما صواب العبارة [الأُسنة الأُسنة والانلام] ويكون [الأُسنة] جمع سن واحد الأُسنان يقال : سن واسنان وأسنة كما يقال : كن وأكثان وأكثة . وفي الحديث الشريف [وأعطوا الرُكُوب أسنة] اي مكثوا الركائب من ان تجعل أسنانها في الرعي . والمعنى هنا ان تلك الافعال لا يقوم بمدحها إلا اسنان اي اطراف الأُسنة والانلام . ويقال في في جميع الكلام [هذه الكلمة — مثلاً — مما يدور على سن القلم اي طرفه . وعلى أسنة الانلام — اي أسنانها . اي اطرافها . كما يقولون : أسلات الأُسنة وأسلات الانلام وهي جمع أسلة مستندقة اللسان .

وص ٢١ س ١١ — [يكتب فلا يجاب . ويستكشف الم بالجواب فلا يجاب] اذا لم يوجد [استكشف] في كتب اللغة كما قال المصحح فيكون صوابه [ويستكشف الم] اي يطلب منه ان يكف عن الم . ومع هذا فان قوله [فلا يجاب] بناسبه [فعل الاستكشاف لا [الاستكشاف] . فعسى ان يصدر أئمة اللغة في هذا العصر فتوى يجوز فعل [استكشف] وامثاله مما يؤيده القياس . وان لم تذكره المعاجم التي في ايدي الناس .

وص ٢٢ س ١ — [وحوشي المولى ان يكون عوناً على قلبه . وان يرحل اثره الري على سريره] قال المصحح لعل صوابه [عن سريره وهم الجماعة يشربون] ولا حاجة الى هذا فان السرب بمعنى الطريق وقد مد له بقوله قبله [وان يرحل اثره] اي عقبه فالارتواء يرحل في اثره قائماً على سريره اي طريقه : يقال قام على طريقه واستقام على طريقته اي دام وثبت على المضي فيها .

وص ٣١ س ٧ — لم أقف منه على كتاب يخلف سواد سطوره ما غسل الدمع من سواد ناظري . ويقدم بياض منظومه ومنشوره ماوزعه البين من سواد خاطري] قوله [ويقدم بياض] صوابه [وينظم ببيان] فيلثم حينئذ مع قوله [منظومه] ومع قوله [ماوزعه] اي فرقاه وبدده . اما قوله : [سواد خاطري] فصوابه [شثات خاطري] اي المتشثت المنتشر من خاطري وهو اجس نفسي . ولا وجه لأن يراد [بسواد خاطري] العدد الكثير من خاطري . فان [السواد] قد يكون بمعنى العدد الكثير ولكن يجب حينئذ ان يضاف الى متعدد فيقال [سواد القوم] وسواد الناس و [كثرت سوادهم بسوادي] اي جماعتهم بشخصي . هذا هو موضع استعمالها .

وص ٣٣ س ٩ — [ولقد استغرب وصول الرفاق . وقد صفت من كتابهم الكريم عياهم] هذا من كلام القاضي الفاضل . والتزامه والتزام كتاب زمانه السجع امر معروف فلعل في الجملة الاولى نقصاً يتم به السجع مع الجملة الثانية هكذا [ولقد استغرب وصول الرفاق بعد ان طال غيابهم . وقد صفت من كتابهم الكريم عياهم] .

وص ٤٥ س ١٠ — [كتاب اشتمل على بديع المعاني وياهرها . . . فكانه طرف طرف صوبه مدرار . وعلم علم منصوب في رأسه نار] قال المصحح صواب [طرف طرف] [قطر قطر] الاولى مصدر قطر بمعنى سال والثانية بمعنى المطر كما تدل على ذلك بقية الجملة اه

وبعني ببقية الجملة قوله [صوبه مدرار] فان الصوب المدرار يناسب [قطر القطر] ولا يناسب [طرف الطرف] اه . وادى ان [طرف طرف] صواب بعد تصحيح الثانية بظرف بفتح الظاء المعجمة بمعنى الظرافة اي الكياسة و [طرف] الاولى بكسر الطاء وهو الكريم من الخيل وكثيراً ما سمعنا شيوخنا يقولون في تقريب الكتب [ولقد سرحت طرف الطرف في هذا الكتاب] يعملون للطرف اي العين طرفاً اي جواداً يسرّح . وهنا جعل القاضي الفاضل لظرافة ذلك الكتاب الوارد اليه جواداً وصفه بما توصف به كرائم الخيل فقال [صوبه مدرار] ووصف الجواد بان جريه كالصوب المدرار معهود في بليغ كلامهم ومن ثم يسون أفراسهم [سكاب] من انسكاب المطر وبغونه بانه [يعبوب] من عب البحر ارتفع وتتابع موجه . و [الدفة] الفرس الكريمة تتدفق في مشيها . ومن هذا التقيل قوله صلى الله عليه وسلم في صفة فرس ابي طلحة : [إن وجدناه لجرأ] .

وص ٤٩ س ١٤ —

[كتاب به ماء الحياة ونقعة ال — حيا فكا في اذ ظفرت به الخضر] قوله [الحيا] مقصوداً لاثني من معانيه — واشهرها المطر — يناسب هنا فصوابه [نقعة الظما] يقال شرب حتى تقع اي شفي غايله وروى ظاه .
وص ٦٩ س ٣ — [وكل مطهم إن ركض كلقى السباط] ركضه [ليس في إزعاج ركض الجواد للسباط] اي صف الجواد في الميدان — كبير امر ولا مبالغة في شدة ركض ذلك الجواد . فان اي جواد ركض أزعج صفوف الناس . وانما المبالغة الشعرية هي في ان يزعم الجواد بركضه كركب السماء . وهذا ما أراد الشاعر مذ قال [لقى السباك] لخرقه الناسخ الى [السباط] والسباك كركب مشهور وهما سماكان .

وص ٧٣ س ٨ — [وسيدنا مصعبى الهم وهذا ابن فيس رقيات] . ومهلبى الشيم وهذا حبيب أبنائه . ووائى الاحسان وهذا في الجلالة ابن ابي دواده وفي الادب ابن زياتة [قال المصحح الفاضل قوله [وهذا حبيب أبنائه] في الاصل [حبيب أياته] وهو تعجيف فان الذي وثقنا عليه ان حبيباً هذا من أبناء المهلب لامن شعرائه الذين مدحوه اه . ولكن اهتمام اولئك الكتاب بمراعاة السجع وتفریطهم بالمعنى لاجله أحياناً — امر معروف : [فرقيات] و [زياتة] يكون بينهما [أبنائه] — بعيد عن طبيعة انشاء ذلك العصر . فلان مدوحة عن القول بصحة

[أبياته] الواردة في الاصل . ويكون المراد بحبيب ابياته هو [ابو تمام حبيب الطائي] لا [حبيب ابن المهلب] ولا سيما ان المؤلف قال [مهلي] ولم يقل [مهلبي] وبينهما فرق : فالمهلي احداً بناءً المهلب المنسوبين اليه وهم كثيرون ولم يمدح ابو تمام احداً منهم واشهرهم الوزير ابو محمد المهلي وكان بعد ابي تمام بنحو مئة سنة . فلا بد ان تكون كلمة مهلي محرفة عن اسم آخر من ممدوح ابي تمام . ولأن نقول بوقوع التحريف في مهلي خبر من ان نقول بوقوعه في الكلمة التي تنتهي بها السجعة ومنزلة السجعة في نفوس القوم منزلتها . امامدوحو حبيب الطائي فكثيرون ومن أشهرهم الحسن ابن وهب واخوه سليمان بن وهب وله في الحسن ثلاث عشرة قصيدة فقله [ومهلي الشيم] صوابه إذن [وهبي الشيم] وهذا حبيب ابياته وبهذه الصورة تتناسق السجعات . وتبقى كلمات [ايات] على حالها كما وردت في الاصل . و [آل وهب] لبسوا باقل من [آل المهلب] منزلة في تاريخ الاسلام والخلفاء : فقد كان آباؤهم كتاباً من عهد الأمويين وكان الحسن بن وهب ممدوح ابي تمام ومؤلفاً له يوافي الرسائل وكتب لابن الزيات . واخوه سليمان ولي الوزارة للمعتدي ثم المعتضد . وارى ان الذي جعل الكاتب يقول [وهبي الشيم] ثم يقول [حبيب ابياته] فيجعل ابائهم ذا ابيات يضرب بها المثل في كل وهي — هو قول حبيب في الوهبيين :

[كل شعب كنتم به آل وهب فهو شعبي وشعب كل أدب]
[إن قلبي لكم كالكبد الحرعى وقلبي لغيركم كالقلوب]

وقد سمع هذا بعض الصالحين فقال لو كانت هذه الايات في آل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كان أليق إذ لا يستحق هذا القول إلا هم رضي الله عنهم .

وص ٧٥ س ١١ — [جواباً عن كتاب شفاعة يوصي على اخيه نجم الدين] قوله [يوصي] سواء كان من الأفعال او التفعيل إنما يتمدى في مثل هذا المقام بالباء لا بعلى الا على سبيل التضمين .

وص ٧٥ س ١٢ — [واحاًه كنف قلبه . واودعه بين شغاف القلب وخليه . واعاده الى معبود ولائه وحسبه] قوله [وحسبه] ربما كان صوابه وحبه . لان الحب وهو الذي يزول ثم يعود لالحسب . وكذلك هو الذي يلائم الولاء بمعنى المحبة او القرب .

وص ٧٧ س ٣ — [ان الله . . . أعد داري ثوابه وعقابه . وحذر رألي العقوبة من أليم

عذابه [قوله] [العقوبة] محرف عن مثل [الحوبة] والحوبة هي الاثم .
 وص ٨٢ س ٩ — [وامضى عزائم آرائه التي وأرضى همته التي اذا همّت اغنت عن
 الاينض المرهف والاسمر الخطار وأرهف اقلامه التي اغخ] قوله [وارضى همته] لعلها
 محرفة عن مثل [وامضى همته] من امضى الامر أنفذه ومنه مضاء السيف . أو [وارضى همته] اي
 احكمها وثبتها . أما ان الله يرضي همته فلا معنى له .

وص ٨٣ س ٧ — [ولا زال ربه مربعا للجلال ومصيفا ومشرعا وارد الغلال
 وربنا] قوله [وارد] بالهال ان ناسب [المشرع] فانه لا يناسب [الغلال] ولذا كان صوابه
 [وارف الغلال] من ورف الظل اتسع وطال وامتد . وقوله [وربنا] ليس صفة كوارف إذ
 لا يقال ظل وربف كما يقال ظل وارف وانما واو [وربنا] للعطف وهو معطوف على [مشرعا]
 ومعنى الربف الخصب وسعة الرزق ومنه ريف مصر .

وص ٨٤ س ١ — [والجناب الذي فاضت مواهبه . وجاءت مذانبه . وجاءت
 سمائيه] المذانب جداول الماء تنسيل عن الروضة الي غيرها كما قال المصحح . ولكن قوله
 [جاءت المذانب] لا يتسق مع [فاضت] قبله و [جاءت] بعده فهو محرف عن مثل [مارت] من
 مار الماء ماج واضطرب وجري على وجه الارض .

وص ٨٦ س ٥ — [ورأيت والناس مومنون من ليث عليه مهابة فكانوا كلكر وان
 أبصرن بازيا] قوله [مومنون] بالهمز لا معنى له فلعله محرف عن مثل [موجسون] من الوجس
 وهو فزعة القلب أو [موجبون] بفتح الجيم اي تخفق قلوبهم من اوجب الله قلبه أخفقه
 وأرجفه .

وص ٨٧ س ٨ — [فهو غاب العلم وهم اغصانه وشجره] قال المصحح [بفي الاصل (باغ
 العلم) وفي حروفه قلب لا يظهر به المعنى] أقول بل يظهر المعنى بالباغ أكثر مما يظهر بالغاب . والباغ
 البستان قال في شفاء الغليل : هو فارسي عربي المولدون وادخلوا عليه اللام قال البستي :
 [لا تنكرون اذا هديت نحوك من علومك الفـ او آدابك الدنيا]
 [فقيم الباغ قد يهدي لصاحبه يزعم خدمته من باغه التحفا]

وص ١١٠ س ١٠ — مما كتبه الملك المنصور قلاوون في اثناء الحروب الصليبية الى
 ملك اليمن قوله : [والرغبة الى الله في كذا وفي كذا وفي ألا تُقص رماحتنا والأدشقي]

لدينا إلا أكباد أكناد . ولا تجز غير شعور ملوك التتار الخ [قال المصحح أراد [بالا كناد
الجاهدين . ثم استشكل [أي المصحح] ان يجمع [كُنْد] وصفًا على أفعال . اقول والحق في ذلك
ان [ا كناد] ليست لفظًا عربيًا من الكنود أي الجحود وانما هو جمع [كُنْد] على وزن فُعل
لقب افرنجي يطلق على امراء الافرنج واشتهر منهم في الحروب الصليبية كثيرون ذكروهم
كتاب العرب ومؤرخوهم كابي الفداء وابن الاثير . وأشهر هؤلاء الامراء [كند هري]
و [كند صغيل] واصل كند [كولت] [Conte] بمعنى امير فربوه الي [كُنْد] على
وزن فُعل — وقيل يجمع على افعال قياسًا — فقالوا [ا كناد] وقرن ملوك التتار بالا كناد
بدل على انه أراد بالا كناد امراء الصليبيين . وقد كن هؤلاء واولئك من اشد اعداء ملوك
مصر والشام في ذلك العهد .

وص ٤٦ اس ٨ — ذكر المؤلف مة غزلية ركيكة لبعض كتاب زمانه جاء فيها
هذا البيت :

[هل مخبر عنكم يعيش بقره ميت الرجا والصبر بعد الياس]

فقوله [بقره] ضميره يرجع الى المخبر . وكون الرجا يعيش او يذتمش بقرب المبشر
المخبر عن الاحباب — ليس بطائل . فلعل صوابه [بقوله] أي بدشارته . على ما في هذا التعبير
من اللين والركاكة . ومعظم تعابير المقامة من هذا القبيل .

وص ٥٤ اس ٤ — على لسان الخليفة العباسي [المستكفي] نزيل مصر الى امام اليمن لانما
مهدداً [واتخذنا مصر دار مقامنا . لما كانت في هذا العصر قبة الاسلام . وفيئة الامام . وثانية
دار السلام] قال المصحح [فيئة الامام] أي محل فيئته أي محل رجوعه يريد ان مصر هي التي
رجعت اليها الامامة العباسية اه . وعندني ان صوابه [فيئة الانام] أي ان الناس يرجعون اليها
في امور دينهم لما كان الخلافة فيها — ودينام لما كان السلطان منها . اما كونها محل رجوع
الامامة العباسية فليس ذكره في هذا المقام مما يشرف بل مما يؤلم وينقص .

وص ٥٦ اس ١٠ — من كتاب الخليفة المذكور الى امام اليمن [رسمناها] « أي بالرسالة
التي ارسلناها اليك » والسيف يود لو سبق القلم حذوه . والعلم المنصور يجب لو فات القلم واهتز
بتلك الروابي قدّه [القلم] تكرر في الجملة فلعل الاولى محرفة عن [العلم] ويكون المعنى : ان
السيف يتقنى لو يسبق الراية الى العدو لان الراية عادة تحمل أمام الجيش . كما ان الراية نفسها

تتفى لو سبقت القلم : إذ ان القلم يباشر تهديد العدو ومحاربه قبل تسيير الرابات اليه .
 وص ١٨٦ س ١٤ — من كلام سيدنا علي رضي الله عنه [ومن يكبر على الناس ذل]
 هكذا بالزاي من الزلل بمعنى العثار وهو حسن ولكن الاحسن ان يكون بالذال من الذل
 ليكون تقيض ما حاوله المتكبر من الكبر على الناس مذ يودي عمله الى عكس ما أراد .
 وص ٢٠٢ س ٨ — [وتفصل البلد ثلاث سنين : مبقة ومتوسطة ومجدبة] قوله
 [مبقة] قال المصحح إنها في الاصل [مقبلة] وفيه قلب وصوابه [مبقة] كما يرشد اليه عطف
 المتوسطة والمجدبة عليه و [المقبلة التي كثر قبلها اه] ما قاله المصحح وهو حسن ولكن إبقاء
 [مقبلة] بتقديم القاف على ما جاءت في الاصل أحسن لان الاقبال في المواسم أعم من ان يكون
 من جهة خصب بقولها أو ثمارها أو قطنها : يقال أقبلت الأرض بالنبات جاءت به . ونقول اليوم
 كثيراً : السنة سنة إقبال أي خصب . فلا داعي للمدول عن مقبلة الى مبقة على ان المصحح
 [بف ص ٢٩٥ س ٣] صحح هو نفسه عبارة [المتمة والمتوسطة والمجدبة] بقوله [المتنة]
 تحريف صوابه [المقبلة] كما يقتضيه السياق ويريد بالمقبلة السنة التي تقبل بالنبات أي
 تنجي به اه .

وص ٢٢٢ س ٩ — عدد الموف وظائف مباشر البيوت السلطانية قال [ومن هنا تعاهد اسماء
 الخوانج خاناه] قوله [اسماء] صوابه [اشياء] وهي الامتعة المحفوظة في البيت المسعى
 [الخوانج خاناه] فانه يحتوي على اشياء بتفقدتها الموظف لا على اسماء .
 وص ٢٢٢ س ١٤ — [ويحصر لكل منهم ما حضره في كل يوم] قال المصحح في الاصل
 يحضر بالاضاد المعجمة وهو تحريف اه . وأرى ان صوابه يخص من الاحصاء فان مباشر
 بيت [الخوانج خاناه] يتلقى من كل من القصاب والحيواني والطينوري اشياء ويحصرها عليه .
 على ان [يحصر] لا بأس بها .
 «المغربي»

مذهب الجاحظ في النقد^(١)

- ١ -

« رأيه في التوليد - رأيه في اولى الشعر »

= (٥) =

قبل ان أقدم فن الجاحظ وادبه بلغته لم لا انظر في نقد الجاحظ نفسه ، كيف كان ينقد
من غيره -

ولقد كان النقد قديماً في لغة العرب ولكننا لا نتجاوز عهد النابغة الذي ياتي مخافة ان نضيع في
مجاهل لا يخرج لنا منها .

للعرب في الجاهلية مجالس ادب واسواق وما تتم بها فلولين عنها ، شيخ النقدة في تلك الايام
نابغة بني ذبيان الذي كان يضرب له قبة من آدم بسوق عكاظ فتأتيه الشعراء فتعرض عليه
اشعارها .

وفي صدر الاسلام مجالس ادب حافلة وربما تعددت في هذه المجالس امثال سكينه بنت
الحسين وعائشة بنت طلحة .

وفي زمن بني أمية مجالس ادب تشبه مجالس الأدب في الجاهلية منها مرصد البصرة ومسجد
الكوفة .

وخلفاء بني العباس أشباه هذه المجالس وربما كانت مجالس المنصور والمهدي والرشيد
والمأمون وغيرهم من الخلفاء وابناء الخلفاء والامراء والوزراء أعمر وأحفل .

ولو استقصينا أمماطاً من النقد في تلك المصور لوجدنا لها شكلاً خاصاً لا يتعداه فسواء

(١) سلسلة محاضرات الاستاذ السيد شفيق جبري احد اعضاء المجمع العلمي العربي التي
شرع في المحاضرة بها في كلية الاداب في دمشق سنة ١٩٣١ .

أكان النقد مجرداً من اسباب التفضيل والتمييز على نحو ما كانت عليه الحال في بعض الاحابين في النقد الجاهلي والنقد الاسلامي ام كان هذا النقد موضعاً لهذه الاسباب في العصور التي تقدمت الجاحظ انه لا يتهدى الصور اللفظية والمعنوية من حيث انحراف هذه الصور عن الذوق او من حيث مطابقتها للذوق ، فلم يكن له قواعد ثابتة ولم يكن له اصول يبنى عليها وانما كانوا في بعض العصور يملون طائفة من هذه الصور فيتطاولون الى صور حديثة . —

ثم ما لبث ان ظهر الرواة فظهر ابو زيد الانصاري وابو عبيدة والاصمعي وظهر حماد الراوية والمفضل الضبي وخلف الاحمر فكان لنقد الشعر صورة خاصة وضعتها لنا الجاحظ فقال :
« طلبت علم الشعر عند الاصمعي فوجدته لا يعرف الاغريبه فرجعت الى الاخفش فالفيتيه لا يتقن الا اعرابه فعطيت على ابي عبيدة فرايته لا ينقد الا ما اتصل بالاخبار وتعلق بالايام والانساب فلم اظفر بما اردت الا عند ادباء الكتاب كالحسن بن وهب ومحمد بن عبد الملك الزيات . »

قال صاحب بعد هذا الكلام : فله در ابي عثمان لقد غاص على سر الشعر واستخرج ارق من السر . — »

وقال في مقام آخر :

« ولم أر غاية النحويين الا كل شعر فيه اعراب ولم أر غاية رواة الشعر الا كل شعر فيه غريب او معنى صعب يحتاج الى الاستخراج ولم أر غاية رواة الاخبار الا كل شعر فيه الشاهد والمثل . — »

قد يشتمل هذا الكلام على شيء من المبالغة وخاصة العبارة التي تتعلق بالاصمعي فالذي وصل اليها من امر الاصمعي ان له آراء في نقد الشعر تدل على انه يعرف غير غريب الشعر وكيف كان الامر فان الذوق الادبي في عصر الجاحظ قد لوّث بالوان شتى فمرة كان هذا الذوق يصبغ بصباغ نحوي ومرة بصباغ لغوي ومرة بصباغ اخباري . —

هكذا كان نقد بعض الرواة حتى جاء المؤلفون وشعر عوافي تأليف الكتب في النقد فدخل النقد في طور جديد من حيث الترتيب والتأليف ، من هو لاء المؤلفين محمد بن سلام صاحب طبقات الشعراء فقد فصل الشعراء من اهل الجاهلية والاسلام والمختصرين فأبرز لهم منازل واحتج لكل شاعر بما وجد له من حجة وما قال فيه العلماء ولكن جوهر النقد لم يختلف عما

كان عليه في القديم فكان الحكم لشاعر من الشعراء لما نفاه شعره اولشروود قافيته اولا بتكار
أسلوبه . —

ولكن انعموا الجديد الذي نفاه النقد في هذا العصر انما هو الطعن على ثقة بعض الرواة
وهذا النحو أفق حديث في التمهيص والتدقيق الظاهر ان الرواة كانوا يزدون في الاشعار
فأشار ابن سلام الى توليدها لرواة وبين اسبابه فقال :

« فلما رجعت العرب رواية الشعر وذكر ايامها وما اثرها استقل بعض العشائر شعر شعرائهم
وما ذهب من ذكر وقائهم وكان قوم فئات وقائهم واشعارهم وادادوا ان يلحقوا بمن له الوقائع
والاشعار فقالوا على السن شعرائهم ثم كانت الرواة بعد فزادوا في الاشعار وليس يشكل على اهل
العلم زيادة ذلك ولا ما وضع المولدون . — »

الا ان ابن سلام لم ينبه على الزيادات التي زادها الرواة ولو فعل لنفي الشعر العربي فلم يبق مجال
لارتباب المرقابين بصحة بعض هذا الشعر .

والجنب هذا الأفق أفق آخر فكما نبهوا على توليد الرواة فقد نبهوا على اختلاف لسان
حمير ولسان قريش فقد أشار ابن سلام الى قول ابي عمرو بن العلاء في هذا المعنى فقال :

« ما لسان حمير واقاصي البدن بلداننا ولا عريتهم بعريتنا . — »

غير ان ابن العلاء لم يبين وجه هذا الاختلاف أهو من حيث قواعد النحو والتصرف أم هو
من حيث اللفظ فبقي كلامه غامضاً وقد وردت في طائفة من كتب الادب الفاظ يمانية لها معنى غير
المعنى الذي لها في لغة قريش ، وهذا كله لا ينفع غليلنا . —

وفي هذا العصر الذي نبهوا فيه على توليد الرواة وعلى اختلاف لسان حمير ولسان قريش
ظهر الجاحظ فهو من ابناء عصر ابن سلام . —

ولقد بهمب على رجل مثل الجاحظ قضى عمره كله في التمعيب ان يبر بمواطن الزور في
الادب فيغفل الكلام عليها فقد أشار الى التوليد فقال ^(١) :

« ولقد ولدوا على لسان خلف الاحمر والاصمعي ارجازاً كثيرة فما ظنك بتوليدهم على السنة
القدماء ولقد ولدوا على لسان جحشويه في الخلاق اشعاراً ما قالها جحشويه قط فلو تقدروا من
شيء تقدروا من هذا الباب . — »

وقال في موطن آخر في توليدهم على بشار^(١) :

قال صاحب الكلب : السوريساوي في صغره درهماً فاذا كبر لم يساو شيئاً وقال العتيبي :
كس نور عبدالله بيع بدرهم صغيراً فلما شب بيع بدينار
٠٠٠ وقد يضاف هذا البيت الى بشار وهو باطل —

غير ان الجاحظ لم يدل على الذي ولد له فلم ينف شيئاً الى ما قاله ابن سلام في زيادة الرواة،
ولودل على مواطن التوليد لما اتسع المجال الى الشك في بعض ادبنا وقد كان يسهل على الجاحظ
وامثاله ان يحصوا ويدققوا حتى يستخرجوا بهذه التمهيص والتدقيق الزيادات التي زادها
المولودون فهم متصلون بتطور اللغة من عهدها الجاهلي المتعارف الى عهدها الاسلامي ومن عهدها
الاسلامي الى عهدها العباسي فليس بينهم وبين هذه العصور التي تطورت اللغة في اثنا عشر ائناً الا قرنان
او ثلاثة قرون فقد كان يتيسر لهم ان يعرفوا روح كل عصر ولغته وفنه لانهم على نحو ما قلت اكم
متصلون بتلك العصور اما اليوم فان التنبيه على مواطن التوليد قد يكون عقبة كؤوداً فاذا
أردنا ان نعرف ان هذا البيت من الشعر قد حمله شاعر من الشعراء لزمنا ان نتعمق في ديوان
الشاعر كله حتى نعلم هل هذا البيت الذي نحمله من روحه اولغته من لغته ارفقه من فنه فاذا اعترضتنا
المصاعب في تمييز بيت من الابيات فكيف تعظم هذه المصاعب في تمييز قصائد بهذا اثيرها قيلت في
عصور متفاوتة بعيدة عنا —

وليس في لغتنا معجم يبين لنا ان اللفظ الفلاني استعمل في العصر الفلاني ثم بطل استعماله
بعد ذلك العصر فقد تفرنا الفاظ لشاعر من الشعراء نظنها في بدء الامر غريبة وقد تكون هذه
الالفاظ شائعة في عصر هذا الشاعر فاذا لم يكن في لغتنا معجم يدون الالفاظ بحسب تاريخها
صعب علينا ان نعرف ان هذا اللفظ مؤد على لسان فلان والشك في الادب قد لا يخلو في خاتمة امره
من محاذير وقد فطن الجاحظ لهذا الامر فقال في خطاب جماعة مالوا الى الرد بعض الامثال على
جماعة آخرين^(٢) :

وان جازلكم ان تردوا عليهم هذا المثل جاز لكل من كره مثلاً او شاهداً ان يرد عليهم كما
رددتم وفي ذلك افساد امر العرب كله فان زعمت ان لديك كن احق به فخصومك كثير ولسنا

(١) الحيوان الجزء الخامس — ص ٩٦

(٢) = = الثاني — ص ٥٥

نحيط باوائل كلامهم على اي مقادير كانوا يصفونها ومن اي شيء اشتقوها وكيف كان السبب ورب شيء انكرناه فاذا عرفنا سببه أقررنا به —

الا ان الجاحظ على مصاعب التدقيق في التوليد قد ركب هذا المركب الخشن فتفرغ لتتمحيص خطبة زعم انما منسوبة الى معاوية^(١) . وبعد ان فرغ الجاحظ من ذكر الخطبة قال :

« وفي هذه الخطبة ابقا الله ضروب من العجب : منها ان هذا الكلام لا يشبه السبب الذي من اجله دراهم معاوية ، ومنها ان هذا المذهب — في تصنيف الناس وفي الاخبار عنهم وعمام عليه من القهر والاذلال ومن التقية والخوف — أشبه بكلام علي وبمعانيه وبجملته بحال معاوية ، ومنها اننا لم نجد معاوية في حال من الحالات يسلك في كلامه مسلك الزهاد ولا يذهب مذاهب العباد ، وانما نكتب لكم ونخبر بما سمعناه ، والله اعلم باصحاب الاخبار وبكثير منهم —

غير ان الجاحظ كان يجب عليه في رد هذه الخطبة ان يسلك مسلكاً اقرب فياً في بنماذج من خطب علي وبنماذج من خطب معاوية وان يقال بين هذه الأنماط كما يشير الى الفاظ علي ويشير الى الفاظ معاوية وبدل على الالفاظ التي بالنها علي والالفاظ التي بالنها معاوية فيقول : هذه اللفظة مثلاً من الفاظ علي ، او هذا التركيب من تركيب علي ، او هذا الفن من فن علي ، وقد وردت اللفظة والتركيب والفن في خطبة معاوية فهذا كله مردود ، ولو فعل ذلك لكان تمحيصه ابلغ ، لان لكل خطيب او لكل شاعر او لكل كاتب ، لكل واحد من هؤلاء الثلاثة مفردات ومصطلحات تراكييب لا يجيد عنها فهي ملازمته وقد يستعملها على الرغم منه ويكرر استعمالها دون ان يشعر بها ، اما قول الجاحظ : ومنها اننا لم نجد معاوية في حال من الحالات يسلك في كلامه مسلك الزهاد ولا يذهب مذاهب العباد ، فلا يخلو من بعض الضعف لان الرجل اذا حضرت وفاته قد تبدل حاله عقله وحاله روحه —

على ان الجاحظ قد تجرد في بعض المقامات للتنبيه على مواطن التوليد في الشرايف فلم يكن ضعيف الحجة في هذا التنبيه فمن هذا رده طائفة من الاشعار من جملتها هذا البيت

[١] راجع الخطبة في البيان والتبيين — الجزء الثاني ص ٢٨ .

للأفوه الأودي^(١) :

كشهاب القذف يرميكم به فارس في كفه للحرب نار

فقال في رد هذا البيت^(٢) :

« واما ما رويت من شعر الأفوه الأودي فلمعري انه جاهلي وما وجدنا احداً من الرواة يشك في ان القصيدة مصنوعة وبعد فمن اين علم الأفوه ان الشهب التي يراها انما هي قذف ورجم وهو جاهلي ولم يدع هذا احد قط الا المسلمون فهذا دليل آخر على ان القصيدة مصنوعة — »
اما وقد عرفنا رأي الجاحظ في التوليد فلا بأس بان نعرف رأيه في اولية الشعر ، وعلى هذا تنشأ لنا صورة تصور لنا مذهبه في نقد بعض الآراء الادبية العامة ، من هذا النحو قوله^(٣) :
« واما الشعر فحديث الميلاد صغير السن اول من نهج سبيله وسهل الطريق اليه امرؤ القيس ابن حجر ومهلل بن ربيعة وكتب ارسطاطاليس ومعلمه افلاطون ثم بطليموس وذو بقراط وفلان وفلان قبل بدء الشعر بالدهور وقبل الدهور والاحقاب قبل الاحقاب وبدل على حداثة الشعر قول امرؤ القيس بن حجر :

ان بني عوف ابنتوا حسنا ضيعه الداخلون اذ غدروا
ادوا الى جارم خفارته ولم يضع بالمغيب من نصروا
لاحميري وفي ولا عدى ولا استعير يحكمها الثغر
لكن عوير وفي بدمته لا قصر عابه ولا عور

فانظر كم كان عمر زراة وكم كان بين موت زراة ومولد النبي عليه الصلاة والسلام فاذا استظهرنا الشعر وجدنا له الى ان جاء الله بالاسلام خمسين ومائة عام واذا استظهرنا بقاية الاستظهار فمات في عام — »
وقال في مقام آخر^(٤) :

« وقد قيل الشعر قبل الاسلام في مقدار من الدهر اطول ما بيننا اليوم وبين اول الاسلام »

| | |
|-----|-----------------------------|
| [١] | الحيوان — الجزء السادس ص ٨٨ |
| [٢] | == == == ٩٠ |
| [٣] | == الاول == ٣٧ |
| [٤] | == السادس == ٨٩ |

ففي قوله الاول جعل عمر الشعر مائتي عام وفي هذا القول جعله مائتين ونيفاً ، وفي كلا الحالين اشتطاط —

أصحح ان امرأ القيس اول من نهج سبيل الشعر وسهل الطريق اليه ، قد يكون
امراً القيس اول من حفظت اشعاره او من اوائل الشعراء الذين تناسحت الينا اشعارهم واما ان
يكون اول الشعراء فلا ، وقد اشار بعض شعراء الجاهلية الى تقادم الشعر فقال امرأ القيس
نفسه :

عوجا على الطلل القديم لعلنا نبكي الديار كما بكى ابن حذام
وقال زهير :
ما ارانا نقول الامصارا او معاداً من قولنا مكرورا
وقال عنتره :

هل غادر الشعراء من متردّم

فالذي يستنبط من قول امرئ القيس وزهير وعنتره انه بقاء قبلهم شعراء جالوا في الشعر
كل مجال وحاً قوا في سمائهم كل محلق وقد انقطعت عنا اخبار الذين اورثوا عنتره وزهيراً وامراً
القيس فيض قلوبهم وصوب اذهانهم وانطوت آثارهم فلانعرف عنهم شيئاً فلفه العرب متقدمة
العهد فلا يمكن ان تنشأ دفعة واحدة على الصورة التي نشأت عليها في العصر الجاهلي المعروف
فلاريب في اننا سبقنا احقاب مديدة انتقلت فيها اللغة من طور الى طور حتى وصلت الى ما وصلت
اليه فالعصور التي انتقلت اللغة في اننائها من مرتبة الى مرتبة غامضة مبهمه فهي سر من الاسرار
وهذه ثلثة في تاريخ ادبنا ولا تسد هذه الثلثة الا اذا درسنا اللغات السامية ولغات الام التي خالطها
العرب في قديم الدهر ، وعثرنا على كتابات قديمة منقوشة ، ان لغة العرب لم تنته الينا بهذا غيرها
فان الذي جاءنا عن العرب غيض من فيض فكثير من الكلام ذهب بذهاب امله قال ابن
فارس : ذهب علمنا او اكثرهم الى ان الذي انتهى الينا من كلام العرب هو الاقل ولو جاءنا
جميع ما قالوه لجاءنا شعر كثير وكلام كثير —

والمعروف ان بلاد العرب الجنوبية حضارة يتند تاريخها الى القرن الثامن قبل السيد المسيح
فأين اللغة التي صورت هذه الحضارة وكيف تكون حضارة ولا تكون معها لغة —

يقول أحد أدباء الفرنسيين^(١) :

«النثر الأدبي في التاريخ لا يأتي على نحو ما يظنون قبل الشعر وإنما يأتي بعده ، والذي يأتي قبل الشعر إنما هو اللسان الطبيعي العامل ، لسان الهوائج والمنافع ولكننا نستطيع أن نجعل من قوانين التاريخ الأدبي العامة أن كل أدب يبدأ بالشعر ثم ينزل إلى النثر إلى الغناء القبيد التي تقيد اللغة الشعرية وبإطراح هذه القيود أي بالتخلي عن لوازم الفن كلها أن لم يكن بالتخلي عن نتائج الفن . —»

فإذا كان الأدب يبدأ بالشعر ثم ينزل إلى النثر فأين النثر الذي نزل إليه الشعر الجاهلي ، أهو هذا النثر الإسلامي المتكامل الذي ظهر فجأة دون أن يكون لتكامله عامل من العوامل ، لاشك في أن النثر الإسلامي سبقه نثر وهذا النثر سبقه شعر ولم تبق لنا إلا أيام من هذا كله إلا الشعر الجاهلي المتعارف والأقليل من النثر الجاهلي . —

مثل اللغات كمثل المخلوقات الحية في عالمي الحيوان والنبات فكان الحيوانات والنباتات تولد فتعيش وتموت فكذلك اللغات فإنها أشبه شيء بهذه المخلوقات وليلاد اللغات وحياتها وموتها عوامل منطقية وفلسفية وتاريخية وغير ذلك فجمعها كلمة : حياة الألفاظ ، ولست أعلم بحثاً يأخذ بمجامع القلوب نظير البحث عن حياة الألفاظ . —

فقول الجاحظ : أن الشعر الجاهلي عمره قرنان في اشتطاط على أن الجاحظ نفسه يقول وقد سمعتم قوله : ولنا نحيط بأوائل كلامهم — أي كلام العرب — على أي مقادير كانوا يضمنونها ومن أي شيء اشتقوها وكيف كان السبب ، فإن الذي يقول هذا القول لا ينبغي له أن تزلق به قدمه هذا المزاق فيجعل الشعر حديث الميلاد صغير السن . —

دمشق : في ٢٦ كانون الأول سنة ١٩٣١

— (***) —

مذهب الجاحظ في النقد

- ٢ -

« اهتمامه بالصنعة »

تبين لنا من النظر في نقد الجاحظ لطائفة من الآراء الأدبية العامة انه يذهب في الأدب بمذهبه في العلم ، وما هذا المذهب الا الاستقصاء في كل شيء ، فالتحقيق اغلب صفات الجاحظ فكما انه يتقذر من توليد الكذابين في ابواب العلم فكذلك يتقذر من التوليد في ابواب الأدب وسواء ارشدت مسالكه في الدلالة على مواقع الزور في هذا التوليد ام لم ترشد انه نزاع الى التمهيص فاذا جاز لنا ان نستنبط صفة له من اساليب نقده التي قلبنا النظر فيها استنبطنا منها ابعانه في التدقيق .-

فلننظر بعده هذا كله في طبيعة ذوقه ، كيف يذوق نساخ القرائح وثمرات الخطوط ، يقتصر على استحسان المعاني وحدها ام انه مولع بالصنعة وهل وقف به ولعه بالصنعة على تفصيل اساليب المتقدمين ام انه مال الى مذاهب المولدين وما غابتنا من هذا كله الا استخراج صورة عامة لذوقه الفني من آرائه المبعثرة في اضعاف كتبه حتى يتمثل لنا ذوقه كما تتمثل لنا تحقيقه .-

للجاحظ ولع خاص بالصنعة وأريد بالصنعة في هذا المقام الفن على مصطلح عصرنا فهو ميال الى استحسان الالفاظ فن قوله في هذا الباب : « وقد نقد يدين من الشعر »^(١) :

« وانا قد سمعت ابا عمرو وقد بلغ من استجادته لذين البيتين ونحن في المسجد يوم الجمعة ان كلف رجلاً حتى احضر دواة وقرطاساً حتى كتبهما له وانا ازعم ان صاحب هذين البيتين

[١] الحيوان - الجزء الثالث ص ٤٠

لا يقول شعراً ابداً ولولا ان ادخل في بعض القيل لزعمت ان ابنه اشعر منه ومما قوله :

لا تحسبن الموت موت البلى وانما الموت سؤال الرجال
كلامهما موت ولكن ذا افطع من ذلك لذل السؤال

وزهد الشبغ الى استحسان المعنى والمعاني مطروحة في الطريق يعرفها العجمي والعربي
والبدوي والقروي وانما الشأن في إقامة الوزن وتمييز اللفظ وسهولته وسهولة المخرج وفي صحة
الطبع وجودة السبك فانما الشعر صناعة وضرب من الصبغ وجنس من التصوير ٠ —

فالجاحظ مفتون بالنفن فهو يريد ان نعطي المعاني حقوقها من الالفاظ واظن ان هذا المذهب
يحتاج الى شيء من التوضيح فقد يخطر على البال ان الذهاب الى استحسان الالفاظ انما يراد به
الخط من مقادير المعاني حتى يتوهم المتوهمون ان الذين يستحسنون الالفاظ يقولون : المعاني
لا قيمة لها وانما القيمة للالفاظ وحدها ، ولكن الالفاظ في الحقيقة انما هي خدم المعاني فقد
وضعت للدلالة على فكر من الافكار فلولا الفكر لم يكن اللفظ فحسن الالفاظ يستوجب
حسن المعاني فاذا وجدنا الفاظاً ضخمة ولم نجد لها معاني ضخمة استخرجنا من ذلك ان اصحابها
لا يجوز كون الكلام على حسب الاماني ولا يخيطنون الالفاظ على قدود المعاني ، فقد تكون
الفاظ سيئة تشتمل على معاني حسنة ولكن هذه المعاني لا يبقى لها اثر في القلوب لانها لم تعط
قسطها من الصنعة ، لنضرب مثلاً ذلك ولترجع الى البيتين اللذين اسنشهد بهما الجاحظ : معناهما
ان اصحاب النفوس الكريمة يفضلون الموت على سؤال الرجال فالمعنى فيها حسن ولا شك ،
ولكن الشاعر هل تنبأ له ان يكسوه ما يناسبه من اللفظ ، اذا كان الغرض من الشعر ان يعرض
علينا حقائق الافكار المحسوسة حتى نكاد ندرك هذه الافكار ذاتها وظواهر صيغها كل
هذا في شكل مرصوص كأنه بناء مبني لا خلل فيه ، اذا كانت هذا هو الغرض من الشعر
فالبيتان اللذان تقدمهما الجاحظ وخاصة البيت الثاني ليس فيها شيء من الصور الشعرية
فان لفظة البيت الثاني بعيدة عن لغة الشعر فكلمة : ذا وذاك واشباهها انما هي من الالفاظ
الثقيلة على السمع ٠ —

فلما ذهب الجاحظ الى استحسان الالفاظ لم يذهب الى استباح المعاني وانما ذهب الى ان
الالفاظ التي صورت المعنى في هذين البيتين لم تكن مناسبة لهذا المعنى فالفرق بينه وبين
ابي عمرو الذي استجاد البيتين كالفرق بين الرجل الأديب وبين الرجل غير الأديب

او كالفرق بين صاحب الفن وبين المجرد من الفن فأبو عمرو لا اهتمام له بالفن فانه ينظر الى مجرد المعنى سواء عليه أكان لباس هذا المعنى مناسباً له أم كان غير مناسب والجاحظ معتن بالفن فانه لا ينظر الى مجرد المعنى وإنما يريد ان يكون هذا المعنى مصبوغاً في قالب مناسب له فاذا كنا نستحسن المعاني وحدها ولا نبالي بالقوالب التي تفرغ فيها هذه المعاني فلم يبق للفن قيمة ولم يبق للمفاضلة بين الآثار الفنية وجه فاذا خطر مثلاً على بال شاعر مثل البحتري معنى من المعاني فصبه في قالب مناسب له وخطر هذا المعنى نفسه على رجل من العامة فقذفه في لغته العامة فلا فضل للبحتري على العامي فاذا كان الاصل المعنى واذا كان هذا المعنى قد وقع في خلد كل واحد منهما وكل واحد منهما استطاع ان يورثه الى غيره هذا بلغمه الشعرية وهذا بلغمه العامة فلا تفاضل بينهما فما الحاجة إذن الى الفن فأظن انكم قد ادر كنتم النتائج التي يؤدي اليها استحسان المعاني وحدها دون المبالاة باللفاظ التي تصورها وخوفاً من هذه النتائج التي تؤدي الى القضاء على الفن ومذاهبه تفرغ اكبر أدباء العرب والافرنجة للرأفة دون حياض الفن فن أدباء العرب من واطأ الجاحظ على رأيه كأبي هلال العسكري وابن رشيق وغيرهما فأبو هلال يقول بحسن التأليف وجودة التركيب وكمال الحلية والمعرض ، وابن رشيق يختار جودة الالفاظ وحسن السبك وصحة التأليف ، ومن أدباء الافرنجة من دافع عن الصناعة على نحو الجاحظ .

فن كلام «فولتير» : ان الاشياء تؤثر فينا في الاغلب من نواحي اساليبها اي من نواحي القوالب التي نصب فيها لأن للناس افكاراً واحدة بوجه التقريب ولكن الاسلوب هو الذي يفرق بين كاتب وكاتب .—

ومن كلام «فاكه» : ان الذي يخذل الكاتب انما هو جمال الأسلوب .—

ومن كلام «فرائس» : ليس الفكر ملكاً لمن يبدعه وانما هو ملك الذي يثبته في الازهار .—

من هذا كله يتبين لكم ان اكبر الادباء وبلغاء الكتاب قد اجمهوا على فضل الأسلوب فالاعتناء بالاسلوب قديم عهده في الأمم ، فالليونانيون كانوا على هذا المذهب ، والرومانيون اولعوا بالوعك كله بجمال الأسلوب حتى أفرطوا في هذا الامر فأدى بهم إفراطهم الى التقصير في الكتابة الحسنة .—

انظروا الى الشعراء الذين عاشوا في زمن البحتري ثم نظروا الى الذين طوام فلم يمتد له

ظل ولم يتسع لهم في أن فيجئد البحري ويموت شعراء عصره لولا الصنعة^(١) . —
ليس معنى هذا كله أن الأدباء الذين استشهدت بكلامهم سواء عليهم حسن المعاني
وفجها وانما هو لاء الأدباء يريدون أن نعطي المعاني الحسنة حقها من الالفاظ الحسنة فهم قد
شعروا بتأثير الالفاظ في تحليل المعاني فعظّموا من مقادير هذه الالفاظ . —
وإذا اردنا أن نعرف تأثير الالفاظ فلنسمع ما قاله الأستاذ « باولوسكي » في مقالة اشار
فيها الى ترجمة الدكتور Mardrus للقرآن بعد أن استعد لهذا الامر عشرين سنة :
« لقد بلغ من تأثير القرآن في قلوب الثلاثمائة مليون مسلم مبلغاً اجمع فيه المبشرون على
الاعتراف بأنهم لم يستطيعوا أن يردوا مسلماً عن دينه حتى اليوم واستنتج الدكتور من ذلك
أن الكلمة اذا وضعت مواضعها وأثرت منازلها كانت سحر أحلاماً فمن الذي يتبجح بأن يأتي
بكلام ينزل على اكباد ثلاثمائة مليون رجل نزول الماء الزلال على الكبد الحمرى . —
فالجاحظ مولع بالفن ولا يقنع في خلد أحد أن ولعه بالفن يغني به الى تحقير المعاني فانه
يعظم المعاني ويعطيها قسطها فن قوله في ذلك وقد اعجبه تمام التشبيه وضراوة المعنى وشرف
هذا المعنى^(٢) :

« ولا يعلم في الارض شاعر تقدم في تشبيه مصيب تام وفي معنى غريب عجيب او في معنى
شريف كريم او في بديع مخترع الا وكل من جاء من الشعراء من بعده او معه ان هو لم يقدر على
لفظه فيسرق بعضه او يدعيه بامرء فانه لا بدع ان يستعين بالمعنى ويجعل نفسه شريكاً فيه
كالمعنى الذي تتنازع الشعراء فتختلف الفاظهم واعاريض اشعارهم ولا يكون أحد منهم
أحق بذلك المعنى من صاحبه اولعله يجحد انه سمع بذلك المعنى قط وقال انه خطر على بالي من
غير سماع كما خطر على بال الاول هذا اذا قرعوه به إلا ما كان من عنبرة في صفة الذباب فانه
وصفه فأجاد وصفه فقامى معناه جميع الشعراء فلم يعرضوا له ولقد عرض له بعض المحدثين ممن
كان يحسن القول فبلغ من استكراهه لذلك المعنى ومن اضطرابه فيه انه صار دليلاً على سوء
طبعه في الشعر . قال عنبرة :

[١] راجع محاضرة الاسلوب في كتابي « المتنبي » .

[٢] الحيوان — الجزء الثالث من ٩٦ .

جاءت عليها كل عين ثرة فترك كل حديقة كالدرم
 قترى الذباب بها يغني وحده هزجاً كفعل الشارب المترنم
 غرداً يحك ذراعه بذراعه فعل المكب على الزناد الاجذم

قال : يريد فعل الاقطع المكب على الزناد والاجذم المقطوع اليدين فوصف الذباب اذا كان واقفاً ثم حك احدى يديه بالآخرى فشبهه عند ذلك برجل مقطوع اليدين يقدر يعودين ومتى سقط الذباب فهو بفعل ذلك ولم اسمع في هذا المعنى بشعر ارضاء غير شعر عنتره ٠ — «

وسواء أحسن عنتره في هذا المعنى على رأي فريق اول يحسن على رأي فريق آخر ان الجاحظ ذهب الى استحسان معانيه ولكنه لم يقتصر على استحسان المعاني وحدها فان معاني عنتره في هذه الايات ان لم تصورها لغة شعرية تصويراً ناعماً لما كان لها هذه القيمة فالجاحظ لم يذهب الى استحسان الالفاظ الا لان الالفاظ هي التي تبرز المعاني وتثبتها في الازهار على تراخي الاحقاب ، اما اجادة عنتره في اياته او عدم اجادته فانما هذه مسألة متعلقها الذوق ولا جدال في الذوق فقد نستحسن معنى ويستقبحها غيرنا وقد نستقبح فكراً لا يستقبحه الناس فالذي يستنبط من كل ما تقدم ان استحسان الالفاظ على مذهب الجاحظ انما وجه اعطاء المعاني حقوقها من هذه الالفاظ بحسب مقاديرها حتى يكون لها الاثر الخالد فهو لا يتهاون بوضع الالفاظ في مواضعها لأن اللفظ اذا لم يصب في قلبه شوه المعنى او قلبه او اضاعه كلفظ : يحنون في البيت الآتي قال الجاحظ وفي مفعول شعر النابغة ^(١) :

فألقيت الأمانة لم تخنها كذلك كان نوح لا يحنون

وليس لهذا الكلام وجه وانما ذلك كقولهم كان داود لا يحنون وكذلك كانت موسى لا يحنون عليهما السلام وهم وان لم يكونوا في حالة من الحالات اصحاب خيانة ولا تجوز عليهم فان الناس انما يضربون المثل بالشئ النادر من فعل الرجال ومن سائر امورهم كما قالوا : عيسى ابن مريم روح الله وموسى كليم الله وابراهيم خليل الرحمن صلى الله عليهم وسلم ، ولو ذكر ذا كرو الصبر على البلاء فقال : كذلك كان ابوب لا يحنون كان قولاً صحيحاً ولو كان كذلك

نوح عليه السلام لا يجوز لم تكن الكلمة أعطيت حقها ولو ذكر الاحتيال وتجبرع الغيظ فقال : وكذلك كان معاوية لا يسفه وكان الاحنف لا يفتش لكان كلاماً مصروقاً عن جهته ولو قال : كذلك كان حاتم لا يبخل لكان ذلك كلاماً معروفاً ولكان القول قد وقع موقعه وان كان حاتم لا يعرف بقلة الاحتمال وبالتسرع الى المكافأة ولو قال : سألتك فنهتني ، وقد كان الشعبي لا يمنع وكن النخعي لا يقول لا لكان غير محمود في جهة البيان وان كان ممن يعطي ويختار نعم عى لا ولكن لما يكن ذلك هو المشهور من امرهما لم تصرف الامثال اليهما ولم تضرب بهما — ٠ «

فأتم ترون ان كل مذهب الجاحظ في اساليب نقده انما هو اعطاء الكلمة حقها حتى يقع القول موقعه وحتى يكون محموداً في جهة البيان فالجاحظ من هذا السبب من اكبر رجال الفن واذا نظرتم غداً في لغته تبين لكم كيف يعطي الكلام حقونه — ٠

وقد حمله مذهبه هذا واعني به ائزال اللفظ في منزله دون شيء من الغلو في استعمال الالفاظ على ائزال المعاني في منازلها دون شيء من المبالغة في تصور هذه المعاني وتخيلها فكأنه يتذم من الغلو في اللفظ فكذلك يتذم من الغلو في المعنى فهو لا يريد من المعاني الا ما كان صادقاً فمن قوله ^(١) :

« واذا استوحش الانسان مثل له الشيء الصغير في صورة الكبير وارتاب وتفرق ذهنه وانتفضت اخلاطه فبرى ما لا يرى ويسمع ما لا يسمع ويتوهم على الشيء الصغير الحقير انه عظيم جليل ثم جعلوا ما تصور لهم من ذلك شعراً تناشدوه واحاديث توارثوها فازدادوا بذلك ايماناً ونشأ عليه الناشئ وربى به الطفل فصار احدهم حين يتوسط الفيافي وتشتمل عليه الفيطان في الليالي الحنادس فعند اول وحشة او فزعة وعند صباح يوم ومحاربة صدى وقد رأى كل باطل وتوهم كل زور وربما كان في الجنس واصل الطبيعة تفاجأ كذاباً وصاحب تشنيع وتهويل فيقول في ذلك من الشعر على حسب هذه العفة فعند ذلك يقول : رأيت الفيلان وكنت السملة ثم يتجاوز ذلك الى ان يقول : رافقتها ، ثم يتجاوز ذلك الى ان يقول : تزوجتها ، قال عبيد ابن ايوب :

فله در الغول اي رفيقة لصاحب قفر خائف متنفر

وقال :

أهذا رفيق الغول والذئب والذي يهيم بريات الجمال المواصل

وقال آخر :

اخوف قرات حالف الجن وانتق من الانس حتى قد تقضت وسائله
له نسب الأنسى يعرف نجله وللجن منه خلقه وشماله

ومما زادهم في هذا الباب وأغراهم به ومدّ لهم فيه انهم ليس يلقون بهذه الاشعار وبهذه الاخبار الاعرابيا مثلهم والاعرابيا لم يأخذ نفسه قط لتمييز ما يوجب التصديق والتصديق والشك ولم يسلك سبيل التوقف والتثبت في هذه الاجناس قط وامانت يلقوا راوية شعر او صاحب خبر فالراوية عديم كلما كان الاعرابي اكذب في شعره كان اطرف عندهم وصارت روايته اغلب ومضاحيك حديثها اكثر فلذلك صار بعضهم بدعي رؤية الغول او قتلها او امر اقتها او تزويجها وآخر يزعم انه رافق في مغازة نمرأ فكان يطاعمه ويواكله —

ولكن الجاحظ على اهتمامه بالالفاظ وفرط اعتنائه بالصنعة ، وعلى شدة ميله الى السلف الطيب والاعراب الاتعاح الذين لم يجد لهم الفاظاً مسخوطة ولا معاني مدخولة ولا طبعاً ردياً ولا قولاً مستكرهاً ، لم يؤثر المحافظة على اساليب المتقدمين التي تنسأت اليه من عصر الجاهلية والاسلام وانما رأى لكل عصر اطواراً وان الانتقال من طور الى طور انما هو من علامات الحياة —

اتصل الجاحظ بعصر انقلبت فيه الافكار كل منقلب ، فقد نقلت في ذلك العصر كتب الهند وترجمت حكم اليونانيين وحولت آداب الفرس فكانت لهذه الافكار المنقولة تأثير في ادب العرب فقد استوجبت هذه الافكار صيفاً حديثة لاعدد للبرية بها فدخل النثر في طور لم يدخله من قبل ، ولم يكن الشعر بمعزل عن آثار الانقلاب فان الشعراء اتصلوا بخلفاء متقلبين في اعطاف الحضارة والتعميم فكان من بدائه الامور ان يكوّن في شعرهم اثر من صور هذه الحياة الحديثة —

ومن هؤلاء الشعراء الذين ظهرت على شعرهم آثار حديثة تختلف عن الآثار التي كانت

تظهر على الشعر من قبلهم في الجاهلية والاسلام بشار وابونواس والبحري واصراهم —
 فكما انتقل الجاحظ في النثر من طور الى طور فلجأ الى اساليب تستطيع ان تستوعب
 الآثار المنقولة فكذلك انتقل ذوقه في الشعر من طور الى طور فاختر من هذا الشعر ما ظهرت
 عليه آثار الانقلاب فلم يوثق المحافظة على الآثار القديمة وإنما تطلب الصور الحديثة دون المبالاة
 بالعصية التي تعترض على الذين يفضلون شعرا هل البدو —
 فمن الطبيعي بعد هذا الانقلاب ان يفضل ابانواس او بشاراً من الذين وسعوا آفاق الشعر
 ولم يضيقوا هذه الآفاق —

فاذا تناول مثلاً حماد عجرد لبشار وقال فيه ابياتاً ناضل الجاحظ عن بشار فقال^(١) :
 « وما ينبغي لبشار ان يناظر حماداً من جهة الشعر وما يتعلق بالشعر لان حماداً في
 الخفيض وبشاراً مع العثوق وليس في الارض مولد قروي بعد شعره في المحدث الا وبشار
 اشعر منه — »

ولا يعرف الجاحظ شاعراً بعد بشار اشعر من ابينواس^(٢) —
 وله آراء كثيرة في ابينواس تتعلق بفصاحة أسلوبه وجودة طبعه —
 منها قوله^(٣) :

« مارأيت رجلاً اعلم باللغة من ابينواس ولا فصيح لهجة مع مجانة الاستكراه — »
 ومنها قوله بعد ان ذكر رجلاً له^(٤) :

« وانا كتبت لك رجزه في هذا الباب لانه كان عالماً راوية وكان قد لعب بالكلاب
 زماناً وعرف منها ما لا تعرفه الاعراب وذلك موجود في شعره وصفات الكلاب مستقصاة في
 اراجيزه هذا مع جودة الطبع وجودة السبك والحدق بالصنعة وان تأملت شعره فضلكه الان
 تعترض عليك فيه العصية او ترى ان اهل البدو ابدأ اشعر وان المولدين لا يقاربونهم في شيء

[١] الحيوان — الجزء الرابع ص ١٤٥

[٢] = = = ص ١٤٦

[٣] طبقات الانباري — ص ٩٧

[٤] الحيوان — الجزء الثاني ص ١٠

فان اعترض هذا الباب عليك فانك لا تبصر الحق من الباطل مادمت مغلوباً — «
ليس معنى هذا كله ان الجاحظ يفضل المولدين من الشعراء على شعراء الجاهلية والاسلام
وانما معناه ان الجاحظ يماشي عصره ، فكما ماشى هذا العصر في تجديده النثر بسبب جدة
الافكار فكذلك ماشاه في استحسان الشعر المولود. والا فان الجاحظ ما كان يتأخر من
ضرب الامثال بامرئ القيس بن حجر والنابعة الذي يافي وزهير بن ابي سلمى ثم يجرى والاختال
والفرزدق^(١) —

دمشق : في ٢٣ كانون الثاني سنة ١٩٣٢

— (= * ٤ : ٩ * =) —

كتاب التكملة والصلة والذيل

للقاموس

— (١٠) —

في خزانة القرويين عمرها الله بفاس ذات النفائس والمخطوطات النادرة المؤسسة في الدولة المرينية دولة العرفان والعلم على يد نابغة ملوكها الأعظم أبي عنان المريني سنة ٧٥٠ هـ — توجد نسخة من الكتاب ذي الاسم أعلاه بخط مؤلفه أبي الفيض محمد مرتضى الحديفي الزيدي ثم المصري المتوفى بها سنة خمس ومائتين والفرق وهي مبيضة رعايا طرره في مجلدين ضميمين يشتمل الاول منهما على ٤٢٦ ورقة والاخير على ٢٤٧ ورقة طول كل ورقة ٢٢ سنتيماً في عرض ١٨ تحت عدد ورق ح ٨٠ — ١٣٦ .

فالجزء الاول يضم بين دفتيه من باب حرف الهزة الى آخر حرف الراء . والثاني يضم حرف الهاء والواو والياء فقط مكتوبان بكاغد به تلاش . وفي ايل الجزء الاول يتر حيث لا توجد به خطبة الكتاب ولا توجد به فصول الالف والباء والتاء والجيم والحاء من باب الهزة ويوجد بكل من الجزئين تمزيق يسير وخرق السوس والتنقيع . نعم يمكن الاستفادة منه الا يسيراً مع مشقة .

سطور كل صفحة من ١٦ الى ١٨ الى ٢١ على غير نظام اذ كانت مؤلفه يزيد ماظر له احاطه ولم يتقيد بمسطرة خاصة وربما كل بالطرة .

ويوجد فراغ بين المجلد الاول والاخير وهو الحروف الساقطة بين حرفي الراء والهاء فاما ان يكون هناك مجلد تام قد ضاع او مجلدان وهذا بعيد اذ لم يكن بين فراغ المؤلف من تبويض المجلد الاول والاخير الا نحو سبعة اشهر هي التي يبض فيها الجزء الاخير . ويمكن ان يبض ذلك قبل او بعد ان وجد . نعم قد يكون يبض في الزمن المذكور جزء آخر ثالثاً

او جزءين ولكن من باب خرق العادة وطى الزمن ودونك تاريخ الجزءين مدققاً باليوم والساعة :

يوجد في آخر المجلد الاول مانعه بالحرف الواحد : تم حرف الراء والحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وكان الفراغ من ذلك في الثالثة من ليلة الاربعاء لست بقين من شوال من شهر سنة احدى بعد المائتين والف على يد مسوده العبد الفقير ابي الفيض محمد مرتضى الحسيني غفر الله له بمنه وكرمه آمين .

ويوجد في آخر المجلد الاخير مانعه : وهذا آخر الكتاب الذي سميت به التكملة والصلة والذي يل لمافات صاحب القاموس من اللغة مما ملأه الحفظ واوله الاطوار من ذكر اللغات التي وصلت اليها وغرائب الالفاظ التي انشأت اليها وهذا بعد ان عانيت كبراً واحطت بما جمع من كتب اللغة خبراً وخبرة . ولم آل جهداً في التقرير والتحرير والتحقيق وايراد ما هو حقيقى واطراح ما لا تدعو الضرورة الى ذكره حذراً من اضجار مسائله وتخفيفاً على قارئه وان كان مامن الله به من التوسعة ونفعه من الاقتدار على البسط وزيادة الشواهد من فصيح الاشعار وشوارد الالفاظ الي غير ذلك مما عجز عن اداء شكره . ليكون للتأديبين معيناً ولم على معرفة غوامض لغات الكلام الالهى واللفظ النبوي معيناً . وقد اعفيت من الحشو وبينت العوالب فيه بقدر معرفتي ونقيته من التصحيف والمغبر [كذا] والخطأ المستفحش والتفسير المازد . الى آخر ما اطال به في مدح الكتاب . ثم قال وقد نهيت فيه على مواضع وقع المصنف فيها خطأ إما سهواً او هو من تغيير النساخ مع اني لا آمن ان اقع فيما وقع فيه والله المستعان .

ثم ذكر الكتاب التي منها اخذ وعليها اعتمد قال وان كان يسبق في الخطبة الحوالة فيها على اصل الشرح ولكن اذكر هنا المشاهير منها واقتصر على بعضها دون كلها : فن كتب اللغة التي هي بمنزلة الاصول الجوهرة لابن دريد والصحاح للجوهري والتهذيب للزهري والحكم لابن سيده واللباب للغانى والتكلمة على الصحاح له ايضا . فهذه الستة هي كالاصول في علم اللغة وتهذيب التهذيب للارموي . وما عرفت من لابن بري فبواسطة هذا الكتاب ثم ذكر كتباً اخرى في اللغة والانساب وفي الرجال والصحابة واسماء البلدان الى غير ذلك من غرائب الكتب المولفة في انواع من اللغة ككتاب السرج واللبان لابن دريد

وكتاب ايمان العرب له وكتاب^(١) غريب الحمام المفدى وعدد كتباً أخرى الى ان قال : ومن الله ارجو حسن الثواب وبرحمته اعتصم من هول يوم المآب وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً كثيراً ابداً والحمد لله رب العالمين . انتهى ذلك في الثالثة من نهار الجمعة المباركة الثاني والعشرين من جمادى خمسة (كذا) سنة ١٢٠٣ احسن الله ختامها . وكتب ابو الفيض محمد مرتضى الحسيني غفر الله ذنوبه وستر عيوبه بمنه وكرمه حامداً لله تعالى ومصلحاً له . واني لا أعجب من الجري في مؤرخ مصر حيث ترجم لمرتضى المذكور وعدد تواليفه واهمل ذكر تكملة القاموس المذكورة على اهميتها مع كونه تليذه لكنه هو نفسه معترف بانه لم يستوعب كل تواليفه ذكراً .

وهاكم انموذجاً من الكتاب :

ففي اول ورقة من الجزء الاول المبتور هذه العبارة : (جبا الجراد) هجم على البلد وكل طالع فجأة جاني و (جبا جيوء) خنس و (الجباثة) المرأة تذبوعها العيون هذا ما يوجد اول الجزء الاول .

وفي الورقة ٣ من الجزء الاول ايضاً : فصل الحاء مع الهزة (الشيبة) كهزمة المرأة تطلع ثم تختفي قال الزيرقان بن بدر : ان ابض كثنائي الي الخبأة الطلعة ويروى الطالعة القباة (كذا) وخبأ الشيء حفظه كخبأه وخبأه بالكسر لغة في الخبأ بالفتح لما خبي وغاب وخبأ بالارض ما يجوده الزراع من البذر او ما خبأه الله من معادن الارض جمع خبيثة .

وقال في فصل الميم مع الهزة :

المروءة ذكرها المصنف ولم يضبطها ولم يحدها وهي بضم الميم والراء ممدودة وقد تشدد وللعامية في النطق بها اختلاف فمنهم من يقول مروءة بالفتح ومنهم من يقول بالتشديد مع فتح الميم ومنهم من يقول بضم الميم وفتح الراء مع التشديد وكل ذلك خطأ واما حدها فاختلف فيه ففي العباب هي الانسانية وكمال الرجولية انتهى . وسئل عنها الاحنف فقال هي العفة والحرفة وقال غيره هي ان لا تفعل في السر امراً وانت تستحي ان تفعله جهراً الى ان قال وقيل هي السمات الحسن وحفظ اللسان وتجنب المجنون . وقرأ صار ذا مروءة الى ان قال ويقال في تصغير المروء

(١) [المجمع] قوله (كتاب غريب الحمام المفدى) في مقدمة التاج [كتاب الحمام

والهدى] .

والمرأة مرثي (كذا) ومرثية (كذا) . ويقال في امرأة امرأة غير مهجوز بعد الراي عن ابن عديس في الباهر ونقله اللبلي^(١) في شرح الفصيح ومرأ كمنع اطعم على بناء دار او تزويج الخ اه . وكل ما تقدم نقله يمكن ان يستغنى عنه بماله في الشرح .

وقال في فصل الراي مع الخاء :

الزرخ اسم له صاحب القاموس وقال الصفا في هو الزج بالرحم والمزرخة بالكسر ما يزخ به والمصنف اوردته بتقديم الراي فوم . ما صبت منه زرنفة بالكسر اي شيئاً .

وقال ايضاً في فصل الشين مع الخاء :

الشخاخ كفراب البول نفسه والمشقة موضعه ورجل شخاخ كثيره وهي بهاء . وكسحاب بالشين^(٢) منها عبد الرحمن بن محمد بن عبد الرحمن الشخاخي . روى عن البخاري مات بالشاش سنة ٣٢٣ الخ .

وقال في فصل اللام والحاء المهمل :

اسلطح الشيء طال وعرض والرجل انبسط ووقع على ظهره . وانا مسلطح واسع عريض .

وما في هذه المواد الثلاث الاخيرة زائد على ماله في الشرح وعلى اقرب الموارد ايضاً بل صاحب اقرب الموارد وقع فيه صاحب القاموس في زرخ . فيظهر ان الكتاب ضروري لعشاق اللغة العربية ومن يريد التوسع فيها . ولقد ظفرت بنسخة أخرى عند بعض علماء فاس لجله مشتملة على افتتاحية الكتاب يمكن منها جبر الكسر او بعضه وبالله الاستعانة .

الرباط (مراكش) محمد الحجوي

—(***:*)—

(١) [المجمع] لعل صوابه اللبلي كما يفهم من كشف الظنون .

(٢) [المجمع] في معجم البلدان قرية من قرى الشاش ينسب اليها ابو محمد عبد الرحمن بن

محمد بن عبد الخالق البخاري الشخاخي فصوابه بالشاش .

« سيرة » الامام محمد بن اسحاق المطلي

« المتوفى سنة ١٥١ »

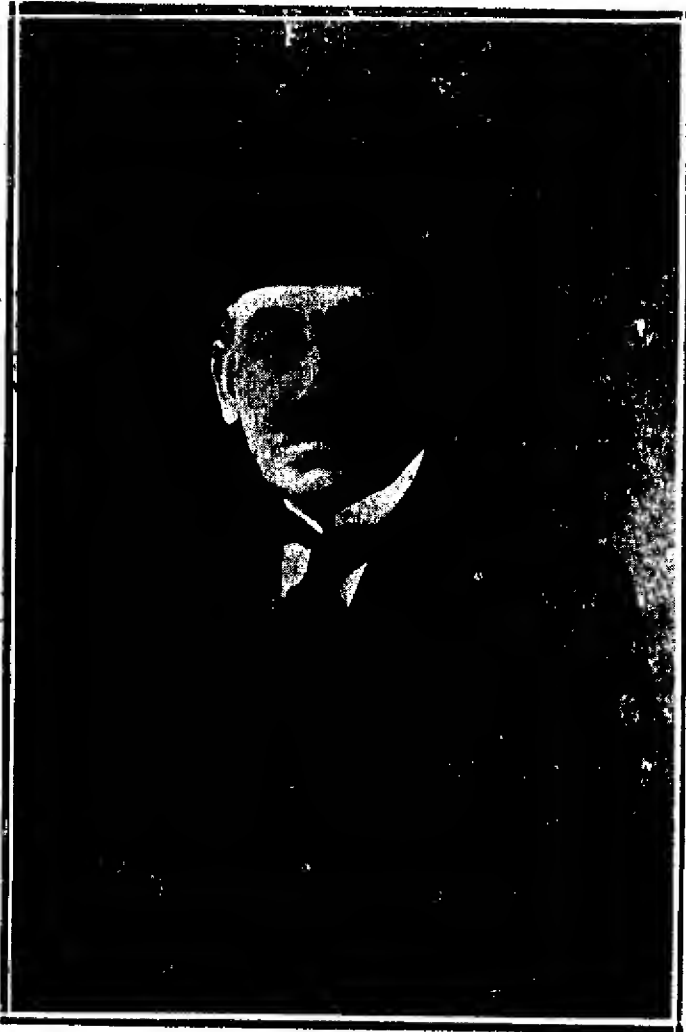
من جملة نفائس المكتبة القروبة الفاسية مجلد مخطوط اثر نفيس حوى الاجزاء ٣ و ٣ و ٤
وه من السيرة اعلاه تجزئة عشرين ولقد نابلتها بسيرة ابن هشام المختصرة منها فاذا الفرق
بينها زيادات في الاولى لا توجد في الثانية كما ان في الثانية زيادات لابن هشام معروفة وعلى كل
جزء من الاجزاء الاربعة خطوط جماعة من علماء المشرق والمغرب واجازات وسماعات عجيبة
على نسق ما كان معروفا عند الحفاظ المتقنين المتصدين للتحريرو والاتقان والتثبت في النقل الذي
لا وجود له في عصرنا الحاضر .

هذه السيرة هي من رواية الشيخ ابي الحسين احمد بن محمد بن النور البزار عن ابي طاهر
المخلص عن رضوان عن احمد بن عبد الجبار الطاردي عن يونس بن بكير عن مؤلفها الامام
محمد بن اسحاق المطلي رضي الله عنهم .

وهذا المجلد الشاهد العدل الذي لا قبل الطعن — سهم مصيب في نحر الجحود بين الذين
يزعمون ان لا وجود للسيرة الاسحاقية ويتهمون ابن هشام كما اتهموا رواة الشعر الجاهلي
وكما يتهمون ابصارهم في شمس الظهيرة .

محمد الحجوي

الاستاذ السيد زكي مغامر^(١)



(١) عضو المجمع العلمي والمتوفى في هذه السنة .

وُلد السيد زكي مغاخر في حلب سنة ١٨٧١ م وكان جده غنياً فاعتنى بتربيته وادخله مدرسة الفرنسيين وكان وبعد قليل مات جده فسافر الى العمق وبقي فيه مع والده نحو خمس سنوات اقتبس في خلالها اللغة التركية من التركمان القاطنين في تلك الجهات ثم عاد الى حلب فدخل المدرسة الرشدية العسكرية ولم يكن قد تعود الدرس فجعل يدرس في الليل والنهار وهو لا يفهم معنى ما يدرس فكان يبكي أحياناً وكان عمره يومئذ ثلاث عشرة سنة لكنه لم تمض عليه مدة حتى أصبح الاول في صفه . وبقي يتدرج كذلك محافظاً على الاولوية حتى اخذ الشهادة المدرسية وسافر الى الاستانة ليدخل في المدرسة العسكرية الطبية ولكن اى ناظرها الارمني قبوله تعصباً منه فقال الى الصحافة فعين محرراً في جريدة (ساعات) اليومية ومن ذلك الحين اخذ اسمه في الاشتهار بين الاثراك ثم ازداد شهرة بين أدبائهم بما كان يكتبه في مجلة (مكتب) وقد عدوه في الطبقة الاولى ثم أفلت هذه المجلة فاشترك مع صديقه الشاعر (فائق اسعد بك) على نشر مجلة باسم (عندليب - زكي) و (عندليب) بوقيع (لفائق اسعد بك) كان يوقع به اشعاره . ثم ان السلطان عبد الحميد نفي (عندليب) الى سيواس فأفلت المجلة . ثم اخذ (المترجم) يخرج في جريدة (إقدام) لصاحبها احمد جودت بك فبقي عدة سنين ولما انشأ (ظاهر بك) جرائده ومجلاته تقلد المترجم رئاسة تحريرها كلها اكثر من سنة وكان الاحتياج رائده في قبول رئاسة التحرير . وقد غلبت الحرية على طبعة جريدة (معلومات) العربية احدى الجرائد التي تولى (المترجم) تحريرها فكانت الصحف العربية والاسلامية المنشورة في جميع الاقطار تقتبس منها وتحتج بما ينشر فيها . ولما وفد بطريرك الروم الكاثوليك في الشام (بطرس الجرجي) الى الاستانة نوه المترجم به في صحفها بما لم يعتد سماعه في حق بطاركة العرب فلفت ذلك نظر البطريرك اليه واستصعبه معه لينكتب له عرائضه وبذلك تعرف برجال المابين معرفة شخصية وعي اثرها جرى تعيينه عضواً في مجلس بلدية العاصمة واذ ذاك ترك التحرير في الصحف عدا جريدة (إقدام) فبقى يحرر فيها ويرسل الصحف العربية المصرية كالمؤيد والواء ثم احس محلاً تجارياً في الاستانة لاختيه السيد جميل مغاخر وكان يساعده فيه كما يقوم بوظائفه الرسمية الاخرى ويقضي الليل في الدرس والتأليف ومكاتبه الصحف . ثم عين مديراً مجلة البوليس ثم عضواً في دائرة الترجمة والتأليف في نظارة المعارف ثم لما قامت الحكومة

الكألية عهدت اليه وكالة المعارف في انقرة امر تصحيح الكتب التي تطبع في (المطبعة العامة) وهي آخر وظائفه ومنها انتقل الى (التقاعد) .

ومن آثاره ترجمة كتاب (الرق في الاسلام) تأليف احمد شفيق باشا المصري ورسالة عن (بديع الزمان الهمذاني) وكتابا باسماء (مفتاح المكالمه العربية) . وترجم كتاب (التمدن الاسلامي) للرحوم جرجي زيدان وقد نشر تباعاً في جريدة (اقدام) وبذلك اشتهر جرجي زيدان عند الاتراك شهرة واسعة ثم ترجم رواية (ابى مسلم الخراساني) و (عروس فرغانه) و (صلاح الدين الايوبي) و (الاسماعيليين) وكلها لزيدان . كما ترجم كتاب (تجوير المرأة) للرحوم قاسم بك امين وكتب نحو عشرين مقالة عن حياة المثني في جريدة (بيام صباح) وخمس عشرة مقالة عن (ابى العلاء) في جريدة (اجتهاد) وبالجملة فان المترجم كان من اكبر العوامل في نشر آثار العرب وفضائلهم بين أديبا الاتراك المتأخرين .

وفي سنة ١٩٢٠ طلب اليه بعض الوراقين ان يترجم له القرآن الكريم من العربية الى التركية ففضى سنتين ونصفاً من حياته الادبية في ترجمة هذا الكتاب ترجمة خالية من الاغلاط ولكن بعد اتمام الترجمة قام جماعة من الحاسدين المتعصبين وطعنوا على الكتبى بفاف هذا على نفسه واخر طبع الكتاب فاستفاد من ذلك صاحب مكتبة (جهان مهران الارمني) وعهد بترجمة القرآن من الفرنسية الى احد الاتراك فجاءت ترجمة مشوهة وسارع لطبعها فتهافت الناس عليها واشتروها وكان لها اسوأ تأثير عند العلماء المدققين . ولكن الطابع استفاد من عمله فطبع الكتاب مرتين حتى علم الناس انها ترجمة غير صحيحة فنبذوها وكانت السبب اكساد التراجم التي نشرت بعده . اما ترجمة (المترجم) للقرآن الكريم فقد نشرها الكتبى خفية بعد زمان متأخر بعنوان (ترجمة قرآن كريم) ونسبها الى هبة طلمية وان (اسماعيل حقي) هو الذي صححها . ولم يفز الوراق بما كان يرغب فيه لان الناس اجعدوا عن اشتراء التراجم ونفروا منها . ويوجد من ترجمة المترجم نسخة في دار الجمع العلمي العربي ونسخ عديدة اخرى في تركية ومصر . ثم حولت الاحرف العربية الى حروف لاتينية فقامت جميع الكتب التي انتشرت بالحروف العربية .

وبينما كانت (المترجم) يرسل جريدة اللواء المصرية جاء الاستاذ الكاتب الفرنسي (بيير لوتي) ومعه كتاب توصية الى المترجم من مصطفى كمال صاحب اللواء فأصبح صديقاً حميماً له وكان المترجم يتلقى عنه الافرنسية وهو يتلقى التركية عن المترجم الذي كتب مقالات عديدة عن هذا الكاتب الكبير في إقدام وثرود فنون . وفي خزانة المترجم جميع مؤلفات هذا الكاتب العظيم وكلها مهداة اليه بخطه فضلاً عن المراسلات الكثيرة التي دارت بينها وربما نشر منها شيء في الصحف .

آراء وافكار

—(٥)—

النثر الجاهلي

بعد ان سكنت الضوضاء التي أحدثتها الاستاذ طه حسين حول (الشعر الجاهلي) منذ بضع سنين قامت اليوم ضجة أخرى حول (النثر الجاهلي) أحدثها تليذه الدكتور ذكي مبارك فقد نشر في جريدة (البلاغ المصرية) منذ حين مقالات بعنوان (النثر الجاهلي) و (نشأة النثر الفني) حرك بها من افلام كبار كتاب الادب في مصر فانبروا لتأييده في بعض مآذبه اليه ومعارضته في بعضه . وقد احببنا ان ننشر خلاصة من هذا الموضوع الجلم الفائدة .
الطريف الاثر في آدابنا العربية :

افتتح الدكتور مبارك مقاله الاول بهذا السؤال :

[هل كان العرب ثرثوني في عصور الجاهلية ؟ وهل كانوا يفصحون عن أغراضهم بغير الشعر والخطب والامثال ؟]

واجاب على ذلك مخطئاً اولاً من قال ان العرب قبل الاسلام لم يكن لهم وجود ادبي ولا سياسي . وقائل هذا القول امام سلم يرى ان الاسلام هو الذي خلق العرب ونقلهم من الظلمات الى النور . اومؤرخ يشك في مآثر عن العرب من الآثار الادبية . ومنهم من غلا فزعم ان عرب الجاهلية كانوا يعيشون عيشة اولية وهذه الحالة لا نسمع لهم بتولد النثر الفني فيهم . وصاحب هذا الرأي هو الموسىو (مرسيه) وشابعه عليه الدكتور طه حسين . ويراد بالنثر الفني ما يلجأ اليه الرجل لاداعة فكرة او دفع شبهة او إيضاح مشكلة . واستبعد الدكتور مبارك ان يكون للام التي تجاوز العرب كالفرس واليونان وغيرهم ثرثوني قبل الميلاد باكثر من خمسة قرون ثم لا يكون للعرب ثرثون بعد الميلاد بخمسة قرون .

قال والدليل على خطأهم في ذلك ان القرآن أشار الى انه كانت لدى العرب كتب تدرس وكتابة تمارس بدليل آية [وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه يمينك] فالنثر الفني كان موجوداً وكان يُكتب ويتداول . وعدم وصوله اليها لا يقتضي عدم وجوده . فهو قد ضاع لاسباب : اهمها شيوع الامية وقلة التدوين في الجاهلية وبعد ثرم عن الحياة الاسلامية التي حدثت بنزول القرآن .

وبعد ان اثبت الله كتور مبارك وجود النثر الجاهلي على هذه الصورة عاد يبحث عن طريق يثبت به كيف كان ثرم الفني ؟ وما هو أسلوبه ؟ وما هي الاتجاهات العقلية التي كان يرمي اليها كاتبو ذلك النثر في ذلك العصر ؟ ؟

فذهب الى ان النصوص المروية كأشجاع الكهات وعظائم الخطباء وخطب الوفود لا تكفي لتعيين اساليب النثر الجاهلي وهي على اثباتها مما وضع في العصر الأموي لاغراض دينية او سياسية او قومية أي بيان فضل العرب . وبعد ان افاض في اثبات رأيه هذا قال : والنتيجة اننا لا نستطيع ان نعطي النثر الفني الجاهلي لونا نعلقن اليه مادما لم نتطرق بنصوص صحيحة منه اماماروي من تلك النصوص فهو منحول مخنلق . وهذا الشعر الجاهلي ارتقاوا في صحة كثره مع ان الشعر يسهل حفظه ويعتني بروايته فكيف بالنثر وهو ليس بهذه المثابة . فاذا لم تكن النصوص المروية كافية في تعيين أسلوب النثر الفني فما هو الشيء الذي يثبت لنا ذلك ؟

اجاب الله كتور مبارك بانه القرآن . وبدعي ان رأيه هذا فيه مفاجأة خاصة يصعب التسليم بها على كثير من الباحثين المسلمين ولذا تغير اتجاه هذا البحث الى المتزاع الذي بعد ان كان ادبياً محضاً . فرد على الكاتب طائفة من انبل كتاب مصر امثال الاساندة محمد عبد المطلب [رحمه الله] ومحمد لطفي جمعة وفريد وجدي . ولا يخفى ان القرآن في اعتقاد المسلمين وحيهم الأبي فكيف يقول الله كتور انه نثر جاهلي .

وقد اجاب على هذا بان اتخاذ القرآن نموذجاً للنثر الجاهلي لا يلزم منه ان يكون القرآن وحياً أبيه كما لا يلزم منه ان لا يكون كذلك . وكل ما يريد اثباته هو ان أسلوب النثر الفني الجاهلي ان فقدنا نصوصه الاصلية الجاهلية فاننا نراه مصوراً وعملاً خيالياً يأتي القرآن التي ضربت على غرار ذلك النثر وهي تعطينا صورة صحيحة عنه . لانها انزلت لهداية اولئك

الجاهليين وارشادهم . ولا يمكن ذلك الا بمخاطبتهم بما يفهمون من الكلام والاساليب . وقد صرح القرآن نفسه بان الرسول لا يرسل الا بلسان قومه ليبين لهم . ولا معنى لهذا الا ان القرآن مفرغ في اساليب العرب الثرية الفنية حتى يتيسر فهمها فيستردوا بها . وكان الله كتور يقول هذا كل ما أريده من قولي ان القرآن نموذج للنثر الفني الجاهلي . أما كونه كلام الله لا كلام البشر او بالعكس فليس من مباحث الادب التي نحن في صددها . وقد تهكم الله كتور باستاذة [طه حسين] الذي قال ان القرآن [لا هو شعر ولا هو نثر وانما هو قرآن] . ثم ختم مقاله بقوله [واخلاصة ان القرآن نثر وانه دليل على ان العرب كن عندهم ثروة قبل الاسلام . فكان لهم بذلك وجود ادبي متين قبل ان يتصلوا بالفرس واليونان . وفي هذا قضاء على اوهام من زعموا] ويريد بهم موسيو ومرسيه وطه حسين . ان اول كاتب في اللغة العربية هو ابن المقفع الفارسي الاصل . وان العرب لم يكونوا يعرفون من قبل غير الخطب والاسجاع والامثال .

وبعد ان اثبت الله كتور مبارك انه كان للعرب الجاهليين ثروة في نموذج القرآن بحث في ان [الزخرف] الذي يهتم به علماء البلاغة هل اتصل بذلك النثر بمقتضى طبيعة اللغة العربية ام وصل اليها من الخارج حين اتصل العرب بالفرس واليونان ؟

يرى الموسيو [مرسيه] ان [الزخرف] اتصل باللغة العربية عن طريق الفرس وقال [طه حسين] انه جاءها عن طريق اليونان . وهذه الفكرة ترجع الى [رينان] القائل بان المدنية العربية غريبة عن العرب .

والد كتور مبارك لا ينكر ان كل أمة [ومنها العرب] تتأثر بمحضرة أم أخرى لكنه مع هذا يرى ان [الزخرف] عنصر اصيل في اللغة العربية . وشاهده على ذلك القرآن ايضا فهو مغمم بالزخرف والصنعة المحكمة التي تدل على ان المخاطبين بها وهم العرب يعرفون ماهي الكتابة الجيدة وما هو الأسلوب الجذاب . ثم اشار الله كتور الى ان البحث عن زخرف القرآن من اي جهة اتصل به هو بحث خطر : لان الرأي العام الاسلامي لا يسمح بدراسة القرآن درساً تحليلياً يبين ماهية العناصر العربية الاصلية والعناصر الدخيلة . ومع هذا فمعرفة الصفات الاصلية في النثر العربي ومحاكاة القرآن لا يتيسر لنا ما لم يصل اليها مجموعة نصوص صحيحة من النثر الفني الجاهلي تمثل لنا من ماضيه قرنين على الاقل . ومن اين لنا تلك المجموعة وليس في يدينا

الاقليل من النثر المنسوب الى القرن الذي يباشر ظهور الاسلام ومثله لا يمكن الركون اليه في معرفة طبيعة لغة من اللغات . فلم يبق لدينا الا القرآن وهو اثر عربي صرف لان الرسول الذي تلقاه عربي نشأ في بيئة عربية وبلغه بلسان عربي . اما اثر القرآن بأدب اجنبية فاحتمال محض وهو لا يغني من اليقين شيئاً فالزخرف الغني في القرآن طابع اصيل فيه فيكون طابعاً اصيلاً في لغة الجاهليين الذين خطبوا به وفهموه حق فهمه . واتمال العرب بالفرس قد يحدث تطوراً في هذا الزخرف لكنه ليس العلة الاولى فيه كما ظنه بعض المستشرقين . وهذا الزخرف او الخواص الفنية الموجودة في القرآن ووجدت في النصوص التي عاصرتة كالأحداث النبوية وخطب الخلفاء والقواد الذين جاؤا بعده بقليل فتم لنا بهذا ان لغة الجاهليين كان لها ثمرتي وان لذلك النثر الغني زخرفاً وصنعة أصيلة فيه كانت تزين نصوصه الكثيرة المفقودة والتي حاكها القرآن ووصفها لنا ابلغ وصف .

ولم يكف الله كثر مما مر من امر [الزخرف] بل تعداه الى العلوم المعريسة كالنحو والبلاغة والعروض والبديع فذهب الى انها اصيلة في لغة العرب بدليل وجودها في القرآن ولم تحدث في القرن الاول والثاني كما ظنه مؤرخو الآداب العربية . اذ لا يعقل ان يظهر كتاب كالقرآن بين قوم لم يفكروا في الفصاحة والعروض والنقد وطرائق التعبير فالقرآن ظهر في لغة تجاوزت طور الطفولة . واربابها المتكلمون بها لم يكونوا من الأمية بحيث وصفوا بل هم مستعدون — بثقافتهم الادبية — لفهم ما فيه من قواعد البلاغة واساليب البيان قال : بل أنا اذهب ابعد من ذلك فأقرر ان الاسلام كان تاجاً لنهضة علمية وادبية وسياسية واخلاقية واجتماعية في الحدود التي كان يستطيعها العرب .

فالاسلام لا يتصور ان يكون نقل العرب من ظلمات الى نور بل من نور الى نور انهم لكن نورهم الاول لم تصل اليها صورته المختلفة . لاقى الاسلام من المعارضة آلاف المعاصب أفيمكن الاقتناع بأنه لم يُنقل في معامع تلك المعارضة سوى ما نقل اليها من الخطب والرسائل ؟ اين السنة اليهود العرب والأشراف من قريش ؟ واين ما قاله الصحابة في الرد على خصومهم ؟ وكل ما نقل اليها لا يصف حياة العرب العقلية فلا بد أن يكون هناك آثار ونصوص اندثرت ولوبقيت لفقنها اسراراً حجة من حياة العرب العقلية وثقافتهم الادبية ومبلغ [الزخرف] الذي كانوا يزبون به لغتهم .

ثم اشار الدكتور الى ان ضياع آثار الجاهلية كان بالاسلام . وضياع آثار الاسلام كان بحروب الردة حتى كاد القرآن نفسه يتلاشى لولا ما فعله ابوبكر من جمعه وتدوينه فلعب الجاهلية علوم ادبية كانوا يهذقونها قبل ان اتصلوا بالفرس والروم في العهد العباسي؛ فاذا استكثر المستشرقون ومن لف لفهم من أدبائنا — على ابي الاسود الدؤلي ان يكون هو اول من فكر في وضع علم النحو فانا استقل — ان يكون هو المفكر الاول . بل اول من فكرم عرب الجاهلية الذين عرفوا النحو وغيره من العلوم الادبية . وما قبلته أتحمّل تبعته والدفاع عنه وارجوان يكون له اثر في فهم البيئة القديمة التي نزل فيها القرآن والتي سموها خطأ عصر الجهل وهي في رأيي عصر معرفة ونور .

ثم استشهد الدكتور بكلام لابن فارس يتنسم منه انه كانت للعرب معرفة بالنحو والعروض واصول اللغة وقواعد الكتابة . وهو على الجملة يرى ان العلوم العربية كانت معروفة قبل الاسلام . ومحققه الدكتور مبارك قبل الاسلام . ومحققه الدكتور مبارك في مقاليه هذين يمكن تلخيصه هكذا :

- [١] كان لعرب الجاهلية ثروة .
- [٢] زخرف الفن الذي كان في ثرم اصيل فيه لادخيل .
- [٣] آثار النثر الجاهلي ونصوصه لم يصل اليها الا النثر القليل المشكوك في صحته .
- [٤] القرآن هو وحده الاثر العربي الموثوق به الذي صور لنا النثر الفني الجاهلي .
- [٥] القرآن كما صور لنا نثر الجاهلية دلنا على انه كان لهم حياة عقلية وعلوم لغوية .

مطبوعات حديثة

==(())==

ترجمة القرآن الى الفرنسية

« بقلم المحامي احمد لايمش Ahmd Laïmèche وابن داود B. Ben Daoud »

« طبع بمطبعة : هنتر اخوان — وهران — في ٣٤٦ ص من »

« القطع الوسط »

لأدري ما الفائدة من ترجمة القرآن ؟ —

أفلا ترى ان لغة القرآن تشمل على اسرار لا يعرفها الا الراسخون في هذه اللغة فكثير من اساليبه لم يجر على الحقيقة وانما المراد به الجاز وصور الجاز تختلف في الام فالترجمون انما يترجمون ظواهر الكلام ويغفلون عن بواطنه فها هو اثر ترجمتهم —

خذ مثلاً من الامثال ، خذ هذه الآية : « ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم وعلى ابصارهم غشاوة ولهم عذاب عظيم — »

فقد ترجم المؤلفان ظاهر هذا الكلام وانما ائمة المفسرين ذهبوا غير هذا المذهب فالبيضادي يقول في تفسير هذه الآية :

« ولا ختم ولا تفتية على الحقيقة وانما المراد بها ان يحدث في نفوسهم هيئة تمرنهم على استحباب الكفر والمعاصي واستقباح الايمان والطاعات بسبب غيهم وانما كهم في التقليد وإعراضهم عن النظر الصحيح فتجعل قلوبهم بحيث لا ينفذ فيها الحق واسماعهم تعاف استماعه فتصير كأنها مستوثق منها بالختم الى آخر ما جاء في هذا التفسير الهان قال : وسماء على الاستعارة ختماً وتفتية »

فكيف يعرف الافرنجي الذي يقرأ ترجمة الآية ان في هذا الكلام استعارة وان

الخطم والتفشية لم يكن على الحقيقة ، واذا غاب عنه هذا الامر فكيف يدرك اسرار القرآن ، واذا هو لم يدرك اسرار القرآن فلست ادري كيف يكون نظره الى الآيات وكيف تكون قيمتها في نفسه . —

ثم ان المسلمين عرق شق منهم من ينظر الى ظواهر الآيات ومنهم من يتغلغل في بواطنها ، انظر مثلاً الى سورة التين : والتين والزيتون وطور سين ، فقد ترجم المؤلفان هذا الكلام على ظواهره وانما المفسرون ذهبوا مذاهب في تفسير هذا القسم فمنهم من زعم ان التين دمشق والزيتون فلسطين ومنهم من يقول وما تعرف دمشق إلا بدمشق ولا فلسطين الا بفلسطين وان كنا وانما وقفنا من ذكر التين على مقدار طعمه وانه نافع وانه غذاء قوي فقد اسأنا ظناً بالقرآن وجهلنا فضل التأويل . —

فكيف يعرف الافرنجي هذه الامور كلها وانما يحمل القسم على ظواهر الكلام ولا يحيط ببواطنه فتعنى عليه اسرار القرآن . —

ثم ان لكل لغة نغمات خاصة تعمل عملها في القلوب خذ سورة من السور ، خذ سورة الزلزال :

« اذا زلزلت الارض زلزالها . وأخرجت الارض اثقالها . وقال الانسان مالها ! .. »
أفلا تجد ان الزلزال انما هو امر عظيم وان هذا الامر العظيم انما يستلزم الفاظاً تدل على العظمة وان كلمة الزلزال وحدها فيها نفثة خاصة توحى اليك هذه العظمة ، وان هذا كله انما هو من عبقرية اللغة فكيف تستطيع ان تنقل هذه العبقرية من لغة الى لغة من دون ان تضع نغماتها واسرارها . —

شفيق جبري

في دولة الادب والبيان

[عمر ابوالنصر]

« ٢٢٣ صفحة من القطع الوسط طبع بمطبعة روضة الفنون »

« سنة ١٩٣٢ في بيروت »

— (١) —

مقالات في موضوعات شتى ، في الادب والنقد وفي تصوير طائفة من رجال الحكومة في لبنان ، هجم فيها الكاتب على خضم من المذاهب بشي من الجرأة فبقي - في اكثر هجماته على الساحل خوقاً من الفرق - .

صاحب هذه المقالات من المفتونين بكلمات التضريح والتعفير والتعطيل فلست تجد في خطرات نقده الا الفاظ الهدم والنقض واشباها .

مرة تحدثه نفسه بهدم اللغة فليس يضير اللغة في مزعمه ان يخطي احدنا في فتح الحاء وضم التاء وليس يسوء القواعد في مذهبه ان تبدل بعض الحركات الصرفية فهو يرى ان هذه المباحث انما هي قشور في الادب لكنه بعد هذه الثورة العارضة لا يلبث ان يهدأ فيرجع اليه فكره فيستنهض الناس للمحافظة على اللغة فحرام عليهم في رأيه ان ينتهكوا حرمتها .

ومرة يهجم في صدره ان يحطم الادباء كلهم فليس في الادب العربي في سورية على حسب دعواه ميزة ، وليس فيه لون جديد من الروايات الحياة فادبنا ضيق النواحي مضطرب النسيج ضعيف المادة فلا ينعم بالخلود اديب من ادباء العصر في باقيات الايام .

غير انه بعد هذه الهواجس يحاسب نفسه فيلهمه الله الصواب فيقول :

« اهدم ماشئت من رأي ثم اقمعنا بما عندك من رأي ومذهب ، هذا النقد الحق » .

فاذا خرج القاري من قراءة هذه الهجسات والخطرات بشي فلا يخرج باحسن من هذا القول .

شفيق جبري

الكتاب السنوي

« للمجمع المصري للثقافة العلمية »

عدد صفحاته ٢٣٢ صفحة بتخللها رسوم وتماوير فنية واحصاءات وبيانات

المجمع المصري للثقافة العلمية مجمع علمي يقم اليه عددًا من خيرة علماء مصر وقد خدم منذ ألف إلى اليوم اللغة العربية والعلوم المصرية خدمة جلى بنشر الكتب والقراء المحاضرات ونشرها مطبوعة .

وان في عداد المواد التي يتألف منها دستور هذا المجمع مؤتمرًا عامًا يقيم في اوائل كل عام تلى فيه محاضرات قيمة تنشر في كتاب سنوي . وهذا الذي نحن بصدد كتاب مؤتمره الذي التأم من ٢١ إلى ٢٧ مارس (آذار) سنة ١٩٣٠ يحوي احدى عشرة محاضرة في اهم الموضوعات العلمية والعدراية والتاريخية والطبية والصحية القساها اقطاب يستنار بشاه علمهم ، م الحكيم علي بك ابراهيم رئيس المجمع ، والاستاذ فؤاد مروف ، والاستاذ اسماعيل مظهر ، والحكيم علي مصطفى شرفه ، والحكيم جورجى صبحي ، والحكيم حسن صادق ، والحكيم اندراوس شخاشيري ، والاستاذ سلامة موسى ، والحكيم محمد شرف ، والحكيم محمد رضامدر ، والحكيم علي حسن . وبذكر اسماء هؤلاء الاعلام كفاية عن تقرير طويلا في موضوعها العلمي .

عبد الله رعد

الكنائس الشرقية البيزنطية

مؤلف هذا الكتاب الاب الياس اندراوس البولسي يأتي في مئتين وخمس وتسعين صفحة بقطع الربع مزينا برسوم جمّة تمثل بيعة وديرة وشخصيات بارزة تاريخية وحالية لعليّة الرؤساء الدينيين للكنائس التي كتب عنها .

عنى المؤلف بالكنائس الشرقية البيزنطية جماعات المسيحيين المنسبين للطقس البيزنطي سواء كانوا على المذهب الكاثوليكي ام على المذهب الارثوذكسي وتميزاً لم عن الكنائس الغربية المنسبة ذوها للطقس الروماني وهم الذين يستعملون في صلاتهم اللغة اللاتينية ويعرفون باللاتين . اما الذين عرفهم بالكنائس الشرقية البيزنطية فهم فروع يستعملون اليونانية والسلافية والالهانية والكرجية والعربية حسب الامصار وكلهم طقس واحد . وقد جعل المؤلف هذا الكتاب بمثابة دليل الى معرفة هذه الكنائس لجاء احصاء دقيقاً وقد استند فيه الى مصادر قيمة عددها في خاتمة كتابه .

شمل هذا الاحصاء عدد نفوس كل جماعة من هاته الجماعات مع ذكر مختصر لتاريخها وام بيعة وديرها وبرز رجالها وكيفية ادارتها . وفرق فيه لكل فرع بين اتباع المذهب الكاثوليكي منه واتباع المذهب الارثوذكسي من اجل المقابلة في الارقام وفي طرق الادارة وتوخى في ذلك نوعاً من التوسط وبعبارة أخرى رمى فيه دلوه بين الدلاء الناشدة التفاهم واصلاح ذات البين بين الفئتين الاختين وتوحيدهما .

اما لغة هذا الكتاب فعربية صحيحة لا بأس بها ، لا تكلف في عبارتها ولا خطأ او غريب في اعرابها وتلك خير طريقة في كتابة الكتب المعدة ان يفهمها العالم وغير العالم .
عبدالله رعد

شعراء الجزائر في العصر الحاضر

« جزء الأول في نحو ٢٠٠ صفحة وقد طبع في المطبعة التونسية »

[سنة ١٩٢٦]

كنت وأنا اتصفح تراجم هؤلاء الشعراء وأقرأ نظمهم وثرثم أشعر بامرئ قد هزنا
نفسه مسرة واعتباطاً . الامر الأول وحدة اللغة العربية القصصية بيننا معشر المشارقة وبين
أخواننا المغاربة فهم يكتبونها كما نكتبها ويتذقون بلاغيتها كما نتذوقها وبذلك تتوحد
منازعتنا ومشاربنا وهذه مزجة القرآن وهو العروة الوثقى التي تضم إليها ما تفرق من اطراف
الاقطار الاسلامية . والامر الثاني ما نراه من اللهجة الحادة في مخاطبة الطامعين ومقارعة
المتغلبين مما يدل على ان اليقظة أصبحت فيهم تامة كما هي في الاقطار المشرقية وانهم اخذوا
يفهمون الحياتين الاجتماعية والسياسية ويوفقون بينها وبين ما يأمر به القرآن وتتطلبه تعاليم
الاسلام . وهؤلاء الشعراء والكتاب في بلاد المغرب كافة بعد ان كانوا يعدون بالآحاد
اصبحوا يعدون بالعشرات بل والمئات . والكتاب يتضح ترجمة نحو (١٢) شاعراً
واديباً وقد زين برسومهم واودع الكثير الطيب من اشعارهم وعلق عليها ناشره الفاضل السيد
[محمد الهادي الزاهري] تعاليق لغوية توضح المبهم وتزيل الغموض الخفي المشكل .
« المغربي »

الاسلام في حاجة الى دعاية وتبشير

لأنرى إلحاح المبشرين في تبشيرهم الاسباب في نهضة الشعوب الاسلامية وانتباهها الى وجوب العمل على إصلاح تقاليدها وعاداتها وأخلاقها . وكنا نظن ان شمالي [أفريقية] هو أبعد الاقطار عن هذه النهضة أو اليقظة — وإذا الامر على العكس وإذا في تونس والجزائر بل والمغرب الأقصى نهضة وبقظة تحتذي مثال النهضة المصرية وتمشي على اثرها في مقاومة التبشير والمبشرين من ذلك مقالات بقلم الاستاذ محمد السعيد الزاهري الجزائري — كان نشرها أولاً في صحيفة [الفتح] وقد عاد اليوم فجردها في كتيب صغير .

« له »

تهذيب الاخلاق

« والتعلم الاجتماعي الوطني »

كتاب مدرسي بهذا العنوان ألفه [الخورى انطون عيسى] وقدر اعى فيه برنامج المعارف اللبنانية وضمنه المباحث الاخلاقية والاجتماعية التي لا يسمع الفتيان جهلها ولا طبع نفوسهم بطايعها . فواجبات الانسان إزاء خالقه . وصحة بدنه . وتوفير ماله . وإدارة منزله . وتربية اولاده — ثم موقفه إزاء المدرسة والمجتمع والدولة والوطن وسائر الامم — كل ذلك مما تضمنه الكتاب . واتى عليه مؤلفه ايضاحاً وشرحاً بالاسلوب اللين . والتعبير الهين . مقسماً الى دروس متقاودة . وابحاث متناسقة متناسبة .

« له »

هدية كتب الى المجمع

اهدى الى مكتبة مجمعنا السيد محمد بن محمد زيارة الحسين امير قصر صنعاء اليمن ونزيل القاهرة — طائفة من كتب العلم المفيدة ننشر اسماءها فيما يلي شاكرين له هديته :

١- الجزء الأول والثاني من تفسير الشوكاني المسمى [الفتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير] . والشوكاني اكبر عالم قام في اليمن بل في العالم الاسلامي في القرن الماضي وقد زاحم المجتهدين الاولين في فهم اسرار الدين وبكفي ان نقول هو صاحب (نيل الاوطار) وقد توفي في صنعاء سنة ١٢٥٠ هـ والكتاب طبع في مطبعة السيد مصطفى البابي الحلبي واولاده بمصر .

٢- الروض النضير شرح مجموع الفقه الكبير تأليف القاضي الحافظ شرف الدين الحسن بن احمد السياغي الصنعاني المتوفى سنة ١٢٢١ هـ وهو اربعة اجزاء كبار طبعت في مطبعة السعادة بجوار محافظة مصر .

٣- نعمة الروض النضير شرح مجموع الفقه الكبير للسيد الحافظ العباسي بن احمد الصنعاني وهو من المعاصرين الاحياء . والتتمة في مجلد يبلغ نحو ٣٥٠ صفحة .

٤- رسالة تتضمن ماقاله اجلة العلماء في الديار المصرية وغيرها في تقريب كتاب (الروض النضير) المذكور .

٥- كتاب (تحفة الذاكرين بعدة الحصن الحصين من كلام سيد المرسلين) تأليف الامام الشوكاني المذكور وقد طبع في مطبعة السيد مصطفى البابي .

٦- ترجيح اساليب القرآن على اساليب اليونان تأليف السيد محمد بن ابراهيم الوزير الحسيني الصنعاني مؤلف (اظهار الحق على الخلق) المتوفى سنة ١٢٤٠ هـ طبع في مطبعة المعاهد بجوار قسم الجمالية بمصر في نحو ٢٠٠ صفحة والكتاب يرمي الى لزوم الاكتفاء بالقرآن عن الفلسفة اليونانية التي اولع بها علماء الاسلام وبعض فرق كالمعتزلة وغيرهم .

٧- البرهان القاطع في اثبات الصانع وجميع ما جاءت به الشرائع تأليف السيد محمد الوزير المذكور طبع في المطبعة السلفية في نحو ٧٠ صفحة .

٨- مجموعة الرسائل اليمنية : خمسة منها في مجلد واحد :

- (١) الرسالة الوازنة للمعتدين عن سب صحابة سيد المرسلين تأليف الامام يحيى بن حمزة الحنفي .
- (٢) العقد الثمين في إثبات وصاية امير المؤمنين تأليف الامام الشوكاني .
- (٣) العصمة عن الضلال : عقيدة السيد الحسن بن احمد الجلال اليمني .
- (٤) فيض الشعاع الكاشف للقناع عن اركان الابتداع تأليف السيد الحسن المذكور .
- (٥) فرة العين في الجمع بين الصلاتين تأليف الفقيه حامد بن حسن شاكر الصنعاني .
- وكل هذه الرسائل طبعت في (ادارة الطباعة المنيرية) لصاحبها محمد منير الدمشقي والرسالة السادسة طبعت على حدة وهي [الوجه الحسن المذهب للتعز لمن طلب السنة ومشى على السنن] تأليف اسحق بن يوسف بن الامام المتوكل على الله اسماعيل المتوفى بصنعاء سنة ١١٧٣هـ طبعت في مطبعة الجمل بجوار الازهر .
- ٩- بهجة الجمال ومعجزة الكمال في المذموم والممدوح من الخصال في الأئمة والعمال تأليف شيخ الاسلام محمد بن يحيى بهران البهني الصعدي توفي سنة ٩٥٧هـ طبعت في مطبعة الجمل ايضاً .
- ١٠- نيل الوطر من تراجم رجال اليمن في القرن الثالث عشر^(١) .
- « المغربي »

— «*P*» —

الف ليلة وليلة تاريخ حياتها^(١)

« المحاضرة الاولى »



يخطو الدهر دائباً في وناه وكبرياء وصمت ، فيعفو الاثر . وبغري الحجر . وبيري الحديد ، وتنال يده العابثة كل شيء في حياة المرء بالتغيير والنقص ، الا شيئاً واحداً يلوذ منه بسواد القلب فيستقر في قراره ، ويمكن كمن السر في دخيلته وإسماره ، أريد به ذكريات الصبي ، واحلام الحداثة ، فهي باقية والجسم يتقونّه البري ، ثابته والعيش تزعره الاحداث ، ناضرة والمنى يصوتها اليأس ، مشرقة والنفس يغشاها من الم ظلام وسحب ، فمن منكم باسادة لا يذكر اول بيت أبصر فيه الوجود ، واول ملعب عرف فيه الرفيق ، واول مكتب رأى فيه المعلم ، واول موعد لاقى فيه الحبيب ؟ ومن منكم لا يذكر ساعات السمر اللذيذة المائدة ، في غرفة النوم الوثيرة الدافئة ، حيث كان أطفال الأسرة يتجمعون حول الجدّة الحنون . او الأم الرؤم . او الغلّز الحانية ، فينصتون في سكوت وشوق الى مائة صه عليهم من روائع الأسمار . وبدائع الأقاصيص ، وهم من طلاوة الحديث وجاذبية الحادث وبشاشة المحدث في حال لا يصف الشعور بها غير الشاعر ، ثم لا يلبث هذا الرحيق العجيب ان يخدر الاعصاب الطفلية الرقيقة ، فتغفو تحت جناح الكرى ، وتسمع بقية الحديث الشهي في الحلم !

هذه الاقاصيص الشائقة التي كانت لعقولنا الصغيرة سحراً ، ولعواطفنا المشوبة سحراً ،

(١) محاضرة للعلامة السيد احمد حسن الزيات عضو المجمع العلمي العربي ألقيت باسمه

في ردهة المحاضرات في ٢٦ شباط سنة ١٩٣٢ .

ولقلوبنا الفضة فتنة ، هي نوع من الاحلام والاماني تراءت في ليل الحياة الطويل ، ثم تجمعت في ذاكرة الزمن القديم ، وتنقلت من عهد الى عهد ، ومن مهد الى مهد ، ومن بلد الى بلد ، تحمل في طواياها نفحات الحكمة المشرقية العالية ، وعطور الازمن البعيدة السعيدة . فوجودها أثر لوجود الانسان ، لانها ظاهرة طبيعية من ظواهره : كالغناء والشعر والرقص فلا تعرف لها أولية . ولا تحدد في الغالب لظهورها علة . ولكن علماء الاساطير يزعمون أنها نشأت في الهند ، وهاجرت منها الى بلاد الفرس ، ثم رحلت الى بلاد العرب ، ثم استقر بها النوى في أقطار الغرب ، وفي كل مرحلة من هذه المراحل كانت تصطبغ بصبغة البيئة ، وتتأثر بخصائص الجنس ، وتنسم بسمات العقيدة .

وأما أبطالها الذين وجدوا على الرغم من قانون الوجود ، ونازعوا أبطال التاريخ ثوب الخلود ، فقد كان لبعضهم ولا شك حظ من الحياة ، وشهرة بملازمة الاسفار وملابسة الغير ، فحدث الناس أولاً بما فعلوا ثم سرعوا حول أسمائهم وأنبأهم الاكاذيب والاعاجيب حتى أصبحوا أعلاماً على شخصيات متميزة في البطولة والحرب والحب والحيلة والكرم : كدعد وليل في الشعر والبنو اس وجما في التنادر .

أما أكثر الابطال فمن خلق الخيال ، ابتدعهم رموزاً للثقل الاعلى ، او القدر العايب او الجد العائر ، او السلطان الجائر ، او الهوى المتسلط ، او الامل الآسي ، او الحظ السعيد .

وعلى ذكر الطفولة ومناغيات الامومة أراكم ولاريب تركتموني أنكم وعدتم بالذاكرة الى تلك العهود الحبية تخيلون سحرها ، وتستعيدون ذكرها ، ونصبغون الي ذلك الصوت الحنون ، ينبعث خافتاً من أعماق الماضي القريب او البعيد ، مردداً أسماء أولئك الابطال الذين طالما اكتبتم لا كتبناهم ، وتألمتم لمصائبهم ، وشاركتهم بالعطف في نعماء الحب ، وبأساء الحرب ، ولأواء الخطب : من أمثال حسن البصري ، ونور الدين المصري ، والشاطر محمد ، والشاطر حسن ، الى آخر ما سجلته الذاكرة . . .

انا كذلك يا سادتي ذكرت حين كتبت هذه السطور — هاتيك القبور التي ضمت هواي . ورفقة صباي ، ونوعاً من الحنان والاخلاص لم أذق له طعماً منذ غاض في هوة البلى منبعه . . . ثم ذكرت شيئاً آخر : ذكرت مجل من مجالي الأنس في القاهرة كان جمعة القلوب ،

وألفة النفوس ، واستجيم الخواطر ، فعصفت به روح المدينة الحديثة ، ذلك منظر المحدث
او القصاص او المسامر او الشاعر في مقهى الحى وهو في حلقه الشرقية الموقوفة الضافية ، فوق
صفته الخشبية البالية العالية ، وقد تجتمع بين يديه ، وعن يمينه ، وعن شماله ، أوزاع العامة ،
وشيوخ المحلة يستجمون من كلال العمل اليومي يرشف القهوة العريضة ، وتدخين النرجيلة
العجمية ، وتبادل المواطف الاخوية ، ثم الامصغاء المشترك الي (ابى درويش) وهو يقص
بصوته العريض المتشد ، وجرسه الهادي المتزن — حروب (عنتره) او وقائع (ابى زيد)
او مخاطر (ابن ذي يزن) فينقلهم بقوة تمثيله او يحسن ترتيبه ، على جناح الخيال — الي عصور
هؤلاء الابطال ، فيشهدهم مجد البطولة وسلطان الحب وفلك السحر وبطش المردة . ثم يرى
الخليث أن فورة الحماسة او الشوق قد طغت في النفوس لوقوع البطل في أسر اوشدة ، فيسكت
ليجمع النقوط من السمار والنظار . فلا يجد هؤلاء مندوحة عن تعجيله ليجهل هو الي إطلاق
البطل من أساره ، وإنقاذ الجمهور من شدة قلقه ومرارة انتظاره . . .

وفي ليلة من هذه الليالي الساهرة تجدون هذه القهوة ذات الضوء الشاحب ، والسمت
العالم ، والمنظر الكئيب — قد خففت فوقها الرايات ، وأشرقت في جوها الثريات ،
وتلألأت في سمائها المصابيح ، وأخذت زخرفها بالسامرين ، وقد جلسوا متقابلين على
الدكك العالية يطوف عليهم غلمان باكواب من ذوب السكر المعطر بماء الورد ، وصاحبنا
المحدث قد خرج الي القوم يتهادى في عمته المكورة وجبته المعصفرة وقفطانة الانيق الاصفر .
وقد تدلت من حزامه الحريري ذلاذل تنوس على بطنه المنتفخ الفخم . فاذا استوى على
عرشه المنجد — توجه الفخور من جانب وتضوعت العطور من جانب ثم خشت الاصوات
ورنت اليه العيون وأنشأ يحدث . فاذا بدا لاحد ان يسأل بعض الجالسين عن سبب هذا
المهرجان عجب اولاً من انه لا يعرفه ، ثم أجابه بلهجة الفخور المزهو : هذه ليلة زفاف عبلة
الي عنتره . . . فاذا كانت القصة قصة بني هلال — وجدتم هذا الهوى الجميع قد استحال
الي عصبية شنيعة . ورأيت اخوان الامس قد أصبحوا أعداء اليوم : فطائفة تنعصب لبني
هلال . وطائفة تنعصب لبني زناتة . وهؤلاء يريدون الشاعر على ان يقص واقعة . واولئك
يسألونه ان يقص اخرى ، والشاعر لا يجيب الا من يجوز له العطاء . فاذا رجعت كفة
وشالت كفة أخذ يروي من ذاكرته وغيبه — على هوى الفئة الغالبة مالم يسجله تاريخ . ولم

يدونه كتاب . فيزور الغرائب ، ويخلق الوقائع ، ويقمش مآخزنه في حافظته — من مختلف الاسمار ورقائق الاشعار ليحوى منها لليل جلة تهنى العجب في قلوب أشياعه ، وتلهب الغيرة في صدور خصومه ، فلم تفتحه أخرى تميل به الى الجهة الثانية ، وإما معركة بين الحزبين تكون هي القاضية .

هذا الرجل الذي صورته لكم هذه الصورة المتقاربة ، هذا الرجل الذي ينال النهار ويجلس الليل يحدث اربع ساعات متعاقبة ، هذا الرجل الفكه اللبق الحافظ الواعظ — هو الاثر التاريخي والنمذج الحقيقي ، لذلك القصاص البارع الذي خلف لنا كتابنا العالمي الخالد (الف ليلة وليلة) .

يرجع تاريخ هذا القصاص بإسادة الى صدر الاسلام ، والفضل في وجوده كان أيضاً للقرآن الكريم . فقد اشتمل كما تعلمون على مجملات من أخبار القرون الخالية والنذر الاولى ، وكان أعلم القوم يومئذ بتفصيلها — من أسلم من أهل الكتاب كقيم الداري ووهب بن منبه . وكتب الاحبار وعبد الله بن سلام : فكان هؤلاء ومن أخذ عنهم يجلسون الى الناس في المساجد ، يفصلون ما في كتاب الله من قصص الانبياء ، ويسرفون في تهويل هذه الانباء ، ابتغاء للمبرة ، والتأسي للموعظة ، ووافق هذا القرب من الوعظ هوى النفوس ، فازداد إقبال الناس عليه ، وكثر إفك القصاص فيه ، حتى طردهم أمير المؤمنين علي من المساجد ، ما خلا الحسن البصري .

ولكن دهاء السياسة رأوا سلطان هذا الفن على العقول وقوة أثره في توجيه الميول — فالتخذه لساناً للدعاية وسبيلاً لافتنال الاحاديث . واختلاق الافاصيص في الاغراض الحزبية المختلفة . بدأ بذلك معاوية فولد رجلاً على القصص كان اذا صلى الصبح جلس يذكر الله ورسوله ، ثم دعا الخليفة وحزبه ، ودعا على أهل خصومته وحزبه . وكان هو اذا انفلت من صلاة الفجر جلس الى القاص حتى يفرغ من قصصه ، وكان ولاته وقواده يقدمون القصص في بعض حروبهم ليقتصوا على المقاتلة أخبار الشهداء وما وعدوا به من حسن الجزاء . فعل ذلك الحجاج في العراق ، وجاراه فيه من حاربهم من زعماء الفرق . فقد ذكر ابن الاثير في حوادث سنة (٧٧) أن عتاب بن ورقاء سار في أصحابه قبيل المعركة يحرضهم على القتال

ويقص عليهم . ثم قال : اين القصص ؟ فلم يجبه احد . فقال : اين من يروي شعر عنترة ؟ فلم يجبه احد .

وسار الشعر والقصص في ركاب السياسة جنباً الى جنب يشبهان على الناس وجوه الرشد ، ويموتان على العقول صور الباطل ، والقصص كانوا في ذلك أشد وطأة على الحق : لانهم ينسبون ما يفترون الى التاريخ او الى الدين . فلما هذأت نائرة الاحزاب ، وشككت طائفة الفتن ، ونفجعت العقول — عاد القصص الى المسجد ، فوجد الواقع قد غلبه على مكانه ، والعالم قد فطن الى كذبه وبهتانه ، والخليفة قد استغنى عنه برواته وندمانه ، فانقلب الى العامة يسامرون في أملائهم وأعراسهم بما أثر من ايام العرب وتقل من أساطير العجم ، وروي من أخبار الفتوح .

وانتشر القصص في العواصم العربية حتى صاروا ظاهرة من ظواهر اجتماعها ، وحاجة من حاجات عامتها ورعاها ، واشتدت هذه الحاجة حين انفجرت الدواهي على العالم الاسلامي في أواخر العصر العباسي . وبعده : من عنف المتسلطين من السلاجقة ، وعنفس المتغلبين من المغول ، وغزو المتعصبين من الفرنك ، فطلبهم العمامة تفرجاً للكرب ، والخاصة تشجيعاً على الحرب ، ولكنهم كانوا في مصر أبرع صناعة ، وأتق بضاعة ، وأرفع مكانة ، لان طبيعة اقليمها ، ونظام اجتماعها . وطباع سكانها كانت تعين على ذلك : فهي قطر زراعي مملوء الرقعة ، متصل العمارة ، يجود بالخير الكثير ، على الجهد القليل ، فكان لذلك أهله قليلي الاسفار يؤمنون بكل خبر ، كثيري البطالة يميلون الى اللهو والسمر ، وكانوا لا ينفكون بين يسر متدفق طلق — اذا عم الفيضان ، وعدل السلطان ، واقتصاد الموت وعسر منجمهم كثر — اذا غش الغلاء ، وألح الوباء ، وبغى الحاكم . وعلى الحالين كان السامر او المسامر عنصرين من عناصر الحياة ينفتران بهجة العيش في الرخاء ، ويسر يات كربة النفس في الشدة .

وكان اول من تولى القصص الرسمي في مصر سليمان بن عنترة النجيب سنة ٣٨ تولاه مع القضاء ثم أفرد به ، ثم تعاقبت القصص من بعده في مصر على اختلاف بينهم في القدرة والغرض ، فكانوا أصداء للعقيدة ، وأبواقاً للسياسة ، تسمع منهم في كل عهد لهجة ، ولكل دولة سنداً وجمجة . وترون ذلك أقوى ظهوراً في عهد الفاطميين . فقد كان (يعقوب

ابن كلاس) وزير المعز يعتمد على المناظرات في نشر فقه الشيعة ، وعلى القصص في جذب القلوب لاهل البيت . وكان مقتل الامام (علي) ومأساة الامام (الحسين) موضوع المنايز والسوامر في شهري رمضان والمحرم .

وقيل ان ربة حدثت في قصر (العزير بالله) فتناقلتها الافواه ورددتها الاندية فطلب الى شيخ القصص يومثذ [يوسف بن اسماعيل ^(١)] ان يلقي الناس عنها بما هو أروع منها ، فوضع قصة عنتره ونشرها تباعاً في اثنين وسبعين جزءاً سمرت بها مجالس القاهرة منذ ذلك الحين الى اليوم وهي الباذة العرب لا ينافيها هذا الشرف الى الآن عمل ففي آخر .

وفي القرن الرابع للهجرة كانت فورة هذا الفن ونهضته في بغداد والقاهرة . ففي عهدي (المقتدر بالله العباسي) و (العزير بالله الفاطمي) كانت القصص الحكوميون والشعبيون يحشدون لوضع الاخبار ، ويتنافسون في جمع الاسمار ، من الوراقين والرحالين والعامه .

ولكن القصص في العراق كان من عمل الكتاب ، يصورون فيه أنبل عواطف الناس ، وأجمل مواقف الحياة ، وبلقونه زهوراً وعطوراً في مجالس الخلفاء ، وسوامر الملوك ، فكانت بلاغة المحدث وجلالة السامع ونبالة الموضوع تطبع القصة بطابع الجمال والاعتدال والقصر ، وتنزع بها الى السليقة الغريبة المحبولة على الایجاز والقصد في الشعر والخطب والرسائل والقصص .

فما جمعه ووضعه (الجهشياري) و (ابن دنان) و (ابن العطار) في القرن الرابع من الاقاصيص في الحب الطروب ، والترف المسرف ، وما وضعه من قبل هؤلاء (سهل بن هرون) و (علي بن داود) و (أبان بن عبد الحميد) من الاسمار في الامثال الرضية والحكمة العالية والسياسة الرشيدة ، وما صنعه من قبل هؤلاء (عيسى بن داب) و (هشام الكبي) و (الميثم بن عدي) من الاخبار في الهوى المذري والسخط العربي في الاسلام والجاهلية — كل اولئك موسوم بسمعة العقلية العربية الخالصة من حذف الفضول وترك الاستطراد وقلة المبالغة .

(١) وقيل انه الشاعر الطيب ابو المؤيد محمد بن الصائغ الجزري . ومن قال بهذا الرأي الاستاذ كوسين برسيغال الذي طبع لهذه السيرة ملخصاً في باريس .

أما القصص في مصر فكان غالباً من عمل القصاصين والمسامرين ، يلتقونه من الكتب ، ويتلقونه من الأفواه ، ويحدثون به الدهماء في المجالس العامة . ورزق هؤلاء القصاص على قدر ما عندهم من القصص . فإذا ما انقطع احدهم عن الحديث لنضوب معينه انقطعت به أسباب العيش ، فهم لذلك مضطرون الى تطويل الموضوع بالاستطراد ، وبسط الحوادث بالتزويد ، وجذب القلوب بالامغراب والمبالغة .

ومن ثم اتخذ الادب القصصي في مصر شكلاً لا عهد للادب العربي به . ذلك هو شكل القصة بالمعنى الذي نفهمه من كلمة رومان (Roman) في اصطلاح الفرنك ، فان المعروف الشائع من قبل — إنما كان المثل (Fable) والأقصوصة (Conte) والحكاية (nouvelle) وهذه الانواع قد تولد بعضها من بعض على نحو ما يرى الاستاذ (برونتير) الناقد الفرنسي من تطبيق مذهب (دارون) على الانواع الادبية ، فالأقصوصة نشأت من المثل ، والحكاية نشأت من الأقصوصة ، والقصة نشأت من الحكاية ، باتساع الخيال ، وفعل المبالغة ، وحكم الزمن . ولكن القصة العربية قد تأخر نشوؤها الى القرن الرابع حتى ظهرت بمصر ، لان عملها يقتضي التطويل والتحليل والعلم بطبائع الناس وأوصاف الشعوب ، والعرب في عهودهم الاولى كانوا أبعد بطبيعتهم ومعبشتهم عن هذه الامور ، ثم كانوا في عصور القحضر والاستقرار يؤثرون الخاصة بادبهم فيضطرون في حضرة الملوك ان يراعوا أدب الحديث فلا يفرقون في الحوادث حتى يجانب العقل ، ولا يسهبون في السمر حتى يجاوز المجلس ، ولا يسفون في القول حتى يصادم الخلق ، اما القصاص المصري فقد تهيأت له الانساب اللازمة لخلق القصة : كان سمير الاوزاع والعامة فلم يتقيد بهم بقوانين الخلق ، ولا بقضايا المنطق ولا بوقائع التاريخ ، فهو بصطنع اللهجة الصريحة ، ويستعمل الالفاظ القبيحة ، ويبالغ في الخلط والتلفيق ، قصداً الى الامغراب والتشويق ، ويعتمد غالباً على المفاجآت القوية ، ويستطرد كثيراً الى الحوادث العرضية ، ثم يصادم الوقائع ويشوه الحقائق ، لانه يجهلها ، والجمهور الذي يسمعه لا يعلمها ، فاستطاع بذلك ان يزور أغرب الحوادث ، ويجمع شتى الاحاديث ، ويترك لنا هذه المجموعة القصصية التي كانت ولا تزال للخاصة مبعث لذة ، وللعامّة مصدر ثقافة .

كان القصاص المصري يعتمد في مادته على ما يصدر عن بغداد من الاقاصيص الموضوعة

والمنقولة ، والروايات القديمة الصحيحة والمدخولة ، ثم يضيف الى ذلك ما تنوّل سيف مصر وما يجمع من الاخبار من التجار والرحالين والبحارين ، فقد كان هؤلاء بعد عودتهم من البلدان النازحة يدونون ما راوا من الاعاجيب ، كما فعل اليعقوبي وابن فضالان وبزرك بن شهر يار مثلاً ، إذ يتحدثون بها الناس كأن يقولوا لهم ما حكاه ابن خرداذبة من ان في بعض الامم رجالاً عراض الوجوه ، سود الجلود ، لا تزيد قامته أطولهم على اربعة أشبار ، وفي جلودهم نقط حمراء وصفرة وبيضاء ، وإن فهم من له أجنحة يطير بها ، ومن رأسه كراس الكلب ، وجسمه كجسم الثور او الاسد ، وما جاء في كتاب (المستطرف) من ان في (البلغار) من طوله اكثر من ثلاثين ذراعاً ، يأخذ الفارس تحت إبطه ، كما تأخذ الطفل الصغير ، وبكسر ساقه بيده كما تقطع حزمة البقل . وما رأى الرحالون بالطبع هذه الاشياء ، وإنما رأوا صورها على الآثار التي خلفها البابليون والفرعنة والرومان والفرس فظنوها حقيقة .

كانت القصص يتناول هذه الاخلاط فيؤلف منها قصة كثيرة الفصول والفضول ، تدور حوادثها على بطل واحد ، ولكنها تعرض من قبيل الاستعراذ الى حوادث شتى ، لا يصلها بحياة البطل الا صلة واهية . انظروا مثلاً كيف صنع قصة (عنترة) : بناها على حادثة أصلية صحيحة : هي (حرب داحس والغبراء) التي شبت لظاها بين عبس وذبيان قبيل الاسلام . ثم دارت رحاها على قطب من أقطابها وهو (عنترة بن شداد) العبسي ، فذكر نشأته في حادثة خرافية جذابة ، ثم وصف رجولته وبطولته وفصاحته وجبه وكرمه ، وما اتصل بذلك من عادات البدو ، كالضيافة والحماسة والإجارة والشعر والغزو والسلب والثأر ، ولكن حروب عبس وذبيان مهملات فيها وطول لا تشغل بال السامعين طويلاً ، ولا تدرئ عليه من المال كثيراً ، فهو يوقع الخصومة بين عنترة وبين فرسان العرب فيقاتلهم ويقاثلهم ويسهم جميعاً بالنكول والهزم . والقصص في أثناء ذلك ينقلنا في السهول والادوية ، ويقلبنا بين المضارب والاخية ، حتى جلا لنا من الحياة الجاهلية صورة صادقة لا تتمثل في خواطرهم من طريق التاريخ المقتضب المفكك الا بعد جهد . ثم يرى مع ذلك ان الشوق شديد ، وان الامد الذي يريده بعيد ، فيخرج البطل من الجزيرة العربية ويقدم به الى مصر بلد القصص فيفقد عنترة بها حروباً ، ويهلك شعوباً ، ويبتني حصوناً لا تزال العامة تعرفها الى اليوم باسمه ، ثم يذهب الى القسطنطينية ويواجه من امرأة رومية . حتى اذا

ظفرت المنون اخيراً بالشجاعة الخارقة عاد ابنه من (بيزنطة) الى الحجاز فطالب بعرش ابيه وحارب معاديه ومقتصبيه ، والميثة التي اختارها القصاص لعنثة تدل على قدرة فنية عجيبة ، وكان (لاسر تين) لا ينفك بها محبباً ، ومنها طروباً ، فقد ذكر أن (الاسد الرهيم) احد خصوم (عنتره) المقهورين الموتورين رماه غيلةً بسهم مريش مسموم ، فلما أحس البطل فعل الموت في جسمه الوثيق خشي على قومه من بعده شرّ الهزيمة وعار الفشل ، فوقف أحيان العدو الثائر متطاعاً جواده ، متكئاً على رمحه ، وأمر جيشه بالتقهقر والنجاة ، فارتد الجيش وبقي هو واقفاً يعالج سكرات الموت ، والعدو يتحفز للهجوم ، ولكنه لا يجز عليه خوفاً من عنتره حتى فاضت روحه على صهوة جواده ، وكان الجيش المتقهقر قد بلغ مأمنه ، فلما طال وقوفه ، وجاوز الحد سكونه ، ارتاب الجيش المهاجم ، فدبر الحيلة لكشف الامر فأرسلوا الى جواده حجراً نعيمه ، فلم يصكد يراها الفرس حتى وثب وثبةً خراً له فارسه على الارض صريعاً .

والغالب فيما أظن ان القصص المأمر قد اخذ هذا الختام البارح من مصرع (سليمان بن داود) أمام عماله السحقرين من الجن ، وقد أجملته البلاغة المعجزة في هذه الآية الكريمة « فلما قضينا عليه الموت ما دلم على موته الا دابة الارض تأكل منسأته . فلما خراً تبينت الجن ان لو كانوا يعلمون الغيب ما لبثوا في العذاب المهين » .

ظهرت هذه القصة الحماسية الجميلة في عصر كان وادي النيل فيه منبع الحوزة ، باهر الجلالة ، صافي المورد ، لا يسكدره والغ ولا وغل : فكان استقلاله بهم العزة ، وعمره توجي الشهامة . فلما هبت الاعاصير الهوج بالبربرية الجاهلة ، فأطفت منائر بغداد ، وزعزعت عرش الخلافة ، وعبثت الهجمة الجاهلة بتراث العرب : من علم وادب ، وخلق ودين ، وعدت ذئاب الغرب باسم الصليب على الشام ومصر ، نتج الهلال الآفل ، وتمنش الهجد العاريد — رأينا القصة المصرية تصور هذه الحياة الحزينة تصويراً عجبياً . ورأينا القصص قد اتسع خياله ، بقدر ما ضاق علمه ، فو يخلق بلاداً لم توجد ، ويتصور حوادث لم تقع ، ويعتمد في العمل على الجن والسحر والحوارق .

فبين القرنين السادس والثامن من الهجرة — ظهرت في مصر سلسلة من القصص العاوية الجذابة عُملت من أسماء مؤلفيها : لان القصص المحترفين إنما كتبوها لانفسهم فيما رآه

ثم توارثوها خلفاً عن سلف حتى بلغت عهد المعابعة ، فذُشرت على شكها ، دون اسم ولا وسم ولا تعريف .

وأشهر قصص هذا الدور سيف بن ذي يزن ، والاميرة ذات الحمة ، وفيروز شاه ، فأما أنها كتبت في هذي العهود فذلك واضح لا دنى نظر من لغتها وأسلوبها وماتدور عليه من عادات واعتقادات وصور ، وأما أنها كتبت بمصر فذلك ثابت من أماكن وقائنها ، واسماء اشخاصها ، فأبطلها جميعاً عاشوا بمصر ، حتى الذين لم يروها أقدموم إليها . . .

فالمهلل بن ربيعة كان الوجه الجري ميدان حروبه ، وسيف بن ذي يزن هو الذي أجرى النيل من جبال القمر بكتابه السحري الذي دفنه في جزيرة الروضة بالقاهرة ، وهو الذي خطط مدن مصر ، فالجزيرة اسم من أسماء زوجاته ، وسبك الثلاث ودمهور الوحش قائدان من قواده ، والنبل تفرع الى فرعي رشيد ودمياط : لان الملك (سيفاً) وهو قادم به من السودان وقف بقاتل الكفار الذين اعترضوه في رأس الدلتا فوقف النيل بوقوفه ، ولكن الماء وراءه قد عذب عبابه وطمحت أواذيه فاندفق شطرنه الى الشمال . واتجه الملك بالشطار الآخر الى اليمن .

ومدينة (سمند) أصلها سماء نود لان الحكيم (نودا) صاحبها قد عقد عليها سماء بالسحر توفعاً لغارات الملك سيف وهو ذاهب بالنيل الى مصبه . ثم دفنه المؤلف أخيراً فوق جبل المقطم ، وقال ان قبره هو الذي يعرف الآن بالجيوشي .

ولقد كان للحروب الصليبية أثر ظاهر في نسج هذه القصص في هذا الدور ، فان العواطف الدينية والحماسة القومية التي ألهمتها في قلوب المسلمين هذه الغارات قد حملت القصص على ان يتلقى هذه العواطف ويغذيها بما يلقى من الاشعار والاخبار في فضائل الجهاد والاستشهاد والصدق والصبر .

فسيف بن ذي يزن كان حنيفاً مسلماً يقفم المعاقل والأرصاد على الوثنية والشرك في معالم الارض ومجاهلها ، وهو يقول : « لا اله الا الله إبراهيم خليل الله » . وكذلك سائر الابطال في سائر القصص ، الا انهم كانوا بعد الاسلام لا قبله .

وبين القرنين الثامن والعاشر للهجرة كان حكم المالك بفساده ، وحكم الاتراك باستبداده ، قد أتيا على ما بقي من اركان الاجتماع ، وحللا أواصر الاخلاق والطباع ،

وهي الناس بالولاح الأوباء ، وشراة الجبابة والرؤساء ، واستشهرت نفوسهم ذل الحرمان والقهر ، فأخذوا الى التصوف او الى المجون ، وعالجوا همومهم بالحشيش والافيون ، وحارب بعضهم بعضاً بالشطارة والحيلة ، وتقاتلوا على حياض الحياة بالخدعة والغيلة ، وحال نظام الفتوة في مصر الى مناسر من اللصوص والعيارين ، بقطعون متون السبل ، ويمبثون بالامن والناس من ضعف السلطان يخضعون لهؤلاء ، ويجلونهم إجلال الزعماء ، ويتناقلون حوادثهم وأحاديثهم بالاعجاب والمبالغة فظهر حينئذ ذلك القصص الوضع الذي يمثل هذه الحال بمقارنتها وسفالتها ، وبصور تلك البيئة بجغرافيتها وجهالتها ، كقصص الذي يدور على (علي الزبيق) و (احمد الدنف) و (حسن شومان) و (دليلة المحتالة) او (دالة المحتالة) كما يسميها (المسعودي) . وأصبح أسلوب القصص في هذا الدور دائر أبين الجباله والقحة . فهو يستعمل في قصصه لغة مبتذلة وتراكيب فاحشة وجملاً مخفوفة ووقائع واحدة يرددها في كل قصة . ويكررها في كل مناسبة . وكانت شهوة السر والسرير قد بلغت مداها في ذلك الحين لتغلب الباطلة على أهل القاهرة واعتماد الناس في جمع الثروة على الحيلة والشموعة والسحر والتقدر . فتكدسوا في السواحل حول القصص وقد تجمع لهؤلاء من خلال القرون ذخيرة وفيرة من الاساطير والاسمار . فهبوا يدونونها كما دونت تلك السير من قبل . فكان مما دون في تلك الحقبة الغربية كتابنا وموضوع محاضرنا (الف ليلة وليلة) .

(الف ليلة وليلة) يأسادة كتاب شعبي تمثلت فيه طوائف الشعب وطبقاته ، وثرأت من خلاله ميوله ونزعاته ، ونسكت فيه أساليبه ولهجاته ، فهو كالشعب وكل شيء للشعب . قد لقي من جفوة الخاصة وترفع العلية أذى طويلاً ، أغفله الادب فلم يتحدث عنه ، واحتقره الادباء فلم يبحثوا فيه ، ورآه (محمد بن اسحق المعروف بابن النديم) فقال إنه غث بارد ، لانه نظرا ليه نظره الى الادب الارستقراطي الذي يصور ترف الخيال وجمال الصناعة . فلما حقق العصر الحديث تغلب الديمقراطية وسيادة الشعوب ، واستتبع ذلك عناية أصحاب المذهب الابداعي (الرومانتيكيين) في الغرب بحياة السوق والدعائم عنايتهم بحياة الملوك والنبلاء وهب رواد الاستعمار وعشاق الآثار بنقبون عن (فولكلور^(١)) الشرق اخذ ادباًونا بحكم

(١) فولكلور (Folklore) كلمة انكليزية يراد بها في الادب الاوربي - مجموع

التقاليد والاساطير والاشعار الشعبية لأمة من الامم .

التقليد والعبودية — يعطفون على أدب السواد ، فدونوا اللغة العامية ، وجمعوا الأغاني الشعبية ، ونظروا بعض النظور في فن القصص ، وجمعوا في رغبة من الدهش — الى قول — الاوربيين : ان في أدبنا الموروث كنزاً دفيناً — من هذا النوع له في أديهم أثر قوي وشأن نابه . ولكنهم لم يخلدوا بدياً الى هذا القول بثقة . واستكثروا على هذا الكتاب الخرافي السوفي ان يذكروا في الكتب ويوضع في المكاتب وينبه الناس الى فضله ، ويهنا العرب بانتاجه حتى رأينا يعموننا انه نقل منذ أوائل القرن الثامن عشر الى كل لغة . وحل الموقع الاول من كل أدب ، وظفروا بحجاب النوابع من كل أمة . حتى قال (فولتير) انه لم يزاو في القصص الا بعد ان قرأ الف ليلة وليلة اربع عشرة مرة . ونفى القصص الفرنسي (استندال) ان يحو الله من ذكرته (الف ليلة وليلة) حتى يعيد قراءته فيستعيد لذته .

ثم قرأنا أن أقلام المستشرقين أخذت تتجادل منذ أوائل القرن التاسع عشر في اصله ، وتكشف عن مناجي جماله وفضله ، وان دوائر المعارف الكبرى سجلته في حقولها ، وخصته بالطوبى الممتع من فصولها . وان الأستاذ (فكتور شوفان) أفرد له سيرة كتابه (تاريخ المؤلفات العربية) جزءين سرد فيها مخطوطاته ومطبوعاته وترجماته ، وجزءين آخرين لخص فيها طائفة كبيرة من حكاياته ، وان الكتاب الروائيين قد استغلوه للسبينا والمسرح فاستخرجوا للاول رواية (لص بغداد) والثاني (قسمت) او (القضاء والقدر) ، وان رجال التربية والتعليم في فرنسا والمانيلا وانكلترا — قد اقتبسوا منه أدباً للأطفال فاختصروه وصودوه ، ولقيت انا منذ عامين في القاهرة مستشرقاً اسبانياً وآخر اميركياً قد أرسلت الاول جامعته . والثاني جمعته ، لينقبا في مدن الشرق عن مخطوطات (الف ليلة وليلة) .

حينئذ أخذت خاصتنا تقرأه وتسمعه ، ومطابقنا الراقية تصححه وتطبعه ، وأدباؤنا المترفعون يشيرون اليه في تاريخ الادب . ولكنهم الى اليوم لم يدرسوه دراسة علمية تكشف عن لبابه ، وتستقطر الدطف العذاب من عبابه ، وهو على الرغم من جميع ما فيه ، قد سجل على توالي القرون أطوار اجتماعنا ، وصور بالألوان الزاهية مختلف أخلاقنا وطباعنا ، ونشر في الشرق والغرب أنوار حضارتنا وازدهار ثقافتنا وجمال تقاليدنا ، وأنتم نقص التاريخ الذي تجاهل الشعب . والأدب الذي احتقر العامة . فكان منه للناقد الاجتماعي والمؤرخ الفيلسوف

والاديب الباحث والكتاب القصصي — منهل ثرائيلنا بيع ، صافي المورّد . وهو — فضلاً عن ذلك — كان للشعب العربي في زمن الانحلاله ، وضياح استقلاله ، وصعوبة اتصاله — قبس يبعث الحرارة في النفوس الخاملة ، وذكرى تلوع القلوب بأسى على المجد المذهب ، وصلة ثقافية تجمع المنازع المتفرقة على الوحدة .

يكاد يكون (الفليطولية) طمأً ثانياً على بغداد ، بل ربما كان أدلّ عليها اليوم في نظر الشعوب الحديثة من شأنها الرفيع في الحضارة ، ومكانها البارز في التاريخ : ذلك لأن آثارها المادية قد ألح عليها طغيان الدهر وفيضان النهر حتى محوها . أما هي ففي هذا الكتاب فلا يزال سناها باهياً لم يخب ، وصداها داوياً لم ينقطع ، فهو للحضارة العربية في (بغداد) متحف زاخر بالاعاجيب ، دونه مآل الحضارة الفراعونية في مصر من معابد ومقار وكنوز ، لانه يسير في البلاد وهي ثابتة ، ويتحدث الى جميع الشعوب وهي صامتة ، حتى أصبح لفظ (بغداد) في جميع اللغات مرادفاً للعمارات الزاهرة ، والترف العجيب — واسم الرشيد رمزاً للعسل الشامل والزمن الخصب . ذكر احد كتاب الانكليز فترة من الزمن الرخي فقال : كان ذلك في العصر الذهبي إذ كان يحكم الخليفة العادل هرون الرشيد .

ذلك بعض فضل الكتاب على (بغداد) . وقد ذكرت من قبل أنه لم يؤلف على هذه الصورة فيها ، ولم يؤلفه احد من بنينا ، وإنما جمع في مجالس القصص في القاهرة ، ودون على هذا الشكل في القاهرة ، وطبع اول طبعة كاملة في مطبعة الحكومة بالقاهرة . ثم كان حظ القاهرة من كتاب (الفليطولية) ان صورها للناس مثابة للاحتيال والسطارة والشعوذة والجهل بينما يصور (بغداد) مبهطاً للفضل ، وموطناً للنبل ، ومعدناً للكرم ، وعشاً للحب ومظهرأ للترف ، حتى كان من جراء ذلك ان اهل (بغداد) لا يزالون يقولون (عياق مصر وحيال مصر) ونحن ما زلنا نقول في القاهرة : تبغدد فلان اذا أظهر البغدة . وهي كلمة مشتقة من (بغداد) تدل على السرف والترف والبطر والنبيل !

وسبب اختلاف حظ البلدين من الكتاب ان القصص المصري اذا تحدث عن مصر — وهو منها وفيها — تحدث عما يرى ، وعبر عما يسمع ، وقد علمنا في اي عهد من عهود الضعف والانحلال ظهر هذا الكتاب بمصر . اما اذا تكلم عن بغداد فأنما يتأثر بعوامل اربعة : يتأثر بما وضع من الافاصيص الجميلة في بغداد — ويتأثر بما ملأ الآذان وشغل

الاذهان عن عظمة بغداد وأبهة الخلافة — ويتأثر بما ركب الله في طباع الناس من تقديس الماضي ، وتعظيم البعيد — ويتأثر بجهله أحداث التاريخ وتطور الامم ، فيأبى وهو في القرن العاشر من الهجرة ان يعترف بموت (الرشيد) ، ومصرع (بغداد) ونسكة المجد الأثيل .

اما بعد فاني أحاول الآن باساذقي ان أكشف عن حقيقة (الف ليلة وليلة) بمقدار ما تيسر لي المراجع في (بغداد) ، بعد ان توفرت على قراءته ودراسته في مختلف الطبقات ، ووقفت على ما شرعته من الابحاث في بعض اللغات . وما أريد بالطبع ان أدفع السأم في نفوسكم بذكر ما لا يحتمله المقام من التحليل المفصل ، وانما أجتزئ به بذكر ما لا يسمع الرجل المثقف جهله من امر هذا الكتاب .

وهنا يدركنا المساء كما يدرك شهر زاد الصباح ، فترجي البقية الى الاسبوع المقبل اذا تفضلتم بالسماح .

احمد حسن الزيات

مجلة مجمع العلمي

العدد ١٣٣٩ سنة ١٩٢١ الموافقة سنة ١٩٢١ م
تشرني دمشق مرة في اشهر

آذار - نيسان

١٩٣٣

دمشق

المجمع العلمي العربي

— (١٣٣٩) —

قيمة الاشتراك السنوي { في سورية ولبنان ٢٥٠ قرشاً سورياً
وفي جميع الاقطار ٦٠ فرنكاً } الدفع مقدماً

بجاميع المجلد عن السنين الماضية

في الداخل ٥٠٠ من السنة الاولى الى الخامسة الى كل سنة منها

في الخارج ٦٠٠ من السنة الاولى الى الخامسة الى كل سنة منها

في الخارج ٦٠٠ من السنة الاولى الى الخامسة الى كل سنة منها

في الخارج ٦٠٠ من السنة الاولى الى الخامسة الى كل سنة منها

الكلمات الايوبية

— (١) —

وأعني بها الكلمات التي تولدت في عهد الدولة الايوبية والدول التي خلفتها في مصر والشام : كنتُ — وأنا أنصف الجزء الاخير (الثامن) من نهاية الارب لمؤلفه النويري المصري — أعثر على كلمات جارية في لغة تخاطب المصريين في ذلك العهد . وهي كلمات (عامية) — أو نكسرهما فتسميها (مولدة) — مما لا يعرفه فصحاء العرب ولم يدونه أرباب المعاجم . والذي جعلني أهتم بتلك الكلمات أنها مازالت الى اليوم شائعة على ألسنتنا وعائشة في لغة تخاطبنا : فهي إذن قد عاشت نحو ثمانية قرون . وما يدرينا لعلها كانت حية قبل ذلك التاريخ ايضاً .

والبحث في كلمات اللغة من حيث نشوؤها وتطورها ومرور الازمنة المختلفة عليها — هو فن أومضى حديث من مناحي المباحث اللغوية التي يعنى بها علماء اللغات الراقية ويضمون فيها المصنفات النفيسة . وما زال هذا الفن — أو الابتكار في البحث اللغوي — مجهولاً لدينا معشر العرب ، بيد أن الانتباه اليه ، والفكرة فيه قد أخذت تنمو . وسيأتي زمن يكون فيه لكلمات لغتنا (ولا سيما غير القاموسية منها) تاريخ ومؤرخون ومصنفات . واخشى ان يسبقنا الى هذا الضرب من خدمة لغتنا العربية اولئك المستشرقون الفضلاء كما فعل المستشرق الكبير (دوزي) مذ جمع الكلمات التي أهملها أرباب المعاجم العربية وأودعها كتاباً ضخماً ذا جزئين .

وهذه الكلمات التي سنسردها في مقالنا هذا من جملة الكلمات التي تولدت بل الأجدد ان نقول من جملة الكلمات التي كانت شائعة الاستعمال في عهد الايوبيين وخلفائهم كما كانت شائعة كذلك في الافطار التي حكموها وخاصة القطرين المصري والشامي .

وكما دعونا الكلمات التي كانت شائعة في عهد الخلفاء العباسيين — (الكلمات العباسية) —
 بحسن ان نسمي الكلمات التي كانت شائعة في عهد الايوبيين الى زماننا هذا — (الكلمات
 الايوبية) — والكلمات التي تولدت في عهد اختلاط الافرنج الصليبيين والسوريين —
 (الكلمات الصليبية) وستأتي الاشارة في مقالنا هذا الى كلمة من تلك (الكلمات الصليبية) .
 ولانعلم ان كانت بعض تلك (الكلمات الايوبية) مماورثه الايوبيون من العباسيين او لم
 يرثوه منهم بل تولد في زمنهم هم . لكننا نعلم بيقين ان كثيراً من تلك الكلمات قد ورثه العهد
 التركي العثماني من اليهود التي سبقتها ثم انتشر في عهد سيطرة العثمانيين على مصر والشام .
 ومازال شائعاً بيننا الى هذه الايام .

فأول تلك الكلمات الايوبية كلمة (ديوان) على ان كلمة (ديوان) مماورثه الايوبيين ممن
 قبلهم كماورثوهاهم لمن بعدهم او يقال ان كلمة (ديوان) هي حجو الزاوية في البنائين بناء (الكلمات
 المعربة) في الاسلام وبناء (الكلمات الادارية) في الاسلام . ليس أول من استعملها
 عمر بن الخطاب ؟ - واذكر بعضهم ان معنى (الديوان) كان موجوداً قبل ان يعرف لفظه : اذ
 انه (اي المعنى) وجد في زمن النبي صلى الله عليه وسلم . فقد روى (حديثه) رضي الله عنه ان
 النبي صلى الله عليه وسلم قال : (اكتبوا لي من تلة ط بالاسلام من الناس . فكتبنا له ألفاً
 وخمسمائة رجل) . وجاء رجل الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله انني اكتبُ نبت
 في غزوة كذا وامراً في حاجة . قال ارجع فاجمع مع امرأتك . ليفهم من هذين الحديثين
 ان الالحاء (وقيد النفوس) او (نفوس الغزاة خاصة) نشأ في عهده صلى الله عليه وسلم .
 أما تسمية ذلك بالديوان فكان في عهد عمر :

ذلك انه بعث بعثاً وعنده المرمزان الفارسي فقال عمر : هذا بعث قد أعطيت أهله
 الأموال فان تخلف رجل منهم وأخل بمكانه (اي ترك المكان او العمل الذي وكله اليه
 أميره) فمن أين يعلم صاحبك (أي أميرك الذي وليته ذلك الجيش) فأثبت لم ديواناً . فسأله
 عمر عن (الديوان) ففسره له فكلمة (ديوان) أم الكلمات الادارية الدخيلة .

وكان (الديوان) ديوانين : ديواناً بالشام : لغته الرومية ، وديواناً في العراق : لغته
 الفارسية . ثم تحولوا الى اللغة العربية . ويحكى في سبب تحول ديوان الشام الى العربية أن

بعض كتاب الروم في الديوان الشامي أراد ماء لدواته فبال بالدواة . فبلغ الخليفة عبد الملك بن مروان خبره فأدبه وكان ذلك من جملة الاسباب في تحويل الديوان من الرومية الى العربية .

ومن الكلمات الابوية الادارية كلمة (المجلس) بمعناها الاداري المتعارف اليوم وكلمة (كتابة الانشاء) و (كتابة الانشاء) و (كتابة الحساب) و (كتاب الحساب) ونسجها اليوم المحاسبة و (كتابة التصرف) و (كتاب التصرف) وكانوا يريدون (بالصرف) ما نربذه اليوم بالاعمال الداخلية او الاعمال الادارية مما يقابل الاعمال المالية والعسكرية . ومن كلمة (التصرف) هذه جاءت كلمة (المصرف) و (التصرفية) عند الاتراك العثمانيين . وكلمة (الخزينة) ويريدون بها مستودع الامتعة والياب والتقاد والخلع وشاعت لدى الاتراك العثمانيين باسم (خزينة) و (خزنة) لكنهم يريدون بهما مستودع النقود والاوراق المالية . وكلمة (جامكية) بمعنى الراتب والاجر . و (العوائد المقررة) وهي صلات وهدايا تخص بها الحكومة بعض ذوي الميزة في الدين أو الشرف أو العلم . وكلمات (الناظر) و (النائب) و (المباشر) . وفي غرة اليوم أسرة تسمى بالمباشر وهي من أصل مصري . وما زالت كلمة (مباشر) تطلق في محاكمنا الشرعية على الذي يجلب الخصوم او يبلغ اوراق المحكمة (الدعوتية) ويسمى (المخضر) ايضاً . وكلمات (الرتب) و (المناصب) و (أرباب المناصب) ويريدون بها ما نربذه بها اليوم . وكذلك (التشريف) و (التشريف) بمعنى الرتب الرسمية وهي شائعة في الدولة المصرية اليوم بمقابل كلمة (الرتب) الشائعة عندنا . وكلمة (المرسوم) و (المشور الشريف) وجمعها (المناسير) وهو ما يتفقن الاوامر السلطانية الصادرة بالتعيينات الادارية او القضائية او العلية وتراذفها في الدولة العثمانية كلمة (فرمان) وهي كلمة فارسية . وكلمة (دستور) ولها معان عرفها العرب الاقدمون ثم شاعت في الدول الاسلامية الاعجمية بمعنى (الاؤذ) وبمعنى (الوزير) وبمعنى (الكتاب) يتضمن قوانين الدولة ونظمها وأوامرها . وكلمة (كشف) بمعنى تقرير اوبيان بنظمه الموظف ويفصل فيه أعمالاً قام بها او حسابات أجراها . ومثل (الكشف) كلمة (عرض) يودعه رئيس الديوان تفصيلاً لاستعراض الجند وقيود روايتهم . وكلمة (نحرير) بمعنى الكتابة و (ضبط) تقييد الشيء و كتابته و (جريدة) و (جرائد) للسجلات والدفاتر التي تقييد فيها المعاملات الحكومية . وغلبت اليوم على دفاتر

قيود المحكمة الشرعية . وكلمة (شطب) كانوا يريدون بها نقل [المعاملة] أو [القبض] من دفتر الى دفتر . ولا بد أنهم يمدون خطأ بالخبر على المعاملة الاولى إشارة الى إهمالها وعدم الاعتداد بها وبهذا المعنى « معنى إمرار الخط على السطر وإفساده » نستعملها نحن اليوم مذ نقول [أشطب] و [شطب] وفي اللغة الفصحى [أرجم] و [رجم] يقال رجم الكاتب ما كتبه إذا أفسد سطره بعد كتابتها . وكلمة [جندية] بمعنى العسكرية والتجند و [أجناد الحلقة] الحلقة في اللغة العربية بمعنى السلاح وقد استعملها الأيوبيون وخلفاؤهم بمعنى الجنود باستحتمهم يقومون في مواضع الخفاة للحراسة والخفارة . ومثلها [المسلحة] و [المسالح] وهي مراكز الجنود باستحتمها تعدد للغرض المذكور . وما زال يوجد مكانان في الطريق بين بيررت وطرابلس الشام على ساحل البحر أحدهما يسمى [أبو حلقة] على بعد كيلومترين أو ثلاثة من طرابلس فيه عين ماء وكان في زمن الجراكسة المصرية مركزاً للجنود الخفراء - والمكان الآخر يسمى [المصيلحة] بياض التصغير محرف عن [مصيلحة] تصغير [مسلحة] اسم عقبة كؤود فيها بناء شبه قلعة صغيرة كانت تقم فيها الجنود للخفارة وحفظ القوافل والمسافرين .

وكلمة [استدعاء] والاستدعاء في اللغة بمعنى الطلب ثم صار يطلق على كتاب الشكوى الذي يرفعه المستدعي الى الحاكم طالباً انصافه او النظر في مظلته او تسوية بعض مشاكله بما هو من وظيفة ذلك الحاكم الذي قدم اليه الاستدعاء . فمعنى كلمة [الاستدعاء] في الاصطلاح موافق لمعناها في أصل اللغة العربية وهو الطلب . على ان كلمة [طلب] نفسها ما زالت الى اليوم تستعمل في الحكومة المصرية بمعنى الاستدعاء أو نوع آخر من أوراق المعاملات الرسمية . فلاحاجة الى ان يقال ان كلمة [استدعاء] محرفة عن كلمة [استدعاء] بتقديم العين على الدال . والعمرى ان هذه الكلمة [استدعاء] أفصح وأدل على المعنى الاصطلاحي من أخذها : ذلك ان معنى [استدعى] هو ان يتقدم المظلوم الى الحاكم ويستعديه على خصمه اي يطلب منه ان [يُعديه] ومعنى [بعديه] يزيل عدوانه عنه ومعنى [العدوان] الظلم والتعدي . فعمزة [أعداء] هي للإزالة كالحمزة في [أشكاه] القاضي اذا زال شكايته وأنصفه من خصمه . فالاستدعاء في اللغة هو طلب إزالة العدوان . فاذا كتب هذا الطلب سيفي كتاب صحيح ان نسمي الكتاب [استدعاء] فيكون الفرق بين [الاستدعاء] و [الاستدعاء] ان [الاستدعاء] في اللغة يدل على مجرد الطلب . أما [الاستدعاء] بتقديم العين فيدل على طلب خاص وهو إزالة

المدوان عن المستعدي المظلم . فالاستدعاء اصطلاح حسن . ولكن الاصطلاح على [الاستعداد] أحسن منه . على اننا يمكننا منذ الآن ان نخصص كلمة [الاستعداد] بتقديم العين لكاتب الشكاوى التي ترفع الى قضاة العدل . وتبقى كلمة [الاستدعاء] بتقديم الدال في كتب المصالح الاخرى التي ترفع الى سائر الحكام .

والمستودعات الاميرية كانت تسمى في عهد الدولة الابوية [البنوت السلطانية] وتختلف اسمائها باختلاف ما يجعل فيها : فهي [الشراب خاناه] و [الفراش خاناه] و [السلاح خاناه] الخ وكان كلمة [خاناه] بمعنى البيت كانت تلفظ في التركية القديمة بالف مد بعد الدون . اما في التركية العثمانية فاختلفت الى [خاناه] فيقال [جيجاناه] و [طوبخاناه] . وكان لكل بيت مباشر هو المسؤول عما فيه . قال في [نهاية الارب] مبيتاً وظيفته مباشر [الفراش خاناه] : « ويعرض ما يسلمه للفراشين عليهم . . . ويضبط ما يتسلمه الصناع الذين يفصلون الخيام الجديد وغيره من آلات [الفراش خاناه] من قماش يياض ومصبوغ وغزل وجلود ومشمعات الخ » .

ففي هذه العبارة عدة كلمات أبوية : منها [الفراشون] وهم الذين يتولون أمر فرش قصور العظماء وغلبت اليوم في مصر على الذين يلتزمون تقديم آلات الضيافة من فرش وغيره في الولائم او المآتم . وكلمة [الخام] الظاهر انه أراد بها ما يراد بها في بعض بلاد الشام اليوم وهو ضرب من الثياب البيض غير خالصة البياض ولذا تسمى في دمشق [البطانة السمر] وفي القاموس [الخام الجلد الذي لم يدبغ والكرباس الذي لم يغسل وهو فارسي معرب] فاستعماله اليوم في الثياب السمر موافق لمعنى [الكرباس] لأن الكرباس الثوب الأبيض من القطن او الثوب الخشن . والخام من القطن ايضاً وهو خشن . وكذلك يطلق لفظ [الخام] اليوم في الفن أو الصناعة — على المواد الأولية قبل ان تتحول الى مصنوع كالصوف والقطن قبل اجماعها والجلد قبل صنعه والمواد المعدنية قبل صهرها الخ . وهذا الاستعمال موافق لمعنى الخام في اللغة كما قال القاموس غير أن القاموس خصه بالجلد . وأهل الصناعة والاقتصاد اليوم تحطوا به الى كل مادة تُصنع : جلداً أو غيره . وكلمة [قماش] تزيد بها اليوم ما كانوا يربدونه في العهد الأيوبي أعني الثياب المختلفة التي تلبس أو تفرش . وهو استعمال عام إذ للقماش في اللغة معنى غير هذا . وقول المؤلف [قماش يياض] يوافق استعمالنا اليوم من

إطلاق [البياض] على الثياب البيض الرقاق التي تفصل أفضة وسراويلات ويسمى هذا الضرب من القماش في دمشق [مادام] وفي القديم كان يسمى الكرباس ويجمع على الكرايس لكن الكرباس يكون فيه خشونة كما يفهم من كتب اللغة وكان يفهم من استعماله مذ يقولون [وكان فلان متقشفاً بلبس الكرايس] .

وكلمة [مشحات] ايضاً مما استعمله اليوم ونريد به ثياباً تغطي بالشمع وتبقى بها المطر ويسمى الشمع الذي يلبس لاتقاء المطر في اللغة العربية [مطراً] على وزان منبر . قال عمر ابن ابي ربيعة :

[فأسرج لي الدهماء واعجل بمطري ولا يعلن خلق من الناس مذهبي] وكلمة [جندرة] ورد ذكرها في نهاية الارب مع تفصيل الثياب ورفوها وحشوها فلعلهم يريدون بها ما ذكره علماء اللغة مذ قالوا جندرة الثوب اذا أعاد وشيه بعد ذهابه قال الجوهري وأظنه معرب . ونريد بجندرة الثوب اليوم تموجاً خاصاً في وشي الثوب او في صبغه وتلوينه . و [آلة الحمام] يريدون بها ما نريده اليوم مما يستحبه المغسلون في الحمامات من طشوت وطاسات .

وكلمة [طواشيه] مما استعملوه في العهد الابوي ويستعمل اليوم في ذلك المعنى ايضاً وكانوا في العهد الأموي يدعونهم [خصيان] . وكلمة [بخش] بضم الباء يريدون بها [الثقب] لكنها اليوم أصبحت عامية مبتذلة . وكلمة [نَفَر] مراداً بها الشخص الواحد فيقولون كما نقول اليوم: اخذ القائد معه خمسين نفراً مثلاً اي خمسين نفساً . ولها معنى في اللغة غير هذا .

وكلمة [قلوب] ذكرها في نهاية الارب مع الأباذير والتوابل ويريدون بها لب الفستق واللوز والبندق وتسمى في بعض بلاد الشام [قلوبات] أما أهل دمشق فيسمونها [مكسرات] . وكلمة [الأقسما] بذكرونها مع الففأع [ضرب من الأشربة] والفواكه والحلويات ولعلهم يريدون [بالأقسما] ما ذكره الخفاجي في شفاء الغليل قال هو نقيع الزبيب وهو معرب [أبسما] . أما الأقسما في بعض بلاد الشام فيراد به نحو شراب التوت او اللبيون محلى بالسكر ومبرداً بقطع الثلج التي تبقى جامدة تقطع تحت الاسنان . وقد أخذت كلمة [الأقسما] ثبوتاً رويداً رويداً وتحلها كلمة [شربات] .

ويقولون [دسوت الفخاس] الدست له عدة معانٍ في اللغة وليس منها معنى القدر الكبير كما هو الشائع على السنة العامة اليوم فهو إذن مولد زيرادته [الخلقين] والخلقين كلمة يونانية . وكانوا يقولون [الركائب] بتقديم الراء على الكاف ويريدون بها المغارف وهو لفظ شائع الى اليوم في مصر لا في الشام لكنهم [أي أهل مصر] اليوم يلفظونه على أصله فيقولون [ركائب] بتقديم الكاف جمع [كُرْبُبه] وهي المغرفة . قال في مستدرك التاج إنها كلمة مصرية . فأنت ترى ان المصريين الأقدمين كانوا يلفظونها بحرفة مذ يقولون [ركائب] لا [ركائب] . وليس هذا بهجيب منهم : فان أبناءهم اليوم يقولون في [أرائب] جمع أرب [أنارب] بتقديم النون . ومازلت أذكر السيد احمد بك الحسبي رحمه الله مذ قال لي أما تحب لحم الانارب ؟ فلم أفهم ذلك حتى فسرته لي .

وكانوا يستعملون كلمة [لخصم] أي التزيل في الحساب كما تستعملها اليوم وكذا كلمة [وصول] . ويقول المصريون اليوم [إبصال] أما في الشام فما زالوا يقولون [وصول] و[وصل] . وقال في شفاء الغليل إنها مولدة عامية . ولقد نظرت بعض المولدين مذ قال : [أنفقت عمرى في هواك وليني أعطى وصولاً بالنسيه أنفقته]

وكذلك يقولون [غأق ما عليه من أجرة الفان] أي أدى بقيته كما نقول اليوم وهو تعبير عامي . أما قولهم [عبر الشيء] أي وزنه ليعلم مقدار ثقله بالنسبة الى موزون آخر — فهو فصيح لا مولد . ومثله فعل [استعبر الشيء] وهو المستعمل في بلادنا اليوم لمعرفة الموزون او المكييل . وكذلك كلمة [إردب] في الكيل المخصوص ما زالت مستعملة الى اليوم . ومثلها [فدات] في المساحة .

وسألني بعض كبار المهندسين عن كلمة تقوم مقام (Precise) الفرنسية مذ يقولون « مسح المهندس الارض الفلاية فبلغت خمسين متراً بالضبط » فان الكلمة الفرنسية لا يجوز لنا استعمالها لجمعتها وكلمة [بالضبط] لا يتداولها . فقلت يمكنك ان تقول [بالتمام] أو [تماماً] . ثم اتفق ان رأيت صاحب [نهاية الأرب] يقول (ص ٢٤٤) في صدد معرفة عمر الغلام الذي تؤخذ عنه الجزية « بُدار خيط على عنق الصبي مرتين تحريراً ثم يوضع طرف الخيط بين أسنانه وتُدخل أشوطة في رأسه فان دخلت دل ذلك على بلوغه وإلا فلا » فقوله [تحريراً] قد أراد به في غالب الظن ما زبده نحن اليوم في قولنا [بالضبط] وما يقوله

الافرنسيون بقولهم (Précis) و (Precisement) فاعطينا اليوم الا ان نجي هذه الكلمة فنقول [فلان عمره ستون سنة تجريراً] و [زرت فلاناً في الساعة الثامنة والنصف تجريراً] و « فلان بلغت قصبات أرضه التي اشتراها الف قصبة تجريراً » الى غير ذلك .

ذكرنا كلمة [قصبات] ونحن على يقين ان معظم أهل الأقطار العربية لا يعرفون ما المراد منها لكننا نحن استعملناها في المعنى الذي يستعملها فيه الدماشقة اليوم والمصريون قديماً : فقد ذكر صاحب [نهاية الأرب] اللذان وحد مقدارهما فقال : « هو اربعائة قصبة بالقصبة الحاكية والقصبة الحاكية ستة أذرع وثلاثا ذراع بذراع القماش » . ولا يخفى ان ذراع القماش هو الذراع المستعمل اليوم في بلاد الشام ويسمى أيضاً الذراع الاسلامبولي . وفي دمشق مقدار من المساحة الارضية يعبرون عنه بالقصبة وهو ثمانية واربعون ونصف [مربع] بالذراع المذكور اي الذراع الاسلامبولي أو ذراع القماش فتكون النتيجة ان قصبة المساحة التي كان يسميها المصريون في العهد الابوي بل والعهد الفاطمي [القصبة الحاكية] نسبة الى [الحاكم بامر الله الفاطمي] — هذه القصبة هي المستعملة اليوم تقريباً في دمشق فيقولون [قصبة] ولكن لا يفتوتونها بالحاكية كما كان ينعتها المصريون الابويون . وقال القلقشندي في [صحيح الأعشى] القصبة الحاكية طولها ستة أذرع بالهاشمي وخمسة أذرع بالتجاري وثمانية أذرع بذراع اليد اه .

ورأيت في [نهاية الأرب] كلمة عربت منذ ثمانية قرون ودخلت في لغة أجدادنا السوريين من لغة الافرنج الصليبيين وقد نبه اليها المؤلف نفسه فقال « وفي بعض الأعمال الشامية نواح مفصولة ومضمّنة على أربابها بشيء معلوم يؤخذ منهم عند إدراك المغل » ثم قال مفسراً كلمة [مفصولة] مانصه : « وكلمة « الفصل » بالشام كله كلمة افرنجية واستمر استعمالها في البلاد الساحلية التي ارتجعت من أيدي الافرنج جرياً على عادتهم اه » . وكأنه أراد بقوله [جرياً على عادتهم] ان أهل الشام في زمن الحروب الصليبية كانوا يعربون كلمات الافرنج ويستمرّون على استعمالها . وهل المصريون ياترى ما كانوا يفعلون ذلك ؟ وكلمة [فصل ومفصولة] استعملها المؤلف الثوري — كرامى القاري — في صدد استئجار الأرض الزراعية المُنَهَّمة . فلاحية من نواحي الشام تكون مفصولة أي ذات فصل بان تكون إقطاعاً بتصرف أمير من الامراء الاقطاعيين فيعتمد هذا الأمير على بعض اتباعه فيؤجره الناحية لقاء مبلغ

من المال — هذه الارض الاقطاعية المؤجرة على هذه المدة كان يقول عنها أسلافنا أهل الشام انها أرض [مفعولة] وإيجارها [فعل] . وقال المؤلف النويري ان الشاميين أخذوا هذه الكلمة من لغة الافرنج فكيف أخذوها؟ قال الاستاذ احمد الزين مصحح كتاب [نهاية الارب] معلقاً على عبارة المؤلف ما نصه : « لعل أصل هذه الكلمة في اللغة الافرنسية Vassal [فقال] ومعناه التابع الذي أعطاه متبوعه إقطاعاً نظير واجبات يؤديها كما في معجمات هذه اللغة فكأن أهل الشام اشتقوا من [فقال] لفظ [الثلل] وأرادوا به المعنى المصدري أي التبعية ثم حرفته ألسنتهم الى كلمة [الفل] كما هنا حسب نطقهم العربي واشتقوا منه لفظ [مفعولة] » اه كلامه .

فأجدادنا أهل الشام لما لم يجحدوا في اللغة العربية كلمة خاصة تدل على استئجار تابع الامير من متبوعه أرضه الاقطاعية وسموا الملبين بقولون معبرين عن هذا المعنى بكلمة (Vassal) استجازوا تعريبها وقالوا [الفصل] و [الارض المفعولة] حتى استعملها النويري في كتابه . فيصح لنا نحن اليوم ان نسميها [كلمة صليبية] ونبحث عن أخواتها ونفهمها اليها بعنوان [الكلمات الملبية] وقد يعثر المتتبع اليقظ على كثير من هذه الكلمات .

ونختم هذا البحث بكلمتين إداريتين كان المصريون في عهد الدولة الايوبية يستعملونهما : احدهما كلمة [الترصيع] يريدون بها ما تربده بكلمة [التنظيم] مذقول : نظم العامل العمل او نظم جدولاً بالعمل امامهم فكانوا يقولون رصع العمل وترصيع العمل ولا بأس باستعمال هذه الكلمة في مثل هذا المقام او مقام آخر يشبهه . اما الكلمة الاخرى فهي [معدوق] مذقولون مثلاً « واصر البيوت السلطانية معدوق بناظر خاص » يريدون [بمعدوق] ما تربده اليوم بكلمة [منوط] مذقول هذا الأمر منوط بفلان أي معلق به ومرتبط به واليه مرجعه . والكلمة [معدوق] معنى في اللغة لا تمكن إرادته هنا الأعلى استكراه . فليس لنا في استعمال [معدوق] حاجة مادامت لدينا كلمة [منوط] بشرط ان لا نشدد واوها ونقول [منوط] كما يفعل بعضهم .

« المغربي »

مذهب الجاحظ في الادب^(١)

—(١)—

أحطنا حتى اليوم بثلاث نواحٍ من نواحي الجاحظ فقد تكشف لنا عمله ودينه ونقده ، فكان في عمله يعني على أصول معينة وصولاً الى الحقائق وكان في دينه يعمل عقله في التفسير والتأويل دون ان يكون لأحد سلطان عليه ، وكانت في نقده على نحو ما رأينا بناءً في عمله يتوخى الحقائق معتمداً بالبن الاهتمام كله ، فاذا عرفنا هذا فهل علينا من حرج ان نعرف طائفة من مذاهبه في الأدب كما عرفنا طائفة من مذاهبه في العلم والدين والنقد ، وآراء الجاحظ في الأدب مشتتة في أثناء كتبه فلان نجد له مباحث مطردة في هذا الباب يأخذ بعضها برقاب بعض فكان له يلهو بمجامع المعاني لهواً وهذا اللهو من خصائص عبقرية —

وعلى هذا النحو اننا لانطمع في استقصاء آرائه الادبية وإنما نتوخى معرفة البسير منها لعلنا نتمكن من الجاحظ في صورة الأديب كما تصورناه في صورة العالم أو في صورة الفيلسوف أو في صورة الناقد —

قبل أن أتفرغ لبيان أفكاره الأدبية لا أرى لي مندوحة عن الإشارة الى مذهبه في الأدب ، فالجاحظ من أصحاب الأدب المجرد ، انكم تعلمون ان الجاحظ عاش في عصر استفاضت فيه الخبرة في كثير من الأمور ، من أجله هذه الأمور تسمية الأشياء باسمائها دون اللجوء الى الكتابات ، فاذا نصفنا بعض الشعر في ذلك العصر ظهرت لنا ألفاظ غريبة تعود للطبيعة في حقائق صورها دون شيء من التعسف ، والجاحظ متصل بعصره الالهال كله على نحو ما تبين لكم ذلك فلم ينسج من أثر من آثار هذا العصر فاذا وجد ان الأدب

(١) سلسلة محاضرات الاستاذ السيد شفيق جبري احد اعضاء المجتمع العلمي العربي التي

شرع في المحاضرة بها في كلية الاداب في دمشق سنة ١٩٣١ .

المجرد مذهب من المذاهب المستفيضة أخذ به ولم يتورع فهو صورة عصره في كثير من الأمور فمن قوله في هذا المعنى^(١) :

« وبعض الناس إذا انتهى الى ذكر ٠٠٠ ارتدع وأظهر التعزز واستعمل باب التورع واكثر من تجده كذلك فانما هو رجل ليس معه من العفاف والكرم والنبيل والوفار الا بقدر هذا الشكل من التصنع ولم يكشف قط صاحب رياء ونفاق الا عن لؤم مستعمل^(٢) » ونذالة متمكنة الى آخر ما ذكره ثم أيد مذهبه هذا بطائفة من كلام النبي صلى الله عليه وسلم وكلام بعض الخلفاء الراشدين والسلف الطيب ٠ —

ففي كلام الجاحظ ما يدل على ان هذا الشكل من الادب لم يشرع الشيوع كله فقد كانت طائفة من الناس يرتدعون ويظهرون التعزز ويستعملون باب التورع الا ان الجاحظ كان يرى ان هذه الأخلاق انما هي من ضرب التصنع وكيف كان الامر فالذي يهمنا انما هو المذهب نفسه ولهذا المذهب رجال ظهوروا في فرنسا في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر منهم (Henri Beyle) في مقدمتهم (بالزاك Balzac) و (فلور Flaubert) ثم (زولا) وغيرهم فيسكاد بكون (بالزاك) أستاذ الأدب المجرد أو الأدب الواقع على حسب المصطلح فقد أحيا في رواياته جماعات تصورها على نحو جماعات اللحم والدم ٠ —

لمح (بالزاك) في مقدمة رواية من رواياته الى غرضه فالغاية التي يرمي اليها انما هي كتابة تاريخ الرجل الطبيعي ، فأنتم تدركون من هذه الكلمة النتائج التي تؤدي اليها كتابة التاريخ الطبيعي للبشر ، شأن صاحب هذا المذهب انما هو وصف القبيح والجمال ووصف الخير والشر على وجه واحد فلا فيج ولا جمال ولا خير ولا شر في نظر أهل هذا الأدب وانما هي مظاهر مختلفة يظهرها الرجل فهم يشبهون الانسان بحيوان أو نبات ٠ —

ليست غايتنا التبسط في الكلام على أهل الأدب المجرد وانما أردنا ان نقابل بينهم وبين الجاحظ فالجاحظ يختلف عنهم من حيث انه لم يتوسع في هذا المذهب فهو لم يضح روايات يرمي فيها الى تصوير القبيح والجمال أو الخير والشر وانما لجأ الى مفردات قد لجأوا الى أشباهها نظراً الى التحامها بموضوعاتهم فهو يشبههم في قليل من المواطن فقد نجد من كلامه ما هو مجرد من الأدب نسبة الى عصرنا وقد يكون هذا الكلام مألوفاً في عصره الا أنه كيف يكون

(١) الحيوان — الجزء الثالث ص ١٢ . (٢) لعله : عن لؤم مستعمل .

الامر فلا نستطيع في هذه الايام ان نستعمل أعراب هذا الكلام لأن عصرنا لم يتهياً لهذا النوع من الأدب ، اما كلام الجاحظ الذي اشرت اليه فانه ينبغي لنا في بحثنا عن لغته — وقد جرته هذه الحرية في الإبداع الى حرية مثلها في اللغة فاسمعوا ما قاله في بعض كلامه على الكلاب ^(١) :

« فأما الذي شهدت أنا من أبي اسحاق بن دينار النظم فانا خرجنا ليلة في بعض طرقات الأئمة وتقدمته شيئاً وألح عليه كلب من شكل كلاب الرعاء وكره ان بعدو فيغريه ويضربه وأنف ايضاً من ذلك وكان انفاً شديداً الشكيمة ابناء للعصيمة وكره ان يجلس مخافة ان يشر عليه ببوله أو لعله أن بعضه فيهرت ثوبه وألح عليه فلم ينله بسوء فلما جزنا حده وتخلصنا منه قال ابراهيم في كلام له كثير يعدد خصاله المذمومة فكان آخر كلامه أن قال : ان كنت سبع فاذهب مع السباع وعليك بالبراري والفياض وان كنت بيعة فاسكت عنا سكوت البهائم ، فلما بلغ الى قوله البهائم ثم قال :

ولا تنكر قولي وحكايي عنه بقول ملعون من قولي : ان كنت سبع ولم أقل ان كنت سبعاً وانا أقول : ان الأعراب يفسد نواذر المولدين كما ان اللحن يفسد كلام الأعراب لأن سامع ذلك الكلام انما عجبته تلك الصورة وذلك الخرج وتلك اللغة وتلك العادة فاذا دخلت على هذا الامر الذي انما أصبح يستغف ويغضب بعض كلام الجمعية التي فيها حروف الأعراب والتخفيف والتثقيب وحولته الى صورة ألفاظ الأعراب الفصحاء وأهل المروءة والنجابة انقلب المعنى مع انقلاب نظمه وتبدلت صورته — »

فلم بأنف الجاحظ بعد أن بسط مذهبه هذا من لحن أو من كلام غير معرب أو من لفظ معدول عن جهته حتى نال في كتاب البخلاء ^(٢) :

« وان وجدتم في هذا الكتاب لحناً أو كلاماً غير معرب ولفظاً معدولاً عن جهته فاعلموا اننا انما تركنا ذلك لأن الأعراب يغضب هذا الباب ويخرجه من حده الا أن أحكي كلاماً من كلام متعاقلي البخلاء واشحاء العلماء كسهل بن هارون وأشباهه — »

ولم يقتصر على استعمال اللحن والكلام غير المعرب واللفظ المعدول عن جهته وانما أوصى

(١) الحيوان — الجزء الاول ص ١٣٦ .

(٢) البخلاء — ص ٣٣ .

بهذا المذهب فقال ^(١) :

« ومتى سمعت حفظك الله بنادرة من كلام الأعراب فأياك وإن تعكسها الامع إعرابها ومخارج ألفاظها فانك إن غيرتها بأن تلحن في إعرابها وأخرجتها من مخرج كلام المولدين والبلديين خرجت من تلك الحكاية وعليك فضل كبير . وكذلك إذا سمعت بنادرة من نوادر العوام ومأخضة من أمّاح الحيشوة والطغام فأياك وإن تستعمل فيها الإعراب أو أن تغير لها لفظاً حسناً أو تجعل لها من فيك مخرجاً سرياً فإن ذلك يفسد الامتاع بها ويخرجها من صورتها ومن الذي أريدت له ويذهب استعابتهم إياها واستملاحهم لها . — »

فاذا عرفنا ميله الى الحرية في التصوير والى الحرية في اللغة لزمنا ان نعرف مذاهبه في هذا التصوير وفي هذه اللغة ، ماهي الأصول التي يبني عليها الفن . —

لم يمتن الجاحظ بشيء في أبواب الفن اعتناؤه بالنسبة بين الألفاظ والمعاني فان قاعدة : لكل مقام مقال تكاد تكون أغلب قواعده ، فما أكثر ذكره لها في كلامه ، وما أكثر تنبيهه على استعمالها ولا يجب في ذلك ، فاذا رأيت غداً كيف يناسب بين الألفاظ ومعانيه وكيف تكون ألفاظه على أنداد هذه المعاني عرفتم السبب الذي من أجله يحرص هذا الحرص على أن يكون المقال مطابقاً للمقام ، فقد نبه على هذه القاعدة في مواضع كثيرة من كلامه لا أرى في حاجة الى ذكرها كلها وإنما اجتريء بذكر بعضها فن قوله في هذا المعنى ^(٢) :

« وكل ضرب من الحديث ضرب من اللفظ وكل نوع من المعاني نوع من الاسماء فالستخيف للسخيف والخفيف للثقيف والجزل للجزل والافصاح في موضع الافصاح والكناية في موضع الكناية والاسترسال في موضع الاسترسال وإن كان موضع الحديث على أنه مضحك وملهي وداخل في باب المزاح والطيب فاستعملت فيه الاعراب انقلب عن جهته وإن كان في لفظه مسخف وابدلت السخافة بالجزالة صار الحديث الذي وضع على ان يسر النفوس يكرهها ويأخذ بالكلامها . — »

أو قوله ^(٣) :

(١) البيان والتبيين — الجزء الاول ص ٨١ .

(٢) الحيوان — الجزء الثالث ص ١٢ .

(٣) = = = ص ١١٤ .

« وقبح بالمتكلم ان يقتصر الى الفاظ المتكلمين في خطبة أو رسالة أو في مخاطبة العوام والجار أو في مخاطبة أهله وعبدته وأئمة أو في حديثه اذا حدث أو خبره اذا أخبر ، وكذلك من الخطأ ان يجلب الفاظ الأعراب والفاظ العوام وهو في صناعة الكلام داخل ولكل مقام مقال ولكل صناعة شكل — »
أو قوله ^(١) :

« ووجدنا الناس اذا خطبوا في صلح بين المشائر أطالوا واذا أنشدوا الشعر بين السماطين في مدح الملوك أطالوا وللأطالة موضع وليس ذلك بخطأ وللأقلال موضع وليس ذلك من عجز ... وراينا الله تبارك وتعالى اذا خاطب العرب والأعراب أخرج الكلام مخرج الإشارة والوحي والحذف واذا خاطب بني اسرائيل أو ~~حكي~~ عنهم جعله مبسوطاً وزاد في الكلام — »

ومثل الإشارة الى قاعدة : لكل مقام مقال كثير في كلام الجاحظ ولكن كيف يريد الجاحظ ان يكون هذا المقال ، ماهي قواعد الانشاء في نظره ، أيريد ان يرسل الكاتب كلامه على محبته دون شيء من التنقيح أم يريد ان ينفع هذا الكلام —
اهتم الجاحظ بالتنقيح كل الاهتمام فهو يعلم مقدار فتنة الكاتب بكلامه فلم يجده بدأ من تنبيهه على التهذيب فقال ^(٢) :

« وينبغي لمن كتب كتاباً ان لا يكتبه الا على الناس كلهم له أعداء وكلهم عالم بالامور متفرغ له ثم لا يرضى بذلك حتى يدع كتابه غفلاً ولا يرضى بالرأي الفطير فان لا بداء الكتاب فتنة وعجباً فاذا سكنت الطبيعة وهذأت الحركة وتراجعت الاخلاط وعادت النفس وافرغ أعاد النظر فيه فتوقف عند فصوله توقف من يكون وزن طبعه في السلامة أنقص من وزن خوفه من العيب ويتفهم معنى قول الشاعر :

ان الحديث تغر الناس خلوته حتى يلج بهر عي واكشار

ويقف عند قولهم في المثل كل مجرم في الخلاء يسر فيضاف ان يعتربه ما عتري من أجرى فرسه وحده أو خلا بعلمه عند فقد خصومه واهل المنزل من اهل صناعته ليعلم ان صاحب القلم يعتريه ما يعترى المؤدب عند ضربه وعقابه فما أكثر من يعزم على خمسة أسواط

(١) الحيوان — الجزء الاول ص ٤٦ . (٢) الحيوان — الجزء الاول ص ٤٤ .

فيضرب مائة لانه ابتداء الضرب وهو ساكن الطباع فأراه السكون ان الصواب في الالفال فلما ضرب تحرك دمه فأشاع فيه الحرارة فزاد في غضبه فأراه الغضب ان الرأي في الاكثار وكذلك صاحب القلم فما أكثر من يتندي الكتاب وهو يريد مقدار سطرين فيكتب عشرة والحفظ مع الالفال أمكن وهو مع الاكثار أبعد . (واعلم) ان العاقل ان لم يكن بالمتبع فكثيراً ما يعتبر به ما يعتبر به من ولده ان يحسن في عينه منه المقتبح في عين غيره فليعلم ان لفظه أقرب نسباً منه من ابنه وحركته امس به رحماً من ولده لان حركته شيء* احسنه من نفسه وبدانته من عين جوهره فصلت ومن نفسه كانت وانما الولد كالمفظة يتمخطها والذخامة بقذفها ولاسواء اخر اجك من جزئك شيئاً لم يكن منك واظهارك حركة لم تكن حتى كانت منك ولذلك تجد فتنة الرجل بشعره وفتنته بكلامه وكتبه فوق فتنته بجميع نعمته وليس الكتاب الى شيء* اخرج منه الى افسام معانيه حتى لا يحتاج السامع لما فيه من الروية ويحتاج من اللفظ الى مقدار يرتفع به عن الفاظ السفلة والحشوة ويحطه من غريب الاعراب ووحشي الكلام . — «

وقال في مقام آخر^(١) :

وليس في الارض خصمان يتنازعان الى حاكم الاكل واحد منهما يدعي عدم الانصاف والظلم على صاحبه وليس في الارض انسان الا وهو بطرب من صوت نفسه ويعتريه الغلط في شعره وفي ولده الا ان الناس في ذلك على طبقات من الغلط فمنهم الفرق المغمور ومنهم من قد نال من الصواب ونال من الخطأ ومنهم من يكون خطؤه مستوراً لكثرة صوابه فما أحسن حاله مالم يتجنى بالكشف ولذلك احتاج العاقل في استحصان كتبه وشعره من التحفظ والتوقي. ومن إعادة النظر والتهمة الى أضعاف ما يحتاج اليه في سائر ذلك . — «

ولكنه على شدة اهتمامه بالتنقيح والتهديب لا يريد المبالغة في هذا الامر لانه يعلم ان المبالغة قد تنفضي بالكاتب في خاتمة الامر الى شيء* من التنطع والتنطس فلذلك قال^(٢) :

« وليس له ان يهذه جداً وينقعه ويصفه ويروقه حتى لا ينطق الا بلب اللب وبالفلف الذي قد حذف فضوله ونعرفه وأسقط زوائده حتى عاد خالفاً لا شوب فيه فانه ان فعل

(١) الحيوان — الجزء الثاني ص ٣٧ .

(٢) = = الاول ص ٤٥ .

ذلك لم يفهم عنه إلا بان يجدد لهم أفهاماً مراراً وتكراراً لأن الناس كلهم قد تعودوا المبسوط من الكلام وصارت أفهامهم لا تزيد على عاداتهم إلا بان يعكس عليها ويؤخذ بها إلا ترى أن كتاب المنطق الذي قد وسم بهذا الاسم لو قرأته على جميع خطباء الأمصار وبلغاء الأعراب لما فهموا أكثره وفي كلام إقليدس كلام يدور وهو عربي وقد صني لوسمعه بعض الخطباء لما فهمه ولا يمكن أن يفهمه من يريد تعليمه لأنه يحتاج إلى أن يكون قد عرف جهة الأمر وتعود اللفظ المنطقي الذي استخرج من جميع الكلام (قال معاوية بن أبي سفيان) رضي الله تعالى عنهما لصحار العبدى : ما الایجاز ؟ قال : أن تجيب فلا تبطي ، وتقول فلا تخطي ، قال معاوية : أو كذلك تقول ، قال صحار : أقلني يا أمير المؤمنين ، لا تخطي ولا تبطي ، فلو أن سائلاً سألك عن الایجاز فقلت لا تخطي ولا تبطي وبخضرتك خالد بن صفوان لما عرف بالبدية وعند أول وهلة أن قولك لا تخطي متضمن بالقول وقولك لا تبطي متضمن بالجواب وهذا حديث كما ترى آثاره ورضوه ولو أن قائلًا قال لبعضنا : ما الایجاز ، لظننت أنه يقول الاختصار ، والایجاز ليس يعني به قلة عدد الحروف واللفظ وقد يكون الباب من الكلام من أتى عليه فيما يسمع بطن طومار فقد أوجز وكذلك الإمالة . وإنما ينبغي له أن يحذف بقدر ما لا يكون سبباً لإغلاظه ولا لترداده وهو يصكتني من الأمر فهمام بشرطه فما فضل عن المقدار فهو الخطل — .»

وإذا كان الجاحظ يرمي إلى التهذيب والتنقيح فمن الطبيعي أن يجعل للألفاظ صفات وخصائص وأن يحمل الكاتب على توخي هذه الصفات وهذه الخصائص ، ما هي طبائع الألفاظ التي يميل إليها الجاحظ ، قال في هذا المعنى ^(١) :

« وأحسن الكلام ما كان قليلاً يغنيك عن كثيره ومعناه في ظاهر لفظه وكان الله عز وجل قد ألبسه من الجلالة وغشاه من نور الحكمة على حسب نية صاحبه وتقوى قائلة فإذا كان المعنى شريفاً واللفظ بليغاً وكان صحيح الطبع بعيداً عن الاستكراه ومنزهاً عن الاختلال مصوناً عن التكلف صنع في القلب صنيع الغيث في التربة الكريمة ومتى حصلت الكلمة على هذه الشريطة ونفذت من قائلها على هذه الصفة أصبحها الله من التوفيق ومنحها من التأييد ما لا يتمتع من تعظيمها به صدور الجبابرة ولا يذهل عن فهمها عقول الجهلة ، وقد قال عامر بن

عبد القيس : الكلمة اذا خرجت من القلب وامت في القلب واذا خرجت من اللسان لم تجاوز الآذان ٠ — «
ومن قوله ايضاً ^(١) :

« ومتى شا كل أبقاك الله ذلك اللفظ معناه وأعرب عن غواءه وكان لتلك الحال ونقما ولذلك القدر لنقما وخرج من سماجة الاستكره وسلم من فساد التكلف ، كان قميناً بحسن الموقع وبانتفاع المستمع وأجدر ان يمنع جانبه من تناول الطاعنين ويحمي عراضه من اعتراض العباين ولا تزال القلوب به مغمورة والصدور مأهولة ومتى كانت اللفظ ايضاً كريماً في نفسه متخيراً في جنسه وكان سليماً من الفضول بريئاً من التعقيد حبيب الى النفوس واتصل بالأذهان والتحم بالعقول وهشت اليه الأسماح وارتاحت له القلوب وخف على ألسن الرواة وشاع سيف الآفاق ذكره وعظم في الناس خطره وصار ذلك مادة للعالم الرئيس ورياضة للتعلم الرخيص .
فان أراد صاحب الكلام صلاح شأن العامة ومصلحة حال الخاصة وكان ممن يعم ولا يخص وينصح ولا يفسد وكان مشغولاً بأهل الجماعة شديداً لأهل الاختلاف والفرقة جمعت له الحفظ من أقطارها وضيق اليه القلوب بأزمتهما وجمعت النفوس المختلفة الأهواء على محبته وجعلت على تصويب إرادته ومن أعاده الله من معرفته نصيباً وأفرغ عليه من محبته ذنوباً حنت اليه المعاني وسلس له نظام اللفظ وكان قد أغنى المستمع من كبد التكلف وأراح قاري الكتاب من علاج التعم ولم أجدر في خطب السلف الطيب والأعراب الأقحاح الفاسطاط مسخوطة ولا معاني مدخولة ولا طبعاً ردياً ولا قولاً مستكرهاً وأكثر ما نجد ذلك في خطب المولدين البلديين المتكلمين ومن أهل الصنعة المتأدبين وسواء كانت ذلك منهم على جهة الارتجال والافتضاب أو كان من نتائج التغير والتفكير . ومن شعراء العرب من كان يدع القصيدة تمكث عنده حولاً كريماً وزمناً طويلاً يردد فيها نظره ويقب فيها رأيه اهتماماً لعقله وتنبهاً على نفسه فيجعل عقله ذماماً على رأيه ورأيه عيساراً على شعره إشفافاً على أدبه وإحرازاً لما خوله الله من نعمته ٠ — «

فأكبر همه انتخاب اللفظ النبهي الشريف واجتناب اللفظ المهين الردي .
وقبل ان يشرع الكاتب في الكتابة يلزمه ان يتصور المعنى ثم يتصور اللفظ على قدر

« وشر البلاء من هيا رسم المعنى نبل أن يعي المعنى عشقا لذلك اللفظ وشغفا بذلك الاسم حتى صار يجري اليه المعنى جريا ويلزقه به الزاقا حتى كأن الله تعالى لم يخلق لذلك المعنى اسما غيره ومنعه الإفصاح عنه الآية ٥٠ — »

« وليس ينبغي لكتب الآداب والرياضات ان يحمل أصحابها على الجلد العصف وعل العقل المحض وعلى الحق المر وعلى المعاني الصعبة التي تستكد النفوس وتستفرغ الجهود وللصبر غاية والاحتمال نهاية — »

فما ينبغي للأدب في نظر الجاحظ ان يكون متبعة للعقل وانما الأدب في رأيه ضرب من الرياضة وعلى هذه الصورة يشبه مذهب الجاحظ في قدر الأدب بمذهب أكابر الادباء في فرنسا وفي جملةهم الاستاذ «الانسون» Lanson الذي يريد ان يكون الادب : رياضة وذوقاً ولذة (٢) — في ه آذار سنة ١٩٣٢

شفيق جبري

(١) رسائل الجاحظ على هامش الكامل - الجزء الاول ص ٢٨ .

(۲) // // // // مس ۱۵۵

(۳) راجع کتابی: المثنی - ص ۴۰

قصيدة الفراسة



هذه أرجوزة تعد ٢٣٣ بيتاً تضمنت ذكر فضائل الاجناس وما خص كل جنس من جميل الطبع وقبيح الخلق وأثر كل بلدة بأهله — على سبيل الاختصار وهي من النوادر العزيزة الوجود اذ لم أرها في غير مسودة كتاب كنوز الذهب في تاريخ حلب لاهمدين ابراهيم موفق الدين أبي ذر ابن المعجمي المتوفى سنة ٨٨٤ وقد كتب هذه القصيدة بخط يده وعنه نسختها وكان المرحوم العلامة الشيخ طاهر الجزائري رآها عندي في إحدى زيارته منزلي وطلب مني أن أسمع له بنقلها فاعتذرت له ولم أجب طلبه حرصاً عليها وأخبرني انه لم يرها مدة حياته سوى مرتين هذه المرة احدهما مع كثرة اطلاعه وولعه بالبحث والتنقيب عن الكتب المخطوطة النادرة .

والذي يغلب على الظن استدلالاً من أسلوبها واستنباطاً من تسميتها البلدان والاقاليم وأجناس الناس بأسمائها المذكورة فيها — أنها مما نظم في القرن الرابع او الخامس . وليس الغرض من نشرها بيان نعوت البلدان والسكان التي ذكرت فيها ولا ذكر محاسنهم ومساوئهم إنما الغرض من نشرها بيان عقلية ذوي الثقافة في أهل الزمن الذي نظمت فيه فيما حكته عنهم وهي من جهة أخرى قد تعد أثراً تاريخياً قديماً يستحق ان يحرص على حفظه وصونه من فقدان والضيايع .

والذي أعتقد من ذوي الثقافة في هذه الايام انهم لا يحفظهم ما يرونه في هذه القصيدة من ذكر مساوي بلادهم وأجناسهم فان شعبة مداركهم ترشدهم الى ان طباع الناس والأقاليم قد استحال الكثير منها الى الضد والنقيض اذ من نظر في مرآة الوجود وبحث في أحوال تلك البلاد وأخلاق أهلها وطبق محاسنها ومساوئها على ماورد في هذه الأرجوزة —

تراءى له أن أكثر ما تضمنته قد أحاله الزمان الى عكسه فانقلب البلاد اعمار خرباً والحرب عامراً وهذا مصداق ما قاله الحكيم : « ليس ترداد حركات الفلك الا احالة الكائنات عن حقائقها » قيل ومنه أخذ المتنبي قوله :

ثؤمن صاحب الدنيا طويلاً تقلبت علي عينه حتى يرى صدقها كذباً
ان الكائنات تتأثر بالزمان اكثر من تأثرها بالمكان قال فيلسوف العرب النابغة المعري :

| | |
|---------------------------|--------------------------|
| اما المكان فثابت لا ينطوي | لكن زمانك ذاهب لا يثبت |
| يقال ان زماناً يستفيد لهم | حتى يبدل من يؤس بنماء |
| ان المواهب كلها عارية | ومن السفاهة غبطة بعطائها |
| زمان ينسأطب ابناؤه | جهاراً وقد جهلوا ما عنا |
| يبدل باليسر اندامهم | وتهدم احداثه ما بنسا |

ولابي تمام في المعنى :

| | |
|--------------------------|----------------------------|
| ارض مصرودة وأخرى تسجم | تلك التي رزقت وأخرى تقرم |
| واذا تأملت البلاد رأيتها | تثري كما تثري الرجال وتعدم |
| حظ تعاوره البقاع لوته | واذ به صفر وواد مفعم |
| | حلب : كامل الغزي |

وهذه هي القصيدة :

القصيدة الموعود بذكرها

| | |
|---------------------------|---------------------------|
| الحمد لله على الهداية | والعلم والتوفيق والدراية |
| هذي قصيدة المخدم والفراسة | نافعة لصاحب السياسة |
| يعرف منها كل مستسر | في الناس من ذي صالح ورشر |
| وأيسر جنس فهم الفجاجة | والرأي والتعريف والامسابة |
| وأهم يرغب في السداد | ويقتنى للمهم الشداد |
| وأهم في طبعه شراسة | وأهم ليس له رياسة |

ومن يكون صالحاً للخدمة ومن له عنيزة وهمة
وعلم ما أثمرت البلاد في طبعهم وماله استفادوا
فافهم مقالي فهو عين الرشد ان كنت تبغي بغيثي وقصدي

« ذكر العرب »

خير البرايا والأنام العرب كذاك قال العالم المحرب
طابوا فروعاً وزكوا أصولاً لانهم لم يلدوا مجهولاً
ونزلوا نجداً وارضى نجد سليمة من كل طبع مرد
فسطوا من شره العراق وغلظة الشام والرساق
ففيهم العزة والحمية والشيمة الطاهرة الزكية
كراهة الغدر وبذل الجود والطن بالثقف الأملود
وفيهم الخداع والعداوة والشر والارهاب والقساوة
وفيهم نجابة الاولاد وعندم فضائل الأجداد
رعاية الجار وحق الضيف موجودة فيهم وضرب السيف
وفيهم تراحم وعطف وفيهم عتب وفيهم عنف
أمينهم ليس له مماثل كما الخووف ماله معادل

« ذكر العجم »

والفارسيون لهم مكارم يعرفها من لهم بلائم
لهم خلال ولم رياسة وفيهم السداد والكياسة
وعندم بخل وفيهم كبر وعزة ومنعة وفخر
والرحمات عندم كثيرة والنعمات فيهم شهيرة
وفيهم نجابة معروفة وهمة وعزيمة موصوفة
وعندم رأي وفيهم علم وصنعة وحكمة وفهم

« ذكر الترك »

والترك فيهم فسوة وعظمة وجراًء ما ان لديها مرحمة

لا يعرفون العفو والوفاء ولا يرون الجود والسخاء
 وفيهم النسيان والكفران وفيهم الابطال والشجعان
 وفيهم الليوث يوم الحرب وفيهم كل مליح عذب
 لهم قسود ولم خصور والوجنات الحمر والشعور
 وفيهم نجابة الأولاد لكن عن وامن حكمة السداد

« ذكر الديلم »

والعقل في الديلم والسداد في حسنهم ليس له نفاذ
 وفيهم شهامة وفضل وعفة ورتبة ونبيل
 في نسلهم نجابة وتسوة وغلظة في طبعهم وجسوة
 وفيهم جبرية وظلم وفيهم قساوة وغشم
 وعندهم شطر من الآداب ومن رجوع العقل للصواب

« ذكر الأكراد »

والشركن الشر في الأكراد لبعدهم عن منزع السداد
 وفيهم للحرب والقتال جلادة والطنن بالعوالي
 لكن جميل الخلق والصباحة ليست لهم كلا ولا السباحة
 ونسلهم يصلح للجلاد وللأمور الصعبة الشداد

« ذكر الروم »

والروم فيهم أدب وغارف وغلظة ونفظة ولطف
 وفيهم العقول والألباب وفيهم الآراء والصواب
 وفيهم فوارس الشجاعة والعلم والحكمة والصناعة
 وفيهم اللذة والتمتع لكنهم ما فيهم تصنع
 وفيهم البخل وذل النفس وفيهم الفهم وصدق الحدس
 لكل شيء يصلح الغلام منهم وهذا الشرف التمام

« ذكر الأرمن »

وليس في الأرمن خير فاعلم ان كنت يا صاح اخا تفهم

للشغل الشاق من الاعمال براهم ذو العز والجلال
وفيهم ضرب من الجمال لكنه يندر في الرجال
وفيهم قذارة وخسة وذل نفس ليس فيه لبسة
« ذكر الفرنج »

كذلك الفرنج شر الأمم في غلظ الطبع وخبث الشم
أبجل من يراه رب الناس من سائر الضروب والاجناس
لكنهم ابعمال يوم الحرب واعمل الخلق بحمد القضب
وعندهم سياسة قليلة وحكمة لكنها ضئيلة
وفيهم رشاقة القديود وحمرة الوجنت والحدود
« ذكر اللان »

واللان جنس خلقوا للخدمة والمعاناة وحفظ الحرمة
فان تردهم للنكاح والولد فانت في ذاك على غير الرشده
« ذكر الهند »

والهند فيه عفة وفسق وقسوة وباطل وحق
لم شعور ولم قدود وم اهيل وم عيب
ان استرقوا يصلحوا للرق وللطرفات^(١) وللأشق
وللتنج ثم للاولاد وللخصومات وللجلاد
« ذكر السند »

الأم جنس الناس جنس السند فلا ترد منهم سلوك القصده
لم خصود ولم شعور لكنه اذا م كثير
براهم الله الشديد الحول فاتبهم سبيلي واستمع لقولي
« ذكر البربر »

أنجب اجناس الرقيق البربر لاسما الجنس اللطيف الاصغر
للوطي والاولاد والبيوت يحترن لا للكد والتعنيت

نعم وفيهم للغناء طبع وللعلوم الرائعات جمع
والكيس والظرف لهم شعار فاخترهم فجنسهم مختار
وفيهم سوء وخبت دخله وعندهم بخل وفيهم خله
« ذكر الزرنج »

ان الزرنج في العبيد وسط وأمرهم أمر به تخط
بصلحن للنكاح لالولده ثم للخدمة والتودد
ما فيهم عقل ولا رياسة كلا ولا عندم سياسة
« ذكر أجناس السودان »

وفي الزنوج غلظ الطباع وفيهم ميل الى البضاع
ما فيهم لنا حكمهم منية ولا لقائهم غداً من بغية
الا لاهل الريف والريثاق وكل ذي أمر شديد شاق
براهم لذاك رب الناس فلا تكن عليهم بالآسي
« ذكر صقع سرنديب »

من في سرنديب يكون مولده بطيب منه عيشه ويحمده
ولا يزال ضاحكاً مستبشراً كأنما يشرب صرقاً سكر
« ذكر خراسان »

من في خراسان يكون شهها قاسي الفؤاد لا يراعي رحما
له رواء حسن ومبسم لكنه عن خيره مجهم
« ذكر نيسابور »

كذا نيسابور فيها عجب وليدها فيه البذا والعجب (١)
لا يعرف الفضل لرب الفضل لما عليه قد يرى من جهل
وفيهم شراسة وخفة وظلظة ومسكة وكلفة
« ذكر اصفهان »

وجي فيها شررة وخيرة لكنها شهرتها الشهيرة

ليس لمن في ارض اصهبان خليقة غير اذى الجيران
 لهم رداء ولم جمال وفيهم الحيلة والادلال
 وفيهم تعرب في الطبع لغير دين ولغير شرع
 « ذكر الري »

والري فيها الكيس والظرافة لكنّها في طبعها كثافة
 لهم عقول ولم آداب لكنّها آراؤهم تصاب
 وفيهم شجاعة وقوة وعندهم في طبعهم عنوة
 وليدها يركب كل صعب ولا يخاف نازلات الخطب
 « ذكر مرو »

ومرو في تربتها السلامة وفي بنيتها النقص والقدامة
 ليس بها فضل ولا وسامة ولا لها في اهلها كرامة
 « ذكر طوس »

توان الجهل مع المولود وتسلب الرشد من الرشيد
 وليدها يعرف في الاقطار بانه من جملة الابقار
 وفيهم شراسة وحدة وعندهم لآمة وشدة
 والحسن في غلمانهم معروف لكنهم ليس بهم ظريف
 « ذكر هراة »

وفي هراة كل امر معجب من العلى والدين والتأدب
 وكل فضل من دقيق العلم في اهلها وكل امر نفيم
 وفيهم بسالة وقوة لكنهم ليس لهم مروة
 وفي أناثهم جمال ظاهر يعرفه المقيم والمسافر
 وفيهم بغض لاهل الحق فيا لهذا من لثم الخلق
 « ذكر همذان »

وان ترد في همذان خيرا عن ولو انك كنت طيرا

مدينة في طبعها فظاظة وفي بذها الشر والغلاظة
 الجبل فيهم شائع مشهور والعقل فيهم خامل محذور
 وفيهم دناءة ولوم وترف شيطانه رجيم
 قدسلبوا الغيرة والسدادا والفوا الخصام والعنادا
 وفيهم تماشر في الذنب فيا لهذا من قبيح الادب
 وفيهم محاسن وظرف لكنها ليس عليها عطف
 « ذكر الاهواز »

وعند اهل الخوز والاهواز جماع كل الشر والمخازي
 وفيهم علي دفي الاتس بأس ولكن ليس عن نفوس
 وفيهم من الجمال والمقه خليفة لكنها مستغفقه
 وفيهم لباقة وشكل لكنها عم عليها الجبل
 وقد سبي النساء للرجال في الحسن والعفة والاشكال
 « ذكر مازندران »

مازندران في بنيتها ظرف وعندهم رياسة ولطف
 لكنهم في خلقهم شراسة وحدة أزرث على الرياسة
 وفيهم تكرم وجود بعتاده الاحرار والعبيد
 « ذكر البصرة »

وعند اهل البصرة الرذالة واللوم قد ضما الى الدناءة
 في تربة الارض وفي الهواد جبلة للفهم والذكاء
 وفيهم شر وفيهم لوم شماره عليهم معلوم
 وفيهم سماحة الاخلاق قد جبلت بالرفع والشقاق
 وفيهم نتائج النفاق وكما يجمع في الفساق
 « ذكر الكوفة »

والكوفة الحمراء في هواشها عجائب وتربها وماشها
 الغدر في ترابها مجبول والخير عن مياهها مشغول

| | |
|--------------------------|-------------------------|
| وما لهم عهد ولا وفا | لكن عليهم غلب المراه |
| بالمبدعات عنهم سار المثل | وطبق الارض سهولاً وجبل |
| وعندهم غوص على العلوم | منشورها والمحكم المنظوم |
| وفهم حسن الطلا معروف | يعرف ذلك الفهم الطريف |

« ذكر بغداد »

| | |
|--|--------------------------------|
| وعند بغداد اعتدال تام | يفي ارضها ليس له اكتتام |
| مولودها افهم كل ناطق | بالعلم والآداب والخلائق |
| وعندهم كيس وفضل شامل | لكنه يشوبه مخائل |
| وفهم عجب وتيه و صلف | ودين كل ما حووه من لطف |
| وعندهم سوء وفق زائد | وفطنة لكنهما مكائد |
| وعندهم من المراء والرها ^(١) | ماليس يحصيه سوى رب السما |
| قد جبلوا على السرور والطرب | والسعي بين الناس بالامرا العجب |
| ليس لهم عهد ولا ميثاق | خص بهذا الخلق العراق |

« ذكر بابل »

| | |
|------------------------|-------------------------|
| وبابل شر البلاد والقرى | تكسب طبع اهلها شر الأرا |
| فيهم خلاف وبهم شقاق | وعندهم في دينهم نفاق |
| وفهم دين ونسك شامل | وفهم الخداع والتحايل |

« ذكر الموصل »

| | |
|--------------------------|------------------------|
| والموصل الهدباء خير منزل | قليلة الاسواء والتعلل |
| لم خواص في الفناء والطرب | وكما يكون من شرط اللب |
| وعندهم سماحة وجود | لكنها يفسدها التشكيد |
| لاهلها تيه وعجب زائد | اكثره لفضلهم معاند |
| والدين في عرصتهم غريب | والظلم والبغي لهم حبيب |

(١) الرما لغة في الرياء .

« ذكر الجزيرة »

واسمع هديت صفة الجزيرة وماسرى عن اهلها من سيرة
تراها وماؤها المنساب ليس به علم ولا آداب
لكنه أشيب بالجهالة والحق المحجون بالردالة
ما فيهم عقل ولا صباحة وجاهلهم صنعتهم الفلاحة
« ذكر نصيبين »

صاب نصيبين عذاب الحى وخص فيهم ضررها وغما
فما ترى في ربها صحيحا ولا فنى مذهبها مليحا
دأبهم الخصام والمهاجرة والشر والتكذيب والمكابرة
« ذكر سفجار »

وارض سفجار فشر ارض لعالم العلم وباغي العرض
أخلاقهم سيئة ردية وكلم في فجعهم سوية
لا يعرفون الجود والتكرما ولا الملذات ولا التنعما
قد شغلوا بتمب الأشغال عن العلى وكرم الخلال
« ذكر حراف »

واهل حراف فشر الناس في الوصف والتقدير والقياس
البخل فيهم أظهر الاوصاف بلا ممارسة ولا خلاف
وفهم من غلط الاخلاق ما جل عن حكاية الخذاق
تقاصروا عن شرف الفضائل وانهم حكموا في أزدل الرذائل
« ذكر الرها وماردين وآمد »

وفي الرها وآمد عجائب وماردين عندهم غرائب
كل اهلها لثام بكم عن العلى والمكرمات صم
ليس لهم في الدين والمعلوم حظ ولا في الشرف القديم
فهم جفاء وشرور ونزق وعندهم في الود والحب مذق
وكل مولود من الغلات في ارضهم يعيش كالخيران

ومن ترف فيهم صغيرا لم يك في رياسة كبيراً
«ذكر الرافقة»

لا سيما ان حل ارض الرافقة وحل في تربتها علائقه
وكان من ماء البلخ مشربه ومن ثراها اكله ومكسبه
فابك على ذكائه وفطنته وكيسه وعلمه وحكمته
كذا حكى الرواة عن هارون في وصفها ثم عن المأمون
«ذكر الشام»

والشام عين الارض والبلاد وخير دار وأجل ناد
يكسب من يحله جلادة وعزمة بمضدها نجادة
وفيه ميل الى الولاة ومن له شأن من الكفاة
وفيهم قساعة وصبر لا سيما ان حل يوماً أمر
لكنا الحدة فيهم عادة وغفلة نتاجها بلادة
«ذكر منج»

فمنج طيبة البراري لاهلها رغبة القرار
لكنها مفسدة للرأي ميرة للفهم والذكاء
فيها جمال ولها بهاء وفي بنيتها منطلق هراء
طالما لبس له سيادة ونجمها ما عنده الفادة
وفي بنيتها قوة وشدة لكنها ليس عليها عمدة

«ذكر حلب»

وحلب خزافة الذكاء وموطن العفة والحياء
طالما للغرباء سعد وهي لمن فيها شقا وكد
لكنها تعطي دقيق العلم لأهلها من بعد لطف النعم
لكنها نقيصة السلاح وموطن المراء والكفاح
والعصبيات لديهم وافرة وعلقة الخدق عليهم ظاهرة

« ذكر أحماء »

وفي حماة حمق وخفة وفيهم المكرمات كلفة
 لكنهم فيهم ذكاء ظاهر يعرفه من لم يعاشر
 وفيهم غلاظة الطباع معروفة في سائر الاصقاع
 « ذكر شيزر والمعرة »

سيف شيزر واختها المعرة خلائق الجهل وطبع الشره
 فشيزر جهل بلا مضرة والفهم والضرر لدى المعرة

« ذكر حمص »

وعند حمص كل أمر مجب من نجدة وفطنة وأدب
 لكنهم منزلة الرقاعة وموطن الخفة والفراغة
 وفيهم الحدة والبسالة وفيهم القوة والجهالة

« ذكر دمشق »

وفي دمشق منظر أنيق يعرفه العبد والصديق
 وفي بنيتها منظر عجيب وخلق نتاجه غريب
 لهم رواء حسن وبر لكنه عن باطن يغرب
 وفيهم شكاسة الاخلاق وغلظة تنبؤ عن الشقاق
 ودادهم اما شهدت وافي فان تغب فالود منهم خاف
 وفيهم نجابة وبأس لكنهم ليس لها إنساس
 وفيهم غلاظة وحدة وفيهم على الغريب شدة

« ذكر فلسطين »

وفي فلسطين ارض الأردن والشام الاعلى كل طبع حسن
 هواؤه وماؤه والتراب لأهله فيه معانٍ عجب
 تكسب من حل به او نزلا نجابة تدراً عنه العللا
 تنفج حب الدين والعبادة لأهله والصبر والزهادة

لكنه يغلظ الأكبادا ويعظم الفطنة والسدادا
وفيه إمساك وبخل زائد وفطنة أصح منها مكاييد
ذكر مصر»

وعند مصر كل أمر معجب تخار فيه ففكرة المذهب
طالها باللاعب والمزاح وخفة الأنفس والأرواح
وقلة الغيرة والوفاء والحب للآراء والاهواء
لصحتها قرارة الفراعنة وخطة الأراذل الصفاعنة
وفهم رياسة وهمة وشبق عند النساء وغلبة
والعشق فيهم البذاء فاشي ليس لهم عن قبحه تحاشي
وفهم علم وفهم وأدب وهمة الى العلاء والرتب

« ذكر المغرب »

وعند أهل المغرب الجفاء وقوة ليس بها مرأه
وفهم بخل شديد وقحة عند الجدال المراءه مستقيمة
وفهم شجاعة عند اللقاء خليقة ليست لهم تخلفا
وعندهم علم وفهم وافر وهمة تعرفها العشائر
والعصبيات لديهم همه لكنهم آراؤهم ملتمة

« ذكر الحجاز »

في الحجاز العلم والذكاء والالطف والنجدة والعزاء
وفهم دمانية الأخلاق والبأس يوم الخلف والشقاق
وفهم الغضب سلب المال والسوء والمكر على الرجال
لهم دكاء لهم جمال وفهم الاعطاء والافضال
وفهم ميل الى اللذات والعشق الغناء والفرحات

« ذكر اليمن »

وعند أهل اليمن القباحة موجودة وقلة الرجاحة

وقلة العقل لديهم فاشية لكننا طبايعهم موالية
وعندهم فصاحة ، علم وعزيمة صادقة ، فهم
وفيهم السخافة والتكرم ، وفيهم غدر ، شر يعلم

فهذه نتائج البلاد ، كنه ما يختص بالعباد
نقلتها عن كل طب ندس رجب العلوم صادق الثفرس
ظاهرة الدليل ، البرهان واضحة المنار والتبيان
تنفع من يرغب في السياسة ويمتطي غوارب الرئاسة
ويعتني بحجرة الانام من الأجلا ومن العوام
وقدأنت من حسن التهذيب تلقح رأي القطن اللبيب

الاسماء العربية للثمار النباتية

—(١)—

نشر العالم الخفقي الدكتور أمين باشا المعلوم في هذه المجلة بحثاً مستفيضاً في اصطلاحات النبات^(١) بدأه بالبزرة وأتمها بالزهرة وترك الثمرة وأشكالها دون ان يتعرض لها . ولا شك ان الألفاظ التي استقر عليها الدكتور المشار اليه سواء أكانت من وضعه أم من وضع الذين تناولوا هذا البحث من قبله هي على ما رأيت أصح ما يجب على المؤلفين اقتباسه لكتب علم النبات وكتب الزراعة وما إليها .

ولما كانت معرفة الاسماء العربية لثختلف الثمار منهم جميع الذين يتدارسون العلوم النباتية والزراعية جئت بهذه المقالة كتحققاً لبحث أمين باشا الذي له فضل السبق في هذا المضمار . ولا يظن احد انني وضعت لأشكال الثمار أسماء لم يسبقني إليها العلماء من قبل . فالحقيقة ان عملي في هذا البحث يقتصر على تجميع الألفاظ التي وضعها السابقون واختيار ما أراه منها أصح من غيره . وربما لم يزد ما هو من وضعي (والأصح ما أنبه اليه قبل غيري) على لفظة واحدة أو لفظتين .

والكتب التي راجعت فيها الاسماء الموضوعة لأشكال الثمار هي الآتية :
أولاً كتاب الدر اللامع في النبات وما فيه من الخواص والمنافع تأليف انطون فيجيري
يك طبع سنة ١٢٥٧ هـ في مصر .

ثانياً كتاب مبادي علم النبات تأليف جورج يوشط طبع سنة ١٨٧١ في بيروت .
ثالثاً كتاب علم النبات الزراعي تأليف جون برسيغال ، نقل الى العربية سنة ١٩٢٠ م .
الزراعة المصرية وطبع سنة ١٩٢٠ م .

(١) أنظر م ٧ ص ٢٨٩ وم ٨ ص ٣٢١ و ٤٦٥ من مجلة المجمع العلمي العربي .

- رابعاً معجم العلوم الطبية والطبيعية للدكتور محمد بك شرف .
 خامساً أهم كتب النبات المدرسية التركية ككتاب الدكتور اسعد شرف الدين .
 طبع في القسطنطينية سنة ١٩١٢ وكتاب حسين رمزي بك ، طبع سنة ١٣٢٠ مالية في
 القسطنطينية وكتاب الدكتور شرف الدين منموي ، طبع سنة ١٩٠٩ في مصر . وغيرها
 وهي أربعة كتب أخرى .
 سادساً مفردات ابن البيطار ومعاجم اللغة الأصلية .

لا يخفى على الذين لم إلمام بمبادئ علم النبات ان الثمار تقسم ثلاثة أقسام أساسية وهي
 البسيطة والمركبة والمؤتلفة (أو المدغمة أو المشتركة) . وان الاولى اي البسيطة على ثلاثة
 أشكال : جافة ولحمية وما بينهما . وان الشكل الاول اي الثمار الجافة منها التي لا تنفتح عندما
 تنضج ومنها التي تنفتح .

فمن الثمار الجافة التي لا تنفتح ثمرة يسمونها بالفرنسية (Achaine) تكون بذرتها منفصلة
 عن الغلاف الثري وقد سماها جميع المؤلفين المار ذكرهم « فقيرة » الا الدكتور محمد بك
 شرف فانه عرب اللفظة الانجليزية فقال اخينيوم واخين : وأرى انه يلزم الاحتفاظ بلفظة
 الثمرة الفقيرة التي شاعت منذ نحو قرن الي يومنا هذا .

ومنها ثمرة تدعى بالفرنسية (Caryopse) تكون بذرتها وغلافها الثري متلاحمين
 كحب الحنطة والشعير والذرة وأشباهاها . وقد سماها فيجيري بك « الثمرة اليابسة » . وسماها
 بوست وشرف « الحبة » ووردت في كتاب علم النبات الزراعي بلفظة « البرة » أما الاتراك
 فانهم أطلقوا عليها لفظ « الثمرة القلوية » و « الثمرة المخوذة » وأرى ان « البرة والحبة »
 هما أصلح لفظ لهذا الشكل من الثمار .

ومنها ثمرة تدعى (Samare) لها زائدة كالجناح منهم من عرب اسمها الاعمجي فقال
 « سمارة » ومنهم من سماها ثمرة مجنحة وثمر جناحي . اما بوست فدعاها بالمنتساح . وأظن ان
 لفظ « الثمرة الجناحية » أرجح ما تسمى به .

ومن الثمار الجافة التي تنفتح ثمرة تدعى (Capsule) لم أجد لها اسماً في معجم شرف ولا
 في كتاب بوست . وجاءت في كتاب فيجيري باسم « الثمار الجلونية » وكذا في كتب الاتراك

الا واحداً منهم سماها «العلبة» كما سماها مترجموا كتاب علم النبات الزراعي . وعندني ان أصلح لفظة لهذه الثمرة هي الجرو ج . جراء . فقد ورد في اللسان ان الجرو «وعاء بزر الكماير وفي المحكم بزر الكماير التي في رؤوس العيدان» . وجاء في المخصص «... وكان سنابله جراء الخشخاش ...» . قلت وثمره الخشخاش هي كبسول نباتياً .

اما لفظة العلبة فيرجع استعمالها لثمره أخرى جافة ينفخ نصفها الأعلى كما ينفخ غطاء العلب ويسمونها بالفرنسية (Pyxide) . وسميت في هجم شرف وفي كتاب علم النبات الزراعي «الشر الحقي» ودعاها الأتراك باسم «الشر الصوفي ؟» اما بوست فأطلق عليها لفظة العلبة وهو أرجح اسم لها على ما أرى .

ومن الثمار الجافة التي تنفخ تلك التي تدعى (Follicule) وهي ذات غلاف ثري واحد يتصدع على امتداد تدريز واحد ايضاً . وقد سماها جميع من ذكرنا من المؤلفين «ثمره جرابية» الامتريجي كتاب جون برسيغال فقد أسماها «الحوصلاء» واللفظة الاولى أرجح لانها متفق عليها .

ومنهما ثمار نباتات الفصيلة القرنية كالغول والفاصولياء وأشباهها وتسمى بالفرنسية (Gousse) وغلافها الشمري ينفخ على امتداد تدريزين . وقد سماها المؤلفون ثماراً قرنية وثماراً بقلية ونسب الدكتور شرف الى الجمع فقال «ثر بقولي» . وأصلح لفظة لها هي السنفة والحبة . فلفظة السنفة استعمالها ابن سيده وابن البيطار لهذه الثمار . وورد في اللسان «يقال لأكمة الباقلاء واللوبياء والعدس وما أشبهها سنوف واحدها سنف» . ومن البديهي ان الك في هذه الجملة هو الغلاف الثري بعينه اي ما يدعى بالفرنسية (Carpelle) والسنفة تطلق على ذلك الغلاف وعلى البزور التي هي ضمنه اي على الثمرة كلها .

وجاء في اللسان «الحبة ثمر السلم والسيثال والسمر وهي هنة معقفة فيها حب صغار أسود كأنه العدس . وقيل الحبة ثمر عامة الغضاء وقيل هو عاء حب السلم والسمر واما جميع الغضاء بعد فان لها مكان الحبة السنفة» .

ومنهما الثمار المسماة (Silique) كثمار الخردل واللفت والملفوف والمشمش وقد وردت في كتاب ليبري وكتب الاتراك باسم «الثمار الخرنوبية» وسماها بوست «الجبية ؟» وجاءت في كتاب جون برسيغال بلفظة «الثمار الخردلي» اما الدكتور شرف فقال «ثمر

خردلي ، ثمر بقولي ، حبله « قلت وأصلح الجميع « ثمر خردلي » اما ألفاظ « ثمر بقولي وحبله » فغلط .

هذا في الشكل الاول من الثمار البسيطة وهي الثمار الجافة اما الشكل الثاني اي الثمار اللحمية فهي ايضاً تحتوي على أصناف عديدة نكتفي بذكر أصلح الألفاظ العربية لها دون الخوض في بحث تفريق بعضها عن بعض نباتياً لان ذلك من متناول كتب النبات .

فن الثمار اللحمية التي يكون فيها الغلاف الثري الداخلي ملتحماً بالغلاف الأوسط ثمرة تدعى (Baie) كالعنبه وقد سماها الأتراك وبوست وشرف « الثمار العنبية » ووردت في كتاب فيجيري وكتاب برسيغال باسم « الثمار اللينة » ولعل الاولى أصلح . وما يدخل في هذا الباب الثمار التي تدعى (Péponides) وهي الثمار البطيخية كثمار البطيخ والخيار والقرع وأشباهاها .

ومن الثمار اللحمية التي يكون فيها الغلاف الثري الداخلي منفصلاً عن أجزاء الثمرة السائرة تلك التي تدعى (Hespérides) وهي الثمار البرتقالية والأتراك يسمونها الثمار النارجينية .

ومنها الثمار التفاحية (Melonides) وقد أجمع كلهم على تسميتها بهذا الاسم . ومنها التي تدعى (Drupe) كثمرة المشمش واللوز والخوخ فقد سماها الترك « عُقْمَة » وهي في اللغة شجرة الزيتون البري . ولست أرى لهذه اللفظة مبرراً في هذا المقام . وكذا اللفظة فصاة التي جاءت في معجم الدكتور شرف لان الفصحى في كتب اللغة حب الزبيب واحدته فصاة . ولعل أصلح لفظه تلك التي استعملها بوست وشرف وهي « ثمرة نووية » .

والشكل الثالث من الثمار البسيطة هي التي بين الجافة والطرية كالثمار الرمانية (Grenade) اما القسم الثاني من الثمار اي الثمار المركبة فان منها الثمرة التوتية (Sorose) والثمرة التينية (Sycone) والثمرة الصنوبرية (Cône) وهي كلها لاختلاف فيها .

واما القسم الثالث من الثمار اي الثمار المؤتلفة فكثير العليق (Fruit des Rubus) الذي يسميه الأتراك « ثمر نواتي » خطأ وكاجتماع فقيرات سبغ ثمار بعض الانواع النباتية .

وبعد يلخص بحثنا هذا على الشكل الآتي :

« اللفظة الفرنسية »

أصلح الالفاظ العربية

| | |
|-----------------|-------------------------------|
| Achaine | الشمرة الفقيرة |
| Caryopse | البرة ، الحبة ، الشمرة الحبية |
| Samare | الشمرة الجناحية |
| Capsule | الجرو |
| Pyxide | العلبة |
| Follicule | الشمرة الجرابية |
| Gousse | السففة ، الحبلبة |
| Silique | الشمرة الخردلية |
| Baie | = العنبية |
| Péponide | = البطيخية |
| Hespéride | = البرتقالية |
| Mélonide | = التفاحية |
| Drupe | = النووية |
| Grenade | = الرمانية |
| Sorose | = التوتية |
| Sycone | = التينية |
| Cône | = الصنوبرية |
| Fruit des Rubus | = المليقية |

مصطفى الشهابي

أراء وأفكار

— (١) —

الخط العربي

[النقط . الشكل — الحركات . علامات الفصل الخ]

للعلاّمة المرحوم الشيخ طاهر الجزائري معذّر فليس اسمه « توجيه النظر الى اصول الأثر » عثرنا فيه على بحث ممتع في الخط العربي وعلامات الفصل والوقف والحركات المشوبة بغيرها وغير ذلك مما يستدعيه إصلاح الخط حسبما يتناهأ أفاضل هذا العصر . البحث طويل يستغرق نحو عشرين صفحة وقد غصنا منه بعض ما له علاقة بالموضوع مباشرة قال :

علم قوانين الكتاب أو الخط معروف : وهناك علم يسمى علم قوانين القراءة وهو علم تعرف منه العلامات المميزة بين الحروف المشتركة في الصور والعلامات الدالة على الادغام والمد والقصر والفصل والوصل والمقاطع الخ . وهذا العلم وعلم قوانين الخط متلازمان لغاية واحدة وهي معرفة دلالة الخط على اللفظ . وقد ذكر بعضهم ان شدة الاحتياج الى هذين الفنين وفروط عناية النفوس الانسانية بمعرفتهما وتعلما أغنت عن التصنيف فيهما .

وقال بعضهم الخط علامة فكما كان أبين كان أحسن . وأهل العلم وان لم يستفجوا اغفال الشكل في المكتوبات فانهم يعدون ذلك في كتب العلم مستقيماً . وكثيراً ما دعا حسن الخط الى المطالعة في كتاب لا يميل المطالع اليه . ومن ثمّة جودة الخط مراعاة المناسبة بين الحروف بعضها مع بعض وبين الكلمات كذلك . ومن ثمّة ذلك مراعاة الفواصل وحسن التدبير في فصل الكلمات . وللخط استمداد من الهندسة ولذلك قال بعض الحكماء الخط هندسة روحانية وان ظهرت بألة جسمية . والخط العربي يمكن فيه من السرعة ما لا يمكن في غيره ويحتمل من تكبير الحروف وتغييرها ما لا يحتمل غيره ويقبل من التنوع ما لا يقبله غيره . والمشهور من أنواعه : (المونق) (الفلث) (النسخ) (التوقيع) (الريمان) (المحقق) (الرقاع) .

ولكل منها شيء يختص به : (الفالحق) و (الريحان) يختص بالمصاحف والأدعية . و (النسخ) بالتفسير والحديث ونحوهما . و (الثالث) بالتعليم . و (التوقيع) بالتواقيع الكبار التي للامراء والقضاة والأكابر . و (الرقاع) بالتواقيع الصغار والمراسلات . و (المؤنق) بكتابة الشعر . والخط الدقيق لا ينتفع به أحد بل ربما ضعف نظر صاحبه فلا يعود ينتفع به هو أيضاً . وقال أبو حكيمة كنا نكتب المصاحف بالكوفة فيمر بنا علي بن أبي طالب فيقوم علينا فيقول أجل فلك قال فقططت منه ثم كتبت فقال : هكذا : نوّروا ما نور الله عز وجل . وقد يكون في تدقيق خط الكتب فائدة كأن يكون صاحبها رجلاً يحمل كتبه معه . قال محمد بن المسيب الازغباني : كنت أسني في مصر وفي كني مئة جزء في كل جزء ألف حديث . وقيل لأبي بكر عبد الله الفارسي وكان يكتب خطاً دقيقاً لم تفعل هذا ؟ فقال : « لقلة الورق والورق . وخفة الحمل على العنق » .

وقد اختلفت خطوط الامم من حيث الحركات واتصالها بالحروف وعدمه فكان الخط العربي والعبراني والسرياني مما وضع حركته فوق الحرف أو تحته وبذلك تبسّر لم ان يجرؤوا على مقتضى الحال من الشكل عند الاشكال وتركه عند عدمه أو عند شدة الاستعمال . وللخط العربي مزايا منها وضع علام الواف بحيث يقرأ فيها بدون توقف . وعابه بعضهم بان فيه من الاشتباه ما لا يوجد في غيره من الخطوط لكن الشكوى تزول اذا التزم فيه الشكل وعلام الواف ونحوه .

والعربية أخت السريانية وحروفها أخوات حروفها . واتفق ان وجد في العربية حروف ستة زائدة : هي حروف (تخذ ضغط) فلم يجترعوا لها صوراً جديدة بل صوراً مناسبة لأخواتها القديمة فصارت الشاء مع الشاء والحاء مع الحاء والذال مع الدال والصاد مع الصاد والطاء مع الطاء والغين مع العين على صورة واحدة .

وقد اخترعوا النقط للحروف فزال ما كان يقع من الاشكال بين المتشابهات منها : كالحاء والحاء والدال والذال والسين والشين الخ فصاروا لا يكتبون الا بالنقط سوى بعض الكتب القديمة فانها كُتبت بدون نقط جرياً على الطريقة القديمة ثم روعي النقط تماماً الا التواقيع فانهم اعتادوا كتابتها بدون نقط كما في الشهادات والصكوك وهذا أيضاً مما لا ينبغي ان يقع .

وكانت الحروف العربية قديماً من دون شكل كسائر الخطوط السامية ثم اخترعوا الحركات تحتها أو فوقها لاني صنفها كالخطوط السامية الاخرى . وجعلوا للد علامة أو حرفاً خاصاً داخلًا مع الحروف المحدودة في الصف مما لا يوجد نظيره . في الخطوط الأخرى . والحركات ست : حركة محضة : ضمة فتحة كسرة . وحركة مشوبة وهي التي تكون بين حركتين غير خالصة الى احدهما كالحركة التي بين الفتحة والكسرة وهي الالف المائلة الى كسرة — و كالحركة التي بين الفتحة والضمة وهي الالف المائلة الى ضمة — و كالحركة التي بين الكسرة والضمة وهي الياء المائلة الى ضمة أو الضمة المائلة الى ياء .

ويتولد منها حركات أخرى لكن هذه الست هي الاصول . وقد رأى كثيرون من فضلاء العرب اليوم وجوب إحداث علامات تدل على الحركات المشوبة ليكون الخط العربي وافيًا بالفرض فيما اذا كتبنا كلمات أجنبية فيها شيء من تلك الحركات الفرعية والواقع تحريف في تلك الكلمات يؤدي أحياناً كثيرة الى تغيير المعنى ولودع ادع الى هذا في عهد الخليل ابن احمد لبادر هو أو أحد تلاميذه الى تلبية الداعي .

وقد يقال لماذا لم يضع الأسلاف علامات لهذه الحركات المشوبة وأجاب بعضهم بان السبب هو كون تلك (الحركات المشوبة) ليست في لغة قريش التي هي المقصود الاول وعليها عند اختلاف اللغات المعول . ويقع الى هذا ما كان لهم من شدة العناية بالرواية والتلقي من الأوفياء فلم تبق ثمة حاجة الى إحداث علامات للحركات الفرعية . على ان من بحث وتنبع وجد أنهم وضعوا علامات للحركات المشوبة ايضاً وقد ذكرها سيبويه في كتابه كما ذكرت في كتاب (المحكم في نقط المصاحف و كيفية ضبطها) لابي عمرو الداني فاستحسن بعضهم جعل علامة الفتحة المائلة الى الكسرة — الفتحة الاصلية نفسها لكنهم مقبولة بحيث يكون طرفها متجهاً الى جهة اليمين هكذا (-) وقد جعل بعضهم هذه العلامة مشتركة بين الالف والصغرى والالف والكبرى الا انه فرق بينها فجعل في الالف والكبرى تحت الحرف . وربما زاد بعضهم على ذلك فوضع فوق الالف نقطتين هكذا (̣̣) وجعلها في الالف الصغرى فوق الحرف وقد التزم هؤلاء ان يكتبوا ذلك بالمداد الأحمر .

وأما الفرس ونحوهم فان الأولى لم أن يضعوا علامة الالف تحت الحرف وذلك

لأمرين : أحدهما ان الإمالة ليست من الامور الطارئة في لغتهم ولذا كتبوا حرف المد الذي بعدها بصورة الياء : الثاني أنهم وان عدوا من كسر نحو ضير وشير مما مالوه — لاحقاً فانهم يعدون من فتحه أشد لحساً . والظاهر أنه ينبغي لمن أراد أن يكتب نحو قس وزن وكل بالإمالة كما ينطق به العامة وهو في الاصل مكسور — أن يجعل علامة الإمالة تحت الحرف رعاية لما ذكر . وقد التزم بعض الكتاب ان يجعل الفتحة اذا تلاها مدّة قائمة وبعضهم لم يلتزم ذلك الا في بعض المواضع نحو يرقى ويروي ودهوى والمرنقى والمنثقى ونحو راس وياس واستاذن اذا خففت فيه الهززة بخلاف مثل كاتب وكتابة حتى ان بعضهم يرى عدم لزوم الفتحة فيه مطلقاً لدلالة الالف عليها وخصها بعضهم بالمواضع التي حذف فيها حرف المد نحو هذا وهؤلاء وههنا والآله والرحمن والسنوات ولكن ونحو ذلك . وكالتزم بعضهم أن يجعل الفتحة اذا تلاها مدّة قائمة — التزم بعضهم ذلك في الكسرة فجعلها قائمة اذا تلاها مدّة سواء أكان ذلك في موضع لا يخشى فيه الاشتباه نحو كريم وحليم وكبير وجليل أو كان في موضع يخشى فيه الاشتباه نحو (أدبي وأقصي وأعطي وأولي وأبدي وأخفي) فانها أفعال مضارعة للمتكلم وهي اذا فُتحت يؤولها صارت أفعالاً ماضية للغائب الا ان الداعي هنا أضعف من الداعي فيما قبله والأولى للكاتب أن لا يلتزم شيئاً لا يلزم خشية أن لا يقوم بحقه . هذا وقد يظن ان الفتحة والكسرة قد وضعتا من أول الأمر على صورة واحدة غير أنه فرق بينهما بجعل الفتحة من فوق والكسرة من تحت وليس الامر كذلك فان الخليل لما وضع العلام جمل علامة الضمة واواً صغيرة توضع فوق الحرف — وعلامة الفتحة الفاصفة فوق الحرف الا أنه جعلها مخفية وعلامة الكسرة ياء توضع تحت الحرف واختار لذلك الياء المردودة وهي التي يرجع بها الى الجهة اليمنى هكذا (ے) الا انها تغيرت فيما بعد حتى صارت كما فتحة . وقد اختار بعض المعجم وضعها فوق الحرف علامة على الإمالة الا أنه اختصر فيها حتى صارت هكذا (ے) ومناسبة الياء للإمالة لا يخفى ولو وضعت تحت الحرف لم يكن في ذلك بأس لتمييزها بصورتها ويمكن التصرف فيها على أوجه شتى مختلفة الوضع هكذا (< < <)

وينبغي لمن أراد ذلك اختيار أسهلها عليه . وأما الضمة المشوبة بالفتحة فالأولى أن تجعل علامتها نفس الضمة المشهورة بدون زيادة شيء عليها الا انها تجعل مقبولة بان يكون طرفها منبسطاً الى الاعلى

هكذا (٤) وذلك مثل (الصلوة والزكوة والحيفة) في العربية عند من يكتبها بالواو ويجعل حركة ما قبلها ضمة مشوبة بالفتحة مثل زور وأشوب في الفارسية وينبغي تسمية هذه الحركة بالضمة المشوبة وبزيادة هاتين علامتين ييسر كتابة الفارسية بدون إخلال بشيء من حرركاتها وذلك أن الفرس وكثيراً من الأمم لا يوجد في لغتهم إلا خمس حركات وهي الضمة والفتحة والكسرة والفتحة المائلة إلى الكسرة والضمة المشوبة بالفتحة وأما الضمة المشوبة بالكسرة فالأولى أن تجعل علامتها نفس الضمة المشوبة بزيادة خط تحتها متصل بها هكذا (٥) وهذه الصورة مناسبة لما وضعت له لأن وضع شبه الكسرة تحت الضمة يشعر بأن هنا حركة متمزجة من حركتين هما الضمة والكسرة وأن الضمة متقدمة على الكسرة وعالية عليها وإن كانت التقدم هنا والسبق على طريق الحجاز، مثلاً ذلك مررت (بمذعور وابن بئر) وهذه الحركة وإن كانت قليلة في العربية فهي كثيرة في بعض اللغات المشهورة وينبغي تسميتها بالضمة المائلة لأن في لفظ الامالة بحسب العرف اشعاراً بوجود الميل إلى الكسر ومما يترك لهذه الحركة رد ونحوه من المضاعف المبني لما لم يسم فاعاله . وقد أشار إلى ذلك سبويه حيث قال : أما ما كان من بنات الياء فتقال ألفه لأنها في موضع ياء وبديل منها فنحو انحوها كما أن بعضهم يقول قد (رُد) وقال الفرزدق :

وما (خَل) من جهل جباحلنا ولا قائل المعروف فينا يعنف

فيشتم كأنه بنحو نحو فعل فكذا نحو انحوا الياء : وأما الكسرة المشوبة بالضمة فالأولى أن تجعل علامتها نفس علامة مقابلتها وهي الضمة المشوبة بالكسرة لكونها أشبه الحركات بها إلا أنها توضع مقبولة هكذا (٦) ومثال ذلك قيل وحبي وخيف وهيب وانقيد واختير وخفت وهبت وينبغي أن يكتب مثل قيل وحبي على هذه اللغة بالياء دون الواو وذلك لأن الحرف الذي ينشأ عن هذه الحركة هو الواو الياء أقرب منه إلى الواو : وقد ذهب بعض الناس إلى كتابته في غير العربية بصورة الواو وذلك لكونه مشوباً به وجعل الحركة التي أشأ عنها نوعاً من أنواع الضمة لكونها مشوبة بها وهو مخالف للظاهر فإن الظاهر كون هذه الحركة نوعاً من أنواع الكسرة لأن الكسر أغلب عليها وكتابة الحرف الذي نشأ بصورة

الياء لكونه أشبه بها . وأما في اللغة العربية فيتميز كتابته بالياء لثلاثة أمور : (أحدها) ما ذكر وهو كونه أشبه بها . (الثاني) ان أشهر اللغات فيه هي لغة من يلفظ به بالياء . (الثالث) رعاية الاحتياط فانه اذا كتب على هذه اللغة بالواو ولم ينتبه القاري للاشتمام وأق بالضم الخالص يكون قد ترك اللغة الفصحى وهي لغة من يشم الكسرة ضمة الى لغة غير نصيحة وهي لغة من يقول فيه قول وجو بالضم الخالص . وأما اذا كتب بالياء فانه اذا لم ينتبه للاشتمام وأق بالكسر الخالص يكون قد ترك اللغة الفصحى وهي لغة من يشم الكسرة ضمة الى اللغة التي هي أفصح منها وهي لغة من يقول قيل وجي بالكسر الخالص . واكثر الناس في أمر العلام اما مفترط واما مفطر . فمن المفطرين في ذلك من لا يكاد يضع علامة في موضع من المواضع . ومن المفطرين فيه من لا يكاد يترك موضعاً بغير علامة وقد رأيت بعض قراء الفرس جعل لما نفعوها علام فجعل لما الشرطية الطاء والاستفهامية الميم والموصولة اثناء اشارة الى أنها خبرية لا انشائية وللزائدة العاد اشارة الى انها صلة في الكلام وللکافة الکاف وجعل ذلك فوق ميم ما وكتبه باحرف صغيرة بمبدأ أحمر وجري علي مثل ذلك في كثير من الاشياء والاولى في أمر العلام ان لا توضع الا حيث يضطر اليها أو يبعث عليها باعث .

وهاك جدولاً في الحركات وما يتعلق بها :

| أسماء الحركات | العلامات | مثالها بالعربية | مثالها بالفارسية | معناها |
|----------------|----------|-----------------|------------------|--------|
| الضمة | | ou 'جذ' | پُرْ | ملآن |
| الضمة المشوبة | | o صَاوَة | خُوذْ | نفسه |
| الضمة المائلة | | u رُدْ | . | . |
| الكسرة | | i صَلْ | چِهْ | أي شيء |
| الكسرة المشبهة | | eu هَبْ | . | . |
| الفتحة | | a هَبْ | سَرْ | رأس |
| الفتحة المائلة | | e دَرَجَة | سَهْ | ثلاثة |

وهذا الجيث واسع الأطراف جداً وفيما ذكرنا كفاية للطالب المنتبه والله الموفق .

ومن إجادة الخط مراعاة علامات الوقف . وقد اصطلح كتّاب القرآن الكريم على علامات مختلفة لأقسام الوقف المختلفة : فجعلوا (التاء أو الميم) للوقف التام و(الحاء) للحسن و(الكاف) للكافي و(الصاد) لاصالح و(الجيم) للجائز . وقد التزموا كتابة هذه العلام بالاحمر ووضعها فوق موضع الوقف . ولستخاوي تقسيم آخر للوقف وجعل لكل قسم علامة خاصة غير ما ذكر توضع فوق محل الوقف وتكون بالمداد الاحمر والأقسام الخمسة هي : (اللازم) و(المطلق) و(الجائز) و(المجوز لوجه) و(المرخص للضرورة) : فعلمة اللازم (الميم) وعلامة المطلق (الطاء) وعلامة الجائز (الجيم) وعلامة المجوز (الزاي) وعلامة المرخص (الصاد) . وهناك وقف فيجب جعلها علامته (لا) .

وللكتاب اصطلاحات أخرى في العلامات (فالسین) علامة السكتة وهي الوقف اللطيف من غير التنفس . و(القاف) علامة الوقف الذي قال به بعض العلماء دون بعض . و(قف) علامة على ان الوقف مستحب لا واجب .

ومن جملة علامات الوقف ما اصطلح عليه المحدثون من وضع (دائرة) بين الحدين للفصل بينهما . وكان بعضهم يدع بقية السطر أبيض ليكون البياض مؤكداً للفصل . ومنهم من جعل البياض علامة الفصل وهو مختلف المقادير حسب مقتضيات من تعلق المعاني بعضها ببعض قلة وكثرة وقد أشار إلى ذلك ابن السيد حيث قال : والفصل انما يكون بعد تمام الكلام الذي ابتدئ به واستثناف كلام غيره . وسعة الفصول وضيقها على مقدار تناسب الكلام فان كان القول المستأنف مشاكلاً للقول الاول أو متعلقاً بمعنى منه جعل الفصل صغيراً وان كان مبايناً له بالكيفية جعل الفصل أكبر من ذلك فاما الفصل قبل تمام القول فهو من أعيب العيوب على الكاتب والوراق جميعاً . وترك الفصول عند تمام الكلام عيب أيضاً الا انه من الاول اه . وكان الصحابة لا يعرفون شيئاً مما أحدث في المصاحف الا النقط الثلاث على رؤوس الآيات . وقيل اول ما أحدثوا النقط عند آخر الآيات ثم الفواتح والخواتم . وقال قتادة بدأوا فنقطوا ثم خمسوا ثم عشروا . أي كتبوا الأعراس والأخماس وأسماء السور وعدد الآيات . وقال بعض المقرئين : لا أستجيز النقط بالسواد لما فيه من التغير لصورة الرسم . وأرى أن تكون الحركات والتنوين والتشديد والسكون والمد بالحرمة والمحمزات بالصفة . واول من فعل الشكل في الصدر الاول بطريق النقط هو ابو الاسود الدؤلي . واما الشكل المتداول الآن فن وضع الخليل فالفتحة عنده الف صغيرة فوق الحرف والضمة واو صغيرة فوقها أيضاً والكسرة ياء صغيرة مردودة تحته ووضع لكل من المحمزة والتشديد والروم والإشمام والسكون علامة .

وينبغي ان يتخذ للوقف اربع علامات :

(١) علامة السكت وهي خط هكذا (—) يوضع بعد الحرف المسكون عليه والمراد بالسكت الوقفة الخفيفة مثال استعمالها ما تراء في هذا الشعر من قول بعض القضاة :
[فما خفض الأعادي قدر — شافي ولا قالوا فلان قد — رشافي]
وقول الكهيت :

[وما أنا ممن يزجر الطير — هـه أصاح غراب أم تعرض ثعلب]

فالسكتة الخفيفة في المواضع الثلاثة لازمة لتساعد على فهم المعنى المراد .

(٢) علامة الوقف الحسن وقد اختلفوا فيها : فمنهم من جعلها كتابة الكلمة الاولى بالحبر الأحمر . أو كتابة الحرف الأول ولا سيما ان كان واواً أو بوضع خط أحمر فوق الكلمة الاولى — كل ذلك إشارة الى أن تلك الكلمة مما يسوغ الابتداء بها وان ما قبلها يسوغ الوقف عليه . ومنهم من يجعل العلامة نقطة صغيرة ومنهم من يجعلها واواً مقلوبة هكذا (٦) وهذه العلامة هي التي نختارها مثال استعمالها :

« سوسوا أحرار الناس بحض المودة ٦ والعامه بالرغبة والرهبة ٦ والاسافل بالخفاة . »

(٣) علامة الوقف الكافي واو مقلوبة يزداد عليها نقطة أو خط تمييزاً بينها وبين علامة الوقف السابقة هكذا [٦ أو ٦ —] .

(٤) علامة الوقف التام نقطة كبيرة هكذا (•) ومنهم من يجعلها ثلاث نقط على هيئة نقط الشين (•••) أو دائرة مطبقة (○) أو منفرجة (⊖) . وإذا كان الوقف التام أنواعاً فيحسن أن يجعل لكل منها علامة من هذه العلامات الأربع ومنهم من جعل للوقف التام علامات غير هذه .

ومن العلامات التي اصطلح عليها الكتاب رقم (اه) المنخفضة من (انتهى) حينما يريدون ان الكلام المنقول قد انتهى وتم . وإذا حذفوا جملة في خلال الكلام يقولون (قال) وينقلون الى ذكر ما يريدون بعد حذف المحذوف ثم نحتوا من (قال) حرف القاف فيكتبون هكذا (قـ) . واصطلح المتأخرون على وضع علامة للاستفهام واخرى للتعجب وهو حسن اذا روعي وضعها في محلها المناسب لا أن يجسط في وضعها خبط عشواء . واما وضع علامة قبل مقول القول للدلالة عليه فيحسن اذا خيف التباس أو نحوه . ومجث العلامات مجث واسم الاطراف جدير بان يفرد بالتأليف اه ملخصاً .

مطبوعات حديثة

—(١)—

ديوان الحلاج

[ترجمه الاستاذ لويس ماسينيون]

« طبع في باريس في المطبعة الأهلية — ص ١٥٨ من القطع الوسط. »

الاستاذ لويس ماسينيون أحد أعضاء مجعنا العلمي متفرغ لدراسة الصوفية ، وله في هذا الباب كتاب : الحسين بن منصور الحلاج بحث فيه عن الحلاج من مجامع نواحيه ، مستفيضاً مبنيّاً على القواعد الحديثة في التنقيب وله كتاب آخر بحث فيه عن اصول مصطلحات الصوفية . وله كتاب فيه أربعة نصوص تتعلق بترجمة الحلاج . —

وأخر ما أهداه الى المجمع العلمي : ديوان الحلاج فقد رتب هذا الديوان ونقله الى اللغة الفرنسية ونشره . —

قد يكون نقل الشعر من لغة الى لغة مركباً خشناً لما في كل لغة من الخصائص والامرار التي لا تكون في لغة غيرها ، ففي لغة استعارات اذا نقلت الى لغة ثانية كانت غريباً من السخرية . —

أما نقل المصطلحات الفلسفية من لسان الى لسان فليس فيه من المصاعب ما في نقل صور اللغة الشعرية وخاصة ان كانت اللغة المنقول اليها مشتملة على المصطلحات المجردة أي على خصائص اللغة الفلسفية . —

وشعر الحلاج انما هو شعر فلسفي ليس فيه الا القليل من الصور الشعرية وانما احتوى على صور مجردة بعيدة عن الاستعارات وأمثالها فألفاظ العلم والايمان والتجارب والجسم

والروح والخواطر والوم والفكر وأشباها مما اشتمل عليه شعر الحلاج إنما هي ألفاظ مجردة غير لاصقة بالمادة فلا يصعب وجود أمثالها في اللغة الفرنسية تدل عليها الدلالة الواضحة دون شيء من كد الذهن —

من أجل هذا السبب كان نقل الأستاذ ماسينيون لشعر الحلاج من العربية إلى الفرنسية نقلاً واضحاً حرص فيه صاحبه على خصائص لغة الحلاج وأسرارها —

شفيق جبري

الموجز التاريخي

[للصف الثالث الابتدائي]

« قرنته وزارة المعارف في مصر سنة ١٩٣١ — ١٩٣٢ »

ألفه هنري الشماع مدير مدارس جمعية الايمان القبطية بشبرا وبوسف فعمي أستاذ الآداب والتربية بالقسم العالي بالأزهر الشريف —

طبع بمطبعة رعمسيس — ٤١ شارع الظاهر — مصر .

رسالة مدرسية صفحاتها ٣٨ —

جاء فيها كلام مختصر على العرب وعلى النبي صلى الله عليه وسلم وعلى الخلفاء الراشدين : رضي الله عنهم —

وعلى خالد بن الوليد وعمرو بن العاص —

وعلى معاوية بن أبي سفيان وعلى هرون الرشيد —

وعلى أحمد بن طولون وعلى المعز لدين الله الفاطمي وعلى الحاكم بأمر الله وعلى صلاح الدين الأيوبي وعلى شجرة الدر وعلى الظاهر بيبرس وعلى قانصوه الغوري وعلى سليم الأول وعلى محمد علي بك الكبير —

وفي الرسالة خرائط وصور بعض المساجد في مصر كجامع عمرو بن العاص وجامع بن طولون وجامع الغوري وصلاح الدين وسليم الاول . —
وفي آخر كل فصل أسئلة تتعلق بالفصل ذاته . —
توخى المؤلفان في رسالتها سهولة اللغة ولكن هذه السهولة قد خرجت بهما في بعض المواطن عن متانة التركيب فلا يقال : قالب شيق ، ولا يقال شقيق من موعه ولا يقال : اشترك في حروب ضد الروم الى أشباه هذه التراكيب الضعيفة فقد يكون الكلام سهلاً من غير ان يكون ضعيفاً في مبناء .

شفيق جبري

بحث لغوي في الراء

« بمعنى الرأي »

[بقلم جبران النحاس]

كراسة صغيرة صفحاتها اربع عشرة أثبت فيها صاحبها طائفة من الأقوال التي جاءت فيها كلمة الراء بمعنى الرأي .

اما الشعراء الذين استشهد بأشعارهم فهم : مطيع بن أبياس وأبو العتاهية وأبونواس وابن الرومي وابن الهيثم وأبو عمرو بن عثمان القيني والبحتري والمعتز وابن نباتة السعدي وأبو الفرج البغدادى والشريف الرضي ونجم الدين بن صابر الخنجي .

وأما الكتاب فهم : أبو اسحق الصائغ ، أبو منصور الثعالبي ، القاضي عبدالقادر الجرجاني وقد أورد صاحب الكراسة آياتاً لا يفي تمام وردت فيها كلمة الراء منها :

فاذا رأيت أمي امرئاً أو صبراً يوماً فقد عاينت صورة رائه

فقال الصولي في شرحه على هذا البيت : هذا شيء استعمله الطائي وغيره فأما مذهب سيبويه في ذلك فاذا حمل عليه كان كالعين لأنه لا يجعل همزة حوالبه وما كان مثلها اذا

خفف ياء خالصة ولكن تكون بين بين وياء رأيه ياء خالصة لا يجوز قلبها الى الهذرة
في هذا الموضع فيقع الاختلاف في الروي وأما غير سيبويه فلا يبعد في مذهبه أن يجعل همزة
حوبائه ومثلها اذا خفف ياء وهو مذهب ضعيف ونحو من ذلك ما جاء في شعر أبي النجم لأنه
قال :

هل تعرف الربع عفت جواؤه

وقال فيها :

وعز شأء المغربين شأؤه

فواء شأؤه لا يجوز ان نعلم . همزة جواؤه لا يجوز أن تجعل ١٠ آ خالصة .

شفيق جبري



مصطلحات علمية

« والترجمة والتعريب »

— (١) —

كنت منذ شرعت تدريس العلوم الطبيعية والرياضية في المدارس العربية بدمشق ،
أي منذ عشرين عاماً ، أراجع ان أخذ هذه العلوم عن الكتب الغربية ، اذ لامشاحة في
أن بلاد الغرب هي منبع هذه العلوم في هذا العصر ، لكنني كنت ألاقى في سبيل الوصول
المؤايق عقبات حمة في ترجمة المصطلحات الأعجمية الى اللغة العربية ، فان نفسي كانت —
ولا تزال — تأني استعمال تلك المصطلحات على علائها أو تعريبها باعتقادي بان كلا الحالتين
لا يخلو من الدلالة على احد امور اربعة : (الاول) عدم المبالاة باللغة العربية من ان يعترها
الفساد والتشوه فتصبح بمرور الزمن مزيجاً من لغات مختلفة محرفة الألفاظ مكسرة الحروف
بحيث لا يجدر أن يقال عنها انها «اللغة العربية» بل يجب أن تسمى باسم آخر ، فتبقى اللغة
الأصلية مدفونة في ضرائح الكتب كاللغة اللاتينية وغيرها من اللغات المهجورة لا يعرفها
ولا يقوم بذكرها سوى أفراد نلائل من محبي التفكه بها والولعين بالاطلاع على قديمها ، ثم ان
هؤلاء يأخذ عددهم في النقص كما أخنى الدهر عليها وأفناها الى ان تندرس وتلاشي فتصبح
نسياً منسياً ، (والامر الثاني) من الامور الاربعة التي يدل عليها تحييد التعريب : التكاثر
عن بذل شيء من الهمة في التفتيش عن ألفاظ عربية تقوم مقام المصطلحات الأعجمية المراد
تعريبها ، (والثالث) العجز عن ذلك ، (والرابع) العمد الى إفساد اللغة لسوء قصد بها .
فلما كنت اعتقد بما تقدم من ان الميل الى التعريب لا يخرج أسبابه عن الامور الاربعة
المذكورة ، ولما كنت أعتمد على سعة اللغة العربية معتقداً بان كل معنى يجوز في ذهن
لا بد من أن يكون له فيها لفظ ولو كان كامناً في أغوار معاجمها — كنت أخذ على نفسي أن

لا أجتاز عقبة من عقبات تلك المصطلحات دون تذليلها بترجمتها الى العربية ولو تكبدت سيف ذلك أعظم المشقات وفاديت باعز الأوقات . وقد وفقت والله الحمد الى ترجمة جميع المصطلحات التي لايتها في نقل ما نقلته الى العربية من العلوم الغربية حتى الآن وخططي في تلك الترجمة مبنية على ما يلي :

اولاً : ان لا أتقيد بالترجمة الحرفية بل كنت أترجم بعض الآلات مثلاً بالفاظ تفيد فعلها أو خاصة من خواصها كترجمتي Coupe - circuit « بالخارزة » وهي الآلة المعروفة عند العامة (البوشون) تجعل في مسير التيار الكهربائي حتى اذا اشتد التيار الى درجة الخطر احترقت فانقطع التيار فاندفع الخطر فهي إذت تحرز من خطر الحريق ولذا سميتها بالخارزة ، فلأردنا ان ترجم أعجميتها بالحرف للزم ان نسميها (قاطعة الدارة الكهربائية) في تسميتها بالخارزة منفعتان الاولى استعمال لفظ واحد بدلاً من ثلاثة الفاظ والثانية ان يفهم من اسمها ما خصتها وما فائدتها ، وذلك كما ترجم بعض الأفاضل (بالون) بالمنطاد و (صومارن) بالغواصة و (اوتوموبيل) بالسيارة مع ان كلمة بالون لا يفهم منها الانطباد بل يفهم شيء مننفخ كروي الشكل و (صومارن) معناه (تحت البحر) لا (الغواص) و اوتوموبيل معناه (المتحرك من نفسه) لا (السيارة) مع انه لا يتحرك من نفسه فيتضح من ذلك ان هذه الأسماء العربية أقرب الى فهم حقيقة مسمياتها من أسمائها الأعجمية نفسها ، وهذا من جملة مما سنقل الاسماء الأعجمية الى العربية بالفاظ عربية دون تعريبها كما سنبين ذلك في مقال آخر ان شاء الله .

ثانياً : ان أتجنب في الترجمة الصيغ غير القياسية كاسم الآلة والعفة المشبهة وان اختار الصيغ القياسية كاسم الفاعل ومبالغته واسم المكان أسوة بالمتقدمين الذين ولدوا كلمات كثيرة على هذه الأوزان فان اسم الآلة سماعي لا يصح ان نصوغ على وزنه ما نشاء من الاسماء لان أوزانه كثيرة فالعرب اتفقوا لكل آلة وزناً من الأوزان المعلومة وهكذا جاءت أسماء الآلات مسموعة عنهم فكما انه لا يسوغ لنا ان ننقل أحد هذه الأسماء من وزنه الى وزن غيره من سائر الآلات ، فلا يجوز لنا مثلاً ان نقول بدلاً من ملقعة يملق وزان مثقب ارملاق وزان مفتاح أو أن نشق احد تلك الاسماء من فعل غير الفعل الذي اشتقه منه العرب فنقول (ملقعة) بدلاً من (ملقعة) ، كذلك لا يجوز لنا أن نصوغ أسماء جديدة

على أوزان اسم الآلة ، واما اذا كان ثمت اضطراب الى وضع اسماء لمسميات حديثة لم تكن عند العرب فالجمال أماننا واسع لاستعمال كثير من الصيغ القياسية كاسم الفاعل واسم المفعول واسم المكان ومبالغة اسم الفاعل وهي صيغ لاخلاف في قياسيتها وليس لكل منها سوى وزن واحد سلفاً لاسم الآلة الذي كثرة أوزانه لا بد من ان تؤدي الى الخلاف بين المترجمين واللغويين فاذا ترجم احدها (مكرسكوب) مثلاً بالمجهر (بالكسر) كان لغيره الحق ان يترجمه بالمجهر ولاخر المجهرة ومن هنا الخلاف في وضع المصطلحات واتساع الفوضى اللغوية التي تسعى الى ازالتها ، اللهم الا اذا انعقد مؤتمر لغوي عام منتخب من جميع البلاد العربية مفوض اليه توليد ما يرتبه من الاسماء ، يقر اللفظ ثم ينشره بين العرب عامة فيكون استعماله شبه إجباري بالتواطوء بحيث لا يصح لمؤلف او مترجم او كاتب ان يستعمل غيره^(١) واذا لم يعقد هذا المؤتمر فان ترجمة الاسماء الحديثة على الصيغ القياسية الآتية المذكور خير من ترجمتها على أوزان مماعية لا ينشأ من السير عليها الا الخلاف والتفرق في الرأي .

ثالثاً : اذا كان اللفظ الأعجمي كلمة واحدة ولم يمكن ترجمته بكلمة عربية واحدة فاني لا اتقيد بذلك إذ لا ضرورة اليه بل يمكن ان تترجم الكلمة الأعجمية الواحدة بكلمتين عربيتين على ان يكون ذلك موافقاً لقواعد اللغة كما ترجمت (الكتروود) بالمفذل الكهربائي و (مترونوم) بميزان الفناء و (ترمومتر) بميزان الحرارة « وان يكن ترمومتر مركباً في الاصل من كلمتين فانه في الظاهر كلمة واحدة » وكذلك كل ما كان مركباً من (متر) وكلمة أخرى نحو (بارومتر) (وهو ميزان الجو) و (مانومتر) (وهو مقياس الضغط) و (إغرومتر) (وهو مقياس الرطوبة) ، وما المانع لهذه الترجمة ؟ فان قيل ان المصطلح العربي صار كلمتين مع ان مقابلته الأعجمي كلمة واحدة فالأرجح ان يبحث عن كلمة عربية واحدة تقوم مقام كلمتين —

(١) وما يجدر بهذا المؤتمر ان يعرض الكلمات التي يستحسنها على أنظار الناس في المدن العربية الكبرى على صفحات جرائدها وان ينظر فيما يرد عليه في تلك الكلمات من الملاحظات وذلك الى مدة معينة ثم يقررها ، وبذلك يمكن التواطوء على ان يكون استعمال كلماته والأخذ بأرائه شبه إجباري فينتظم الحال وتزول الفوضى ، والا فان اعماله تذهب من هذه الوجهة سدى على ما نظن .

قلت فان وجدت تلك الكلمة فهي مرجمة على غيرها بلاريب ولكن على ان تفيد المعنى المراد وان تكون موافقة لقواعد اللغة ، لا كما أراد بعضهم ان يترجم ترمومتر (بالحرار) وما نومتر (بالمضاط) واغرومتر (بالمرطاب) فهب اننا نواطأنا على توليد أسماء جديدة على أوزان اسم الآلة فان (مضاط) مثلاً لا يفيد المعنى المراد من مانومتر وهو « الآلة التي يقاس بها الضغط » بل يفهم من مضاط « الآلة التي يفعل بها الضغط » كما يفهم من مفتاح الآلة التي يفعل بها الفتح لا التي يقاس بها الفتح ، وشتان ما بين المعنيين . فما الذي يضربنا من استعمال كلمتين ترجمة لكلمة واحدة اذا لم تساعد سليفة لغتنا على غير ذلك . ألم يكن كثير من الكلمات العربية يقابلها في اللغات الاعجمية كلمتان او اكثر كقولهم *Face antérieure* (وهما كلمتان) مع ان عربيتهما مقدم (وهي كلمة واحدة) وقولهم *Pendant deux jours* (وهي ثلاث كلمات) وعربيتهما يومين (وهي كلمة واحدة) وقولهم *Un morceau de fer* (وهي اربع كلمات) وعربيتهما حديدة (وهي كلمة واحدة) وقولهم *Il est venu* (وهي ثلاث كلمات) وعربيتهما جاء (وهي كلمة واحدة) ، فهل غبطنا بذلك أصحاب هذا اللسان وقاموا يسعون الى التفتيش عن كلمات مفردة تقوم مقام هذه العبارات ؟ كلا ، فان لكل لغة قوالب فالترجمة هي ان يؤخذ المعنى من اللغة المترجم منها ويفرغ في قوالب من اللغة المترجم اليها ، وعكساً لما تقدم فان سليفة لغتنا كثيراً ما تساعد على ترجمة المصطلح الاعجمي المركب من كلمتين او اكثر بكلمة عربية واحدة كما ترجمت *Ultra - microscope* (وهي مركبة من ثلاث كلمات) بكلمة عربية واحدة وهي (الجمتارة) .

وان قيل ان (ميزان الجو) مركب إضافي وهو مما تصعب النسبة اليه فكيف ترجم *Hauteur barométrique* مثلاً ؟ قلت لضرورة لترجمة النسبة بالنسبة ، بل يمكن ترجمتها بمركب إضافي فلك ان تقول في ذلك « ارتفاع ميزان الجو » (مجازاً أي ارتفاع زئبقه) فتكون حلمات على المعنى المراد من العبارة الاعجمية مفرغاً في قالب عربي .

فهذه هي القواعد التي بنيت عليها خطفي في ترجمة كثير من مصطلحات العلوم وحيث ان بعض أصدقائي طلب اليّ ان أنشر تلك المصطلحات على صفحات هذه المجلة ، فزولاً عند رغبتهم ، سأقوم بنشرها تباعاً مبتدئاً ببعض مصطلحات جاءت في كتابي المطبوع «القطوف

الينمية في علم الطبيعة» وقد درجتها كما يلي جاعلاً أرقاماً في حذاء ما لم يسبقني احد اليه منها والله الموفق .

١ - [Calorie — حريرة]

ان كل ما قبل الزيادة والنقصان يقال له في علم الطبيعة (قدر) افرنسيته Grandeur كالطول والمال والحرارة ولاجل مقايضة كل قدر من الأقدار اضطر البشر الى ان يتخذوا من ذلك القدر جزءاً معيناً ليقايس به سائر أجزاء القدر وقد اصطلح علماء الطبيعة على ذلك الجزء (بالواحدة) — افرنسيتهما Unité ^(١) — غير ان اكثر الواحدات تختلف باختلاف الامم فواحدة الطول مثلاً عند العرب الذراع وعند الافرنسيين المتر وعند غيرهم الاصبع والأُنش والميل الخ حتى ان بعض الواحدات يختلف عند الامة الواحدة ايضاً بحسب استعماله ، فالافرنسيون اذا أرادوا قياس طول معتدل اتخذوا له المتر واحدة وفي قياس الأطوال الصغيرة يتخذون السنتمتر وهو جزء من مائة جزء من المتر وفي قياس الطارق الطويلة يتخذون الكيلومتر وهو الف متر ولما لم يكن لبعض الواحدات المستعملة عند الغربيين في العلوم الحديثة مقابل عندنا قد اضطررنا الى ان نقتبسها منهم ونستعملها في علومنا وضائننا التي طالما أنذناهم عنهم . فلاقيت اثناء ترجمتي بعض كتبهم طائفة من هذه الواحدات أردت ان استعمل لها الفاظاً عربية فلم أجداً وفق من طريقة قد أتتني بالفاظ عربية فيها من الفوائد ما لم يكن في أصلها الأعجمي وهذه الطريقة هي :

ان آخذ مصدر المرة من مادة القدر المراد قياسه ثم أصغر ذلك المصدر ، مثال ذلك : عندما أردت أن أضع لفظاً يقابل Calorie ^(٢) وهي الواحدة التي تقاس عليها كمية الحرارة

(١) وقد ترجم بعضهم Unité بالوحدة وهي ترجمة حرفية لا مبرر لها لان الوحدة مصدر مع ان المراد من Unité هنا ليس المصدر بل الاسم وكذلك كثير من اسماء المعادير الافرنسية يرد بمعنى الاسم المطلق أو اسم المنعزل نحو Radiation فانه اسم مصدر بمعنى الاشعاع مع انه يرد بمعنى الشعاع وكذلك Solution وهو الحل فهو يرد بمعنى (الحلول) .

(٢) Calorie مشتقة من كلمة لاتينية وهي Calor او Caloris ومعناه الحرارة .

— أخذت مصدر المرة من الحرارة وهو (حرارة) ثم صغرت فصار (حريرة) ففي ذلك فائدتان : الأولى كون مصدر المرة يفيد الوحدة والثانية كون التصغير يفيد ان الكمية المفهومة من ذلك اللفظ هي جزء صغير متخذ للقياس عليه فهاتان الفائدتان غير موجودتين في معنى اللفظ الاعجمي وزد على ذلك انهم يضطرون أحياناً الى التماز واحدة للحرارة اكبر من الواحدة المذكورة الف مرة فيسمونها Grande calorie مما يجعلهم في حاجة الى تقييد الاولى بـ Petite calorie واما انا فقد سميت Grande calorie بالحررة و Petite calorie بالحريرة . فلا يخفى ما في ذلك من الاختصار وخفة اللفظ .

$$\begin{aligned} 2 - & \text{Dyne} - \text{أَيْدَة} \\ 3 - & \text{Mégadyne} - \text{أَيْدَة} \\ 4 - & \text{Sthène} - \text{أَد} \end{aligned}$$

Dyne واحدة متخذة لقياس القوة تساوي جزءاً من ٩٨٠ جزءاً من ثقل الغرام في دمشق^(١) قترجمتها بالأَيْدَة تصغيراً للأَيْدَة وهو مصدر مرة من آد الشيء إذا قوي واشتد وصلب لأن Dyne كلمة مشتقة من Dunamis اليونانية ومعناها القوة ، ثم ان عندهم للقوة واحدتين أخريين احدهما مايسمونه Mégadyne وهي مركبة من كلمتين يونانيتين وهما [Mégas - اي كبير] و [Dunamis اي قوة] فعنى هذه الواحدة أَيْدَة كبيرة وهي تساوي الف الف أَيْدَة^(٢) فسميتها (أَيْدَة) والثانية مايعبرون عنه بـ Sthène وهي من Sthénos اليونانية ومعناها القوة ايضاً وهي تساوي مائة أَيْدَة قترجمتها بـ (آد) بمعنى القوة ايضاً .

(١) او جزء من ٩٨١ جزءاً من ثقل الغرام في باريز لان الاشياء في باريز أثقل منها في دمشق لكون باريز أقرب من دمشق الى مركز كرة الارض وهو مركز الجاذبة التي تولد ثقل الاشياء وهكذا كلما بُعِد عن خط الاستواء تقريباً من أحد قطبي الارض ازدادت الجاذبة الارضية فازدادت الاشياء ثقلًا لان القطبين أقرب الى مركز كرة الارض من خط الاستواء لانضغاط هذه الكرة في قطبيها كما هو معلوم في علم الجغرافية .

(٢) إذا جعلوا في المقياسات Méga في صدر الكلمة أفاد معنى الف الف مرة وإذا

جعلوا Micro أفاد معنى جزء من الف الف جزء .

٥ — [Dioptrie — كُسْبِيرَة]

هي واحدة لقياس درجة كسر العدسات البلورية لأشعة الضوء وقدر هذه الواحدة قوة عدسة اذا ورد على أحد وجهيها حزمة أشعة متوازية خرجت هذه الحزمة من وجهها الآخر متقاربة بعضها من بعض حتى تتلاقى في بعد عن العدسة قدره متر. واصل Dioptrie ، (Dioptron) وهي كلمة يونانية مؤلفة من Dia بمعنى من بين و Optesthai بمعنى رأى ، فتكون كسيرة ليست ترجمة Dioptrie بالحرف ولا ضرورة الى ذلك كما كنا قدما .

٦ — [Barye — ضُعْطَة]

٧ — [Pièze — ضَغْطَة]

Barye واحدة متخذة لقياس الضغط وتقدرها ضغط أيبدة^(١) على سنتيمتر مربع واحد وهي كلمة يونانية أصلها Barus ومعناه (الثقل) فترجمتها بالضُعْطَة لأنها واحدة لقياس الضغط ، و Pièze كلمة يونانية أيضاً أصلها Pièzein ومعناه (ضغط) تستعمل لقياس الضغوط الكبيرة ونسوي الف مليار ضُعْطَة فترجمتها (بالضغطة) .

٨ — [Lumen — ضَوْيْ]

٩ — [Lux — نُوَيْر]

Lumen كلمة لاتينية معناها الضوء سموا بها واحدة اتخذوها لقياس شدة الضوء فترجمتها (بالضوي) و Lux كلمة لاتينية معناها النور سموا بها واحدة اتخذوها لقياس درجة تنور الاشياء بالضوء فترجمتها (بالنویر) ولا يسمع المقام هنا تعريف هاتين الواحدتين .

١٠ — [Erg — عَمْعِيْلَة]

Erg كلمة مأخوذة من Ergon اليونانية ومعناها السعي اتخذوها لقياس ما يقال له في علم الميكانيك (العمل الميكانيكي) فسميت هذه الواحدة (عَمْعِيْلَة) جرياً على القاعدة التي قدمت بياتها .

١١ — [Loupe — مَكْبَرَة]

١٢ — [Microscope — جَاهِرَة]

١٣ — [Ultra - microscope — جَهْمَارَة]

- [Lunette — نظارة]
 [Télescope — راصدة] — ١٤
 [Photographie — مصوِّرة]

Microscope كلمة مؤلفة من الصدر Micro وهو يفيد جزءاً من الف الف جزء من المتر أو Micros بمعنى (صغير) ومن Scope وهي مشتقة من Skopein اليونانية ومعناها (تفحص) فيكون المعنى «آلة صالحة لفحص الأشياء الدقيقة» فترجمتها (بالجاهرة) بمعنى (كاشفة) من جهر الشيء إذا كشفه وفي الحقيقة إن الآلة المذكورة تكشف ما لا تستطيع العين أن تراه من دقائق الأشياء وقد ترجم بعضهم مكروسكوب بالجهر (بكسر الميم على صيغة اسم الآلة) مع أن اسم الآلة سماعي لا يسوغ لنا أن نبني على أوزانه اللهم إلا بالتواطؤ كما قدمت ذلك في أول المقال .

ومما يحدث لنا ترجمة مكروسكوب بالجاهرة دون المجهر كون المجهر له معان في اللغة العربية «فالمجهر من الكلام والصوت : المجهر ويقال رجل مجهر إذا كان من عادته أن يجهر بكلامه» فلا يخفى ما في استعمال المجهر بمعنى (مكروسكوب) من الالتباس بين هذه المعاني وزد على ذلك أنه إذا ترجمنا Microscope بالجاهرة تسنى لنا أن نترجم Ultra-microscope بالجهرارة (بصيغة المبالغة) وهي آلة تكشف ما لا تستطيع الجاهرة أن تكشفه من دقائق الأشياء فإجمال المناسبة التي بين اللفظين العربيين (جاهرة وجهرارة) بالنظر إلى اللفظين الأفريقيين Microscope و Ultra - microscope ولولا هذه المناسبة بين الصيغتين العربييتين لحرنا بماذا نترجم اللفظ الثاني ومعناه «ما وراء الجاهرة» .

- [Oculaire — العينية]
 [Objectif — الجسمية] — ١٥

للجاهرة عدستان مكبرتان أحدهما ما يرفع الناظر عينه عليها فيقال لها عينية ترجمة Oculaire والثانية التي توجه إلى المادة المفحوصة ، وقد عبرت عن هذه المادة بالجرم ترجمة ل'Objet وإن لم تكن ترجمة حرفية غير أن قلة استعمال لفظ الجرم تساعد على أن يجعل له شبه تخصيص بالمادة التي تفحص بالجاهرة أو غيرها من الآلات البصرية وكان الحق

ان يترجم Objet بالشخص لانه ضد الخيال غير ان كثرة استعمال الشخص لا سيما في غير معناه الاصلي لاتساعد على التخصيص المذكور وعلى ذلك ترجمت Objectif بالجرمية .

١٦ — [Revolver — دوارة]

في الجاهزة آلة يعاقق بها بضع جرميات فتدار على محورها لتجعل الجريمة المراد استعمالها امام الجرم المخصوص فتشبهها لها بالآلة التي تبدل فيها القذائف في المسدسات سموها Revolver فترجمتها بالدوارة لدورانها على محورها ولاشتقاقها من *Evolve* الانكليزية ومعناها كَلَابَ وَلَفَتَ .

[Lame — الصفيفة]

١٧ — [Lamelle — الفَراشة]

يجعل الجرم المراد فحصه بالجاهزة على صفيفة رقيقة من زجاج ثم يستر بصفيفة أخرى من زجاج أرق من الاولى كثيراً فالاولى معروفة «بالصفيفة» ترجمت لـ *Lame* اما *Lamelle* فكان حقها ان تترجم «بالصفيفة» بصفة التصغير لكن مشابهتها للاولى في الرسم تؤدي الى الالتباس فاضطرت الى ترجمتها بالفَراشة (بفتح الفاء وتخفيف الراء) وهي في الأصل كل رقيق من عظم أو حديد .

١٨ — [Diaphragme — الحِطَار]

في الجاهزة تحت عدستها الجرمية صفيفة مستديرة في وسطها ثقبه لتدبير حزمة أشعة الضوء التي ترد على الجرمية فسموا هذه الصفيفة *Diaphragme* من كلمة يونانية *Diaphragma* ومعناها الحجاب فترجمتها بالحِطَار (بالكسر) وهو كل شيء حجز بين شيئين وانما ترجمت الحِطَار على الحجاب ليكون أقرب الى التخصيص بالصفيفة المذكورة لانه أقل استعمالاً من الحجاب .

[Alcool — الكَوَل]

Alcool كلمة تستعمل بمعنى ما يستقطر من الخمر وتعتبر عنه العامة بالاسبرتو ووجود الالف واللام في صدر كلمة *Alcool* يدل على انها عربية الاصل لكنه قد توارثت الآراء في أصلها فمن قائل كحل أو كحول ومن قائل كؤول أو كمول أو قائل المغير ذلك ، اما الكحل فليس من وجه شبه بينه وبين المائع المبحوث فيه إذ ان الاول جامد والثاني مائع والاول

أسود والثاني بلالون اللحم الا اذا قلت ان الأصل كُحيل (بضم ففتح) وهو النفط «زيت الكاز» فهو يشبه الاسبرتو في أمرين : السائلة وسرعة الاحتراق . وأما كؤول فأقرب لفظ عربي اليه الكؤولة ومعناها أن يشتري الرجل أو أن يبيع دبتاً له على رجل بدين لذلك الرجل على آخر وهذا المعنى ايضاً لاعلاقة له بمعنى Alcool ، وأما كهول فعناه ان يصير الرجل كهلاً وهذا ايضاً بعيد عما نبحت فيه ، وكذلك لم أر مناسبة بين الاسبرتو وبين القلي والحاصل اني لم أجد لفظاً أوفق للمطلوب من القول (بفتح الغين) من غاله بقوله اذا ذهب بعقله أو بصحة بدنه ، ولا جرم أن الاسبرتو بذهب بعقل شاربه وبصحة بدنه وتسميته بالمصدر للبالغة لانه هومادة الاسكار في كل شراب مسكر ، وقد جاء في القرآن الكريم « لا فيها غول ولا هم عنها ينزفون » أي ليس في كأس الشراب التي يطاف بها على أهل الجنة خمار يقتال عقولهم ولا يصدرون عنها سكارى .

| | | |
|---|------------------------------|---|
| [| Rayon — شعاع |] |
| [| Radiation — شعاعة |] |
| [| Rayonnement — اشعاع او تشعشع |] |
| [| Vecteur — شُعْ |] |
| [| Radiant — مُشِعْ |] |
| [| Radiateur — مُشِعَة |] |
| [| Roue — شعيع |] |

الشعاع ضوء الشمس الذي تراه كأنه حبال مقبلة عليك وفي الاصطلاح الشعاع الخط الهندسي الذي ينتشر عليه الضوء افرسيته Rayon وقد دل علم الطبيعة على ان شعاع الضوء الابيض ليس بسيطاً بل هو مؤلف من ألوان لا تحصى أشهرها سبعة معلومة في ذلك العلم فسموا كل لون منها Radiation فترجمتها بالشعاعة لان الشعاعة واحدة الشعاع .
وأما Vecteur فهي كلمة اصطلحوا بها في علم الهندسة على كل خط ممتد بين محرق الشكل الدوراني [كالقطع الناقص والقطع الزائد] وبين محيطه ومعنى Vecteur الشعاع ايضاً فترجمته بالشُعْ [بضم الشين وتشديد العين] لانه بمعنى الشعاع .
وأما Radiant فهو من مقاييس محيط الدائرة في علم الهندسة ترجمته بالـ مُشِعْ .

وأما كلمة Radiateur فقد عبروا بها عن آلة تستعمل لتدفئة المكان بهواء حار يجري فيها فتجربتها بالمشعة لان هذه الآلة تنشر حرارتها كما تنشر الشمس أشعتها .
وأما Rone - وهو ما ترجم بالدولاب أو بالعجلة - فأرى الأفضل ان يترجم بالشميع وهو في اللغة العجلة لاسيما وان قضبانها تكون ممتدة من وسطه الى محيطه كالأشعة .

- ٢٤ - [Incandescence - التوهج]
٢٥ - [Luminescence - التلألؤ]
٢٦ - [Phosphorescence - البصيص]
٢٧ - [Fluorescence - البريق]

بصطلحون بـ Incandescence على إضاءة الشيء ساخناً وبـ Luminescence على إضاءته بارداً وبـ Phosphorescence على نشره أشعة في الظلام وبـ Fluorescence على نشره أشعة في الضوء وهو ينار فخصت التوهج بالحالة الاولى والتلألؤ بالحالة الثانية والبصيص بالحالة الثالثة والبريق بالحالة الرابعة .

- ٢٨ - [Projecteur - النواة]
٢٩ - [Projecteur - المروعة]

يعبر الافرنسيون بكلمة Projecteur عن آلتين مختلفتين في الشكل وفي الاستعمال وكان الأجدر ان يعبروا عن كل منهما بلفظ خاص به . أما الاولى فتستعمل لاجل إضاءة المواضع البعيدة وتبادل اشارات المخاطبة بتقطيع الضوء بفترات معينة فسميتها بالنواة (بالتشديد) لشدة نورها ولقوة ارسالها أشعة الضوء الى بعد شاسع . وأما الثانية فهي تستعمل في إيقاع الأخيلة^(١) على ستار ابيض في غرفة مظلمة كإيقاع الصور المتحركة^(٢) وغيرها فسميتها بالموقعة (بضم الميم وكسر القاف) ويقال لها : « الفانوس السحري » .
« للبحث صلة »

الطبيب : محمد جميل الخفاني

— (ملاحظة) —

(١) الأخيلة جمع خيال وأما خيالات لجمع خيالة . (٢) سبينا .

الف ليلة وليلة

تاريخ حياتها

—(١)—

« المحاضرة الثانية »

ليس من اليسير على الباحث الكشف عن حقيقة كتاب كألف ليلة وليلة أصله مفقود ، ومؤلفه مجهول ، وزمان وضعه مبهم ، ومكان حوادثه مشتبّه ، لاننا اذا فزعنا الى التاريخ نسأله قال : إن ما يتصل بالأقاصيص والأساطير كان خارجاً بطبيعته عن اختصاص الاديب ومنهاج المؤرخ ، واذا رجعنا الى نص الكتاب ندرسه لنبتين من لغته وأسلوبه وأسماء أبطاله ومواطن رجاله وعقائد أهله — نصيب كل جنس وجيل في تكوينه وجدناه من هذه الجهة ضعيف الحجة خادع الرأي قليل الفناء ، لان كثيراً من الماسخين والقصاصين في البلاد المختلفة قد اعتوروه فنقلوه على رفق لهجاتهم ، وعشوا به على مقتضى شهواتهم ، حتى لا تجد نسمتين منه المتفقان لافي الترتيب ولا في النص . وفي حكاية البنات مع الحمال والعماليك الثلاثة مثلاً يقول الصعلوك الثاني : انه قرأ القرآن بالروايات السبع وحفظ الشاطبية ، والشاطبية في علم القراءات كالألفية في علم النحو ، وفي بعض النسخ لا يذكر الشاطبية ويكتفي بذكر الروايات السبع . فلو ان ذكر الشاطبية كان عاماً في جميع النسخ لحكمنا بان هذه الحكاية كتبت بعد سنة ٥٩٠ وهي السنة التي توفي فيها الشاطبي . وفي حكاية مزين بغداد بذكر المزين الفيلسوف سنة ٢٦٣ في نسخة و٦٥٣ في نسخة أخرى ، فعل اي الرقمن نعتمد في تاريخ هذه الحكاية ؟ إذن لم يبق للباحث غير الاعتماد على النقد المبني على تاريخ الحضارات المقارن وعلى ما بقي في الكتاب من صور الاساليب ورسوم التقاليد التي لم يشوهها النسخ ولم يعف عليها الزمن .

كان أول من ذكر الف ليلة من المؤرخين علي بن الحسين المسعودي المتوفى سنة ٣٤٦ في كتابه مروج الذهب فقد قال حين عرض لأخبار إرم ذات العباد « ان هذه أخبار موضوعة من خرافات مصنوعة نظمها من تقرب من الملوك برواياتها وان سبيلها سبيل الكتب المنقولة اليها والمترجمة لنا من الفارسية والهندية والرومية (وفي رواية أخرى الفلوية بدل الهندية) مثل كتاب هزارأفسانه ، وتفسير ذلك بالفارسية خرافة ويقال لها (أفسانه) . والناس يسمون هذا الكتاب الف ليلة وهو خبر الملك والوزير وابنته وجاريتهما شهرزاد ودنيا زاد» ثم جاء بعده محمد بن اسحق المعروف بابن النديم المتوفى سنة ٣٨٥ فقال في الفهرست: « أول من صنف الخرافات وجعل لها كتباً وأودعها الخزائن الفرس الاول ، ثم أغرق في ذلك ملوك الاشفانية وهم الطبقة الثالثة من ملوك الفرس ونقلته العرب الى اللغة العربية وتناوله الفصحاء والبلاء فهدبوه ونقوه وصنفوا في معناه ما يشبهه ، فأول كتاب عمل في هذا المعنى كتاب هزار أفسانه ومعناه الف خرافة .

وكان السبب في ذلك أن ملكاً من ملوكهم كن اذا تزوج امرأة وبات معها ليلة قتلها من الغد فتزوج بجارية من أولاد الملوك لها عقل ودراية يقال لها شهرزاد ، فلما حصلت معه ابتدأت تخبره وتعمل الحديث عند انقضاء الليل بما يحل الملك علي استبقائها ويسألها في الليلة الثانية عن تمام الحديث الى أن أتى عليها الف ليلة رُزقت في انثائها منه ولداً أظهرته وأوقفت الملك على حيلتها عليه فاستعقلها ومال اليها واستبقاها ، وكان الملك قهرمانة يقال لها دنيا زاد فكانت موافقة لها على ذلك . وقد قيل ان هذا الكتاب ألف لحيا ابنة بهمن » .

ثم قال ابن النديم في موضع آخر : « والصحيح ان شاء الله ان أول من سمر بالليل الاسكندر وكان له قوم يضعكونه ويخرفونه لا يريد بذلك اللذة وانما كان يريد الحفظ والحرس ، واستعمل لذلك بعده الملوك هزار افسانه ويحتوي على الف ليلة وعلى دون المائتي سمر لان السمر ربما حدث به في عدة ليال . وقد رأيت به تمامه دفعات ، وهو بالحقيقة كتاب غث بارد الحديث » .

فالرجلان كما ترون متفقان على ان الكتاب منقول عن هزار افسانه الفارسي وانه موضوع في خبر الملك والجاريتين شهرزاد ودنيا زاد وان اسمه في عصرهما كان الف ليلة لالف

ليلة وليلة « ولا عبرة بمجمي » اسم الكتاب كاملاً في الطبعة الحديثة المصرية لمروج الذهب فان ذلك من زيادة المصحح » . ويتباينان في نسب البنت والجاربة فيقول المسعودي ان شهرزاد بنت الوزير ودنيازاد جاريتها وهو الصحيح ، ويقول ابن النديم ان شهرزاد من أولاد الملوك وان دنيازاد قهرمانه الملك ، ويزيد ان الكتاب يحتوي على الف ليلة وعلى دون المائتي سمر وانه ألف لحيا أو هميا أو حماني أو حمانه أو حمانه أو حماني على اختلاف الروايات وهي بنت الملك بهمن بن اسفنديار .

هذان هما الوثيقتان الخطيرتان في تاريخ هذا الكتاب ولا يوجد غيرهما فيما نشر علينا من كتب مؤرخينا القدماء اللهم الا إشارة الى وثيقة ثالثة مفقودة نقل عنها المقرئ في الخلطة والمقرئ في نفع الطيب وعزواها الى مؤرخ مصري اسمه القرطي الف كتاباً في تاريخ مصر على عهد الخليفة العاضد الفاطمي ذكر فيه الف ليلة وليلة وقايس بين قصصه وبين ما بداولة الناس في عصره من الحكايات المشهورة . وفي هذا دليل على ان الكتاب على أي صورة من الصور كان معروفاً في مصر على عهد الفاطميين ، وان اسمه كان إذ ذاك الف ليلة وليلة ، وان عنصراً من القصص العربي قد دخل في هيكله . ثم تجاهله بعدئذ ادباؤنا ومؤرخونا فلم يحققوا مصدره ، ولم يسجلوا نموه وتطوره ، حتى جاء رأس المستشرقين البارون سلفستر دسافي ، فبدأ البحث العلمي في أصله بقالين نشرهما في جريدة العلماء Journal des savants أولهما في سنة ١٨١٢ والآخر بعده بأحدى عشرة سنة . وجملة رأيه أن الكتاب تأليف جماعة لا تأليف واحد ، وانه مؤلف في العهد الأخير ، وانه عربي الوضع من فاتحته الى خاتمه ، ودفع قول المسعودي ان فيه عناصر أجنبية من الهندية أو الفارسية . فناقش أدلته قوم آخرون أشهرهم الأستاذ (يوسف فون هامر) الألماني فقد نشر في سنة ١٨١٩ مقالة في إحدى المجلات الألمانية ، وفي سنة ١٨٢٣ مقالة أخرى في المجلة الاسيوية أيد فيها رأي المسعودي تأييداً لا سبيل عليه لاخذ . وفي سنة ١٨٣٩ ترجم الأستاذ (وليم لين) الانجليزي قسماً من الف ليلة وليلة وقدم له مقدمة حاول ان يثبت فيها ان الكتاب تأليف رجل واحد وانه ألف فيما بين سنتي ١٤٧٥ و ١٥٢٥ للميلاد . ثم استأنف هذا البحث في هذا العصر طائفة من ثقات العلماء أشهرهم : كوجي ومولر وفولندي واوستروب وكريمسكي وشوفان وكارادفو ، فاستجلوا على قدر إمكانهم ما غمض من أصل هذا الكتاب حتى أصبح

من الممكن بعد تمحيص ما قالوه وتصحيح ما جهلوه أن نثبت في هذا الأصل رأياً يقارب الصواب إن لم يكنه .

[أصل الكتاب وطبقاته] — أصل هذا الكتاب نواة من الأفايص الهندية والفارسية تسمى هنارافسانه ترجع الى العربية من الفهلوية في أواخر القرن الثالث للهجرة بعنوان « الف ليلة » وهو الذي رآه المسعودي وانتقده ابن النديم . ثم تجمع حول هذه النواة في الازمنة الواقعة بين القرن الرابع والقرن العاشر من الهجرة طبقتان طبقة بندادية صغيرة وطبقة مصرية كبيرة . فأما النواة أو الأصل أو الاطار كما يسميه الباحثون فمؤلف من الحكايات الباقية الآتية : حكاية الملك شهريار وأخيه شاه زمان وهي مقدمة الكتاب وحكاية التاجر والجن ، وحكاية الصياد والجن ، وحكاية حسن البصري ، وحكاية الحصان الآبنوس ، وحكاية الامير باسم وجوهر السمندلية ، وحكاية أردشير وحياة النفوس ، وحكاية قمر الزمان بن الملك شهرمان والاميرة بدور ، وحكاية سيف الملوك وبديمة الجمال .

وقد اختلفت كلمة الباحثين في أصل هذا الأصل كما ألمعنا الى ذلك من قبل ، ففرق يرى ورأيه الأرجح أن المقدمة وبعض حكايات الاصل هندية وبني هذا الرأي على المشابهة في الموضوع والطريقة والأسلوب ، فأما المشابهة والموضوع فإن في حكاية الملك شهريار وأخيه مشابه من « كاثاسارت ساجارا » الهندية . وأما المشابهة في الطريقة فإن إدماج حكاية في حكاية وتوليد قصة من أخرى إحدى خصائص الأدب القصصي الهندي وهي ملحوظة في قصة (مهابهاراته) و (بخجه تنثري) أصل كائلة ودمنة ، لان الباعث الاول على القصص في أدب الهند كان ابناء الفرصة واكتساب الوقت حتى يؤفك المشهور عن عزمه ، ويحجز المتسرع عن وجهه ، كما فعل البغاة مثلاً مع زوجة صاحبه في حكاية (سوكاسباتافي) فقد كان يقص عليها كل يوم أحسن القصص ليعوقها بملو الحديث عن زيارة خليلها في غيبة خليلها ويقطع حديثها دائماً بقوله : سأقص عليك البقية غداً اذا بقيت في البيت . وهذه الطريقة وذلك الباعث نجدهما في كثير من حكايات الف ليلة وليلة فلا نزاع إذن في أنها هندية . وأما المشابهة في الأسلوب فإن من لوازم القاص الهندي ان يقول : لا تفعل ذلك وإلا أصابك ما أصاب فلاناً فيسأله السامع وكيف ذلك فيجيب القاص على هذا السؤال برواية

القصة . وهذا الأسلوب نفسه مستعمل في تلك الحكايات من الف ليلة ، وقولهم فيها وكيف ذلك ؟ ترجمة حرفية لهذه الجملة السنسكريتية (كأنام إناث) ثم يمضي هذا الفريق في تطابق نظريته على بعض الحكايات وينتهي الى ان هناك طائفة من الأفاصيص لاشك في انها فارسية وهي حكاية الحصان الآبدوس وحكاية حسن البصري وحكاية شيف الملوك وبديعة الجمال وحكاية قر الزمان والاميرة بدور وحكاية بدر باسم والاميرة جوهر السمندلية وحكاية أردشير وحياة النفوس .

وفريق آخر يرى ان الأصل كله فارسي تأثر بالعقائد اليهودية والاغريقية والاسلامية ويريد أحدهم وهو الاستاذ گوجي ان يجعل بين هيكल الف ليلة وليلة وبين قصة استر اليهودية صلة ونسبة . ذلك لان ابن النديم في الفهرست يقول ان هنرا افسانه ألف لحيا بنت بهمن ، والطبري يقول ان استر هي زوج بهمن ، والمسهودي يجعل استر زوجة لختنصر ويسميا دنيا زاد ، ثم يطلق اسم شهرزاد ايضاً على أم حميا بنت بهمن اي على زوجة بهمن وهي التي سماها الطبري استر . ويقول المسعودي ايضاً في موضع آخر ان أم حميا يهودية ، ويعود الفردوسي والطبري والمسهودي فيطلقون اسم شهر زاد على حميا نفسها وهي بنت الملك بهمن وزوجه على عادة الفرس الاولين . أما وجه الشبه بين قصة استر المذكورة في التوراة وبين مقدمة الف ليلة فهو أن الملك أسريوس كان كالمملك شهر يار لا يرى المرأة الا ليلة واحدة ، فتزف اليه البكر مساءً ابطردها من قصره صباحاً دون ان يقتلها كما يفعل شهر يار واستر كانت كـشهر زاد تستهوي الملك وتحلب لبه فيستبقيها ، وهي بنت الوزير وشهر زاد بنت الوزير ، وهي تغرر بنفسها لتتخذ بنات جنسها من شر الفضيمة والنل ، وشهر زاد تفعل ذلك الفعل لتدرا عن بنات قومها خطر السباء والقتل .

أما علة هذه الآراء المتناكرة التي تجعل هذا الاصل عربياً بجته او فارسياً بجته او هندياً مشوباً — فهي ان القصاص العرب قد عبثوا به عبثاً شديداً فبدلوا اسماءه وغيروا أسلوبه وموهوا لونه واخترعوا بعضه وطبعوه بطابع اسلامي محض ثم بعثروه في جوانب الكتاب وثنايا القاص حتى التاث على المقاييس الفذة فرزه وتحديده .

وأما الطبقة البغدادية فتتألف من أفاصيص غرامية صغيرة انتزعت من حياة العرب واتسمت بسمة الاسلام وفاضت بنعيم الحب والترف . تمثل حياة الطبقة الوسطى بأسلوب

صحيح عذب وتصور حضارة بغداد في أيام العروس^(١) بخيال قوي خصب ، وتشهدكم سورة الغني في الأسواق ، وضجة الغلمان في الأفنية ، وقصف الجوارى في المقاصير ، ومداعبة الزوارق اللاهية في دجلة ، وتجعل من الخليفة الرشيد ملاك رحمة ورسول عنابة يحمي متذكراً وظاهراً في كل مكان بالثروة للحروم والعدل للظلوم والوصل للعاشق البائس . ولا أقصد بذلك إلى أن كل حكاية يتدخل فيها الرشيد تكون بغدادية ، فإن اقتتان الناس بمجده ، وازدهار العراق في عهده ، جعلاه رمزاً للرخاء والعدل حتى في زمن غير زمنه ووطن غير وطنه .

تجمعت هذه الطبقة في مدى القرنين الرابع والخامس مما أثر عن الرواة ودون في الكتب مستقلاً وغير مستقل . فهي على ما أرجح بقايا القصص التي نشرها الأدباء البغداديون ثم طواها الزمن ، وقد عد ابن النديم في الفهرست عشرات منها كقصة علي بن اديم ومنزلة ، وقصة عمرو بن صالح وقصاف ، وقصة أبي العتاهية وعتب ، وقصة وضاح وأم البنين ، وقصة أحمد بن قتيبة وبانوحة ، وقصة ريمانة وقرنفل وقصة سكينه ولرباب الخ . . .

وأشهر حكايات هذه الطبقة حكاية علي بن بكار وشمس النهار ، وهي قصة شهيد بن من شهداء الحب تشعر النفوس حرقه الأسي على جدهما العاثر ونهايتهما الحزنة ، وقد صيغت في أسلوب رقيق وعبارة مهذبة واشتملت على نوع من الأدب بكاد يخلو منه أدب الخاصة وهو الرسائل الغرامية التي تجري بين العاشقين إذا عز اللقاء رجيل الصبر . ثم حكاية أنس الوجود وورد الأكام وهي طاعة حب وشعر وغزل . تجدون من فيرسا : اما محباً أو حبيباً أو واصلاً بينهما ، والشعر الذي تضمنته إنما أنشئ لها خاصة فهو مطابق لمقتضى أحوالها ، مشتمل على أسماء أبطالها ، وذلك قليل في سائر الكتاب كقولها من أبيات :

ماخاب من سماك أنس الوجود يا جامعا ما بين أنس وجود

يا طلمة البدر الذي وجهه قد نور الدنيا وعم الوجود

ثم حكاية البنات الثلاث مع الحمال والصعاليك الثلاثة . ثم حكاية النائم اليقظان أو أبي الحسن الخليلع . ثم حكاية بدور وجبير بن عمير الشيباني . ثم حكاية الرشيد مع الخليفة الثاني محمد بن علي الجوهري . ثم حكاية المعتضد مع أبي الحسن الخراساني وهي تدور

(١) أيام العروس اسم كان يطلقه البغداديون على عصر الرشيد . (المسعودي)

على السرف والترف والحب وتقص علينا مصرع المتوكل . ثم حكاية الشاب البغدادي مع جاريته . ثم حكاية الجوارى الضرائر . ثم حكايات السندباد البحري وهي وصف جذاب شائق لسبع سفرات مخاطر في مياه الهند والصين قام بهن السندباد في عهد بلغت فيه بغداد والبصرة غاية لم تدرك يومئذ في العمران والعظمة .

ومما لا جدال فيه أنها كانت في الأصل رحلة حقيقية شوهاها الناس بالمبالغة ، وزينها القصص بالافتعال والتزويد ، ولعل صاحبها هو الذي نحاها هذا المنحى من الاغراب كما فعل يزرك بن شهريار في كتابه عجائب الهند . فلوصفناها من مخف الأساطير وصرف الحديث كالسكة العملاق التي يظنها الملاحون جزيرة ، وبيضة الرخ التي يحسبها الراؤن قبة إذن لتكشف عن تفاصيل دقيقة تطابق ما كتبه الرحالون في هذا الموضوع كوصف جزر المهر اجا أو المهر جان كما يسميه السندباد ، والبحث عن الماس بواسطة النسر في سيلان ، وما ذكر عن الفيل والكر كدن وشجر الكافور ونجارة القرنفل الخ . . .

وأصدق ما في حكايات السندباد تصويرها لنفسية الرحالة الذي يشغف قلبه حب الأسفار ومصارعة الأخطار وجهاً لوجه ، فهو في كل سفرة يخوض غمرات الهول ويكابد غصص الغرق ويأخذ على نفسه الموثق الغليظ الا يزمع رحلة بعد هذه المرة . فاذا ما عاد سالماً غانماً الى دياره ، ونعم حيناً بالعيش الرخي بين ندماء وصمارة ، عاده الوله الشديد الى البحر الغادر ، ونازعتة نفسه الطلمعة الى الأفق البعيد ، فيحتوي الراحة ، ويعاف النعيم ، ويتنازع البضائع ، ويكتري السفينة ، ثم يقلع من البصرة !!

واما الطبقة المصرية فهي أوسع الطبقات وأجمعها وأصلحها للبحث وأصدقها في الهجة وأقلها في البلاغة . تألفت في مدى خمسة قرون بين القرن الخامس والقرن العاشر من القصاص العربية والتقاليد الاسلامية والسير اليهودية والاساطير الفرعونية . وقد قسمتها حين حللتها الى طبقتين قديمة تنتهي بالقرن الثامن وحديثة تنتهي بالقرن العاشر . فالطبقة القديمة حسنة الأسلوب مطردة السياق شريفة الغرض تدور على المغامرة والحرب ، وتعارض الأخلاق وتضارب المواقف ، وتعتمد على الطلاسم والأرصاد والجن والسحر والقدر كحكاية جودر الناسجر وإخوته ، وحكاية الوزيرين نور الدين وشمس الدين ، وحكاية مسرور وزين الموصف ، وحكاية قرا الزمان الثانية ، وحكاية الخياط والأحذب ، وحكاية مزين

بغداد وهي قطعة فنية قوية رائعة ، ثم حكاية علي شار او بشار مع زمرد . والطبقة الحديثة على الجملة عامية اللغة ركيكة الأسلوب جريئة العبارة تدور تارة على حيل المحتالين ومكابد العيارين وخطاطر اللصوص ، وتارة على تصوير الأخلاق وتذكير النفوس الغافلة بالعبر . وظهور القمص الخشال البعير بجانب القمص المتصوف الزاهد في هذه الطبقة — إنما اقتضته طبيعة المجتمع المصري يومئذ من التجاذب فريق من الناس الى الله وانصراف فريق آخر الى الشيطان . وقد كان من الممكن ان تبدو هذه الظاهرة ايضاً في قصص بغداد لولا ان مغامرات المهو والحب فيها قد غابت في نفوس القمصيين على كل شيء وهم الى ذلك كتاب بشأرون عن حياة العامة . فقد كان في بغداد على عهد الخليفة المعتضد بالله رجل اسمه العقاب وكنيته ابو الباز شهر بالكيد والحيلة حتى قال فيه المهودي في الجزء الثاني من مروج الذهب ص ٤٧٩ من طبعة مصر « أنه برز في مكائده ومأورده من حيله على دالة الخساسة وغيرها من سائر المكارين المحتالين ممن سلف وخلف منهم » ثم ذكر بعض حوادثه وهي غريبة .

وكان في بغداد كما كان في القاهرة نظام (التوابين) وهم اللصوص الذين اذا أعدموا الكبر عن السرقة تابوا ورسمهم الخليفة شيوخاً لأصناف اللصوص فاذا حدثت حادثة عرفوا فعل من هي . ذكر ذلك المهودي ايضاً في ص ٤٧٣ من الجزء نفسه وكانت بغداد والقاهرة تتبادلان هذا الصنف من الزعماء والشيوخ كما يقصه علينا الف ليلة وليلة .

تأثر القصاصون المصريون في حكايات الخيل إذن بطبيعة العمران فضلاً عن تأثرهم بما بقي مذكوراً على بعض الألسنة من أساطير اليهود الفرعونية ، فان قصة علي بابا واللصوص الاربعين مثلاً تشبه قصة وردت في (كتاب الأفاصيص الشعبية في مصر القديمة) لكبير الأثريين الاستاذ (ماسبيرو) . ثم تأثروا في أفاصيص العبر والعظات بالاسرائيليات كحكاية مدينة النحاس وقصة حاسب كريم الدين وبلوقيا وجان شاه ، وذلك مادعا الاستاذ (فكتور شوفان) الى ان يقول ان القصص المصرية الاخيرة إنما وضعها يهودي مصري أسلم ، وذلك بالطبع وهم من الاستاذ لان علم العرب بالاسرائيليات منذ ظهر الاسلام لا يقل عن علم اليهود بها .

وأشهر أفاصيص هذه الطبقة حكاية علي بابا واللصوص الاربعين ، وحكاية علاء الدين

ابن الشامات والمصباح العجيب ، وهي التي اقتبسوا منها لص بغداد للسبينا ، ثم حكاية معروف الاسكاف ، وحكاية ابي فير وابي صير ، وقصة حاسب كريم الدين ومملكة الحيات وقصة مدينة النحاس ، وحكايات احمد الدنف وحسن شومان وعلي الزبيقي ودليلة المتحالة وزينب النصابة ، وحكاية الملك الناصر والولاة الثلاثة ، وحكاية الرجل الصمدي وامراته الافرنكية .

وفوق هذه الطبقات الثلاث أو الاربع تراكم في العصور الحديثة عدد من القصص الكبيرة والأقاصيص الغريبة ليلبلغ الكتاب الغاية التي حددها له اسمه . وفي هذه الزيادة تختلف النسخ اختلافاً شديداً . من تلك القصص طائفة حائلة اللون من أثر التقليد كقصة عجيب وغريب وسهم الليل وهي من قصص البطولة والحرب تستعر قائمها في العراق بين العرب والعجم أو بين دين الحنيفة واليهودية ، وتستعير صورها من قصة عنتره وسيرة ابن ذي يزن ، ثم قصة عمر النعمان وأولاده وهي مضروبة على قالب أردشير وحياة النفوس ، ثم قصة تاج الملوك والاميرة دنيا وهي كسابقتها تقليد لقصة أردشير ، ثم حكاية جان شاه وهي تقليد سخيف لحكاية حسن البصري ، ثم حكاية وردخان والملك جليعاد وهي ملفقة من أمثال كيلة ودمنة .

وطائفة أخرى يغلب فيها أثر التجديد كحكاية حكثار الحكيم ، وأقصوصة شول وشمول ، وحكاية الجارية تودد وهي حكاية ثقافية تعليمية كتبها فقيه مصري في العهد الأحدث على الرغم من وقوع الحادثة ببغداد ، وقيام المناظرة برباسة النظام المتكلم في مجلس الرشيد ، فان الجارية كانت تجيب السائل في الفقه على المذهب الشافعي وتصرح بذلك ، وتذكر في التقرير الزراعي الشهور القبطية ككهيك وبرموده وبشنس ومسرى وأمشير ، ثم تقول في حضرة الرشيد : الويل ثم الويل لمصر والشام من جور السلطان . ومن الغريب أن الاستاذ أوستروب يقول في دائرة المعارف الاسلامية ان هذه القصة نشرت في اسبانيا بعنوان (لادزن زلاتيردور) أو تودور . ويظن ان تودد تصحيف تودور . ولم يفتح لي الاطلاع على هذه القصة لارى كيف تتفق مع قصة كل ما فيها مناظرة في علوم الثقافة الاسلامية البحتة .

وهناك عدا ما ذكرت مجموعة من أقاصيص الفرسان والاجواد ونوادير الاولياء والزماد

نقلت من العقد الفريد والمستطرف وعروس المجالس ومناقب الصالحين لم يقصد بها الا توسيع الكتاب .

[مؤلف الكتاب وزمن تأليفه وسبب تسميته] — ذهبت جهود الباحثين باطلاً في تحقيق هوية المؤلف ، لان هزارافسانه نقل الى العربية غفلاً لم يسم واضعه ، ثم غشيت به الطبقتان البغدادية والمصرية على التدرج ، فكان كل قصاص يكتب لنفسه ماسمع وجمع في عصره من ثمرات القرائح وقطرات الأقلام دون ان يسندوها الى راوٍ او يعزوها الى مؤلف . ولماذا يفعل ذلك وهو يريد ان يحفظ ويقتصر لا أن يروي وينشر ! فلما هيأت الاحوال أسباب تدوينها في العهد الذي ذكرته قبض الله لها من ضم شتات الفتى ونسق نظام وحدتها ثم دونها على هذه الصورة . ولم يستطع ذلك الجندى المجهول ان يملئ اسمه على الخلود ، إما لتواضع فيه حملة على إنكار ذاته ، وإما لتواطؤ من النكران والنسيان أمات اسمه بعد مجاته ، ومن التوافق الغريب ان أسماء الكتاب الذين وضعوا القصص الفرنسية الكبيرة في العهد الذي دون فيه ألف ليلة وليلة قد سحبت النسيان عليها ذيله كذلك ، كأغاني رولان وقصص المائدة المستديرة وقصص الحكماء السبعة مثلاً .

وقد اختلف العلماء في أن يكون المؤلف واحداً أو جماعة ولست أرى لهذا الخلاف وجهاً فان الكتاب تكون على اليقين من أعمال مستقلة ثم نما بالاتفاق على توالي الحقب ، فوضعه وتكوينه إذن عمل جمع ، وجمعه وتدوينه عمل فرد ، وتحليله الى الاعمال الفردية المتعاقبة أمر فوق القدرة ومن وراة الامكان . أما التاريخ الذي قرأ فيه على هذا الوضع الأخير فهو النصف الاول من القرن العاشر من تاريخنا ، ومن الممكن ان يفسر منه في السنوات العشر الواقعة بين سنتي ٩٢٣ و ٩٣٣ وهما توافقان سنفي ٥١٧ و ٥٢٦ من التاريخ المسيحي . وقد حصره الاستاذ وليلمين الانجليزي بين سنفي ٤٢٥ و ٥٣٥ للميلاد اي في مدى خمسين سنة فوافقناه في الغاية وخالقناه في البدء ، ولم نر هذا الرأي اعتباطاً من جهة ، ولا استنباطاً من النص الظنمين من جهة أخرى ، وانما اعتمدنا في تقيده على دليل مادي وهو ان الاستاذ الفرنسي (جلان) قد أخذ ينشر ترجمة الكتاب لبلاط الملك لويس الرابع عشر سنة ١٧٠٤ وقد نقله عن نسخة عربية مخطوطة في ثلاثة مجلدات أرسلت اليه من سورية بعد سنة ١٧٠٠ وهي مكتوبة بمصر غفلاً من التاريخ ، ولكن الذي نقلها الى الشام وهو من

طرابلس كُتِبَ عليها بخطه انه امتلكها سنة ٩٤٣ للهجرة ثم انتقلت من يده الى يد آخر من حلب فكُتِبَ عليها أيضاً تاريخ هذا الانتقال وهو سنة ١٠٠١ فيكون تأليف الكتاب إذن قد تم قبل سنة ٩٤٣ بزم من تقديره كما قدره (لين) بعشر سنين .

هذا من جهة الطرف الاعلى اما من جهة الطرف الادنى فاننا نجد ذكر القهوة المعروفة يتردد في بعض الحكايات كحكاية ابى صير وابى قير وحكاية علي نور الدين ومريم الزنارية مثلاً وذلك لا يكون قبل العقد الاول من القرن العاشر لان القهوة لم تنتشر في الشرق الا في هذه المدة ، ثم نجد لفظ الباب العالي وبعض النظم العثمانية تذكر من حكايات أخرى كحكاية معروف الاسكاف وهي مصرية قطعاً والعثمانيون لم يستولوا على مصر قبل سنة ٩٢٣ فيكون الكتاب إذن قد دُون بعد هذه السنة وقبل سنة ٩٣٣ .

ذلك تحقيق الزمن الذي صنف فيه الكتاب جملة ، اما تحديد التاريخ لكل حكاية وكل طبقة فذلك عمل ان تيسر في حكاية تعذر في أخرى ، وبعض الباحثين قد حاول ذلك في شيء من التوفيق كالاستاذ وليم بوير الامريكى فانه نشر سنة ١٩٢٤ بحثاً في ٤٤ صفحة من المجلة الاسيوية جزم فيه بان حكاية الوزيرين شمس الدين ونور الدين قد كتبت بعد حكم الظاهر بيبرس أي بعد سنة ٦٢٦ ويرجع انها كتبت سنة ٧٠٦ وان قصة الخياط والاحدب بما تشتمل عليه من الحكايات الاخرى كزمن بغداد قد ألفت سنة ٨١٩ للهجرة والنسحول في هذا الموضوع يخرج بنا الى التفصيل الذي يملك في الروح ويحمد نشاط الحديث .

سمى العرب هزار افسانه الف ليلة ولو أرادوا الترجمة الالمانية لقالوا الف خرافة أو أسطورة ، فعندولم عن العنوان الصحيح يدلنا على أحد أمرين : إما ان الليلة كانت في اصطلاحهم ترادف الاسطورة باعتبارها زمناً لها وذلك ما نستطيع استنباطه من قول محمد ابن اسحق الوراق : « ابتدأ ابو عبدالله الجهشيارى صاحب كتاب الوزراء بتأليف كتاب اختار فيه الف سمر من أسفار العرب والعجم والروم وغيرهم كل جزء قائم بذاته لا يتعلق بغيره وأحضر السامريين فأخذ منهم أحسن ما يعرفون ويعشرون ، واختار من الكتب المصنفة في الأسماء والخرافات ما يحلى بنفسه . . فاجتمع له من ذلك اربعمائة ليلة وثمانون ليلة كل ليلة سمر تام يحتوي على خمسين ورقة وأقل وأكثر ، ثم عاجلته المنية قبل استيفاء ما في نفسه من تكميله الف سمر . . » وإما ان يكون عدد الالف في الاصل انما أريد به التكثير

لا التحديد على حد قوله تعالى : « ان تستغفر لهم سبعين مرة فلن يغفر الله لهم » وأحر به ان يكون كذلك فان ابن النديم قد رآه بنجامة مراراً وقال ان فيه دون المائتي سمر وهو اليوم بطبقاته وزياداته واستطراداته لا يتجاوز ٢٦٤ حكاية قسمها المؤلف على الف ليلة وليلة تقسيماً فيه عبث المزل أو صنف الصناعة فان شهرزاد يدر كهها الصباح دائماً ولما يمض على حديثها غير بضع دقائق على انه لم يبق مآراء ابن النديم الا تلك الحكايات التي سردناها عندما تحدثنا عن الأصل .

إما زيادة الليلة على الالف فمن عمل القرن السادس لان النسخة التي رآها القرطبي بمصر على عهد الخليفة العاضد الفاطمي كانت تحمل اسم الف ليلة وليلة . ويقول (جلد مستر) في تحليل زيادة الليلة ان العرب يطأرون بالأعداد الزوجية وهو زعم غريب مارأيت في تاريخنا ولا في أدبنا ما يؤيده . ولقد ظل الكتاب اكثر من قرنين يسمى الف ليلة وكان الجهشياري يريد أن يسمي كتابه الف سمر وعندنا الفية ابن معطي والفية ابن مالك ، وأغرب من هذا الزعم ان يؤيده أوستروب في دائرة المعارف ويزيد عليه ان ميل الناس في تلك العصور الى التسجيع في عناوين الكتب كان من البواعث ايضاً على هذه التسمية ! وليس في قولنا الف ليلة وليلة كما تعلمون تسجيع ولا مزاجعة . والغالب في رأبي أن الليلة انما زيدت فوق الالف لافادة الكمال كلفحة الاوان ورجحة الميزان ، لان الالف عدد تام بالنسبة الى هذا الكتاب فاذا زيد عليه الواحد كان كاملاً . والكمال درجة فوق التمام ، وان في لغة التخاطب ما يشبه ذلك فقد يقال في المن قضيت لك الف حاجة وحاجة وفي المبالغة زرتك الف مرة ومرة وهلم جرا .

« للبحث صلة »

احمد حسن الزيات

عضوالمجمع العلمي العربي



رحلة اوليا جلبي

« في البلاد العربية »

—(١)—

تمهيد ٠ — محمد ظلي افندي المعروف باوليا جلبي اي الولي الفاضل سائج تركي شهير من رجال القرن الحادي عشر الهجري (ولد في سنة ١٠٢٠ وتوفي في سنة ١٠٩٠) زار أكثر الامصار التي كانت تتألف منها السلطنة العثمانية المتزامية الاطراف في ذلك العهد ووضع في وصف رحلاته العديدة بضعة مجلدات لم يطبع منها الا القليل وهي تعد عند الترك من الآثار القيمة لما تضمنته من بيان عمران البقاع والبلدان التي شاهدها ووصف مناظرها ومبانيها وأحوال سكانها وصفاً لا بأس فيه تتخلله طائفة من النبد الجغرافية والتاريخية والاجتماعية لولا أن فيها شيئاً غير يسير من شوائب المبالغة والاحاديث الخرافية وذكر الاضرحة والكرامات التي كان يهتم الجلبي بها كثيراً شأن رجال تلك الايام .

قبل ان اوليا جلبي لم يوفق في صباه في تلقي العلوم وان جمال صوته ساقه للولع بفنون الادب والموسيقى الى ان كان ذات يوم في رمضان سنة ١٠٤٥ يتلو القرآن في جامع اياصوفيا فأعجب السلطان مراد الرابع بصوته ورفعته الى قصره وجعله من ندمائه . الا أن تلك الالهة والنعمة اللتين صادفهما أوليا جلبي في القصر كانتا محاطتين بضروب التقييد والحصر . فلم تروقا لعينيه ولم تنفقا

مع خفته وظرفه وحبه للحربة والانطلاق وشغفه بالسفر وجوب الآفاق .
 فغادر القصر بعد مكوث سنتين وراح يحول في الامصار تارة منفرداً وتارة
 مع كبار الوزراء والقواد لاسيما مع خاله ملك احمد باشا احد صدور ذلك
 العهد البارزين . ورافق أهم الجيوش التي ساقتها الدولة العثمانية إذ ذاك في الشرق
 والغرب وحضر الحروب ووصفها وبهذا تسنى له ان يرى اكثر بلاد الاناضول
 والروم ايلي ووصل الى جزيرة كريت وجال ايضاً في أجزاء بعض ايران
 والقفقاس وجنوبي روسية ومولداويا وترانسلفانيا ودالماتيزيا وهنغاريا والنمسا
 والمانيا وهولاندة .

وقد زار هذه البلاد الاوربية وهو في بطانة السفير العثماني المرسل الى
 هولاندة . ولم تفته من البلاد العربية الشام ومصر والحجاز . جاء مرة الى
 دمشق صحبة مرتضى باشا المعين نائباً على الشام وذهب مرة أخرى معه لما
 جرد جنده لجباية الاموال الاميرية من الدروز وغيرهم في جنوبي جبل لبنان
 وجبل الجليل وأرسله الباشا في غيرها بمهمة الى غزوة فرباكثر مدن الشام
 الشمالية والجنوبية وعرفها ووصفها . وقد استرعت رحلة هذا السائح التركي
 أنظار علماء المشرقيات في اوربا فترجموا منها ما يختص ببلادهم الى اللغات الالمانية
 والانكليزية والهبرية . لذلك أحببت ان أحذو حذوهم فأنتقل الى لغتنا وصف
 البلاد العربية التي زارها لحسابي ان في ذلك ما يفيد معرفته من الأوضاع
 الجغرافية والحالات الاجتماعية التي كانت قبل ثلاثة قرون . وقد تصرفتم
 في عبارة الجلي وحذفت منها ما ليس في ذكره نفع وعلقت عليها نبذاً في ترجمة

الاشخاص وذكر أسماء المدن والقرى التي كانت في طريقه اوحولها بمافاته بياحه ووصفت منها بعض ماتسنى لي زيارته ورويته أو العثور على ذكره في الكتب الجغرافية والتاريخية والرحلات القديمة والحديثة وعينت بسر الفرق بين حالتها حينما مر بها الجلبى وحالتها الحاضرة ليكون ذلك تكملة لهذه الرحلة واقتداء بما يكتبه مؤلفو كتب الأدلة للسائحون في بلادنا كإزمير وشوفه ومونمارسه ويديكر وغيرهم من أفاضل الفرنج الذين لم يقتف أثرهم احد من كتابنا بعد حتى أصبح هؤلاء الغربيون الغرباء يعرفون بلادنا ومساكنها وخطوطها ومصانعها وعادياتها وحالات أهلها وطبائعهم معرفة تامة ليس لاكثر مفكرينا نصيب منها وما ذلك الا لوفرة ما عندهم من هذه الكتب وأشباهاها وفقدانها لدينا بالكلية .

وقبل الشروع بسر الرحلة لابد من التنويه بان الهجى صاحب خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادى عشر وقد ترجم كثيرآ من فضلاء الترك وأعيانهم في ذلك العهد لم يذكر اسم أوليا جلبي على الرغم من ان هذا جاء الشام وساح فيها ومكث في دمشق مدة ولم يترجم ايضآ مرتضى باشا الذي جاء الجلبى في حاشيته وظل والياً في دمشق نحو سنة وقد تحريت فلم أعثر على ذكر هذا الوزير الاعرضآ في صدد ترجمة عبدالسلام الارعشى احد أعيان الجند بالشام وصاحب الحول والطول في ذلك العهد . قال الهجى : وكان عبدالسلام لما وجهت نيابة الشام لمرتضى باشا الكرجى ثانية في سنة سبع وستين وائف وتصرف بها متمسكاً اضطرب لذلك اضطراباً شديداً لما كان قد وقع له من المعادة في توليته الاولى فأخذ يدبر أشياء لمدافعته ثم أداه اجتهاده الى ان جمع جمعاً عظيماً في الجامع

الأُموي وأحضر أكثر أهل البلدة وذكر لم ظلمه وأشار عليهم بأن لا يرضوه
 حاكماً عليهم وكان نائب الشام السابق المعروف بالسلاحدار لم يخرج بعد من
 دمشق وكان مقيماً بالميدان الأخضر فذهب القوم إليه وأبرموا عليه أن يبقى
 نائباً وكتبوا في هذا الشأن عروضاً ومحاضر وأرسلوها إلى الأبواب السلطانية
 وخرج متسلم مرتضى باشا هارباً ولما وصل إليه وهو في الطريق أرسل إلى الباب
 السلطاني يعلمهم بما وقع فقرر في نيابة الشام بخط شريف فلم يكنوه وأظهروا
 الممانعة وجمعوا جمعاً عظيماً من أوباش الشام وعزموا على محاربتة وطلعوا إلى قرية
 دوما وهم في جيش عرمرم وكان مرتضى باشا وصل إلى القطيفة فلما سمع بخبرهم
 ولى راجعاً ولم يدخل دمشق « اه . فيظهر من هذا أن مرتضى باشا عين لنيابة
 الشام مرتين الأولى في سنة ١٠٥٨ حينما جاء معه أوليا جلبي ودخل بموكب
 عظيم واستقبلته جنود دمشق وأعيانها استقبالاتاً فخماً كما سيأتي ذكره . على أن
 هذا الباشا كان على ما يظهر جباراً عاتياً فعزل بعد سنة لكنه عاد المرة الثانية
 في سنة ١٠٦٧ فلم ترض به جنود دمشق وأهلها واضطروه للرجوع فنقمت
 الدولة بسبب ذلك على عبدالسلام المذكور ورفقائه الذين قادوا هذه الفتنة
 وكان من جملتهم الأمير منصور الشهابي وابن عمه الأمير علي فقتلتهم جميعهم نساء
 وصادرت أموالهم وأملاكهم وفاقاً لعوائد تلك الأيام .

أما الرحلة فهي كما يأتي :

كان أوليا جلبي يتدبر قضاء فريضة الحج فانتهاز فرصة سفر مرتضى باشا
 المعين نائباً على الشام فالتحق بقافلة الباشا المؤلفة من مئات الحواشي والاتباع

والجند والوف الر كائب والبغال المثقلة بالعتاد والامتعة وغادر مدينة اسكدار في غاية شهر شعبان سنة ١٠٥٨ (١) وراح يتنقل مع تلك القافلة في بلاد الاناضول كأزنيق واسكي شهر وآق شهر وقونية وآذنة ومسايس « المصبصة » وغيرها الى أن أشرف على خليج الاسكندرونة وسار موازياً شاطئ البحر الرومي فوصل الى « يئاس » وهي الآن آخر بلدية تركية متاخمة لبلاد الشام الحالية (٢) .

(١) في هذه السنة جلس السلطان محمد خان الرابع على كرسي آل عثمان وهو صبي ابن سبع سنوات .

(٢) قال ياقوت في معجم البلدان : يئاس مدينة صغيرة شرقي انطاكية وغربي المصبصة « وصحيحه انما شمالي انطاكية وجنوبي المصبصة » بينها قرية من البحر بينها وبين الاسكندرية « وصحيحه الاسكندرونة » فرسخان قريبة من جبل اللكام . قال الجعفري :

ولقد ركبت البحر في أهواله وركبت هول الليل في يئاس
وقطعت أطوال البلاد وعرضها ما بين سنداب وبين رجاس

والى الشمال الشرقي من يئاس الكنيسة السوداء والمارونية نسبة الى هرون الرشيد الذي اختطها وكاننا من الثغور في طرف جبل اللكام قاله ياقوت الحموي في المشترك . وكذلك كان في هذه الكورة التي تدعى قيليقية التابعة الآن لجمهورية تركيا قلاع عديدة ذكرت مراراً في التاريخ الاسلامي كانت تتعاودها أيدي المسلمين والأرمن والروم في حروبهم وغاراتهم مدة قرون الى ان ثبتت في يد الترك ذكر منها ابوالفداء في تقويم البلدان أسماء سبىس التي كانت عاصمة ملك الارمن والمصبصة « ميس » على جانب نهر جيحان بنساها ابو جعفر المنصور واباس على الساحل « برس برت شمالي سبىس وتل حمدون بالقرب من جيحان وفي شرقي هذا التل حصن حموص ومرفند كاز وفي شمالي جيحان عين زربة « آناوارزا » هذا عدا عن آذنة وطرسوس وهذه على مقربة من الثغور أو الدير بندات في جبال طوروس التي كانت تفصل بين المسلمين والروم . وهذه البلاد كان يدعوها المسلمون الثغور ثم دعوها ببلاد ابن لأن ملك الارمن . وقد تغيرت أسماء أكثر هذه القلاع الآن واصبحت تعرف بأسماء تركية كطوبراق قلعة وبيلان قلعة وقره سبىس قلعة الخ .

وقد وصف قلعة ييَّاس ودورها وبساتينها ودار مكسها ومينائها وخانها
وجامعها الذي بناه محمد باشا الصوقولي الصدر الاعظم الشهير وأثنى على أهلها
لأنهم كانوا يردون عادة قرصان البحر ويحرسون المسالك والمضائق الممتدة
شمال ييَّاس وجنوبها من شر لصوص الجبال ويسهلون سبيل الحجاج والتجار
المارين ببلدتهم من بر الترك الى بر الشام وبالعكس ونوّه بشدة حرها في الصيف
ورداءة هوائها واضطار أهلها الى الاصطيف في التجود والمضاب المحيطة بهم
وذكر ان الوفا من الاكراد والتركمان أصحاب قطعان الغنم والماعز يتسلقون
هذه التجود في فصل الصيف ويطلقون مواشيهم ترعى أعشابها الفضة وتشرب
مياها النيرة (١) .

(١) هذه تجود جبل اللكام الذي يدعو الافرنج آمانوس وعامة الترك كاورطاغي ودعته
حكومتهم جبل البركات ، وسلسلة اللكام تعد عند اكثر الجغرافيين القمم الطبيعي بين
الشام والاناضول ويمر الآن في وسطها من الغرب الى الشرق الحد الذي اعتبر رسمياً بين
جمهورية تركيا وبلاد الشام الواقعة تحت الانتداب الفرنسي ، وهي تنفصل بين الشمال
عن جبال مرعش وسيس بنهر جيحان وتجه بخط مستقيم الى الجنوب حتى مضيق بيلان الذي
يفصلها عن جبل الاحمر الممتد شمالي انطاكية وغربيها ، وفي هذه السلسلة الشاخنة اودية
ورهاد عميقة وتجود ومرايع عالية صالحة للاصطيف ورعي الماشية لجودة هوائها وغزارة
مياها وروعة مشاهدنا وطيب أعشابها ووفرة حراجها مما لانظير له في لبنان أو غيره ، وفيها
قم شاهقة أعلاها الصخرة البيضاء (آق قيا) ٢٥٠٠ متر ومغبر ارموغر ٢٢٦٧ متراً يجعلها
الثلج في معظم أيام السنة وتشرفان على سهول حلب وآذنة على السواء ، وفيها مضائق كانت
تبرمها في العصور الغائرة جيوش الغزاة والفاحين من الشمال الى الجنوب وبالعكس ، وكان
القدماء ولاسيما الارمن أقاموا في النقاط الحامية على هذه المضائق الوعرة قلاعاً كانوا
يشحنونها بالمقاتلة لمنع الاعداء من المرور ، منها في الشمال وفي منتصف الجبال « قلعة جبر

قال أوليا جلبي : وبعد ان مكثنا في بيساس يومين غادرناها واجتزنا في جنوبها جسراً متقن الصنع ذا أربع منافذ من آثار محمد باشا الصوقولي ووجدنا في قربه على شاطئ البحر تكية باسم الشيخ عبدالقادر الكيلاني دائرة الاركان شغلان» صبة المرتقى تشبه عش النسر بمنعتها ورفعتها تعلو عن سطح البحر ١٢٥٠ متراً ومثلها في الشمال وعلى مقربة من اسكندرونة «قلعة المر كز» وفي الشرق على حاشية سهل العمق «قلعة دريساك» ومثلها في الجنوب «قلعة بفراس» . ولما جاء الصليبيون استولوا على هذه القلاع وأقاموا فيها الفرسان الهيكينين وظلت تتعاورها أيدي الارمن والروم وصليبيو انطاكية الذين لم ينفكوا يتنازعون أمرها فيما بينهم كما ان المسلمين في عهد بني حمدان وبني أيوب والماليك لم يتوانوا عن مهاجمتها حينما كانوا يغزون بلاد الارمن والروم ويقابلهم هؤلاء بالمثل فيتخذ كل منهم هذه القلاع نقاطاً للاستناد عند زحفه شمالاً أو جنوباً وظل هذا الأخذ والرد مستمراً الى ان جهز الملك الظاهر بيبرس في سنة ٦٦٤ هـ جيشاً لغزو سبيس قاعدة بلاد الارمن اذذاك وولى قيادة هذا الجيش الملك المنصور ناصر الدين محمد بن الملك المظفر محمود صاحب حماة فجاء فاستولى على هذه القلاع وأباد الفرسان المرابطين فيها ودمرها ثم أتم غارته على سبيس وحواليها ورجع ظافراً . هذا وكان جبل اللكام في اول عهد الاسلام موطناً لقوم عرفوا «في كتب العرب بالجر اجمة نسبة لمدينة جرجومة عند مدائن الزاج فيما بين يساس وبوقة قرب انطاكية وقد صالح الجراجمة المسلمين على ان يكونوا أعواناً لهم وعينوناً ومسالخ في جبل اللكام وكانوا يستقيمون للولاية مرة ويعوجون أخرى فيكاتبون الروم بما لوثهم على المسلمين وخرج قوم منهم في حرب مصعب بن الزبير الى الشام مع قائد الروم فتغرقوا في نواحي الشام لاسيما لبنان وعرفوا بالردة فاضطر عبد الملك بن مروان الى أن صالحهم» ذكره في معجم البلدان . وسكان هذه الجبال الشاهقة في يومنا تركمان سنيون لا يزالون على الفطرة معروفون بصدق المعاملة بقطون في الشتاء في قراهم الخبأة في بطون الفجاج قرب السفحين الغربي والشرقي وفي الصيف يصعد أكثرهم كما قال أوليا جلبي — الى المربع والتجود المرتفعة لرعي الماشية وقطع الحطب ويحذو حذوهم جم غفير من أكرد حرة اللجاة في شمالي العمق وهم أهل ويرا وكارون . وجبال اللكام كانت وما تزال

آهلة بالدرأويش . ثم استأنفنا المسير نحو القبلية فررنا بتكية ثانية أصغر من الأولى فيها بضعة درأويش ينتسبون الى العاريقة البكناشية ثم اجتزنا جسراً نصب على نهر تجتمع مياهه من الاودية المنحدرة من أدالي الجبال التي ذكرناها ونصب في البحر . وعلى مقربة من هذا الجسر مررنا بقلعة تدعى « قلعة المركز » تبعد عن البحر رمية سهم بنيت في سفح جبل عال مربعة الشكل ذات بناء جميل قيل أنها من عهد القياصرة (١) . ولما مر السلطان سليم من هذا المكان سنة ٩٢١

غنية بالحراج (١٥٠٠ هكتار) على الرغم من انكباب الامم الغابرة على قطعها لبناء الاساطيل والمعابد والقصور وهي قد اشتهرت بوفرة ما في منحدراتها الشرقية والغربية من الصنوبر الحلبي والارز والشوح والسنديان والبلوط والزان والقيقب والاشجار المثمرة البرية كاللغصان والأجاص والزعرور وبكثر الداب والصفصاف المستحي والجوز والورداء في الأودية الرطبة كما ان الزمردين والقطب ولا سيما اللبنة منتشرة وكثيفة في أكثر الاماكن وفي قرب يباس في لواء اسكندرونة منجم كبير يحوي معادن مختلفة كالحديد والكروم والآميانت والمانغناز والنحاس لكنها بنسبة قليلة لا تفي بنفقات الاستخراج . وقد عرف القدماء هذه المعادن واستمروا منها معدن الزاج الذي ذكر المؤرخون ويوده بين يباس وبوقه .

(١) اذا خرج السائح من يباس موازياً شاطئ البحر بهادف على بعد كيلومتر منها نهر يباس الذي ذكر أولياً جلبي جسره وفي ضفته اليسرى يبدأ التنم الذي اعتبر الآن رسمياً بين بلاد الشام وبلاد الترك وهذا التنم يسير شرقاً بموازية ذلك النهر متساقطة مغرباً هابطاً ضفة نهر الاسود اليسرى . وبهادف السائح في طريقه سهلاً كثير الحصى والبلان منبسطة بين سفوح جبل اللكام والبحر وفيه يمر النهر المسى (دكر من دره) ونذكر أولياً جلبي جسره . ويرتأى بعض الباحثين ان معركة ايسوس الكبرى التي وقعت بين دارا ملك الفرس واسكندر المقدوني وغلب فيها دارا وكانت سبباً لاستيلاء الاسكندر على بلاد الشام حدثت في هذا السهل الواقع جنوبي يباس والذي عليه أكثر المحققين بانها وقعت

وهو ذاهب للاستيلاء على مصر افتتحها بالامان وهي الآن تابعة لنيابة يباس وفيها قائد وعدة جنود وحولها كروم وبساتين وفي داخلها جامع وبضعة بيوت لسكنى الجنود .

وبعد ان اجتزنا هذه القلعة مررنا في ساحل البحر بمضيق يدعى صقال طوتان (قابض الذقون) لانتقطع والعباد بالله منه للصوص وقطاع الطريق وجاهم من أشرار الاكراد الذين يهبطون من ناحية الجومة من أعمال حلب . لذلك يجدر بالمجتازين من هنا ان يكثروا من الحيلة والحذر . وبعد ان مررنا بمكان يدعى آجي جاي (النهر المر) وصلنا بعد ساعتين ونصف الى قلعة اسكندرون (١) .

شمالي يباس بالقرب من نهر دلي شاي . اما التكايا التي ذكرها الجلبي فقد دثرت . وبعد مسير عشرة كيلومترات يصادف السائح أطلال « قلعة المركز » التي ذكرها الجلبي ماثلة بجدرانها وبيعض أبراجها الفخمة وهي احدى قلاع جبل اللكام المنبئة التي نوهنا بها وبمسيرها وقل من يعرفها الآن بهذا الاسم بل باسم القرية القريبة منها « صاري سكي » وكان الصليبيون يسمونها حصن كاستيم أو حصن كودفروا وثمة في شمالي هذه القلعة أطلال جدار يمتد من الغرب الى الشرق يدعوه الفرنج جدار السلوقيين لا يزال قسم منه قرب البحر سالماً في الجملة وقسم آخر في سفح الجبل وكان هذا الجدار على ما يظهر لسد الطريق في وجه الجيوش الزاحفة من الشمال الى الجنوب او بالعكس .

(١) بعد مغادرة قلعة المركز يضيق السهل الممتد في الساحل تدريجاً الى ان يقترب ذيل جبل اللكام من البحر فيؤلف معبراً ضيقاً كان يسميه الرومانيون باب قيليقية والصليبيون Portella وكانت تعتبر هذا المضيق في العصور الغابرة الحد الفاصل بين سورية وقيليقية وكان فيه ملوك الارمن دار للمكس . وقبل الحرب العامة مد الالمان في وسطه سكة الحديد الآخذة من اسكندرون الى (طوبراق قلعة) لحلب . ويعلو الصخور التي عن يمين

وصف اسكندرونه - سميت هذه البلدة باسم بانثها اسكندر الكبير وبعد ان خربت عوادي الزمن عمرت في اول عهد الاسلام (١) ثم خربت مرة أخرى وصارت ملجأ لقطاع الحارق وقرصان الافرنج فاستوعى هذا المضيق ويساره أعمدة رخامية أثرية يعرفها الملاحون باسم أعمدة يونس ويزعمون ان الحوت الذي ابتلع النبي يونس عاد فلنجاه على شاطئ هذا المضيق . على حين انها ليست الا بقايا باب كبير من آثار اليونانيين او الرومانيين كان معداً لسد المضيق وفتح في وجه المارين والهابرين او للإشارة اليه . وفي رواية ان جسد الاسكندر بعد موته وضع فوق هذا الباب ومرت من تحته قواده وجحافلهم . وقلة المركز على قيد غلوة من هذين العمودين ولا يزال سكان هذه البلاد وهم أتراك يدعون المضيق والقلعة معاً باسم صقال طوتان .

(١) قال ابو الفداء : باب اسكندرونه من جند قنسرين . قال احمد الكاتب : وباب اسكندرونه مدينة على ساحل البحر الرومي بالقرب من أنطاكية بناها ابن ابي دؤاد الايادي في خلافة الواثق . قلت ان اسكندرونه كانت موجودة قبل الاسلام . وقد ذكرها المؤرخان اليونانيان هرودتس وكسنفون باسم ميربانديروس . الا ان هذه كانت خارج البلدة الحالية الى الجنوب الشرقي منها وكانت مستعمرة لفريق من الفينيقيين . وقد اكتشفوا في الايام الاخيرة كثيراً من آثار ميربانديروس وفسيفسائها . اما اسكندرونه الحالية فهي بلا ريب من عهد الاسكندر شيدها خلفاءه وسموها باسمه لتجديد النصر الباهر على دارا ملك الفرس في واقعة ايسوس . ولعل ابن ابي دؤاد الذي ذكره احمد الكاتب ربما بعد خراب قد يكون أصابها في ذلك الحين . يبلغ عدد سكانها الآن ثلاثة عشر ألفاً وهم بازدياد أكثرهم من الأرمن اللاجئين من بلاد الترك بعد سنة ١٣٤٠ . وقد جعلت منذ احتلال الفرنسيين قاعدة لتصرفية شبه مستقلة تتبع حكومة دمشق في بعض الامور وتشمل الجزء الشمالي الغربي من ولاية حلب القديمة وألحق بها ثلاثة أفضية اسكندرونه وأنطاكية وقرق خان وألحق بالقضاء الاول ناحية اسكندرونه وعرسوز والثاني نواحي أنطاكية والسويدية وعواقية وجبل موسى وكسب والاوردو وقصير الفوقاني والوسطاني والتهتاني والحربية وباشاكت نواحي قرق خان وحاجبل والريمانية وبيلان .

الحال نظر نصوح باشا الذي كان صدراً عظم في زمن السلطان احمد خان فشرع
 ببناء قلعة حصينة في اسكندرونة ولكن السلطان نعم عليه بعد حين لتهامل
 بدى منه فقتله وبقيت القلعة دون اكمال . وحبذا لو اكملت هذه القلعة وجدد
 عمران اسكندرون لأنها فرضة بحرية ذات مكانة وقريبة من حلب نحو
 مرحلتين . وقد علمت انه يزورها في كل عام من سفن المسلمين والافرنج اكثر
 من مائتي غليون . هذا وحرمان هذه الفرضة من قلعة جعل الافرنج يتقاعسون
 عن دفع المكوس الى الملتزم الذي التزمها بمائتي حمل (١) . ولاسكندرونة
 قاضي يحجي من قراها خمسة أكياس (٢) ولها ميناء لطيف لولا ان غريبه
 مكشوف يأتي بالرميل فيحول دون اقتراب السفن من الشاطئ ويضطرها لارسو
 على بعد رمية مدفع . والى الغرب من ميناء اسكندرونة وعلى بعد ٢٦٠ ميلاً
 بحرياً (٣) يوجد رأس اندراوس في جزيرة قبرص وقد قيل لي انه اذا اعتدل
 الهواء وصفا أديم السماء ترى من هنا جبال قبرص المجلجلة بالثلوج . اما انا فلم
 يتسن لي رؤية ذلك . وبكثرة وجود الافرنج والروم في اسكندرونة لهذا
 لا تجد فيها جامعاً او خاناً او حماماً او سوقاً سوى الخانات فانها كثيرة . وقد
 اعتاد الصادي والغادي الى اسكندرونة ان يمكث ليالي الشتاء في هذه الخانات
 حتى صارت تشبه الخانات . ويجلب الماء الى اسكندرونة على ظهور الحمير من

(١) اذا كان الحمل مائة الف قرش فالمائتا حمل تعادل عشرين مليوناً من القروش
 ولعل الجلبي مبالغ بهذا المبلغ . (٢) الكيس خمسمائة قرش . (٣) صحيجه مائة
 وخمسة أميال .

نبيع في خارجها يدعى نبع القوافل (١) وقد اعتاد الداخلون الى هذه البلدة والخارجون منها ان يضربوا خيامهم قرب هذا النبع . وفي اسكندرونة وكلاء او قناصل لسبع دول . اما القناصل الاصليون فمركزهم في خان الافرنج في حلب . ولما كانت الاسكندرونة فرضة بحرية وباب تجارة لحلب وضواحيها تجدد بجانب جمر كها مخازن عظيمة يقوم فيها تجار الافرنج بالبيع والشراء دون انقطاع . حتى انه لما مر مولانا مرتضى باشا من هنا بجوكبه الحافل كان من سفن الافرنج ستة وعشرون غليوناً راسياً في الميناء فأطلق كلها المدافع ترحيباً بجانبه ودام الاطلاق مدة غير يسيرة حتى كادت الغلايين لا ترى من كثرة النار والدخان . وتحيط باسكندرونة مستنقعات (٢) . ثم قمنا من هنا مع الركب فمررنا بنبع القوافل وسرنا نحو اقلية نخاذي الساحل تارة ونصعد في الجبال أخرى وكان المطر ينهمر علينا بشدة الى ان وصلنا الى بليدة تدعى بيلان (٣) .

(١) يدعى هذا النبع الآن رأس العين ومنذ ما تقدمت اسكندرونة في العمران مدت الانابيب الحديدية من رأس العين الى البلدة وأسيت فيها المياه واستراحت الحمير من النقل .
(٢) كانت هذه المستنقعات ذات مساحة عظيمة تحيط باسكندرونة وتقتل أحيائها وأزقتها وتجعل هواؤها وبلاءً والائامة فيها خطرة لشدة الوبالة الناشئة في سكانها . دام هذا الحال الى أوائل القرن الحاضر اذ مدت الحكومة العثمانية سكة حديدية صغيرة كانت تنقل بها التراب من الآكام القريبة وتطمر بها تلك المستنقعات وظلت العناية بالطور قائمة الى الآن حتى زال كثير منها وحسن المناخ عما قبل وازداد عمران الاسكندرونة .

(٣) الطريق بين اسكندرونة وبيلان وطوب بوغاز (٢٧ كيلومتراً) معبدة ومعنى بها وهي من أنزه الطرق وأجملها . يفاد السائح مستوى البحر في اسكندرونة حيث الحرارة

وصف بيلا ٠ - وبيلا ٠ مركز قضاء يتبع أيلة حلب فيها نحو ثلاثة آلاف من السكان ودورها مبذية من الطين على طرفي جبلين متقابلين بينهما واد ٠ وهذه الدور يركب بعضها فوق بعض وتبطلها أزقة ضيقة ٠ وهواء والرطوبة شديد في الوطأة فيمر من أمام رأس العين وعلى قيد غلوة منه المكان الذي بطن انه كانت فيه مدينة ميرياندرس ثم يشرع بتسلق أعضاد جبل اللكام وكما اعتلى يجعد الهواء العليل والمشهد النضر في الكيلومتر العاشر يرى على يمينه الطريق الصاعدة الى قرية صوغوق اولوق (علوها ١٠٠٠ متر وسكانها أرمن) وفي غربها قرية النار كيزلك (علوها ٥٠٠ متر وسكانها أتراك) ويقصد اهل اسكندرونة وحلب هاتين القريتين للاصطياف حيث يجدون المناخ الطيب والمنظر الجميل والحراج الغنياء والفنادق الجميلة ناهيك عن زرقة البحر ومراء الرائع وفي الكيلومتر (١١) مفترق الطريق الصاعدة الى قرية عاتق الارمنية (علوها ١٠٠٠ متر) وهي وان لم تضارع جارتها بالحراج والفنادق لكنها تفوقها بالينابيع الباردة وجمال المناظر في الصرود الشاهقة بقربها كثنية كوزيل (١٦٠٠ متر) وقفة شاكشاك (١٨٣٥) وفيها مشاهد تأخذ بجامع القلوب حقاً ٠ فالواقف اذا تطلع الى الشرق يرى آكام جبل اللكام تحدر أمامه نحو سهل العمق ومستنقعاته وبحيرة أنطاكية الزرقاء ومافي شرقها من الجبال والهضاب كجبل الزاوية والاعلى وباريشا وسمعان والكرد وغيرها الممتدة في الأفاق البعيد حتى سهول حلب الغربية واذا تطلع نحو الشمال يرى قمماً في جبل اللكام تناطح السحاب كما لما ناخ (١٨٣٥) ودازته (١٧٠٢) وآق قيا (٢٥٠٠) ومغبر (٢٢٦٢) ويرى بينها نجاداً ومرايع متسعة انتشرت فيها الوف من قطعان الغنم والماعز ترعى الاعشاب والانجم الغضة وفي الغرب سلسلة جبال طوروس التي تنفصل عن آمانوس بسهول قيليقية الفسيحة والبحر الخضم دند سترت الغيوم البيضاء زرقته فزادت في ردة المشهد ٠ وهذا ما حمل باقوت في مهمم البلدان ان يذكر جبل اللكام تائلاً : هو الجبل المشرف على انطاكية وبلاد ابن ليون والمذبة وطرسوس وتلك الثغور اه ٠ هذا في الكيلومتر (١٣) يصل السائح الى بيلا ٠ وهي بليدة جميلة المنظر ، طيبة الهواء ، غزيرة المياه (علوها ٥٠٠ متر) يشطرها الوادي السحيق الفاصل ما بين جبل اللكام وجبل الاحمر الى شطرين بنيت

بيلان جيد وماؤها عذب وصحة أهلها حسنة وفيها مسجد جميل له قبة مكسوة بالرصاص وامامه خان عامر وفيها أيضاً حمام وحوانيت عديدة وينتج فيها فواكه وأعناب لذیذة فهي صالحة في الجملة للاصطياف ثم ان في الجبال التي تعلوها نجود اشتهرت بنقاء هوائها وطيب مراعيها (١) ثم غادرنا بيلان وسرنا دورها كما قال الجليبي في سنجي الوادي بعضها فوق بعض ، سكانها ٣٠٠٠ ثلثاها من الترك والثلث من الارمن . لم يذكر جغرافيو العرب بيلان اذ لم تكن عاصمة في زمنهم وربما هي التي كانت تدعى باب اسكندرون . قال ابو الفداء : باب اسكندرون في زماننا هو دربند بلاد سيس من جهة حلب وهو على درب مرحلة من بغراس وليس هناك مدينة بالاصالة ولا قرية وبين بغراس وباب اسكندرون اثنا عشر ميلاً اه . قلت والعدران كان مضمراً بقلعة بغراس التي سمي العرب المظيق اولاً . دربند بها في حين ان الافرنج سموه باب سورية (Pylea Syriae) ومنه مرت في العمود الفاسية اكثر جيوش الفاتحين الواردين على الشام او الخارجين منها . وبيلان تقع في مبداء هذا المظيق العظيم الذي يفعل جبل الاسكام عن جبل الاحمر وربما كان اول من سعى - سيف عمران بيلان هو السلطان سليم القانوني فقد أعجبه مكانتها من الوجهة الحربية والتجارية فبنى فيها في سنة ٩٦٠ هـ الجامع والخان اللذين ذكرهما اوليا جلبي ووضع جنوداً لحفظ المظيق وأسكن عدداً من التركان جلبهم من الاطراف وما زال هؤلاء يزدادون وبيلان تتقدم في العدران وصارت ممر القوافل والجيوش بعد ان كان الممر بعيداً عنها قليلاً الى الشمال وصار اهل اسكندرون يلبأون اليها في الصيف للتمتع بهوائها ومائها اللذين نوتهم سائحنا بنجودتها . ربما برحت بيلان في عهد بني عثمان مركزاً للقضاء اليان وقدت في سنة ١٣٢٠ هـ ومابعدهما جموع الارمن على اثر اخراجهم من بلاد الترك فاسكنت الحكومة الافرنسية طائفة منهم في موضع (قرق خان) في غربي سهل العمق وعلى طريق حلب المعبدة فعمروا هذا الموضع الذي لم يكن الى ذلك الحين شيئاً مذكوراً وجعلوه بليدة حافلة بالبور والحوانيت والفنادق والمقاهي وغيرها ثم نقلت مركز القضاء اليه في سنة ١٣٤٢ هـ وتركت بيلان قاعدة لناحية فأفل نجمها من ذلك الحين .

(١) يعني الجليبي بنجود جبل الاحمر المعروف هنا بقزل طاغ وبعده البعض تمة سلسلة

نحو الجنوب نصلد عقبات ونهبط أودية الى ان اجتازنا مضيقا فيه جنود مكلفون بحفظ الدروب (١) وشاهدنا في يميننا على بعد رمية مدفع «قلعة بغراس» وهي

أمانوس ويحسبه آخرون مستقلاً عنه بمضيق بيلان . وهذا الجبل وفروعه الغربية الممتدة من جنوبي بيلان الى ميناء عرسوز ورأس الخازير تداشتمر مثل جبل اللكام بمافي منحدراته وأطامه من حراج الشجر النفيض والمرايع الغضراء والمشاهد الجميلة والينابيع السارية مع شيء من الضباب الذي يخفف وطأة الحر في الصيف . واكثر حراجه مؤلفة من الصنوبر الحلبي والصنوبر الاسود والبطم والبلوط والقطلب والشوح والجوز وغيرها ويستخرج القطران من أشجار الصنوبر بكثرة . وفي هضابه المرتفعة آثار معادن مختلفة لم تستثمر بعد . ويقطن النصارى في السهول الساحلية المصاوبة لسفوحه الغربية بين اسكندرونه وعرسوز وأشهر قراهم قره أكاج وهم فلاحون ويقيم التركان في النجود والهضاب لاسيما حول غابات كسريك وقره كوز وجنككان وبش اولوق ومنتهم قطع الحطب وصنع القطران وهم على الفطرة وصدق المعاملة وثرى قرى الارمن في جبل موسى غربي انطاكية الى الشمال دود الحرير وبمنع أهلها الامشاط من خشب القتاب . وفي سني الحرب العالمية لما أجبرت الحكومة العثمانية هؤلاء على الهجرة كما جرى لبقية الارمن اعتصموا بجبلهم بين الحراج وحاربوا الحملة التي هاجتهم واستسلموا الى ان توصلوا للاتفاق مع سفن الحلفاء فركبوها رجالاً ونساءً وانتقلوا الى ساحل مصر وهناك الفوا كتائب الانتقام الارمنية التي زحفت مع جيش الجنرال الثاني سنة ١٩١٨ ودخلت مدن الشام وكان منها ما ذكره المؤرخون .

(١) بعد مغادرة بيلان يظل السائح صاعداً في طريق طوب بوغاز الى الكيلومتر (١٦) حيث بلاقي مضيق بيلان او دربند بغراس كما كان يدعى «طوله ٧٠٠ متر» فيشرف من هذه الروابي المنصورة على منظر غاية في الروعة والبهاء فهو يرى في الشرق سهل العمق ومستنقعاته وبحيرته والجبال والآكام المحيطة به فيبقى في ساء التفكير ويتذكر كيف مرت من هنا جمافل الأشوريين والفرس والمقدونيين والرومانيين والبيزنطيين والسلمين الأولين بقيادة ميسرة بن مسروق العبسي والحملة الصليبية الاولى وجيوش المماليك والتركان والتتار وبرايم باشا المصري الذي كسره فيه سنة ١٢٤٨ الجيش العثماني بقيادة

قلعة قديمة تعاورتها أيدي كثير من الملوك الى ان اقتحمها السلطان سليم بالامان حينما مر بهذا الطريق وهو ذاهب لقتال الملك قانصو الغوري في مرج دابق . والقلعة صغيرة القد خمسة الشكل مبنية على هضبة اتخذت قضاءً تابعاً لولاية حلب وأقيم فيها كنفخا وقائد جند الانكشارية ومحافظ القلعة وجنود وفيها جامع وخان وحمام وسوق صغيرة (١) على انها لانحرافها عن الطريق ليست

السردار حسين باشا . وبعد المضيق يبدأ الطريق بالانحدار في الكيلو متر ٢٠ موقع جباللي وفيه مخفر للدرك يؤمنون السابلة في هذه المسالك الوعرة وهنا يلح السائر على يمينه (قلعة بغراس) رابضة فوق رابية تشرف على هذا الطريق .

(١) قال ابو الفداء : بغراس من جند قنسرين ذات قلعة مرتفعة ولها عين وواد وبساتين قال ابن حوقل وبغراس على طريق الثغور وكان بها دار ضيافة لزييدة وهي في الجبل المطل على عمق حارم وفي معجم البلدان لياقوت بغراس مدينة في لحف جبل اللكام بينهما وبين انطاكية اربعة فراسخ ذكرها البهري في شعر مدح به احمد بن طولون الذي حاصر سجا الطويل التركي صاحب انطاكية في سنة ٦٦٤ هـ وجرت بينهما حروب كثيرة ببلاد جند قنسرين والعواصم قال البهري :

سيوف لها في كل دار غداً ردى وخيل لها في كل دار غداً نهب

علت فوق بغراس فضاقت بما جنت صدور رجال حين ضاق بها درب

كانت تدعى هذه القلعة في زمن الروم حصن لوقا وهي في يومنا خراب في الجملة على ان اطلالها لا تزال ماثلة وهي اكبر مما ذكره الجلي كانت تسع زهاء الف جندي وكان لها سورات وكنيسة وهو كبير واربع طبقات من القاعات المعقودة سقوفها وكثير من المستودعات والاصطبلات والغرف والآبار وكان لها قناطر علوها ١٨ متراً تأتي بالماء من الجبال الى القلعة والبناء الحالي اسلامي يغضله بعض آثار الروم وللمصليبيين . قال الكولونل جاكو مؤلف كتاب انطاكية ماخلاصته : ان لقلعة بغراس مآسي مجبة في تاريخ المسلمين منها ان الروم لما جاؤا بقيادة القيصر نيكوفور فوكاس في سنة ٣٥٨ هـ وغزوا بلاد الشام

عامرة وانحصرت الآن شهرتها بزهورها الفيّاحة لاسيما بالسنبل والمسك
الرومي وأهلها بقلمون من جبالها وحدائقها أبصال الزهور الجميلة فيحملونها
ويبيعونها في بقية البلدان وقد يضلون بها الى استانبول . « للبحث صلة »
وصفي زكريا



حتى حمص وعرقه وطرابلس وجميع الساحل واعملوا فيها النهب والحرق والحراب عادوا
ومعهم من السبي مئة الف صبي وصبية من ابناء المسلمين ولما ساقوا هؤلاء المساكين امامهم
ليأخذوهم الى القسطنطينية اشتدت انواء الشتاء وسدت المسالك في جبال آمانوس وطوروس
فاضطروا للوقوف بهم في قلعة بفراس . ولما لم تكن الأقوات ووسائل الايواء والتدفئة
كافية حصدم الجوع والبرد والامراض وصارت سهول العمق مقابر لهم ٠ اهل قلت وبعد
ثلاث سنوات تمكن الروم من فتح انطاكية بخيانة اهل بفراس الذين بعد ان التجؤا الى
انطاكية نقبوا الأسوار ومكنوهم من الدخول . وحينما جاء الصليبيون في الحملة الأولى
اخذوا بفراس فيما اخذوه من بلاد الشام الشمالية وجعلوها مع قلعة دريساك وحارم وارتاح
مخفراً امامياً لانطاكية الى ان جاء الملك الناصر صلاح الدين الايوبي سنة ٥٨٤ فحاصر
بفراس ودريساك وقتلها بشدة حتى افتتحها بالامان الا انه بعد بضعة اعوام جاءها مقدم
الأرمن ابن لأون فدخلها وغلا بيده تارةً ويبد الصليبيين أخرى الى ان استولى الملك
الظاهر بيبرس عليها نهائياً حينما فتح انطاكية عنوة سنة ٦٦٨ . هذا ولم يبق من القرية
في اسفل القلعة من العمران الذي ذكره الجلبى سوى ٣٠ - ٤٠ دار منتشرة على طول
الوادي والعيون والبساتين التي ذكرها ابو الفداء يسكنها فلاحون من النصرية والتركان
ولم أدر اذا كانوا كما قال الجلبى يتاجرون حتى الآن ببصل الزهور أم لا .

عبقريه الجاحظ (١)

— (١) —

تبين لنا في كلامنا على عصر الجاحظ ان الجاحظ متصل بكل أفق من آفاق هذا العصر ، فلئن استفاضت حرية التفكير في عصره فما غاب عن هذه الحرية فقد كان يرجع الى عقله في كل مذهب من مذاهبه ، ولئن شاعت الزندقة والخرافات والاباطيل في أيامه فما غفل عن التنديد بها والتقذر منها ، بقي أن نعلم مقدار اتصاله بالناحية الثالثة من نواحي عصره ، وهي جهة الانقلاب الفكري فما هو نصيب الجاحظ من هذا الانقلاب . —

نقلت في أيامه كتب الهند وترجمت بحكم اليونانيين وحولت آداب الفرس ، فما هو حظ الجاحظ من هذا النشاط الفكري . —

قد كنت ذكرت لكم في بعض المواطن ان الجاحظ انما هو كامل من الكلمة وأردت بكلمة الكامل ما يريده الافرنجة بكتبتهم Encyclopédiste فالجاحظ لخص معارف عصره على نحو ارسطاطاليس في القديم ، وقد أشار بعض الافرنجة الى امتداد هذه العبقريه وانبساط مجالها فاستشهد أحدهم وهو البارون «كارادي فو» Baron Carra de Vaux في كتابه : أصحاب الفكر في الاسلام ، بفعل الجاحظ في نفع الكتاب وهو الفصل الذي عقده في مقدمة كتاب الحيوان فدل على براعته في الانشاء فبعد أن ذكر البارون طائفة من هذا البحث نال :

« هذا بوجه التقريب نمط من أنماط فصول الجاحظ ، ان في هذا كله مجموعاً قديكون في بعض الأحيان غير منسجم ولكنه ملآن بالحوادث والأفكار ، اني لا أجسر على أن

(١) سلسلة محاضرات الاستاذ السيد شفيق جبري احد اعضاء الجمع العلمي العربي التي

شرع في المحاضرة بها في كلية الاداب في دمشق سنة ١٩٣١ .

أؤكد أن كل فصوله قد تكون خصيبة مثل هذا الفصل ولكننا قد نلاقي في كلها بعض الشيء ، ولندكر أيضاً أن في رسائله الصغيرة قطعاً جديرة باستيقاف الباحثين وخليقة بدراسة خاصة ففي رسالة الترييع والتدوير تعرض لنا ولا أدري كيف يكون ذلك سلسلة طويلة فيها مسائل في كل أنواع الموضوعات والعلوم ، في التاريخ والأساطير وطبقات الأرض كأن هذا كله إنما هو برنامج «موسوعة» تدل على روح التطلع في القرن التاسع وفي رسالة الأسود والأبيض كلام موجز على تاريخ الزنج وذكر أبطالهم وفتوحاتهم ، كل هذا مجموع حوادث قل من يعرفها وقد تنفع في البحث عن روح الام والأجناس . —

ان هذا النوع من علم الروح كثيراً ما يستهوي الجاحظ فهو يرجع اليه من حين الى آخر فان عقله الغريب الميال الى النقائض يحمله على النظر في الأمم التي لم يكن لها على أيامه مقام عال ، وعلى هذه الصورة ان لرسالته في مدح الترك فائدة ومن الممكن ان تكون هذه الرسالة اول الكتب التي توسّع أصحابها في الكلام على الترك وجعلوا لهم بعض الشأن فان خصائص الام تشغل ذهن الجاحظ فهو يأتي على ذكرها في عدة مواطن . — «

* * *

خاض الجاحظ في كل باب من الأبواب فلم يتعاضمه الكلام على الاجتماع أو على الأخلاق أو على التربية والتعليم أو على الطبيعة أو على التاريخ الطبيعي أو على فلسفة اللغة الى غير ذلك من المذاهب التي تدل على سعة عبقريته غير أن استقصاء هذه الغرائب والعجائب قد بطول أمره ولكننا لامندوحة لنا عن الإلمام ببعضها حتى نعرف شيئاً من امتداد عقل الجاحظ . —

بتنقل الجاحظ على نحو ما تال البارون «كاراديثو» من فكر الى فكر ولكنه يظل في هذه التنقلات صاحب نكتة ، خفيف الروح ، محبوب النفس ، انه يلعب من دون ان يضجر غيره في هذا اللعب . —

مرة يخطر بباله باب من أجل أبواب الاجتماع في هذا العصر وهو الكلام على حقوق النساء فينبري للدفاع عن المرأة والمطالبة بتوفير حقوقها فكأنه نصير النساء في أيامنا

هذه (١) :

«ولسنا نقول ولا يقول أحد من يعقل أن النساء فوق الرجال أو دونهم بطبقة أو طبقتين أو بأكثر ولكننا رأينا ناساً يزرون عليهن أشد الزرابة ويحتقرونهن أشد الاحتقار ويخسونهن أكثر حقوقهن وأن من العجز أن يكون الرجل لا يستطيع توفير حقوق الآباء والأعمام إلا بأن يذكر حقوق الأمهات والأخوال فلذلك ذكرنا جملة ما للنساء من المحاسن ولولا أن ناساً يفتخرون بالجلد وقوة المنة وانصراف النفس عن حب النساء حتى جعلوا شدة حب الرجل لأمته وزوجته وولده دليلاً على الضعف وباباً من الخور لما تكلفنا كثيراً مما شرطناه في هذا الكتاب .»

وقد قال في مقام آخر (٢) :

«ونحن وإن رأينا أن فضل الرجل على المرأة في جملة القول في الرجال والنساء أكثر وأظهر فليس ينبغي لنا أن نقصر في حقوق المرأة وليس ينبغي لمن عظم حقوق الآباء أن يصغر حقوق الأمهات وكذلك الأخوة والأخوات والبنون والبنات وأنا وإن كنت أرى أن حق هذا أعظم فإن هذه أرحم .»

ومرة يتغلغل في أعماق الجماعات فينقأ النظر في أخلاقهم فلا يزال يمارس هذه الأخلاق ويدون في ذهنه نتائج مراسه وتجربته حتى يكشف الغطاء عن أسرارها فيقذف في هذا المعنى بالرأي الخبير الذي لا تزیده الايام الا قوة وتمكناً من هذا الباب كلامه على السفلة والوضعاء والمحقرين الذين اذا صار اليهم شيء من الامر ظلموا وغشموا (٣) :

«والكثير في الأجناس الدليلة من الناس أرسخ وأعم ولكن الذلة والقلّة مانعتان من ظهور كبرهم فصار لا يعرف ذلك الا أهل المعرفة ، كميدينا من السند ودمتينا من اليهود ، والجملة ان من قدر من السفلة والوضعاء والمحقرين أدنى قدرة ظهر من كبره على من تحت قدرته على مراتب القدرة ما لا يخفاء به فان كان ذمياً وأحس بما له في صدور الناس تزيد في ذلك واستظهرت به طبيعته بما يظن ان فيه رفع ذلك الخرق

(١) رسائل الجاحظ على هامش كامل المبرد - الجزء الاول ص ١٥٢ .

(٢) رسائل الجاحظ على هامش كامل المبرد - الجزء الاول ص ١٦١ .

(٣) كتاب الحيوان الجزء السادس ص ٢٢ .

وحياض ذلك الفن^(١) وعند تلك الثلثة فتتقد ما أقول لك فانك ستجده فاشياً وعلى هذا الحساب من هذه الجهة صار المملوك أسوأ ملكاً من الحر وشيء قد قتله علماً وهو اني لم أر ذا كبير قط على من دونه الا وهو يذل لمن فوقه بمقدار ذلك ووزنه ٠ —»

ونحن اذا تنقدا ما قاله وجدناه فاشياً كل الفشو حتى تكاد نلّس بايدينا هذه الأخلاق في كل جانب من جوانبنا فما أصدق قوله ، وما أبين رأيه ! لقد تعمق في روح الجماعات وأمن في دراسة هذه الروح فبعد دراسته للحيوان وإظهاره لآخلاقه وطبائعه ومقابلته بين أصناف هذا الحيوان وكلامه على تعادي هذه الأصناف ، بعد هذا كله يرتفع الى أفق أعلى من أفق الحيوان فيصور عداوة الانسان ويوضح أسباب هذه العداوات فيقول^(٢) :

« وأسباب عداوات الناس ضروب منها المشاكسة في الصناعة ، ومنها التقارب في الجوار ، ومنها التقارب في النسب والكثرة من أسباب التقاطع في العشيرة والقبيلة والمساكن عدو للمسكن والفقر عدو للغني وكذلك الماشي والراكب وكذلك الفحل للخصي وبغضاء السوء موصولة بالمملوك وكذلك الوصلة بالمال الرغيب وكذلك الوارث والموروث وجميع هذا تفسير ولكنه بطول ٠ —»

فلو أحببنا أن نتخمن قوله في هذه الايام لما وجدنا فيه انحرافاً عن الحق فليس آراؤه في الاجتماع الانبات تجربته وعبائه وكما انه درس أخلاق الجماعات العامة فكذلك درس أخلاقهم الخاصة وأمن في هذه الدراسة في مثل كلامه على الجمل أو على الفسق أو على الحسد فلم يفته لون من ألوانها أو حركة من حركاتها أو هيئة من هيئاتها ، ومن قرأ كتابه في الحاسد والمحسود تجأّت له قدرته على تصوير الاخلاق الخاصة فيكاد يكون في هذا الباب عالماً من علماء النفس يتصل باجزائها فيقاربها ويخالطها ويعرض لكل ناحية من نواحيها ويصف هذه الناحية أدق وصف وبصورها أتم تصوير حتى اذا فرغ من البواطن انتقل به الكلام الى الظواهر فراقبها وزامل فيها واستخرج منها صفاتها البارزة وخصائصها الظاهرة ولولا اني اعتقد ان في نقل طائفة من هذا كله تشويهاً لحاسبه لنقلتها لكم ٠ —

ماذا أنقل ، أنقل هذا التعريف الوجيز الذي صور فيه بكلمتين داء الحسد فقال : « والحسد أبقاك الله من داء يهلك الجسد ويفسد الأود ، علاجه عمر ، وصاحبه

(١) كذا في الاصل ٠ (٢) كتاب الحيوان — الجزء السابع ص ٣٠

ضجيج وهو باب غامض وامر متعذر وما ظهر منه فلا بداوى وما بطرن منه فداوبه في عناء — ٠ «

فمن كان له صلة بحاسد من الحساد تجلت له صحة هذا التعريف وشعر بقوته فأبى حاسده لم نر جسده منهو كآ وضدده ضجيراً لا يملكه غمض الليل ولا يذوق لذة البال فلا تقع عينه على صاحب نعمة الا اضطربت كل أعصابه وكأن الطبيعة عادلة فقد جعلت في قلب الحاسد عقابه وما هذا العقاب الا النار التي تأكله — ٠

أم أنقل لكم حالة الحاسد الظاهرة :

« وما لقيت حاسداً قط الا تبين مكنونه بتغير لونه وشغوص عينه واخفاء سلامه والاتبال على غيرك والاعراض عنك والاستئصال لحديثك والخلاف لرأيك — ٠ «
أم حالته الباطنة وهي تنحصر في :

« تراكم الغموم على قلبه واستحسان الحزن في جوفه وكثرة مضغه ووسواس ضميره ولنفس عمره وكدر نفسه ونكد عيشه — ٠ «
أم تمكن الحسد من صاحبه وسلطانها عليه :

« ما خالط الحسد قلباً الا لم يمكنه ضبطه ولا قدر على تشخيصه وكنائنه حتى يترد عليه بظهوره واعلانه فيستعبد به ويستنطقه لظهوره عليه فهو أغلب على صاحبه من السيد على عبده ومن السلطان على رعيته ومن الرجل على زوجته ومن الأسر على أسيره — ٠ «
أم وصفه علاج الحسد :

« فاذا أحسستَ رحمك الله من صديقك بالحسد فأقلل ما استطعت من مخالطته فانه أعون الأشياء على مسالته وحصن مراك منه تسلّم من شره وبوائق ضره وإياك والرغبة في مشاورته ولا يفرنك خدع ملقه ويبان زلقه فان ذلك من حبال نفاقه فان أردت ان تعرف آية مصداقه فأدنين اليه من يهينك عنده ويذكك بمحضرتة فانه سيظهر من شأنه لك ما أنت به جاهل ومن خلاف المودة ما أنت عنه غافل وهو الخ في حسده لك من القباب وأسرع في تمزيقك من السبل الى الحدود — ٠ «

أم وصفه الحاسد نفسه :

« فهو الكلب الكلب والنمر النمر والسم القشب والفحل القطم والسيل العرم وان ملك

قتل وسبى وان ملك عصى وبني حيانك موته وموتك عرشه وسروره يصدق عليك كل شاهد زور ويتكذب كل عدل مرضي لا يجب من الناس الا من يفضك ولا يفض الا من يحبك عدوك بطانة وصديقك علانية ٠ — «

فاذا دققنا في هذه الأوصاف كلها نجحى عندنا ماقلته لكم من ان الجاحظ عالم من علماء النفس يبني علمه على تجربته ثم يصف ما توحى اليه هذه التجربة وصف صاحب صنعة وفن ٠ — ولما كانت التربية والتعليم لا تبعد كثيراً عن الأمور الاجتماعية لم يشأ الجاحظ أن يكون غريباً عنها فقد أدلى في هذا الباب بدلوه ، وعلى بعد عهده عننا وعلى تقدم علم التربية والتعليم في عصرنا استطاع الجاحظ أن يأتي فيه بمذاهب تكاد تكون من أحدث المذاهب ، انكم تعالجون التربية والتعليم علماً وعملاً فأظن أن من أحدث فواعده التي تطبقونها في مدارسكم تدريب الطالب على الاستنباط من دون أن يلجأ الى الحفظ لان الحفظ يسد عليه سبيل الاستنباط فيجمد عقله ويبلد ذهنه فاليكم ما قاله الجاحظ في هذا الباب (١) :

« وكرهت الحكماء الرؤساء أصحاب الاستنباط والتفكير جودة الحفظ لمكان الاتكال عليه واغفال العقل من التمييز حتى قالوا : الحفظ عذق الذهن ولأن مستعمل الحفظ لا يكون الاً مقلداً والاستنباط هو الذي يفغي بصاحبه الى برد اليقين وعن الثقة والقضية الصحيحة والحكم المحمود انه متى أدام الحفظ أضرب ذلك بالاستنباط ومتى أدام الاستنباط أضرب ذلك بالحفظ ٠ — «

وكتابه في العلمين قد اشتمل على القواعد المتبعة في التعليم في أيام الجاحظ فهو يصور لنا أساليب التربية والتعليم في العرب ٠

ولم يكن نصيب الجاحظ من علوم الطبيعة بأقل من نصيبه من بعض فصول في الاجتماع والأخلاق والتعليم وما شابه ذلك ، الا أنه قد يكون في آرائه الاجتماعية أصح فكاراً وأقل خطأ اما في علوم الطبيعة فالجاحظ على جلالته بعض أقواله فيها قد لا يسلم من خطأ فان علوم الطبيعة قد تقدمت في السنين الأخيرة ولكن الأخلاق واحدة في العصور قديمها وحديثها فالחסد الذي صورّه الجاحظ انما هو شبه الحسد الذي نقاسي شره في أيامنا ٠ —

خاض الجاحظ في كثير من علوم الطبيعة في الحكمة الطبيعية والكيمياء وتوسّع في التاريخ الطبيعي وخاصة في علم الحيوان —
فلننظر الى بعض آرائه في هذه العلوم —

انكم تعلمون انهم كانوا في عصر الجاحظ يمزجون الدين بالعلم معنى هذا انهم اذا جادلوا في أمر من أمور الدين استعانوا في بعض الأحوال بمذاهب العلم من هذا الشكل بمجادلة الجاحظ لجوسي عارضه وقد قرأت هذه المعارضة في كلامنا على عصر الجاحظ في فصل حرية الفكر ، فنقول الجاحظ :

« والماء ليس يجمد للبرد فقط فيكون متى رأينا بلدة تلجها أكثر حكمنا أن نصيبها من البرد أوفر وقد تكون الليلة باردة جداً وتكون متغيرة فلا يجمد الماء ويجمد فيما هو أقل منها برداً . وقد يختلف جمود الماء في الليلة ذات الريح على خلاف ما يقدرّون ويظنون . وقد خبرني من لا أرتاب بخبره انهم كانوا في موضع من الجليل يستنقون به بلبس المبطنات ومتى صبوا ماء في اناء وزجاج ووضعوه تحت السماء حمد من ساعته فلبس جمود الماء بالبرد فقط . . . »

اما اليوم فاننا لا نرضى بهذا الرأي على علته فاننا اذا بحثنا عن جمود الماء قلنا يجمد الماء ويزداد حجمه اذا وصل الى درجة من الحرارة تبلغ الصفر في الميزان المئوي وجموده على صورة قطعة من جليد مركّبة من بللورات مسدّسات الشكل كثافتها ٠.٩١٨ — وكما تعرّض للحكمة الطبيعية فقد تعرّض للتاريخ الطبيعي فهو من أصحاب مذهب « التولد الذاتي » وله في هذا المعنى حكايات كثيرة من جعلتها قوله ^(١) :

« والذباب من الخلق الذي يكون مرّة من السفاد والولادة ومرة من تعفن الاجسام والفساد الحادث في الأجرام والبسائلاء اذا عتق شيئاً في الأقباء استحال كله ذباباً وربما أغفلوه في تلك الأقباء فيعودون الى الأقباء وقد تماير من الكوى والخروق فلا يجمدون في الأقباء الا القشور والذباب الذي يخلق من الباقلاء يكون دوداً ثم يعود ذباباً وما أكثر ما ترى الباقلاء مثقباً في داخله شيء كأنه مسحوق اذا كان الله قد خلق فيه الذبان وطيره منه وما أكثر ما تجده فيه تام الخلق ولو تم جناحاه لقد كان طار . — »

وله من هذا الشكل آراء كثيرة في كتاب الحيوان فهو يؤمن بحدوث الخلق من غير ذكر ولا أنثى ويخلق الديدان من الجيف^(١) ويخلق القمل من العرق والوسخ اذا علاما ثوب أو ريش أو شعر^(٢) :

لقد أبطل العلم هذه الآراء بمجموعها فقد دلت تجارب « باستور » Pasteur على ان « التولد الذاتي » أمر ممنوع فكل حبيرة مصدرها حبيرة مثلها وكل حي لا يلد إلا حي مثله معنى ان الأحياء لا تلدها المواد العضوية أو المواد المعدنية —

وقد كان للتقدمين معتقدات غريبة في هذا الباب فقد زعموا ان القمل يلد لحم الانسان وان الديدان يلدنها اللحم الفاسد وان البق ينشأ عن اختار الزواحف ومثابه ذلك — ان هذا كله قد زدّه العلم في أيامنا واذا وجدنا الديدان في اللحوم فعنى هذا ان الذباب باض في هذه اللحوم فلو منعنا الذباب عن البيض لامتنعت الديدان فاذا ظهرت أحياء في مادة عضوية أو في مادة معدنية فهذه الأحياء ناشئة عن أحياء مثلهما تغلغلت في هذه المواد وما أكثر تجارب « باستور » في هذا المعنى —

والى جنب هذه الآراء الباطلة قد نجد للجاحظ آراء جلييلة في العلم تكاد تكون من أحدث الآراء فالحيوان في بيئته ما يكون تركيب خلقته مناسباً لهذه البيئة فمن قول الجاحظ في الفب^(٣) :

« قالوا : من كبرئس الفب ان لا يتخذ جعره الآ في كُدَيْة وهو الموضع الصلب أو في الارتفاع عن المسيل والبسيط ولذلك توجد برائنه ناقصة كلية لانه يحفر في الصلابة ويمتق الحفر — »

فانظروا كيف عأل نقصان برائنه وكلالتها فبرائنه ناقصة كلية لانه يحفر في الصلابة ويمتق الحفر وهذا التعليل علمي محض —

والى جنب هذا كله بمجه عن غريزة الحيوان وعن إحساسه وما أحبت ان استقصي هذه الآراء فادل علي ما بطل منها وعلى ما صح في عصرنا هذا فان هذا العمل انما هو عمل العالم

(١) كتاب الحيوان — الجزء الثالث ص ١١٤

(٢) « « « الخامس ص ١١٢

(٣) « « « السادس ص ١٢

لا الاديب فاذا تفرغ علماءنا لتدوين أطوار العلم في العرب استطاعوا أن يحدوا للجاحظ مادة واسعة في هذا الباب وأما عملنا فانا نقتصر فيه على الإيجاز في الكلام على الجاحظ من حيث سعة عبقريته . —

وبينا نبحه يبحث أمثال هذه المباحث اذ يتفرغ لباب من أروع أبواب اللغة وهو باب : حياة الألفاظ ، انكم تعلمون أن التغيير معاني الألفاظ أسباباً منطقية وأسباباً روحية وأسباباً أدبية ، فمن جملة الأسباب المنطقية الاستعارة فالاستعارة تنقل اسم الشيء الى شيء غيره لصفة من الصفات يشترك فيها الشئان فوردت الشجر تعبر اسمها ورقة الكتابة بسبب الرقعة التي تشترك فيها الورقتان فانظر : كيف يخوض الجاحظ في مثل هذا الفصل فيقول ^(١) : « ثم سموا الأظلام التي كانت بالمدينة للامتناع بها من الأعداء صياصي قال الله عز وجل : وانزل الذين ظاهروهم من أهل الكتاب من صياصيهم والعرب تسمي الجارح وذا الجثة صاحب سلاح فلما كان اسم سلاح الديك وما يتنعم به صيصية سموا قرن الثور الذي يجرح صيصية وعلى انه يشبه في صيصية صورته . بصيصية الديك وان كان أعظم ثم لما وجدوا تلك الأظلام معاقلهم وحصونهم وجنتهم وكانت في مجرى الترس والدرع والبيضة اجروها مجرى السلاح ثم سموها صياصي ثم سموها شوكة الحائك التي بها تنهيا السداة والحمدة صيصية اذا كانت مشبهة بها في الصورة فان كانت أطول شيئاً ولانها مانعة من فساد الحوك والغزل ولانها في يده كالسلاح حتى شاء أن يجأ به انساناً وجاء به وقال دريد بن الصمة :

نظرت اليه والرماح تنوشه كوقع الصياصي في النسج الممدد

وقد تسمي العرب ابرة العقرب شوكة كما تسمي صيصية الديك شوكة وهي من هذا الوجه شبيهة بشوك الغزل ويقال لمن ضربته الحمة قد ضربته الشوكة لأن الشوكة اذا ضربت انساناً فما اكثر ما تعتريه من ذلك الحمة — »

ثم توسع في هذا الباب على هذا النحو . —

هذا نمط من الأفكار التي عاجلها الجاحظ يدلكم على شيء من سعة علمه وامتداد أفياء عبقريته ومن خصائص الذين يخوضون في أبواب كثيرة ويتعرضون لمذاهب شتى قلة التعمق فقد تعرض لم أفكار كثيرة لانبساط ثقافتهم فيلون بها إلماماً ولا يتمتعون فيها تعمقاً فهم

(١) كتاب الحيوان — الجزء الثاني ص ٨٥

يفهمون كل ما يقع عليه نظرهم ولكنهم قد لا يفهمونا إياها في بعض الاوقات علي نحو
 فهمهم لها فالجاحظ من هذا القبيل في بعض مباحثه فهو يلهم بالمعاني هوأ فيخرج من فكر
 الى فكر ومن معنى الى معنى ولكنه يضرب في آفاق كل المعاني ويجول في ميدان كل
 الأفكار ، اي كتاب من كتبه بل اي سطر من سطوره لا يوطئ للقاري مجال
 التفكير وسواء اتوسع في افكاره أم ألم بها إلاما انه عظيم ولست أدري هل أورثتنا
 عقربة العرب أعظم منه فهل نعرف حياة أوسع آفاقا من حياته العقلية وذهنا أخصب تربة
 من ذهنه وفكرا أشد انطلاقا من القيود من فكره ، لقد ذاق لذة الحياة العقلية وتغلب
 في أعطافها فخالط عالم الأفكار واستأنس بهذا العالم فلم يستوحش من ناحية من نواحيه ،
 خاطب العقل في قرن متكامل ولكن هل تعلمون أي عقل خاطبه ، لقد خاطب العقل الذي
 يكره كل باطل من الاباطيل وكل قيد من القيود ، فما كان عقله يأنس إلا بقياء
 الاشياء وما كان هذا العقل ينقبض إلا عن ظلامها في كل يوم كان بطلع على العالم
 بأفكار حديثة فما كان غذاؤه إلا الأفكار والمعاني ، لقد سكر كل حياته بألوان
 الأدب وبركات الفاظه وثمل كل عمره من لذة العلم فجعل هذا الأدب وهذا العلم نزهة عقله
 ومشحة طبعه وبهج نفسه وعمارة صدره !

دمشق : في ٢ نيسان ١٩٣٢

شفيق جبري



صفي الدين الحلي

— «*» —

هو الشاعر المطبوع أبو المحاسن عبد العزيز بن سرايا الشهير بصفي الدين الحلي .
والحلة المنسوب اليها الشاعر هي حلة بني مزيد ، وتسمى حلة بابل لوقوعها قرب بابل
القديمة الى الجنوب ، الا أن أطلال بابل على شاطئ الفرات الشرقي ، والحلة على شاطئه
الغربي شمالي أطلال الكوفة ولا تزال الحلة عامرة الى عصرنا ، وبنو مزيد أصحابها بطن
من بني أسد بناها منهم الامير سيف الدولة صدقة بن منصور بن دليس (كزير) ابن علي
ابن مزيد الاسدي سنة ٤٩٥ هـ في مبداء الدولة السلجوقية . وكانت من أرقى مدن العراق غير
أن توارد الاعراب عليها ونزولهم بها جعلها كثيرة الفتن والحوادث

الحالة السياسية والاجتماعية في عصره

نشأ المترجم في عصر الدول التركية التي كان سلطانها حينئذ يمتد من شواطئ المحيط
الاعظم (الهادي) الى برقة غرباً ، ومن شواطئ المحيط القطبي الشمالي الى حوض الكنج
والبحر ودنقلة جنوباً ، ولو كان هذا الملك العظيم مستظلاً براية واحدة ومحكوماً بنظام
واحد لنشأ في أحضانه أسمى حضارة شهدها سكان كوكب الارض ، ولكن سلطان
هذا الجيل التركي لم يكن متوحداً الا في الجذم الطوراني وأصول اللغة ، وكان متقاطعا
في الدين والمذهب ، متدابراً في أصول الحكم والسياسة متفتناً في اختراع صنوف الغلظ
والقسوة ، فلم يجر على العالم الا الفتن المبيرة واختفاء آثار الحضارات السابقة لحكمه ،
فحكومت منه دول لا تخص من التتار في الصين وشمال آسيا وأواسطها وشرقي أوربة ، ومن
بقايا السلجوقيين في الجزيرة وآسيا الصغرى وشمال الشام ، ومن المالك التركمانية بالشام
ومصر وبرقة والنوبة والحجاز . وكان ملوك كل دولة من هذه الدول الكثيرة يحكمون

البلاد بولادة وعمل من الترك مؤيدين بجيش من جنسهم وكان من الرعايا المقهورين كل رجال القضاء والادارة وجباية الاموال واعمال الري والعمارة . وفي الجملة أكثر أرباب الاقلام والادباء والمدرسين والمؤلفين ، ولذلك كانت تأثير سلطانهم في اللغات الوطنية وآدابها ضعيفاً بالاضافة الى تأثيره في اضطراب الأمن وزعزعة أركان الحضارة القديمة ، ولذلك بقيت اللغة والآداب الصينية غالبية على مغول الصين ، والفارسية غالبية على مغول فارس وأواسط آسيا وعلى بقايا السلجوقيين فيها ، والعربية غالبية على الدويلات المنتشرة من السلجوقية في العراق والجزيرة وعلى دولة المماليك بمصر والشام ، ومن تلك الدويلات دولة كان ملوكها سلالة مملوك تركي من ممالك (ملك شاه السلجوقي) يدعى (أرئق) .

سوف شاعرنا أكثر عمره في خدمة ملوكها . وكان الشأن في كل أسرة ملكية من الترك في العراق والجزيرة ومصر والشام اذا طال أمد حكمها في بيئة عربية أن يستعربوا أو يملوا بالآداب العربية ، فيروج عندها الادب العربي بعض الرواج ويجههم تأليف الكتب بأسمائهم ، وربما اتخذوا من آداب العرب بطانة لهم وندماً وسامراً ، بل ربما نظم بعضهم الشعر لهذا نجد شاعرنا ينتقل أحياناً في العراق والجزيرة والشام ومصر ويعيش بالادب ، ونجده يكثر في شعره من وصف غلمان الاتراك لكثرتهم في زمنه وامتلاء اسواق الرقيق بهم مما يسببه المغول في غاراتهم على شمالي آسيا وشرقي أوربة ، وكثير في شعره الطرديات لولع الترك بالصيد .

نشأته . — ولد المترجم سنة ٦٧٢ هـ بمدينة الحلة من أسرة عربية من قبيلة سنابس إحدى قبائل طيء ، وكانت عشيرته على اشتغال كبرائها بالفقه والادب على حالة بدو : تحمل السلاح ، وتشترك في الغارات والحروب ، وتطالب بالنار ، فنشأ المترجم نفسه على هذه السجایا ، فتأدب على أهله وعلماء بلده وعلماء بغداد لقرى بها منها وشب مطبوعاً على قول الشعر ينظمه تأديباً وتطرباً لا استجداء به وتكسباً كما قال هو عن نفسه .

وحدث في شببته ان شبت فتنة بين أسرته المسماة آل محاسن وبين أسرة أخرى تسمى آل أبي الفضل فاغتال آل أبي الفضل خالاً له يدعى صفي الدين ابن محاسن : قتلوه في مسجده ، وكانوا أقوى من أسرة المترجم ، فأعمل صفي الدين لسانه وقلمه وقصد أمراء الدواحي ورؤساء العشيرة يستنجدهم على أخذ ثأر خاله من آل أبي الفضل ، وحدثت بين

الفريقين موقعة الخنذل فيها آل ابي الفضل فافتخر صفى الدين هو وعشيرته باخذ ثأرهم من عدوم . فذلك حيث يقول في مطلع قصيدته الشهيرة :

سلي الرماح العوالي عرف معالينا واستشهدي البيض هل خاب الرجا فينا
الا ان هذه الموقعة لم تكن خاتمة الفن ، بل بقيت العداوة يستخدم أوارها ويستند
أذى آل ابي الفضل على المترجم وأسرته حتى أزعجوه عن المقام في بلده ، وخشي غائلتهم ؟
فخرج مهاجراً حتى ألقى عصاه في مدينة ماردين من إقليم ديار بكر بارض الجزيرة الفراتية
مستظلاً بحماية ملوكها من بني أرتق « كفلنل » وهم ملوك دولة من فروع الدولة السلجوقية
دخلوا في طاعة التتار وحاسنوم فأبقوم على حكم ماردين وإقليم ديار بكر . ومؤسس
ملكهم أرتق الكبير وهو مملوك شجاع من ممالك آل سلجوق . وعاصر المؤلف منهم الملك
المنصور نجم الدين غازي وولده الملك الصالح ، وعاملاه معاملة كريم مستجير بهما لا حاملة
شاعر مستجد . وكتب الى أهله بالحلة عند وصوله الى ماردين يقول :

ألا بلغ هديت سراة قومي بحلة بابل عند الزرود
الا لا تشغلوا قلباً بعدي فاني كل يوم في مزيد
لاني قد حللت حمى ملوك ربوع عبيدهم كهف الطريد
فمن يك نازلاً بحمى كليب فاني قد نزلت حمى الاسود

وبقي في كنف الملك المنصور غازي يدحه ويناديه حتى مات المنصور سنة ٧١٢ ومدحه
بجملة مدائح منها القصائد المسماة بالارتقيات ، وهي تسع وعشرون قصيدة كل منها تسعة
وعشرون بيتاً على حرف من حروف المعجم يبدأ في كل بيت منها بحرف وبه ينتم أي يكون
روياً ومبدأ وجعلها ديواناً سماه « درر الغرور في مدائح الملك المنصور » ثم كان في خدمة
ولده الملك الصالح فخف عني قلبه ومزجه بنفسه واضطفاء وأسبغ عليه نعمته وجعله في خاصة
بطانته يناديه ويؤانسه ، ويخرج معه الى الصيد والوفائع ، وطاب له العيش في ماردين ،
ووفرت نعمته واقتبل على اللهو والطرب ونظم الشعر في الغزل والخمريات والدعابة والمجون حتى
اذا ناهزت سنه الخمسين عزم على المتاب من شرب الخمر وارتكاب الآثام ، وجعل باكورة
التوبة الرحلة لحج بيت الله الحرام وزيارة قبر النبي عليه الصلاة والسلام سنة ٧٢٤ هـ ودخل
مصر بعد حجه سنة ٧٢٦ وسلطانها يؤمنه الملك الناصر محمد بن قلاوون ووزيره وكاتب

سره القضاخي علاء الدين بن الاثير الجزري الكاتب المؤلف المشهور ، قدحه ومدح الناصر بقصيدة طنانة عارض بها قصيدة ابي الطيب « يا بني الشمس الجانحات غواربا » ومعلمها :

اسبلن من فوق النهود ذواثبا قتر كن حبات القلوب ذواثبا

فاغدى عليه نعمه وهداياه . ثم رحل الى الشام فنزل بدويلة من بقايا آل أيوب مستظلة بحماية سلاطين مصر من آل قلاوون ، وتحكم مدينتين او ثلاثا من مدن وادي العاصي وحاضرتها مدينة « حماة » وكان سلطانها في ذلك الوقت الملك المؤيد ابو الفداء عماد الدين اسماعيل مؤلف كتاب « تقويم البلدان » والتاريخ المسمى « المختصر في أخبار البشر » فنزل ضيفا عليه فأكرمه ، وبقي أنيرا عنده مدة ، ويظهر من مرائيه ومدائحه ومكاتباته انه أقام بالشام عدة سنين ، ولقي بدمشق الشهاب محموداً الحلبي وابن نباتة المصري . وتكسب فيها بالتجارة . ثم لحق بمخدومه بماردين بعد غيبة طويلة . وصار يختلف الى بلاد الجزيرة وبغداد والشام ويراسل أديباها ويمدح ملوكها ويرثيهم . ولم نعلم عن يقين البلد الذي مات به ونرجح أن تكون وفاته بماردين . ومات سنة ٧٥٠ هـ .

علمه وأدبه . — كان علم صفي الدين لا يعدو اللغة وآدابها وكان يحفظ كثيراً من شعر المتقدمين المحدثين في اللفظ والأسلوب من أمثال ابي نواس والبحتري والبيهقي وابن الرومي وابن المعتز ، فأثرت فيه خمرات ابي نواس وغلامياته وأثرت فيه أوصاف ابن المعتز وطردياته ، وكثيراً ما أغار على مهاني هؤلاء ، ولم يكن علمه بغريب اللغة ولا تاريخ العرب في جاهليتهم واسلامهم موازياً لشهرته بالادب ولا بالفخاره بالانتماء الى سبب من طي هـ ، ومبلغ علمه من الادب واللغة أنه حفظ الكثير من الشعر فأكسبه ملكة قلما تهبأت لاحد في عصره .

ذكاؤه وتوقد خاطره . — كان صفي الدين على جانب عظيم من توقد الخاطر وسرعة البديهة يعرف ذلك من قرأ ديوانه فرأى فيه الكثير من غرائب الصنعة البديعية كالاكثار من عجيب التصنيف وما لا يستحيل بالانعكاس والاكثار من القصائد المهملة الحروف والمجمعتها المصغرة الالفاظ وذوات القافيتين وضوابط الشطرخ والعلوم ، ولو انه بذل بعض هذا الجهد في استخلاص لباب اللغة والغوص على المعاني الرائعة لهذه المتقدمين ، ولكن هكذا كان ديدن أهل عصره ورغبتهم من الادب .

أخلاقه . — نشأ صفي الدين في الحلة على فطرة عربية من الشتم وإباء الضيم ، وحسب الانتقام والاخذ بالثار ، وشهود المعارك والرغبة عن ذل السؤال ، ونظم الشعر للتطرب والرياسة لا للاستجداء كما يتحدث بذلك عن نفسه في مقدمة ديوانه وكما يستخلص من قراءة شعره في شبابه غير أنه لما لحق بخدمة متأخري آل أرتق قبيل انتهاء دولتهم ، وكانوا أهل ترف وانعماك في اللذات ومعاقرة للخمر وهو بالصيد والفنص اعتماد من عاداتهم ، ونادهم في مجالسهم ، وتغزل في ظلماتهم . وأغش وغر . ولما عات سنه عزم على التوبة والتسك وحلف ألا يشرب الخمر ، ولكنه نقض التوبة مراراً فعاد وشربها مرضاةً للامراء والرؤساء .

ومن الغريب في امره تصريحه في قصيدة خمزية ذكر فيها تنقيص شهر رمضان على الشاربين لذاتهم بان لا ينسك الا بعد ٦٨ سنة من عمره وذلك حيث يقول منها :

فيه هجر اللذات حتم وفيه (غير مستحسن وصال الغواني)

وقبيح في التسك الا (بعد ستين حجة وثمان)

ولا أدري سبباً لارجاء التوبة النصوح الى هذا السن المضبوطة بالعدد الا تغمينه شطري مطلع القصيدة التي بعث بها الشريف ابو ابراهيم موسى بن اسحق الى ابي العلا المعري وهذا هو المطلع :

غير مستحسن وصال الغواني بعد ستين حجة وثمان

فأجابه ابو العلا بنونته الشهيرة التي مطلعها :

طلاني فان يبيض الاماني فنيث والزمان ليس بمان

ولا ندري على اي حال انتهت حياته ، وكان الحلي بتشيع نوع تشيع يترضى عن الصاحبين ، وينكر على الأمويين والعباسيين جد الانكار ، وتلك نزعة قديمة العهد في أعراب الفرات والجزيرة منذ عهد علي معاوية وأرضعها فيهم وجود مشاهد الخيف وكر بلاء بين ظهرانيهم .

شعره . — نشأ صفي الدين في القرن الذين خلفوا قرن القاضي الفاضل واتقوا طريقته في التهافت على استعمال المحسنات البديعية والشفغ بها شغفاً أخرجه عن قصد البلاغة فكان معاصراً لكثير من كبار ادبائهم وشعرائهم ومؤلفيهم من أمثال شهاب الدين محمود

الحلبي وابن فضل الله العمري وابن نباتة المصري وصلاح الدين الصفدي وعلاء الدين بن الأثير والملوك العالم المؤرخ الأديب مؤيد الدين صاحب حماة ، فكان صفي الدين عالماً شاعراً بين هؤلاء الأعلام معترفاً له بالسبق في فنون من الشعر والاجادة في أخرى ، وكلهم كاتبه وراسله وعارضه وعابته فإذا وازناه بهم واحداً واحداً من كل وجه طال بنا المقام ، ولكننا نشير إليك هنا بأن شهاب الدين كاتباً ومؤلفاً أرجح منه شاعراً وأن صناعته في الكتابة أروع من صناعة صاحبنا: فصفي الدين أشعر منه وأكثر طروقاً لفنون الشعر وأبوابه وأن ابن فضل الله العمري أعلام لا يجارى في الأدب والتاريخ ووصف الأرضين والشعوب والملل والنحل وكتابة الترسيل ، وصفي الدين في غير الأدب ليس هناك فهو يفضل ابن فضل الله في الشعر ويفضله في كل ما تقدم ، وأن الصفدي وإن كان ذائع الصيت في الشعر واتحالف البديع إلا أن التأليف غلب عليه ، فزاحمت ملكة التأليف وتقرير الحقائق ملكة الشعر واتزاع الخيال وبذلك يكون صفي الدين أشعر منه وأطبع في الشعر ، وكذلك شأنه مع ابن الأثير . بقيت الموازنة بينه وبين ابن نباتة وهما متشابهان في كثير من الأمور ، فهما شاعران مطبوعان غلبت فيهما ملكة الشعر على كل صناعة أدبية ، بل كانا أشعر شعراء المشاركة في عصرهما ويتناز ابن نباتة برقة اللفظ ، ومراعاة الذوق الأدبي ، ودقة النكتة ، ولطف الكتابة والتعريض ، وليس ذلك فيه بعجيب ، فهو مصري صميم تخرج بشعر القاضي الفاضل ، وابن سناء الملك ، والبهاء زهير ، وابن مطروح ، وابن قلاؤس الأسكندري ، فانطبعت في شعره صورهم وتقمصت به أرواحهم ، وبرع ابن نباتة في التورية جد براعة حتى لم يبق لأديب معه فيها كبير نصيب ، ولم تقل كتابته على الطريقة الفاضلية عن شعره كثيراً ، فهو كاتب بدعي بارع متكسب بصناعة الكتابة والترسيل في دواوين مصر والشام .

وأما صفي الدين فشاعر بدعي صليل اللفظ رائع الأسلوب متغنن في كل غرض صاحب مقطعات ومطولات ومسمطات وموشحات وينظم من أوزان العرب والمولدين ، ويقول الدوبيت ومجزو الدوبيت . وهو من الغلاة في البديع فيجيد المطولات المؤلفة كلماتها من الحروف المهملة تارة والمجتمعة أخرى أو التي حرف منها معمل وحرف معجم أو التي كلمة منها معملة والآخرى مجتمعة أو التي كل أسمائها مصفرة ، أو لا تستعمل بالانعكاس ، ثم هو بعد غاية في الجناس ، إلا أنه ليس له في التورية كثير غناء ولكن الأدب الحاذق يرى

أن كل ما امتاز به الحلبي داخل في باب التكلف والتعذق لافي باب الانطباع والرقعة والرشاقة .
وبذلك يُفضل ابن نباتة في جملة علي الحلبي في جملة .
احمد الاسكندري «للبحث صلة»

—(*)—

آراء وافكار

—(١)—

استفهام

طلعت في الجزء الاخير من مجلة المجمع فصلاً للاستاذ المحقق الشيخ بهجة الأثري في لغة وأدب وتشريع وتاريخ وقد وافقت على كل ما جاء فيه تقريباً . وأسر ما سرني منه إنكاره الحيل الشرعية واستهجانها تسمية كتاب الامام محمد بالحيل واستشهاده بأقوال ابن قيم الجوزية على إبطال هذه الحيل من أصلها وذلك في كتابه القيم «اعلام الموقعين» . أما الذي لم أوافق عليه في هذا الفصل المتمتع فهو قوله : «ومن مأثور أقوالهم ركب جنح نعامة» لمن جد في امر . فإف المثل «ركب جناحي نعامة» أو «جناح نعامة» ولا يخفى ان الجنح غير الجناح . فالجنح هو الجانب ويقال جنح الليل يضم فسكون أو بكسر فسكون أي جانبه وقيل اوله وقيل قطعة منه نحو النصف . ويقال كأنه جنح ليل يشبهه العسكر الجرار . ويقال جنح الطريق ايضاً أي جانبه . وعلى كل حال لم يرد «جنح نعامة» ولا جنح أي طائر وإنما هو جناح . وأما استشهاد الاستاذ الأثري بقول شاعر الحماسة :
كان بصحراء المربط نعامة تبادرها جنح الظلام نعائم

فهو دليل على قولهم «جنح الليل» و «جنح الظلام» لا على «جنح النعامة» ولا أزال أحفظ ان اليازجي الكبير في مقاماته استعمل «الجنح» بمعنى «الجناح» مضافاً الى الطائر فأخذ عليه في ذلك احمد فارس صاحب الجوائب . فان كان عند الاستاذ الأثري نص أو شاهد يوثق به على ورود جنح بمعنى جناح مضافاً للطائر فليدل به فانما انا مستفهم .

جنيف : شكيب ارسلا

ملاحظات

اطلعت في الجزء الثاني عشر من المجلد الحادي عشر من مجلة المجمع العلمي على مقال للاستاذ سليم غنخوري يحتوي على ترجمة الحلاج قرأت فيه من المأخذ ما يجب التنبيه عليه . ذكر في ص ٧٤٦ و ٧٤٧ ان الذي دعاه الى ترجمة الحلاج كونه أديباً متكلماً ينظم شعراً عربياً خالص العروبة لا مغمز فيه ولا لحن يذهب فيه مذهباً غريباً — الى ان قال : فالحلاج إذن شاعر له منزلة على غيره هي تفرد به بطريقة اختطها لنفسه .

والحقيقة انما لم نر أحداً ممن ترجم الحلاج مع كثرة من ترجمه قال عنه إنه أديب أو شاعر، لتكون له طريقة خاصة أو شاعرية خاصة . وغاية ما قالوا عنه انه نسبت اليه أبيات كان يتمثل بها . وجميع ما نسب اليه لا يتجاوز ثلاثين بيتاً من الشعر مع جواز انه لم ينظمها . ومثل هذا العدد الضئيل لا يحشره في جملة الشعراء حتى ولا النظامين . ويشهد لهذا ان صاحب المقال نسب الى الحلاج هذين البيتين (انا من أهوى ومن أهوى انا . الخ) مع ان ابن خلكان في تاريخه ذكرهما في ترجمة الحلاج ولم ينسبهما اليه ، ونسب اليه ايضاً : (أرسلت تسأل عني كيف كنت وما . الخ) ونسب ابن خلكان اليه ايضاً هذين البيتين ثم ذكر ان ممن تمثل بهما ايضاً سمنون بن حمزة الزاهد وهو من المعاصرين للحلاج . فهذا يؤيد ان ما نسب اليه لا يخرج عن حد النسبة أو التمثيل وأي رجل عنده أدنى ملكة في العلم لا يتمثل باقوال الشعراء .

وجاء في ص ٧٤٤ ان الحلاج صاحب حال حياته القاسم بن الجنيد والثوري والحسن البصري فصحبته للحسن البصري وللثوري لم نر أحداً قال به قبله . كيف وبين وفاتيهما وولادته عشرات من السنين فوفاة الثوري سنة ١٦١ هـ ووفاة الحسن البصري سنة ١١٠ هـ فاذا ثبت ان الحلاج قتل سنة ٣٠٩ هـ وبالفنا في عمره وقتلنا سنة يوم قتل ستون سنة فتكون ولادته عام ٢٤٩ وعليه فتكون وفاة الثوري قبل ولادة الحلاج بـ ٨٨ سنة . ووفاة الحسن البصري قبل ولادته بـ ١٣٦ سنة فكيف تسى له الاجتماع بها ؟

وقوله : القاسم بن الجنيد خطأ . وانما هو ابو القاسم الجنيد بن محمد .

وجاء في ص ٧٤٩ و ٧٥٠ ان الوزير حامداً أحضر القاضيين : ابا عمرو بن العلاء وجعفر

ابن بهلول في محاكمة الحلاج . فزيادة ابن العلاء . وم ايضاً لان ابا عمرو بن العلاء توفي سنة ١٥٤ فيكوت بين وفاته ومحاكمة الحلاج نحو من ١٥٥ سنة والذي في تاريخ ابن خلكان : القاضي ابو عمر بنير واو ولم يذكر اسمه ولا اسم ابيه .
وجاء في ص ٧٤٤ منظر ١٤ العباس بن سريج وانما هو ابو العباس بن سريج كما في ابن خلكان .

هذا ما رأيت من المآخذ الجديدة بالذكر وهناك امور أخر أصر بنا عنها صفحا .
دمشق : محمد احمد دهمان



مطبوعات حديثة

— (١) —

آداب المعلمين

« مما دون محمد بن سحنون التنوخي عن أبيه . عني بنشره السيد حسن حسني »

« عبد الوهاب التونسي طبع بمطبعة العرب بتونس سنة ١٩٣١ ص ٧٦ »

هذا الكتاب من مطبوعات اللجنة التونسية لنشر المخطوطات العربية نشرها صديقنا العلامة السيد حسن حسني عبد الوهاب الذي اشتهر بتأليفه وتحقيقاته الكثيرة باللغتين العربية والفرنسية قدم له مقدمة مستوفاة للتعريف بالمؤلف وهو من أهل القرن الثالث للهجرة وشفعها بلحمة عن الكتابات افرريقية في زمن المؤلف فقال : « ان الغزاة العرب من الصحابة وتابعيهم لما فتحوا افرريقية في أواسط القرن الاول للهجرة كان الكثير منهم في عيالهم وذرائعهم فعندما أناخوا بمعسكرهم وخطوا (قبراؤهم) كان أول ما أنشأوا الدور والمساجد ثم التفتوا الى تعليم صبيانهم فاتخذوا لهم محلاً — كتاباً — بسيط البناء يجتمعون فيه لقراءة كلام الله العزيز حكي غياث بن ابي شبيب قال : كان سفيان بن وهب صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم يمر علينا ونحن غلّة بالقير وان فيسلم علينا في الكتاب وعليه عمامة قد أرخاها من خلفه . » « ولم يزل شأن الكتابات في نمو وعددها في ازدياد وتكاثر في العاصمة وفي المدائن الاريقية الكبيرة كتونس وسوسة وصفاقس حتى لم يحل منها درب من الدروب أو حي من الأحياء وربما تعددت الكتابات في الحارة الواحدة مثلما تعددت المساجد في الحارات . ولا يجب ان اعتبرت الكتابات في القديم كملحقات بالمساجد وتوابع لها بل انما رجعت ابغاً في دور الأعيان والأغنياء ، وبالأحرى في قصور الوزراء والأمراء . » وقال : ان التعليم الابتدائي ما كان يختص بالولدان دون البنات بل

انه كان شاملاً للمجتهدين لا سيما عند المياسير وذووي الخياليات وأرباب المناصب العالية .
ومما لا ريب فيه ان معلومات من فاضلات النساء كن يهذين ويعلمن الجواري والبنات
المقصودات في الدور والقصور في كل عصر من العصور . ثم ذكر طريقة التعليم في الكتاب
وما الى ذلك من الفوائد التي حققها من التواريخ فكانت صورة صادقة لعناية المسلمين
بتعليم أبنائهم .

أما من الكتاب الذي طلق عليه وقدم له هذه المقدمة البارعة وفقى عليه بآراء بعض
علماء العرب في التربية كابي بكر بن العربي وابن خلدون الحضرمي — فهو على أسلوب الرواية
عند المحدثين ، ذكر فيه ما جاء في تعليم القرآن وفي العدل بين الصبيان وفي ما يجوز من الأدب
وما لا يجوز وفي واجبات العلم واجارته وما يوجب له من لزوم الصبيان الى آخره . فجاء الأصل
والتعليق من جميل ما يقتضى . يستفاد منه على صغر حجمه . م . ك



تاريخ الاستاذ الامام الشيخ محمد عبده

« الجزء الاول وفيه سيرة السيد جمال الدين الأفغاني تأليف السيد محمد »

« رشيد رضا . الطبعة الاولى في مطبعة المنار بمصر سنة ١٣٥٠ — ١٩٣١ »

« ص ١١٣٤ »

كان قراءة العربية أشوق ما يكون لصدور هذا الكتاب بعد ان صدر الثاني والثالث
منه منذ سنين . وهما في منشآت أستاذنا الشيخ محمد عبده وما قيل في تأييده ورثائه . وهذا
الجزء في سيرته توسع فيها صدقنا الاستاذ توسعاً عظيماً لم يترك معه من سيرة المترجم له
مجالاً لقائل وشفعها بوثائق تاريخية أهمها ما كان من قلم المترجم له رحمه الله مثل ترجمته لنفسه
منذ نشأته ومفكراته في الحوادث العراقية ، وقد اتهم بأنه مشايخ لرجال الثورة فحبس
أشهراً ثم نفي الى الشام ثلاث سنين ، وقد توسع المؤلف ايضاً فيما وقع للاستاذ الامام في
السياسة ، وذكر أثره في نهضة مصر العلمية ، وهذا أهم من حياته السياسية . فان في حياته
العلمية عبراً كثيرة ودروساً مفيدة في الاصلاح الاسلامي ، تعلم وتذكروا ثقفاً ولا يستغنى

عن تدارسها من يضرب باصغر سهم في الحركة العلمية المصرية . وقد لحظنا من مجموع هذا التاريخ ان المترجم له زُجَّ في السياسة زجاً فكان مضطراً الى ركوب مراكبيها الخسنة ولذلك رأيناه بعد ان صفا له الزمن وكان مفتي مصر الاكبر يتخلل عن السياسة ولم يرض ان يدخل غمارها بالفعل مع أنه أريد على الدخول فيها قائلاً في الاعتذار أنه مُخلق معلماً ويرجو أن يموت معلماً . وهكذا كان الى ان ناداه ربه الى جواره . لاجرم ان نشر هذه الوثائق المفيدة برمتها قد أوثرت الكتاب تطويلاً ولكنه تطويل محبوب غير مملول ، وقد حفظ المؤلف بهذا الصنيع جانباً كبيراً من تاريخ مصر الحديث ومثالاً صادقاً عن وقائع مهم لها ببناء هذا الشرق القريب عامة . وكان المؤلف يستخدم أسلوب المعلمين في التدريس بأسلوبه فيكرر العبارة لترسخ في أذهان الطلبة ويورد عليها الشواهد لبيان مافيه من المقاصد . وقد يرى المطالع انه قد خرج من الموضوع كثيراً بما يقرأ من الاستطراد الذي قد ينفع الاستغناء عنه ثم لا يلبث المؤلف ان يعود بالقاري أدراجه فيذكر انه في صدد قراءة سيرة عظيم من عظماء الاسلام .

وهذا النمط من التأليف بما يتحمل في مطاويه من متانة عربية شائقة لا نزاع فيها هو فيما اختص به فيما نرى الكاتب المدقق السيد محمد رشيد رضا وقد بكثير في كتابته من ذكر خصوصيات لا شأن لها في العموميات . وكان الموضوع يكتسب روعة وجلالاً أكثر لو سلت منها مکتوباته . وهذه التلمذة الطفيفة لا تقدر في ذلك الوجه الجميل .

ومما يجب ان يستفاد منه ان الرجل الحكيم الشيخ محمد عبده بدأ بتعلم اللغة الفرنسية في الرابعة والاربعين من عمره وقد كالناه قبيل وفاته فكان يتكلم بها مع أحد علماء المشرقيات برشاقة لا غبار عليها ولم يخص عليه مدة ساعة كاملة غلطة أو شبه غلطة . وقد بدأ بتعلمها على أستاذ فكان هو يتلو أمامه قصة لاسكندر دوماس وذاك يصلح له النطق ويفسر له الكلم ثم تعلم نحوها بالتدريج وكان يسافر كل سنة الى سويسرا وفرنسا ويحضر في جنيف دروس العلة في كيتها فتعلم الفرنسية في أوقات الفراغ مع اشتغاله بالقضاء وقال عن نفسه في هذا الصدد : « ثم ان الذي زادني تعلقاً بتعلم لغة اوربية هو اني وجدت انه لا يمكن لاحد ان يدعي انه على شيء من العلم يتمكن به من خدمة أمته وبقنطرة به على الدفاع عن مصالحها كما ينبغي الا اذا كان يعرف لغة اوربية كيف لا وقد أصبحت مصالح المسلمين

مشتبكة مع مصالح الاوربيين في جميع أقطار الارض وهل يمكن مع ذلك لمن لا يعرف لغتهم ان يشتغل للاستفادة من غيرهم أو للغلاص من شر الشرار منهم .»

م . ك

الرسالة النباتية

جردنا هذه الرسالة للاستاذ الامير مصطفى الشهابي من هذه المجلة وهي كما علم القراء في بعض نباتات زراعية لم ترد في معجم أسماء النبات للدكتور احمد عيسى ومعجم العلوم الطبية والطبيعية للدكتور محمد شرف وقصدنا بذلك ان يقف عليها من لا يعلمون على أجزاء هذه الصحيفة . وأبحاث الاستاذ المؤلف على ما يوقن العارفون لا تحتاج الى تقريب لانها أثر من آثار البحث والدرس وله الفضل في استخراج مئات من الألفاظ من معاجم اللغة العربية في المعاني الزراعية وإيجاد ما يقابلها من الاسماء اللاتينية هذا الرغبر ذلك من أبحاثه التي يعرفها قراء هذه المجلة .

م . ك

طوق الحمامة

« في الألفه والألاف تأليف الامام ابي محمد علي بن حزم الاندلسي المتوفى »

« سنة ٤٥٦ هـ عنيت بنشره مكتبة عرفة بدمشق »

تمثلت الحياة لعين السلف بصورتها الحقيقية فغبروها وادر كوا ما هيبتها واجادوا وصفها فأتروا لما ظاهرة الا وقد احصوها ولا خافية الا وقد نفذوا اليها ببصائرهم فجاءت مؤلفاتهم في هذا البحث ضافية وافية تنطق بفضل غزير وسعة علم وعلمهم .

وقد اتى عهد طويل على كثير من هذه المؤلفات كانت فيه مهملات لا تعرف قيمتها ولا يقدر نفعها لما غشي بصيرة الخلف من جهل وضلالة حتى انها كادت تندثر لولا ان تداركها الغرب بحكمته فعني بجمعها وحفظها ونشرها . ومن هذه الكتب القيمة التي طوحتها العصور الى عهد قريب « طوق الحمامة » في الألفه والألاف للعالم الكبير الامام ابي محمد علي بن

حزم الاندلسي المتوفى سنة ٤٥٦ هـ فقد أتى فيه المؤلف على صفة الحب ومعانيه وأسبابه وإعراضه وما يقع فيه وله مقتصر في جميع ما أورده على الحقيقة المتساهدة والحوادث الواقعة والخبرة الشخصية فجاءت رسالته هذه صفحة أدبية اجتماعية أخلاقية تدبر ناحية مظلمة من نواحي النفس البشرية وتجل عقدة هي أشد عقد الحياة الاجتماعية تعقيداً ألا وهي الحب الجنسي منذ النظرة الأولى حتى النفس الأخير على ما يتخلل هذين الأصلين المتقابلين من علامات وصفات وتعريض وإشارة ومراسلة وسفير وطلي سر وإذاعة وطاعة ومخالفة ومساعد ورقيب وواش ووصل وهجر ووفاء وبين وقنوع وخنى وسلو وقبح معصية وفضل تعفف وذلك بأسلوب لا يختلف عن مناهج العصر الحاضر في التأليف وعبارة سهلة متمنعة يتخللها قطع شعرية من نظم المؤلف مما يجعل لهذا الكتاب شأنًا أدبيًا واجتماعيًا وبمن عن فضل مؤلفه وغزارة علمه وسمو خلقه وسعة خبرته وصدق فراسته .

وكنّا نود لو أشار الناشر إلى الأصل المطبوع في ليدن من هذه الرسالة البديعة لئلا يُنمط حق ناشره الأول .

أسعد الحكيم

مجلة مجمع العلمي

النسبة ١٣٣٩ هـ الموافقة ١٩٢١ م
تشرين دمشق مرة في شهر

أيار - حزيران

١٩٣٣

دمشق في
المجمع العلمي العربي

— (٥٥) —

قيمة الاشتراك السنوي في سورية ولبنان ٢٥٠ قرشاً سورياً
الدفع مقدماً وفي جميع الاقطار ٦٠ فرنكاً

مجاميع المجلة عن السنين الماضية

في الداخل ٥٠٠ من السنة الاولى الى الخامسة الى كل سنة منها
= ٣٠٠ = السادسة الى الحادية عشرة =
في الخارج ٦٠٠ = الاولى الى الخامسة =
= ٣٥٠ = السادسة الى الحادية عشرة =

كتب الادب القديمة والحديثة

— ٢ —

كنا أسلفنا فيما سبق كلمة تحت هذا العنوان بينا فيها حالة كتب الادب وما منيت به في الطبع والشرح ووعدنا بتقديم مثالين على صحة ما قلناه وقد ذكر المثال الأول ونشر في الجزء ١٠٩ و١١٠ من هذه المجلة ثم حيل بيننا وبين انجاز القول بما لاطاقة لنا برده . والآن نقدم للقراء الكرام كلمة في المثال الثاني وهو زهر الآداب وفاء بما وعدنا .

كتاب زهر الآداب وثمر الالباب لآبي اسحق الحصري القيرواني بغني اسمه عن التعريف به وشهرته في عالم الادب العربي تكفي مؤنة الاسهاب في مدحه واطرائه وقد طبع غير مرة ولم تسلم طبعة من الزيادة على سابقتها في التعريف والتصحيف حتى اصبح ذلك الزهر والثر مسيماً بشوك من الأغلاط والتشويه لا يبلغ الا بشق الانفس . ثم قبض الله لاجباء هذا الكتاب الجليل الاستاذ الفاضل الدكتور زكي مبارك فعني بطبعه وشرحه وصدر هذه الطبعة بما يأتي قال في الجزء الأول منه :

وقد ظل بين يدي نحو تسعة اشهر وانا معتقل في سنة ١٩٢٠ فقرأته ثم قرأته وعثبت بضبطه وتصحيح ما وقع فيه من الاغلاط ثم رأيت ان افصله . . .

ثم قال : كان زهر الآداب مطبوعاً على هامش العقد الفريد من غير ضبط ولا شرح وكان يكفي ان يطبع الكتاب طبعة ازهرية ليصبح مثلاً في الجمع والتشويه والتفذي في قراءته العيون وتضل في فهمه العقول فأنفقت من جهدي ومن وقفي في تحقيق ما جناه مر السنين وعثت الجاهلين ما لا أمن به على القاري الا وانا آسف محزون .

ثم قال : في الطبعة القديمة كثير من الأغلاط ولا غرابة في ذلك فقد كان الأدب يوم ظهرت قليل الانصار وقد اعتمدت في ضبط هذه الطبعة على مراجعة الاصول التي أخذ

منها زهر الآداب وعلى ما اثنى به من مختلف المعاجم والقواميس فان استطاع القاري ان يلفتني الى خطأ فإني اصلاحه فإني بشكره خاليق . وقفت على هذه المقدمة فاخذتني نشوة الطرب لما جاء فيها وكدت أطير فرحاً بأبراز هذا الكتاب الجليل الى عشاق الادب مصححاً منقحاً مشروحاً وحمدت الله على ان لم يكن طبع طبعة ازهرية ولم يكن مثلاً للسخ والتشويه .

الا ان القدر لم يشأ ان يكون مدى سروري اكثر من لمح البصر . فلقد تصفحت بضع صفحات من كل جزء فسقطت علي ما لم اكن اتوقع . واصطدست بما لم يقدر في الحسبان .

ولما كان الاستاذ الفاضل أذن للقاري — ان استطاع — ان يلفتني الى خطأ فإني اصلاحه . رأيت ان الفت نظره الى ما عثرت عليه عند نظري في هذا الكتاب نظرة عجي . نزولا عند رغبته . ورغبة في تلافي ذلك في طبعة أخرى وقد افردت ما جاء في كل جزء على حدة ليكون ذلك اقرب الى الرجوع الى الاصل عند ارادة ذلك .
فما جاء في الجزء الأول :

في ذيل الصفحة ٢ . تفسيره النقد بالوزن والتقرير والتقدير بالضبط . وذلك غير سديد . وفيه ايضاً . قال في تفسير مدابرة . ذات سأم وملال والمدابرة في الاصل المزينة . والمذكور في كتب اللغة دابره اذا قاطعه واعرض عنه وعاداه . ولم اجد المدابرة بمعنى السأم والملال وفي ديوان ابي العتاهية . مدبرة وفي نسخة . مصرفة .

وفي ص ٦ زمن المروءة وفسر الزمن بالبالي والمشهور في هذه القصة زمن المروءة اي قليلها . ولا يخفى ما في تفسير الزمن بالبالي .

وفيها . وان من الشعر لحكمة ويروى لحكماً . ضبطها بكسر الحاء وفتح الكاف . والصواب لحكماً بضم الحاء وسكون الكاف بمعنى الحكمة .

وفي ص ٧ كان يزيق عمامته اي يصفرها بالغين والصواب بصفرها بالفاء . وفيها . احدى النفثات في العقد . والصواب النفثات .

وفي ص ٩ وعقلة المستوفز فسر العقلة بالعقال والمستوفز بالمستعجل . وهو القاعد منتصباً غير مطمئن يقال اطمن فإني اراك مستوفزاً .

وهذا من كلام ابن الرومي . والذي في ديوانه وطلقة المستوفز . وفي امالي القاضي ونهزة ما مثلها .

وفي ص ١٣ وعقلة الطي وحف المثل . وهذا من كلام المتنبي . وقد فسر المثل بالظبية التي استبان حملها . وهو خطأ والصواب وحف النفل كما في ديوان المتنبي . وفيها : وقد رعتها اذ كان شعري رائعا . وطرف مشبي عن عذاري ارمذ ضبط شعري بكسر الشين والصواب الفتح .

وفي ص ١٤ واسم عمير بن شبيب بالباء الموحدة والصواب بالياء المشناة .

وفيها : ويقال للصقر قطامي وقطاني والصواب قطامي في الموضعين .

وفيها : حياء وتقيا . والصواب وبقيا كما في امالي القاضي .

وفيها : ما ظل مسلما . والصواب ما ظل .

وفيها : لغر الشنايا . والصواب كغر الشنايا .

وفي ص ١٥ من كف ناظم . والصواب من سلك .

وفيها : رمين فانفذت القلوب . والصواب فافذدن .

وفيها : الأجرى . وفي القاضي الاجوى وعليه لا يصح تفسير الحيزوم بما اكتنف الحلقوم .

وفيها : الى هذا يتطرق : والظاهر . وهذا ينظر الى .

وفي ص ١٦ لربنا للعجتها . والرواية . لرؤيتها كما في الديوان .

وفيها : نزار السليم . والرواية السقيم كما ذكره في الذيل .

وفيها : سعدى . ضبطت بكسر الدال . وهي بفتحها .

وفي ص ١٧ ووافق فيه قطراً . والرواية ووافق منك قطراً كما في امالي القاضي .

وفيها : او عصا زيد : ضبطت بكسر الزاي والصواب الضم .

وفي ص ١٨ فن لؤلؤ تحنيه : والرواية تحلوه كما في الديوان .

وفيها : فسر الظلم بالشر . وهو ماء الاسنان ويريقها لا الشر .

وفي ص ١٩ العناج ضبط بفتح العين والصواب كسرهما .

وفيها القعب ضبط بضم القاف والصواب فقيها .

وفي ص ٢٠ انها الرشحاء . وفسرها في الذيل بانها كثيرة العرق وذلك من عيوب

- النساء . والصواب رسحاء اي قليلة لحم العجز والنخدين .
- وفي ص ٢١ الكتبة بضم الكاف وسكون الباء والصواب سكون التاء وفتح الباء .
- وفي ص ٢٢ بقافية انفاذا وفي ديوان جرير بقارة .
- وفيها : فرى هندواني وفسر الفرى بالشق والصدع وفي الديوان قرى بالقاف وهو الصواب
- وفي ص ٢٣ فسر الدمنة بمربط الخليل والابل . ولا يخفى ما فيه .
- وفي ص ٢٤ فسر القوام بكسر القاف . بالتقويم ولم اره لغيره .
- وفي ص ٢٥ قال : يفري الشعر بمحوه ومحو الشعر كناية عن غاية الابداء . والمعروف فري الشيء قطعه وشقه .
- وفيها : ولكن لئيم لا يقوم له زند . والرواية ولكن هجين ليس يورى له زند .
- وفي ص ٣٦ فانك لم يغفر عليك كعاجز وفي ص ٣٧ كفاجر . والمعروف في البيت كفاجر .
- وفي ص ٣٩ فسر الحجرة بالخصن . والصواب مقعد الازار ومن السراويل موضع التكة .
- وفي ص ٤٠ وسيف لا ينبو . قال في تفسيرها والنبوة عدم الاصابة ويقولون لكل جواد كبوة ولكل سيف نبوة . والصواب ان يقال نبا السيف عن الضربة اذا كل وارتمد عنها ولم يمض .
- وفي ص ٤٢ وكان قد جزع المزاد ذكره في موضعين بالزاي والصواب المذاد بالذال .
- وفي ذيلها . فسر الضراب بالمطاردة . وقال فيه . الدكادك جمع دكدك والظاهر ان الدكادك جمع دكدك واما دكدك فجمعه دكاديك .
- وفي ص ٤٥ ونجبل فحل لا يقرف . فسر في الذيل بقوله . لا يقرف من القراف بالكسر وهو داء يقتل البعير يريد انه قوي متين لا تقربه الادواء . وما ابعد هذا التفسير عن قول الاصل . ان العود من لحائه والولد من ابائه والله انه لبات اصل لا يخلف ونجل فحل لا يقرف وظاهر انه من اقرفة يقال اقرف الرجل دامن الهجنة والاقراف من قبل الفحل والهجنة من قبل الام . والمقرف من الخليل المهجين وهو الذي امه برزونة وابوه عربي وقيل بالعكس والمقرف ايضا النذل قال الشاعر :
- فان بك اقراف فمن قبل الفحل

- وفي ص ٤٦ ان العبادة لا تكملك وان يكملك من فيها والصواب وانما يكملك .
- وفي ص ٤٧ فصول القول والصواب فضول .
- وفيه : والنقرى دعوة الفرد والمعروف دعوة بعض دون بعض .
- وفيه : لا ترى الآدم فينا ينتقر . والصواب الآدب .
- وفيه : قال في تفسير بيت زهير وهل ينبت الخطي الا وشيحه .
- الوشيح عروق القصب . ومن البين ان المراد بالوشيح هنا شجر الرماح .
- وفي ص ٤٨ مقامات حسان وجوها . والرواية وجوهم .
- وفيه : فلم يفعلوا او لم يلوا ولم يألوا والصواب ولم يلیموا .
- وفي ص ٥١ سرك من ذمك . والظاهر . سرك من دمك .
- وفيه : بدن لا يشتكي مثل مالا يزكى . والظاهر مثل مال لا يزكى .
- وفيه : هل تمتدّن سألما . الى آدم ام هل تمتد ابن سالم ضبط تعد بالبناء للمفعول
- في الموضعين وظاهر انها بالبناء للفاعل .
- وفيه : عن عدو في ثياب صديق بضم القاف والصواب كسرهما .
- وفي ص ٥٢ العرائن الاوائل ، والاولى تفسيرها بالسادة والاشراف .
- وفي ص ٥٣ وكيف ايجازها وتحسيرها وفسر التحسير بالايداء والمناسب للمقام .
- وتحجيرها ، من حبر الكلام .
- وفي ص ٥٧ في وصف الدنيا والمنزل تلمعة والدار قلعة وقد فسر القلعة بالحصن ، والصواب الانتقال يقال الدنيا دار قلعة بضم فسكون اي انتقال وتحويل وهو المناسب لأول الكلام ، خلق الدنيا للفناء فجديدها بال ونعيمها مضحل .
- وفي ص ٦٢ نظر الفتيق الى الهيجان المصعب ، وقال في الذيل والفتيق السمين والهيجان البيض ، والصواب الفتيق باللون وهو الفعل المكرم الذي لا يركب ولا يهين اكرامته ، والهيجان الكرام ، وهو المناسب للبيت وما قبله .
- وفيه : اللعين الشنفرى ، والظاهر المنقري .
- وفي ص ٦٤ وسلت سخيمات الصدور فعالك الكريم ، والصواب وسل .
- وفيه ذبول العصب ضبطت بضم العين وهي بالفصح .

- وفي ص ٦٥ نسج تراه ٦ والصواب يسج .
- وفي ص ٦٦ في وصف سيف .
- وتراه معتماً اذا جردته بدم الرجال على الاديم الفاقع
- فسر الفاقع بشديد الصفرة وقال معتم حمد الدم عليه ٦ والصواب ان الفاقع هنا الاحمر يخلط حمرة يياض او الخالص الحمرة .
- وفيها : اذا جردته والصواب جردته .
- وفي ص ٦٧ مزبد يجري بالزبد والاولى بقذف بالزبد .
- وفيها : الرود الجميلة الوافرة الحياء والصواب الشابة الحسنة .
- وفيها : الشواجر القواطع او الروابط ٦ والاولى متداخلة يقال رماح شواجر مختلفة متداخلة
- وفي ص ٦٨ مالي رأيت ثراكم ببسالة ٦ والرواية ببسابة وهو المناسب .
- وفيها : وابنة الرق الحية والدؤلؤل السم ٦ ولم اجد الدؤلؤل ٦ والظاهر انها محرفة عن الدؤلؤل بالدال المهملة يقال وقعوا في دؤلؤل اي شدة وامر عظيم وبنت الرق الداهية ٦
- وفي تفسير الكلمات خطأ وفي تفسير المعنى خطأ آخر يظهر للمتأمل .
- وفي ص ٧٢ للمارة والصواب للمارة .
- وفيها : المرو الحجارة السود والصواب البيض .
- وفي ص ٧٤ ان رأيك اذا احتجب اليه ٦ والصواب احتجت .
- وفي ص ٧٥ ولي نظر لولا الفخرج عازم ٦ وقال في تفسير عازم اي طامع . والرواية عازم اي شديد حاد .
- وفيها : فسر المهاة بالطيبة ٦ وهي البقرة الوحشية .
- وفي ص ٧٧ او ينأى عنهما فذلك ٦ وشياق القول بدل على ان الاصل ٦ ولا ينأى .
- وفي ص ٧٨ فاطمعي اولك في أخائك ٦ والصواب فاطمعي .
- وفي ص ٧٩ وارمي من وراها ٦ والصواب من رماها .
- وفي ص ٨٨ جذب بضعبه : نوه به ٦ والاولى انعشه .
- وفي ص ٩٠ اذا عم بالسراء عم سرورها ٦ والصواب اذا مس بدليل الشطر الثاني وان
- مس بالسراء .

- وفي ص ٩١ ورهن المتكفلين والصواب وهن .
- وفي ص ٩٢ في الف قرن ، والصواب قران .
- وفي ص ٩٣ تريد تخمير اللفظ وقال : المراد من تخمير اللفظ التروي في تخميره كما تخمر الخمر لقيود ، والصواب تخمير اللفظ كما ذكره الجاحظ في البيان والتبيين فلا حاجة الى هذا التخمير .
- وفي ص ٩٥ ومثله الجؤشوس ، والصواب الجؤشوش .
- وفي ص ٩٦ وقال ابو داود ، وقد اعيد في ص ٩٧ والصواب ابو داود كما في البيان والتبيين .
- وفي ص ٩٧ بجميع عدة السن الخطباء ضبط بكسر عدة عين والصواب ضمها .
- وفيها : وسعلة بكسر السين والصواب ضمها .
- وفي ص ٩٨ تلخص المتلبس والصواب تخلص .
- وفي ص ٩٩ مطرطا والصواب مطرحا .
- وفيها : افنته ما قوت حياضك والصواب افناه .
- وفيها : قرت ، اخذت ، والصواب جمعت يقال قرى الماء في الخوض جمعه .
- وفيها : فيض العقول ، والرواية صوب العقول .
- وفي ص ١٠٣ في وصف النسخ ، ثم تستبرأ باعادة النظر فيها قال ، تستبرأ : يتجفف ، والصواب ان يكون من قولهم استبرأ الأمر طلب آخره ليقطع الشبهة عنه ، ولا معنى هنا للتجفف باعادة النظر .
- وفي ص ١٠٤ ووصل جوهر معانيه والصواب وفصل كما في المفتاح وغيره .
- وفيها : الوزم : الدلو ، والصواب ان الوزم جمع وذمة وهي سير بين اذان الدلو واطراف العراقي .
- وفيها : الدخاريس فحات الازرار ، والصواب ان الدخاريس ما يوصل به البدن ليوسعه وهي البنية ولم ار من ذكر انها فحات الازرار .
- وفيها : الدرور : الاطراف الرقاق ولم ار من ذكرها كذلك .
- وفي ص ١٠٥ استطلقت طبيعة النباسة فشفي من سوء التفهم واورث صحة العلوم ،

- وفيها : في ييادق الذهب والصواب بنادق . .
 وفي ص ١١ على ابي محذر والصواب محرز .
 وفي ص ١٤ النخيرة في موضعين ، والصواب النخيرة .
 وفيها : منشد التقريض والصواب القريض .
 وفي ص ١٧ يندس بكسر الدال والصواب ضمها .
 وفيها : صنف بكسر الفاء والصواب فتحها .
 وفيها : ان استوقف فطن وانرعى ابن ، قال ابن قزوين والصواب فطن بالقاف وابن ،
 كلاهما بمعنى اقام .
 وفي ص ١٨ ام النجوم الشوابك . هي الشمس . وفي التاج واللسان ام النجوم المجرة
 لانها مجتمع النجوم .
 وفي ص ٢٠ وصلت اصلت والصواب وصلب صآب .
 وفيها : متوحش والصواب متوجس .
 وفيها : الدقيقتان . صفة للسائقين والصواب للأذنين لان التوجس تسمع الصوت
 الخفي وهذا يكون بالأذنين لا بالسائقين .
 وفي ص ٢١ نبات نمش ملبب . ضبط نعش بفتح الشين وملبب بتشديد الباء الاولى .
 والصواب جر نعش وتنوينها وضبط ملبب بغير تشديد ، يقال الب الدابة فهي ملبب وملب*
 ككرم ومحب .
 وفيها : مداوك الصيقل : ادوات كالمناون وغيره . وفي كتب اللغة المدوك حجر
 يسحق به الطيب .
 وفي ص ٢٢ وغذاره والصواب وعذاره .
 وفي ص ٢٣ كخصوة العيب والصواب كخصوة
 وفيها : القارح الفرس القوي ، والقارح المسن
 وفي ص ٢٤ حرة آذانها ، والصواب حشرة اي لطيفة
 وفيها : السج السواد ، والصواب خرز أسود
 وفي ص ٢٥ اللهورات مجاري الحلق ، واللهاة اللحمية المشرفة على الحلق

وفي ص ٢٦ ويوم كيون العاشقين ، والصواب كليل العاشقين

وفي ص ٢٧ يحضر بضم الياء والصواب فتحها

وفيها : قلت البقرة في رأس الورك ، والذي في التاج والقلت ما بين الترقوة والعنق ،
والقلت المطمئن من الخاصرة ، وفيه وفي اللسان ، قلت الفرس ما بين لهواته الى محنكه ،
ولعلمها بحرفة عن النقرة

وفي ص ٢٨ لين المردعين ، ولا معنى لهذا اللفظ والظاهر انه محرف عن المردغتين
والمردغة ما بين العنق الى الترقوة

وفيها : لين الفرق ، والظاهر انه العرف

وفي ص ٢٩ الجحفة من ذوات الاربع هي الشفة من الانسان والصواب كالشفة أو مثل الشفة

وفيها : والسطا عظم لاحق بالذراع ، والصواب لاصق

وفيها : وأحوال غادرة ، والاولى غادرة

وفي ص ٣٠ تبادره ، بضم الراء والماء وبه يختل الوزن ، فالصواب إسكان الماء

وفي ص ٣١ لم شيئاً ، والصواب لم يكن شيئاً

وفيها : وري يونس ، والصواب ورؤي

وفي ص ٣٤ سلسلة النظام ، والصواب سلسلة

وفيها : يابن القرم ضبط بكسر القاف ، والـ و اب الفتح

وفي ص ٣٥ قال يزيد حوراء ، والصواب ابن حوراء

وفي ص ٣٧ قدمت عتبة ببغداد ، والصواب بغداد

وفي ص ٣٨ في سماع ، والصواب في سماع

وفي ص ٤٠ ولا ترد الغربان الا وماؤه ، والصواب ولا ترد الغدران الا وماؤها

وفيها : وبوماً بالاسنة اكهباً ، والرواية بالسنور اكهباً

وفيها : تردي غواربها العدى ، والرواية تردي غواربها القنا

وفيها : في يلاميع ، والصواب يلامع جمع يلمع

وفيها : حمل اللائمة ، والصواب اللائمة

وفيها : عن الصلة الى القطعية ، والصواب القطعية

- وفي ص ٤١ من القضية الدالة ، والصواب الذميمة الدالة
 وفيها : الحاجد ، والصواب الجاحد
 وفي ص ٤٢ عكف الدهر بهم فتوا . وبه يحتل الوزن ، والصواب عليهم
 وفيها : الحرقل الشكر ان اجناء ، والصواب نخل
 وفي ص ٤٣ وهي تلفهم ضبطت بفتح الفاء ، والصواب ضمها
 وفي ص ٤٤ فخرج ، والصواب فخرج
 وفيها : بيض بائقه ، والصواب بنائقه
 وفي ص ٤٦ وروى حاضرآ ، والصواب وروض حاضر
 وفيها : لقد انتت سلوتي ، والصواب انتت مساوي
 وفيها : وما اشتبهت سهيل المجد ، والصواب طريق كما في ديوان أبي تمام ، ولعل
 أصلها سبيل
 وفيها : عابر الانباء ، وفي الديوان عائر الانباء
 وفيها : ثنا خير كان القلب منه يجربه ، وهو خطأ وأصل البيت ثنا خير كان القلب
 امسى يجربه
 وفي ص ٤٧ ابن دواد ، والصواب ابن ابي دواد
 وفي ص ٤٨ لم يكن فرضه ، والرواية فرصة
 وفيها : وليس لقولة ، والصواب لرهة
 وفيها : تهايمي ، والصواب تهايمي
 وفي ص ٤٩ على أبدي ، والصواب يدي
 وفيها : لعنة الله ، والصواب لعنة
 وفي ص ٥١ واما المختار ، والصواب المختار
 وفيها : ابن نهراق ، والاولي مهران
 وفي ص ٥٣ ورجع الى العشرة وابناء المودة ، والصواب وآب الى المودة
 وفيها : ولا يستغن ، والصواب يستغن
 وفي ص ٥٤ ومتع من عضل الامات كما متع من وأد البنات ، والصواب منع في الموضعين

- وفيهما : تعالى حده ، والصواب جده
وفي ص ٥٥ كمثل هذي ، والصواب كمن فقدنا
وفيهما : قال الرومي ، والصواب ابن الرومي
وفيهما : فان يجن بعهد ، وفي الديوان فان تبعن
وفي ص ٥٦ وشتم ، والصواب وشتهم
وفيهما : تفرع ، والصواب ضم الراء
وفي ص ٥٩ يهزئون ، والصواب يهزأون
وفي ص ٥٩ في عيني اليمن ، والصواب اليمنى
وفيهما : ان اللائمة ، والصواب الأئمة
وفيهما : من وحشيه ، والصواب وحشية
وفي ص ٦١ لا احسبه كما وصف ، والصواب لأحسبه
وفيهما : شرح ، والصواب شرح
وفيهما : اذا كنت في القوم الطوال فطلتهم ، والصواب فضلتهم كما في امالي القاضي
وفي ص ٦٢ ونصيف من الرجال . ولا معنى له ، والظاهر انه محرف عن قضيف وهو
الدقيق العظم القليل اللحم
وفيهما : دعوا التجاجؤ ، والصواب التجاجؤ
وفيهما : يحذى نعم السبت ، والصواب نعال
وفيهما : وكنا اذا ما الخائن الجده غره . سقى برق غاد ، والصواب الحسان الجد .
سنا برق غاو . كما في كامل المبرد
وفي ص ٦٤ وبالقوادم والخواني قوة النجاح . والصواب الجناح
وفيهما : والجزع عى الاموات غناء . والصواب عناء
وفي ص ٦٥ وعلى الصنمو من ذريته ، والاردى وعلى الصفوة
وفيهما : ومنزع الورى وحسنه العالم . والصواب وجنة العالم
وفي ص ٦٦ في نظام من النعى ونضاح . والصواب ونصاح
وفي ص ٦٧ يلثمه بنمه تفضله والصواب بفضله

وفيهما : يقسم المجد بسميته ٤ والصواب بسميته
وفي ص ٦٨ الذي يد في الفضل والصواب في يد الفضل .
وفيهما : قال في شرح الادعي : الادعي بيض النعام والصواب مبيض النعام .
وفي ص ٦٩ طبقة المتكئين . والصواب المتكئين .
وفي ص ٧٠ ضبط لحاقه بكسر اللام والصواب فتحها .
وفي ص ٧١ لا يذهب الخبر ماله . والصواب لا يذهب الخبر .
وفيهما : لا ينفذ فيها ماله . والصواب ينفذ .
وفي ص ٧٢ ثقابة المعرفة والظاهر اتقانه المعرفة .
وفيهما : في المهامة . والصواب في المهامة
وفي ص ٧٣ شفاء نفسي منك تخبيشة . والصواب تخبيشة
وفي ص ٧٤ تمت بهن شمائل . والصواب تمت
وفي ص ٧٦ ورسم على السكر خمشته . والصواب جمشته
وفيهما : ونسب لا يحفى . والصواب لا يحفى
وفي ص ٧٧ لم ينس علم ما . والصواب ما علم
وفي ص ٧٨ عشر بنين والصواب عشرة
وفيهما : عبيد او موالي . والصواب موالي
وفي ص ٨١ رأى السلطان . والصواب السلطان
وفي ص ٨٢ وذو عينين بفتح احدهما والصواب احدهما
وفيهما : فلا رأي للمحمول الا ركوبها والمعروف فلا يسع المظفر
وفي ص ٨٣ كما تتأين . والصواب تتأين
وفيهما : اذا عض مثنيه الثقاف تأدوا . والصواب تأودا
وفيهما اذا ازدت والصواب ازدت

مصطلحات علمية

- ٢ -

- ٣٠ - [Aberration — الكدورة]
 ٣١ - [Stigmatisme — الرشاد]
 ٣٢ - [Astigmatisme — الطّوح]

الأشعة الضوئية التي تصدر من نقطة مضيئة واحدة وتنكسر في عدسة بلورية فهي لا تتلاقى في نقطة واحدة ولذا لا يكون خيال النقطة نقطة صافية مثلها وإنما يكون بقعة كدرة تزيغ البصر فعبروا عن ذلك بـ (Aberration) بمعنى التيه والضللال لأنه ينشأ من ضلال الأشعة وعدم تلاقبها في نقطة واحدة وحيث أن المراد من التعبير نعت الخيال لا نعت الأشعة فقد ترجمت هذا الحال «بالكدورة» والمراد كدورة الخيال . ثم عبروا عن حالة الآلات التي تستطيع أن تجعل خيال النقطة نقطة مثلها بـ Stigmatisme من Stigmatos اليونانية ومعناها «النقطة» فعبرت عن ذلك «بالرشاد» لرشاد الأشعة إذ ذلك بتلاقبها في نقطة واحدة ، وأما الآلات التي لا تستطيع أن تجعل خيال النقطة نقطة مثلها (ومنها عين الإنسان) فقد عبروا عن حالتها بـ Astigmatisme فالصدر a في هذه الكلمة لفظ يوناني يفيد العدم فترجمتها «بالطّوح» وهو ضد الرشاد .

- ٣٣ - [Punctum remotum — نقطة المدى]
 ٣٤ - [Punctum proximum — نقطة الكتب]

Punctum كلمة لاتينية معناها النقطة و Remotum معناها البعيد فيراد بـ Punctum remotum أبعد نقطة تستطيع العين أن تراها بلا تعب فترجمتها بـ «نقطة المدى» تقول مدى البصر أي منتهاه وغايته وأما proximum فعناه «القريب» ويعبرون

ب Punctum proximum عن أقرب نقطة تستطيع العين رؤيتها فترجمتها بـ «نقطة الكَثَب» .

| | | |
|---------------|----------------|------|
| Emmétropie | — اعتدال البصر | — ٣٥ |
| Myopie | — الحُصور | — ٣٦ |
| Hypermétropie | — الخُمس | — ٣٧ |
| Presbytie | — الادرهام | — ٣٨ |
| Astigmatisme | — الطَوَّح | — ٣٩ |

Emmétropie كلمة مركبة من Emmétros اليونانية ومعناها «المطابق للمقياس» ومن ops اليونانية ايضاً ومعناها النظر فيكون المعنى «النظر المطابق للمقياس» فعبروا بـ Emmétropie عن حالة العين السليمة فترجمتها «باعتدال البصر» و Myopie أصلها Myopia اليونانية وهي مركبة من Myein ومعناها غَمَضَ عينه ومن ops ومعناها النظر فيريدون بـ Myopie حالة العين التي لا ترى الاشياء البعيدة واضحة بل تكل اذا نظرت اليها فترجمتها «بالحُصور» (بالضم) ، يقال حَسَمَتِ العين (بفتح السين) اذا كُتِلَ لبعده الشيء الذي حدثت اليه ، والمصدر حُصور لا حَسَمَر كما جاء في بعض الكتب لان المصدر مصدر حَمِير (بالكسر) بمعنى تَلَمَّفَ .

و Hypermétropie مركبة من المصدر Hyper وهو يفيد شيئاً من الإفراط ومن Métron ومعناه المقياس ومن ops ومعناه النظر كما تقدم فيعبرون بـ Hypermétropie عن حالة العين التي تكل من النظر الى الاشياء القريبة فيضطر صاحبها الى انظار الى تلك الاشياء من بعيد فعبرت عن هذه الحالة بالخُمس ، لانه يقال طَمَسَ بعينه اذا نظار نظراً بعيداً ، والخُمسُ النظر الى الشيء من بعيد (تاج العروس)

و Presbytie مأخوذة من Presbutès اليونانية ومعناها الشيخ الكبير وقد عبروا بهذه الكلمة عن حالة العين التي ترى الاشياء القريبة كدرة والبعدة واضحة ولما كانت هذه الاشياء تحدث في الشيخوخ سُموا بذلك وقد ترجمتها الى العربية بالادرهام لانه يقال ادْرهم فلان اذا كبر سنه ويقال ادْرهم بصره اذا أظلم ومن حسن الصدق ان اللفظ العربي يفيد من اللفظ الأعجمي معنيته اللغوي والاصطلاحي .

Astigmatisme حالة العين التي ترى الخطوط الأفقية مشوشة والقائمة واضحة
او بالعكس فعبرت عن هذه الحالة بالطوح (بالفتح) (راجع الكلمة رقم ٣٢) .

٤٠ — [Poêle — المصطلى]

٤١ — [Calorifère — المَحَرَّر]

٤٢ — [Radiateur — المُشْرِعة]

Poêle هو المعروف عند عامتنا (بالصويية) العربية من التركية وقد ترجمته بالمصطلى
من اصطلى بالنار اذا استدفاها وقد ورد هذا اللفظ في كتب اللغة فاستعماله خير من توليد
لفظ جديد .

و Calorifère مركبة من Calor اللاتينية ومعناها الحرارة ومن Ferre اللاتينية
ايضاً ومعناها أقلّ ويعبرون بـ Calorifère عما تتولديه الحرارة في طريقة التدفئة المسماة
بالتدفئة المركزية فترجمت الكلمة المذكورة بالمَحَرَّر على صيغة اسم المكان .

ولاجل Radiateur (راجع الكلمة رقم ٢٢) .

٤٣ — [Pendule — النواص]

Pendule عبارة عن ثقل معلق يترجم^(١) فعبرت عنه بالنواص (بصيغة المبالغة) من
ناس الشيء اذا تذبذب متديلاً (لسان العرب)

٤٤ — [Force centripète — القوة الجاذبة]

٤٥ — [Force centrifuge — القوة النابذة]

٤٦ — [Centrifugeur — الخاضة]

اذا ربطت حجراً بطرف خيط واخذت في تدوير الخيط كالمقلع تولد هناك قوتان :
قوة تجذب الحجر نحو يدك وقوة تدفعه الى بعد فعبروا عن الاولى بـ Force centripète
من Centrum اللاتينية ومعناها المركز و Petere ومعناها الكسب فترجمت
centripète بالقوة الجاذبة من جبال الشيء اذا جذبته لان هذه القوة تجذب الحجر نحو
المركز وهو طرف الخيط مما يلي يدك وانما اخترت الجذب دون الجذب ليعكون خاصاً
بهذه القوة فالجذب أعم وعبروا عن القوة الثانية بـ Force Centrifuge من Centrum

(١) اي يتذبذب .

اللاتينية وقد تقدم ذكرها و Fugere بمعنى الفرار فترجمت Force centrifuge بالقوة النابذة من نبد الشيء من يده اذا طرحه ورمى به .
و Centrifugeur آلة تستخدم فيها القوة النابذة لاجل سرعة ترسيب ما يكون في المائع مما هو أثقل منه فعبرت عنها بالخاصة (بالتشديد) .

٤٧ — [Mire — المستهدف]
[Voyant — الشاخص]

Mire عند المهندسين مسطرة طويلة ينصبها أحدهم لينظر اليها الآخر من وراء آلة التسوية فعبرت عن تلك المسطرة بالمستهدف من استهدف له الشيء انصب وذلك تخميناً بهذا المعنى لان Mire يطلق على غير ذلك ايضاً و Voyant لوح مربع في ظهره حلقة تدخل في المستهدف فيشد اللوح فيه فترجمت ذلك اللوح بالشاخص .

[Balance — الميزان]
[Balance romaine — القبان]
٤٨ — [Peson — الميزان]
[Bascule — القذاف]
٤٩ — [Dynamomètre — الربيعة]
٥٠ — [Barorsope — الرايزة]

Balance و Balance romaine معلومان . اما Peson فهو آلة ذات نابض ^(١) يعاق بها مايراد وزنه فيقدر ثقله على حسب امتداد نابضها به فعبرت عنها بالميزان (بالكسر) من رزنه اذا رفعه لينظر مائقله واما Bascule وهو ميزان الاثقال فقد ترجمته بالقذاف (بالتشديد) وهو الميزان وذلك تخصيماً به ، واما Dynamomètre فاصلها من Dunamis اليونانية ومعناها القوة ومن Métrons ومعناها المقياس والمراد مقياس القوة فعبرت عنها بالربيعة لان الربيعة في الأصل حجر تثمن بأشالته القوى .

و أما Barorsope فهي مركبة من Baros اليونانية ومعناها الثقل ومن Skopein ومعناها فحص وقد اصطلحوا بـ Baroscope على آلة تكشف القوة الدافعة التي تقع

(١) تريد بالنابض ما تقول له العامة زنبرك المعرب من الفارسية .

من الهواء (أو من أي غاز كان) على الأجسام الغائصة فيه ولما كان المعنى اللغوي من كلمة بارسكوب «فاحص الثقل» ترجمتها «بالرائزة» من رازة روزاً إذا رفعه ليعرف ثقله .

٥٢ — [Dialyse — الميز]

٥٣ — [Dialyseur — المائزة]

٥٤ — [Osmose — التروح]

Dialyse من Dialysis اليونانية ومعناها الانحلال أو الحل ويريدون بها انفصال المواد الكيميائية بعضها عن بعض وهي منخل في الماء مثلاً وذلك بأن ينفذ بعضها الأغشية ذات المسام والآخر لا ينفذها فترجمت هذه الكلمة بالميز (بالتفتح) من مازة ميزاً إذا عزله وفرزه عن غيره وترجمت Dialyseur بالمائزة .

وإما Osmose فهي من Osmos اليونانية ومعناها الدفع ويصطلحون بهذه الكلمة على خاصة بتخالط بها المائتان المنفصلان بعضهما عن بعض بغشاء ذي مسام بأن ينفذ أحدهما أو كليهما الغشاء ليصل إلى الآخر فعبرت عن هذه الخاصة بالتروح وهو الرشح نقول نزع الماء من الاناء إذا تحلب وخرج من مسامه وقد عبر بعضهم عنها بالحللول على أني لم أجد مناسبة بين معنى الحللول والمعنى المقصود .

٥٥ — [Fontaine avec jet d'eau — النضاخة]

يقول بعضهم للعين الذي ينبع ماؤها من سفلى إلى علو فواره وبعضهم نافورة وغير ذلك مع أنه ليس في هذه الألفاظ ما يفيد نبعا الماء من سفلى إلى علو فأوفق تعبيرها «النضاخة» على ما أرى لأنه جاء في معاجم اللغة نضغ الماء ما كان منه من سفلى إلى علو .

٥٦ — [Casse - noix — البداعة]

Casse - noix آلة لكسر الجوز أو اللوز ترجمها بعضهم بالمرضاح أو بالمرضاخ أو الفهر أو مكسر الجوز أو غفور الجوز مع أن المرضاح الحجر يكسر به الحصى أو النوى والمرضاخ كالمرضاخ وزناً ومعنى والفهر الحجر قدر ما يدر به الجوز وليس لاحدى هذه الكلمات معنى يلائم المراد فرأيت أن تترجم Casse - noix بالبداعة لأنه يقال بدغ الجوز واللوز كسره .

| | |
|--------------------------|------|
| [Diézer — الصدح] | — ٥٧ |
| [Bémoliser — الترخم] | |
| [Si dièze — سي صاوح] | — ٥٨ |
| [Si bémole — سي رخيم] | — ٥٩ |
| [Harmoniques — مدروجة] | — ٦٠ |
| [Musical — رنيمي] | — ٦١ |

من المعلوم في علم الغناء ان ارتفاع الأصوات الثنائية يزداد في تدرج فيكون بين كل صوت والذي أرفع منه فرق سبعة الارتفاع يقال له مسافة وهي اما كبيرة فيقال لها «بردة» واما صغيرة فيقال لها «عربة» وهي تكاد تكون قدر نصف بردة الا انه يضطر المغني أحيانا الى ان يحدث بين صوتين بينهما بردة صوتاً متوسطاً ينفرد عن كل منهما قدر عربة ولاجل الحصول على هذا الصوت اما ان يرفع أغلظ الصوتين قدر عربة واما ان يخفض أرفعهما قدر عربة فيقال للطريقة الاولى Diézer فعبرت عنها بالصدح من صدح صدحا اذا رفع صوته بفناء والصدح حدة الصوت (المخصص) .

ويقال للطريقة الثانية Bémoliser فعبرت عنها بالترخم من رخيم الصوت لان وسهل تعليمه يترجم Si dièze مثلاً بـ (سي صاوح) و Si bémole بـ (سي رخيم) .
واما Armoniques فقد اصطلحوا به على الأصوات الثنائية التي يأخذ ارتفاعها في الازدیاد بنسبة كنسبة ازدیاد الأعداد من الواحد فما عدداً فعبرت عن هذه الأصوات «بالمدروجة» . وترجمت Musical بالرنيمي .

[Ampoule — العجّابة] — ٦٢

يعبرون بـ Ampoule عن زجاجة صغيرة يحصر فيها الدواء الذي يحقن تحت الجلد فعبرت عنها في العربية بالعجّابة (بالفتح) استعارة من حجاب الماء وهي ثمة أخاته التي تملؤه وحجابه تجتمع على حجاب .

[Chlorophille — العنّاب] — ٦٣

[Hémoglobine — النعانية] — ٦٤

Chlorophille كلمة مركبة من Khloros اليونانية ومعناها « اخضر » ومرتب

Phullon ومعناها ورق الشجر فيريدون بـ Chlorophille المادة الخضراء التي في الشجر وخصوصاً في ورقه فترجمتها بالخضب (بفتح فسكون) اذ جاء في اللغة «الخضب خضرة الشجر» .

Hémoglobine مركبة من Haima اليونانية ومعناها الدم ومن Globus اللاتينية ومعناها الكرة ويقع مدون بـ Hémoglobine المادة الملوثة لكريات الدم فعبرت عنها «بالعمانية» لان النعمان من أسماء الدم والمراد «المادة النعمانية» .

٦٥ — [Capsule surrénal — الكُظُر]

اذا أردنا ان نترجم التعبير الافرنجي بالحرف لزم ان نقول «الحقة التي فوق الكلية» على اني كنت عثرت في كتب اللغة على لفظ عربي واحد يفيد مدلول هذه الكلمة وهو «الكُظُر» (بضم فسكون) ومعناه الشحم على الكلية وقد كنت نشرت ذلك في مجلة الصحة العمومية التي كانت تصدر في دمشق منذ ١٢ سنة .

| | | | |
|---|---|---|------|
| [| Volant — المَحَالَة |] | ٦٦ — |
| [| Arbre de couche — الجُزُع |] | ٦٧ — |
| [| Tiroir — الجُرُور |] | ٦٨ — |
| [| Excentrique — المخرف |] | ٦٩ — |
| [| Courroi — المَجَرَّة |] | ٧٠ — |
| [| Hélice aérienne — المَعَارَة الهوائية |] | ٧١ — |
| [| Turbine atmosphérique — العنفة الهوائية |] | ٧٢ — |

Volant دولاب جسم يدور على محور الحركة لها كنة فاستمرت له المحالة (بالفتح) وهي في الأصل الدولاب الكبير أو البكرة الكبيرة .

Arbre de couche المحور الذي يدور عليه ذلك الدولاب فترجمته بالجُزُع (بالضم ويفتح) وهو في اللغة المحور الذي تدور عليه المحالة .

Tiroir شيء في ما كنة البخار كلعبة بخير ذهاباً وإياباً ليتناوب بذلك ضغط البخار وجمعي المتكس فعبرت عن تلك اللعبة بالجُرُور (بالفتح) وهو فعول من الجر .

و Excentrique لوح صغير في ماكنة البخار مستدير او غير مستدير يدور على محور غير مار بوسطه بل منحرف عنه ولذا سميت «بالمنحرف» .

و Hélice آلة تدور في مؤخر الباخرة لتدفعها ومعنى Hélice في الأصل نوع من الأصداف فاستعير الى الآلة المذكورة لشبهها به فعبرت عن هذه الآلة بالبخارة (بالفتح) وهي في الأصل الصدفة أو نحوها من العظم ثم استعرتها لما يدور في مقدم الطيارة مع تقبيدها بالهوائية كما في أصلها الافرنسي .

و Turbine يراد به دولاب قائم المحور يدوره الماء فترجمته بالعنفة (بفتح العين والنون) فقد جاء في اللغة العنف الذي يضربه الماء فيدير الرمح^(١) .

و Courroie يطلق في فن المكينك على رباط من جلد أو غيره يعقد طرفاه ويطوق به دولابان لينقل به الدوران من أحدهما الى الآخر تقول له العامة كشاط وترجمه بعضهم بالأسار أو السير أو البند مع ان في العربية كلمة يمكن تخصيصها بمدلوله وهي الحجر (بكسر الميم وتشديد الراء) فقد جاء في اللغة الحجر خيط غليظ يطوق به الدولاب ليدور بواسطته .

| | | | | |
|---|-------------|---|--------|---|
| [| Transparent | — | شفاف |] |
| [| Translucide | — | شاف |] |
| [| Ombre | — | الظل |] |
| [| Pénombre | — | الشعاع |] |

يريدون ب Transparent ما ترى الأشياء من ورائه باشكالها فهو الشفاف و ب Translucide ما ترى الأشياء من ورائه دون ان تدرك أشكالها فترجمه بعضهم بنصف شفاف مع انه لا حاجة الى هذا التكلف فالأرجح ان يترجم بالشاف لانه أقل شفوفاً من الاول فيخص به اسم الفاعل وتخص المبالغة بالأول .

واما Ombre فهو معلوم واما Pénombre فيريدون به الظل اللطيف فترجمه أحدم بشبه الظل وترجمه غيره بالظليل (بالتصغير) مع ان عربيته الشعاع اذ جاء في اللغة الشعاع الظل غير الكثيف .

(١) تقول له العامة فراحش .

| | |
|-----------------------|------|
| [Pédal — الموطى] | ٧٥ — |
| [Grade — المرقاة] | ٧٦ — |
| [Diffusor — الناشر] | ٧٧ — |
| [آرما — الرقيم] | ٧٨ — |

Pédal ما يجعل عليه الحائك أو شاحذ السكاكين^(١) قدمه فترجمه بعضهم بالمداس أو بالرجلية أو الدواسة إلى غير ذلك مع أن المداس الحذاء والدواسة الألف فأصح ما يلائم المعنى على ما أرى « الموطأ أو الموطى » إذ هو في اللغة موضع القدم .

و Grade من مقاييس محيط الدائرة في علم الهندسة فعبرت عنه بالمرقاة .
و Diffusor بوق من الورق المقوى يستعمل في الحاكي (الفنراف) فعبرت عنه

بالناشر .

و « آرما » — وهي تطلق في الشام على اللوح يعلق على الحائوت أو غيره مكتوباً فيه (أي اللوح) اسم صاحب المحل وصنعتة الخ — هي كلمة إيطالية الأصل استعملها الترك ثم انتقلت إلينا . فأرى أن مرادفها العربي « الرقيم » إذ جاء في القرآن الكريم « أم حسبت أن أصحاب الكهف والرقيم كانوا من آياتنا عجبا » قال المفسرون المراد بالرقيم لوح رصاص نقش فيه أسماءهم ونسبهم الخ .

| | |
|-------------------------|------|
| [Moment — ناتج] | ٧٩ — |
| [Collimateur — موجته] | ٨٠ — |

يمعرون بـ Moment في علم الميكانيك عما ينتج من فعل القوة وغيرها فترجمته بالناتج ومن مركباته Moment de la force (ناتج القوة) و M. de l'inertie (ناتج العطالة) و M. du couple (ناتج المزدوجة) الخ فعليه ترجمت Résultante بالحاصلة .
و اما Collimateur فهو آلة تدبر أشعة الضوء إلى جهة من الجهات فعبرت عنها بالموجته .

| | |
|--|--|
| [Propagation de la lumière — انتشار الضوء] | |
| [Reflexion — انعكاس] | |

(١) المعروف عندنا بالهاتخ .

| | | | |
|---|--|---|--------|
| [| انتشار الضوء — Diffusion de la lumière |] | |
| [| « انكسار — Réfraction | » |] |
| [| « انحراف — Déviation | » |] |
| [| « تبديد — Dispersion | » |] |
| [| « كدورة — Aberration | » |] — ٨١ |
| [| « انعراج — Diffraction | » |] — ٨٢ |
| [| « تداخل — Interférence | » |] |
| [| « استقطاب — Polarisation | » |] |

كل ذلك مصطلحات تتعلق بخواص الضوء في علم الطبيعة لا يسع المقام شرحها وفي بعضها شيء من التخصيص وانما سندكر كلمة عن Polarisation فقد جاء عن هذه الكلمة في لاروس ما مفاده ان مدلول Polarisation الاصطلاحي ليس فيه معنى القطب اصلاً وقد كان المراد ان تشتق الكلمة من Polein اليونانية ومعناها الدوران لان البلور الذي شوهدت فيه خاصة الضوء هذه لأول مرة كان يدار على نفسه لاجل مشاهدتها ، لكنه قد خطئ في الاشتقاق فجاءت الكلمة على هذا اللفظ اه ثم ترجمها بعض المصريين بالاستقطاب وأخذها الترك عنهم فانقلبت البناء وشاعت حتى صار تغييرها متعذراً ولذا اضطررت الى ابقائها .

٨٣ — Psychromètre — مقياس الآخسر

هو آلة تستعمل في قياس الرطوبة التي في الجو و Psychro كلمة يونانية أصلها Pusukhros ومعناها البرد فترجمت Psychromètre بمقياس الآخسر (بفتح الخاء والصاد) وهو البرد .

[vaséline — دهن النفط] — ٨٤

[Lanoline — دهن الصوف] — ٨٥

كل من Vaséline و Lanoline مادة دهنية تستعمل في المراهم فالاولى تستخرج من النفط فسميتها بدهن النفط والثانية تستخرج من صوف الغنم فسميتها بدهن الصوف .

[Sillon — النقبة] ٨٦

بعبارة الافرنسيون عن أول ما يظهر من الجرب بـ Sillon ومعناه التلم لان الجرب ينبعث عن حشرة دقيقة تنقب بشرة الجلد فتدخل فتشفي تحتها فتجفر تلماً يؤدي الى الحلك فترجم بعضهم Sillon بالتلم أو بالأخدود لكن الأصح ان يترجم — بالنظر الى مدلوله هذا — بالنقبة (بالضم) اذ جاء في اللغة النقبة أول ما يظهر من الجرب^(١) وما يستدعي النظر في ذلك ان العرب كانوا ينفقون ان الجرب ينشأ من حشرة تنقب الجلد .

[Tarlatane — السحل] ٨٧

[Gaze — الشف]

[Ouate — السبيج] ٨٨

[Hydrophile — نشف] ٨٩

يراد بـ Tarlatane كساء من قطن كثير الخفة والملاءم فأرى ان يترجم بالسحل (بفتح فسكون) جاء في المختص السحل الثوب من القطن وجاء السحل ثياب بيض واحدها سحل . و Gaze كساء رقيق يحكي ما تحته عريته «الشف» (بالفتح وبكسر^(٢)) فاستعملها خير من التعريب . و Ouate يراد به في الطب قطن مندوف معرض مطبق بعضه فوق بعض يستعمل في تقييد الجراح فأرى ان يترجم بالسبيج وهو في اللغة المعرض من القطن ليوضع عليه الدواء ويوضع فوق جرح . و Hydrophile مركبة من Hudôr اليونانية ومعناها الماء ومن Phyllos ومعناها الحب فيكون المعنى محب الماء فيقال Coton hydrophile و Gaze hydrophile فعليه نترجم Hydrophile بالنشف (بفتح فكسر) وهو ما ينشف الماء اي يشربه .

[Gant de Caoutchouc — الختاع] ٩٠

[Doigtier de — الختعة] ٩١

Gant de caoutchouc قفاز من المطاط — (كوشوك) — يلبسه الجراح حين العمليات الجراحية فأرى ان يترجم بالختاع (بالكسر) وهو في الأصل كف من جلد يلبسه البزار خوفاً على يده من محالب البازي الواحدة ختاعة . و Doigtier هسة من

(١) فقه اللغة للثعالبي . (٢) عاميته شاش .

المطاط كاصبع القفاز يلبسها الطبيب ليسر بعض أجواف البدن فيمكن ان تستعار لها كلمة «خنتيمة» وهي في الأصل قطعة من ادم يلقها الرامي على اصبعه .

٩٢ — [Chape — الخُطَّاف]

من معاني Chape الافراسية خشبتان أو حديدتان يستند اليهما طرفا محور البكرة أو الميزان أو غيرهما فالسكلمة العربية التي تفيد هذا المعنى هي الخُطَّاف (كَرُمَّان) اذ جاء في التاج الخطاف حديدة حجناء ^(١) تكون في جانبي البكرة فيها المحور وفي المخصص الخطاف الذي تجري البكرة فيه . « للبحث صلة »

الطبيب

محمد جميل الخاني

الف ليلة وليلة

تاريخ حياتها

- ٢ -

« من المحاضرة الثانية »

طريقة الكتاب وأسلوبه . — كانت طريقة العرب في القصص ان يسردوا الاسمار والاحاديث على نمط يجعل كل حكاية قائمة بذاتها لا يربطها بما يسبقها ولا بما يلحقها علاقة . وترون ذلك واضحاً في أمثال لقمان وكتب النوادر فلما نقلت الأقاصيص الهندية الى العربية في القرن الثالث عن طريق الفارسية ادخلت في ادبنا القصصي طريقة طريفة تجعل الحكايات سلسلة متجانسة الحلقات متعاقبة الخطوات متتابعة النسق ، وذلك على ضربين : الأول ان تتعلق جميع الحكايات بحكاية أصلية تكون فاتحة لبدائتها وسبباً لروايتها ابتغاء التمهيق عن فعل ما لا يحل ، وذلك في العربية مذهب كتاب الوزراء السبعة وكتاب كليله ودمنة الغلب كتاب الف ليلة ليلة ، وهو في الفارسية مذهب بختيارنامه وقصة جيسار درويش رقيقة نوروز شاه وكتاب طوطي نامه وانوار سبيلي مثلاً . والضرب الثاني ان تروى الحكايات موزعة في الكتاب على عدة ابواب بحيث تكون الحكاية في أي باب من هذه الأبواب مقدمة لحكاية الباب الذي يليه . ومن هذا الضرب في أدبنا كتاب سلوان المطاع في عدوان الانبعا لان ظفر العقلي المتوفى سنة ٥٦٥ هـ وكتاب فاكهة الخلفاء ومفاكهة الظرفاء لاحمد بن عربشاه الدمشقي المتوفى سنة ٨٥٤ هـ في ادب الفرس كتاب مرزبان نامه لمرزبان بن رستم بن شروين ، وقد ترجمه ابن عربشاه واستمد منه ، ذلك فضلاً عن الطريقة الفارسية التي احتذيناها في الاقاصيص الغرامية المطولة . فالف ليلة وليلة إذن يجري على ثلاث طرق : يجري على الطريقة الهندية في الحكايات المتداخلة المتسلسلة

تلكايات الأصل وحكاية البنات الثلاث والصعاليك الثلاثة وحكاية الخطياط والاحدب والطيب وحكاية جان شاه وحكاية وردخان . . . الخ

ويجري على الطريقة الفارسية في الحكايات المفردة المجردة تلكايات العشاق في بعض اقصيص الأصل وما جرى مجراها من حكايات الطبقة البغدادية فانها مضروبة على قالب القصص الفارسي في الاعتماد على الحب الوهمي الذي يصيب ظرفاء الشباب على اثر طيف يزور في الكرى ، او صورة تعرض في الطريق ، او حكاية تلقى في المجلس . ثم يجري على الطريقة العربية الخالصة في الاقصيص الصغيرة المنقبة من كتب الأدب كحكاية حاتم الطائي وحكاية معن بن زائدة وحكاية ابراهيم بن المهدي وحكاية خالد بن عبدالله القسري مثلاً ، اما أسلوبه فيختلف باختلاف الزمان والمكان والجنس والشخص ، فاذا حكىنا عليه فانما نحكم على جملة لا تفصيله ، وتوخى الصفات العامة في نقده وتحليله ، فو في عمومته أسلوب سهل المأخذ مطرد السياق ، سوقي اللفظ مبسوط العبارة كثير الفضول كثير التضمين جري الإشارة ليعرف الكناية ولا يبقى الحياء ولا يصطنع التهميط ، لأن سبيله سبيل العامة فهو يسايرهم في ثرتهم وفضولهم وسذاجتهم ومراحتهم وبلاذتهم ولا يستطيع ان يكون الا كذلك . يسير سير الأعراس المفلوج وراء المذهبيين الكتائين اللذين راجعا على التعاقب في عهده ومما مذهب ابن العميد في العراق ومذهب القاضي الفاضل في مصر . فهو يسرف في الجمع ويكثر من اقتباس الأمثال وتضمين الملح ، ويتفرك أحياناً بذكر مصطلحات النحو على سبيل التشبيه أو التورية كقوله في نقده قمر الزمان الثانية : « باتا على ضم وعناق ، وإعمال حرف الجر باتفاق ، واتصال الصلة بالموصول ، وزوجها كتنمين الإضافة معزول » وهو يغالي في تضمين الايات في خلال الحكايات ويمن في ذلك غالباً حتى يمل . وترصيع النثر بالشعر اسلوب لا يألفه الأدب العربي ولا الأدب الفارسي ، وانما هو ميزة من مزايا الأدب الهندي ايضاً . . . اقتبسه الفرس ثم نقله كتابهم البنا في منتصف العصر العباسي وروجه في عهد بني بويه مؤلفو القصص ومنشئ الرسائل والمقامات كابن العميد والصاحب والبديع والخوازمي ومن رسم خطاهم أو سار على هدام . وموضع هذه الاشعار يكون عادة في مواقف السرور والحزن والوصف وتوران العواطف . ولكن القصص يسي في الغالب استعمال التضمين فيعطي مواضع الاشعار ،

او يجهل محل المناسبة ، أو يردد الابيات نفسها سيئ كل موقف . وقد تدفعه السجاجة الى الاستطراد الغث فيقول :

وقال الشاعر ايضاً في المعنى ثم يورد ابياتاً لا يصلحها بالموضوع سبب كما فعل في مقدمة علي نورالدين وصرح الزنارية مثلاً فانه حين وصف البستان لم يترك نوعاً من انواع الفاكهة الا ذكره وروى ما قيل فيه من الشعر حتى استغرق في ذلك خمس صفحات من الكتاب ! ان خير ما يمتاز به اسلوب الف ليلة وليلة هو الوضوح والصدق والصرامة والجازية ، فالمعاني تسبق الالفاظ الى الدهن ، والصور تسبق الوصف الى الخاطر ، والشوق يبحث اللذة ويشير الاهتمام ويحرك الانتباه ويربط السامع او القارئ بموضوع القصة . على ان القصص يعالج التصوير والحوار بدقة وبراعة في كل ما يتصل بأحوال الشعب واخلاق العامة ، فاذا سما الى مقام الملوك والخاصة خاتمه قدرته وعلبت عليه بيئته وطبيعته ، فيفقد ما يسمى في الفن الكتابي بالصيغة المحلية وهي ان يسند الى الشخص ما يلائم طبيعته وطبقته وبيئته من قول أو فعل . فالأقاصيص الهندية والفارسية تشوبها روح القصص الاسلامية كحكاية قمر الزمان بن الملك شهرمان والحكايات البغدادية تظهر فيها اللهجة المصرية كحكاية ابي الحسن الخليل ، ثم نراه يجري على لسان الخليفة الرشيد ما يأتي عليه جلاله وكلامه ان يقوله ويجعله ينهل مالا يجوز في العقل ان يفعله ، كأن ينادي وزيره جعفرأ بقوله : يا كلب الوزراء ويكلفه في قصة الفتاة المقطعة بالعشور على القاتل في مدى ثلاثة ايام والا شنقه هو واربعين من بني برمك . وكأن يخلع في حكاية علي نورالدين مع انيس المجلس حلة الملك ليرتدي مرقعة بالية قذرة لكريم الصياد فيفيض قلبها على اطرافه ، ويسيل قذرها على منكبها وأعطافه ، ولو أن ما كلف به الرشيد من التعب المزري كان لضرورة ملجئة لوجدنا له مساعاً من الفن ولكنه جشمة ما جشمة ليتسنى للخليفة ان يسمع غناء انيس المجلس وهي في قصر من قصوره وفي ضيافة خادم من خدمه ! فهو يدسله في هذا الزي الزري على الحبيبين والبستاني ليقدم اليهم ما معه من السمك فيكفوه شيه في المباح فيشويه ! !

وكثيراً ما تدفع القصص شهوة الإغراب الى تجاوز المبالغة المعقولة فتفوت من الفن صفة الامكانية وهي ان يلبس القصصي الحوادث الخيالية ثوب الحقيقة فيقرب ما بينها من الظروف ويمهد لها اسباب الوقوع حتى لا تتنافر مع العقل والعلم والعرف والتقاليد . والامثلة

على هذا العيب مستفيضة في كل قصة . وفي الكتاب طائفة من الحكايات قد استوفت شروط الفن القصصي كلها كقصة الصياد والحفي وقصة مزين بغداد ومقدمة حكايات السندباد وقصة علي بن بكار وشمس النهار .

هذا اذا نظرنا الى الاسلوب في جملته وعمومه ، اما اذا تتبعناه باللمح الخاطف في نواحي الكتاب وجدناه فيما بقي من الاقاصيص الهندية والفارسية وما جرى مجراها من الحكايات المحدثه المقلدة بين السذاجة أبله الاشارة لأنها من نوع الخوارق التي تدخل على القلوب الغريبة ، ولا تظهر الا بتصديق العقل البسيط ، فهو جارٍ مع طبيعتها متفق اللوث مع صورتها ، وفي الطبقة البغدادية تراه متين العبارة عفيف اللفظ حسن السبك دقيق الوصف كثير السجع ثيل الغضول لأنه في الغالب مكتوب بمحذى على المثل العليا من قصص الفرس وتاريخ العرب ، وقد يسف في بعض الاقاصيص اسفاً قبيحاً فيثقل بسفنه على الطبع وبعثدي بضغفه على الذوق ، كما نراه في قصة الخليفة مع النائم اليقظان مثلاً ، اما الاسلوب في الطبقة المصرية فهو في قسمها الأول وخاصة الاقاصيص المكتوبة منه اشبه شيء بأسلوب الطبقة البغدادية مع اتساع سجع السجع وجراة على الحشمة ، والغالب عليه التقليد فتارة يجري على منهاج الطريقة الهندية كما نرى في حكاية وردخان والملك جاليعاد وتارة ينسج على منوال الطريقة الفارسية كفعله في قصة قمر الزمان الثانية وحكاية سرور وزين الموصاف وقد يجري في مجراه الخاص من التهمك الساخر والمزاح المضحك فيكون رقيقاً كما نراه في قصة الأحذب وخاصة في مزين بغداد ، ولكنه في القسم الثاني وفي سائر القصص الالفائية التي فيها القصص ليلقوها في السواصر مهمل السجع عاصي اللفظ مرزول المبالغة سيئ التلقيق شديد الوطأة على الحياء والمروءة لصدوره عن قصاصين محترفين جهلاء يتملقون فيه شهورات العامة بالأفحاش ، ويستفزون فضول الجمهور بالمبالغة ثم يكثر فيه ترداد الجمل المحفوظة الملتزمة فيقال دائماً في وصف الفينة العازقة : (فعملت على العود من غرائب الموجود الى ان طرب الحجر الجمود وصاح العود في الحضرة ياداد) وفي ايثار البعد : « بعدك عن الحبيب اجمل وأحسن . عين لا تنظر وتلب لا يحزن » وفي غرابة الحادثة « لو كتبت بالابر على آماق البصر لكنت عبدة لمن يعتبر » وفي وصف الشيخ الفاني « قد ابقى ما ابقى وعركه

الدهر فما استبقى ، كأنه مُنفى مُلقى ، في خرقَةٍ زرقاء تهر بها الريح غرباً وشرقاً ،
كما قال فيه الشاعر :

أرعثني الدهر أي رعى والدهر ذو قوة وبطش

قد كنت أمشي ولست أعيا واليوم أعيا ولست أمشي

وفي وصفه ساحة الحرب ومجالس الأُنس ورياض الأرض وأثاث البيت لا يكاد
يغير شيئاً من الاسجاع والاضاع ومقطوعات الشعر .

ذلك ياسادتي ما استطعت استشفافه من صور الاساليب الاثريّة في الكتاب وسترون
حين تعيدون قراءته أن القصاص والمصنفين والمصححين في مصر قد اخضعوه اخضاعاً
شديداً للهجاتهم واساليبهم وأمثالهم حتى جعلوا البحث اللغوي الفني من البعد بحيث لا تبلغ
اليه وسيلة .

فلسفته ومراميه . — سيداتي وسادتي إن من يطلب من الف ليلة وليلة فلسفة خاصة
وفكرة عامة وجهة مشتركة كان كمن يطلب من كافة الناس عقيدة واحدة وطبيعة ثابتة
واغراضاً منقطة ، فهو كمن فلنسا من قبل كتاب شعبي يصور الحياة الدنيا كما هي لا كما ينبغي
ان تكون ، فاذا رأينا مذاهبه تتناقض ومراميه تتعارض وآراءه تختلف ، فذلك لأن
الاجتمع الذي يصوره كذلك .

ولم يكن الكتاب نتاج فريضة معلومة ولا نتيجة خطة مرسومة حتى تنلس في جوانبه
الدوافع والنوازع والغاية ان هو الا صدق يتردد خافتاً لعقائد الشرق القديم وعقلياته
وعاداته ففي الفلسفة نراه يتأثر بالأفلاطونية الحديثة والأخلاق الاسلامية فيدعو الى
القناعة باليسير والعزوف عن الدنيا والاعتدال في اللذة والمبالغة في الحذر والتفويض
المطلق للقدر ، فروحه من هذه الجهة تتنافر مع صورته البراقة ووسائله الطامحة وحوادثه
المغامرة ، ثم نراه في اقايصه اخرى ولا سيما الحديثه يزين الأثانية ، ويرتضي القسوة ،
ويتشوف الى المكاسب الدنيئة ، ويشره الى اللذة الخبيثة ولا يكاد يعتقد بالمواطن
الكرمية . . . وقد يصور المتساع الحسي واللهو الجموح بما لا يتمثل في الذهن الا على سبيل
الخيال كالذي يحكيه عن فتى من ابناء الملوك رسا الى جزيرة كل من فيها من تجار وصناع
نساء كأنهن اللؤلؤ المكنون ففضى بينهن في هذا النعيم اياماً اقل ما أصاب فيها من اللذة انه

كان يلقي الشبكة في الماء على سبيل اللهو فتخرج اليه من الاصداف خريدة من بنات الجنان كأنها حورية من حور الجنان الخ . . فاذا اختبرناه في السياسة والاجتماع رأيناه ملكياً يقيم في كل مدينة عرشاً وينصب على كل مجمع من الاحياء ملكاً حتى الحيات والحشرات والطيور والوحوش والقردة ، ديمقراطياً يشرك الملك والصلحوك في مؤتمر الحياة ومحامي الانس عائلياً يبني نظام البيت وتأثيل المجد على الزوجة والولد . لذلك نجدونه يستهل معظم اقاصيصه بحنين والوالدين الى النسل ، وفزعها الى الله أو الى المنجم من داء العقم . وقد يسمو مغزاه الى الفلسفة الاجتماعية العالية ، مثال ذلك حكاية السندباد والحمال . فالحمال يؤوده الحمل الفادح ، وينهكه الحر اللالغ ، فيلقي حملة على مصطبة امام بيت من بيوت التجار يتردد اليه النسيم الرطيب ، وندوع منه روائح العطر والطيب ، ثم يرى عظمة ذلك التاجر في كثرة خدمه وظلانه ، ويسمع تغريد البلابل والفؤخت في بستانه . ويصفى الى رنين أوتاره وغناء قياته ، وينشق افواهه الطعام الشهي من صحافه والوانه ، فيرفع طرفه الحائر الى السماء ويقول سبحانك يا رب لا اعتراض على حكمك ولا معقب لأمرك ! أين حالي من حال هذا التاجر ؟

انا مثله وهو مثلي ، ولكن حملة غير حملي ! !

على أن أسوأ ما سجله الف ليلة وليلة من ظلم الانسان وجور النظم هو القسوة الجائرة على المرأة ، فان حفظها منه منكود وصورتها فيه بشعة ، وكيف ننظر من كتاب يبي على خيانة المرأة ان يصف المرأة ؟ ان شهرزاد المسكينة انما تسهر جفنها وتكد ذهنها لتقص على الملك شهربار أعجب القصص ابتغاء الخطوة لديه حتى تدرأ القتل عن نفسها والخطر عن بنات جنسها ، ومن الخطل الأليم ان يسند القصص كل هذه الذقائص الى النساء على لسان واحدة منهن في مقام الدفاع عنهن ، وان يجري على فمها في حضرة الملك تلك الكلمات الجريئة المخزية في وصف بهيمة الرجل ! !

الف ليلة وليلة يورد لنا المرأة في القسم الهندي الفارسي خطالة خائنة تبيع عرض الملك للعبد في قصة شربار وأخيه ، لجوجة جموحة أنانية يفي قصة الحمار والنور تصر على ان ييوح لها زوجها بسره ، وهي تعلم ان في افشائه ضياع عمره ، حاقدة كائدة منتقمة في قصة الوزراء السبعة ، قاسية عاتية مرهوبة في حكاية قرا زمان الاولى ، وهي في بغداد سجيئة في قصرها ، مغلوطة على أمرها قد انتبذها زوجها وألقى زمامه في أيدي الجواري

والقيان ، وعلى كلتا الحالتين من حرية ورق نراها وسيلة لذة وغرض شهوة وأداة خدمة ، أما هي في مصر والشام فوجودها عدم ، لا تسمع لها صوتاً في بيت ولا ترى لها أثراً في سوق ، فإذا خرجت من ظلام الستار الى ضوء النهار كانت طاغية جاهلة كزوجة معروف الاسكاف ، أولسة حيالة كدليلة وبنتهازيفت ، أوقوادة مرتادة كأولئك الهجائز اللاتي ينقلن الفتنة من مكان الى مكان ويصلن المنكر بين فلانة وفلان .

اما تصوير الكتاب لمظاهر الاجتماع الشرقي في القرون الوسيطة من العادات والاخلاق والمراسم في السوامر والولائم والأعراس والمآتم والأسواق والحماكم فقد بلغ الغاية من ذلك كله ، الا ان الطبقة المصرية في هذا الباب كما قلنا أصدق وأجمع لان القصص وهم مصريون تكلموا عن علم ووصفوا عن رؤية ونقلوا عن سماع ، فاذا قرأتم مثلاً حكاية نور الدين وشمس الدين وجدتم المصريين كانوا في حفلة العقد يطلقون الجنود ويشربون السكر وينضحون الوجوه بماء الورد ، وفي زفاف العروس ينقطعون المواشط والقيان بالقاء النقود في الدف او الأطار كما يسميه الف ليلة أو الطار كما يسمى الآن في مصر ، وفي جلوسها على المنصة يجلسونها بين صفيين من كرائم السيدات في يد كل منهن شمع موقدة ، ثم يلبسونها حلة بعد حلة في فترة بعد فترة حتى يخلع عليها سبع حلل ، ومع كل سيدة من المدعوات الى الحفل صرة من الثياب المعدة لذلك الزفاف يحملها خادم ، فكما خلعت العروس حلة خلع المدعوات كذلك حلة الى تمام السبع ، ولا تزال هذه العادات باقية في بعض البلاد وبعض الأسر في مصر .

واذا قرأتم حكاية علاء الدين ابي الشامات وجدتمهم كانوا يستعملون الحشيش قوة للزوج ويتخذون المحلل خلاصاً من الطلقة الثالثة وهما خلتان شاعنتان اليوم في الطبقة الدنيا اقرأوا حكاية معروف الاسكاف تجدوه مثلاً صادقاً لبعض الناس هناك في ضعف الارادة وسلامة الصدر وحب الأبهة وتبذير مافي الجيب انكالا على الغيب واهتفاماً للحق وتجبدوا زوجه فاطمة العرة التي فر من جبروتها وجفوتها وقسوتها وعنادها الى أقصى مجاهل الارض فتبعته لايزال لها شبه في الباقيات الطالحات بمصر من عهد الجاهالة .

اما الطبقة البغدادية فقد عبث بها القصص وشالوها بلهجاتهم وعاداتهم ولكنها مع ذلك حرية بثقة الباحث اذا استطاع تنقيتها من شوائب البهرج والدخيل .

بقي علينا ان نعرف وجهة كتابنا في الدين ، وليس من العسير على القاري العادي ان يتبين تلك الوجهة فان في كل صفحة من صفحاته دليلاً على انه مسلم صادق الايمان قوي العقيدة بأخذ تقاليد الدين صحيحة أو مشوبة مأخذ العاصي الوائى العظيم فلا يبحث ولا يستنبط ولا يطبق حتى في مقام الحكمة والموعظة لا يكاد يذكر حديثاً أو آية وإنما يستند في ذلك الى ما ثور الشعر ومنثور الحكم ، فسيبلة في الدين إذن أن يدعو اليه ويهتف به ويتعصب له ، لذلك نراه لا يتحدث الا عن المسلمين ، ولا يتخذ أشخاصاً لقصصه حتى الاجنبية منها الا من المسلمين ، فاذا كان احد اللجنة أو الناس غير مسلم واضطر الى الحديث عنه انتهى به الى الاسلام أو دبر له عقى سيئة وذلك نادر ، كما فعل في حكاية مسرور المسيحي وزين المواسف وزوجها اليهوديين ، فالحبيب والحبيبة أسما فورثت عليهما خلال النعيم والحب وظل الزوج يهودياً فدفعته امرأته حياً ، والف ليلة وليلة بعد ذلك سني لا يكاد يعرف فرقة أخرى من فرق الاسلام حتى الشيعة وكان لم عى عهده في مصر دولة الفاطميين ، وفي العراق نفوذ البويهيين لم يذكرهم الا في حكاية علاء الدين وهي مكتوبة بمصر على عهد المماليك ، ولقد دل حين تعرض لهم في هذه القصة على جهالة فيجئة أدعية سيئة فقد أشار في موضع منها الى ان الروافض كانوا يكتبون اسمي الشيعيين على بواطن الأعقاب ، وقال في موضع ثان ان اهل بغداد كانوا يغلّقون الأبواب خوفاً من الروافض ان يلقوا الكتب في دجلة ، وقال في موضع ثالث : ان الرشيد سأل الرجل الذي هم باغتياله وهو يلعب الكرة والصولحان فنجاه أصلاً بن علاء الدين : أما أنت مسلم ؟ فقال كلا وإنما انا رافضي .

مخطوطاته ومطبوعاته وترجماته . — صنف المنقوبون ما عثروا عليه من مخطوطات ألف ليلة وليلة فكان ثلاث مجموعات مختلفة : مجموعة أسبوية ومجموعتين مصريتين ، فأما المجموعة الأسبوية وهي أقدمهن فلا تشتمل الا على القسم الاول من الكتاب واحدى نسخها مبتورة ، وأشهرها نسخة كلكتونا وهي تحتوي على مائتي ليلة وقد شرع بطبعها الشيخ اليمني في جزءين بمدينة كلكتونا سنة ١٨١٤ م وأتمها سنة ١٨١٨ م فكانت أول مخطوطة طبعت من هذا الكتاب في الشرق والغرب ثم نسخة (برسوا) وهي التي طبعتها الاستاذ (هيكس) في اثني عشر جزءاً ، ظهر الجزء الاول في سنة ١٨٢٥ والأخير سنة ١٨٤٣ ، وأما المجموعتان المصريتان فهما أحدث من الاولى وبين نسخهما اختلاف شديد في الأسلوب والترتيب والعدد والقصص

ومن هاتين المجموعتين نسخة كلكتوتا الثانية التي جمعها وطبعها الاستاذ (مالك نوكتن) في أربعة مجلدات من سنة ١٨٣٠ الى سنة ١٨٤٢ ، ثم نسخة بولاق التي طبعتها الحكومة المصرية في مطبعتها بالقاهرة سنة ١٨٣٥ في مجلدين وهي أكل النسخ جميعاً وأصحها وعنها صدرت جميع الطبعات في مصر والشام وبومباي ، ونقلت جميع الترجمات الى جميع اللغات ماعدا ترجمة (جلان) : فأما الطبعات فكلهن سواسية في قبح الشكل وسوء النقل وقلة العناية لمدورهن عن أرباب المكاتب وأصحاب المطابع وهؤلاء يتفنون أوفر ربح في أيسر كلفة . على ان أديباً من الآباء اليسوعيين قد طبعه ببيروت طبعاً جميلاً في أربعة مجلدات بعد ان فص من قصصه وانتضب من جملة وهذب من عبارته ، ثم جاء منشي الهلال فأرنب عليه في الحذف والبتر والاختصار وطبعه بمصر في خمسة أجزاء صغار ، وهاتان الطبعتان ولا سيما الاولى أليق الطبعات باخلاق الفتى وحياء الفتاة ولكنهما لا تنفعان غلة الأديب الباحث .

واما الترجمات فأولها في الوجود ترجمة الاستاذ جلان وهي أنيقة الأسلوب رائعة السبك الا انها غير دقيقة ولا آمنة ولا وافية ، على ان لها اليد الطولى على الكتاب في التعريف به والتثوية باسمه والدلالة على فضله ، طبعت هذه الترجمة بباريس في اثني عشر مجلداً ابتداءً من سنة ١٧٠٤ الى سنة ١٧١٧ ونقلت عنها سنة ١٧٠٧ ترجمة انكليزية مختصرة في ستة مجلدات بعنوان الليالي العربية ، وأشهر الترجمات بعد ذلك في السعة والدقة والصدق ترجمة بورتن بالانجليزية وترجمة ماردروس بالفرنسية وترجمة هبكت بالالمانية .

ذلكم ياسادتي ما يتحمله المقام والوقت من تاريخ الف ليلة وليلة ، وانكم لترون من هذا الاوجال فعل الترجمة العربية فيه ، ومظهر العقيدة الاسلامية في جميع نواحيه ، وطابع العقيلة السامية في أخبائه ومراميه ، حتى أصبح الكتاب عنواناً عريضاً من عناوين آدابنا ، وشاهداً جديداً على الحيوية القساهرة والشخصية الآمرة في آباءنا ، والآفها ذا نفس هذا ؟

لقد خافوا اليهود على الدين فظهر عريباً رائعاً في رسالة محمد ، وخلفوا اليونان على

العلم فعاد عربياً ساطعاً في فلسفة ابن رشد ، وخلفوا الرومان على الحضارة فبهرت العالم بالمران والعدل في عصر الرشيد ، وخلفوا الفرس على الأدب فأخضعوا السنتهم وأفندتهم لأدب القرآن ، وخلفوا الهنود على القصص فأروهم روعة الخيال وقوة الإلهام في ألف ليلة وليلة ، وخلفوا الأمم العظيمة على أكثر الأرض فأوشكوا أن يعرفوا العالم ! فليت شعري أنغيرت الصحراء ، أم فسدت الدماء ، أم ضويت الأنبياء ، أم هي رغبة الأسد واستجابة المتعب واستجابة الواهب ، ثم استئناف الهجمة الأولى على الموقع الأول في الحياة .

لقد أعتكم طويلاً وأتعبتكم كثيراً وكدت أخرج من المحاضرة إلى الخطابة فعذراً ياسادتي وشكراً .

أحمد حسن الزيات
عضو المجمع العلمي

صفى الدين الحلي

- ٢ -

صفة شعره . — ونوضح ما أجملناه من وصف شعره بما نقول :
أغراض شعره . — نظم الحلي الشعر في أكثر أغراضه فأجاد في بعضها وقصر في بعض :
(١) فاما باب الفخر والحماة الذي صدر به ديوانه فأكثر ما قاله منه في صباه وجرى
في أكثره على طبيعة شعر المتقدمين ؛ فقلل من البديع ، وأكثر الجزالة وظهرت فيه صورة
البداءة التي شب عليها في بلدته الحلة ، وهي من مدن الاعراب . فمن ذلك قوله من قصيدة
يفتخر فيها بانتصاره في الموقعة التي أخذ فيها بثأر خاله :

| | |
|---------------------------------|-------------------------------|
| لمن الشواذب كالنعام الجفَل | كسيت جلالاً من غبار القسطل |
| يبرزن في حلق الهجاج عواصاً | يحلن كل مدرع ومسريل |
| شبه العرائس تجملن فكأنهن | في الخدر من ذيل الهجاج المسبل |
| فعلت قوائمهن عند طرادها | فعل الصواج في كرات الجنادل |
| فتظل ثرقن في العصور أهلة | بشبا حوافرها وان لم تنعل |
| يحملن من آل العريض فوارصاً | كالاسد في أجم الرماح الذبَل |
| تنثال حول مدرع بجنانه | فكأنه من بأسه في معقل |
| مازال صدر الرتبة است صدر الرتبة | علياء صدر الجيش صدر المخفل |

وهي طويلة ومثلها تصديته التي أسلفنا أولها ، ونختار منها الايات الآتية :

| | |
|-------------------------------|---------------------------------|
| سلي الرماح العوالي عن معالينا | واستشهدي البيض هل خاب الرجافينا |
| وسائلي العرب والاثراك ما فعلت | يف أرض قبر عبيد الله أيدينا |
| يا يوم وقعة زوراء العراق وقد | دنأ الاعادى كما كانوا يديونا |

بضمير ما ربطناها مسومة
وفتية أن نقل أصغوا مسامعهم
قوم اذا استخصموا كانوا فراعنة
اذا ادعوا جاءت الدنيا مصدقة
أن الزراير لما قام قائمها
انا لقوم أبت اخلاقنا شرفاً
بيض صنائعنا سود وثائغنا
لا يظهر المعجز منا دون نيل منى
الا لنفرو بها من بات يغزونا
لقولنا أو دعوانهم أجابونا
يوماً وان حكموا كانوا موازيننا
وان دعوا قالت الايام آمينا
نومت انها صارت شواهدنا
أن نبتدي بالاذى من ليس يؤذينا
خضر مرابعنا حمر موازيننا
ولو رأينا المنايا في أمانينا

(٢) وأما المدح فهو جل صناعته وزعم في مقدمة ديوانه انه كان لا يتكسب به في نشأته . ثم أعوزته ضرورة الفرار من وطنه الى اتجاع الملوك والتكسب به . وله مدائح جيدة في الملوك ومدائح نبوية منها بديعته التي فثت للشعراء بعده باب نظم البديعيات ؛ فهو أول من نظمها . وبديعته التي تعتبر الاولى من هذا النوع واستعمل فيها كل أنواع البديع المعروفة في زمنه عارض بها بردة البوصيري في الوزن والقافية والموضوع ، اذ كانت الغاية في عصره بين المدائح النبوية ، ولانها حوت من أنواع البديع الكثير مع انسجام لفظ وبراعة معنى ، فلم يبلغ شأو البوصيري فيها ، ولكنها أصبحت في الغرض الصناعي الذي وضعت من أجله فاتحة البديعيات ، فعارضه بادي بدء عز الدين الموصلی ، وزاد عليه تسمية النوع ، ولكنه تكلف لذلك تكلفاً غير يسير ، ثم جاء ابن جابر الهواري الضرير الاندلسي مهاجراً الى الشرق ، ودخل الجزيرة ، ومدح ابن الصالح ملك ماردین بعد وفاة الحلبي ، فعارضه بقصيدة بديعية جاري الحلبي في عدم التصريح باسم النوع فجاءت بليغة في حملتها ، ثم جاء تقي الدين بن حجة الحموي ونظم بديعته المشهورة مصرحاً فيها باسم النوع ، ولم تخل من تكلف ، ثم عارضها آخرون لا يحصون الى وقتنا هذا . ومطلع بديعية الصفي المسماة الكافية البديعية في المدائح النبوية هو :

ان جئت سلعاً فسل عن جيرة العلم واقرب السلام على عرب بذي سلم
(٣) وأما المراثي فهو من يجيدها ، وكانت يعارض في كثير منها مشهورات مرثي المتقدمين ومن ذلك قصيدة يرثي بها أخاه عارض بها نونية المعري التي رثي بها أباه والتي أولها :

نعمت الرضا حتى على ضاحك المزن فلا جاد في الابعوس من الدجن
 فيقول صلى الدين في أول مرثيته وأغار على كثير من معانيها وضمن بعض شطورها :
 بكيت دماً لو كان مكعب الدما بغني وضاعفت حزني لو شفى كبداً حزني
 وأعرضت عن طيب الهناء لأنني (نعمت الرضا حتى على ضاحك المزن)
 ومن أغرب مرثيه تخميسه لقصيدته ابن زيدون النونية وصرف غزلها إلى رثاء .
 وباب المراثي في ديوانه حافل بالشعر الجيد فراجع .

(٤) الطرديات — وقد كاد يلحق في هذا الباب أبا نواس وابن المعتز وشعره فيها
 جزل بليغ خال من سفساف البديع ، لأن المقام مقام فروسية وتبدي وإصحار . وقد اقتبس
 هذه الخلقة من بيئته البدوية الأولى ومن خدمته لملوك من الترك والكرد كملوك مازدين
 وحماة وكان يشهد معهم المصايد ويصف لهم آلات الصيد من أقواس السهام وأقواس
 البندق وكلاب الصيد وفهوده وشواهينه وبواشقه وصقوره كما يصف المصيد من الكراكي
 والتم الخ .

وله في الطرد مسمطة خماسية من الرجز لا أدري إن كان عارض بها ابن نباتة في
 طرديته أو هذا الذي عارضه ، غير أن طردية ابن نباتة ، من نوع الرجز المزدوج بمشطورين
 فقط ومطلع طردية صلى الدين هو :

أما ترى الانواء والسحابيا قد أصبحت دموعها سوا كبا
 فاكنت الأرض بها جلابيا فاظهرت أزهارها عجائبيا
 غرائبيا أصبحت لنا رغبيا

ومطلع ابن نباتة هو :

أننى شذا الروض على فضل السحب واشتملت بالوشي أرداف الكؤب
 ما بين نور مسفر اللثام وزهر بضحك في الأكام
 إن كانت الأرض لها ذخائر فهي لعمري هذه الأزهار
 قد بسطتها راحة الغائم بسط الدنانير على الدرهم
 أحسن بوجه الزمن الوسم تعرف فيه نصرة النعم
 وكانك معي تشعر بان طردية ابن نباتة المصري أرق وأرشق .

(٥) الخمریات — وهو في وصفها خليع مستهتر يعترض على تحريمها ، وبؤس اللامعين في معاقبتها وطالما تاب عنها ثم عاد اليها ، وكثيراً ما جعلها محل النسيب من مدائح السلطانية كقوله في مطلع مدحه للملك المنصور :

دقّ شوال في قفارمضان وأق الفطر مؤذناً بالتهاني
فجعلنا داعي الصبح لدينا بدلاً من سموره والأذان
الى أن قال :

شملتنا من ناصر الدين نعى نصرتنا على صروف الزمان
(٦) الغزل — وهو فيه رقيق القول جيد المعنى يتندي به المدائح المطولات وينظم فيه المقطعات ، واكثر ما يكون غزله بالذكر ، وبخاصة غلمان الاتراك . وقد يبلغ به الاستهتار أن يعقد موازنة بين الغلمان والجواري ، ولم يكن هذا ديدنه وحده بل كان دأب أدباء زمانه ، ولولم يقارنوا منكره . وكان ذلك كان يعجب ملوك الترك والكرد فيستلصونه ، ويستمعون اليه لمصادفته أهواء من أفئدتهم . ومن أرق قوله فيه :

يا ضيف الجفون أضعفت قلباً كان قبل الهوى قوياً ملياً
لا تحارب بناظريك فؤادي فضميفات يغبقات ويا
وقوله :

قبل إن العقيق قد يبطل السم ر بختيمه بسر حقيقي
فأرى مقتلتيك تنفث سمراً وعلى فيك خاتم من عقيق
وقوله :

ما زال كل النوم في ناظري من قبل اعراضك والبين
حتى سرقت الغمض من قلبي ياسارق الكحل من العين
(٧) الوصف — وهو فيه حسن التخيل بديع التصوير ، فاذا وصف الازهار ومجالس الانس سهل شعره ورقت ديباجته واذا وصف الوحش والفرس وسرى الليل ونحوه اتى بالمتين والجزل ؟ فن ذلك قوله في فرس أدم مجمل :

ولقد أروح الى القنيص وأغتدي في متن أدم كالظلام مجمل
رام الصباح من الدهى استنقاده حسداً فلم يظفر بغير الأرجل

فكانه صبح الشبية شبابه وخط المشيب فجاءه من أسفل
وقوله في وصف عود الطرب :

وعود به عاد السرور لأنه حوى اللهور قدماء وهوريان ناعم
بغرب في تغريده فكانه بعيد لنا ما لقنته الحمايم

راجع ديوانه في الطرديات والزهرات . ولقد خاض صفي الدين في أغراض أخرى
من الشكوى والالغاز والمعاينة فراجعها في ديوانه .

اسلوب شعره . — يظلب على شعر الحلبي الاوصاف الآتية :

(١) سهولة اللفظ وانسجام الاسلوب في جملته . وقد قصد الى ذلك واعتد به في أكثر
شعره حتى انه ربما أسف الى استعمال الاساليب العامة الصورة . « ونقل عن نفسه في
ديوانه أن بعض الادباء سمع شعره فاستحسنه ، وقال لا عيب فيه سوى قلة استعماله للغريب
فكتب اليه ابياتاً الخ » ثم اتى بقصيدة ذكر فيها جملة ألفاظ من غريب اللغة من الخماسية
الاصول الصعبة الخارج كأن الغرابة عنده بطول السمكات وصعوبتها ، وكأنه غفل عن أن
العرب انما تطيل اللفظ لزيادة المعنى إما في الحسن والقبول ، وإما في القبح والاستفطاع .
على أن ما ورد في اللغة من الخماسي لا يعدو خمسين كلمة . وكذلك تضع العرب الكلمة ذات
الحروف الصعبة الخارج للمعنى الفظيع كالعجوز والحجارة والداهية الخ وهالك ابياتاً منها :

انما الحيزبون والدرديس والظنا والتقاخ والعلطيس

واخرافيج والشحطب والصة حب والعنقير^(١) والعنتريس

والفطاريس والعنقنس والفر نق والخر ببيض والعيطموس

لغة تنفر المسامع منها حين تروى وتشمئز النفوس

وهو احتجاج بارد لا يقصد اليه منتقده ؛ فهل كان غريب مسلم بن الوليد وأبي تمام
والمتنبي بل المعري من هذا النوع علي أنه — كما قدمنا — اذا قال الشعر في الطرديات أو
الفخر والحماسة اتى بالغريب المراد ونسي البديع وتكلفه .

(٢) الاستكثار من استعمال البديع اذ كان من المبتدعين لبعض انواعه وأول من
نظم البديعيات وله كتاب في الجناس ومن انواع البديع التي يستعملها في شعره الجناس

(١) ذكر اللفظين المزهري في الاسماء التي جاءت على فعليل .

والنغمين ويكثر منه ويحيده وقد ضمن كثيراً من شطوط قصائد المتقدمين المشهورة كملقة امري القيس ومقصورة ابن دريد ولامية العرب والافتباس من القرآن — والمراجعة — وما لا يستحيل بالانكاس والتوجيه باصطلاحات العلوم واهمال الحروف واعجابها على أنواع شتى والتصنيف والسجع في الشعر وهو من لا يخفل بالتورية كما قال ابن حجة وصدق في قوله على انه قد وقع له منها بعض المقبول .

معاني شعره . — ليس الخلي من أولي الابتداع في المعاني والغوص على نفائسها وأكثر معانيه مسبوقة أو فطرية ، ولكن الذي جعل له هذه الشهرة الدائمة سترها في أغلب الشعر بريق اللفظ ومائة الاسلوب ويقل اختراعه وربما كان منه قوله من قصيدة يمدح بها الصالح :
 لولا كم لم يكن في الشعر لي ارب ولا برزت به من خزن تامور
 فضيلة نقصت قدري زيادتها كالاسم زادت به ياء لتصغير

وقوله منها يصف صب الخمر :

وللأباريق عند المزج الجلمجة كنطق مرتبك الالفاظ مذعور
 كأنها وهي في الأكواب ساكنة طير تزق فراخاً بالنافير

وقوله في تأخر منزلته :

كأنني من رقوم الهند أو جبلي علو مرتبتي افراط تاخير يـ
 (باعتبار أن كتابة الأرقام ككتابة الحروف العربية من اليمين إلى الشمال كنطق بها)

عيوب شعره . —

(١) منها تكلفه لدرجة المقت والبرد إشاراً لصناعة البديع من امثال النخيس والقلب والاهمال والاعجاب ونحو ذلك .

(٢) كقوله في ممدوح :

مذهب محب محرب للمجتني والمجتلي والمجتدي
 ففوله وطوله وطوله للمفتني والمعتني والمعتدي
 وقوله في قصيدة كل اسمائها مصغرة :
 وذباك الأومع في الضحيا ووجيبك أم قمر في سعيدي

(٣) ونوع كثير من اللحن لغة ونحواً في شعره مثل قوله من قصيدة منصوبة الروي
بصف الدروع :

مروا بها خزر العيون فأنوجست جزعاً وكادت بالكاء تميدا

وقوله وقد استعمل همزة القطع موصولة ولا يجوز ذلك حتى في الضرورة :

أبأبلغ الرملة الأنيقة (وأبلغ) معشراً لي بربما وأهिला

كنت جلدأ فلم يدع بينكم لا جسم حولاً ولا لقلبي حيلة

(٤) فساد معانيه واستعاراته وتشبيهاته في كثير من المواضع كقوله في تشبيه خمسة

بخمسة فجمع البدر واللال في آن واحد في وصف فارس يلعب بالصولجان :

ملك بروض فوق طرف قارع كرة بجوكان حكاها ضرابا

فكان بدرأ في سماء راكباً برقاً يزحزح باللال شهابا

القاهرة : احمد الاسكندري

فن الجاحظ (١)

—(١)—

قد تعتق طائفة من مذاهب الجاحظ في العلم أو قد تبلى جملة من آرائه في الفلسفة فالعلم لم يثبت على حال من الأحوال والفلسفة لم تجدد على شكل من الأشكال فها عرصة للتغيير في كل عصر من العصور فلكل زمن معتقداته وآراؤه ولكن الجاحظ إن لم يتأده علمه أو فلسفته خادمه فنه ولفته —

لقد قضيت أياماً وأنا أفكر في فن الجاحظ كيف أشرع في الكلام على هذا الفن وكيف أفرغ من هذا الكلام واشتدت حيرتي لما طالعت طائفة من كتب الأفرنجية ورأيت كيف يبحثون عن فن شعرائهم أو كدائبهم أو خطبايهم وأظن انه سيمضي على أدبنا حين من الدهر قبل أن نصل الى ما وصلوا اليه في هذا الباب —

ان لم أسلوباً في البحث عن الفن لم يمهده أدبنا بعد فلا يكتبون بالاشارة الى جزالة الكلام أو الى رفته أو الى محاسن التشبيهات والكنايات وغير هذا من الصور ولكنهم يعرضون لألفاظ الكاتب فيبحثون عن هذه الألفاظ بحثاً مستفيضاً من حيث دلالتها على المعنى من طريق الحقيقة أو من طريق المجاز أو من حيث رنات هذه الألفاظ أو من حيث دلالتها على لون من الألوان أو على صوت من الأصوات أو من حيث انما مجردة أو محسوسة الى غير هذا من دقائق البحث ثم يبحثون عن النعت والمنعوت ثم يبحثون عن الفعل الى اشباه هذه المباحث التي لا أجد لها في أدبنا نظيراً —

قضيت أياماً وأنا أفكر كيف أشرع في الكلام على فن الجاحظ وخاصة بعد أن

(١) سلسلة محاضرات الاستاذ السيد شفيق جبري احد اعضاء المجمع العلمي العربي التي

شرع في المحاضرة بها في كلية الاداب في دمشق سنة ١٩٣١ .

تراءى لي تقصيرنا في هذا المجال وقلت في نفسي : وما أنت قائل في هذا المعنى وكيف أنت داخل هذا الباب أم كيف أنت خارج منه وخاصة فإنه أجل أبواب الجاحظ التي تدل على خلوده في الأدب . —

أحب الجاحظ الحياة حباً جماً فصور كل معرض من معارضها ولو عن كل صورة من هذه الصور بحقائق ألوانها فكان إفصاحه عن شعوره بالحياة خالصاً من كل تصنع فألبس كل معرض من المعارض ضرباً من اللباس وجعل لكل صورة من الصور نوعاً من الخطوط والألوان جريباً على قاعدته الغالبة : لكل مقام مقال . —

ومن دله بهذه القاعدة وحرصه على أصولها تعاقب الجاحظ بحرية الصيغ وبمرونتها فهو يتوخى الأساليب التي يجتذب بها الناس على مقادير عقولهم فمرة يخاطب بلغة العقل ومرة بلغة الحواس وهذا كله دليل على حرية عبقريته وحرية فنه . —

لقد عرفتم كيف كانت حيلة الجاحظ العقلية ووقفتم على نشاط فكره وعي رغبته في التطلع ورأيتم كيف يميل إلى ذوق الأفكار وإلى توجيهها وكيف يسلك إلى التجميع مسالك شتى ، مرة يستظهر بعقله ومرة بالتجربة والعيان ، فكل همه مصروف إلى معرفة الحق وقد دفعه شغفه بهذه المعرفة إلى اجتنب كل كلفة وكل صيغة شعرية في عمله مما يبعد الأشياء عن حقائقها . —

فلذلك كان فنه في أبواب العلم والفلسفة مبنيًا على العقل وحده فهو في هذه الأبواب قليل الاستعارات قريب العبارات منقاد لرأيان الكلام يستعمله نفور من معنائه يهمله على نحو ما قاله فيه البديع في مقامته الجاحظية لأنه في العلم والفلسفة يخاطب العقل وحده ولغة العقل مجردة والتجريد من خصائصها فالجاحظ قليل العوارض في عمله وفلسفته حتى إذا اضطر إلى تشبيه في أثناء كلامه على بعض الحيوان قرّب تشبيهاته ولم يغفل فيها بحيث تكون على مقربة من حواسنا تدرّكها هذه الحواس دون شيء من النصب والكلفة .
من هذا الشكل تشبيهه الذر بالخيط الأسود أمده داء قال (١) :

« فلا يلبث ذلك الإنسان أن يراعى قد أقبلت وتلفها كخيط الأسود الممدود . — »
فانظروا إلى هذه الصورة المحسوسة فإنه لم يغفل في المشبه به ولا في لونه ولا في هيئته

فالخيوط والسواد والمذكل هذا من الصور التي تراها العين لأول وهلة —
ولو عرضنا طائفة من تشبيهاته لوجدناها بمجامعها على هذا النمط واليكم بعض
الامثال :

البعوضة مع صغر جسمها تنسخ الانسان في أسرع من الاشارة باليد — والحية
تسقط أسرع من اللحم — والشعر الذي يكون تحت حنك الكلب كأنه طائفة —
وساقا الكلب كأنهما خشبة من صلابتهما — والحية اتصبت كأنها ربح مراكوز أو عود
ثابت — والخصي كأن السيوف تلعب به لونه وكأنه مرآة صينية وكأنه وذيلة مجلوة
و كأنه مجتارة رطبة و كأنه قضيب فضة قد مسه ذهب و كأن في وجناته الورد —
واذا أحب في غير أبواب العلم أن يبرز بعض صفات في معارض معونة لجأ الى تشبيه
الموصوف بأشخاص معروفين مشهورين حتى يكون المشبه به على مقربة منا كوصفه أحد
البغلاء (١) :

« وكان يستعمل على خُوانه من الخلدع والمكائد والتدبير ما لم يبلغ بعضه قيس بن
زهير والمهلب بن ابي صفرة وخازم بن ابي خزيمه وهرثمة بن أعين وكن عنده فيه من
الاحتيال ما لا يعرفه عمرو بن العاص ولا المغيرة بن شعبه —
انه لا يزرع في تشبيهاته الا الى ما يقرب من طريقته التي لجأ اليها كسل حياته في كل
مذهب من مذاهبه وما هذه الطريقة الا الطريقة الحسية حتى انه كثيراً ما يشبه بماسة من
الحواش كاليد أو كالدح فكل صوره محسوسة —

لم يكن فقه في العلم والفلسفة الا فن الفلاسفة والعلماء الذين ينصرفون الى حل
الافكار والتنقيب عن صيغ العالم فهم لا يلتصقون من الألفاظ الا دلالتها على الأفكار
دلالة وجيزة فالجاحظ يجرد كلامه من العناصر التي تجعل للكلام خصائص فنية فهو
لا يجعل لاصور مقاماً في كلامه وانما انقام للعقل والتشبيز فكل تنميته صحة البيان —

ان فن الجاحظ العلمي انما هو فن الرجل الذي يخاطب العقل وأسلوبه فيماض بالمعنى
وبالمادة فهو يقذف بأفكاره كما هبطت عليه فكان كتاب الحيوان ضرب من احاديث في
العلم والفلسفة ولكنها احاديث يفوضها عقل رجل فتان ، خفيف الروح فكان الجاحظ

في هذا الكتاب رجل مكسال فهو يخاف روح الترتيب فلا يريد الا الحديث من دون أن يستفرغ جهده في الترتيب حتى يكاد القارئ يضيع في كثرة الاستطرادات وتعاطل الموضوعات وكما انه لم يتعب في قذف أفكاره فكذلك لم يتعب في قذف ألفاظه فألفاظه تنفجر من ينبوع لغته التي لا تنضب كما تنفجر أفكاره من ينبوع عقله الذي لا ينشف . ولهذا الميل المستحكم فيه وأعني به الميل الى الصيغ العقلية كان شعر الجاحظ بعيداً عن أن يكون ضرباً من الشعر فالجاحظ على نحو ما قاله فيه البديع في أحد شقي البلاغة يقطف وفي الآخر يقف ، فن شعره قوله :

يطيب العيش أن تلقى حلياً غذاه العلم والرأي المصيب
ليكشف عنك حيرة كل ريب وفضل العلم يعرفه الأريب

فاذا دققتم في الفاظ هذين البيتين كالعلم والرأي والحيرة والريب تبين لكم انها أفاظ مجردة والشعر لا يعرض علينا الأفكار المجردة كما يفعل النثر ولكنه يعرض علينا حقائق هذه الأفكار المحسوسة حتى نكاد ندرك الأفكار ذاتها وظواهر صيغها ، كل هذا في شكل مرسوم كأنه بناء مبني لا خلل فيه فالشعر غرضه أن يعرض الفكر في معرض ظاهر فهو يتحامي التجريدات ومصطلحات العلم واستدلالات الفلسفة التي هي من خصائص النثر فهي تجعل الشعر في عالم يختلف عن عالم الخيال وعالم الصيغ المحسوسة^(١) وفن الجاحظ ممزوج بهذا الاصطلاح العلمي والاستدلال الفلسفي فما أبعد عن أفق الشعر وإذا مال في شعره الى شيء من التصوير كالتشبيه بوشي البرود وما شا كله فلانجد في تصاويره نوعاً من الإبداع وإنما يصب فيها على قوالب محفوظة ويذهب فيها مذاهب مألوفة . —

غير أن الجاحظ لم ينجس نفسه على مذاهب العلم والفلسفة فقد أحب الحياة كما قلت لكم وصور كل مشهد من مشاهدنا وإنما جعل لكل صورة خصائصها فإذا أعطى الفلسفة والعلم مقاديرهما من الفن فهل قصّر عن إعطاء غيرهما من معارض الحياة ما يستحقه من لوازم الفن . —

إذا جاوزنا أفق العلم والفلسفة الذي جال فيه الجاحظ كل مجال وبني فنه فيه على أصول العقل وجدنا أن فن الجاحظ قد دخل في طور آخر . —

(١) راجع كتابي : المتنبي — شعره المعبرية . —

هل كان الجاحظ مصوراً ٠ —

يقولون : المصور يبحث عن الألفاظ الدالة على المعاني من طريق الحقيقة دون المجاز المصور يبحث عن الألفاظ المحلية والألفاظ الفنية وعن صحة النعت ٠ —
فلنعتمد الى صورة من صور الجاحظ ، كصورة قاضي البصرة عبد الله بن سوار ،
قال الجاحظ ^(١) :

كان لنا بالبصرة قاض يقال له عبد الله بن سوار لم ير الناس حاكماً قط ذمياً ولا ركيناً ولا وقوراً حليماً ضبط من نفسه وملك من حركته مثل الذي ضبط وملك ، كان يصلي الغداة في منزله وهو قريب الدار من مسجده فيأتي مجلسه فيعتبي ولا يتكى فلا يزال منتصباً لا يتحرك له عضو ولا يلتفت ولا يحل حبوته ولا يحل رجلاً على رجل ولا يعتمد على أحد شقيه حتى كأنه بناء مبني أو صخرة منصوبة فلا يزال كذلك حتى يقوم الى صلاة الظهر ثم يعود الى مجلسه فلا يزال كذلك حتى يقوم الى العصر ثم يرجع لمجلسه فلا يزال كذلك حتى يقوم لملاة المغرب ثم ربما عاد الى محله بل كثيراً ما كان يكون ذلك اذا بقي عليه من قراءة العهود والشروط والوثائق ثم يعطي العشاء وينصرف ، فالحق يقال لم يعم في طول تلك المدة والولاية مرة واحدة الى الوضوء ولا احتاج اليه ولا شرب ماء ولا غيره من الشراب كذلك كان شأنه في طوال الايام وفي قصارها وفي صيفها وفي شتائها وكان مع ذلك لا يحرك يده ولا يشير برأسه وليس الا ان يتكلم فيبينا هو كذلك ذات يوم وأصحابه حواله وفي السماطين بين يديه إذ سقط على أنفه ذباب فأطال المكث ثم تحول الى موق عينيه فرام الصبر في سقوطه على الموق وعلى عضه ونفاذ خرطومه كما رام من الصبر على سقوطه على أنفه من غير أن يحرك أرنبته أو يغض وجهه أو يذب بأصبعه فلما طال ذلك عليه من الذباب وشغله وأوجعه وأحرقه وقصد الى مكان لا يحتمل التغافل أطبق جفنه الأعلى على جفنه الأسفل فلم ينهض فدعا ذلك الى أن يوالي بين الأطباق والفتح فتفتحي ريثما سكن جفنه ثم عاد الى موقه بأشد من مرته الاولى فغص خرطومه في مكان كان قد أوهام قبل ذلك فكان احتمالاه وعجزه عن الصبر عليه في الثانية أقل فحرك أجفانه وزاد في شدة الحركة وألح في فتح العين وفي تنابح الفتح والاطباق فتفتحي عنه بقدر ما سكنت

حر كنهه ثم عاد الى موضعه فما زال يلح عليه حتى استفرغ صبره وبلغ بمجوده فلم يجد بداً من أن يذب عن عينيه بيده ففعل وعيون القوم اليه ترمقه وكأنهم لا يريدونه فتغنى عنه بقدر ما رد يده وسكنت حر كنهه ثم عاد الى موضعه ثم ألجأه الى أن يذب عن وجهه بطرف كنهه ثم ألجأه الى أن تابع بين ذلك وعلم أن فعله كله بعين من حضره من أمثاله وجلسائه فلما نظروا اليه قال أشهد أن الدباب ألح من الخنفساء وأزهى من الغراب وأستغفر الله فما أكثر من أعجبته نفسه فأراد الله عز وجل أن يعرفه من ضعفه ما كان عنه مستوراً وقد علمت أني عند نفسي من أضعف الناس فقد ظنني وفضعتني أضعف خلقه ، ثم تلا قوله تعالى وان يسلمهم الدباب شيئاً لا يستنقذوه منه ضعف الطالب والمطلوب . وكان بين اللسان قليل فضول الكلام وكان مهيباً في أصحابه وكان أحد من لم يطمع عليه في نفسه ولا في تعريض أصحابه للمثالة . — «

فلترجع بعد أن قرأنا هذا الوصف الى كل دقيقة من دقائقه . —

للصورة في عصرنا هذا شروط خاصة فمن خصائص الصورة أن يفصل المصور على وجه عام حياة الموصوف كالكلام على قامته وعلى لونه وعلى عينيه وعلى شعره وعلى أسنانه وما شابه ذلك فيتكلم على محاسن هذه الحياة أو على مساوئها فإذا فرغ من هذا كله تكلم على خصائص عقله فوصف محامد هذا العقل أو مقابجه ما بطن منها وما ظهر فإذا فرغ من هذا تكلم على قلبه فوصف مختلف عواطفه وأهوائه . —

ليس في هذا الرسم شيء من المصاعب وإنما المصاعب أن يفصح الواصف عن كل شكل من الأشكال بلهجة من الكلام خاصة تباعث القاري فتسليه وتسره . —

أهل الجاحظ الكلام على حياة القاضي فلم يصف لنا شيئاً من قامته أو لونه أو عينيه أو شعره أو غير ذلك من ظواهره ولكنه لم يهمل الكلام على جلسته ، كيف يجلس هذا القاضي :

« يأتي بجمسه فيعني ولا يتكى فلا يزال منتصباً لا يتحرك له عضو ولا يلتفت ولا يحل حبوته ولا يحل رجلاً على رجل ولا يعتمد على أحد شقيه الخ . . . »

قلت لكم : المصور يبحث عن الألفاظ الدالة على المعاني من طريق الحقيقة لا من طريق المجاز فإذا دققتم في هذه الألفاظ التي لجأ إليها الجاحظ وجدتم أنها بعيدة عن المجاز

ولما اضطر الى تشبيه هذا القاضي في وقار جلسته رجع الى عاداته في التشبيهات المحسوسة فشبهه ببناء مبني وبصخرة منصوبة فلم يقل في هذا التشبيه وانما كانت الصورة على مقربة من حواسنا فهي مثل قوله : كالخبط الأسود الممدود —

فالجاحظ في تصويره يعتمد الى الألفاظ التي تفصح عن المعاني من طريق الحقيقة واذا لجأ الى المجاز وقليلًا ما يلجأ فانه يقترب ولا يبعد —

وكما يبحث المصور عن هذا الضرب من الألفاظ فكذلك يبحث عن الألفاظ الفنية فلما قال الجاحظ : ثم ربما عاد الى محله بل كثيرًا ما كان يكون ذلك اذا بقي عليه من قراءة المهود والشروط والوثائق ، لما قال الجاحظ هذا القول استعان بالألفاظ الفنية ، ما هي هذه الألفاظ : المهود والشروط والوثائق ، هذه هي مصطلحات القضاة —

وكما لم يهمل الجاحظ الكلام على جلسة القاضي فكذلك لم يهمل الكلام على محاسن صفاته ، ففي ثلاث كلمات وصف هذه المحاسن فقال : لم ير الناس حاكمًا قط ذميًا ولا ركيذا ولا وقورًا حليًا ضبط من نفسه وملك من حركته مثل الذي ضبط وملك —

وبعد أن فرغ من الكلام على صفات عقله تكلم على بعض صفات قلبه : ما هي هذه الصفات : الشعور الذي يفي البارز في صلاة الظهر وصلاة العصر وصلاة المغرب وصلاة العشاء في أوقاتها —

لا شك في ان الجاحظ لم يطل الكلام على هذه الصفات كلها وانما وصف منها ما له متعلق برجل قاض ، قد لا يكون للصورة في عصر الجاحظ القواعد التي لها في عصرنا ولكن الجاحظ لم يقل عن الكلام على الأشكال بل جملة تباعث نفسي وتسرع ، فمن هذه التسلية ومن هذه المسرة : سقوط الزهابة على أنف القاضي وإطالته المكث وتحوله الى مؤق عينيه والمباغنة فيهما صبر القاضي على عضه وعلى نفاذ خرطوميه من غير أن يحرك أرنبته أو بغض وجهه أو يذب باصبعه ،

ومن هذه التسلية ومن هذه المسرة إطباق القاضي جفنه الأعلى على جفنه الأسفل وموالاته بين الإطباق والفتح وتحريكه أجفانه وزيادته في شدة الحركة والمباغنة فيها ذب القاضي عن عينيه بيده وبطرف كفه —

فالجاحظ مصور من أكبر المصورين وتكاد تكون قصة القاضي عبد الله بن سوار

مثال التصوير في أدبنا فقد جرت الجاحظ الى هذا القاضي انتباه القاري فثبت انتباهه هذا في مختلف أوضاعه وولد عن هذه الأوضاع أفكاراً وألف بين هذه الأفكار فالصورة لم تكن حلاً مجرداً وإنما هي رسم حقيقي ، إنما هي معرض من معارض الحياة ليس فيها شيء من اوصاف العقل أو العاطفة مما لا تقع عليه عين وإنما فيها وصف شيء تراه العين فهي صورة واضحة قوية صورت فيها وضع من الأوضاع في مختلف حالاته . —

لا شك في انكم قد لاحظتم ان من أساليب الجاحظ في هذه القطعة التردد فمن ترديده قوله : فلا يزال كذلك حتى يقوم الى صلاة الظهر . . . فلا يزال كذلك حتى يقوم الى العصر . . . فلا يزال كذلك حتى يقوم لصلاة المغرب . . .

والترديد وسيلة من وسائل الفن فإن الكلمة المرددة توضح الفكر أحسن توضيح فتوحي المعنى الى الذهن وتستثير هذا الذهن فإن اللفظة اذا ردت كان لترديد جرسها تأثير في تثبيت العناصر في الذهن . —

وكثيراً ما ياجأ الى هذا الباب فرقة يردد انتم ذاته كقوله في قصة محمد بن أبي المؤمل في البخل :

« ولم يكن أكله الا على قدر أكله اذا أتى بذلك في طبق نظيف مع خادم نظيف عليه مندبل نظيف . »

ومرة يردد الفعل كقوله في وصف سمابة^(١) :

« فاذا سمابة ضحيت تكاد تمس الأرض وتكاد تمس قم رؤوسهم . . . ثم قوله : ثم انها دفعت بأشد مطر . . . ثم اندفعت بالضفادع العظام . . . ثم اندفعت بالشبايط . » أو قوله^(٢) :

« ومن العجب في قسمة الارزاق ان الذئب يصيد الثعلب فيأكله ويصيد الثعلب القنفذ فيأكله ويربغ القنفذ الأفعى فيأكلها . . . »

فكرر كلمة : نأكله ثماني مرات في خمسة سطور وما يقال في التردد يقال في لجوء الجاحظ الى استعمال اللفظ وضده إظهاراً للمعنى فالغاية التي يؤدي اليها ترديد التمت أو

(١) كتاب الحيوان — الجزء الاول ص ٦٨

(٢) = = = السادس ص ١٠٢

الفعل أو الاسم إنما هي شبه الغاية التي يؤدي إليها استعمال اللفظ وضده فكل هذه الوسائل إنما المقصد منها تثبيت الفكر في الذهن —

هذه عناصر يسيرة يتركب منها بناء الجاحظ ، أما جملة البناء فإن لها أشكالاً شتى .

مرةً نتوج عبارته فتنبسط ثم تمتد حتى تغيب عن النظر فلا يقف بك كلامه إلا بعد شيء من التعب ونماذج هذه العبارة كثيرة منها قوله في وصف الكتاب^(١) :

وقد يذهب الحكيم وتبقى كتبه وبذهب العقل ويبقى أثره ولولا ما أودعت لنا الاوائل في كتبها وخأدت من عجيب حكمتها ودوّنت من أنواع سيرها حتى شاهدنا بها ماغاب وفتحنا بها كل مستغلق كان علينا فجمعنا الى قليلنا كثيرهم وأدركنا ما لم نكن ندركه الاّ بهم لما حسن حفظنا من الحكمة وافهف سبينا الى المعرفة —

ومرةً يقطعها تقطيعاً كأنها ألحان موسيقى كل لحن له رننه^(٢) :

« اللهم انا نعوذ من فتنة القول كما نعوذ بك من فتنة العمل ونعوذ بك من التكلف لما لا نحسن كما نعوذ بك من العجب بما نحسن ونعوذ بك من السلاطة والهذر كما نعوذ بك من اليهي والهمهر — »

فيأخذ كلامه في مثل هذا التقطيع نصيبه من الراحة ويمتد للقاري مثل هذا النصيب : ومرةً يرسل الكلام إرسالاً لا يبالي بتوجهه وتقطعه ، من هذا القبيل كلامه في البخلاء وفي كثير من كتاب الحيوان —

من كل ما تقدم يتبين لكم أن الصور التي يعرضها علينا الجاحظ قليلة وهي صور قريبة لا تعب الحواس في إدراكها وإنما الجاحظ إذا أراد أن يصبغ فنه عمد الى صباغ من غير الجنس الذي نعهده فهو يحمي فنه وينفخ فيه روحاً بلجونه الى توضيح حقائق التفاصيل انه يصور الأفكار بريشة الحوادث نفسها فيختار لها أحوالاً وخصائص تريتنا هذه الأفكار فإذا أردتم أن تعرفوا نموذجاً من هذا الفن فارجعوا الى كلامه على ذرء الحمام وطلبه الولد^(٣) .

(١) كتاب الحيوان — الجزء الرابع ص ٤٢ .

(٢) مقدمة البيان والتبيين .

(٣) كتاب الحيوان — الجزء الثالث ص ٤٦ .

ليس في هذا الكلام شيء من الصور وإنما فنُّ الجاحظ فيه تصوير الأفكار ذاتها
بتفصيل دقائقها وأكثر كلام الجاحظ على هذا النمط —

وإذا شاء الباحث أن يستوفي خصائص فن الجاحظ أو شك أن ينقطع به الكلام
وأظن أن في هذا القدر إشارة إلى أنه بقي علينا أن نعرف كيف عالج الجاحظ لغة هذا
الفن وكيف زاو لها —

دمشق : في ١٤ أيار سنة ١٩٣٢ شفيق جبوري



آراء وافكار

—(٥)—

اصل بناء حلب الشهباء

لقد اضطرب قول المؤرخين في أصل بناء مدينة حلب الشهباء ، وقد خبطوا في الامر خبط عشواء ، فمنهم من جعلها من بناء ابراهيم الخليل ، ومنهم من جعلها من بناء العمالقيين وآخرون جعلوها من بناء الحثيين أو الروطانوس ، الذين تشهد الكتابات الهيروغليفية بانهم كانوا يسكنون سورية الشمالية ، وهم من ذرية (لود) وقد ملكوا سورية قروناً طوالاً ، ولم يقوض مرادق ملكهم الا الحثيون الذين دفعوا لهم الجزية ، وهناك قوم عزوا بناءها الى بلكورس أو بلوكوسكس ملك الموصل ، الذي ملك في القرن الخامس عشر قبل المسيح فبناها ودعاها بهذا الاسم ، على شرف حلب بن مهر بن خاب الذي كان متسلطاً على قنسرين .

على ان علائق الشهباء مع الحثيين هي بيئة فان أقدم عصر ذُكرت فيه هو القرن العشرون قبل المسيح ، أما تاريخ تأسيسها واسم بانيتها ، فهذا ما استسر علمه على المؤرخين ، ولكن الاب (دورم) البهانة الاثري الشهير نشر في مجلة سورية العلمية سنة ١٩٢٥ خلاصة ما بلغ اليه في هذا الشأن فقال : لم يعلم الباحثون شيئاً يذكر من تاريخ حلب القديم ، حتى هذه الأعوام الاخيرة . ولكن الكتابات الهيروغليفية تذكر حيناً بعد آخر مدينة حلب في النصوص المتعلقة بامينوفيس الثاني أورهمسيس الثاني في عهد الدولة السابعة عشرة أو التاسعة عشرة ، فالوثائق التاريخية المصرية لاتدل على وجود مدينة حلب قبل القرن الخامس عشر قبل المسيح . اما الكتابات المسمارية فانها لاتبدأ بذكر اسمها الا في عهد (سلما ناصر) الثاني الذي ملك من سنة ٨٥٩ حتى سنة ٨٢٤ وهي تدعوها (Halman)

أوحولان — كذلك الكتاب المقدس فإن مدينة «حلبون» المذكورة فيه ليست سوى قعبة «حلبون» التي تقع على ثلاث ساعات من دمشق ، وهي ناصحة بلاد الحلبونيين التي اشتهرت بحجرها الجيد . أما المؤرخون اليونانيون والرومان فانهم كانوا يدعونها «بيروه» وكذلك الملك سلوقوس نيكاتور كان يسميها بهذا الاسم ، وقد تلا تلوم المؤرخ اليهودي «يوسيفوس» .

فلاريب إذن في وجود مدينة حلب منذ القرون الاولى لتاريخ بلاد سورية ، وكانت تعقد المعاهدات التاريخية مع ملك الحثيين وكان الشعبان كفرسي رهان ، وان سجلات «حاتوزا» الملكية تتضمن ماجل ودق من تاريخ مملكة حلب وماطراً عليها من الكوارث والتقلبات منذ عهد حاتوزيليلس الاول الذي حكم في القرن العشرين قبل المسيح فلم تبقى شبهة في ان مدينة حلب قد ذكرت لأول مرة في التاريخ في القرن العشرين قبل الميلاد . ولكن ما هي ياترى تلك الكوارث والتقلبات التي تسردها سجلات حاتوزا الملكية ، وكيف يتبدى تاريخ مدينة حلب ؟ تمكن معرفة هذا من الكتابة المذكورة التي صوّرت باحرف بابلية .

وكان ملك حلب في ذلك العهد (٣٣٦ قبل المسيح) «ريشهراما» وملك الحثيين «مورشيليشو» الثاني عم ريشهراما . اما الكتابة فليست سوى نص معاهدة وقعت بين الملكين المتحاربين ، وليس لدينا سوى نسخة منها نُقلت باصر «موفاتاليش» بن «مورشيليش» وقد فقدت النسخة الاصلية . وقد جاء في تلك المعاهدة ما نصه :

«كان الملوك بلاد مدينة حلب (Halaap) قديماً السلطان على مملكة عظيمة وكان حاتوزيليلس الملك الكبير ، ملك بلاد مدينة حاطي قد جعل تلك المملكة تزحم منكب الجوزاء وتعلو جناح النسر» وفيها ايضاً بعد بضع عبارات : «بعد حاتوزيليلس ملك بلاد مدينة حاطي هدم مورشيليش الملك الكبير حفيد حاتوزيليلس الملك الكبير مملكة بلاد مدينة حلب (Halaap) وبلاد مدينة حلب» .

ونقرأ في وصية تليبينوش السياسية (قرب سنة ١٢٢٥ قبل المسيح) ، ان مورشيليش قد أتى الى مدينة الحاتوزيين بمسجوقي «حالايا» وبخبرائها .

وطيه فلا إشكال في حدوث حرب في تلك الأعصر بين الحثيين وبين الحلبيين

الأولين . وكانت الوقائع التي سردهاها نتيجة تلك الحرب . لا بل ان دخول مورشيلش الاول مدينة حلب واستيلاءه عليها لم يكن سوى مرحلة من مراحل التوسع الحثي . فان التاريخ والوصية المشار اليهما يقولان ايضاً « ان مورشيلش الاول قام من حلب على بابل وأوقع في بابل البوار والسمار » .

مع ان كبار الباحثين جعلوا هذا الهجوم على مدينة بابل نحو عام ١٨٧٠ قبل الميلاد فكان الشاهد الصادق على ان الحرب بين الحثيين والحليين قد نشبت في أواخر القرن العشرين قبل المسيح .

فقد ظهر ان مدينة حلب في ذلك العهد كانت قطب مملكة زاهرة تسمى (بلاد مدينة حلياس) ومنها جاء اسم حلب ، فيكون اسمها لم يزل ثابتاً منذ تأسيسها حتى عهد العرب الذين سموها هم ايضاً به .

ولكن مملكة حلب ومدينة حلب ، بعد ان دمرهما «مورشيلش» الاول ، عادتا الى الوجود اذ رجع احد الملوك في المدينة من جديد . ولا بدخل في علم التاريخ شيء من أطوارهما مدة اربعمائة سنة أو أكثر حتى أواخر القرن السادس قبل المسيح ، اذ نشاهد الحليين في عهد «توداليش» الاول ملك الحثيين ، قد لف شملهم بسكان «هانيكاالباد» في جنوبي شرقي نهر الفرات واتحدت وجهتهم في مقاومة الحثيين ، فأصبحوا لم حرباً وعليهم إلبا . وكان من وراء ذلك العصيان تقويض مدينة حلب باسم «توداليش» الاول . وقد بنيت مرة ثانية ولكنها ما فتئت على خلاف مع الحثيين ، بل كانت تشور عليهم أحياناً . فمن تصفح نص المعاهدة التي عقدت بين مورشيلش الثاني وريميشرها ، ثبت له ما سبق وعرف تاريخ حلب حتى الى ما بعد الحرب التي نشبت في أواخر القرن السادس عشر قبل الميلاد .

اما المصريون فانهم حكموا حلب في عهد تو طمس الثالث ، الذي ملك من سنة ١٥٠١ قبل المسيح حتى عام ١٤٤٧ . ومنذ ذلك الحين انجلت عن تاريخ حلب الشكوك والأوهام .

حلب : الخوري جبرائيل رباط

مطبوعات حديثة



كتاب الجزائر

« تأليف السيد احمد توفيق المدني طبع في المطبعة العربية في الجزائر »

« سنة ١٣٥٠ هـ ص ٤٠٨ »

من أمتع الكتب التي نشرت في الجزائر على عهدها الاخير على أسلوب عصري بديع تام بتأليفه ووضع وطبعه ، هذا السفر النفيس كتبه مؤلفه بأسلوب رشيق وعبرة منسجمة فرسم لنا صورة الجزائر طبق الاصل بحيث من بقرأ كتابه لم يتسارع ذاك القطر وتقويم أرضه وعادات أهله وأخلاقهم وأصول إدارته وقبائله ومراكزهم وعناصره وسكانه . قال ان العربية العامية فيه هي أفصح اللهجات العربية وان من يتكلم بها العامة ومن دخلوا في الجيش فيزجون العربية بالفرنسية بالبربرية بالابطالية الخ ، وأفاض في المعاهد الاسلامية وغيرها وجميع ماله علاقة بادارتها وصنائعها واقتصادياتها وحضارتها الحديثة والقديمة . وكان المؤلف على تحمسه الظاهر في بعض صفحات كتابه صادقا في آرائه لم يسعه الا ان يقول قول المؤرخ الاجتماعي الصادق للجزائر بين ومما قال : « وبعد فالجزائر اليوم تسير خطوات شاسعة في ميدان النهضة العربية الاسلامية وانها بطلانها وكتابها وشعرائها ومدرسيها ورجال العمل فيها تعي لنفسها مركزا متينا في عالم النهضة العربية ، انما الخطوة التي بقي عليها ان تخطوها هي ان يشارك الشبان المتعلمون تعليما فرنسياً عصرياً في الآداب والعلوم العربية ، وان يشارك علماء العربية وكتابها وشعراؤها في العلوم العصرية الحديثة حتى تتوحد الثقافة ويسير الفريقان بدأ في يد في طريق واحدة وغاية الجميع رفعة شأن الوطن ورفع الجزائر الخالدة الى أسمي مقام . » (ص ١٠١) وقال (ص ١٤٤) اننا نرى

طفيان اللغة العربية العامة على كل البلاد العربية والبربرية من جهة ونرى ان هذه اللغة قد أخذت تترقى وتتهذب وتزداد كل يوم اقتراباً من اللغة الفصحى والفضل في ذلك راجع للمدارس والدروس والصحافة والمحاضرات . « والمؤسف ان خمسة في المئة من المسلمين هناك يعرفون القراءة والكتابة وينقسم التعليم فيها (ص ٢٩٣) الى قسمين تعليم الفرنسيين والاوربيين وهو إجباري فليست تجد قرية أو دشرة أو مركزاً صغيراً الا ورأيت فيه بناية المدرسة الجميلة وأطفال القرية او المركز يجيرون على التعليم ، والقسم الثاني تعليم المسلمين وهو يسير الهويثا . والتعليم في الجزائر يتبع مبدئياً نظام التعليم في فرنسا وفي أمهات المدن مدارس لتخرج المدرسين والمدرسات ، وجملة الاوربيين الذين يتلقون علومهم في هذه المدارس يبلغون زهاء ١٣٦ ألفاً من البنين والبنات (وجملة الاوربيين ٩١٣ ألفاً) ويعلم في مدارس الحكومة من المسلمين ٦٠ ألفاً (وجملة المسلمين نحو ٦ ملايين) فيبقى ٧٨٠ ألفاً من المسلمين لا يدخلون المدارس ، ومنهم من يتلقى علومه في نفس المدارس الفرنسية وعددهم ٩ آلاف ٤٨٠ ألفاً يتلقون العلوم بالفرنسية في مدارس خاصة وعددها في القطر الجزائري ٥٤١ مدرسة منها ٥١٩ مدرسة للذكور وتلاميذها ٤٥ ألفاً و٢٢ مدرسة للبنات تلميذاتها ٣٠٠٠ ، وفي الجزائر ثلاث مدارس للتعليم الثانوي في مدينة الجزائر وقسنطينة وهران وثماني مدارس عليا (كوليج) وعشر مدارس حرة اوربية وثلاث مدارس تجهيزية للبنات ويزيد إقبال المسلمين على التعليم الثانوي . وللتعليم العالي في الجزائر (الجامعة) وفيها كلية الحقوق وكلية الطب والصيدلة وكلية الآداب وفيها تلتقى دروس اللغة العربية الفصحى والمدنية الحديثة والفلسفة الاسلامية ويستفيد في العلوم الاسلامية الاوربيون وقليل من المسلمين ومن أبناء المسلمين نحو ٧٥ طالباً يتلقون التعليم في مختلف الكليات . والتعليم الابتدائي العربي مهمل ويعنى بعض العناية بتعليم العربية في الثانوي والعالي ، وفي الجوامع مدرسون بدرسوا الفقه والتوحيد والنحو وهم منبشون في ٣٣ بلدة من بلاد الجزائر ، ويعلم علماء الدين في ثلاث مدارس اسلامية وهي المدينة وتلمسان وقسنطينة ومن هذه المدارس يؤخذ القضاة والمفتون وغيرهم ، وهناك مدارس قرآنية حرة لتعليم العربية وهي ثلاثون مدرسة في القطر الجزائري تعلم ثلاثة آلاف من أولادها والإقبال عليها كثير وهي تقوم بحال المسلمين وفي استطاعة أهل كل قرية أو دشرة أو مدينة

أن تؤسس مدارس قرآنية والحكومة تشترط لهذه المدارس ان تكون أما كتبها صحيحة وان يكون الشيخ أو المؤدب محرزاً شهادة تثبت أنه اهل للتدريس ولكن الجزائريين يميلون التوسع في هذه المدارس للبنين كما أهملوا البنات ، وهناك بعض المدارس الاسلامية التي يخرج فيها الطلبة على الاصول القديمة لكنها غير منتظمة وذلك لتمهيد الجزائريين بها مع ان الحرية مطلقة لهم في ذلك . الى غير ذلك من المدارس الزراعية والصناعية والتجارية وكلها مفتحة الابواب لا تعلم غير الاقبال عليها من المسلمين كما أقبل عليها غيرهم من تزلأ الجزائري والغريب عنها من القاصية فاستفادوا وأفادوا . وقصارى القول أن كتاب الجزائر من الكتب الخالدة المفيدة فيه روح الشباب والتجدد ولا نصح ان تخلو منه خزانة كتب شرقية فلو لفته الشكر على هذه التحفة البديعة التي أنحف بها المكتبة العربية .

م . ك

الصبح المنبي

— عن —

«حيثية المنبي»

أعاد طبعه الشيخ ياسين عرفة بدمشق — مطبعة الاعتدال — ٢٩٢ صفحة من القطع الوسط .

يتضمن هذا الكتاب جملة صالحة من أخبار المنبي على ما هو متعارف ، غير أن عيبه انما هو عيب بعض كتبنا في القديم فلم يروى صاحبه الأخبار من مبادئها الى خواتمها على صورة مرتبة فقد رواها على صورة مفرقة مبددة وانه ليروي لنا أخبار المنبي عند سيف الدولة اذ ينقلب بنا فجأة الى أخباره عند ابن العميد على غير مناسبة فلو ذكر صاحب الصبح المنبي أنباء المنبي دفعة واحدة من دون أن يتخللها شيء من نقد الشعر أو غيره مما لا محل له في فصل الأنباء لكفى القاري كثيراً من العناء فأدبنا في القديم لا يزال فوضى بنقصه كثير من الترتيب .

وقد تولى إصلاح خطأ المطبعة الأستاذ عز الدين علم الدين عضو مجمعنا العلمي وقدم

الكتاب بمقدمة أشار فيها الى فريق من الذين شرحوا ديوان المتنبي ولمح الى اسباب صاحب كتاب الصبح المنبي في استطراداته وذكر بعض حسنات هذا الكتاب من جملتها صدق كثير من احكامه على المتنبي والممامه بكثير من حوادث بعض الابيات التي يستعين بها الدارس على فهمها ومفاضلته بين كثير من القهائد ٠ —

وأشار الى زيادات هذه الطبعة أي طبعة الشيخ ياسين عرفة ٠ —
والكتاب مطبوع طبعاً جيداً على ورق جيد وفيه بعض خطأ من هذا الخطأ أمم وزير كافر فقد سماه صاحب كتاب الصبح المنبي : ابن حرايه وبقي اسمه هكذا في الطبعة التي تتكلم عليها والمصحح ان اسمه : ابن حنزابه ٠ —

شفيق جبري

أحاديث الزواج في مصر

كتاب جيد الورق متقن الطبع طبعته مطبعة المعارف ومكثتها بمصر القاهرة وضعه مؤلف عالم ضليع من فلسفة الاجتماع لم يشأ — تواضعاً او لغرض من الاغراض — ان يذكر اسمه في فاتحته بل جعله 'غفلاً' واستعار له اسم «رسول الزواج» واكرم به من رسول فصيح اللسان جلي البيان ، وجه رساله بنوع اخص الى الفتي الناهض والفتاة العصرية يسألهما بما فيه من فلسفة وادب صحيحين ويضيء عقليهما بنور وحي الحكمة التي فيه حتى اذا اقبلوا على الزواج توسموا رسم خطواته ٠

قسم المؤلف احاديثه الى ابواب عالج فيها فلسفة الزواج ومنافعه ومشاكله وكل ما يتعلق به من اوليات وشروط ونتائج ومحتص الاسباب في كل ذلك وردتها الى علمها ومنابها ووصف ادوائها ٠ وقد حلاه برسوم متقنة كل واحد منها يوافق الفصل الموضوع فيه ويزيده بياناً فوق بيانه الادبي واللغوي ٠ حري بهذا الكتاب ان يقرأه الكبير والصغير وان تكون له مكانته على مناضد العائلات الكريمة ٠

عبد الله رعد

منايات الصهيونية

ككتب مطبوع في مدينة سان باولو إحدى امهات مدن البرازيل وضعه السيد توفيق قربان . وهو يحتوي على قصة ملفقة القصد منها تكرهه الناس من اليهود الصهيوين المستعمرين لفلسطين ولكنه بهذا التلغيق لم يصب الهدف بل حطّ فيه من كرامة السحيين واليهود عامة . لانه اول في هذه القصة آيات التوراة على غير تأويلها والتوراة كتاب منزل في اعتقاد المسيحيين واليهود وله فوق ذلك اعتبار كبير عند سوام من الشعوب ومكانة عظيمة في التاريخ . وليته طرق غير هذا الباب فيما رماه اذا لما طاش سهمه .

وتلي قصة منات الصهيونية في هذا الكتيب قصص اخرى من تعريب السيد قربان الا ان تسميته لها « اجتماعية » في غير موضعها لان ما في كل منها من المغزى لا ينطبق على مبادي الشرف والاستقامة ، وخصوصاً مغزى القصة التي اسماها بعنوان « رجل مستقيم » فلسفة الدين والاجتماع كثيرة التشعب والفروع عند الامم والشعوب واكل شعبة منها انصار . الا ان السيد قربان كتب ونقل باللغة العربية ، اذا فكنايته موجبة الى قراء العرب ، ولا اظن ان الكثيرين بين هؤلاء يقولون قوله او يرون رأيه . —

اما من جهة اللغة المكتوبة بها هذه القصص في هذا الكتيب فلا بأس بها .

عبد الله رعد

الاسلام

« للسيد هنري ماسي — طبع باريز سنة ١٩٣٠ عدد صفحاته ٢٢١ بقطع صغير »

Henri Masset - L' Islam , 221 pages . Paris 1930

يحتوي هذا الكتاب بالرغم من صغر حجمه على موجز تاريخ النهضة الاسلامية وقد افتتح كتابه بمقدمة عن العرب قبل الاسلام ثم بحث عن الاسلام وتطوره الديني والمدني منذ نشأته حتى تاريخنا هذا كما أنه بحث في اصول الادارة الاسلامية وتقدمها في القرن الاولي . وبما لا نقر المؤلف عليه قوله بأن محمداً (ص) حط من شأن المرأة وسلبها الحرية التي

كانت تتمتع بها في زمن الجاهلية والحقيقة ان الاسلام هو الذي صان حقوق المرأة كما صان حياتها . ونرجو ان لا يكون المؤلف قد تأثر ببعض المصادر المتعاملة على الاسلام وتاريخه
جعفر الحسني

احصاء الابنية الاثرية

« في مدينة حلب »

للسيد ج سوفاجه — طبع باريز سنة ١٩٣١ عدد صفحاته ٥٦

Inventaire des Monuments Musulmans de la ville d'Alep .
56 pages . Paris 1931

يحتوي هذا الكتاب على وصف لأشهر ابنية حلب الاسلامية الاثرية وعاديتها وقد بين مؤلفه في مقدمته خطورة حلب الاثرية وما تمتاز به عن بقية المدن الاسلامية الشرقية من وفرة آثارها وتنوعها ويمتاز هذا الكتاب عن غيره بإشارته الى مواضع الخلل في كل بناء وما يحتاج اليه من الترميم والاصلاح وقد زينه برسوم ومخططات بعض هذه الابنية وبمصح ان يتخذ هذا الكتاب دليلاً لكل من يزور مدينة حلب فيستشير به وينتفع بفوائده وذلك لخبرة مؤلفه الواسعة في آثار سورية الاسلامية .

جعفر الحسني

أخبار دمشق عن الصليبيين

The Damascus chronicle of the Crusades H. R. A. Gibb

كتاب نقله الى الانكليزية المستر (هـ . أ . ر . جب) أستاذ اللغة العربية في جامعة لندن عن كتاب ذيل تاريخ دمشق لابن القلاسي وهو ذلك الكتاب العربي الذي طبعه الاستاذ امدرود في المطبعة الكاثوليكية في بيروت سنة ١٩٠٨ . وأضاف اليه مقدمة وجيزة مشفوعاً بفهرس الأسماء الواردة في تلك الرسالة مرتبة بحسب حروف الهجاء والأسماء اللاتينية القديمة وما يقابلها باللغة الانكليزية . عدد صفحاته ٣٦٨ وهو مطبوع على ورق صقيل وبحرف جميل .

أشار الاستاذ في المقدمة الى قلة الكتب العربية القديمة الباحثة في حروب الصليبيين الاولى وأثرها في الشرق الأدنى وبحث عن الرسالة المخطوطة التي عثر عليها منذ بضع سنوات في مكتبة البولديانا وقد تناولت قصصاً عظيماً من تلك الحوادث بقلم ابن القلانسي فأحب نقلها الى اللغة الانكليزية ليسهل درسها على المؤرخين .

وقد جاء في مقدمته على ذكر حياة ذلك المؤلف العربي كما اقتبسها عن كتاب تراجم أعظم الرجال الدمشقيين وأسفار التاريخ الكثيرة مما نوجزه فيما يلي لنتتلى منها قيمة هذا الكتاب الثمين الذي أخذت معظم أخباره عن مصادر رسمية بالنظر لشدة ارتباط المؤلف العربي بدواوين الدولة ولتأييده الاخبار التي كان يسمها من المحاربين بالوثائق .

وابن القلانسي هو حمزة بن اسد المعروف بابي يعلى يمت بنسبه الى أسرة دمشقية معروفة تنتمي الى قبيلة تميم ، وقد درس الأدب والدين والشريعة واستخدم في المصالح العامة امين من ديوان الرسائل ثم انتهت اليه رئاسته . ووسدت اليه رئاسة المدينة وتوفي في ٧ ربيع الأول سنة ٥٥٥ هجرية الموافق لـ ١٨ آذار سنة ١١٦٠ ميلادية عن عمر بلغ التسعين سنة . والكتاب المذكور هو الأثر الوحيد الذي قام بتأليفه وسماه « ذيل تاريخ دمشق » مما يدل على انه وضعه كتنمية لكتاب المؤرخ هلال الصابي وبدأ في نقل الحوادث منذ وفاة المؤرخ المذكور سنة ٤٤٨ هجرية وأورد في كتابه فقرات منه حتى تاريخ وفاته سنة ٥٥٥ هجرية . ويقسم الكتاب الى أقسام عديدة يبحث كل منها في مدة معينة ابتداءً من اول الحروب الصليبية حتى سنة ١١٦٠ ميلادية مع بيان الحوادث المهمة وما طرأ على دمشق اثناء ذلك من الامور وما تقلب عليها من ملوك وأمراء .

عبد الرحمن الجوخدار

المخطوطات

« التي اقتناها المجمع العلمي حديثاً »

(تحقيق النصرة بتلخيص معالم دار الهجرة) مخطوط في مجلد لطيف الحجم يبلغ ٧٣ صفحة مؤلفه ابو بكر بن الحسين المراغي العثماني نزيل المدينة المنورة المتوفى سنة ٨١٦ اوله (الحمد لله الذي جعل المدينة الشريفة دار هجرة رسوله الخ) ويفهم من مقدمة المؤلف انه في تأليفه انما هو يلخص تاريخ الحافظ محب الدين النجار الموسوم (بالدرة الثمينة في اخبار المدينة) وقد ضم اليه بعد التلخيص (سوانح الشوارد وفرائد الفوائد) الى آخر ما قال والنسخة غير حسنة الخط ولا متقنة الضبط وقد كتبت عن نسخة المؤلف التي يعضها في ١٢ رجب سنة ١٢٦٦ هـ وهي من (كتب سلمان بن محمد الشامي) وقد وقفها علي طلبة العلم في المدينة المنورة سنة ١٢٩٤ هـ .

كتاب الفنطير (كذا) كامل الصناعتين (كذا) المعروف بالناصرى سمي به لان مؤلفه ابا بكر ابن البدر البيطار صنفه برسم خزانة الملك الناصر بن قلاوون وهو مجلد كبير تبلغ صفحاته ٤٥٠ صفحة حسنة الخط ومتينة الورق . ولا يفهم موضوع الكتاب من اسمه انما يعرف من فهرسته المسهب المفصل وهو في اخليل واوصافها وامراضها ومحاسنها ومساوئها وجميع ما يتعلق بها وارله (ربما من دابة الآية الحمد لله الواسع العطا الذي اسبل الغطا) وقد قال في المقدمة انه لم يترك شيئاً مما يتعلق باخليل حتى ذكره (ولاسراً للزراطة والبيطرة والخاسين) (كذا) والركبين الاواقفتة علي حده الخ) والكتاب متركب من عشر مقولات وكل مقولة من عدة ابواب وليس في النسخة ما يدل على زمن كتابتها وانما شكل الخط يدل على انها كتبت من عهد قريب . ويظهر ان مؤلفه بيطار قد ير وله اب حاذق في صنعة البيطرة فهو ينقل عنه اشياء كثيرة في هذه الصناعة وجبذا لو طالعه احد علماء البيطرة في دمشق وخلص عنه مقالاً فان فيه فوائد لغوية واصطلاحية تتعلق بزمن الملوك الشراكسة .

(بستان الفقراء ونزهة الامراء) كتاب في الوعظ صنفه الشيخ علي الكاشاني الشافعي اوله الحمد لله الذي احكم الامور وقدرها وقد قال المؤلف انه جمعه من كتب عديدة

ورتبته على مئة وخمسة ابواب فجاء في نحو ٨٠٠ صفحة وقد فرغ من تأليفه سنة ٩٩١ هـ وقد كتبت المخطوطة سنة ١١٤٨ هـ وهي جيدة الخط مقروءة ٠

(نتيجة العقاد في معرفة الأوقات) هو مخطوط كل صفحاته جداول ودوائر مرقومة بالخبر الاسود والاحمر والاخضر احياناً وقد افتحه مؤلفه بأرجوزة أبان فيها الغرض من تأليف نتيجه قال في اولها :

(بقول يوسف الحقيير المتبحر) لحرم الله وعوداً يرتجي

ومنها : (أرختها رزنامة هدية لها على امثالها مزية)

وقوله (رزنامة هدية) تبلغ أيجديته سنة (١١١٢ هـ) وكتب هذه المخطوطة مراد ابن الشيخ علي نور الدين القباني نقيب طائفة القباينة بمصر تليذ الشيخ مصطفى أبي الاتقان الوفاي الخياط صناعة كتبتها في رجب سنة ١١٩٥ هـ وقوله (الخياط صناعة) راجع الى كاتب النسخة (مراد) لا الى الشيخ أبي الاتقان الوفاي . والكتاب نفيس مفيد ولا سيما فيما يتعلق بالمليقات المصري واعياد المصريين ومواسمهم المختلفة فهو لم يدع من الاعياد الاقباط شيئاً حتى ولا عيد (ابو شنودة) و (وابوقطر) و (قاتل الحية) و (عيد مهبيا) و (عيد فلوطس) الخ الخ اما المآكل وما يختار منها في الفصول فهو ايضاً فعل فيه القول تفصيلاً وكذا الاستحمام والطعوم والشروب ومهاب الرياح واوقات الزرع والحصد والقطف الخ الخ . (شرح مقدمة قانون ابن سينا) مجلد ضخيم حسن الخط مقروء . ملزوز الاسطر والكلمات لكنه كثير الغلط وعدد صفحاته (٦٢٠) واوله (الحمد لله الذي دقت حكته في خلقة الانسان) ومؤلفه هو (محمد بن محمود الآملي) ذكر في مقدمته انه قدمه الى سلطان زمانه ولم يسمه وقد انتهى الكتاب بالفصل الحادي والثلاثين في الوصية بان الطيب اذا تعددت الامراض في شخص فبأي مرض يبتدي ؟ وبعدها وفي هذا قال مانصه (وليكن هذا القدر من كلامنا المختصر في الاصول الكلية لصناعة الطب كافياً ولناخذ في تصنيف كتابنا في الادوية المفردة) .

وفي عبارة الكتاب اخطاء كثيرة فاما ان تكون من الناسخ او تكون من المؤلف نفسه لأنه يظهر من اسمه وأسلوب تقديمه الكتاب لسلطان عصره انه تركي عثماني .

« المغربي »

كتاب التبصر بالتجارة

« للجاحظ »
توطئة للناس

—(١)—

الجاحظ بصري المولد والوفاء ، بالبصرة وُلد وبها شبَّ ودرج ، وفيها دوَّعَ غالب تأليفه .

ما بين نصفي القرن الثاني والثالث نبغ الجاحظ حينما كان « العراق عين الدنيا والبصرة عين العراق »^(١) ، وكيف لا تكون كذلك وهي عندئذ باب بغداد الكبير ومدخل دجلتها المتدفق بضروب المتاع وأنواع السلع المجلوبة من أطراف الدنيا ، نظير مرسيلية اليوم بالنسبة إلى فرنسا أو جنوة لاطاليا وليقربول لبلاد الانكليز ، بل امتازت البصرة على تلك المراسي بنصيب أوفر وحظ أكبر إذ كانت مقصد القوافل الواردة من كل حدب وصوب ، ومحط رحال الشرق والغرب ، من مجاهل الصين إلى مفاوز الصحراء الكبرى ، ولذلك استفتح بها العمران وكثرت فيها المصانع والصنائع وصارت واسطة العرب والعجم وحق لها أن تتلقب « بقبة الاسلام » كما سماها عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) .
ناهيك ببلد جمع لحسن الموقع أصداد الأشياء وأشتات الأرزاق ومختلف المكاسب والمطالب .

(١) ثمار القلوب للثعالبي ص ١٢٢ ومجم البلدان لياقوت ٢ :

فاخر خالد بن صفوان البصري ببلده لدى عبد الملك بن مروان فقال :
 « يغدر ساكنها قائماً فيجي هذا بالشبوط والشيم ، ويجي هذا بالطبي والظليم ،
 ونحن أكثر الناس عاجاً وساجاً ، وخزاً ودباجاً ^(١) . »
 وباهى الجاحظ نفسه بمسقط رأسه فقال :
 « ومن أتى وادي القصر بالبصرة رأى أرضاً كالكلفور ، ورأى ضباباً تجترش ،
 وغزلاناً وسمكاً وصياداً ، وسمع غناء ملاح في سفينته ، وحداً جمال خلف بعيره ^(٢) . »
 وقد قال الخليل بن احمد البصري قبله ^(٣) :

زر وادي القصر نعم القصر والوادي في منزل حاضر ان شئت او بادي
 تر به السفن والظلمات حاضرة والضب والنون والملاح والحادي
 اشتهر أهل البصرة من قديم بالتطوح في الآفاق والتراخي على الأسفار البعيدة والضرب
 في مناكب الارض طلباً للرزق والتماساً للثراء ما جعل الجاحظ يصرح : « بانه ليس في
 الارض بلدة واسطة ولا بادية شاسعة ولا طرف من أطراف الدنيا الا وانت واجد به
 البصري والمدني ^(٤) » وقد اتفقت كلمة السائحين وأصحاب الرحلات على أهمية البصريين
 في الترحال وغورهم في الاغتراب حتى قال ابو بكر الحمذاني — وناهيك به من خبير :
 « وأبعد الناس نجعة في الكسب بصري وحميري ، ومن دخل فرغانة القصوى والسوس
 الأقصى فلا بد ان يرى فيها بصرياً أو حميرياً ^(٥) . »

ومن البديهي ان من كان في ذكاة الجاحظ وفطنته الفريزية وجبه استطلاع الاشياء
 والبحث عن الجليل منها والحقير ، ويشاهد عياناً ما يجلب الى العراق من أطراف البلاد
 وما يصدر منه الى سائر الآفاق لجدير أن يفيدنا بكل حذق وتدقيق عن الاحجار الكريمة
 والأعلاق النفيسة والطرائف الثمينة والرياش الغالية وعن ماهيتها وأثمانها في عصره ، على

(١) مهم البلدان لياقوت ٢ : ٢٠٤

(٢) ثمار القلوب ص ٤١٩ . (٣) الكتاب المذكور ص ٤١٩ .

(٤) كتاب البخلاء (طبعة مصر سنة ١٣٢٣) ص ١٦٠

(٥) كتاب البلدان للحمذاني (طبعة لندن سنة ١٣٠٢) ص ٥١

أنه لم يكتف بمجرد ذكر المتاجر ومصادرها بل زاد في البيان فنبه على المعمول من الجواهر واليواقيت والمنشوش من العطور والعقاقير ، وفرّق بين العالي منها والمتوسط والردية فأضاف إلى الخبرة التفنن وإلى المعرفة التبصر ، وهو عين موضوع كتابه « التبصر بالتجارة » الذي نشره اليوم .

فلا عجب حينئذ أن اشتملت هذه الرسالة على فوائد جمّة تهيم أرباب الصناعة والتجارة كما تفيد المشتغلين بعلم الاقتصاد والباحثين عن علائق العالم الاسلامي زمن غزارة حضارته وعنفوان تمدنه مع بقية الممالك .

وهي امرى افادة ذات شأن ، ترشدنا إلى ما وصلت إليه عواصم الاسلام الكبرى — لاسيما بغداد — من التجر في العمران وتوسع سكانها في وسائل البذخ والترّف . ما جعل تجارها في حاجة إلى توريد نتائج أطراف المصنوعة وأن بعدت وركوب الاخطار والمشاق في سبيل استجلابها وبذل النفس والنفس في اقتنائها إجابة لرغبة الاغنياء وتسديداً لشرة النساء إما لتأنيث القهور أو لزينة ربّات الخدور !

نعم ! وضع المعنّون بتقوم البلدان من أبناء العربية تأليف عديدة هي عمدتنا الآن في معرفة العلائق التجارية تديماً وما اختص به كل صقع من أنواع النتائج ، منهم ابن الفقيه المصنّفي ، وابن رسته الاصبهاني ، وابوزيد البليخي ، والاصمغري ، وابن حوقل ، وابن البشاري المقدسي وغيرهم من كبار الجغرافيين وأصحاب الرحلات ، غير أنا لانس أن الجاحظ هو الذي فتح لهم باب التأليف في تقوم البلدان وخصائصها وشرع لهم هذا المنهج ، فهم في الحقيقة عيال عليه — وإن توسعوا بعد — ومقتنوا أثره ومقلدوه ، الامر الذي جعل أحدهم — وهو المقدسي — يقول : « وإذا نظرت في كتاب الفقيه فكأنما أنت ناظر في كتاب الجاحظ ^(١) »

وهي امرى شهادة اعتراف بأسبقية الجاحظ في خوض هذا الميدان ، وليس هو باول موضوع بطرقه ذلك المبدع الماهر بل البحر الزاخر الذي لا ساحل له .

حرر الجاحظ هذا البحث الاقتصادي برسم احد كبار أحبابه ممن سبقت عنايته

(١) راجع كتاب « أحسن التقاسيم ، في معرفة الاقاليم » للمقدسي — طبعة ليدن

بالتأليف والاهداء إليهم ، فهو — وان لم يسمه — احد الأربعة : محمد بن عبد الملك الزيات وزير المعتصم ، وقاضي القضاة احمد بن ابي دؤاد ، والوزير الفتح بن خاقان ، وابراهيم ابن العباس الصولي ، وأراني في غنى عن إثبات نسبة هذه الرسالة الى الجاحظ ، وان لم يأت ذكرها بين مصنفاته الواردة في فهرست ابن النديم ومهم الادباء لياقوت ، لكن أبو منصور الثعالبي ^(١) والعلامة النويري ^(٢) تكفلا بتعريفنا بها ونقلها جملاً منها بالحرف الواحد ونسبتها الى مؤلفنا الكبير حسبما نشير اليه في محله .

على ان « التبصر بالتجارة » ليس باول كتاب للجاحظ لم يذكر من بين مؤلفاته فان « خصائص البلدان له » — وهو غير « كتاب البلدان » — لم يرد اسمه بعد في قائمة مانسب اليه لياقوت في محله وقد نقل عنه أبو منصور الثعالبي كثيراً ^(٣) .

أجل ! كثيراً ما يستعمل الجاحظ الفاظاً دخيلة في غرضون مصنفاته وقد وقع جانب عظيم منها في رسالته هذه في التعريف بمسميات أجنبية ، وهو أمر متعارف جرت به عادة الكتاب والمؤلفين في عصر الدولة العباسية ، فلطالما استعملوا اصطلاحات ومعربات جعلها فارسي المأخذ لقرب بلاد ايران من العراق ، ولقد تتبع صديقنا ساكن الجنان العلامة احمد تيمور باشا أثر بعض المعربات الواردة في كتاب «نشوار المحاضرة» للتنوخي فعقد لشرحها فصولاً متممة نشرها في مجلة المجمع العلمي الدمشقية ^(٤) .

وقد حاولنا شرح ما ورد ضمن هذه الرسالة من غريب الدخيل على قدر الاستطاعة والجهد ، وباحتمال لو توفقت من أبناء العربية من يضع لنا معجماً لغوياً يوضح لنا به السبيل الى فهم الفاظ الدخيل والمصطلحات التي كانت مستعملة في القرون الوسطى الاسلامية مثلاً فعل المستعرب الهولاندي دوزي في « مستدركة على المعجم العربية » ، وهي أمنية طالما أبدناها كل من يعاني استقرار تصانيف الدور العباسي .

أما الاصل المنقول عنه فهو مثبت في ضمن مجموع خطي محفوظ بالمكتبة العمومية

(١) « ثمار القلوب » . (٢) « نهاية الارب » .

(٣) ثمار القلوب ص ٤٣٨ و ص ٤١١ . (٤) تفسير الالفاظ العباسية ، مجلة المجمع

العلمي العربي ، جزء تشرين اول سنة ١٩٢٢ ص ٢٨٩ وما بعده .

(مكتبة سوق العطارين) في حاضرة تونس ، وهذا المجموع يحتوي على أذكر وأدعية وذكر بعض الغزوات ، ثم رسالة حافلة في الخط وتماريفه من تأليف الوزير العباسي الشهير أبي عبد الله علي بن مقله ، ثم كتاب « التبصر » هذا ، ثم شرح قصيدة أبي الفضل ابن الفخوري التوزري المعروفة بالمتفرجة من وضع الامام علاء الدين علي بن جمال الدين البصري الشافعي تزيل دمشق ختمه خلال سنة ٨٧٣ هـ ، وفيما يظهر ان كامل المجموع بخط يد هذا الشارح وهو خط شامي معتاد تغلب عليه الصحة الا في الاعلام والدخيل والمعربات : وبالرغم من بحثي الشديد للوقوف على نسخة ثانية من كتاب (التبصر) فاني لم أظفر بها فاقصرت على ايراد ما هو موجود هنا .

وقد بذلت جهدي في اكساء هذا الاثر الجليل الثوب الذي يليق به إحياء لذكرى واضعه الخالد ، وهو سبحانه ولي التوفيق .

المهدية الفاطمية (تونس) : ح . ح . عبد الوهاب الصادحي

شعبان ١٣٥٠

وفي الصفحة التالية يرى القارئ ذلك الاثر الجليل :

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

كتب ابو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ البصري :

سألت أكرمك الله عن أوصاف ما يستظرف في البلدان من الامتعة الرقيقة ، والأعلاق النفيسة ، والجواهر الثمينة المرتفعة القيمة ، ليكون ذلك مادة لمن حذقته التجارب ، وعوناً لمن مارسه وجوه المكاسب والمطالب ، وسميته بكتاب « التبصر » والله ولي التوفيق .
زعم بعض المحصلين من الاوائل ان الموجود من كل شيء رخيص بوجوده ، غالى بفقدانه اذا مست الحاجة اليه .

وقالت الروم : اذا لم يرزق أحدكم في ارض فليتحول الى غيرها .
وقالت الهند : ما من شيء اكثر الارخص ما خلا العقل فانه كلما اكثر غلا ، ^(١) :
وقالت العم : اذا لم تربحوا في تجارة فانتزلوا عنها الى غيرها ، واذا لم يرزق أحدكم بارض فليستبدل بها ^(٢) :

(١) نسب أبو منصور الثعالبي هذه الكلمة الى نصر بن سيار والي خراسان ، لكنه أورد لفظ « الادب » بدل « العقل » (كتاب الاعجاز والايجاز — طبعة مصر سنة ١٨٩٢ ص ٢٦) .

(٢) نقل أبو منصور الثعالبي جملاً من الفصول التي اوردها الجاحظ هنا ولم يعزها لاحد ولا شك انه اقتبسها من هذا التأليف ، قال الثعالبي في فعل « التجار والسوقة » من كتابه (التمثيل والمحاضرة) : اذا لم تربح تجارة فاعدل عنها الى غيرها ، واذا لم ترزق بارض فاستبدل بها — وقال : الراجح في كل سوق ، البائع لما ينفق فيها — وقال : شاركوا الذي اقبلت عليه الدنيا فانه اجلب للرزق — وقال : من اشترى مالا يحتاج اليه باع مالا بد منه « ومن هنا يظهر ان ما نقله الثعالبي هو عين ما اورده الجاحظ بتغيير قليل في اللفظ

وقالت الفرس : الراجح في كل سوق هو البائع لما ينفق فيها .
وقالت العرب : اذا رأيتم الرجل قد اقبلت عليه الدنيا فالصقوا به فانه أجلب للرزق .
وقيل لبعض الميساسير : ريم أكثر مالك ؟ قال : ما بعث بنسيئة قط ، ولا رددت ربحاً وان قل ، وما وصل اليّ درهم الا صرفته في غيرها ^(١) :
وكان يقال لا تشتروا ما ليس لكم اليه حاجة فيوشك ان تبيعوا ما لا تستغنون عنه .
وزعم بعض الحكماء انه وجد في وصية الفرس : أيها الانسان ليس بينك وبين بلد انت به نسب ، فخير البلدان ما وافقك ^(٢) . وخير الدهر ما أصحك ، وخير الناس من نفعك ، وخير الماء ما أرواك ، وخير الدواب ما حملك ، وخير الثياب ما سترك ، وخير التجارة ما أربحك ، وخير العلم ما هداك ، وأحسن الحسن ما استغفنته وان كان قبيحاً ، وكان يقال :
خير الصناعة الخرز ^(٣) وخير التجارة البر .

« باب معرفة الذهب والفضة وامتحانها »

قال الحكميم ^(٤) : يستحب من الذهب سبيكه وغير سبيكه ، وان يكون كنار خادة وشعاع مركوم وكبريت ثاني ^(٥) وانما دامت دولته لانه لا تدحضه خبث الكبر ولا

- (١) كذا بالاصل وكان المؤلف أعاد الضمير الى التجارة ولذا جعله مؤنثاً .
- (٢) نقل الشريشي (شرح مقامات الحريري ١ : ١٠٢) وكذا الصفدي (الغيث المنجم شرح لامية الهمم ٢ : ٧٦) هذه الجملة ولم يذكرها قائلها ، وكان الجاحظ يشير الى كلام عثمان بن عفان — رضي الله عنه — حين سئل عن كثرة أرباحه قال : لم أرد من ربح قط ولو قل (راجع كتاب الجلاء للجاحظ ص ١٦٢) .
- (٣) بالاصل : الخرز — واظنه تقريباً من الناسخ والصواب : الخرز — لتحصل القافية والمعنى .

- (٤) كثيراً ما يتبدي الجاحظ الكلام بقوله : قال الحكميم — أو : قال — وفي ظني انه لا يقصد بذلك الا نفسه كما هو هنا ، يتضح ذلك لمن تتبع تأليفه لا سيما كتاب الحيوان .
- (٥) هذا الوصف يشبه كثيراً ما ذكره المؤلف في كتابه الحيوان (ج ٥ ص ٣٣) حيث قال : واذا وصفوا حمرة الذهب قالوا ما هو الا نار وشعاع مركوم

يفسده مرّة الدهور ؟ وقيل انما صار الذهب ثميناً لقلة تغيره وازدياد نفاذته وحسنه اذا عتق
ولأن الاشياء تنقص عند المس والدفن ما خلا الذهب فانه لا ينقص البتة .
وخبر الدنانير العتق الحمر الى الخضرة ، وزعم بعض الاوائل انما يتجن الدينار بلصوقه
الشعر والحقبة وصعوبة استمراره فيها ، والنهرج ^(١) من الدنانير يعتبر بخفته وثقله .
وزعموا ان خير الذهب العقيان وخير الفضة اللجين ، ومذاق الفضة الصافية عذب ،
ومذاق الزبوف مرّة صدي ، والنهرج من الدراهم مالح جرسى الطنين ، والفضة صافية
الطنين لا يشوبها صمّ وهي تقطع العطش اذا مسكت في الفم .

« باب ما يعتبر من الجواهر النفيسة ومعرفتها وقيمتها »

زعموا ان معرفة جوهر اللؤلؤ انك تجده مذاقته على ضربين : عذب المذاقة عُماني ،
وملح المذاقة قلزمي كلاهما يرصب في الماء ، والمحمول منه تجده مرّة المذاق مع دسومة فيه
وهو خفيف الوزن يطفو على الماء .

وزعموا ان اللؤلؤ اذا كان في باطنها دودة فانك تجدها حارة المص واللمس فان ذلك
للعة النفسانية ، واذا لم يكن بها دودة كانت باردة المص واللمس واعتماها بذلك .

وزعم البحر يون ان اللؤلؤ الكبار المتغير اللون تلف عليه الألية الطارية المشرحة وتؤخذ
في جوف عجّين وبدخل التنور ويبالغ في إحماؤه فانه يصفو ويحسن ويعود اليه الماء ، واذا
بخر بكافور كان ذلك ، واذا عولج بمخ العظم وبماء البطيخ فانه يصفو .

ومعرفة اللؤلؤ اللحي الجوهري من الصدي العظمي هو ان الجوهري يكون مستوي
الصورة ليناً أملس ، والعظمي يكون خشناً غير مستوي الهيكل .

وخبر اللؤلؤ الصافي العُماني المستوي الجسد الشديد التدرج والاستواء ، واذا كانت

وهو الكبريت الاحمر — ومن هنا يستدل على ان الجاحظ كثيراً ما يعيد الكلام بعينه
في تضاعيف تصانيفه من غير ان يشعر بذلك ، وانه كان قليل المراجعة لما يكتب .

(١) النهرج — معرب نهره الفارسية — هو الدينار أو الدرهم المموه الزيف الردي

(راجع كتاب شفاء الغليل للنفاجي وغيره) — وفي كتاب الجفلاء للجاحظ (ص ٦٩) :

دينار بهرج — وهو صحيح ايضاً .

حبتان متساويتين في الشكل والصورة واللون والوزن كان ارفع لثمنهما ؛ والعُماني أنفس وأرفع من القلزمي لأن العُماني عذب نقي صافي ، والقلزمي فيه ملوحة مع عيب كثير ^(١) ؛ وإذا بلغت الحبة نصف مثقال سميت دُرّة ، والمدحرجة المعتدلة في التدوير إذا بلغ وزنها نصف مثقال ربما بلغت في الثمن ألف مثقال ذهباً ، والبيضية دون ذلك في الثمن ، وأثمنها ترتفع على زيادة وزنها وتدحرجها ، وإذا بلغ وزنها مثقالين ان شئت جعلت ثمنها عشرة آلاف دينار وان شئت مائة ألف دينار ، والمدحرجة على هذا الوزن والصفة لا قيمة لها ، وهي فريدة ، وكلما كانت أصنى وأنقى كان أرفع لثمنها وأنفس ، والدرّة القيمة قلزمية ، زعموا ان وزنها ثلاثة مثاقيل ، والصغار من اللؤلؤ مرجانه ^(٢) :

وخير الباقوت البهرماني ^(٣) ثم الاحمر المورّد ، ثم الاصفر ، ثم الاسمانجوني ^(٤) وأدونه الابيض ؛ والباقوت من جبل سرنديب بالهند ، وتعرف اليواقيت من المحمولات بمخال (١) عى ذكر اللؤلؤ القلزمي قال ابو العباس احمد التيفاشي التونسي المتوفى سنة ٦٥١

في كتابه «أزهار الأفكار في جواهر الأحجار» (خط بمكتبي) : . . . وكذلك ما يوجد من الجواهر ببحر القلزم وسائر بحار العجمان فردي ولو كانت الدرّة منه في نهاية الكبر فأنها لا يكون لها طائل في الثمن اذ ليس فيها شيء من أوصاف الدرّ النفيس .

(٢) قال التيفاشي في كتابه المذكور : والمرجان في لغة العرب صغار الدر وهو اللؤلؤ الدق ، واستشهد بآيات لامرئ القيس — وقيل انه أول شعر قاله — منها :

فاعترس مرجانها جانباً وأخذ من درتها المستجادا

ولفظ المرجان معرب عن اليونانية وأصله (Marginto) وفي اللاتينية (Margarita) وأطلق اسم المرجان فيما بعد على العروق الحمر التي تطلع من البحر ويتخذ منها الحلي والأعلاق والسبح .

(٣) البهرمان : فارسي معرب معناه : أحمر اللون ؛ قال التيفاشي : والباقوت البهرماني هو أحمر نقي الحمر لا تشوبها شائبة ، والبهرمان اسم العصفور وبه سمي هذا الصنف من الباقوت .

(٤) الاسمانجوني : فارسي معرب مركب من كلمتين (آسمان) اي السماء و (گون) لون ، ومعناه أبيض بزرقة كلون السماء .

ثلاث : برزانتها في الوزن ، وبرودتها في الغم عند المص ، وعمل المبرد فيها ، لأن الياقوت حجر ثقيل الوزن بارد في الغم بطيء عمل المبرد فيه ، والمعمول منها يكون خفيف الوزن ، حار المص ، سريع المبرد فيه .

وخير الياقوت الصافي النقي المضي من أي لون كان ، وارتفاع القيمة على قدر كبرها وصغرها ^(١) والياقوت الأحمر البهرماني الصافي إذا بلغ وزنه نصف مثقال ربما بلغ في الثمن خمسة آلاف دينار ،

وكان وزن فص الشاتم الذي يسمى « الجبل » مثقالين قوتم بمائة الف دينار واشتراه أبو جعفر المنصور بأربعين الف دينار ^(٢) . والياقوت الاسمانجوني ربما بلغ الفص منه مائتي دينار .

وخير الزبرجد الشديد الخضرة ، الصافي الجوهري ، ومعرفة الزبرجد الفائق من المعمول المتخذ كمعرفة اليواقيت : برزانتها وبرودة مذاقته وعمل المبرد فيه على صل ، والمعمول منه رخو خفيف الوزن ، حار في المذاق ، يسرع المبرد فيه ،

- (١) كذا بالأصل ولعل ضمير المؤنث في قوله : كبرها وصغرها — عائد على ياقوتة .
- (٢) نقل أبو منصور الثعالبي من هذا التأليف فصولاً وفقرات عديدة ببعض التصرف نسب بعضها إلى الجاحظ وغفل عن كثير منها ، فمن ذلك قوله : زعم الجوهريون (؟) أن الياقوت لا يكون إلا من جبل سرنديب بالهند ، وخيره الأحمر البهرماني ، ثم الوردي ، ثم الرماني ، وإذا بلغ البهرماني نصف مثقال كانت قيمته خمسة آلاف دينار ، وكان وزن الفص الذي يسمى (الجبل) مثقالين قوتم بمائة الف دينار فاشتراه المنصور بأربعين ألفاً .
- (كتاب ثمار القلوب ص ٤٢٤) — ونقل الملاح الصفدي من تأليف الشيخ شمس الدين ابن ساعد الانصاري وسماه « بخت البخائر في أحوال الجواهر » جملةً مهمة جداً تتعلق بالياقوت وتكمونه وأصنافه وأثمانه جاء في ضمنها : وكان في خزانة الأمير بين الدولتين محمود ياقوتة شكلها شكل حبة العنب وزنها اثنا عشر مثقالاً قوتم بعشرين الف دينار ، وكان للمعتمد العباسي فص يسمى « ورقة الآس » لأنه كان على شكلها وزنها مثقالان الأشعيرتين اشتراه بستين الف درهم (كتاب الغيث المنجم ١ : ٨٣) .

وزعموا ان خير الزبرجد الناضر الصافي النقي ، فاذا بلغ وزن قطعة منه نصف مثقال
بلغ في الثمن النقي مثقال ذهباً ، وارتفاع القيمة على مقدار كبره وصغره ،
وكان فص الخاتم الذي يسمى (البحر) وزنه ثلاثة مثاقيل اشتراه ابو جعفر المنصور
بثلاثين الف دينار وهو اليوم في خزائنه بعض الخلفاء .

وخير الفيروزج الشير بام^(١) الاخضر الاسمانجوني الصافي العتيق ، والفيروزج حجر
لا يعمل المبرد فيه ولا يتغير في النار والماء الحار ، وغاية ثمن فص فيروزج اذا بلغ وزنه
نصف مثقال عشرون ديناراً .

وخير العتيق الباني الشديد الحمرة الذي يرى في وجهه شبه الخطوط ، وكلما كان
أصنى وأضوأ كان أجود في الثمن .

وخير البيجاذي^(٢) الأحمر الشديد الحمرة الممتلئ لونه التهاب النار ، وكلما كان
أصلب وأكبر كان أنقى وأثمن ، والمعمول منه رخو ، وامتحان جودته من رداءته انك
اذا قربته من الريش احتمله ، وكلما كان أحمل للريش كان أجود ، وغاية ثمن فص بيجاذي
فائق اذا بلغ وزنه نصف مثقال ثلاثون ديناراً . والجوهر النفيس لاقية له وذلك لاتساع
ضوئه وانتشار شعاعه بالليل .

(١) شيربام : فارسي معرب مركب من لفظين ومعناه (لون الثبن) .

(٢) البيجاذي : حجر كريم احمر اللون يشبه الياقوت فيه خاصية الكهرباء في جذب
الثبن ، واصله في الفارسية (بيجاده) وهو اسم "كهرباء" وقد عرب قديماً وورد في اشعار
العرب ، قال الفرزدق (الاغاني ط بولاق ج ١٩ ص ٢١) :

أغرثك منها لونة عربية علت لونها إن الجيادي أحمر

راجع معهم المجموعة الجغرافية العربية تأليف المستشرق دي خوي طبعة ليدين ص ١٨٤
(Indices, Glossarium - Bibl. Géogr. Arab., de de Goeje) وانظر ابداً
التعليق الجليل الذي وضعه صديقنا العلامة المحقق المغفور له احمد تيمور باشا على هذه النكبة
في تفسيره للالفاظ العباسية (مجلة المجمع العلمي الدمشقية ج ٧ ص ٢٠٤ من سنة ١٣٣٩)
وقال ابن عبد ربه : ومدينة بلخ بخراسان بها معادن الجيادي العتيق ، وهو جنس من
الفصوص تسميه العامة البزادي (العقد الفريد ٣ : ٢٥٧) .

والبلور يُختار له صفاته وعظمه ، وخير الزجاج البلوري الصافي الأبيض النقي ،
والفرعوني الفائق^(١) . وخير الماس^(٢) البلوري الصافي الأبيض النقي ، ثم الأحمر ، وإذا
بلغ وزنه نصف مثقال بلغ في الثمن مائة دينار ، وكلما كان أكبر وأعظم كان أبلغ في
الثمن وأرفع .

« باب معرفة الطيب والعطر والروائح الطيبة »

زعموا ان خير العود المهندي المندلي^(٣) الذي لا غش فيه ، وكلما كان أصلب فهو أجود
واستحان جودته بمجدة أرجه وشدة رائحته ؛ وزعموا ان خير العود المهندي الثقيل الوزن
الذي يرسب في الماء ، وأدونه الخفيف الوزن الذي يطفو على رأس الماء ، والخفيف الوزن
عندهم ميت لا روح فيه وهو ضعيف الرائحة ، والثقيل الوزن منه له ذكاء وقوة أرج
ورائحة .

وخير المسك الثمين^(٤) اليابس الفائح وأرداه البُدي ، وغش المسك من

- (١) زرد ذكر الزجاج الفرعوني في كتاب (الحيوان) للمجاهد ج ٣ ص ١١٦
- (٢) الماس : يوناني معرب وهو اللبأمنت وقد ورد ذكره في الحديث الشريف
(النهاية لابن الأثير ج ٤ ص ٧٩) — وقال التيفاشي : الماس نوعان : الزيتي والبلوري ،
والزيتي أجودهما ، والبلوري أبيض شديد كوث البلور ، والزيتي مخالط ببياضه صفرة
كثون الزيت ، وهو شبيه بلون الزجاج الفرعوني (كتاب ازهار الافكار — خط) .
- (٣) المندلي : منسوب الى « مندل » وهو بلد بالهند يجلب منه العود الذي الشذا
(راجع معجم البلدان لياقوت — لفظ مندل — وشفاء الغليل) — وقال أبو منصور الثعالبي
وفي كتاب « العطر » [للمجاهد] : وخير العود المهندي المندلي ، وكلما كان أصلب فهو
أجود واستحان جودته اذا كانت فيه رطوبة ، ومن خصائصه ثبات رائحته في الثوب اسبوعاً
واكثر (ثمار القلوب ص ٤٢٣) .

- (٤) بالاصل : التبي وهو تحريف وصوابه : التبي نسبة الى بلاد التبت ، وفي كتاب
« الحيوان » للمجاهد (ج ٤ : ٤٦) ان المسك كث يجلب من التبت — وفي « الحاسن
والاضداد » (باب محاسن الهدايا ص ١٧٩) : وكان مماتديه ملوك الام الى ملوك فارس

الآنك^(١) وجندبادستر^(٢) ودم الأخوين^(٣) وسياه دارو^(٤) وكلاخف وزنه وفاح فهو أجود .

وزعموا ان خير العنبر الاشهب الزاجي^(٥) ثم الأزرق ، ثم الأصفر ، وأدونه

طرائف ما في بلدهم « فن الهند الفيلة والسيوف والجلود ، ومن التبت المسك والحرير والالواني ، ومن السند الطواويس والبنفاء ، ومن الروم الديباج والبسط » — ويؤيده ما نقل الاصطخري وابن حوقل حيث قالوا : ولم [أي أهل ماوراء النهر] من المسك الذي يجلب اليهم من التبت وخرخيز ما ينقل الى سائر الامصار فيفوق غيره من المسوك ثمناً وجودة (المسالك والممالك للاصطخري طبعة ليدن سنة ١٨٧٠ ص ٢٨٠ و ٢٨٨ — والمسالك والممالك لابن حوقل طبعة ليدن سنة ١٨٧٢ ص ٣٢٧ و ٣٣٧) .

(١) آنك : فارسي معرب وهو الرصاص ، وعند ابن البيطار : الرصاص ضربان أحدهما الرصاص الاسود وهو الآنك ، والآخر الرصاص القلعي وهو القصدير (جامع مفردات الادوية طبعة مصر ٢ : ١٤٠) .

(٢) جندبادستر : فارسي معرب وهو مائة حيوان بري بحري يكون في الانهار العظيم يسمى القنندر (وهذا الاقرب Castor) وخصاه هي الجندبادستر (التميمي ٢ : ٢١٧٠ وابن البيطار ١ : ١٧١) .

(٣) دم الاخوين : قال ابن البيطار بالنقل عن ابي حنيفة الدينوري : هو صمغ أحمر لشجرة يؤتى به من سقطرى ، ثم قال : وهو الأيدع عند الاطباء ، ويقال له الشيان ، يضاً . (جامع المفردات ١ : ٧٢ و ٢ : ٩٦) — قلت : والمعروف ان دم الاخوين هو العندم عند قدماء العرب ، وقيل هو البقم .

(٤) سياه دارو : ويكتب ايضاً : سيادرو — وسيادروان ، وفي القانون لابن سينا سيادوان . فارسي معرب ، وهو صمغ الجوز الشامي (راجع كشف الرموز لابن حمدوش ط حجب بالجزائر ١٣٢١ ص ٩٩) .

(٥) الزاجي : سمي القلقشدي من انواع العنبر ستة أصرب اولها الشجري ثم الزنجي [قلت : وهو لا محالة تحريف الزاجي أو الزاجي] وهو أجود العنبر واغضله . . (صبح ٢ : ١١٧ و ١١٨) — وجاء في تاج العروس : (والراجح جنس من الكافور) منسوب الى

الا [هنا ورقة كاملة من الأصل بها ثلاثون سطراً تعطلت قراءتها لانخرام كتابتها واستيلاء الزاج على أحرفها بحيث لم يتيسر نقلها بأي وجه ولم يبق ظاهراً منها سوى ما هو مرسوم بالحرمة — في السطر السابع عشر — وهو : باب معرفة الثياب وما يستجد منها]

..... وخير الوشي [في الثوب] السابري ^(١) والكوفي ، والايريسي ، والمذهب

بلد كما قاله الجوهري وصوبه بعضهم أو الى ملك سمى رباح اعتنى بذلك النوع من الكافور وأظهره (تاج ٢ : ١٤٠) — وفيه : ورباح موضع بالهند ينسب اليه الكافور ، وبسط بحثاً طويلاً في الغلط الحاصل في الصحاح للجوهري إذ نسب تارةً الرابحي الى بلد بالهند وتارةً الى دويبة يملب منها الزبد — وذكر ابن البيطار — في مادة كافور وعند — ان الرباحي مشتق من اسم ملك هندي اسمه رابح (جامع المفردات ٢ : ٣٣٤) — وقال داود الانطاكي ويسمى الزياحي لتصاعده مع الريح ، وقيل الرباحي — بالموحدة — نسبةً الى رباح أحد ملوك الهند أول من عرفه (تذكرة — مادة كافور) — وقال دوزي في مستدر كه على المعاجم العربية : ان بعض المصنفين يسميه أيضاً الزياحي Dozy, Suppl. aux diction. arabes, vol. I p. 499 — وما تقدم يتضح ان الاختلاف في اسم الزابحي أو الرابحي قديم ولا يعرف على وجه التحقيق نسبه ، ولنا احترامنا هنا الصيغة الواردة بالأصل مع التنبيه عليه — ووقفنا أخيراً على فصل ممتع نشره العلامة الخقق الاب انتاس ماربي الكرملي كشف فيه الغطاء عن معنى الرباح ووجه اشتقاقه وأثبت ان اصل اللفظ — الزابح — وهو اسم جزائر ماليسية (جاءه وسومطرة وبرنيو) عند قدماء العرب — والنسبة اليه زابحي ، فحرفه النساخ والمؤلفون المتأخرون فقالوا الزابحي والرابحي وغير ذلك (راجع مجلة المجمع العلمي الدمشقية ص ٢٣٢ من سنة ١٣٣٩)

(١) السابري : نسبة الى سابور ، وفي حديث حبيب بن ابي ثابت قال : رأيت على ابن عباس ثوباً سابرياً استشف ماوراءه ، وكل رفيق عندهم سابري والاصل فيه الدرود السابرية منسوبة الى سابور [النهاية لابن الاثير ٢ : ١٥٢] — وفي التاج : والسابري ثوب رفيق جداً ، قال ذوالرمة :

فجاءت بنسج العنكبوت كأنه على عصوبها سابري مشرق

المنسوج ثم الوشي الاسكندراني الكتان البحت^(١) ثم المنسوج بالذهب ، ثم الوشي الغزلي ، ثم الذي لا ابريسم فيه ولا ذهب وهو الباني لانه يرتفع على هذه السبيل من الغزلي ، والا بريسمي الكتان لا يبلغ في الثمن ما يبلغه الباني لانه ربما بلغ الثوب الغزلي الف دينار . وغير السجباب^(٢) القاقم^(٣) ثم الظهور منه ، ثم الخزري^(٤) ثم الخوارزمي ، ثم الذي لاغش فيه من زغب الارانب .

ومنه المثل : عرض سايري ، اي رفيق جداً [تاج ٣ : ٢٥٢] — وقال ابو منصور الثعالبي : والسايري ، وهو الرقيق الناعم من كل ثوب ، والأصل فيه النسبة الى نيسابور وعرب فقيل سايري [ثمار القلوب ص ٤٢٩] .

(١) نقل ابو منصور الثعالبي العبارة الآتية في لفظ « كتان مصر » ولم يذكر عن أي تأليف للملاحظ نقل ، قال : نال الجاحظ : قد علم الناس ان القطن غراسان وان الكتان لمصر ، ثم للناس في ذلك في تفريق البلدان ما لا يبلغ مقدار بعض بلاد نذين الموضعين ، وربما بلغت قيمة الحمل من دق مصر الذي من الكتان لا غير مائة ألف درهم [ثمار القلوب ص ٤٢٠] — وراجع ايضاً كتاب « ما يعول عليه في المضاف والمضاف اليه » للنجي — خط بمكتبتي .

(٢) السجباب : قال القلقشندي : حيوان أكبر من الفار يعيش في الشجر العالي ، فيها يأوي ومنها يأكل ، وهو كثير ببلاد الافرنج والعقالية ، ووبره في غاية النعومة وجلده في نهاية القوة ، ويتخذ منه الفراء النفيسة التي يلبسها الناس والرؤساء ، وأحسن ألوانه الازرق [صبح الاعشى ٢ : ٥٠] أقول وهو المسمى باللاتينية Scuriolus وبالفرنسية Ecuireuil .

(٣) القاقم [بقافين الثانية منهما مضمومة] — هو دويبة في قدر الفار لها شعر أبيض ناعم ، ومنه يتخذ الفراء ، وهو أغر قيمة من السجباب [صبح ٢ : ٤٩] .

(٤) الخزري : نسبة الى بحر الخزر وما كان حوله من البلاد .

وخير الثعالب الاسود^(١) الخزري الغليظ الشعر الذي لا يمتش بصبغ ، ثم الابيض ، ثم الاحمر المحصري^(٢) ، ثم الاحمر الخزري ، ثم الخللجي^(٣) .
وخير القاقم اكثرها اذناً : وخير السمور الصيني ، ثم الخزري الشديد البياض مع شدة السواد الطويل الشعر .

وخير الفرش وأرفعها ثمناً وأجوده المرعزي^(٤) القرمزي الأرميني المنبر ، ثم الخزرقم ، ثم الخزرقطوع^(٥) ، ثم اللديساج على عمل الخسرواني^(٦) الرومي ، ثم الخزرقطوع على

(١) قوله : خير الثعالب الاسود ، جاء في كتاب الحيوان للجاحظ [ج ٦ ص ١٠٠] وفي الثعلب جلده وهو كريم الوبر وليس في الوبر أغلى من الثعلب الاسود وهو ضروب منه الأبيض الذي لا يفصل بينه وبين الفئك ، ومنه الخللجي وهو الاعم .

(٢) كذا بالاصل وأظنه خطأ من الناسخ وصوابه «المحصري» أي المصبوغ بالمصرة وهي العصفرة ، وقال ابن سيده : والثوب المحصر هو المصبوغ بالطين الاحمر أو بحمرة طفيفة [المخصص ٤ : ٩٤] .

(٣) الخللجي : المقصود به الهندسي يشبه لونه خشب الخللج وهو شجر معروف [ابن البيطار ٢ : ٦٨] وقد عرف أبو الوليد انرا كشي اللون الخللجي بقوله : مخطط بسواد وذخنة [راجع مستدرک المعاجز العربية لدوزي ج ١ ص ٤٠٠] .

(٤) المرعزي والمرعزياء — بكسر الميم — اذا خفت مددت واذا شددت قصرت ، وأصله بالنبطية (مرعزي) وقد شكلت العرب به قديماً ، قال جرير من قصيدة يبعو بها التيم :

كسائك الخنظلي كساء صوف ومرعزي فالت به تفسد
أي تتغير عجباً [راجع المعرب للجواليقي ص ١٣٧] .

(٥) القطوع جمع قطع وهو ضرب من الوشي في الثياب [المخصص لابن سيده] .

(٦) الخسرواني نوع من نسج الحرير الرقيق الحسن الصنعة منسوب الى عطاء الكامرة ، وهو فارسي معرب [المعرب للجواليقي ص ٦٠ وشفاء الغليل للنفطاجي] .

الميساني^(١) ، ثم البزبون^(٢) ، ومهما كان من هذه الضروب منسوجة بالذهب فهو أجود وأبلغ في الثمن ، وقد تكون هذه الضروب كلها منسوجة بالذهب إلا الأرمني والميساني والبزبون .

وخير البزبوت المسكي الدقيق النسج ، ثم المخطط ، ثم المفأس^(٣) ثم الساذج ، ثم المعين^(٤) ثم المنقط ، والغفارة المسكية اذا كانت رقيقة العمل ثقيلة ربما بلغت في الثمن خمسين ديناراً .

وابوكآحون^(٥) من الزلالي^(٦) الحسرواني^(٧) الرومي القرمني على خطوط مختلفة البنفسجي في الأحمر والأخضر ، وزعموا انه يتلون أواناً بارتفاع النهار ووجه الشمس ، والقيمة مرتفعة منه جداً .

وخير الأكسية من العوف المصرية ، ثم الخوزية الفارسية ، والمرعزي في المرعزي الفارسية الشيرازية ، ثم الاصفهانية ، والمرعزي في الابرسم القسوية ، ثم (١) البزبون كمصفور ، السندس ، وقال ابن بري : هو رقيق الديباج [تاج العروس ٩ : ١٣٩] .

(٢) وبالاصل ، المقأس ، وهو تحريف يتن ، والمقأس بمعنى الختم والمزركش على هيئة الفلوس كما يقال ثوب مدآر ومدرم أي موشى على صورة الدنانير والدرهم . (٣) المعين ، ثوب في وشبه ترايع صفار شبيهه باعين الوحش [المخصص ٤ : ٦٧] . (٤) ابوكآحون ، عرفه مرتضى الزبيدي بقوله : ثوب رومي يتلون أواناً للعيون نقله الجوهري ، وقال الازهرى : يترأى اذا أشرفت عليه الشمس بالوان شتى ، قال : ولا أدري لم قيل له ذلك ، وقد يشبه به الدهر والروض وزمن الربيع [تاج العروس ٩ : ٣١] — أقول : لفظ أبوقلون يوناني معرب وهو في الأصل Abokalamon — والنسيج المسمى أبوقلون في المشرق هو المعروف في الديار التونسية بعنق الحمام .

(٥) الزلاية — بالكسر — البساط ج زلالي كما في لسان العرب والعياب ، وفي مستدرک التاج [مادة زلل ج ٢ : ٣٥٩] والزلال الصافي من كل شيء ، قال ذو الرمة : كأن جلودهن موهات على أبشارها ذهب زلال فكان المقصود هنا من الزلالي الصافي اللون .

الطبرية^(١) ، ثم الصوف في الصوف .

وخبر الطيالة الرومانية الطبرية ، ثم الآملية^(٢) ثم المصرية ، ثم القومية^(٣) . وخبر اللبود الصينية ، ثم المغربية الحمر ، ثم الطالقانية البيض^(٤) ثم الارمنية ، ثم الخراسانية .
وخبر النور البري الموشح الشديد بياضه المشبع سواده الطويل الوشي الساباني^(٥) .
وأظرف النور الذي يكون في وسط سواده نقطة سوداء صغيرة بيضاء ، وإن كان سواده

(١) على ذكر الأكسية الطبرية نقل الجاحظ : ان قيمة الكساء الأبيض الطبري في عصره يساوي اربعمائة درهم والقومسي منها مائة درهم [كتاب الحيوان ٣ : ٨] .
(٢) قوله : الطيالة الرومانية نسبة الى الروان وهي مدينة من نواحي قزوين [الاصطغري ص ٢٠٦] — وابن حوقل ٢٦٩ — وكذا الآملية نسبة الى آمل وهما مدينتان بهذا الاسم : الاولى عاصمة طبرستان — وهي المقصودة هنا — مشهورة بضأنها وصوفها ومنسوجاتها [المقدسي ص ٣٥٥ وابن حوقل ٢٧١] والثانية مدينة في غربي جيحون في سمت بخارى بينها وبين جيحون نحو ميل .

(٣) القومية ، نسبة الى قومس من أكبر مدائن الديلم ، قال ابن حوقل : ويرتفع من قومس أكسية معروفة تحمل الى الامصار وهي فاشية في جميع الارض [المسالك والممالك ص ٢٧١] — وقال المقدسي : اما قومس فلمهم المناديل البيض من القطن المعلقة صفار وكبار وسواذج ومخشاة ربما يبلغ المنديل منها التي درهم ، ولم ايضا أكسية وطيالة وثياب رفاق من الصوف [كتاب أحسن التقاسيم ص ٣٦٧] .

(٤) نقل ابو منصور الثعالبي هذه العبارة من هذا التأليف وعزاها الى صاحبها فقال : وذكر الجاحظ في كتاب «التبصر بالتجارة» ان خبر اللبود الصينية ثم المغربية الحمر ثم الطالقانية البيض [ثمار القلوب ص ٤٣٣] . وتبعه النويري فنقل عين العبارة المتقدمة عن الجاحظ لكنه جعل اسم الكتاب «النظر في التجارة» [نهاية الارب ج ١ ص ٣٦٧] وهو تحريف واضح لتشابه ما بين لفظ «التبصر» و«النظر» — فلينبه .

(٥) الساباني ، نسبة الى السابان ، وهو في الفارسية الطائر المعروف بالزرزور الذي ريشه منقط بنقط بيض ونقط سود ، وبه شبه الجاحظ هنا المختار من جلد النور البرية ، كان أقرب اليه أن يقول في نمته زرزوري اي في لون الزرزور ، وهو عربي صريح .

متصلاً بهفه ببعض بشطية من سواد خفيفة كان أطرف له ، واذا كانت فيه حمرة مع بياض بقى وسواد حالك كان أحسن وأبلغ في الثمن ، ونمور البربر صفار ومقدار الجلد منها ما يغشي سرجاً مفرداً ، ومنتحي ثمن الجلد منها خمسون ديناراً ، وأما المغربية والهندية فهما أوسع وأكبر ولا يبلغان في الثمن ولا يرتفعان ، وخير النمرود الوشي ، وخير القطن الأبيض اللين الصهار الحبوب اللطيف البياض الصافي .

وزعم أن القرمز حشيشة تكون في أصلها دودة حمراء تنبت في ثلاثة مواضع من الأرض : في ناحية المغرب بارض الاندلس ، وفي رستاق يقال له تارم^(٢) وفي ارض فارس ، ولا يعرف هذه الحشيشة وأما كنها الا فرقة من اليهود يتولون قلعها كل سنة في ماء اسفندارمذ^(٣) فتيبس تلك الدودة ويصبغ بها الابريسم والصوف وغير ذلك ، وخير ما يصبغ في الأماكن بارض واسط .

(١) عرف الرحالة ابن حوقل القرمز الارمني بقوله : وهو صبغ أحمر يصبغ منه المرعزي والصوف ، وأصله من دود ينسج على نفسه مثل دود القز اذا نسجت على نفسها القز [المسالك والممالك ص ٢٤٤] .

(٢) تارم ، من مدائن فارس من ناحية شيراز بينهما ٨٢ فرسخاً [الاصحري ص ١٣١ وما بعدها — وابن حوقل ص ٢٠١ و ٢٠٣ و ٢٢٦ — والمقدسي ٤٢٣ و ٤٢٦] .

(٣) ماء اسفندارمذ ، هو اسم الشهر الثاني عشر من السنة الشمسية عند الفرس ، واليوم الخامس منه هو « اسفندارمذروز » كان من الأعياد الكبيرة عند قدماء الفرس وفيه كانوا يلتقطون الاعشاب من الجبال والادوية ويغذون الادهان ويهيشون البخور والدخن ، وفيه تكتب الرقاع لدفع الهوام والحشرات فيكثبون من ظهور الفجر الى طلوع الشمس رقية على كواغذ مربعة ويلصقون منها على الجدران [راجع كتاب الآثار الباقية عن القروث الاخالية للبيروني طبعة ايمبيج سنة ١٨٧٨ ص ٢٢٩ — وعنه نقل القزويني في كتابه « عجائب المخلوقات » طبع بهامش حياة الحيوان ص ١٢٨ وما بعدها] —

أقول : وهذه العادة الفارسية القديمة لم تزل متبعة في البلاد التونسية من كتب رقاع صفار بها آية السموم من القرآن وذلك اليوم الاول من شهر مايو الأعجمي ثم يلصقونها بمدخل البيوت دفعا للعقارب والحشرات السامة .

وزعموا ان البلسان شجر بارض مصر يُشرطُ في ايام الربيع فيخرج منه دهن البلسان فيؤخذ منه ٦ وهو مفقود في الارض كلها ما خلا مصر^١ .
وحب الزلم^٢ ينبت بارض شهرزور ٦ وزعموا انه جيد للجراح ٦ والقرماز شجر بالفارسية بنجكشت (؟) قلما يوجد الا ومعه الدفلى ٦ وهو نبت يستخير بالدفلى النابتة عنده يقال له قازهر^٣ فلذلك غرس معه في موضع يكون به ٦ وقيل حُمِلا جميعا من الروم وله قصة عجبية طويلة .

« باب ما يجلب من البلدان من طرائف السلع والامتعة والجواري »
« والاحجار وغير ذلك »

يُجلب من الهند : الببور والتمور والبقيلة وجلود التمور والياقوت الاحمر والصندل الأبيض والأبنوس وجوز الهند^٤ .

(١) البلسان المصري ٦ قال الاصطغري : وحوالي القسطاط زرع ينبت مثل القضبان يسمى البلسم يتخذ منه دهن البلسان لا يُعرف بمكان في الدنيا الا هناك [الاصطغري ٥٤] وجعله ابن حوقل في عين شمس خاصة [المسالك والممالك ص ١٠٦] .

(٢) حب الزلّم ٦ عرفه ابن البيطار بقوله : هو حب دمم مفرطح اكبر من الحمص قليلا أصفر الظاهر أبيض الباطن طيب الطعم لذيذ المذاق ويجلب من بلاد البربر ٦ وينبت في ناحية شهرزور ٦ وقد ينبت منه شيء بصعيد مصر يستعمل بالسقيط [جامع مفردات الادوية ٤ : ٢ و ١٦٦] — قلت وهو المعروف عندنا في تونس بحب عزيز .

(٣) المشهور ان الفازهر حجر كريم لانبات كما ورد هنا ٦ وانه صنفان حيواني ومعدني وهو عند الانرج (Bézoar) واسمه فارسي معرب وأصله بازهر ومعناه «منفي السم» — وقد ذكر معدنه وأوصافه وخواصه ومنافعه جماعة من علماء الاحجار كابن البيطار في مفرداته والتيفاشي في كتاب أزهار الافكار والفردوسي في عجائبه ومسوام كثير ٦ فليراجع هنالك .

(٤) قال ابو منصور الثعالبي : وبلاد الهند من الخصائص ما لم يكن لغيرها فيها الفيل والكركدن والبر واليهاء والطاؤوس والذجاج الهندي والياقوت الاحمر والصندل الأبيض والعاج والساج والتوتيا والقرنفل والسندل والفلفل وغيرها من العقاقير [ثمار القلوب ٤٢٣] .

ويجلب من الصين : الفرند والحريز والفضائر^(١) والكاغد والميداد والطواويس والبراذين الفرّة والسروج والأبود والدارصيني وادارند^(٢) الروم الخالص ، ويجلب من أواني الفضة والذهب والدنانير الخالصة القيسرانية والعقاقير والبريون والايرون والديجاج والبراذين الفرّه والجواري وطرائف الشبّه والأفقال المحكّمة واللورا^(٣) ومهندسو الماء وعلماء الحراثة والاكارّة وبناء الرخام والخصيان .

ومن ارض العرب : الخليل العراب والنعام والفجائب والقانة^(٤) والأدّم^(٥) .
ومن البربر ونواحي المغرب : السمور والقرظ^(٦) واللبود والبزاة السود .

(١) الفضائر ج غضارة هي القصعة أو الصحن الكبير ذو ساق يتخذ من خزف ، وارتفاع الفضائر ما يؤتي به من الصين كانص عليه الجاحظ هنا لاشتهارها وحسن صنعها وجودة طليها وجمال رونقها ، وقال شمر : الفضار الطين الاحمر نفسه ومنه يتخذ الخزف الذي يسمى الفضار . وقال ابن دريد فاما الغضارة التي تستعمل فلا أحسبها عريضة محضة [تاج العروس وغيره] .

(٢) لفظ « ادارند » هنا لا معنى له ، وأظنه تحريفًا من الناسخ ، ويظهر انه قصد الراوند . قال مرتضى الروند الصيني وهو أنواع أربعة أعلاها الصيني ودونه الخراساني ويعرف بروند الدواب تستعمله البياطرة وهو خشب أسود ، والاطباء يزيّدونها الفأ فيقولون « راوند » ولفظه ليس بعربي محض [تاج ٢ : ٣٥٩ و ٣٦٠ مادة راد] .

(٣) كذا بالأصل ولم أر لها معنى ، ولا شك ان الناسخ حرف فلم يأت باللفظ على أصله اللهم الا ان يكون اللاذ واللاذة وهي ثياب من حرير تنسج بالصين تسميها العرب والعجم اللاذ [المخصص ٤ : ٦٨] وفي القاموس اللاذة ثوب حرير أحمر ينسج بالصين .

(٤) القانة وجمعها القان ، هو شجر جبلي ينبت ببجيرة العرب . زاد الازمري ينبت في جبال يتهامة ويتخذ منه القسي [لسان العرب] .

(٥) الأدّم ج أديم ، هو الجلد المدبوغ اذا كان عليه شعره أو صوفه أو وبره .

(٦) بالاصل القرض ، وهو تحريف واضح وصوابه القرظ ، وهو ورق السّم تدبغ به الجلود ، وقيل هو السنط يتنصر منه الاقافيا وهو مما يتداوى به [المعاجم اللغوية] .

ومن اليمن : البرود والأدم والزرافات والجواميس (١) والعقيق والكندر (٢) والخطير (٣) والورس (٤) .

ومن مصر : الحمر الهاليج^(٥) والثياب الرقاق والقراطيس ودهن البلسان ، ومن المعدن الزبرجد الفائق .

ومن الخزر : العبيد والإماء والدروع والبيضات والمغافر .

ومن أرض خوارزم : المسك والقاقم والسمور والسجباب والفنك وقصب الطيب .

ومن سمرقند : الكاغد^(٦) .

(١) كذا بالأصل ولا أدخلها إلا الجواشن ج جوشن ، وهو الدرع من حديد . وقال ابن سيده زرد بلبسه الصدر والخيزوم [المحكم ، خط بالمكتبة الزيتونية في تونس] .
(٢) الكندر ضرب من العلك عن ابن سيده وهو الألبان عند الأطباء وغيرهم [تاج : ٥٢٩ : ٣] .

(٣) الخطير — بالكسر — نبات يجعل ورقه في الخضاب الأسود يختضب به ، وقال ابو حنيفة هو شبيه بالكتم وكثيراً ما يثبت معه واحدة خطرة [تاج : ١٨٣ : ٣] .
(٤) قال الثعالبي ومن خصائص اليمن الزرافة ، وكان الاصمعي يقول اربعة قدم ملأت الدنيا ولا تكون الا باليمن الورس والكندر والخطي والعقيق [كتاب ثمار القلوب ٤٢٥] وقد جعل الناسخ هنا الخطي — وهي الرمح — مكان الخطر ، فلينبه .

(٥) علي ذكر الحمير المصرية قال الاصطخري : وبمصر بغال وحمير لا يعرف في شيء من بلاد الاسلام أحسن ولا أثمن منها ، ولم من وراء اسوان حمير صفار في مقدار الكباش معلمة تشبه البغال المعلمة ، اذا خرجت من مواضعها لم تمش ، ولم حمير يقال لها [السملاقية] بارض الصعيد زعموا ان احد أبويها من الوحشي والآخر من الاهلي فعي أسير تلك الحمير [راجع مسالك المالك ص ٥٥ وكذا ابن حوقل ص ١٠٧] .

(٦) كاغذ وكاغذ وكاغذ ، لفظ صيني معرب دخل العربية بطريق الفارسي ، ولم يكن الكاغذ معروفاً بالمشرق في أول عهد الاسلام وإنما كانت الكتابة على القراطيس المتخذة من البردي المصري أو على الرقوق ، وأول ظهور الكاغذ في الاسلام كان في سمرقند صنعه هنالك أسارى من الصين أسرم الامير زياد بن صالح في وقعة اطلخ سنة ٣٤ للهجرة

ومن يلج ونواحيا : العنب الطيب والفوشنة^(١) .

ومن يوشنج : السكر المربي .

ومن مرو : الصرايون بالبرابط والبرابط الجيناد والطنافس والثياب المروية^(٢) .

فاتخذوه له من خرق الكتان والقنب على ما كان جار في بلادهم فقدم الناس من ذلك الحين وكثر صنعه في بقاع متعددة من بلاد الاسلام ، ومنها دخل الى اوروبا واشتهر — قال ابو منصور الثعالبي : كواغد سمرقند هي من خصائصها التي عطلت قراطيس مصر والجلود التي كان الاوائل يكتبون فيها لانها أنعم وأحسن وأرق ، ولا تكون الا بسمرقند والعين ثم كثرت الصنعة واستمرت العادة حتى صارت مغبراً لاهل سمرقند فعم خبرها والارتفاق بها الى جميع البلدان في الآفاق [ثمار القلوب ص ٤٣١] — وذكر المقرئ في خطه ان جعفر البرمكي هو اول من استبدل الكتابة على القراطيس بالكاغد في الدواوين [النويري ١ : ٣٦٧] .

أقول : ومن أشهر الاصناف التي كانت تصنع قديماً في العالم الاسلامي : الكاغد الفرعوني تقليداً للقراطيس المصرية المستعملة الى حدود ذلك الوقت ، والكاغد السلجاني نسبة الى سليمان بن رشيد ناظر بيت المال بخراسان على عهد الخليفة هارون الرشيد ، والجعفري منسوب الى جعفر البرمكي الوزير العباسي ، والظلي منسوب الى ظلمة بن طاهر ثاني امراء بني طاهر ، والنوحى نسبة الى الامير نوح الاول من بني ساسان ، وسوى ذلك كثير ، وقد شاعت الوراقة في البلاد العربية وخصصت بدور صناعة في العراق واليمن وفارس والشام ومصر والمغرب — لا سيما في القيروان والمهديّة — وفي الاندلس خصوصاً بمدينة شاطبة (Xativa) وغيرها [انظر كتاب الفهرست لابن النديم ص ٢١ وصح الاغشي ١ : ٤٧٤ و ٤٧٦] .

(١) الفوشنة ، ويسمونها أبو بكر بن الفقيه الهذلي [الفوشنة] [كتاب البلدان ص ٢٥٥] ولم نهند الى معرفة ماهيتها .

(٢) ثياب مرو ، قال الثعالبي : كانت العرب تسمي كل ثوب صفيق يحمل من خراسان المروية وكل ثوب رقيق يحمل منها الشاهجاني ، لان مرو عندهم أم خراسان ، ويقال لها مرو الشاهجان ، وقد بقي الى الآن اسم الشاهجان على الثياب الرقيقة ، ولم يختص

ومن جرجان : العناب والتدرج وحب الرمان الجيد واليرمق^(١) اللين والابريسم الجيد^(٢)
ومن آمد : الثياب الموشية والمناديل والمقارم^(٣) الرقاق والطباسة من الصوف .
ومن دباوند^(٤) : نصول السهام .

به مرو الثياب [المخم] [ثمار القلوب ص ٤٣١] — ومن ينسب الى مرو من الرجال يقال
له مروزي ومن الثياب مروزي [العقد الفريد ٣ : ٢٥٧] . أقول : والمتعارف هو ان
النسبة الى مرو الروز : مروزي ، والى مرو الشاهجان : مروزي ، للتفريق بين المدينتين .
(١) لم تقف على معنى اللفظ [اليرمق] وكأنه تحريف [الزرمق] بالفتح ، فارسي معرب
[نرمة] وهو اللين الناعم من كل شيء ، وانشد الليث لرؤبة يصف شبابه .

أجر خزا خطلاً ونرمقا ان لربعان الشباب عثمقا
[تاج ٧ : ٧٥] — ويمكن ان يكون ايضاً [يلقى] ج يلامق وهو ضرب من الفراء المبطننة .
(٢) قال الاصطخري ، ويرتفع من جرجان من ابريسم شيء كثير ، وابريسم
طبرستان يحمل بزر دوده من جرجان ولا يرتفع من بزر طبرستان ابريسم ، وبجرجان الثلج
والخيل وفواكه الصرود والجروم من التين والزيتون وسائر الفواكه [الاصطخري ص
٢١٣ وابن حوقل ص ٢٧٣] — وقال المقدسي ، ولاهل جرجان المقانع القرابات تحمل الى
الين والعناب ، ولم ديباج دون [أحسن التقاسيم ص ٣٦٧] .

(٣) المقارم ج مقومة وهي الستر ، وعن ابن الاعرابي هي الحبس نفسه يقرم به الفراش
قال . وهو ثوب من صوف فيه الوان من عهون فاذا خيط فصار كأنه بيت فهو ككة ، وقد
تزين المقارم في اطرافها بالزجاج وهي نسيجة حمراء عرضها ثلاث أصابع وأربع [المخصص
٧٥ : ٤] أقول . وقد أخذ الافرنج لفظ مقومة عن اللغة العربية واطلقوه على نوع من
الطرز يسمىونه Macramé .

(٤) دباوند — كذا بالاصل وهو عندي تحريف من الناصخ وصوابه [دباوند] وهو
جبل عال بناحية كرمان ، قال ابن الفقيه . وبكرمان مدينة يقال لها [دمندان] وهي
مدينة كبيرة واسعة وبها اكثر معادن الذهب والفضة والحديد والنحاس والنوشادر والصفير
ومعدنه يجبل يقال له [دباوند] جبل مرتفع شاهق في الهواء ارتفاعه ثلاث فراسخ
[كتاب البلدان ٢٠٦] .

ومن الري : الخوخ والزنبق والبرمق والاسلحة والثياب الرفاق والامشاط والقلائس الملكية والقسيات^(١) الكتان والمان^(٢) .

ومن اصفهان : الشهد والعسل والسفرجل والكثيرى الصيفي والتفاح والملح والزعفران والاشنان والاسفيداج^(٣) والكحل والسرر المطبقة والاثواب الجياد والشراب من الفواكه^(٤)

ومن قومس الفؤوس والامساح والجتر (٥) والعيالة من الصوف .

ومن كرمان النيلج والكون .

ومن الجور الجوارشن (٦) .

(١) بالاصل : القسيات ، وعندى انها القسيات ، نوع من الثياب كانت تجلب اولاً من قس بمصر ثم أطلق الاسم على غيرها ، وقد ورد ذكرها في الحديث الشريف (راجع النهاية في غريب الحديث والاثر لابن الاثير) وقال ابن سيده : الثياب القسية تنسب الى قس وهو موضع وهي ثياب فيها حرير تجلب من نحو مصر وقد نهي عن لبسها [المخصص ٤ : ٢٢] .

(٢) قال الثعالبي وكان يحمل الى السلطان مع خراج الري — وهو اثنا عشر الف الف درهم — من الرمان مائة الف ومن الخوخ المقدد مائة الف رطل [ثمار القلوب ٤٢٨] .
(٣) الاسفيداج ، فارسي معرب وهو نوع من الطلاء أبيض اللون شارقه ويسميه الافرنج Blanc de ceruse وهو المعروف في تونس بالباروق ، وقد أطلال ابن البيطار ذكر صنعه وتحضيره فليراجع [جامع المفردات ١ : ٣١] .

(٤) قال الثعالبي وكان يحمل من اصفهان الى حضرة السلطان كل سنة مع خراجها — وهو واحد وعشرون الف الف درهم — قدر كبير من الكحل ومن العسل الف الف رطل ومن الشمع عشرون الف رطل ، وكلها موصوف بالجودة والزعفران بها كثير [ثمار القلوب ٤٢٧] .

(٥) الجتر ، فارسي معرب وهي المظلة تتخذ للوقاية من الشمس .

(٦) كذلك بالاصل والاقراب ان تكون الجوارشن ج جوشن وهي الدروع وقد ذكرها الجاحظ في « المحاسن والأضداد » [فصل محاسن الهدايا] .

- وبزر قطونا (١) .
- ومن برذعة البغال الفرة (٢) .
- ومن نصيبين الرصاص .
- ومن فارس الثياب الكندان التوتري والسابري وماء الورد (٣) ودهن الزيتون
- ودهن الياسمين والأشربة .
- ومن قسنا الفستق وأصناف الفواكه وطرائف الشعر والزجاج .
- ومن عمان وسواحل البحر اللؤلؤ .
- ومن ميسان الأنماط والوسائد .
- ومن الأهواز ونواحيها السكر والديباج الخنز (٤) .

(١) بزر قطونا ، نبت معروف وهو صنفان شتوي وصيفي وأنفع ما فيه بزره ، وهو الاسفيون بالفارسية وفي اليونانية فسيلون *Psyllium* [راجع المختصر الفارسي للصقلي ، والمعتمد في الأدوية لابن رسولاً طبع مصر ص ١٦٦] وكشف الرموز للجزائري وغير ذلك .

(٢) قال الاصطخري ويرتفع من نواحي برذعة بغال تجلب الى الآفاق [المسالك ٩٠] وقال ابن حوقل ويجلب منها من البغال الجياد الموصوفة بالنجابة والصحة والجلد والصبر الى خراسان والعراق والشام وغير ذلك ما يستغنى شهرته عن ذكره [حوقل ٢٤٨] .

(٣) قال الثعالي جور من كور فارس مخصوصة بالورد الذي لا أطيّب منه في سائر البلاد يضرب به المثل في الطيب وهو محبوب الى أقاصي المشرق والمغرب وكان يحمل من فارس الى الخلفاء كل عام مع خراجها من ماء الورد سبعة وعشرون ألف قارورة [ثمار القلوب ٤٣٧ — وراجع أيضاً الاصطخري ١٥٢ وابن حوقل ٢١٣ والمقدسي ٤٤٣] .

(٤) السكر من خواص الأهواز ومفاخرها ومتاجرها ، ولا يكون الا بها على كثرة قصب السكر في سائر النواحي ، والمثل مضروب بسكر الأهواز كما قال ابو الطيب المتنبي

تقضم الجمر والحديد الاعادي دونه قضم سكر الأهواز

وكان يحمل الى الخلفاء كل عام مع خراج الأهواز — وهو خمسة وعشرون ألف درم — ثلاثون ألف رطل من السكر ، وبما ينسب الي الأهواز من النفائس ديباج تسير وبخر السوس ، قال كشاجم بصف الروض

- • • • • والصناعات والرقاصات (١) ٠٠٠٠ وأنواع القمح والدبس والقند (٢) •
ومن السوس ٤ الأترج ودهن البنفسج والشاه سبزم (٣) والجربال والبراذع •
ومن الموصل ٤ الستور والمسوح (٤) والدراج والسماكي •
ومن حلوان ٤ الرمان والتين والكناخ (٥) •

كان الذي ديجت تسر وطرزت السوس فيه تسر

[ثمار القلوب ٤٢٦] •

(١) حصل منا ترهل عطّل قراءة بعض الكلمات • اما لفظ «الصناعات» الواردة بالاصل فأظنها تحريفاً من الناسخ ولا أخالها الا «المنصاحات» وهي الجلود واحدها نصاحه [راجع المخصص ٤ : ١٠١] — وكذا قوله «الرقاصات» فهي عندي «الطراحات» ج طراحة وهي مقاعد صغيرة مرابّة تطرح في البيوت •

(٢) القند والقندة ٤ معرب «كند» وهو عصارة أو عسل قصب السكر اذا جمد وهو المعروف عند الأطباء بسكر النبات ويسميه الافرنج Sucre candi اي سكر مرابى (٣) شاه سبزم ٤ ويقال ايضاً شاه سبزم وشاه سبزم ٤ نوع من الرمان كان يسمى الرمان السلطاني والحبك الكرمانى ٤ واللفظ فارسي معرب «شاه سبزم» وهو مما عربت قديماً لوقوعه في شعر الأعشى [شفاء الغليل وتاج العروس ٨ : ٣٦١] — وكتساب المعتمد لابن رسولاً ص ١٧٨ وغير ذلك •

(٤) المسوح ج مسح ٤ عرب ابن سيده كساء مخطّط يكون في البيت يستتر به ويفترش [المخصص ٤ : ٨٠] ولا يخفى ان منسوجات الموصل كانت لها من قديم الزمان شهرة كبيرة في الشرق والغرب حتى ان الامم الافرنجية أطلقت عليها اسم Mousseline تذكيراً لاصل موردها •

(٥) الكناخ ٤ فارسي معرب وأصله «كامه» ويجمع على كوامخ ٤ قال الجواليقي الكناخ الذي يؤتم به [كتاب المعرب] وقال مرتضى وغيره في شرح الكناخ ومنهم من خصه بالخلاّت Hors d'œuvres التي تستعمل لتشهي الطعام [تاج ٢ : ٢٧٦] وكذا شفاء الغليل — أقول والمعنى الاخير هو المقصود هنا ويؤيده ما حكاه الجاحظ نفسه في البيان والتبيين [ج ٣ ص ١٩١ من طبعة مصر سنة ١٣٣٢] •

ومن أرمينية واذربيجان ، الأبود ٠٠٠٠ والبراذع والفرش والبسط الرقاق والشكك والصوف (١) .

« باب ما يختار من البزاة والشواهين والبواشق والصقور وغير ذلك »
« من جوارح الطير »

خير البزاة البيض ما يقع بناحية الترك الى جيلان ، ثم السود الغراية التي بناحية الزنج الى الهند والى اليمن ، ثم الحمر المشرقة ، ثم الديزج (٢) .
وخير الشواهين السود الغراية البحرية ، والبيض الجرجانية .
وكذلك البواشق يستحب منها السود الغراية البحرية ، ثم البيض الهندية ، ثم الحمر البحرية ، الحُمُرُ البطن والصدر يكانات (٣) بيض ، المزهر اللون ، الكبير الرأس ،

(١) قال ابن حوقل عند ذكره أرمينية واذربيجان ، وبهذه البلاد وفي اضعافها من التجارات والمجالب وأنواع المطالب من الدواب والأغصام والياب المحلوبة الى الدواحي والأقطار ، معروفة لهم ومشهورة كالتكك الارمنية التي تعمل بسلام ، تباع التكة من دبنار الى عشرة دنائير ولا نظير لها في سائر الارض . ثم قال وأكثر ما يخرج الى بلاد الاسلام من الديباج والزيون وثياب الكتان الرومي وثياب الصوف والاكسية الرومية فمن اطرايزنده [المسالك والممالك ص ٢٤٦] — وقال النعماني وكان يحمل الى حضرة السلطان مع خراج ارمينية كل عام — وهو ثلاثة عشر الف الف درهم — من البسط المحفورة (?) ثلاثون بساطاً ومن الرق خمسمائة وثمانون قطعة ومن البزاة ثلاثون بازيًا [ثمار القلوب ٤٢٨] .

(٢) الديزج ، فارسي معرب ديزه بالكسر ومعناه ذو لونين أو هو بين لونين غير خالص [تاج ٤٢ : ٢] ويروى ايضاً دبرج بالراء المهملة [النهاية لابن الاثير ٢ : ٢٢] .
(٣) يكانات ، فارسي معرب وأصله « يكانه » ومعناه واحد والمقصود هنا معلّم بنقط بيض .

الغائر العينين من غير هزال ، العريض المخزبين ، الواسع الصدر مرتفعه ، اللين الزغب ، الطويل الذنب ، الاخضر الأرجل الذي رجله قريبة من الدستان (١) الثقيل الوزن فاذا بلغ وزنه مائة وثلاثين (٢) فذلك غابة (٣) .
وزعموا ان البؤيؤ (٤) ذكورة الصقور ، والعنصي (٥) ذكورة البواشق وذكورة البزاة بمنزلة البؤيؤ الصغير .

(١) الدستان ، فارسي معرب وهو القفاز من جلد يتخذة البباز في يده عندما يلعب أو يصطاد بالطير الجوارح .

(٢) كذا ورد من غير تعيين ، والمطلون انه يقصد مائة وثلاثين درهماً يعني نحوارب عائلة وعشرة غرامات باعتبار وزن الدرهم الشرعي بثلاثة غرامات وخمسة عشر سنتيغرام .

(٣) قال القلقشندي المختار من صفات الشواهين فيأذكره صاحب «المصايد المطارد» الأحمر اللون اذا كان عظيم الهامة ، واسع العينين حادها ، سائل السفعتين ، تام المنسر ، طويل العنق ، رحب الصدر ممثلي الزر عريض الوسط جليل الفخذين ، قصير الساقين ، قريب العقدة من القفا ، طويل الجناسحين ، قصير الذنب ، سبط الكف ، غليظ دائرة الخصر ، قليل الريش لينة ، تام الخوافي ، ممثلي المكوة [صبح الاعشى ٢ : ٥٨] — وقال ايضاً في صفة البزاة ناقلاً عن الكتاب المتقدم . المختار من ألوانها الأحمر الأكثر سواداً الغليظ خطوط الصدر ، الاشهب الشديد الشبهة الشبيه بالابيض ، الاصفر المدبج الظهر — ثم قال ان ذكر البازي يسمى الرزقي [صبح ٢ ص ٥٦ و ٥٧] .

(٤) «البؤيؤ» قال القلقشندي وتسميه اهل مصر والشام الجلم ، هو طائر صغير أسود اللون يضرب للزرقعة ويسمونه الجلم أخذاً من الجلم وهو المقص تشبيهاً به لان له سرعة كسرعة المقص في قطعه [صبح ٢ : ٦١] .

(٥) «العنصي» طائر صغير اشتق اسمه من لونه إذ كان يشبه العنص — و. رد في صبح الاعشى اسم العنصي «بالفقي» . في التعليق عليه قال مصححه «العنصي» (٩) وكلاهما تحريف . العواب العنصي كما هنا للسبب الذي ينسأ — قال القلقشندي . هو باز قضيب قليل الصيد ذاهل النفس [صبح ٢ : ٥٧] .

وقالت الفرّس لا يكاد الفرّس والبازي يكونان حسبي المنظر لا يخبر لهما ، ولا حسبي الخبر لا منظر لهما ، فان اجتمع الخبر والمنظر كان فائزاً .

« باب آخر »

كل ثوب من اللباس والفرش اذا كان ألين وأنعم وأسفى كان أرفع ، وكل علق من الجواهر والأحجار اذا كان أصفى وأضوأ فهو أنفس ، وكل حيوان من الوحشية والاهلية اذا كان أجسم وأطوع فهو آثر وأغفر ، وكل انسان من الشريف والوضيع اذا كان أعقل وأسهل فهو أجمل ، وكل امرأة حرة أو أمة اذا كانت أكثر سكوناً وأجمل حالاً وأنزراً طعماً وأشكر للناس فهي أصون ، وكل طير من السهلية والجبلية اذا كان آلف كان آثر ، وكل طارف وتالد اذا كان أذكى وأجل فهو أهنأ ، وكل عدو صغير أو كبير اذا كان حميماً فهو أعدى وأشدّ حسداً ، ومن لم يعرف مأواه فحذوّر قربه ؛

والدول تنتقل والأرزاق مقسومة فاجملوا في الطلب وارحموا المسكين واعطفوا على الضيف تجازوا به وثابوا ، والقضاء جالب يجلب الامور ، وخير النوم ما يذهب الاعياء والكسل ؛

ومعرفة الاشياء بالحواس الخمس جودة الشيء بالنظر ان يكون حسناً رائقاً ، وبالحيشوم اذا كان طبيباً أرجأ ، وبالمذاق اذا كان حلواً عذباً ، وبالسمع ان يكون صافي الوقع والصوت ، وبالمس ان يكون ليناً ناعماً ^(١) .

وكانت المعجم تقول القلب والبصر شريكان ، والطعم والحس متفقان ، والفطنة والحفظ رفيقان ، والسمع والمنطق مجتمعان .

وخير الناس السهل الطلق الوجه المتواضع ، وفراصة الرجل السوء ان يكون منقبضاً

(١) ذكر الجاحظ [الحواس الخمس] غير ما مرة في غرضون تأليفه المطبوعة ، قال هي السمع ، والبصر ، والدوق ، والشم ، والحسة — ولم يقل الخمس [كتاب الحيوان ج ٣ ص ٨٩] .

غير منشرح ، وان يرى لونه الى العفرة والكود من غير مرض ، وان يكون طائش القلب ، وان يكون للدعابة والمزاح كارهاً له عائباً ، وان تراه غايظ اللفظ عند المحاوره .
ومن فراسة الرجل الصالح ان تراه سهلاً طلقاً ذا منظر بهي وكلام شهي ، سبط الجبين غير منقبض ولا نزق علق قلق ، وغير كاره للدعابة والمزاح ، يذكر من يذكر بحير لين المحاوره متواضعاً .

وزعم سابور الملك انه ليس ينبغي للعناقل ان يعتد بقول سبعة من الناس بقول السكران ، الدلال ، والمضحك ، والعليل ، والعراف ، والنمام ، والنساء .

ثم الكتاب والله المنه والحمد كما هو اهله
وصلى الله على محمد وآله . سلم



مكتبة جامعة طهران

تتمة للناشئ

— (١) —

رأينا من المناسب ان نثبت هنا فصلاً عقده الرحالة ابن الفقيه الهمداني — وهو قريب من عصر الجاحظ — في (كتاب البلدان) له في «ذكر ما خص الله تعالى كل بلدة بشيء من الأمتعة دون غيرها» — وقصدنا بذلك مقابلة ما كتبه الجاحظ في باب «ما يجلب من البلدان من طرائف السلع والامتعة وغير ذلك» وهو الوارد فيما مر من رسالته هذه .

قال ابو بكر احمد بن محمد الهمداني المعروف بابن الفقيه (١) :

ولولا ان الله عز وجل — خص بلطفه كل بلد من البلدان واعطى كل اقليم من الاقاليم بشيء من نعمه غيرهم لبطلت التجارات وزهبت الصناعات ولما تغرب أحد ولا سافر رجل ولتركوا التهادي وزهبت الشراء والبيع والاخذ والاعطاء ، الا ان الله عز وجل أعطي كل صقع في كل حين نوعاً من الخيرات ومنع الآخرين ليسافر هذا الى بلد هذا ويستمتع قومٌ بامتعة قوم ليعتدل القسم وينتظم التدبير . قال الله عز وجل : «نحن قسمنا بينهم معيشتهم في الحياة الدنيا ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات ليخفذ بعضهم بعضاً مخفياً» وقال الله عز وجل «وقدّرنا فيها اقواتها» .

فخص الله — جل وعز — بلاد «السند» و«الهند» بانواع الطيب والجواهر كاليواقيت والاملاس وغير ذلك من الحجارة الثمينة والكر كدث والفيل والطاووس والاعواد والعنبر والقرنفل والسنبل والخلونجان والدارصيني والتارجيل والمليج والتوتياء والقنا والخيذران والبقم والصندل والساج والفلفل ومجائيب كثيرة ، وخص اهل «الصين»

بالصناعات واعطاهم ما لم يعط احداً فلم الحرير الصيني والغضائر والسرج وغير ذلك من الآلات المحككة العجيبة الصنعة المتقنة العمل ، ولم ايضاً مسك الا انه ليس بجيد ، وقالوا انما يتغير في البحر لطول المسافة ، ثم « الروم » وما قد خصها الله عز وجل به من العلوم والآداب والفلسفة والاحكام والهندسة والحدق بالابنية والمصانع والقلاع والحصون والمطامير وعقد الجسور والقناطر وعمل الكيمياء ، ولم من الديباج الرومي والبزبون ، وفي بلادهم الميعة والمصطكى ، ثم هذه البلاد وما خصت به من الرمي فهم رماة الحدق ولم الخيل العجيبة والافراس السابقة ، وفي بلادهم معدن الزبرجد والذهب وزهيم شبيه بزبي العرب كأنها قطعة من بلاد اليمن ، ولاهل « المغرب » البغال البرية والجواري الاندلسية والنمور الزنجية ، ثم ما قد خص به اهل « مصر » من النيل وعجائب ما فيه من السمك والخليل والتانسيج ولم السمك الرعاد والاسقنقور ، ولم الثياب الديقية والشطوية والقصب الموزن . المسير وغير ذلك من انواع ثياب الكشان والصوف من الاكسية ، ولم البغال المصرية والحمر المريسية والثياب التنيسية والاسكندرانية ، ولاهل (البحر) الحلل اليمانية والثياب السعيدية والعدينية ، وفي بلادهم الورس والكندر ، ولم التجائب المهرية والسيوف اليمانية ، وفي بلادهم القردة والنسناش وغير ذلك من انواع العجائب ، ثم (العراق) قلب الأرض وخزانة الملك الأعظم وما قد خص الله جل وعلا به أهل الكوفة خاصة من عمل الوشي والخز وغير ذلك من أنواع الفواكه والتمور والقشوب ما قد عدم مثله بالبصرة والأهواز وبغداد والنجف مثل الهيرتون والمُشاش وقصب العنبر والبرغشيان ، ولم الأدهان الطيبة الكثيرة ، ثم قل في عجائب (بغداد) ما شئت التي قد اجتمع فيها ما هو متفرق في جميع الأقاليم من أنواع التجارات والصناعات ، ولم الذي لا يشركهم فيه احد الثياب البيض المروية والزجاج المحكم من الأقداح والاقناع والكاسات والطاسات والغضائر الحجرية ، ولم الدارش واللكاه خاصة وفيها أعجوبة ، وذلك ان الدارش يتخذ من هذا الجانب واللكاه من ذلك الجانب فلو جهد صاحب الدارش ان يتخذ من جانب صاحب اللكاه لأعوزه وكذلك لو جهد صاحب اللكاه ان يتخذ في جانب صاحب الدارش لتعذر عليه ذلك ، علي انهم قد احتمنوا ذلك وجربوه ففسد وتمذر عليهم ، وقد جعل المعتصم بالله صناع القراطيس الى سر من رأى مع تربتها ومائها وامرهم بالتخاذه هناك فلم يخرج منه

الأخشن الذي يتكسر ؟ ولاهل كورة دجلة والسواد وميسان ودست ميسان من عمل الستور والبسط وعمل الميساني والحريير والذرائك والدوراك وغير ذلك من أنواع الفرش والبسط ما ليس لأحد ؟ ولاهل (البصرة) من الخيل وأنواع القور ما عدم مثله في جميع كور الخيل ؟ وذكر « الجاحظ » انهم أحصوا أصناف نخل البصرة دون نخل المدينة ودون مصر والهامة والبحرين وعمان وفارس وكرمان ودون الكوفة وسوادها وخير وذراتها والأهواز وما بها أيام المعتصم واذا ثلاثمائة وستون ضرباً من مغل معروف وخارجي موصوف وبديع غريب مع طيب عجيب ؟ ولاهل (الأهواز) انواع من السكر والقور ؟ ولاهل (السوس) خاصة (وجند يسابور) حذق في اتخاذ انواع ثياب الحرير والديباج وكذلك لاهل (تستر) ؟ ثم (الجبل) وعجائبها وما قد أعطوا من الفواكه السرية الكثيرة والزعفران والأفطان واتخاذ طرائف الألبان كالجبين واللوز ؟ ولاهل (همذان) خاصة حذق باتخاذ المرايا والملاعق والخامر والطبول المذهبة التي قد فاقوا بها واتخاذها جميع اهل الارض ؟ ولاهل (الري) الاطباق لمذهبة والحرير وآلات كثيرة يتخذونها من الخشب من الامشاط وغير ذلك من المالح والمغارف ، ولم الاكسية البيض الطرازية والطبالة البيض السرية والثياب المنيرة ؟ ثم بغداد الثانية اعني (اصبهان) وما أعطي اهلها من طيب الهواء وعدوبة الماء والحذق بانواع الصناعات ، فلم الثياب المروية والعنابسة والملاحم العجيبة والحلل الابريسمية المنسوجة وغير المنسوجة والثياب السعيدية ؟ (ولغارس) فضل في اتخاذ الآلات الظرفية المحكة من الحديد حتى لقد قال بعض الحكماء لما وقف على اشياء ظرفية عند بعض الملوك من آلات فارس : لقد ألان الله عز وجل لهؤلاء القوم الحديد وسخره لهم حتى عملوا منه ما ارادوا ، فهم احذق الامة بالجوامع والأقفال والمرايا وتطبيع السيوف والدروع والجواشن ، ولهم الثياب العجيبة والسنيوية ، ولهم الماورد الجوري والطين السيرافي ، الاكسية الفسوية والأدهان الساوورية والثياب الكازرونية ؟ ولاهل (سجستان) عمل المشارب السجوية والكيزان وآلات كثيرة من الشبم والصفر ؟ ولاهل (طبرستان) و (الدبل) و (قزوین) حظ من عمل الاكسية الرومانية والآلمية واتخاذ الشستانك والمناديل واشياء كثيرة من انواع ثياب القطف والصوف والابريسم والكتان ؟ ولاهل (جرجان) من الابريسم ما ليس عندغيرهم ومنها يحمل الى جميع البلدان

ولهم حذق بالتخاذ الديباج والمقانع والثياب والستور وغير ذلك ؛ ولاهل (نيسابور) الثياب
 المحممة والطاهرية ، ولهم التاختج والراختج ولبس هذا الألبم ؛ ولاهل (مرزو) الثياب
 المروزية والملاحم الفانقة التي هي أعلى الملاحم ؛ (وبخراسان) فواكه كثيرة مربية واعتاب
 طيبة ، ولهم الزبيب الكشمة هاني والكشمش وبغليج يقصد ، وقد كان فيما مضى يُحمل
 بطيخها إلى الخلفاء في قدور نحاس لشدة حلاوتها ولذتها وطيبها (كذا بالأصل) ، ولهم
 الأشتيرغاز والأفجندان والفوشنة والكياكان والرخمين والمتمن ، وبها معدن
 الفبروزج واللازورد والركب المروية والثياب السمروندية ، ولهم الأشكن والخلنج
 وبها العُتو ؛ (وبالترك) السمور والفنك ؛ (وبالتبت) المسك التبتية والدرق التبتية ،
 فسبحان من أعطى كل بلد نوعاً من الخيرات وجنساً من الصناعات ، وببارك الله
 أحسن الخالقين .



توهم الميةت حيا

« من كلمات اللغة »

—*—

كنت وأنا أتتبع كلمات اللغة التي توهم أهل اللسان الحرف الزائد فيها أصلياً والتي بنيت عليها ثلاث مقالات^(١) — كنت أجد أحياناً كلمات فيها شذوذ في صيغتها . وقد بنوا شذوذها على التوهم ايضاً . لكنه توهم عجيب الشكل . غريب الأمر :

توهمهم في الكلمات التي سردها في المقالات الثلاث كان توهماً مبنيّاً على مستند . وله أساس . أما هذه الكلمات (المكتشفة) فان توهمهم فيها لا مستند يستند اليه . ولا سبب معقول يمكن الاعتماد عليه .

فاذا قلنا لهم : لماذا قلتم (تمنطق) بالميم ولم تقولوا (تنطق) أجابوا باننا توهمنا أن ميم (منطقة) أصلية فاشتققنا منها (تمنطق) .

فهذا توهم له مستند وله أساس . ولصاحبه بعض العذر في مخالفة القياس . وأما الكلمات الجديدة فانهم خالفوا فيها القياس . وادعوا ان مخالفتهم مبنية على التوهم . لكنه (توهم مجرد) عن العلة والسبب بينما التوهم في كلمات النوع الأول (توهم معاًل) له علة وسببه .

ومحصل القول ان في اللغة كلمات شاذة في صيغتها جعلوها من باب (توهم الحرف الزائد أصلياً) لكنني لم أر لهذا الجعل حظاً من النظر . وانما هم اعتبروا التوهم فيه بمقياس أوسع مما صر في تخرج كلمات المقالات الثلاث .

(١) راجعها في (م ٥ ص ٢٠٥) و (م ١٠ ص ١٢٩) و (م ١١ ص ٥٣٩) من مجلة

مجمعنا العلمي .

ومن تأمل حق التأمل في هذه الكلمات الآتية وجدهم اعتمدوا في اشتقاقها على أصول مينة اعتبروها حية : ثم اشتقوا منها . فيصح لنا ان نقول انه اشتقاق مبني على (توهم الميت حياً) .

رقم (٥١) — (كذنة — كنانن) (الكذنة) زوجة الابن قالوا في جمعها (كنانن) مع ان القياس أن تجمع على (كنان) كما جمعوا (جنة) على (جنان) و (خلة) على (خلال) و (بغلة) على (بغال) و (قصعة) على (قصاع) وكما تجمع اليوم (لجنة) على (لجان) . هذا اذا لوحظ في لفظ (كذنة) أنه اسم غلب عليه الجود لاصفة . وكذلك اذا لوحظ فيه أنه صفة من (الكنن) بمعنى الستر كان القياس ايضاً ان يجمع على (فعال) كما جمعوا (صعبة) على (صعاب) و (سمحة) على (سماح) لكنهم لم يجمعوا (كذنة) الا على (فعائل) فقالوا (كنانن) ولما ذا ؟

قال (التاج) « كانوا توهموا فيه كذينة ونحوها مما يكسّر على فعائل » اهـ . وقد حاول الأزهري صاحب التهذيب أن يجعل جمع (كذنة) على (كنانن) مقيساً في كل ما كان على وزن (فعللة) مضاعفاً . فكان في محاولته هذه متكلفاً متعسفاً . وبقي القول للجمهور الذين يمثلهم صاحب التاج في ان السبب في جمعهم (كذنة) على (كنانن) هو توهمهم ورود (كذينة) على وزن (فعللة) .

وبيان ذلك انهم لاحظوا في (كذنة) معنى الصفة (كسحة) و (جادة) اللتين يقال فيهما ايضاً (سميحة) و (جليدة) ومثلها كثير في صفات الاناث التي على وزن (فعللة) . أما (كذنة) فانها — وان كانت على وزن (فعللة) — لم يقولوا بها كذينة على وزن (فعللة) . نعم لم يقولوا ذلك قولاً واقعاً في الخارج لكنهم قالوه قولاً متوهماً في النفس . وقد ظهر أثر هذا التوهم منذ جمعوا (كذنة) على (كنانن) لأن (كنانن) على وزن (فعائل) هو الجمع القياسي لما كان على وزن (فعللة) .

ومحصل القول ان العرب توهموا لفظ (كذينة) الميت حياً فجمعوه على (كنانن) واستغنوا به عن (كنان) القياسي .

(٥٢) — (حررة — أحرّتين) (الحررة) هي الارض ذات الحجارة السود كأنها أحرقت بالنار وتجمع على (حرار) و (حرّات) جمعاً قياسياً كما تجمع على (حزّين)

و (حرثون) اي بالياء والنون والواو والنون جمعاً غير قياسي وانما هو معدود في شواذ جمع المذكر السالم نظير سنين ومثين وأرضين .

فالجموع الثلاثة (حرار . حررات . حرثون) إما مقبسة وإما غير مقبسة ولكن لما نظائر . وهناك جمع رابع غريب الأطوار : لاقباس يعتمد عليه . ولا نظير يستند اليه . هو (أحرثون) و (أحرين) يعني بالواو والنون أو الياء والنون على نمط جمع المذكر السالم . وليس في هذا غرابة وانما الغرابة في وجود همزة في أوله فن أين جاءت هذه الهمزة ؟ ؟ ؟

جاءت من قاعدة (التوهم المجرد) وهي التي سميناها قاعدة (توهم المبت حياً) قال صاحب التاج : « من جموع (الحرّة) (أحرين) » وهو على توهم أن له مفرداً على (أحرّة) اه . يعني انهم توهموا وجود كلمة في اللغة تدل على معنى (الحرّة) وتلك الكلمة هي (أحرّة) بالهمزة في أولها . وبعد ان توهموها توهموا أو يقال بعد ان توهموها حية وهي ميتة — عادوا لجمعوها على (أحرين) . وزاد التاج عبارته السابقة قوة وتأبيداً فقال : « قال سيبويه وزعم يونس انهم يقولون حرة وأحرثون كأنه جمع (أحرّة) ولكن لا يتكلم بها اه » أي ان العرب لم ينطقوا بكلمة أحرّة إذ هي ميتة كما قلنا .

أما الشاهد على محي* (أحرين) في اللغة فهو رجز قاله (زيد بن عتاهية) وهو من اصحاب علي رضي الله عنه : فان علياً أعطى أصحابه يوم الجمل خمسمائة درهم وخمسمائة درهم ولما انهمز زيد المذكور يوم صفين ورجع الى الكوفة ابتدرته ابنته قائلة (اين الخمسمائة ؟) فأشدد :

(إني أبالثر فرّاً يوم صفين لما رأى عكراً والاشعرين)

(وإذا الكلاع سيد البانين قال لنفس السوء هل تفرّين)

(لا خمس الا جندل الاحرين والخمس قد يعشمتك الأمرين)

(جزاً الى الكوفة من قنسرين)

فقوله (لا خمس الا جندل الأحرين) معناه ليس لك خمسمائة درهم وانما لك حجار الحرّات . وقد كفى بذلك عن الخيبة .

هذا ما ناله (يونس) ورد عليه (نعلب) بان (الأحرّين) ليست جمعاً لحرّة (يعني على توهم أحرّة) بل هو جمع لكلمة (أحر) أفعل تفضيل من (العُر) وهو الكريم . فالأحرثون هي المواضع التي تكون أحرّاً وأكرم من غيرها واب جمع (الأحر) على (الأحرّين)

كجمع (الأكرم) على (الأكرمين) و (الأطيب) على (الأطيبين) . لكن (السخاوي) في (سفر السعادة) أبد (يونس) في أن (الأحرين) بالهمزة جمع (حرّة) من دون همزة ثم علل ورود هذا الجمع بما لا يسعنا ذكره هنا . فانت ترى أن جمع (حرّة) على (أحرين) مبني على توهمهم وجود كلمة (أحرّة) في اللغة العربية وهذا التوهم مجرد تحكّم أو هو من قبيل توهم الميت حياً .

(٥٣) — (مُسرّ — فهو مسرور ومُسرّ) جاء في أمثال العرب (كل مُبْجَرٍ في الخلاء مُسرّ) أصل هذا المثل أن رجلاً كان له فرس سماه (الأيلق) وكان إذا خلا به في الفلاة سابق عليه الطير والرياح وكان يُسرّ بشدة عدوه وسبقه في الخلاء حتى تُخدع بذلك وأدخل أيلقه في سباق الخيل بل لم بدخله إلا برهن من أول الأمر . وثوقاً بسبقه في الميدان كما سبق في الخلاء . لكن (الأيلق) المسكين سبق وخسر صاحبه الرهن فغضبوا به المثل وقالوا : (كل مُبْجَرٍ في الخلاء مُسرّ) أي مسرور يغربونه لمن يحمده ما في نفسه ولا يدري ما عند غيره من الفضائل . والشاهد في هذا المثل كلمة (مُسرّ) بصيغة اسم المفعول من (أسره) لكن لم يرد في اللغة (أسره) وإنما ورد (مُسرّ) ثلاثياً فهو مسرور :

إذن كيف قالوا في هذا المثل (مُسرّ) ؟

أجاب صاحبها اللسان والتاج بما نصه : (قال ابن سيده : هكذا حكى هذا المثل أقرار ابن لقيط : إنما جاء على توهم أسره) .

يعني أنهم قالوا (مسر) لا مسرور بناء على توهمهم وجود فعل (أسر) في لغتهم . ولم يبين لنا أرباب المعاجم سبب هذا التوهم ومصدره : توهموا الياء . في (ميشاق) أصالية لجمعوها على (مياثيق) والياء حية في (ميشاق) ليست ميتة وموجودة غير معدومة أما قولهم في المثل المذكور (مسرّ) لا (مسرور) فإن (أسر) ميت غير موجود لكنهم توهموه حياً فاشتقوا منه (مسرّ) .

(٥٤) — (أنبته — فهو منبوت) : كما توهموا وجود (أسره) الرباعي فاشتقوا منه (مسر) — توهموا وجود (نبته) السلافي فاشتقوا منه (منبوت) . مع أن (نبته) ميت غير موجود وإنما الموجود (أنبته) (والله أنبتكم من الأرض نباتاً) فاسم المفعول منه (منبت) لا منبوت . ومن أين جاء منبوت إذن ؟

اجاب صاحب اللسان في مادة (سر) وهو يشرح كلمة (سر) الواردة في المثل السابق بقوله : ومثله منبوت في قول الشاعر .

(وبلد بغضي على النعوت بغضي كغضاء الروي المنبوت)

(اراد المنبت فتوم نبته كما اراد الآخر المسرور فتوم أسرهِ) اهـ

واعلم ان الكتبتين وردتا في (لسان العرب) مصحفتين هكذا (مثبت وثبته) بالثاء المثلثة وهو خطأ وصوابه كما قلنا (منبت ونبته) بالنون كما في التاج والصحاح . ولم يفسر لنا صاحب اللسان معنى قول الشاعر (وبلد بغضي الخ حتى ان مصححه تبرا من صحة معناه وقال : (هكذا هو في الأصل) .

هذه كلمات اربع (كنانن) (أحرؤن) (مسر) (منبوت) وردت في نصيح كلام العرب وودوت في معارج اللغة وقد بنوا مصحتها على قاعدة التوم : اي توم وجود (كنبنة) (أحرة) (أسرة) (نبته) مع انها ميتة غير موجودة . وهذا مما يجعل (قاعدة التوم) واسعة مطردة اكثر مما كنا نظن وينفع لنا المجال فنحشر أغلاطاً كثيرة للعرب والمستعربين من الفصحاء الاسلاميين — في هذه القاعدة ونعتبرها صحيحة مقبولة في الاستعمال . على أن نزاع علماء اللغة حول هذه الكلمات الأربع ونظائرها — لا ينتهي عند حد ما قلته وقلته في تخريجها وتوجيهها فان هناك دنادن حول امثال هذه الكلمات يمكن ترتيبها — على هذه الصورة :

(١) — قولهم (أحرون) (مسر) (منبوت) واشباهها — مما ورد على لسان رجل واحد من عرب الجاهلية — خطأ ولا عبرة به ولا ينبغي أن يتخذ أصلاً يقاس عليه . وهذا هو مذهب البصريين الذين هم عمدتنا في اللغة وتقرير قواعدها اما الكوفيون جزاء الله خيراً فيعتبرون هذا المثال الواحد المخالف للقياس — كافياً في صحته وصحة ما مثله ومثرب على غرارهِ .

(٢) — ان قولهم (أحرون) (مسر) (منبوت) ونظائرها ليست خطأ بل هي واردة على القياس :

فأحرون إنما هي جمع (أحرة) (ومسر) اسم مفعول من (أسرهِ) ومنبوت من (نبته) . (وأحرة) و (أسرهِ) و (نبته) — مما نطق به العرب حقبة من الزمن اشتقوا في خلالها

كلمات (أسرون وسر ومنبوت) ثم انهم اخيراً أماتوا الاصول وهي (أحرة) (أسره) (ونته) فلم يستعملوها وأبقوا على سلاتها — الجمع واسمي المفعول — فاستعملوها في اشعارهم وامثالهم وجاء علماء اللغة فدونوا المشتقات والسلالات وأهملوا الأصول والامهات . ونظير ذلك ما فعلوا في فعلي (حب) و(أحب) مثلاً فان اهل اللسان أحيوا (محبوب) وأماتوا (حبه) الا قليلاً وأحيوا (محب) وأماتوا (حاب) وهذه الامانة والاحياء نظائر يعرفها اللغوي .

(٣) — إن كلمة (أحرة) وفي (أسره) (ونته) مما نطق به العرب واستعملوه ولم يمتدوا لكن أرباب المعاجم أهملوه أو اغفلوه لسبب من الاسباب فلم يدونوه في المعاجم كما اغفلوا لكثير الطائل من فصيح كلام العرب حتى ذهب بعضهم الى أن ارباب المعاجم لم يدونوا الا النصف من كلمات اللغة وان ما فاتهم أو سُرفوا عنه أكثر مما خفروا به أو هُذوا اليه . وذكر ابن فارس في كتابه (الصاحبي) أن علماءنا أو أكثرهم ذهبوا الى ان الذي انتهى اليها من كلام العرب هو الاقل قال : ولو جاءنا جميع ما قالوه لجاءنا شعر كثير وكلام كثير انتهى .

وهذا نحو (تبدى) بمعنى ظهر و(معتمد) بمعنى عمده الوجع و(يسوتف) بمعنى يشم الخ وهكذا يقال في كلمات (كئينة) بمعنى (كئة) و(أحرة) (المفرد بمعنى حرّة) وفعل (أسره) وفعل (ننته) بمعنى (سره) و(أنته) فان العرب نطقوا بها ولم يمتدوا كما تُؤم . وانما أماتوا أرباب المعاجم أنفسهم . على ان أرباب المعاجم — وان أماتوها — رأينا من جهة ثانية قد أشاروا اليها ودلوا عليها : فلم يبق علينا الا البحث والتنقيب في كتب اللغة التي لم تنتشر ولم تطبع . بل إن هناك مصنفات في غريب اللغة خاصة لم تصل اليها ولم ندر أين مكانها . فلعلنا اذا ظفرنا بها وجدنا كلمات : (كئينة) و(أحرة) و(أسره) و(ننته) . ويكون شأننا مع هذه الكلمات التي لم تدون وتكتب في التنقيب عنها شأن علماء الفلك مع نجمات تدلم الأرصاد . والمواقع والأبعاد . ونواميس الجاذبية العامة على وجودها في رقعة أو منطقة من السماء معينة وان لم تكن ظاهرة للعيان الآن . ثم لا يلبث ان يصدق ظنهم ويتحقق حدسهم فيعثروا هم أو غيرهم على النجمة أو الكوكب في الحيز الذي عينوه ورسموه . وهكذا علماء اللغة قالوا لنا : إن هناك كلمات نطق بها العرب ولم ننظر بها نحن . لكننا وجدنا ما يشبهها ويدل على وجودها فابحثوا عنها أنتم ونقبوا فلعلكم في العثور عليها موفقون .

فن الجاحظ

- ٢ -

« لغته ^(١) »

أحاط الجاحظ بخصائص اللغة ووقف على مجاريها ومصارفها وتبحّر في جلالها ودقائقها فقد ذكرت لكم أنه صوّّر كل معرض من معارض الحياة ولكن الكاتب إذا شاء أن يصوّر الحياة على هذا الشكل لزمه أن يحب الكلمة وأن يشعر بها كما يشعر بكل جزء من أجزاء الحياة وهذا ما انصرف إليه الجاحظ فكل ما يمكنه الكاتب أن يصنعه بالألفاظ صنعة الجاحظ فقد عرض على ذهنه مفردات اللغة بمخازنها ثم ألف بينها تأليفاً محكماً ، عرض مفردات العلوم والصناعات ومفردات الحركات والأفكار ومفردات الجد والمزول والخلصة عرض مفردات العالم بمجامعها . —

أعظم خصائص الجاحظ في هذا المعنى تفقّه في اللغة فهو ينزل اللفظ في منازلها ويصبه في قوالبه بحيث لو قدشنا عن لفظ آخر للمعنى الذي يمثله لنا لما وجدنا لفظاً غيره يقوم مقامه أو يسدّ مسدّه ، ولم يقتصر في هذا التفقّه على باب من أبواب المعاني أو على نوع من أنواع الأفكار وإنما أعطى المعاني حقوقها من الألفاظ في كل فن من الفنون في الطب والفلسفة والصناعة والعلم وفي غير هذا كله من مذاهب الفكر فلا تجدون في فلسفته إلا ألفاظ الكم والكيف وما يأتلهما من مصطلحات الفلاسفة وكذلك شأنه في كل باب من الأبواب فهو يستعمل لكل معنى من المعاني اللفظ الذي خلق لهذا المعنى فإذا أحب مثلاً أن يصوّر لنا كسر الأعضاء قال : فقا العين وهشم الأنف وهشم السن ودق العظم وإذا

(١) هذه آخر محاضرات الاستاذ شفيق جبرييه وقد شرع في طبعتها في كتاب

احب ان يمثل تجريد الاجسام من اغطيتها قال . سلخ الجلد ونفض الورق وكشطت الشمس جلودهم وكذلك لغته في تصوير فساد الاجسام كقوله : نفلت الجبنة او في تصوير اصوات الحيوان كقوله : شجيج البغل وثيق الحمار او في تصوير الشرب كقوله : يلف في الدم او كقوله : الحسو والعبه والنفسة ا في تصوير بيوت الحيوان كقوله : الأفاحيص والتاريد الى غير ذلك من خصائص تفقهه فهو آخذ بمخني اللغة لا يفوته لفظ من الفاظها ولا يغفل عن سر من اسرارها . —

واذا عمدتم الى آثار الحياة الخاصة وجدتم ان الجاحظ قد اتقن لغة كل اثر من هذه الآثار مما كان حقيراً فقد اتقن لغة البخيل مثلاً فيستعمل في تصوير البخل الفاظ البخله كالخبثات والقراريط والدوانيق والأرباع والأنصاف واشباهها واتقن لغة الطبع كالتشواء والانضاج واستحلاب الدسم وتغرق العظم والقفار والمسمون واتقن لغة الطعام بمخازيرها كالشبارقات والأخصة والفالوذجات وما يقاربها واتقن لغة الماعون كالجنة الأعشار او القصعة المشبهة او الجرة المكسورة العروة او الحب المقطوع الرأس . —

انكم لتركرون ان الجاحظ يميل في فنه الى الصور المحسوسة القريبة من كل حاسة من حواسنا وكما اولع بالصيغة المحسوسة فقد اولع باللفظة المحسوسة التي تؤثر في حواسنا فكأنما صاغ لغته ليعرض على انظارنا اشكال هذا العالم الظاهر : عالم الحركات والهيآت والطعام واللباس واضراب ذلك فلستم تجدون في لغته الا أمثال قوله : تنفس خراطيمها — بتطوس لها — يتموج في اهابه — يتخلج — تماريج ريشه — نهاول الوانه — التوبر الى اشباه هذه اللغة المحسوسة . —

ومن وآمه بهذه الطبقة من الالفاظ كان الجاحظ لا يتحاشى في بعض الأوقات الفاظاً نجدها في عصرنا هذا بارزة عن ظل الطهارة كالفاظ المناكح وما ضارعا ولا عجب في ذلك فان الجاحظ من اصحاب الأدب الواقع . —

وعلى الرغم من تبحر الجاحظ في اللغة وتفقهه فيها لم يجمد في هذه اللغة فقد تتبع مذاهب الفكر واعطى كل طور من اطوار هذا الفكر حقه من الكلمات فاذا عرضت له طائفة من خصائص بعض الحيوان كالجاموس والخنزير او من خصائص بعض الأجسام كالتسار اشتهى هذه الخصائص من الاسماء نفسها فقال : الجاموسية والخنزيرية والتارية والحيوانية

والجوهري وعلى هذه الصورة اثبت ان لغة العرب مستعدة للحياة متساهلة لمجارات اوضاع هذه الحياة ومذاهبها . —

وقد ذهب في هذا كله مذهباً أبعد فلم يتجنب في بعض الأوقات الألفاظ الأعجمية كلفظة : سوارست وامثالها . —

واذا وجدنا في بعض لغته شيئاً من الغموض فقد تكون هذه الألفاظ الغامضة انما هي الفاظ تاريخية وأريد بها الألفاظ التي كانت تدل في عصر الجاحظ او في العصور التي تقدمته على معنى من المعاني كالطعام واللباس والسلاح وما مائل ذلك ثم ذهب هذا المعنى بذهاب الذين كانوا يستعملونه فبقي الاسم وانطوى المسمى فلا نستطيع ان نتصور الاسم لاننا لا نرى المسمى ولا نعرفه ، من هذا الشكل أسماء بعض الطعام كالعنب النبروزي والعنب الرازي أو أسماء بعض اللباس كالقلنسوة الخدرية أو أسماء بعض السفن كالجعفريه مثلاً . —

هذا آخر ما خطر بالبال من الكلام على لغة الجاحظ فقد ادركتم ان اللغة انفتحت الى الجاحظ طاعتها فصرفت في كل شيء وما أريد ان افرغ من هذا الموضوع قبل ان ايتن لكم على سبيل الاستشهاد مقدار اهتمام الافرنجة باللغة وبانتخاب الألفاظ . —

قال أناتول فرانس Anatole France في مقال له بحث فيه عن اسلوب لافونتين : La Fontaine :

« كان لافونتين يولع بالكلمات ويعرف كيف ينتخبها ، ولا يكون المرء كاتباً الا اذا احسن اختياره للالفاظ ، فالكلمات هي افكار ، ولا سبيل الى الاصابة في الحكم الا بالتمسك من النحو والمفردات الصحيحة ، واظن ان الشعب الاول في العالم انما هو الشعب الذي يملك احسن الاصول في النحو وتنسيق اللفظ ، قد يقع في اغلب الحالات ان الرجال يتناحرون بسبب كلمات لا يدركون معانيها ، ولو فهم بعضهم كلام بعض لتعاقبوا ، ولا شيء يعمل على رقي العقل البشري مثل معجم بضيء ذلقة كل شيء . »

يجب لافونتين العبارات القديمة فاذا وقع نظره على كلمة قديمة ، جزلة المعنى استخرجها من موضعها وضمنها شعره في المقام المناسب .

كان كثيراً ما يقرأ الروايات ، وقد قرأ منها قديماً وحديثاً « اه . »

وقال رودس Roudés في كتابه الخطيب المصري :

« اما وقد صرفتم كيف السبيل الى استخراج المعاني من مكانها ، والمعاني هي مادة الخطاب والركن الذي يبنى عليه ، ولولاها لما تمهدت لكم المداخل على الكلام اما وقد صرفتم ذلك كله فقد لزمكم ان تبسطوا في استظهار المفردات حتى تتمكنوا من الافصاح عما يزدحم في صدوركم من متباين المعاني على اشكال تستمطون بها القلوب وتجعلون للمعاني رونقا وحياة :—

اجل فقد لزمكم ان تحفظوا من الألفاظ ما اعان عليه الامكان حتى لا ترتبكوا في الكلام فاذا فانتكم لفظة من الألفاظ لجأتم الي غيرها واذا وردتم معنى من المعاني يسر لكم الصدور عنه فبدلته وعدلته من غير ان يساوركم شيء من العجز عن ذلك .—

ومن قل حفظه للألفاظ صعبت عليه مذاهب البيان فلا يجد الى الافصاح سبيلاً ، فاذا لم يجتمع في الذهن طائفة كبيرة من الألفاظ التي تضافر على توضيح معنى من المعاني ذهب هذا المعنى من الصدور ، واذا لم تأخذوا انفسكم باستظهار الألفاظ والتعمق في الالمام بمعناها الحقيقي والمجازي ، والوقوف على ما يشاكلها ويخالفها ، وعلى ما يخالفها وينافرها ، اخفتم ولم تغفروا بحجائكم من البيان .—

كان الشاعر ثيوفيل غوتيه يقرأ على ما يظهر صفحة من معجم لغوي في كل يوم ومن المحتمل ان بلذاك ، وبودلير ، وفلوير ، وكاهم كتاب واقفون على اسرار اللغة بمجامعها كانوا يعمنون في هذه الكتب الضخمة (المعجمات اللغوية) التي تشتمل على عبقرية الامة وتنمكس فيها مظاهر حضارتها ، على تباينها في متعاقب الاحقاب .—

فن الصواب على ما اعتقد ان تنقبيل طرائق هؤلاء الكتاب فنقرأ في كل يوم صفحة من صفحات المعاجم اللغوية ، فان كذراً منا يشاربون على تلاوة روايات الجرائد فلم لا نجد من يطالع صفحة من صفحات لاروس Larousse ؟

رب كلمة تمر بذهن رجل ذي غيلة فتدل له في ذهنه عالمًا بجملة ، او حكاية او نادرة من نوادر التاريخ ، او منجى من مناحي الطبيعة ، او مدينة من المدن ، او عصرًا من العصور ، وليس من السامة في شيء ان ينتقل الفكر من مبتدأ الازمان الى منتهاها ، ومن

العلل والمقدمات الى النتائج ، ومن هوميروس ، الى هوغو ، وان يجمع المرء من الألفاظ ما ينفعه في غد . —

بيد ان معرفة الألفاظ وحدها لا تكفي المرء مؤنة الابانة عن هواجس فكره على صورة تلائم ، واسلوب يناسب ، فان من الضروري ان يعرف المرء كيف يصل هذه الألفاظ بعضها ببعض وان يركب منها جملاً صحيحة ، واضحة المرمى ، يسهل على الذين يسمعونها ادراكها وفهم معانيها والسبيل الى ذلك ان يستخرج المرء من الكتب والخطب العبارات الجميلة بانسجامها وتناسقها . —

وعلى هذه الصورة يجمعون لانفسكم مجموعة تضمون اليها في كل يوم طرائف حديثة ترجعون اليها ، فيتدرب ذهنكم على أساليب البيان ، وتقفون على اتصال الألفاظ بعضها ببعض فيكون ل كلامكم رقة وطلاوة . —

شفيق جبزي



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

«وبه نستعين (١)»

قد قدمت فيما قبل هذا الجزء من هذه الأخبار عن سبب جمعي لها وأفصحت عن معنى (٢) فيها وكررت ذلك في رسالة كل جزء وان تغيرت العبارة إما تصريحاً أو إشارة وأعلمت قارئها ومكرر النظر فيها انها نوع لم

(١) «المجمع» أرسل اليها العلامة مرجليوث عضو مجمعنا العلمي في أنكلترا هذا الجزء من النشوار لنشره تباعاً في مجلتيه كانشرنا أخاه الجزء الثامن في مجلد للسنة العاشرة ثم تجرد كتاباً مستقلاً . وقد رأينا ان نبقى بعض أخطاء هذه النسخة على حاله لأن في تصحيحه وتأويله تشكيكاً وتزويداً يزيدان القاري حيرة ولبلة ، على ان في ترك بعض الأخطاء تمهيداً للنسخة الأصلية ، وتصور أنها في ذهن القاري ، ودلالة على ما كانت عليه لغة التخاطب في العهد العباسي لأن كثيراً من تلك الكلمات أو الاستعمالات ليس عربياً محضاً وإنما هو محدث مولد ، وفي ذلك فائدة بقدرها علماء اللغة والتاريخ قدرها ، وقد يرد في هذه النسخة كلمات فيها سحف وبذاء فقلنا ان نخلي مكانها ، وان نستبدل بياضاً بسوادها ، هذا وقد بقي من أجزاء «كتاب النشوار» نحو ثمانية أجزاء لم يعثر عليها بعد ، فترجو من عثر على شيء منها ان يهدينا اليه فيستحق شكرنا وشكر عشاق الأخبار ، والمنقبين عن الآثار .

وقد وجد في طرة هذا الجزء قبل البسملة مانعه :

«الجزء الثاني من اختيار المذاكرة ، ونشوار المطالعة ، وابتكار المحاضرة ، للتوخي»

(٢) لعله : معنای او مغزای .

أسبق الى كتبه لانها مقصورة في الأكثر على ان نتذاكر بها لاحتوائها على ضروب من الأحاديث السابقة والسالفة في زماننا التي نَظلم عندي بان لانكتب ونضمنتُ خلطها بفنون من طريف السير والحكايات وحديث الاتفاقات والمنامات وغريب الرقا والامتحانات وأخبار ضروب الناس من اهل (١) والمهن والصناعات والملوك والرؤساء واهل ات وغيرهم من الاخلاط والأوساط وعجيب ماملات وتليمها بطريي الشعر وجديد ضمتني وإياه دهرٌ دون ان يقارب زماني زمانه واشتهر حذقه واحسانه . وشرحت العلة في ترك تبويبها واستفادة خلطها دون ترتيبها . ونهت على الفوائد التي تتضمن وتجمع واعتذرت مع ذلك الى من لعلها لاتنفق عليه . اوتكسد وتبور لديه : بأن قلت انها على كل حال خير من مواضعها يابضاً وذكرت انها تصلح لمن قد فرغ من أكثر العلوم واشتغى قراءة ما يبدله على أخلاق اهل الأزمنة وسننهم وطرائقهم وعاداتهم وان يقايس بين مانحن فيه ومامضى ليعلم كيف مانت الدنيا وانقلبت الالهواء وانعكست الآراء . وفُقدت المسكارم . وكثرت المحن والمغارم . وهلك أهل الفضل والتفضل . وتلف أهل السر والتجمل . وصغرت المهم . وتلاشت النعم . وفقد الجلال . وعدم النبل والجلال . في أكثر الخصال . وجهور الرجال . وحقاً أقول لو عاش حكيم من اهل تلك الأزمنة حتى يرى ما حصلنا عليه

(١) هذا البياض موضع تمزيق مبادي السطور في النسخة الاصلية .

ودفعنا اليه ماشك في قيام الساعة . أو أن الناس بُدِّلوا بها ثم هَمَلَة . اوجعلوا
آلات غير مستعملة . لفقد الاحرار وشدة الاعسار . وبطول المكاسب
وتواتر النوائب . وحدث السنن القبيحة والعوائد السيئة الفضيحة . ونسأل
الله العظيم فرجاً عاجلاً وصلاًحاً للعالم شاملاً . إنه سميع مجيب رحيم ودود
ذوالعرش المجيد . فعالم لما يريد . وهو تعالى حسبنا ونعم الوكيل والمعين .

حدثني ابو العباس محمد بن نصر الشاهد قال كان ابو عبد الله جعفر بن
القاسم الكرخي كتب الى ابي جعفر بن معدان ان يختار له وكيلاً ينظر له
في ضيعته بالأهواز فاختر له عمرو بن محمد الاشجعي صاحبه فنظر في الضيعة
سنة ثم ولي الكرخي الأهواز ووردها فطالب الاشجعي بالحساب فرفعه .
وتابعه كاتبه . فخرت جوا عليه فيه ستة آلاف دينار . فأمر الكرخي فلوزم
الاشجعي في دهليزه وطولب بالمال ، فكتب الى ابن معدان بخبره . قال فكان
رسم الكرخي ان يستدعي ابا جعفر بن معدان في كل يوم الى طعامه ، فاستدعاه
في ذلك اليوم فتأخر وراسله بأنه من كان صاحبه وثقته واختياره متهماً
مسلطاً عليه محالات الكتاب معتقلاً -- لا يستدعي الموأكلة ، قال فامتنع
الكرخي من الاكل وأنفذ اليه الاشجعي مع كاتب له والحساب وقال والله
ما كنت بالذي ادعي محالاً يستمر على صاحبك وما أخرج عليه الا شيئاً صحيحاً
وقد يجوز ان يكون ضيع ذلك ولم يتناوله ولعمري ان من يكون اختيارك
وثقتك لا ينجون ولم يك ملازماً ، وانما اجلسه انتظاراً لك لتجي فتدبر امره ،

وإذا كان ذلك قد شقَّ عليك فمالي لك . وهذا الرجل والحساب إن شئت ان تستوفي لي ذلك او بعضه او تدعه جميعه فافعل ولا تتأخر عني فلست آكل او تجي . قال فاطلق الاشجعي الى منزله وركب هو الى الكرخي ثم لم يعاود احدهما صاحبه في معنى الاشجعي بكلمة وفاز بالدنانير ومضت القصة على ذلك .

حدثني القاضي ابوبكر محمد بن عبد الرحمن بن احمد بن مروان قال حدثني خالي محمد بن هارون قال قال لي بعض أصحابنا قال كنت في بعض الليالي أنظر في كتاب التشریح لجالينوس قال فغلبتني عيني فرأيت هاتفاً يهتف بي ويقول « ما أشهدتهم خلق السموات والارض ولا خلق أنفسهم وما كنت متخذ المضلين عضداً » فاستيقظت ومرت الكتاب .

وحدثني القاضي ابو بكر قال حدثني مكرم بن بكر قال كنت في مجلس ابي حازم القاضي فتقدم رجل شيخ ومعه غلام حدث فاستدعى الشيخ عليه الف دينار عيناً فقال له ماتقول فأقر قال فقال للشيخ ماتشاء ؟ قال حبسه ، فقال للغلام قد سمعت فهل لك في ان تنقده البعض وتسأله الاينظار ؟ فقال لا ، فقال الشيخ إن رأي القاضي ان يحبسه قال ففارس ابو حازم فيهما ساعة ثم قال : تلازما إلى ان أنظر بينكما في مجلس آخر ، قال فقلت لابي حازم وكانت بيننا مودة وأنسة — لم آخر القاضي حبسه ؟ فقال ويحك إني أعرف في أكثر الأحوال في وجوه الخصوم وجه الحق من المبطل وقد

صارت لي بذلك دربة لا تكاد تخطي ، وقد وقع لي ان سماحة هذا الغلام بالاقرار هي عن بلية وامر يبعد عن الحق وليس في ملازمتها بطلان حق ، ولعله ان ينكشف لي من أمرهما شيء اكون في الحكم على ثقة ، اما رأيت قلة تغاضبهما في المناظرة وقلة اختلافهما وسكون جأشهما مع عظم المال ، وما جرت عادة الاحداث بفرط التورع حتى بقر مثل هذا طوعاً غملاً بمثل هذا المال قال فبينما نحن كذلك تحدث إذ استوذن على ابي حازم لبعض وجوه تجار الكرخ ومياسيرهم فأذن له فدخل وسلم عليه وسبب لكلامه فأحسن ثم قال : قد بليت بابن لي حدث يُتلف مالي في القيان والبلاء عند مُتَمَيِّن يعرف بفلان ، وأسماء ، فاذا منعه مالي احتال بحيل تضطري الى غرم له ، وإن عدلته عن ذلك وعددت حالي معه طال (١) ، وأقر به اليوم انه قد نصب المقيّن ليطالبه بالف دينار عيناً ويجعل ذلك ديناً حالاً وبلغني انه قد تقدم الى القاضي فيطالبه فيحبس وأقع مع أمه في بلية وتنغيص عيش الى ان أؤدي ذلك عنه الى المقيّن ، فاذا قبضه المقيّن حاسبه به من الجذور (٢) ، ولماسحت ذلك بادرت الى القاضي لأشرح له الامر فيسداويه بما يشكره الله تعالى عليه ، فبحث فوجدتهما على الباب . فحين سمع ابو حازم ذلك تبسم وقال لي كيف رأيت قال فقلت هذا ومثله من فضل الله عز وجل على مولانا القاضي وجعلت ادعوه له . فقال علي بالغلام والشيخ فدخل فأرهب ابو حازم الشيخ ووعظ

(١) يعني طال تعدادي من دون فائدة .

(٢) الجذور اجور القيان جمع جذر .

الغلام فأقرّ الشيخ ان الصورة كما بلغت القاضي وانه لاشي له عليه ، واخذ الرجل بيد ابنه وانصرفا .

قال لي القاضي كان مكرم هذا من فضلاء الرجال وعلمائهم و كنت أرى رجلاً يدعوهُ اباجدي فقلت له ما غرضك فقال ألت تعلم ان ابا الجدي هو التيس .

أنشدني ابو علي محمد بن الحسن بن المطهر الحناتي قصيدة له في سيف الدولة وهي :

| | |
|------------------------------|------------------------------|
| ووجد صعباً غادر الدمع جارياً | دنوّ فراق خلف الصبر نائياً |
| فحاكى بلى جسي هناك المغانيا | وقفت بمغني الشوق أنشد أهله |
| حياها واعضاي الطلول البواليا | حكى نفّاسي فيها صباها وأدمعي |
| | يذكر فيها : |

| | |
|---------------------------------|---------------------------------|
| حساماً ملياً بالذبي رام وافيا | وكفل أرواح العداة الى الوعى |
| يبسّد أعاديه ويغني المواليا | ساصفحه بنبو على ان حده |
| وتحرق من عادت وتنفع صاليا | كذ النار تهدي في الضلالة سارياً |
| ووقع الظبى الالخان والحرب ساقيا | جعلت الظبى كأستاذ يردم العدى |
| لديك فقد أضى بك المجد حاليا | فان كان بيت المال أصبح داطلاً |

أنشدني احمد بن عبدالله المعروف بالبحثري القاضي البغدادي لابي العلاء صاعد بن ثابت قال أنشدني لنفسه :

ثنان من همتي ما ينتضي اسفي عليهما ابدًا من خيفة الفوت
 لم احبُ منتجع الدنيا بجملتها ولا حيت الوري من صولة الموت
 فاجتمعتُ مع ابي العلاء صاعد بعد ذلك بواسط في جمادى الاولى سنة
 ٣٦٥ فسألتُه عن البيتين فقال غلط عليّ وما اخبرته انهما لي فقلت فلن هما
 فقال كان ابو الحسن بن ابي داود كاتب الوقف بالبصرة حدثني باسناد ذهب
 عني ان ملكاً من ملوك الهند حارب ملكاً قتل في المعركة فألفاه بعض
 أصحابه طريقاً بين القتلى وفيه بقية من الروح فنزل اليه فقال هل لك من حاجة
 فأشده لنفسه شعراً فُسِّر ونقل فكان هذان البيتان في جملة الشعر .

أخبرنا ابو القاسم حسين بن محمد بن نبيل : كهل كان من اولاد الجند
 ينفذ فخرج الى الأهواز وأقام بها يكتب لعل بن احمد الخراساني حاجب
 معز الدولة وكان ادبياً سماعاً لكتب اهل الأدب وكان إمامي المذهب قال
 رأيت في بیمارستان البصرة رجلاً من الكتاب محبوساً يقول الشعر فأشدني
 لنفسه :

| | |
|-------------------------------|-----------------------------|
| أدافع همي بالتعلل والصبر | وأمنع نفسي بالحديث عن الفكر |
| وارجو غداً حتى اذا جاءني غد | تزايد بي همي فيُسلمني صبري |
| فلا ألم يسليني ولا الغم ينتضي | ولا فرح يأتي سوى أدمع تجري |
| الى الله أشكو ما ألاقى فانه | علم باي قد تحيرت في أمري |
| قال وأشدني ايضاً لنفسه : | |

أي شيء يكون أقبح منا ان نقضنا عهد الاخاء وخننا
 ان في حرمة المودة ان نه ضي جميعاً عن الخيانة منا
 واذا ما أصابنا الدهر بالعي ن رددناه بالتغافل عنا
 قال وأنشدني لنفسه :

ما بال دمعك ابن الدمع ياعيني عسى اصابتك عين الدهر بالعين
 اني لأجزع من فقد البكاء كما قد كنت اجزع قبل البين للبين

كان يلزم ابني بالأهواز شاعر يعرف بابي الخير صالح بن ليبب فدخل
 اليه يوماً وانا حاضر فأعطاه رقعة صغيرة فقرأها ابني وتبسم وامرله في الحال
 بدرام وانصرف فأخذت الرقعة فاذا هي تحية وفيها :
 يا من أرق له السماح ندى أضحى به الأحرار في رق
 فضلاً سبقت العالمين به والفضل مقصور على السبق
 ألزمت نفسك غير لازمها وعرفت لي جقين لا حقي
 ودخل اليه يوماً شاعر يعرف بالهمذاني لا أعرف اسمه ولا نسبه فدفع
 اليه رقعة فيها :

كني القاضي رضاي بما ارتضاه ولم أذم رضاي ولا رضاه
 فأمرله في الحال بجائزة سنية :

أنشدني غير واحد من الشيرازيين للامير عضد الدولة ابني شجاع بن
 ركن الدولة ابني علي :

بهطة قصر عن وصفها بابدع الاوصاف بالزور (١)
 كأنها في الجام مجلوة لآلي في ماء كافور
 وله ايضاً :

رأيت بساطاً للزبرجد ناصراً قد ابرز أطرافاً تعدد قعاقفا
 قعاقفاً من البلور ملائى وفرفراً ومجروحة منه رفعن سجاجفا
 تحت كؤوساً للندى كؤوسها (٢) ونترك احلام الحليم سخافا
 وقال ايضاً :

نحرننا بيننا دنأ فعاد الليل اصباحا
 ودأجا (٣) نحره مثل الـ غُرأَيْنِ اذا صاحا

...

حدثني ابو العلاء صاعد بن ثابت قال كتب اليّ القاضي ابو القاسم علي
 ابن محمد الشنوشي جواب كتاب كتبه اليه :
 « وصل كتابك :

فما شككت وقد جاء الرسول به أن الشباب أتاني بعد ما ذهبنا
 « البقية تأتي »

(١) الصواب في يتيمة الدهر (٢ : ٣)

بهطة تعجز عن وصفها بامدعي الاوصاف بالزور
 والبهطة الأرز يطبخ باللبن والسمن خاصة بلاماء وهي كلمة سندية كما في اللسان .
 (٢) لهه سقاتها . (٣) ثنية ودأج بمعنى الودج وهما عرفان في العنق ينتفخان
 عند الغضب .

مطبوعات حديثة

—*—

أصراء الشعر العربي

— في —

«المصر العباسي»

[للاستاذ أنيس المقدسي]

٤٣٦ صفحة — المطبعة الأدبية — بيروت سنة ١٩٣٢

اعتادت طائفة من الباحثين في أيامنا هذه أن يصدروا كلاماً على شاعر من الشعراء أو على كاتب من الكتاب بتصوير العصر الذي ظهر فيه هذا الشاعر أو هذا الكاتب وعلى هذه الآثار مشى الاستاذ أنيس المقدسي في كتابه المشتمل على دراسة سبعة شعراء وهم: أبو نواس وأبو العتاهية وأبو تمام والبحتري وابن الرومي والمتنبي والمعري —
بحث الكاتب في فاتحة كتابه عن العوامل السياسية في خلافة بني العباس وعن أطوار الحياة الاجتماعية وعن مجاري الحركة الفكرية —

ولكن هل استطاع أن يبين مقدار اتصال الشعراء الذين يتكلم عليهم بالمصر الذي صورته فقد بحث مثلاً عن تجزؤ دول المسلمين ثم تعرض لبيان تأثير هذا التجزؤ في الأدب ، فما هو هذا التأثير الذي ذكره ، ان هو إلا مزاحمة حواضر الاسلام لبغداد في الأدب والعلم ، ولكن هل يكفي مجرد ذكر هذا التأثير أفما كان من الواجب على الباحث أن يشير إلى « تطور » الادب في انحداره من بغداد إلى حواضر الاسلام وأن يوضح خصائص الأدب في وحدة المسلمين وخصائصه في تجزؤ دولهم —

وكانه أراد أن يتم هذا النقص فلما بحث عن غارات الروم على أطراف الممالك

الاسلامية أشار إلى أن لحروب الروم أثراً في الأدب ظهر على شعر المهدي والبهمن والمنتبي ولكنه لما تكلم على هذا الأثر في شعر المنتبي اقتصر على أن يذكر أن روح الجهاد مستفيضة في كثير من مدائحه في سيف الدولة أو أنه رأى الجيوش في ساحة الحرب أو أنه شاهد الابطال ولم يكشف الغطاء عن خصائص هذه الروح فلما نعرف شيئاً في كتابه عن مبلغ فن المنتبي في وصف المعارك وعن لغة هذا الفن . —

وكذلك شأنه في كلامه على الحالة الاجتماعية في عصر بني العباس فقد وصف ترفهم أحسن وصف وضوء بذخهم أتم تصوير ولكنه لما وصل إلى الكلام على البهمن والمنتبي لم يزل البهمن والمنتبي في وصف القصر المعروف بالكامل فلم يقل كلمة واحدة في طبيعة هذا الوصف وخصائصه على أن كتابه أدبي ولم يكن تاريخاً من التواريخ فكان من الواجب عليه أن يفيض في الكلام على فن الشعراء مقدار افاضته في الكلام على العوامل السياسية أو الاجتماعية أو الفكرية . —

فقد اجاد في هذا الكلام وخاصة في كلامه على تطور الحياة الاجتماعية أو على الجباية والمصادرة وظهرت على هذا الكلام آثار التبع والاستقصاء . . .
ولكن مباحثه الأدبية قد انحطت عن منزلة مباحثه التاريخية . —

اننا لا نزال في مباحثنا الأدبية بعيدين عن سواء السبيل فلا نعرف كيف نصور فن الشاعر وخصائص هذا الفن ولغته وطبائع هذه اللغة وهذه هي الدراسة المتكاملة . —
أما لغة الكاتب في كتابه فقد كانت سهلة في أكثر مواطنها لكن هذه السهولة قد انحدرت به في بعض المقامات إلى درجة المعجمة كقوله مثلاً :

الشرق الأدنى كان « تحت تأثير » الروح اليونانية

اللواتي « لعبن دوراً »

بتعصبون « ضد » أبناء الاماء

« شكّل » من فتیان الاتراك جنداً

قامت بها « هيآت » منظّمة

(شفيق جبري)



(١) كتاب النكاح والطلاق

(٢) كتاب الهبات وأحكام الوصايا والفرائض والأقضية

« ترجمة »

أحمد لايمش ، أستاذ مجلة الأحكام الشرعية في مدرسة ليلسان والحامي في وهران . —
الكتابان طبعا في الجزائر — الأول (٣١١ صفحة) سنة ١٩٢٦ والثاني (٢٤٤ صفحة)
سنة ١٩٢٨ . —

للامام ابن رشد كتاب : بداية المجتهد ونهاية المقتصد وهو يشتمل على مسائل الاحكام
المتفق عليها والمختلف فيها بادلتها والتنبيه على نكت الخلاف فيها .
وقد نقل الى اللغة الفرنسية الأستاذ احمد لايمش بعض كتب من هذا الكتاب
منها : كتاب النكاح وكتاب الطلاق ، ومنها : كتاب الهبات وكتاب أحكام الوصايا
وكتاب الفرائض وكتاب الأقضية . —
والترجمة تدل على تمكن صاحبها من خصائص المصطلحات . —

شفيق جبري



رباعيات الخيام

— تعريب ودبيع البستاني —

« مطبعة المعارف مصر »

لاحتجاج رباعيات الخيام الى شيء من التعريف وقد كثر الذين تولوا تعريبها شعراً
او نثراً وخلاصة فلسفتها ان صاحبها جاء الى هذه الدنيا اضطراراً ورحل عنها اضطراراً
فلم يجد شيئاً يلهو به في هذه الحياة الا الخمر والمرأة فالدنيا عدم والآخرة عدم ، لكن
هذه الفلسفة لا تخلو من همز بزم السلطان ومن تقلب في يقين وارتياب .
اما التعريب نفسه فأحسن صفاته أنه مفهوم والكتاب قد طبع طبعا غاية في الاتقان . —

شفيق جبري



(١) العبرات الملتهبة

(٢) على مذهب الوطنية

— بقلم —

«الباس فنصل — يونس آيرس — ١٩٣١»

«ديوان شعر — جزآن صغيران»

صاحب هذه النفثات شاب في مقتبل العمر خرج من وطنه سورية فاستقرت به النوى في اميركة فاضطرب قلبه فالتمس له متنفساً يتنفس منه فلم يجد غير مناجاة الطبيعة ، فتارة كان يشكو اليها حبه فتفيض هذه المناجاة بماطفة قلقة وشعور عاصٍ ، وتارة كان يحن الى وطنه فينغم على الطبيعة نقدة فيها جزع الشباب .

وقصائده : على مذهب الوطنية ، تشمل على عواطف وطنية تنفصع عن رغبة صاحبها في نهضة بلاده . —

شفيق جبري



المحفوظات المختارة — والموجز في علم المنطق

من اشرف من كشب على سير اللغة العربية في هذه الآونة ينتبط حين يرى هذه اللغة المحبوبة نفضت عنها غبار الخمول ومزقت نسج المناكب الخيم فوق غارها الذي آوت اليه بعد ان استخذي سلطانها .

لقد قنض الله لها طائفة من ابنائها المخلصين فشمروا عن ساق الجدد ومهدوا لها السبيل فنشطت من عقلها واخذت تتحذي على مثال اللغات الحية وترمم خطواتهن في التقدم والتوسع . ولا يكاد يمر حين من الدهر الا نرى فيه اسلوباً جديداً وطريقاً طريقاً وكتاباً حديثاً يسد فراغاً في خزانة اللغة الشريفة ولئن ظلت ردحاً من الزمن على مثل هذه الحالة فلا تلبث بعد قليل ان تعود الى سيرتها الاولى وتبلغ مستوى اللغات الحية .

وأخر ما انتهى الي من الكتب المختارة للمدارس . كتب المحفوظات . وكتاب الموجز في علم المنطق .

« المحفوظات المختارة »

اربعة اجزاء الفها لطلبة المدارس الابتدائية الاستاذان الفاضلان السيد احمد علي عباس المفتش بوزارة المعارف المصرية والسيد عباس حسن المدرس بالمدارس الاميرية وقد اشتملت هذه الأجزاء على قطع متغيرة من نظم ونثر من كلام البلقاء في هذا العصر وغيره في اغراض مختلفة بأسلوب يستهوي ائدة الطلاب ويواهم مداركهم وهي مطبوعة طبعاً متقناً بحرف واضح مشتملة على صور تصبي نفوس الأحداث ويقع الجزء الأول منها في نحو ٤٩ صفحة والثاني في ٤٠ والثالث في ٦١ والرابع في ١٠١ ولا تكاد تجد فيها مفعراً الا امرين :

١ - قصر ما فيها من النشيد والتغني والترنم والوصف والحنين و على مصر دون غيرها . ومن حق العربي ان يكون له وطن عام وهو جميع البلاد التي يقطنها ابناء جلدته وان يحن اليها كما يحن الى وطنه الخاص ويتغنى بذكرها وماضيها وانجادهما وحمادها كما يتغنى بن في وطنه الخاص . حتى لا تنقسم الأواصر التي تربطه بقومه ولا ينشأ على الجباله بها .

٢ - لم يكن للأمثال نصيب في هذه الكتب والاشياء من الشعر الموثوق بعربيته على كثرة ما فيه من السهل . مع ان ذلك يكون ذخيرة للطلاب يستطيع ان يطبع على غرارها عند الحاجة الى ذلك .

« الموجز »

اما كتاب الموجز في علم المنطق فقد وضعه الاستاذان الفاضلان السيد محمد حسين عبد الرزاق المدرس بمدرسة المعلمين العليا في مصر والسيد عباس حسن المدرس بمدرسة الناصرية .

وافي لا ازال على ذكر من العهد الذي تعلمت فيه المنطق ولا ازال اذكر ما كنت أكابده من الصعوبة واستفرغه من الجهد في تعلمه وتفهمه . لصعوبة المنهج الذي كان المتقدمون ينهجونه .

ولقد رأيت كتاب الموجز : مهد للطلاب مسلكاً جديداً جعل منه هذا العلم على

طرف الثام كما جعل مباحته متسقة متناسقة آخذاً بعضها بحجز بعض كل ذلك بأسلوب رشيق وترتيب انيق . ومن المفيد جداً ان يضاف الى ما فيه من المباحث مباحث أخرى لا يستغنى الطالب عن الاطلاع بها ولو قليلاً .

منها : بحث الزوم . لشدة الحاجة اليه ولذكركه كثيراً عند الكلام على لزوم النتيجة للمقدمتين الصغرى والكبرى .

ومنها : التعريف بالعرض العلم مع الخاصة . او مع الفصل . وبالفصل والخاصة فان الأول اقوى من التعريف بالخاصة وحدها . والثاني اقوى من التعريف بالفصل وحده . والثالث اقوى من هذا الثاني على ما حققه السيد الشريف .

ومنها : ذكر المشترك وما يقابله . فقد ذكر في ص ١٠١ عند الكلام على استعمال اللفظ الواحد في معان مختلفة . ولم يعرف تعريفاً وافياً .

ومنها : ذكر التناقض ولو بصورة مجملة . وذكر العكس اكثر مما ذكر وقد سلك المؤلفان سبيلاً محموداً مفيداً في ذكر الاسماء والاشارة الى ما يقابلها في اصطلاح المتقدمين . وذلك يسهل على الطالب فهم كتب المتقدمين عند الرجوع اليها .

ولو ذكر في مباحث (التفسير) ما يوافق او يرافف الوارد فيه . مما ذكره الاصوليون في مباحث العلل . من السبب والتقسيم وتحقيق المناط وتنقيحه . او اشير الى ذلك لكائن الفائدة أجل وأجزل لأن الطالب يبقى على صلة مع المصطلحات القديمة وفهمها . وكما أحسنت الصلات بين القديم والحديث كثرت فائدة الطالب من الكتب القديمة . وقلت المترادفات التي يشكونها أكثر العلماء والأدباء في العصر الحاضر .

وبعد هذا فإن الموجز أفضل كتاب أخرجه هذا العصر في هذا العلم . ولعل وزارة المعارف الجليلية في الدولة السورية تقرر هذا الكتاب لمثل الصف الذي قرر له في مصر ، فتعصن إلى العلم والأمة عامة وإلى طلاب الفلسفة خاصة .

والكتاب مطبوع طبعاً جيداً مصحح منقح لا يكاد الواقف عليه يجد فيه شيئاً من الخطأ إلا قليلاً مثل قوله :

في ص ٢٠ — المصادقات . والصواب الماصدقات .

وفي ص ٤١ — حكنا على عمر بالشجاعة . . . وسياق القول يقتضي أن يكون
حكنا على عمر بالعدل وعلى علي بالشجاعة .
وفي ص ٦٧ — نظروا في كل ما حاطها كُتبها . والأولى ما احاط بها .
وفي ص ٧٢ — (كلمة طبيعية) عربية فصيحة ، والمشهور في باب النسب ان ما كان
على قَعيلة يقال فيه قَعلي أما ما جاء بأثبات الياء كالسليبي في النسبة الى شليقة فهو شاف
لا يقاس عليه كما ذكر ذلك في شرح المفصل وغيره وفي ألفية ابن مالك . وقَعلي في قَعيلة
الترزم .

ومنها قوله في ص ٧٤ — من اعرف الارقام . . . وقوله بعده . ان يدعي لمعرفة
والظاهر أن الألف سقطت من المعرفة الى قوله اعرف .
ومنها في ص ٧٨ — بعد نضوج . . . والظاهر أن الواو زائدة لان مصدر هذا
الحرف لم يجي على فاعول .

ومنها في ص ١٠٣ — مع بقاء السبب . والصواب السلب . ونحو هذا مما لا يس
قدر هذا الكتاب الجليل ولا يشوه نصرته وروقه .
وانسا لنسدي الشكر الجزيل لهؤلاء الأفاضل لخدمة هذه اللغة خدمة صادقة قائمة
على حكمة صحيحة وعلم جم وذوق سليم .

سليم الجندي

« الخطرات »

« كتاب ادب و اخلاق واجتماع بقلم وداد شكاكيني وهو يقع في ١٨٠ صفحة »
« من القطع المتوسط والحروف الكبيرة »
جمعت المؤلفات الفاضلة في هذا الكتاب مقالات ديجتها براعتها في موضوعات مختلفة
وهالك عناوين بعضها :
« الشاعر ، الأدب العربي ، تطور المرأة ، الفجر ، الأمل والموت ، ذكرى النبي ،
الاخلاق والمدنية الحديثة ، الأطفال والأمسرة ، الخنساء ، الثروة والعمل الخ » .

وقد نظرت الى الكتاب نظرة من يستقصي المادة في مقالاته ويترف الى مراعاة افلام المؤلف ومقارنها ويستجلي الروح التي اوحى اليها بتلك المقالات . فاما مادة الكتاب فضيفة وجدير بمن يكتب في الأخلاق والاجتماع ان يدرس بامعان كتب فلسفة الأخلاق وفلسفة علم النفس والاجتماع وان يقتبس منها في مقالاته حتى يتميز عن غيره بغزارة المادة . ولم اجد من حيث الأدب تلك الصور الدقيقة والافكار العميقة التي يتفاضل بها الكتاب . ويبدو ضعف المادة جلياً في المقالة التي عنوانها « الثروة والعمل » فإن هذا الموضوع المادي لا يعالج بالأخيلة الشعرية .

واما لغة الكتاب فجيدة إجمالاً . ولا شك ان انشاء المؤلف الفاضلة يفوق انشاء عدد كبير من يسمونهم ادياء وكتاباً . ومع هذا وجدت في ثنايا الكتاب هنات تفيد الاشارة الى بعضها كقولها في ص ٤١ « بأخذ بناصية اعجابنا » وفي ص ٥٩ « جمال الطبيعة البري » افلها جمال مجرم ام لا بد من ترجمة Innocent التي يستعملها الفرنسيون في هذا الصدد . وفي ص ٦٥ « اقبل على تلك المظاهر الجديدة كرهاً عنه » والصحيح كَرِهَها او كَارِهَها او مَكْرَهَها او على نكْرَه الخ . وعدت فعل أثر يعلى في عدة مواضع (ص ٨٨ و ١٠٦ و ١٠٧) . وهو يتعدى بفي . وفي ص ١٢٩ « كان لنبهة نخبة راقية من الصديقات والصواحب ترتاح لحديثها وتستزيدها منه » ولعلها تريد ان تقول يرتحن لحديثها ويستزدينها منه . وفي ص ١٧٢ « فجرح رفضها هذا إياه الأمبراطور » قلت لقد ذكرني هذه الجملة بقولهم « جرح تواضعه » ترجمة للجملة الفرنسية *Blessers sa modestie* وهي كلها تجرح فؤاد المطلع على بيان هذه اللغة . . .

والروح التي اوحى الى المؤلف بتلك المقالات هي روح عالية لأن صادق الوطنية وحسب اللغة العربية والحث على التحلي بالأخلاق الفاضلة كلها تتجلى في تضاعيف الكتاب .

مصطفى الشهابي

كتاب الجيش العرمم

طبع سنة (١٣٣٦ هـ) بالحرف المغربي ، مؤلفه الشيخ الوزير الكاتب ابو عبدالله محمد ابن احمد كنسوس القرشي السومري المراكشي^(١) المتوفى بمراكش سنة (١٢٩٤ هـ) .
موضوعه : تاريخ دولة الاشراف العلويين الذين اعترف لهم اهل إفريقيا بشرف النسب العلوي منذ عهد جدهم الشريف علي بن الحسن بن محمد بن الحسن العلوي الداخل الى المغرب في القرن السابع للهجرة وقد امتصى بيان تاريخهم لاسمها السياسي الى سنة (١٢٨٢ هـ) .

وقلما يغني عنه كتاب في ذلك لأن المؤلف واسع العلم كثير الاطلاع تقلد الكتابة والوزارة مراراً فتسنى له أن يقف على كثير من الشؤون التي تشتد حاجة التاريخ إليها .
وفي كتابه شعر كثير وترسل جميل يليق بموضوعه لو لم يتغلبه شيء من السجع فيه ما فيه .

وقد ألم استطراداً بتاريخ أشهر دول الاسلام في الشرق والغرب واستهل كتابه ببحث رائق في بيان فضل التاريخ وحقيقة الإمامة والفرق بينها وبين الخلافة والملك ، واختتمه بأسهاب في صفات الملك العادل منها ما كتبه الحسن البصري لعمر بن عبد العزيز . وله مصطلحات خاصة تعين على الاختصار في تعريف الاحوال التاريخية العامة كقوله في عنوان تاريخ صدر الاسلام : اللواء الاول الابيض الاكبر ، راية يزيد بن معاوية زرقاء ، راية عبد الملك بن مروان حمراء شديدة الحمرة .

والكتاب على كثرة محاسنه لم يخل مما يوجب نقده — والعصمة لله وحده — فهاجت بمؤلفه ثورة عاطفة شديدة جعلته يحمل على الامير عبد القادر الجائري الكبير حملة منكرة بعيدة عن الحق جداً ولعل عذره في ذلك ان المفاخرة حرمان والعين لا ترى نفسها .

عبد القادر المبارك

عضو الجمع العلمي العربي

(١) ترجمته في كتاب فواصل الجمان في انباء وزراء وكتاب الزمان . المطبوع

سنة (١٣٤٦ هـ) للكاتب الأديب محمد غريب .

الحكيم أبو نصر الفارابي (١)



لا خلاف بين المؤرخين في أن اسم الفارابي (محمد) وأنه ملقب (بأبي نصر) وقد اختلفوا بعد ذلك في نسبه ، فمنهم من يقول هو أبو نصر محمد بن محمد بن أوزلغ بن طرخان كافي (عيون الأنباء) لابن أبي أصيبعة ، ومنهم من يقول هو أبو نصر محمد بن طرخان بن أوزلغ كابن خلصان ، ومنهم من يقول هو أبو نصر محمد بن محمد بن محمد بن طرخان كالفطحي والبيهقي ، ومنهم من يقول هو أبو نصر محمد بن محمد بن محمد بن محمد بن طرخان كابن النديم (في الفهرست) ، ومنهم من يقول : هو أبو نصر محمد بن محمد بن نصر كصاعد في (الطبقات) ويقول صاعد في موضع من كتابه أبو نصر محمد بن نصر .

فلا اتفاق على تسمية آبائه ولا على ترتيبهم ، وإذا كانت اسم أبيه موضع خلاف فلا غرو أن احداً من المؤرخين لم يشر إلى اسم أمه ولا إلى نسبها .
وأكثر المترجمين للفارابي يذكرون أنه تركي لكن صاحب طبقات الأطباء يقول : (وكان أبوه قائد جيش وهو فارسي المنتسب) ولا سبيل إلى تحقيق نسبه من هذه الناحية لتقارب البلادين واشتراك الأعلام فيهما ، وإذا صح أن أباه كان قائد جيش فهو لم يكن من كبار القواد الذين يشيد بذكرهم التاريخ .

ولعل فيما امتاز به الفارابي من الشجاعة والصبر على احتمال متاعب الدرس ومشاق الأسفار وشغل العيش ما يشعر بأنه سليل أبطال .

ولم يقف الخلاف في أمر الفارابي عند حد التضارب في نسبه فقد اختلف المؤرخون في وطنه الأول أيضاً .

(١) للاستاذ المحقق الشيخ مصطفى عبد الرازق من أعضاء المجمع العلمي العربي .

والفارابي منسوب الى (فاراب) ولم يشذ عن القول بذلك الا ابن النديم في الفهرست فانه يقول : أصله من الفارياب من أرض خراسان ، والا البيهقي في كتابه المخطوط في تاريخ الحكماء فانه يذكر أن الفارابي من فارياب (تركستان) لان النسبة الى فارياب هي : فارابي . وقد ذكر معهم البلدان أسماء جماعة من الأئمة نسبوا اليها : منهم محمد بن يوسف الفارابي .

وفاراب التي ينسب اليها فيلسوفنا وتسمى (باراب) ايضاً هي ناحية كبيرة واسعة وراء نهر جيحون (أموداريا) كذا يقول ياقوت عند الكلام على (باراب) ولكنه يقول عند ذكر فاراب : « ولاية وراء نهر سيجون » (سرداريا) في تخوم بلاد الترك وهي أبعد من الشاش قريبة من بلاساغون ومقدارها في الطول والعرض أقل من يوم الا أن بها منعة وبأساً وهي ناحية سيجة لها غياض ولم مزارع في غرب الوادي تأخذ من نهر (الشاش) والشاش هي مدينة بما وراء النهر ثم ما وراء نهر سيجون متاخمة لبلاد الترك . ويتبين من ذلك ان لا خلاف بين عسارقي ياقوت فان (فاراب) وراء نهر جيحون و سيجون معاً ثم ان فاراب على جانبي الفرع الاكبر لنهر سيجون وهي في طرف بلاد الترك (تركستان) .

ويقول ابن حوقل الذي ظهر نحو سنة ٣٦٧ هجرية ٩١٢ ميلادية أن على الشاطئ الغربي من سرداريا كانت توجد مدينة (وسيج) التي ولد بها الفيلسوف أبو نصر الفارابي . والمستشرقون يعتمدون هذا القول لكن كثيرين من مؤلفي العريضة كالفنطلي وابن أبي أصيبعة وابن خلكان صرحوا بان الفارابي من مدينة (فاراب) وقال ابن خلكان أن هذه المدينة تسمى لعهده (أطرار) ويقول الاستاذ (بارتولد) في الفصل الذي كتبه في دائرة المعارف الاسلامية : « ان الاصطغري الذي وجد في أوائل القرن العاشر يذكر أن قسبة ولاية فاراب كانت مدينة تسمى (قدر) في شرق نهر سرداريا على نصف فرسخ من مجراء وعلى الشاطئ الغربي من هذا النهر على فرسخين دون (قدر) توجد (وسيج) التي هي حصن صغير .

اما المقدسي الذي نبغ في أواخر القرن العاشر الميلادي فهو يذكر ان قسبة (فاراب) كانت تسمى باسم الولاية وعنده أن (قدر) مدينة حديثة النشأة . ويرجع الاستاذ (بارتولد) أن تكون فاراب التي لم يذكرها ابن حوقل ولا

الاصطخري هي المدينة الحديثة النشأة اما (قدر) فهي المدينة القديمة و (أطراب) هي نفس مدينة (فاراب) وهي أحدث منها .

وعلى ذلك فالراجح أن الفارابي ولد بوسج كما ذكره ابن حوقل ونسب الى ولاية (فاراب) لا الى المدينة المسماة بهذا الاسم التي حلت محل مدينة (قدر) ثم حلت محلها (أطراب) .

ولسنا نعرف مولد الفارابي الا بالتقريب استنتاجاً مما ذكره المؤرخون في وفاته فقد ذكر ابن خلكان أنه توفي سنة ٣٣٩ هـ (٩٥٠ - ٩٥١ م) وقد ناهز ثمانين سنة ويكون إذاً مولده حول سنة ٢٥٩ هـ ٨٧٣ - ٨٧٣ م .

ولا يعرف شيء عن طفولته وشبابه انما يقول المؤرخون : انه خرج من بلده وانتقلت به الأسفار الى ان وصل بغداد وهو يعرف اللسان التركي وعدة لغات غير العربي فتعلمه وأتقنه ثم اشتغل بعلوم الحكمة على ابي بشر متى بن يونس وهو مسيحي لسطوري معروف بين تراجمه الكتب اليونانية واليه انتهت رئاسة المنطقيين في عصره ، وعلى الطبيب المنطقي المسيحي يوحنا بن حيلان ولم يذكر له المؤرخون أساتذة غيرهما .

واذا كنا لا نعرف التاريخ الذي خرج فيه الفارابي من بلده ولا التاريخ الذي وصل فيه الى بغداد فانا نستطيع ان نتكس بعض هذه التواريخ استنباطاً من ثانياً كلام المترجمين للفارابي .

ويقول صاعد في «طبقات الأئم» (أخذ أي الفارابي صناعة المنطق عن يوحنا بن حيلان المتوفى بمدينة السلام في أيام المقتدر) والخليفة المقتدر توفي سنة ٣٢٠ هـ ٩٣٢ م ويقول ابن خلكان : ان الفارابي ارتحل من بغداد الى مدينة حران وفيها يوحنا بن حيلان فأخذ عنه طرقاً من المنطق . ويؤخذ من ذلك أن يوحنا كان يشتغل بخران أولاً ثم انتقل الى بغداد ومات بها قبل سنة ٣٢٠ هـ .

اما ابو بشر متى بن يونس فقد كان شيخاً كبيراً يقرأ في بغداد كتاب أرسطاطاليس في المنطق ويلمي على تلامذته شرحه فحضر أبو نصر دروسه زمناً قبل انتقاله الى حران ولعلنا نستطيع أن نقدر زمن درسه ببغداد ثم اشتغاله بخران ثم انتقال أساتذه يوحنا بن حيلان الى بغداد ومقامه فيها الى أن مات بفحو عشر سنين فيكون دخول الفارابي الى

بغداد لأول مرة حوالي سنة ٣١٠ هـ ولا يكون هذا الفرض جزافاً اذا راعينا ما ينقله ابن ابي أصيبعة من أن الفارابي كان يجتمع بأبي بكر بن السراج فيقرأ عليه صناعة النحو وابن السراج يقرأ عليه صناعة المنطق وأبو بكر بن السراج توفي سنة ٣١٦ هـ فلا بد أن يكون تبادل التعلم بينه وبين الفارابي قبل وفاته بست سنين على الأقل خصوصاً اذا روعي ما لاحظته بعض زملائنا المشتغلين بدراسة تاريخ النحو من أن ابن السراج قد تأثر في مؤلفاته النحوية بأساليب المنطق وقواعده .

قد خرج الفارابي اذاً من بلده قاصداً الى بغداد حوالي سنة ٣١٠ وهو يومئذ يناهز الخمسين فحضر دروس ابي بشر متى في المنطق وتعلم في اثناء ذلك العربية عن ابن السراج في مقابلة تعليمه المنطق .

والظاهر أن الفارابي حين وصل الى بغداد لم يكن جاهلاً للعربية ولا للعلوم الحكيمة كما يفبده كلام المؤرخين فليس من المعقول أن الامام ابن السراج المجمع على فضله وجلالة قدره في النحو والأدب يتعلم المنطق عن ناشئ يتلقى دروسه الاولى ثم يتأثر عقله بأسلوب هذا الناشئ وتعاليمه وليس بالمعقول أن من يجبل اللغة العربية بيتدي بتعلم ألفها وبائها عن ابن السراج . انما خرج الفارابي من بلده ليتصل بأئمة الحكمة والعلم في العراق والشام تكميلاً لما عنده من العلم والحكمة .

وقد ذكروا انه انما أخذ عن ابي بشر متى بن يونس وعن يوحنا بن حيلان علم المنطق وأخذ العربية عن ابن السراج فكيف تعلم الرياضيات وقد قالوا انه كان رياضياً بارعاً ؟ وكيف تعلم الموسيقى وقد كان يحسنها تلحيناً وتوقيعاً حتى يلحكي كما في ابن خلكان « ان الآلة المسماة بالقانون من وضعه وهو اول من ركبها هذا التركيب » ويقول غير ابن خلكان انه وضع آلة تشبه القانون وكتابه في الموسيقى اشهر كتب الفن كما انه كان في صباه يضرب بالعود ويغني « ويقول « كراداه ثو » في دائرة المعارف الاسلامية : ان دراويش المولوية لا تزال تحتفظ باغانٍ قديمة منسوبة اليه .

ثم انه كان له بالطلب معرفة بل ذكر بعضهم انه مارسه عملاً ، وأنكر ذلك آخرون . فهل تعلم كل هذه العلوم وهي لا تستغني عن موقف الا قبل مجيئه الى بغداد ؟؟ ثم انهم ذكروا انه كان يعرف لغات كثيرة عند قدومه الى بغداد ورووا أساطير تدل

على انه كان يعرف سبعين لغة ومع مافي ذلك من الشطط فانه لا يتخلو من اثر الحق اذ هو بالضرورة كان يعرف التركية ولعله كان يعرف الفارسية وقد اتقن العربية وهو يتحدث في بعض كتبه عن اللغة اليونانية حديث خبير بها فهل يضطلع بعلم هذه اللغات الا الرجل العليم ؟

بعد ان قضى الفارابي وطره من دروس ابي بشر حتى يتحول عن بغداد الى حران فأخذ عن يوحنا بن حبلان المنطق أيضاً ثم انه قفل راجعاً الى بغداد وكما يقول ابن خلكان وقرأ بها علوم الفلسفة وتناول جميع كتب ارسطاطاليس وقهر في استخراج معانيها ويقال انه وجد كتاب النفس لأرسطاطاليس وعليه بخط ابي نصر الفارابي: اني قرأت هذا الكتاب مائة مرة . ونقل عنه انه كان يقول : قرأت السماع الطبيعي لأرسطاطاليس الحكيم اربعين مرة وأرى اني محتاج الى معاودة قراءته . ويذكر ابن خلكان ان الفارابي الف في بغداد معظم كتبه .

ثم انتقل الفارابي الى الشام ثم توجه الى مصر وعاد الى الشام واتصل هناك بسيف الدولة ابن حمدان الذي عرف له فضله وأكرم وفادته فعاش في كنفه حتى مات .
وكلام المؤرخين مضطرب في امر هذه الانتقالات وقد أورد ابن خلكان في كتاب « الوفيات » أن ابا نصر ذكر في كتابه المرسوم بالسياسة المدنية انه ابدأ بتأليفه في بغداد وأكمل في مصر .

وليس في كتاب السياسة المدنية المطبوع شيء من هذا .
وذكر ابن أبي أصيبعة انه ابدأ بتأليف كتاب المدينة الفاضلة والمدينة الجاهلة والمدينة الفاسقة والمدينة المبذلة والمدينة الضالة ببغداد وحمله الى الشام في آخر سنة ٣٣٠ هـ وتممه بدمشق في سنة ٣٣١ هـ وحرره ، ثم نظر في النسخة بعد التحرير فأثبت فيها الأبواب ، ثم سأله بعض الناس أن يجعل له فصولاً تدل على قسمة معانيه فعمل الفصول بمصر في سنة ٣٣٢ هـ .

وذكر ابن أبي أصيبعة في موضع آخر ان ترجمته مانصه : « ونقلت من خط بعض المشايخ أن ابا نصر سافر الى مصر سنة ٣٣٨ ورجع الى دمشق وتوفي بها سنة ٣٣٩ » .
والظاهر ان الفارابي رجع من بغداد الى دمشق سنة ٣٣٠ وهي السنة التي حصل فيها

وباء ببغداد وغلاء مفرط حتى اكل الناس الجيف وفيها حدثت فتنة البريدي .
وأقام بدمشق في شطف من العيش وهو على ذلك دائم الاشتغال بالحكمة ، قال ابن
ابي أصيبعة نقلاً عن الآمدي : ان الفارابي كان في اول امره ناطوراً في بستان بدمشق
وهو على ذلك دائم الاشتغال بالحكمة والنظر فيها والتطلع الى آراء المتقدمين وشرح معانيها .
وكان ضيف الحال حتى أنه كان في الليل يسهر للمطالعة والتصنيف ويستضيء بالقنديل
الذي للحارس وبقي على ذلك مدة .

وملك سيف الدولة حلب سنة ٣٣٣ وبسط حمايته على العلم والأدب فقصداً اليه الفارابي
فأوى منه الى ركن شديد .

ثم انه عظم شأنه وظهر فضله واشتهرت تصانيفه وكثرت تلاميذه
وقد عاش منذ ذلك الحين سيف كنف سيف الدولة منقطعاً الى التعليم والتأليف غير
منقطع عن الأسفار التي كان بها مفرماً وبلغت به أسفاره الى مصر ، ثم رجع الى الشام
ولعله كان ينتقل بين حلب عاصمة الحمدانيين ودمشق التي كانت تدخل في حوزتهم تارة
وتخرج أخرى الى ان توفي بدمشق سنة ٣٣٩ وصلى عليه سيف الدولة في اربعة من خواصه
أو خمسة عشر ودفن بظاهر دمشق خارج الباب الصغير .

كذلك ذكر المؤرخون وفاة ابي نصر وكلامهم يدل على انه مات بدمشق موتاً طبيعياً
لكن البيهقي في كتابه المخطوط الموجود بدار الكتب المصرية المسمى « تاريخ الحكماء »
روى عن موت الفارابي رواية هذا نصها :

« وقد سمعت من أستاذي رحمه الله ان ابا نصر كان يرثل من دمشق الى عسقلان
فاستقبله جماعة من اللصوص الذين يقال لهم (الفتيان ؟) فقال لهم ابو نصر خذوا ما معي من
الدواب والأسلحة والسياب وأخلوا سبيلي فأبوا ذلك وهموا بقتله فلما صار ابو نصر مضطراً
ترجل وحارب حتى قتل ومن معه ووقعت لهذه المصيبة في أفئدة أمراء الشام مواقع فطلبوا
اللصوص ودفنوا ابا نصر وصلبوه على جذوع عند قبره . وبعض من لم يكن له معرفة
بالتواريخ يحكي ان ابا نصر قد عراه المايخوليا ومراً على شط دجلة برجل يبيع التمر فقال له
كيف تبيع التمر ؟ فأجاب الرجل بكلام غير ملائم فضربه وقال : أسألك عن الكيف
وأنت تبيع عن الكم . »

ولو صحت حكاية قتل الفارابي الأشار إليها من ترجموا له من كان زمنهم قريباً من زمنه كأبي الحسن علي السعدي المتوفى سنة ٣٤٦ هـ ٩٥٧ م . على أنا لاحظنا في ترجمة البیهقي للفارابي خلطاً تاريخياً بزعم الثقة بها وهذه الرواية المنقولة عن قتل الفارابي يشبه ان تكون تحريفاً لما رواه المؤرخون عن مقتل أبي الطيب المتفبي الشاعر المشهور في عودته من بلاد فارس الى الشام سنة ٣٥٤ هـ .

وقد وقع للبیهقي خلط ايضاً في ترجمة الفارابي حيث نقل عن كتاب « اخلاق الحكماء » : ان صاحب اسماعيل بن عباد بعث الى أبي نصر هدايا وصالات واستدعاه اليه وابو نصر يتعفف وينقبض ولا يقبل منه شيئاً . حتى ضرب الدهر ضرباته ووصل ابو نصر الى الري ، ودخل مجلس صاحب متنكراً الى آخر ما ذكره من رواية تشابه القصة المروية عن اتصال الفارابي بسيف الدولة .

والصاحب اسماعيل بن عباد ولد سنة ٣٢٦ فهو عند موت الفارابي كان صبيّاً لم يجاوز ١٣ عاماً .

اما صلاة ابن حمدان في بعض خواصه على جنازة أبي نصر التي عني المؤرخون بتسجيلها ، فهي آية مودة وتكريم من سيف الدولة لرجل اتاه الله حكمة تتعالى عن عقول العامة وقلوبهم .

هذه هي جملة حياة الفارابي مستخلصة من الحشد المضطرب في كلام من ترجموا له . وقد عاش الفارابي عيشة الزهاد حياته كلها فلم يقن مالا ، ولا اتخذ صاحبة ولا ولداً وكان يستطيع أن يستمتع برفه العيش خصوصاً في شيخوخته أيام استغلاله بظل الملك الجواد سيف الدولة بن حمدان لكنه لم يكن يتناول من سيف الدولة الا اربعة دراهم فضة في اليوم يخرجها فيما يحتاجه من ضروري العيش وهو الذي اقتصر عليها لقناعته ولو شاء زيادة لوجد مزيداً .

وروى ابن أبي أصيبعة انه كان يتغذى بماء قلوب الحملان مع الخمر الريحاني فقط - الحملان جمع حمل الذكر من ولد الفأن - قال ابن خلكان : (وكان مدة مقامه بدمشق لا يكون غالباً الا عند مجتمع ماء أو مشبك رياض ويؤلف هناك كتبه ويتناوبه المشتغلون عليه) .

وفي مفتاح السعادة لطاش كبري زاده : وكان منفرداً بنفسه لا يكون الا عند مجتمع ماء أو مشتبك رياض ويؤلف كتبه هناك وكان اكثر كتبه في الرقاع ولم يصف في الكرايس الا قليلاً ولذلك كانت اكثر نسايفه فصولاً وتعليقات وبعضها مبتوراً ناقصاً « ج ١ ص ٢٥٦ - ٢٦٠ » .

وتلك حياة فيلسوف زاهد موسيقي شاعر اما فلسفة الفارابي فستأتي إشارة اليها واما ابداعه الموسيقي فقد رويت فيه اعاجيب .

وحكى ابن خلكان : ان ابا نصر لما ورد على سيف الدولة وكان مجلسه مجمع الفضلاء في جميع المعارف فأدخل عليه وهو يزي الأثران وكان ذلك زبه دائماً فوقف فقال له سيف الدولة : أقعد فقال : حيث أنا أم حيث أنت ؟ فقال حيث انت فتخطى رقاب الناس حتى انتهى إلى مسند سيف الدولة وزاحه فيه حتى أخرجه عنه وكان على رأس سيف الدولة مماليك وله معهم لسان خاص يسارهم به قل أن يعرفه أحد فقال لم بذلك اللسان : ان هذا الشيخ قد أساء الأدب واني مسائله عن اشياء انت لم يوف بها فاخرجوا به فقال له أبو نصر بذلك اللسان : أيها الأمير اصبر فان الأمور بعواقبها فجذب سيف الدولة منه وقال له : أنتحن هذا اللسان ؟ فقال : نعم أحسن أكثر من سبعين لساناً فعضم عنده ثم أخذ بتكلم مع العلماء الحاضرين في المجلس في كل فن فلم يزل كلامه يعلو وكلامهم يسفل حتى صمت الكل وبقي بتكلم وحده ثم أخذوا يكتبون ما يقوله فصرهم سيف الدولة وخلا به فقال له :

هل لك في أن تأكل ؟ فقال لا : هل تشرب ؟ فقال : لا فهل تسمع ؟ فقال نعم فامر سيف الدولة باحضار القيان فحضر كل ماهر في هذه الصناعة بأنواع الملاهي فلم يحرك احد منهم آلتة الا وعابه أبو نصر وقال له أخطأت فقال له سيف الدولة وهل يحسن في هذه الصناعة شيئاً ؟ فقال نعم ثم أخرج من وسطه خريطة ففتحها وأخرج منها عبداناً وركبها ثم لعب بها فضحك منها كل من كان في المجلس ثم فكها وركبها تركبها آخر ثم ضرب بها فبكي كل من كان في المجلس ثم فكها وغير تركبها وضرب بها ضرباً آخر فنام كل من في المجلس حتى البواب فتركهم قياماً وخرج .»

والئن كانت هذه الحكاية ادنى الى الاساطير منها الى التاريخ فهي تشبه أن تكون غلوّاً مجاوزاً لا اختراعاً صرفاً .

وقد روي للفارابي شعر فيه نفحة من اساليب الفلاسفة أحياناً وفيه احباناً صريحين محب للعزلة سبي الرأي في الناس وبما روي من شعره :

| | |
|----------------------------|----------------------------|
| يا علة الاشياء جمعاً والذي | كانت به من فيضه المتفجر |
| رب السماوات الطباقي ومركز | في وسطين من الثرى والأبجر |
| أني دعوتك مستجيراً مذبذباً | فاغفر خطيئة مذنب ومقصر |
| هذب بفيض منك رب الكل من | كدر الطبيعة والعناصر عنصري |

وروي له هذا الشعر ابن أبي أصيبعة وروي له ايضاً :

| | |
|-----------------------|----------------------|
| لما رأيت الزمان نكساً | وليس في الصحة انتفاع |
| كل رئيس به لال . | وكل رأس به صداع |
| لذمت بيني وصنت عرضاً | به من العزة اقتناع |
| أشرب مما اقتنيت راحاً | لما على راحتي شماع |
| لي من قواريرها نداي | ومن قراقيرها سماع |
| وأجفتي من حديث قوم | قد افترت منهم البقاع |

وروي له ايضاً :

| | |
|--------------------|---------------------|
| بزجاجتين قطعت عمري | وعليهما عولت أمري |
| فزجاجة ملئت بحبر | وزجاجة ملئت بخمر |
| فبذي أدون حكمتي | وبذي أزيل هموم صدري |

«مقدمة المجموعة السماة — الفلسفة القديمة — المطبوعة بالمطبعة السلفية بمصر

سنة ١٩١٠» وذكر ابن خلكان : انه وجد في مجموعة ابياتاً منسوبة الى الفارابي هي :

| | |
|------------------------|----------------------------|
| أخى خل حيز ذبي باطل | وكن للحقائق في حيز |
| فما الدار دار مقام لنا | وما المرء في الارض بالمعجز |
| ينافس هذا لهذا على | أقل من الكلم الموجز |

وهل نحن الا خطوط وقمن على نقطة وقع مستوفز
محيط السماوات أولى بنا فماذا التنافس في مركز

وقد شك ابن خلكان في صحة هذه الايات وذكر أنه رأى في كتاب « الخريدة »
منسوبة الى شاعر من شعراء القرن السادس معاصر لصاحب الكتاب .
ونحن نشك في معظم هذا الشعر أن يكون للفارابي لما في أسلوبه من تكلف ينبو عنه
أسلوب فيلسوفنا وطبعه . ولما في معانيه من تبرم بالحياة والناس واستهتار بالشراب .
والفارابي انما كان يعتزل الناس ويؤثر الوحدة لما رأى أمر النفس وتقويمها اول ما يبتدي
به الانسان حتى اذا أحكم تعديلها وتقويمها ارتقى منها الى تقويم غيرها كما ذكر ذلك في
كتاب « الجمع بين رأيي الحكيمين » تبريراً لتخلي افلاطون عن كثير من الأسباب
الدنيوية وإيثاره تجنبها ولم يكن الفارابي ضيقاً بالحياة ولا متبرماً بالناس أما الخمر فمأخوذه
كان يشربها شهوة وتليها ، ذلك الرجل الذي كلف نفسه عن شهوات الحياة وهوها وقد
يكون ضاع شعر الفارابي فيما ضاع من آثاره .

ولولا شك ابن خلكان شكاً وجيهاً لرجع عندنا أن يكون الفارابي هو القائل :

محيط السماوات أولى بنا فماذا التنافس في مركز

بقي الكلام على فلسفة الفارابي ومكانه من الفلسفة الاسلامية .

— يقولون : الحكماء أربعة — اثنان قبل الاسلام ، وهما : افلاطون وأرسطو —
واثنان في الاسلام ، وهما : ابو نصر الفارابي وأبو علي بن سينا . وكان بين وفاة أبي نصر
وولادة أبي علي حوالي ثلاثين سنة وكان أبو علي تلميذاً لتصانيف الفارابي يعترف أنه
لولاها لما اهتدى الى فهم ما بعد الطبيعة .

وكما لقب افلاطون بالحكيم الآتي وأرسطو باليس بالمعلم الأول لقب الفارابي بالمعلم
الثاني وابن سينا بالشيخ الرئيس .

وآراء الناس مختلفة في تقديم الفارابي أو ابن سينا فالقبطي يقول عن الفارابي :
— « فيلسوف المسلمين غير مدافع » ويقول ابن خلكان (وهو اكبر فلاسفة المسلمين) .

ولم يكن منهم من بلغ رتبته في فنونه والرئيس أبو علي بن سينا المقدم ذكره بكثرة تخرج وبكلامه انتفع في تصانيفه .

أما الشهرستاني فيقول عند الكلام على فلاسفة المسلمين ومنهم الفارابي: « وانما علامة القوم أبو علي الحسين بن سينا » ويقول ابن سبعين الفيلسوف الصوفي الأندلسي الذي يقال: انه انقهر بمكة شوقاً الى الاتصال بالله سنة ٦٦٩ هـ في كتاب له مخطوط مانصه نقلاً عن المجموعة التي نشرها الأستاذ « ماسينيون » :

وأما الفارابي اضطرب وغلط وتناقض وتشكك في العقل الجبرلاني وزعم أن ذلك تمويه ومخرقة ثم شك في النفس الناطقة هل غمرتها الرطوبة أو حدثت بعده وتنوع اعتقاده في بقاء النفوس بحسب ما ذكر في كتاب الأخلاق وكتاب الملة الفاضلة والسياسة المدنية وأكثر تأليفه في المنطق وعدة كتبه نحو ٧٥ كتاباً وفيها من الالهيات ٩ وهذا الرجل أفهم فلاسفة الاسلام وأذكرهم للعلوم القديمة وهو الفيلسوف فيها لا غير ومات وهو مدرك وبحق وزال عن جميع ما ذكرته وظهر عليه الحق بالقول والعمل ولولا التطويل لذكرت ذلك مفصلاً » .

وابن سبعين هذا قد تناول بالنقد اللاذع بل بالتحقير الشنيع ابن سينا والغزالي وابن رشد ويقول الأستاذ « كاراده فو » في ترجمته للفارابي بدائرة المعارف الاسلامية : « ومذهب الفارابي هو مذهب الفلاسفة أعني الأفلاطونية الجديدة الاسلامية الذي بدأه من قبله الكندي ووجد في كتب ابن سينا من بعده أكل عبارة عنه وقد يكون من الراجع أن الفارابي يخالف الكندي وابن سينا في بعض المواضع ولكن من السبيل تعيين هذه المواضع ومن المناسب التحفظ بل الشك في تفسير ما يتعلق بتفصيل مذهبه والواقع انا لانعرف من آثاره الا قليلاً ثم ان أسلوبه لا يخلو من غموض وفيما عرفناه من رسائله ما هو مصوغ في صورة حكم في نهاية الإيجاز من غير نظام في ترتيبها ثم انه لا يمكن البتة عن يقين بأن مؤلفات كثيرة كمؤلفات الفارابي بتداولها تأثير أرسطو وأفلاطون وأفلوطين تنجرد من التناقض على أن الفكرة التي تعتبر قاعدة لهذا المذهب وهي التوفيق بين أرسطو وأفلاطون من ناحية وبين هذه الفلسفة الملتفة وبين العقيدة الاسلامية من ناحية أخرى ليست في نفسها سليمة من التضارب » .

وهذه العبارة في جملتها قد تبين بياناً صحيحاً عن مكانة كل من الكندي، والفارابي، وابن سينا، في الفلسفة الإسلامية وإن كانت تفاصيلها لا تخلو من نقد. والفارابي من خير المفسرين لكتب أرسطو خصوصاً في المنطق وأثره في هذا الباب هو الذي جعله يستحق التلقب بالمعلم الثاني إذ كان أرسطو هو الأول هذا هو رأي بعض المترجمين للفارابي، ومنهم «كاراده ثو»

وفي كتاب «إيجد العلوم» لحسن صديق خان مانصه :

«وفي حاشية المطالع لمولانا لطفي : ان المأمون جمع مترجمي مملكته كخني بن اسحاق وثابت بن قرة وترجموها بتراجم متخالفة مخلوطة غير مخصصة ومحرومة لانوافق ترجمة أعدم للآخر بقيت تلك التراجم هكذا غير محرومة بل أشرف أن عفت رسومها الى زمن الحكيم الفارابي . ثم انه التمس منه ملك زمانه «المنصور بن نوح الساماني» ان يجمع تلك التراجم ويجعل من بينها ترجمة مخصصة محرومة مطابقة لما عليه الحكمة فأجاب الفارابي وفعل كما أراد وسمى كتابه «بالتعليم الثاني» فذلك لقب «بالمعلم الثاني» وكان هذا في خزانة المنصور الى زمان السلطان «مسعود» من أحفاد المنصور كما هو مسوداً بخط الفارابي غير مخرج الى البياض اذ الفارابي غير ملتفت الى جمع تصانيفه وكان الغالب عليه السياحة على زبي القلندرية وكانت تلك الخزانة باصفهان وتسمى «صوان الحكمة» وكان الشيخ أبو علي ابن سينا وزيراً لمسعود وتقرب اليه بسبب الطب حتى استوزره وسلم اليه خزانة الكتب فأخذ الشيخ الحكمة من هذه الكتب ووجد فيما بينها «التعليم الثاني» ولخص منه كتاب «الشفاء» ثم ان الخزانة أصابها آفة فاحترقت تلك الكتب فأثمهم ابو علي بأنه أخذ من تلك الخزانة الحكمة ومصنفاة ثم أحرقها لئلا تنتشر ولا يطلع عليه فإنه مهتان وافك لأن الشيخ مقر لأخذه الحكمة من تلك الخزانة كما صرح به في بعض رسائله وأيضاً بفهم في كثير من مواضع الشفاء أنه تلخيص «التعليم الثاني» .

وفي ذلك القول خطأ تاريخي فان منصوراً بن نوح الساماني إنما ولي أمر خراسان بعد

سنة ٣٤٣ هـ بعد موت الفارابي .

ولا ينتهي فضل الفارابي عند تفسير كتب أرسطو وتصحيح تراجمها والتمهيد بذلك للنهضة الفلسفية في الاسلام التي تكاملت من بعده بل له أيضاً أنظار مبتدعة وابحاث في

الحكمة العلمية والعملية عميقة سامية لما تنهياً بعد للباحثين كل الوسائل لتفصيلها تفصيلاً وافياً وللفارابي كتاب في المدينة الفاضلة كما أن لأفلاطون كتاباً في الجمهورية الفاضلة .

والفارابي هو أول من عني بإحصاء العلوم وترتيبها في كتابه « إحصاء العلوم » الذي نشره أحد خريجي قسم الفلسفة من كلية الآداب في سنة ١٣٥٠ هـ ١٩٣١ م « عثمان أفندي أمين » ووضع له مقدمة طيبة والذي يعنى بنشره بعض المستشرقين الأسبانيين أيضاً ومن أجل ذلك يعتبر بعض الباحثين أباً نصر أول واضح في العالم لنواة دوائر المعارف .

ولئن كانت الأجيال تهتف باسم الفارابي منذ ألف عام في الشرق والغرب فإنه قد استحق ذلك بما وهب من حياته لخدمة العلم والحكمة وبما ترك من أثر في تاريخ التفكير البشري وفي تاريخ المثل العليا للحياة الفاضلة .

مصطفى عبد الرازق

« القاهرة » .

اصطلاحات النباتات الدنيا

—(١)—

قلت في المقالة التي عنوانها «الأسماء العربية للثمار النباتية»^(١) ان الدكتور امين باشا المعلوم نشر في هذه المجلة بحثاً مستفيضاً في اصطلاحات النبات بدأ بالبزرة وأنهاء بالزهرة ولم يتعرض العالم المشار اليه للاصطلاحات المستعملة في النباتات الدنيا كالقنطريون والطحلب والسرخس والأشنه وأمثالها. ولما كانت هذه الاصطلاحات مهمة وكان عددها كبيراً وكانت المعاجم الأعجمية العربية خلواً من معظمها وكانت ما حوته تلك المعاجم فيه نظراً رأيت من المفيد استقصاء بعضها في هذه العجالة وذكر الألفاظ العربية التي تصلح لها دون البحث عن شؤونها العلمية لأن القاري يراها في كتب النبات.

جميع النباتات التي تناولها هذا البحث لا زهر لها فهي إذن من عديمة الأزهار. واعلاها السرخس Fougère فان له ساقاً وورقاً وجذراً ومنه الخنثار المسى باللاتينية Polypodium filix mas وبليبه الطحلب ويسمونه العرامض فان له ساقاً وورقاً وهو بالفرنسية Mousse

وأدنى من ذلك القنطريون Champignon والأشنه Algue فليس فيها سوق ولا ورق ولا جذور. والفطور لاخضوب فيها اما الأشنه ففيها خضوب.

وفي صف الفطور اربع رتب وهي اولاً رتبة الفطور البيضية Oomycètes وفيها تلك النباتات الدنيا التي تحدث العفونة على المواد العضوية المحللة ومعظمها من فصيلة العفونة أو المتعففات Mucorinées

ثانياً رتبة الفطور الدعامية Basidiomycètes وسماها الدكتور شرف في معجمه

رتبة الفطور الاصلية وربما كانت الاولى اصلح . وهي فطور تنشأ غُبيراتها Spores على خلايا خاصة تسمى دعائم Basides . ومنها معظم الفطور الكبيرة التي لها قبعات وترى في الحقول بعضها سام وبعض يؤكل . ومنها ايضا التي تولد في الحبوب مرض الصدا Puccinia graminis الخ .

ثالثاً رتبة الفطور الجرابية او القرية Ascomycètes وهي التي تنشأ غُبيراتها على خلايا تسمى واحدتها قرية او جراباً Asque ومنها الكأء والفقع وهما من الفصيلة الكثيرة .

رابعاً رتبة الفطور المخاطية او الهلامية Myxomycètes وهي ابسط الفطور في تركيبها .

وصف الأشنة هو صف النباتات الدنيا التي تعيش في المياه او في الأماكن الرطبة الهواء وتعرف بوجود الخُضوب في خلاياها خلافاً للفطور ويسميا بعضهم الأشنة وشيبة العجوز والفتريع وسماها الدكتور شرف الفوقس وهي ترجمة اللفظة اليونانية وردت في مفردات ابن البيطار مصحفة هكذا (قوفس البحري) مع ان القوفس من اجناس هذا الصف وفي الصف المذكور اربع رتب وهي :

اولاً رتبة الأشنة الزرقاء Cyanophycées وهي الأشنة التي يكون خضوبها مشوباً بمادة زرقاء اللون منتشرة في جبة الخلايا الأولى Protoplasme .

ثانياً رتبة الأشنة الخضراء Chlorophycées وهي التي لا يشوب خضوبها لون آخر . ثالثاً رتبة الأشنة السمراء Phéophycées وهي التي يكون خضوبها مختلطاً بمادة سمراء تجعل النبات اسمر اللون . وفي هذه الرتبة الفصيلة القوقسية Fucacées ومنها الفوقس Fucus وهي نباتات يسمونها بالفرنسية Varechs .

رابعاً رتبة الأشنة الحمراء Rhodophycées وهي الأشنة التي يكون مع خضوبها مادة حمراء يصطبغ النبات بها .

ويطلقون لفظة الحزاز على نباتات تنبت على لحاء الشجر وعلى الصخور والجدران يسمونها بالفرنسية Lichens وقد وردت بهذا الأسم في كتب الأتراك وسماها به الدكتور شرف

ايضاً كما أطلق عليها لفظة الأشنة وشيبة العجوز . اما الاتراك فانهم أطلقوا لفظة الأشنة على ما ذكرنا دون غيره .

قلت ان الفطور والأشنة بسيطة التركيب لانتيميز فيها السوق عن الورق ولا هذه عن الجذور . وجسم النبات البسيط الذي يكون على هذا الشكل يسمى بالفرنسية Thalle (وتسمى الشعبة التي تنسب اليها تلك النباتات Thallophytes) . ولم اجد بالعربية لفظة تفيد هذا المعنى تماماً اي لفظة يمكن اطلاقها على جسم نبات بسيط لا ساق فيه ولا ورق ولا جذور . وسماه الدكتور شرف البارز . فالبارز هو اول ما يطلع من النبات وهو غير التالوس المذكور لأن البارز بعد ان يكبر تميز فيه الأعضاء المذكورة . ومع هذا لا بأس من استعارة هذه اللفظة واشباهها لهذا المعنى الى ان نجد اقرب منها الى معنى التالوس الحقيقي .

وفي العربية ألفاظ كثيرة لها معنى مقارب للبارز اللغوي منها الأساس وهو البقل مادام صغيراً لا تستمكن منه الراعية . ومنها السارخ من سمخ الزرع اي طلع اول طلوعه . ومنها المنة رتح من قرّح النبات خرجت رؤوس ورقه . ومنها النة مطورة ج . النفاطير وهو اول نبات الوسمي . واصلمها جميعاً لما نحن في صدد المنة وهي الأغصان الخضر الرطبة قبل ان تتلون بلوناً وتتشدد وهي ايضاً اول النبات . قلت انها اصل الجميع لأن لفظة Thalle الفرنسية مشتقة من Thallos اليونانية بمعنى الغصن . فيمكننا إذن ان نستعمل المنة للتالوس والمشريات للتالوفيت .

والمشرة اشكال - فاذا كانت خيوطاً متشابكة سميت بالفرنسية Mycélium وعربها الدكتور شرف بلفظة ميسيل . ورأيت انه يمكن ان نطلق عليها لفظة مشيمة نباتية . وليس للنباتات الدنيا أزهار كما ذكرنا وهي تتكاثر بالتجزئة او بجلايا خاصة تحصل في المشرة يسمونها Spores وهي من اليونانية بمعنى البذر . فنحن اذا اسميناها بذراً او بزوراً كما في المعاجم الأجنبية العربية ومنها معجم شرف التبس الأمر على القاري لأن البذور في المشهور محبوب ذوات الأزهار وهي بالفرنسية Graines . ولذلك كنت سميت السبور غُبيرة ووجدت اخيراً ان العلامة بوسنت كان سبقني اليها . والذي دعاني الى استعمال هذه اللفظة ان للسبور شكلاً يسمونه Conidie وهو من اليونانية بمعنى الغبار .

مجلة مجمع المصنفين

السنه ١٣٣٩ هـ الموافقة لسنه ١٩٢١ م
تشرني دمشق مرة في اشهر

تموز - آب سنة ١٩٣٢ م
ربيع الاول وربيع الآخر سنة ١٣٥١ هـ

دمشق :

المجمع العلمي العربي

— (الطبعة) —

قيمة الاشتراك السنوي في سورية ولبنان ٢٥٠ قرشاً سورياً
الدفع مقدماً وفي جميع الاقطار ٦٠ فرنكاً

مجاميع المجلة عن السنين الماضية

في الداخل ٥٠٠ من السنة الاولى الى الخامسة الى كل سنة منها

» ٣٠٠ » السادسة الى الحادية عشرة »

» ٦٠٠ » الاولى الى الخامسة » في الخارج

» ٣٥٠ » السادسة الى الحادية عشرة »

والفرق بين السبور والكونيديا ان الأولى تنشأ في خلية كبيرة يسمونها Sporange اي كيس الغبيرات او وعاءها اما الثانية فتنشأ على قمة الخيوط المشربة مباشرة فهي إذن غبيرات خارجية .

وللنباتات التي يتناولها مقالنا هذا طريقة أخرى للتكاثر وهي حصول بيضة من القمح خلية ذكورية لأخرى انثوية . فالخلية الذكورية تسمى Anthérozoïde وقد رأيت ان اطلق عليها لفظ النطفة النباتية . وهي تكون في وعاء اسمه Anthéridie وهو وعاء النطفة النباتية . اما الخلية الأنثوية فهي تسمى Oosphère من اليونانية Oón بمعنى البيضة و Sphaira بمعنى الكرة ولذلك سميناها الكرة البيضية . والوعاء الذي تكون فيه يدعى وعاء الكرة البيضية Oogone .

هذا مارأيت ان أذكره في هذه المقالة ولعلي اتمكن من متابعة هذا البحث في فرصة أخرى .

وبعد تلخص الألفاظ التي مر ذكرها بما يلي :

| | |
|-------------------|-----------------------------|
| Oomycètes | الفطور البيضية |
| Mucorinées | فصيلة المتعففات |
| Basidiomycètes | الفطور الدعامية |
| Basides | دعائم |
| Puccinia graminis | صدأ الحبوب |
| Ascomycètes | الفطور الجرابية او الزقية |
| Tubéracée | الفصيلة الكشمية |
| Myxomycètes | الفطور المخاطية او الهلامية |
| Algues | الأشنه |
| Cyanophycées | الأشنه الزرقاء |
| Chlorophycées | الطحالب |
| Phéophycées | السمراء |
| Rhodophycées | الحمراء |

| | |
|----------------------|----------------------|
| Fucus | الْفُوقَس |
| Lichens | الْحَزَاز |
| Mousse | المُحَلَب |
| Fougère | السَّرَخُس |
| Polypodium filix mas | الْخُنْشَار |
| Thalle | الْمَشْرَة |
| Thallophytes | الْمَشْرِيَّات |
| Spore | الْغُبيرة |
| Sporange | وعاء الغُبيرة |
| Conidie | الغُبيرة الخارجية |
| Anthérozoïde | النطفة النباتية |
| Anthéridie | وعاء النطفة النباتية |
| Oosphère | الكرة البيضاء |
| Oogone | وعاء الكرة البيضاء |

مصطفى الشهابي



كتب الادب القديمة والحديثة

- ٣ -

بعد ان انتهيت من الكلمة الأولى في زهر الآداب عثرت في جدول الأغلاط الملحق بالجزء الأول على ثلاث كلمات بين فيه صوابها فأحببت أن أعرض القراء عنها بأضعافها فأعدت النظر في الجزء الأول فرأيت فيه ما يأتي :

قال في صفحة ١٠٧ - وأصاب شواكل المراد . وطبق مفاصل السداد . وقال في الدليل الشواكل جمع شاكلة وهي ما بين الأذن والصدغ . والصواب وهي البيضاء ما بين الأذن والصدغ . وهذا بعيد عن مراد المتكلم فالأولى تفسير الشاكلة بالخاصرة لقولهم أصاب شاكلة الرمية أي خاصرتها . وأصاب شاكلة الصواب . وهو يرمي برأيه الشواكل . وفي ص ١١٧ - فليس في قوس احسان وراءها منزع . قال في الدليل منزع على وزن منبر السير الذي ينتزع به ولم أجده بهذا المعنى والذي في الأساس . رماه بالمنزع وهو السهم البعيد المرمى . وفي اللسان الذي يرمى به ابعده ما يقدر عليه لتقدر به الغلوة . وفي القاموس السهم الذي ينتزع به .

وفي ذيل ص ١٢٧ - والجمام بكسر الجيم الراحة . وفي اللسان والجمام بالفتح الراحة . وفي القاموس والجمام كصباح الراحة . وفي الصباح وجمام الفرس بالفتح لا غير راحته . وكذلك قال الفراء فما نقله عنه التاج .

وفي ذيل ص ١٢٩ - الكعاب اطراف القنا . وفي كتب اللغة الكعاب جمع كعب وهو الانبوبة بين العقدتين وقيل العقدة ما بين الانبوبين . وفي ص ١٢٩ - اعز مكان في الدنا . والصواب في الدنى جمع دنيا .

وفي ص ١٣٢ - من ينجر البدر النصار لمن قرا . والصواب قري لأنه من باب رمى كما في الصباح .

وفي ص ١٥١ - صاحت إذن بعلي . والصواب صاحب وفيها عُرُس . ضبطت بضم فسكون والصواب بكسر فسكون .

وفي ذيل ص ١٥٢ - المغفل الطيب القلب . وفي القاموس المغفل من لا فطنة له . وفي ص ١٦٢ - بنفج . ضبطت بكسر السين وقد ضبطه في الصباح بفتحها . وفيها السحالة النخالة . وفي التاج والسحالة بالضم ماسقط من الذهب والفضة ونحوهما اذا برد .

وفيها فسر القارح بالأغر والقارح من ذوات الحافر كالبلازل من الابل .

وفي ص ١٦٣ - ابو دعل الجحي . والصواب ابو دهيل .

وفي ص ١٦٩ - افصح النصارى ضبط بضم الفاء . والصواب كسرهما . والفتح عامي .

وفيها ريق المطر . الغزير منه . وفي القاموس اوله . والريق ان يصيبك من المطر يسير .

وفي ص ١٧١ - الماء المقضض . والظاهر انه المقضض .

وفيها على اعلا سماواته والصواب اعلى .

وفي ص ٧٣ - الزرافين الآلات يرفع بها الماء فتري له عليها بريقاً ولمعانا . وفي

القاموس والتاج الزرفين . حلقة للباب . او عام . ومنه درع ذات زرافين . ولم اجد من

ذكر الزرافين بمعنى الآلات ولعل الاستاذ أراد الزرافات وهي المنازف التي ينزف بها الماء

للزراع وما اشبهه . ولكنها غير الزرافين .

وفي ص ١٧٦ - فسر النفق بالسرداب . والنفق حرب في الارض مشتق الى موضع

آخر اي له مخلص الى مكان آخر . والسرداب بناء تحت الارض للصيف فيبنيها فرق واضح .

وفي ص ١٨٢ - مذق اللسان . يمزج الجذ بالهزل ولم اجد هذا المعنى وانما يقال

فلان مذق اذا كان ملولاً غير مخلص .

وفي ص ١٩٦ - كما هو من عضاه الزبية الاسد . قال في تفسيره العضاء جمع عاضبة

وهي الحية تقتل لساعتها . والصواب ان العضاء جمع عضاة او عضبة وهو اعظم الشجر او

كل ذات شوك .

واما الحية فيقال لها العاضة والعاضة وهذه لا تجمع على فعال ولم اجد من نقل جمعها كذلك . وبعد كل هذا فان اصل الرواية كما هو عن غطاء الزبية الأسد . كما رواه المبرد في الكامل .

وفي ص ١٩٨ — اشاط دمي شخص عليّ كريم . قال في تفسيره اشاط احرق . ولا معنى للاحراق هنا . بل من قولم اشاط دمه اذا عراضه للقتل او اهدر دمه . او من اشاط دم الجزور اذا سفكه واراقه .

وفي ص ١٩٩ — من شاب شبن له المودة ضبط شبن بكسر الشين وهي من الشيب والصواب ضمها . من الشوب بمعنى المزج والخلط .

وفيها اذال ذبول الهوى . قال في تفسيره اذال اهان . ولا يلتئم هذا التفسير مع قوله : جرّ ازار الصبا فالأولى أن يقال اطلال او أرخى .

وفي ص ٢٠١ — قبل ان تدرج لداته . والصواب لداته .

وفيها عمر بن قنثة . والصواب عمرو بن قنثة .

وفي ص ٢٠٤ — حرزاً لشلو من الاندلاء مشجون . وهو في ديوان ابن الرومي . حرزاً لشلو من الآفات مشجون .

وفيها فسر النون بالتمساح وهو تخصيص غريب لم أجده لغيره .

وفي ص ٢٠٥ — رفاق الثنايا عذبة المترنق . قال في تفسيره المترنق العين وتقول —

رنق النوم في عينيه خالطها وهو تفسير بعيد يقسم ابو حية النخري انه لم يرده . فالصواب ان يقال المترنق الريق المصفي من قولهم رنق الماء صفاء عن الكدر . وهذا يلتئم مع قوله :

سقتني بكأس الحب صرفاً مروقاً رفاق الثنايا عذبة المترنق

وفي ص ٢١١ — صليل البيض تفرع . ضبط البيض بكسر الباء والصواب فتحها .

وفي ص ٢١٤ — اذا طرب الطائر المستقر . قال المستقر الحران . والصواب المفرد في

السحر يقال استقر الطائر اذا غرّد في السحر واستقر الديك صاح فيه .

وفي ص ٢١٨ — مفدم بسبا الكتان ملثوم . أراد بسباب . قال في تفسيره :

السباب جمع سبيبة وهي الحبل . والصواب ان السبيبة شقة كتان رقيقة . وبعضهم خصها بالبيضاء وبه فسر قول طليعة المتقدم .

- وفي ص ٢٢٨ — ثم دعا تسعة من رقيقة . والصواب من رقيقه .
 وفي ص ٢٣٠ — فهل تستطيع . وبها يختل الوزن والصواب تستطيع .
 وفي ص ٢٤٤ — أجنبينك الورد أغصان . والصواب والرواية أجنبت لك الوجد .

وقد رأيت ان اجتزي بثلاثين كلمة فاكثر أقدمها للقراء بدلاً عن تلك .
 والآن أودع الجزء الاول وأنا واثق بانى أبقى فيه لنظرة أخرى أكثر مما ذكرته
 وأعود الى سرد ما جاء في الجزء الثاني :

- قال في ص ٨٦ — اذا كان في إيجائهم والصواب إيجاشهم .
 وفي ص ٩٠ — ذو مقلة بصيرته منسية . وفي الديوان بصيرة مذهبة .
 وفي ص ٩١ — لولاه ماصح خط دائرة . وفي الديوان شكل دائرة .
 وفي ص ٩٢ — تمثال طرف بشكر الخدق مكبوح . والرواية بشكم جمع شكيمة
 وهي الموافقة لمكبوح .
 وفي ص ١٠٧ — فلج بقلب ضبطت بكسر الفاء . والصواب فتحها .
 وفيها . ورمى الكرى رأسي ومال به رمس . ولا معنى للرمس هنا . والظاهر انه رمس
 وهو من الرأس في النوم .
 وفيها واذا له علق وحشرجة . والصواب خلق وهو ضيق الصدر وقلة الصبر وهو الملائم
 لحشرجة .

- وفيها . حتى دفعت به لمصرعه سوق المعيز تساق للعترة . قال في تفسيره العتر اسم نبات
 او شجر صغير . والصواب ان العتر هنا الذبح . ومنه العتر والعتيرة .
 وفي ص ١٠٨ — يا عي ستاهي دالج . ولم أجد ستاهي فيما لدي من كتب اللغة .
 وفي ص ١١٠ — اريتك ان شطت . ضبطت بضم التاء والصواب فتحها .
 وفيها . الا ان حسيماً . ضبطت بفتح الحاء والصواب الكسر .
 وفيها . متاعهم فوضى قضا . والصواب فوضى قضا .
 وفي ص ١١١ — قام الثقات . والصواب نام كما في الديوان والكمال .
 وفي ص ١١٣ — من قرء بصطلونا . ضبطها بضم القاف والصواب كسرهما .

- وفي ص ١١٦ — والله لولا الخليفة والصواب لولا رضى الخليفة وبه يستقيم وزن البيت .
 وفي ص ١١٧ — مسالك السحاب . ضبطت بكسر الميم والصواب فتحها .
 وفيها اذا غدى . والصواب غدا .
 وفي ص ١١٨ — في طلال الاعناق . ضبطت بفتح الطاء والصواب في طلى بضمها .
 وفي ص ١١٩ — لهم احنة . والرواية بهم جنة .
 وفي ص ١٣٣ — اكثنا قريسا . ضبطت بضم القاف وفتح الراء . والصواب فتح الأول وكسر الثاني .
 وفي ص ١٤٥ — قد شذ هذا . والصواب شد .
 وفيها . نظل نلطم . والصواب نظل تلطم .
 وفي ص ١٥١ — ودمع العاشقة المرهأ . فسر المرهأ بالبيضاء . والصواب هي التي لا تكحل .
 وفي ص ١٥٢ — او كعرق السأم . والصواب السام بغير مد رعاية للوزن والمعنى .
 وفي ص ١٥٥ — من يرأي يعلم . والصواب يرأي من يعلم .
 وفيها قد صاب آخر . والصواب صار .
 وفي ص ١٦٣ — ولا سايح . والصواب سايح .
 وفي ص ١٦٧ — وان سمع العلم وعأ . والصواب وعى .
 وفي ص ١٦٨ — دعا صرد . والصواب صرد .
 وفي ص ١٨٠ — فقلت الزيز مملبة . والصواب مملبة .
 وفي ص ١٨٣ — عقبة بن ابي شفيان . والدواب عتبة .
 وفي ص ١٩٨ — فما بالوا . والصواب بالوا .
 وفي ص ١٩٩ — الحلي بضم الحاء . والصواب كسرهما .
 وفي ص ٢٠٧ — عتاد بكسر العين . والصواب فتحها .
 وفي ص ٢١٤ — لمع من حَم . والصواب حُم بضم الحاء .
 وفي ص ٢١٧ — جبال شدورى . والصواب شرورى .
 وفي ص ٢١٨ — كحلية العروس . والصواب كحلة .

وفيها . والسوس الآزاد . والظاهر الآزر .
 وفيها . ثمار الكنكر . والصواب الكبر .
 وفي ص ٢١٩ - ثم سما . والصواب همى .
 وفيها . احمره واصفره . بكسر الراء والصواب فتحها رعاية للقافية والاعراب .
 وفي ص ٢٢٣ . تبريح الأحباب . والصواب ترخ .
 ولنكتف بما اورده مما في الجزء الثاني تاركين فيه ما لا يقل عما ذكرناه خشية ان
 تدب السامة الى نفس القاري .

وقد افتتح الجزء الثالث بمقدمة قال فيها :
 اجمع رجال العلم والأدب على استحسان المنهج الذي سلكته في احياء زهر الآداب .
 فقد ظهر الجزء الأول والثاني ولم اسمع من احد منهم غير الثناء . وقد زادني هذا التشجيع
 حباً فيما أعاني من التعب في ضبطه وتنقيحه وتفصيله وشرح ما فيه من الغريب الخ .
 ومن وقف على الجزء من الثالث والرابع لا يسعه الا ان يدعو لهؤلاء المجمعين على
 الثناء . بان يوفقه الله بعد اليوم حتى لا يقولوا الا الصدق ولا يثنوا الا بحق . وسيرى
 القاري من الشواهد والأدلة على صحة هذا . ما يغنيننا عن الإطالة والإسهاب .
 فما جاء في الجزء الثالث (في ص ١) ذات الرقم (٥) المجتري . ولو لم يكن في كفه
 غير نفسه . الخ . والصواب ان هذا البيت لا يبي تمام .
 وفي ص ٦ - الخمار بالغصم ما يعتري الشارب من الألم عند فقد الشراب . والذي
 في لسان العرب والتاج وغيرهما . خمار الخمر مأصا بك من ألمها وصداعها وأذاها . فزيادة
 عند فقد الشراب غير صواب .
 وفي ص ٧ - وحملك المسن على الرياضة عمى . والصواب عناء . وفي المثل ومن العناء
 رياضة الهرم .

وفيها . وبذل الانصاف . والصواب وبذلي .
 وص ٨ - بنصه . وصوابها بنفضه .
 وفيها . عرصات السلطان . والصواب . مرضاة .

وفيها . القارح هو الذي بلغ تمام القوة والجذع دون ذلك . وفيه اللسان وغيره .
الفرس في السنة الأولى حولي ثم جذع ثم ثني ثم رباح ثم قارح فالمناسب لسياق القول
وللمعنى اللغوي ان يقال القارح المسن . والجذع دونه .

وفي ص ٩ — بان فضل شجاع الفضل الخ . وهذا يشبه كلام الحكل . والظاهر ان
يقال فان فضل شاع الفضل في الزمان واهله .

وفيها . وتحلت للعيون . والمناسب للمقام . وتجلي للعيون .

وفيها . بتكثير قليلها الخ . والصواب وتكثير قليلها . وايضاح مجهولها سبباً الخ .

وفي ص ١ — ان زل السلطان اتبعت الرذيلة . والمناسب لسياق الكلام . ان رذل .

وفيها . بملق طرفها . والمناسب للمعنى والجمع . طرفها .

وفيها . وحشية المضاع وجيرة المرتاع . والصواب وحشة . وحيرة .

وفيها . او تزورم وصوابها او تزرم كما هي الرواية .

وفي ص ١١ — يحوي المجد . والصواب يحو المجد بمحذف الياء للجزم .

وفيها . وافى فيشها . والاقراب الى الصواب نبيها أي شجيمها .

وفي ص ١٢ — فلا الاعجاز جازلة . وقال في تفسيره جازلة : اصابها الدير . ورواية
البيت خاذلة والدير لا يكون في الاعجاز .

وفي ص ١٣ — غنائوك به . والاولى له .

وفي ص ١٤ — حسام جلت عنه العيون . والصواب القيون .

وفي ص ١٥ — ابرى جورها . والصواب جوزها .

وفيها . ومدرجة للريح غبراء . والصواب غبراء .

وفي ص ١٦ — اعارنها المحاسن مشيها . والصواب المها . حسن مشيها .

وفي ص ١٧ — وصراطه في الشعر المستقيم نفس تيساره واوقد بالبقاع ناره . وفي

العبارة ركازة وتحريف والظاهر ان اصلها . نصب له مناره واوقد باليفاع ناره .

وفي ص ١٩ — وسارية تزداد ارضاً . ولا معنى لها ولعل محرفة عن تزداد او تزداد .

وفيها . فناة ترجيها . والصواب ترجيها .

وفيها . وللخوط ضبطت بفتح الخاء . والصواب الضم كما في القاموس .

- وفي ص ٣١ — ومشرقة في النظم غُرّا . ورواية البيت . ومشرقة في النظم غُرّا .
وفي ص ٣٢ — بالحصى . والصواب بالحصى .
وفي ص ٣٣ — وعصب اليمن بضم العين والصواب فتحها .
وفي ص ٣٤ —

غدت تستجير الدمع خوف نوى غد وغذى فتادى عندها كل مرقد
هكذا اورد البيت وضبطه وهو مطلع قصيدة لابي تمام بلغ الغاية من الشهرة والجودة
وصوابه .

- غدت تستجير الدمع خوف نوى غد وعادقناداً عندها كل مرقد
وفيها . فاذرى لها الاشفاق . والذي في ديوان ابي تمام فاجرى .
وفيها . تقضي زمام . وصوابها ذمام .
وفي ص ٣٥ — وموامي وصوابها ومواس .
وفيها . وقد حثقوا . وصوابها حثقوا كما في المصباح والقاموس .
وفيها . استبطي نفقاً . وفي الديوان استنبطي .
وفي ص ٣٦ — من بنات العيد وصوابها العيد
وفي ص ٣٧ — جلست جللاء الحضرمية . وفي ديوان ابي تمام حذيت حذاء .
وفيها . قد حاكها . وفي الديوان احذا كها .
وفيها . يمه حسب . وفيه : جفر . وهو النسب .
وفيها . ابكار اذا نصت . وصوابها نصت . من نص العروس اقمدها على المنصة .
وفيها . قد طوقت عتاباً . والانصب طرفت . يقال طرفت المرأة بناتنها خضبت اطراف
اصابعها بالحناء .

وفي ص ٣٨ —

- تطير عنها حمى الفران من بلد كما توقد عند الجبهة الورق
وهذا البيت لا يمكن فهمه على هذه الصورة . ولعل اصله .
تطير عنها حمى الظُرَّان من بلد كما تنقد عند الجبهذ الورق
والظُرَّان جمع ظر وهو الحجر . والجبهذ النقاد الخبير . وحينئذ يصح اللفظ والمعنى .

وفيه قول اسري القيس :

كأن صليل المسرجين تشده

وصوابه كان صليل المرو حين تشده .

وفيه اسعى الى الافلاك . والرواية اسمو .

وفي ص ٢٩ - شغل المرء منظر ثم نطق

وأظن ان أصل البيت

يشغل المرء عن تظن ونطق فهو يصفي بظاهره وضمير

وفيه منعمات كأنها حافلات . وصوابها منعمات .

وفي ص ٣٠ - ولم اعقل لمن حسابا . والرواية لم اغفل .

وفيه . فاغار ذاك على يد . قلبي . والرواية على يدي قلبي .

وفيه . كل اللباس عليها معرض حسن . صوابها معرض . وهو ثوب تجلى فيه

الجارية . وكذلك قوله ومعرضها . صوابه معرضها .

وفي ص ٣١ - تام الصوت . صوابها ناعم .

وفي ص ٣٢ - سقى بضرب من المزن . والاحسن بصوب .

وفيه . به وجد وعد . ووسواس ودق . والرواية وجد رعد ووسواس يرق وهي أولى .

وفيه . فجزى النسيم على غلائل خده . والاولى يجرى او فجرى .

وفيه . لم يكن قبلها من الماء جرم حاض في نفسه بغير أوان

والظاهر حاصر نفسه أو حاضن نفسه لأن الماء لا يجبض في نفسه .

وفيه . مارآه خائب فائنثى بغير امان . والمناسب خائف

وفي ص ٣٣ - وضروب طربه لا تضرب . وصوابها وضروب ضربته لا تضطرب .

وفيه . وقبل السماع منقبة الاسماع وأدام المدام . وصواب العبارة . وقبل . السماع

متممة الاسماع وإدام المدام .

وفيه مهنده من عتاد الملوك . والصواب مهنده من عتاد الملوك

وفي ص ٣٤ - وحسن العهد والبغيا . والصواب والبغيا

وفيه . ولا يوردت . والصواب يودرت .

- وفيهما . ونتاجها التأليف . و صوابها ونتاجها .
- وفي ص ٣٦ — ومستنبطاً بانواره ظلم الجنان . ولا اعلم كيف نستنبط الظلم بالانوار .
والظاهر ان اصل الكلام . ومستنبطاً ما تواربه ظلم الجنان .
- وفيهما . فكان من فرسان خيولهم و كنت عميدهم واقران نصر عليهم وانت صنديدهم .
وهذه الجملة في غابة الرككة . ولعل صوابها هكذا : وله فرسان خلق لهم و كنت عميدهم .
واقران نصر عليهم و كنت صنديدهم .
- وفيهما . مؤلفة مختلفة اركانها وطباعها الخ . .
- وهذه الجملة ركيكة متنافضة . وربما كان اصلها هكذا : يؤلفه مختلف انواعها ومتباين
الوانها وانحائها . وتؤيده بقواها الخ .
- وفيهما . فلما فادته السعادة التي ارته نسج وحده في الاقلام الخ . والصواب فادته السعادة
التي رأيت نسج الخ . وبهذا يلتئم اللفظ والمعنى .
- وفي ص ٣٧ — والصمامة مصلتها . والصواب والصمصامة .
- وفيهما . للآيم بعثته . . وله اذا لم يجرها .
ولعل صواب البيت
للآيم نفثته . . . اذا لم يجره .
- وفي ص ٣٨ — والريح سيف جوفها حريق . والصواب خريق اي باردة شديدة
المحبوب .
- وفيهما . اي ثوية ابتذل . والصواب اي ثويه .
- وفي ص ٣٩ — احدثت بعد ياعتابي . والاولى بعدي .
- وفيهما . وان امير المؤمنين اعطاني معانها الخ .
- والرواية . وان امير المؤمنين اغصني مفعها الخ . وفي هذه الابيات كلها اضطراب .
وهي مذكورة على وجه صحيح في لسان العرب في مادة . يرد .
- وفيهما ان البرامك لانفجيك انجية بصنجة الدين الخ . وهذا البيت لا يكاد يفهم .
- وفيهما . وانما اجتازه فاخطره ذلك الزيارة . والاولى وانما اجتازبه فاخطر تلك الزيارة .
- وفيهما . فادفع مقالتهن بثانية . وسياق القول يقتضي . بثالفة .

- وفي ص ٤١ — بعد ماترأبين كان تلاق . والاولى بعدما قد ترين .
 وفيها . وادي اليها الحق فهو معينها . والاولى . امينها .
 وفي ص ٤٢ — مقيم بمستن الفلا والمقام يقتضي العلى .
 وفيها . اما غافر او معاتب . والظاهر او معاتب .
 وفيها . فاترك من هجرانك اليأس . والظاهر فانزل بي هجرانك الخ .
 وفيها تثوب بساق . والظاهر تنوء بياق .
 وفيها . فاقعلن عنه راميات الخالب . والصواب داميات .
 وفيها . فها انا مفض في رضاك . والاولى مقصى .
 وفيها . اشيعت مشتاقا . والصواب واشعث مشتاق .
 وفي ص ٤٣ — قصر سوقه . والظاهر شوقه .
 وفيها . هندي الحسام المضارب . والصواب حسام على حد قول ابي خراش . حسام
 الحمد مذروبا خشيبا .
 وفيها . لو رأني دزي المجادة فردا . ولعل اصله اطوى المحارة وهي المكان يحار فيه .
 او بذى المجازة فردا .
 وفيها . بين صرحي ومنحني اعوادي . ولعل اصله بين سرحي .
 وفيها . على الخدين محمول . وسياق القول يقتضي . محمول .
 وفي ص ٤٤ — ماعلى الرزح الرقائل . والصواب المراقل جمع مرقل . والذي سيق
 الديوان . ماعلى الوسج الرواتك .
 وفيها . ظرف الصداقة . من ظرف العلاقة . والظاهر ارى من ظرف العلاقة .
 وفيها . واراكها وعدادها . والظاهر . وعمرادها وهو الغليظ من النبات .
 وفي ص ٤٥ — قالت الورد والمدامة والبـد رخصائي ولون خدي ووجهي
 والتقسيم يقتضي ان يكون رخصائي بدلا من رخصائي .
 وفيها . مجدران امسى . وصوابها مجوران .
 وفيها . اطلقت من السب . والصواب حي الشيب .

- وفي ص ٤٦ — وله فصل الى بعض اخوانه يعتذر لك ان يعتب الخ والعبارة في غاية الركاكة والغرض ولعل اصلها وله فصل الى بعض اخوانه يعتذر اليه .
- لك ان تعتب ولشبهك ان يعتذر فهب اقل الامرين الخ :
- وفيها . الحزن احسن من كلامه . والصواب الخرس .
- وفيها . قصير جامع الكتابة . وصوابها باع .
- وفي ص ٤٧ — ويستغنى الصدر . والظاهر يسجي او يشجي .
- وفيها . وينقش الانقاس . والصواب ينفش اي يشعث او ينقس او يعيب .
- وفي ص ٤٨ — اللطيف فهمم . وصوابها فهمم .
- وفي ص ٤٩ — وأضاء له نور الزجاجة . صوابها الزجاجاة .
- في ص ٥٠ — وشحذت مدارس الادب فواصله . وصوابها فواصله .
- وفيها . تسوء شكوكه ببيان الخ . والظاهر يشوب الخ .
- وفي ص ٥١ — مطالعاً يمينه . والظاهر مطالباً .
- وفيها . كأنه وحمارة تجارياً كلاً واحداً . وسباق الكلام يقتضي هكذا : كأنه وحمارة تجاذبا كلاماً واحداً .
- وفي ص ٥٢ — لماحتف صرفه . وصوابها لماختف .
- وفي ص ٥٣ — وتلقانا شاب . وصوابها . وتلقاؤنا .
- وفي ص ٥٥ — فقلت ياسادات نفسي صبراً . وصوابها قتلت . الخ .
- وفيها الاسكندر . وصوابها الاسكندري .
- وفيها لم تكن فينا وليدا . والرواية لم نربك فينا وليدا .
- وفيها . البعيث المنقري . والمعروف ان البعيث الذي هجاه جرير ، مجاشعي فليتاامل .
- وفي ص ٥٦ — شجيج الغزال . وصوابها القذال .
- وفيها . ومحتفل دائر . والظاهر دائر .
- وفي ص ٥٧ — فما لم في الفلا والظاهر في العلى .
- وفيها . ولا لم في الرغا وصوابها الرغى كما نص عليه أئمة اللغة .
- وفيها . ينعني القوم . والظاهر النوم .

- وفي ص ٥٨ - من لأود وصوابها من الأود .
 وفيها . ومذهب مقروض . وصوابها مرفوض .
 وفي ص ٥٩ - احق الناس باللوم . وسياق القول يقضي ان يكون . باللوم .
 وفيها . على الندى . وصوابها على الذي .
 وفيها . أكثر صارخاً واشد معيبة . ولعل الاصل واشد ممتبة .
 وفيها . لما هجوتك . وصوابها ولما .

سليم الجندي



رحلة اوليا جلبي

« في البلاد العربية »

- ٢ -

ثم رحلنا من هنا وسرنا نحو القبلة فاجتزنا قره مغرط الى ان وصلنا بعد اثنتي عشرة ساعة الى انطاكية (١) .

(١) قره مغرط قرية صغيرة في اسفل قلعة بغراس وشرقيها كان في جوارها خات قديم دثر في العهد الاخير ونقضت احجاره بعد ان كانت عاصراً وصالحاً لايواء القوافل والمسافرين . وقد فات الجلبي ان يصف ما يراه السائح على هذه الطريق التي عبدت من عهد قريب وطولها من طوب بوغاز الى انطاكية ثلاثون كيلومتراً . وهي تسير محاذية لسفوح الجبل الاحمر التي يتوكلها السائح على يمينه ويرى على يساره سهل العمق الفسيح وبحيرة انطاكية الزرقاء والمستنقعات الواسعة الممتدة حولها . وهو بعد مغادرة الطريق الصاعدة غرباً الى قره مغرط وقلعة بغراس التي تروى عن بعد بحر حذاء ضيعة تدعى بغلامه تعد فوضة على شاطئ المستنقعات المتصلة بالبحيرة وفيها القوارب الرفيعة التي تغدو وتروح في هذه المياه وفي المسالك المشقة بين قصب الآجام يركبها الصيادون الذين يندون في الربيع لقنص الاوز والبط ودجاج الماء والشقب وغيرها من الطيور المائية واسرايها تفوق الحصر وثمة الثعالب والخنازير البرية وكلاب الماء ايضاً . ثم تمتاز الطريق وادياً عربضاً حافلاً بالبساتين فيه قريتا بدركة العرب وبدركة الشر كس ثم قريتا ياقاري وسردلي وهما برى السائح في الافق الجنوبي جبل القصير وجبل الاقرع الشاخن كاهرم فوق البحر الى علو ١٧٥٩ متراً وبعد اجتياز قرية عواقية التي اتخذت قاعدة لناحية قره مغرط يودع المستنقعات ويدخل الارضين المحروثة والمزروعة من سهل العمق فيرى على يساره مخرج البحيرة الضيق يمتد من

الشمال الى الجنوب ويمجري ماءه متشاقلاً ببطء زائد وهو يلتوي كالانفي الى ان يلاقي العاصي . وماء المخرج اصفر اللون لزج مملوء بالحنكليس الذي يصطاد بكثرة ويلتح ويصدر الى البلاد . وهنا يشاهد عن بعد في الأفق الجنوبي جبل حبيب الفجار او سيلبيوس المشرف على انطاكية وفي الافق الغربي جبل موسى معقل أرمن هذه الديار (١٢٠٠ متر) ثم يسير بحاذياً لنهر العاصي الذي يخرف عند جسر الحديد من الشرق الى الغرب متجهاً نحو انطاكية فالسويدية . اما سهل العمق فقد قال الكولونل جاكو مؤلف كتاب انطاكية ما خلاصته : تبلغ مساحته ١٦٠٠٠٠ هكتار منها ٣٠٠٠٠ مما لا يمكن استغلاله يدخل فيه ٢٢٠٠٠ المستنقعات ٩ - ١٠ آلاف لهجرة انطاكية . ويصب في هذا السهل ثلاثة انهر تأتيه من جبال عينتاب واللكام وجبل الكرد وهي غفرين وبغر او النهر الاسود وثمة نهريديعي البراك ينحدر من الجبل الاعلى . وجل مصخور العمق طباشيرية وارضيه طينية كلسية الا في قليل من المواضع تكون صلبة والصخور بازالتية (حري) . وكية امطاره لا تزيد في السنة على الخمسمائة ميليمتر وهو اؤه وييل ووطأة الحر فيه اشد منها في الساحل وتفوح من مستنقعاته رائحة تعافها الانفس تنشأ من تفسخ نباتات الآجام وتنتشر فيه سحب قائمة من اسراب البعوض هي علة الوبالة (حى البرداء) التي تفتك في اهله . وسبب وجود هذه المستنقعات كون ماء البحيرة لا يتدفق بسهولة في المجرى الخارج منها الى العاصي حيث الميل لا يزيد في الكيلومتر عن عشرة سنتيمترات وثمة سكور اقامتها اهل شطوط البحيرة لاصطياد السمك لاسما الحنكليس والسأور يدعونها داليان هي ايضاً من العثرات الواقعة في وجه الماء . ويقال ان مستنقعات العمق كانت قديماً اقل سعة مما هي عليه الآن ويعزى ازديادها الى الفتك بجراج جبل اللكام مما ادى الى انهيار التربة من سفحه وسيورها مدفوعة بالسبول الجارفة نحو السهل فوسبت في طريق انهره الثلاثة وتبسطن ولم يبق ثمة انحدار كاف لجريان الماء بسهولة فحدثت المستنقعات ومازالت تكثر بمرور الاعصر والاستمرار على تجريد الجبال من اشجارها حتى بلغت سعتها الحاضرة . ولو تسنى تجفيفها لطاب المناخ وامكن استغلال هذه المساحة الشاسعة بمختلف الزروع كالقطن وقصب السكر والأرز وغيرها . ويرى العارفون ان التجفيف يكون بازالة السكور التي وضعها الصيادون وبكري قاع البحيرة ومجرى العاصي

حتى انطاكية ونعيمها ليسهل جريان الماء وفتح أخاديد واسعة تحصر فيها مياه الأنهر الثلاثة وغيرها من الينابيع الواردة الى العمق لنسيل فيها كما ينبغي . وجل أهل العمق عرب يسودهم نفر من سراة التركان المنتسبين لآل مرسل وبعض الملاكين من الارمن وثمة بضع مئات من ماهجري الشركس في قرى الريحانية وبني شهر وضواحيها جاؤا منذ نصف قرن في زهاء مائتي بيت من ماهجري الارمن اختطت لهم السلطة الفرنسية منذ عهد قريب قرى في المرعى العسكري وغيره اه .

قلت ويرى السائر الى انطاكية مستنقعات العمق وآجام القصب والاسل المنتشرة والباسقة فيه يتخللها كثير من القرى الصغيرة مما لا يمكن الوصول الى معظمها في زمن الفيضان الا بقوارب خاصة وبيوتها أخصاص من القصب المطلي بخفي البقر الجاف مكتظ بعضها ببعض بين الأوحال والادغال . وأهلها صفر الوجوه هنلى من وبال المرتع لكنهم مرزوقون في الجملة فهم يقلعون عرق السوس ويستدرون البان الجواميس ويبقى لهم قدر غير يسير من الغلة بعد اقتطاع ما يصبب أصحاب القرى . والزروع الشتوية والصفية في العمق تربو وتبسق كثيراً لذكاء تربته وهو على علاته ما برح منذ القديم ملجأ المعوزين من سكان الجبال والبقاع الممتدة بين ضواحي حلب الى شرقي اللاذقية يقدون اليه أفواجا في السنين التي يصيبهم المحل كعامنا هذا (١٣٥) فيؤجرون من العمل في مزارعه الخصبه وبقثاتون ويمتارون بفضلات حصائده وأعشابه ثم يرجعون .

وللعمق وبطائمه ذكريات عديدة في تاريخ أم الشرق والغرب التي استولت او جاءت تستولي على انطاكية عاصمة شمالي الشام وعروس مدنها في العصور القديمة . فالأشوريون والحثيون والفرس واليونان والرومان والمسلمون والصليبيون والمصريون بقيادة ابراهيم باشا مروا من هذا السهل ذي المكافحة الحربية الكبرى أو تطاحنوا فيه بمعارك دامية . عرفه من ملوك المسلمين ابن طولون في حروبه مع سبأ الطويل صاحب انطاكية سنة ٢٦٤ كما ذكرناه في بحث بغراس ووصف المنفي مجاري العمق وحواله في إحدى قصائده يمدح بها سيف الدولة لما عزم على السفر من انطاكية الى حلب في ايام شديدة الامطار في سنة ٣٥٥ وكان أوقع في العمق باهل انطاكية الذين عصوا عليه قال :

وما أخشى نبوءك عن طريق وسيف الدولة الماضي الصقيل
وكل شواة غطريف تمهي لسيرك انت مفرقها السبيل
ومثل العمق مملوء دماء مشيت بك في مجاريه الخيول
إذا اعتاد الفقى خوض المنايا فاهوت ما يمر به الوحول

وعرفه منجوتسكين قائد جيش الفاطميين الذي اوقع بجيش ميخائيل البرجي نائب
قيصر الروم في انطاكية وذلك في سنة ٣٨٤ وتعرف بوقعة المخاضة . وحصلت فيه بين نور
الدين الشهيد وصليبي انطاكية حروب كثيرة اخصها المصاف الذي كان في سنة ٥٤٣
في ارض يفران من العمق فانهمز الفرنج وقتل منهم وامر جماعة كثيرة هذا عدا ما جرى
لنورالدين حول قلاع حارم وارناح وعمما جرى لصالح الدين الايوبي وللظاهر بيبرس
حول دريساك وبغراس وكلها من قلاع العمق المخصصة لحفظ انطاكية . اما حصن
ارناح الذي عده ياقوت من امنع الحصون في العواصم فقد دثر ولم يبق من رسمه الا اسمه
واحدث في جواره قرية تدعى الآن « ريجانية » وكذلك الامر في عم التي ضاع رسمها
واسمها وصار في مكانها قرية تدعى « بني شهر » ويسكن هاتين القريتين مهاجرو
الشركس وفيها بنايع سارية ورباع مربعة خصبة يزرعون فيها انواع البقول التي تحصل
باكراً وتصدر الى حلب . قال ياقوت : عم بكسر اوله وتشديد ثانيه قرية غناء ذات
عيون جارية واشجار متدانية بين حلب وانطاكية وكل من بها نصارى وقد نسب اليها قديماً
قوم من أهل العلم والحديث قال ابن بطالان في رسالته التي كتبها في سنة ٥٤٠ الى ابن
الصائغ : وخرجنا من حلب الى انطاكية فبتنا في بلدة الروم تعرف بعم فيها عيون جارية يصاد
فيها السمك ويدور عليها رحى وفيها مشارير للخنازير ومباح النساء والزنا والخور امر عظيم
وفيها اربع كنائس وجامع يؤذن فيه مسراً اه . وقلة حارم لا تزال رابضة باطلالها الدارسة
فوق تلها المشرف على بلدة حارم التي اصبحت مركز قضاء وفيها عدد غير يسير من الدور
والابنية الرسمية والحوانيت قال ابو الفداء : حارم بلدة صغيرة ذات قلعة واشجار وأعين ونهر
صغير . قال ابن سعيد هو حصن كثير الارزاق وقد خص بالمران الذي يظهر باطله من ظاهره
مع عدم الهجم وكثرة المياه . وقال عن دريساك : من جند فخر بن ذات قلعة مرتفعة ولها

ذكر أوليا جلبي نبذة من تاريخ انطاكية قبل الاسلام وبعده ونوه بفتحها على يد السلطان سليم العثماني عقيب معركة مرج دابق ثم قال ما خلاصته (١) : وعين السلطان اذ ذاك محمد باشا البيقلي والياً على انطاكية

اعين وبساتين وهي خصبة ولها مسجد جامع ومنبر ولها من شرفها مروج متسعة حسنة كثيرة المشب ير فيها النهر الأسود وهي عن بغراس في الشمال بميلة الى الشرق وبينها نحو عشرة اميال في شرقي دربساك بغرا وهي قرية اهلها نصارى صيادون يصيدون السمك وهي على بعد مرحلة من دربساك اه . قلت ويظن ان بغرا هي الآن قرية قالوا التي اختص اهلها بصيد السمور في بحيرة بغرا وهذه تدعى الآن كولباشي وهي الى الشمال من جسر مراد باشا على طريق حلب — قرق خان . وقد مر ابن بطوطة في سنة ٧٢٥ بالعمق بعد ان غادر حصن بغراس وقال عنها « حصن بغراس حصن منيع لا يرام عليه البساتين والمزارع ومنه يدخل الى بلاد سيس وهي بلاد الأرمن وامير هذا الحصن صارم الدين ابن الشيباني ولقد لقيت هذا الامير ومعه فاضي بغراس بموضع يقال له العمق متوسط بين انطاكية وتيزين وبغراس ينزله التركمان بمواشيهم لخصبه وسعته » . وقال شيخ الزبوة شمس الدين محمد الدمشقي المتوفى سنة ٧٢٧ في كتابه نخبة الدهر في عجائب البر والبحر : زمن الثغور الساحلية الجبلية دركوش ودربساك وبغراس وحجر شغلان والاسكندرونة وقصير انطاكية وبغرا ولما بحيرة حلوة من النهر الاسود بينها وبين بغراس اه .

(١) قال ياقوت في معجم البلدان يصف انطاكية في القرن السابع : ولم تزل انطاكية قصبة العواصم من الثغور الشامية وهي من اعيان البلاد وامهاتها موصوفة بالازهة والحسن وطيب الهواء وعذبة الماء وكثرة الفواكه وسعة الخير . وقال ثم لم تزل بعد ان فتحها ابو عبيدة بن الجراح في ايدي المسلمين وثغراً من ثغورهم الى ان ملكها الروم في سنة ٣٥٩ بعد ان ملكوا الثغور المصبغة وطرسوس واذنة واستمرت في ايديهم الى ان استنقذها منهم سليمان بن قتمش السلجوقي احد ملوك آل سلجوق في سنة ٤٧٧ فاستقام امرها وبقيت في ايدي المسلمين الى ان ملكها الافرنج بعد حصار شديد وطويل من اليهسا باغيسيان

ورامي علي افندي قاضياً وهي لا تزال بيد العثمانيين فيها نائب ومحاسب ونقيب
الاشراف وقاضي وكنخدا جند وسردار انكشارية ودردار قلعة وفيها جنود
وعتاد وعشرون مدفعاً بن كبير وصغير . وسور انطاكية مبني على خمسة
التركي على اثر خيانة احد فواده المسمى فيروز الارمني وذلك في سنة ١٤٩١ . قلت وبقوا
فيها الى ان افتتحها الملك الظاهر بيبرس عنوة في سنة ٦٦٨ .

وقال ابو الفداء في القرن الثامن : « انطاكية قاعدة العواصم بلدة كبيرة ذات اعين
وسور عظيم داخله خمسة اجبل وقلعة يربطها نهر العاصي والنهر الاسود مجموعين وبها
قبر حبيب النجار . قال ابن حوقل : انطاكية ائزه بلاد الشام بعد دمشق عليها سور من صخر
يحيط بها ويحيط عليها ويمر مياهم في دورهم وسككهم ومسجد جامعهم ولها
ضباع وقرى ونواح خصيبة جداً . قال في العزيزي ومساحة دور السور اثنا عشر ميلاً .
وقال شيخ الربوة في القرن الثامن ايضاً : انطاكية قصبة السواحل وكانت إحدى
كرامى الروم وتسميها الروم تعظيماً لها مدينة الله كما تسمى الارض المقدسة وانطاكية من
المدن القديمة ويحيط بها سور كبير يحيط على اربع جهات وشعاري ولها بساتين وحبيب
النجار منها وله قصة في سورة يس في القرآن الحكيم في قوله تعالى : يا ليت قومي يعلمون بما
غفر لي ربي وجعلني من المكرمين . ولها فريضة تسمى السويدية عند الساحل عند مصب
العاصي في البحر اه .

ومر ابن بطوطة بانطاكية في ذلك القرن في سنة ٧٢٥ هـ فقال عنها : مدينة عظيمة
أصلية وكان عليها سور محكم لا نظير له في أسوار بلاد الشام فلما فتحها الملك الظاهر هدم
سورها ، وانطاكية كثيرة المارة ودورها حسنة البناء كثيرة الأشجار والمياه وبخارجها
نهر العاصي وبها قبر حبيب النجار وعليه زاوية فيها الطعام للوارد والصادر اه .

ومما ذكره الكولونل جاكو مؤلف كتاب انطاكية المطبوع في سنة ١٩٣١ ان
عدد سكان انطاكية في يومنا هذا ٣٥٠٠٠ اكثرهم من المسلمين السنيين الترك والنصيرية
العرب وأقلهم من المسيحيين العرب المنتسبين لطوائف مختلفة وفيها كثير من الفنادق الجميلة
والمقاهي والنوادي والمصارف والمدارس والجوامع (اكبرها الجامع الكبير وجامع حبيب

جبال ونصف قلعتها في منحدرات تلك الجبال ونصفها الثاني في سفوحها وقرب
نهر العاصي . ومحيط هذا السور اثنا عشر ميلاً . وفي الحق انني لم أر حتى
الآن أسواراً وأبراجاً عالية مثلاً رأيت في انطاكية . وربما بلغ علو السور

النجار) والكنائس ومنخفض أثري في دار الحكومة وانها اكثر ما تصدر الصابون ثم فيالج
الحرير والسمك والصوف والحبوب وزيت الزيتون والقطن والقطران وزيت الفار والجلود
والفواكه الطيبة وغيرها . وفيها صناعات غزل الحرير وعمل الصابون والدباغة ونسج الاقشة
الحريرية والقطنية والطنافس ونجارة الامشاط ونجارة الاثاث المعولة من خشب الجوز
وتجارة النقود والعاديات وان جسامه انطاكية في يومنا لا تزيد عن عشر ما كانت عليه في
العصور الغابرة وان من اكبر اسباب انحطاطها بعد الزلازل الهائلة التي اصابها مراراً هو
تخريب الملك الظاهر ميناء السويدية . وقد كانت انطاكية بفضل هذه الميناء مركزاً
تجارياً عظيماً بين ممالك البحر المتوسط والافطار الشرقية اه . وما قاله مونمارشة في وصف
انطاكية : يمكن للسائح ان يتلى برؤية هذه البلدة الجميلة اذا وقف فوق التل اتخذ مقبرة
المسلمين وهو في شمالي البلدة على يمين العاصي وقد كان عليه فيما مضى حصن بناء كودفروا
فمنه يرى دور انطاكية المبنية على الطراز التركي وقد عطلها اسطحة مائلة مغطاة بالقرميد
ويرى العاصي وقد عرض وضخم اكثر مما كانت في حماة وعليه هنا ايضاً نواعير تدور
بنفثات لا تخلو من اللطافة وتحيط بانطاكية كلها رياض تزيدها نضرة وجوراً . قد
نورت انطاكية حديثاً بالكهرباء وسيأتون اليها بمياه الشرب من شلالات دفنة الشهيرة
كما كانت في العصور الغابرة اه .

ومما قاله الشيخ كامل الغزي مؤلف نهر الذهب في تاريخ حلب عن اهل انطاكية :
الجمال غالب . في نسائهم وقد اشتدت في وجهاتهم واعيانهم محبة الجاه والتعرب الى
الحكومة يزاحمون بعضهم في ذلك ليتكفوا من اخضاع مزارعهم ويصنوا حقوقهم
وغلاتهم منه ومن غيره من ارباب الصولة في البر . وعدم من مساوي انطاكية كثرة
الامطار والريعود والصواعق والزلازل وفي الصيف انحباس النسيم عنها في بعض الليالي
وكثرة الرطوبة وقال مما انفردت به انطاكية من الفواكه المشمش العجمي المعروف

الراكب على الجبال في الجهة الشرقية نحو ثمانين ذراعاً . اما السور القريب من نهر العاصي فواطي ولا يعلو اكثر من عشرين ذراعاً كما انه غير ضخم واذا دخلت من بابي حلب ودمشق وصعدت ترى أمامك ابراجاً وباشورات

بشكرياره والدراقن والسفرجل واليني دنيا وقصب السكر والبرتقال والليمون وانواع البطيخ الاصفر والعنب والرمان وحب الآس والعناب وانفردت ايضاً ببلبن الجاموس وما يعمل منه كالزبدة والجبن فهما مما لا نظير له في غيرها وانفردت بتبغها وفليفلتها الحمراء وصابونها الجيدة . قلت واللقتان التركية والعريية شائعتان على السواء في انطاكية يتكلم الاولى المسلمون السنيون والثانية النصرانية والمسيحيون على ان كلا الطرفين يفقه لغة الآخر والترك والمسيحيون في رغد من العيش والرفه العصريين ومنهم كثير من المتعلمين . هذا وفي الجنوب الغربي من انطاكية على مقربة منها قرية تدعى الحربية فيها شلالات دفنة الشهيرة تنحدر من على نحو وادي سمحيق وتدير عدة طواحين تدعى طواحين بيت الماء ولها خرير ورغو زائدين بين اشجار الدلب والدفل والاعشاب الخضراء مما يبهج السمع والبصر عدا عما هنالك من المناظر الرائعة والحدائق الغناء والآثار القديمة الباقية من عهد الرومانيين الذين اتخذوا هذا المكاف محلاً للقصف والنزعة . وثمة شرقي دفنة وفي المضارب الوعرة المطلة على صوفيلر احدى قري كورة القصير التي سبأني ذكرها شعاب تصل الى حصن القصير كان من معقل الصليبيين المخصصة لحراسة انطاكية من الجنوب وهو مبني فوق رابية منفردة تحيط به وهاد سمحيقة وخندق ولا يزال بعض ابراجه وأسواره قائماً سر به ابن بطوطة واستحسنه وذكر اسم اميره وقاضيه . وفي غربي انطاكية على ساحل البحر بالقرب من مصب العاصي السودانية وهي قرية جميلة كبيرة اهلها نصيرية وروم وعلى مقربة منها خرائب سلوقية يزورها السواح لامتاع النظر في اطلالها المعجبة وقنواتها الفخمة الممتدة تحت الارض وقد كانت سلوقية فيما مضى فوضة انطاكية ومن اعظم موائئ الساحل الشامي وظلت في زهوها الى ان ردم الملك الظاهر بيبرس ميناءها بعد استخلاص انطاكية من ايدي الصليبيين حذراً من ان يعودوا فأفل نجمها من ذلك الحين .

يعلو بعضها فوق بعض . اما الاحجار التي بنيت منها هذه القلعة فهي جد ضخمة .
وقدر كبت والصقت بمهارة كلبية . وعلو باب حلب التجه الى الشمال نحو
عشرين ذراعاً (١) وكان ينبجس من الصفور التي في داخله ميساء فوارة .
وفي غربي هذا الباب جسر عظيم يعبر منه فوق العاصي . ولوفرة علو الجبال
المحيطة بانطاكية وارتفاع الاسوار الراكبة عليها لانتشر الشمس على هذه
البلدة الا بعد ساعتين من طلوعها .

وفي انطاكية ثمانية قصور عظيمة اهمها قصر كتغاج باشا فيه كثير من
الابهاء والغرف العديدة المزخرفة وبابه من الحديد . واكثر دور انطاكية
الفخمة واقعة على العاصي . وفيها من الاولياء حبيب التجار الذين يزعمون انه
كان من حوارى السيد المسيح وبعد قتله حفظ رأسه في نكية يزورها ويتبرك
بها المسلمون والنصارى على السواء . وفي انطاكية مدارس للعلوم الشرعية
وكتاتيب للصبيان . وفيها نكية لحبيب التجار يهبط اليها بدرج ملئت
بالدراويز وأخرى في اعلى الجبل في مكان عال مشرف بوصل اليه في
خلال ساعة . وفيها حمامات تأتي مياهها من العاصي بالنواعير وفيها خانات
وأسواق وحوانيت عديدة . ومياه هذه البلدة غزيرة تنحدر من الجبال العالية
المحيطة بها لذلك ترى سبلها وينابيعها كثيرة كما ان الفاكهة تجود وتغزر

(١) هدم هذا الباب في الزلزلة التي حدثت عام ١٢٩٠ هـ اما الاسوار والابراج التي
ذكرها اوليا چلبى فقد كانت باقية سبغ الجملة على النحو الذي وصفها به الى ان جاء ابراهيم
باشا المصري وافتتح انطاكية فنقض احجار الاسوار والابراج وفيها عام ١٢٤٧ نكبة
عظيمة لجيشه فلم يبق منها الآن الا آثار ضئيلة .

أصنافها في البساتين التي تروى من النواعير الراكبة على نهر العاصي . هذا وبعد ان انتهينا من زيارة انطاكية عزمنا على السفر في صبيحة اليوم الاول من شوال سنة ١٠٥٨ وبعد ان أدبنا صلاة العيد في جامع السوق ضرب نفير الرحيل في قافلتنا فغادرنا انطاكية متجهين نحو القبلية وبعد ان اجتزنا كثيراً من القرى العاصرة نزلنا بعد ثلثي ساعات في قرية الزنبقية على شاطئ العاصي (١)

(١) يظهر ان قافلة الجلي اختارت الطريق الصاعدة في عقبات القصير بضم القاف وشعابه وطوله ثلاثون كيلومتراً لم يتم تعبيدها بعد وفيها قرى عامرة كما قال وهذا الطريق عمر القوافل منذ القديم فقد سلكها الرحالة ابن بطوطة في سنة ٧٢٥ حينما مر بمحصر القصير ثم بمحصر الشحر بكاس . والقصير كورة جبلية خضراء يحدها من الشمال والشرق وادي العاصي ومن الغرب البحر ومن الجنوب بنايع نهر الكبير الشمالي وهي تشمل الآن ناحية الحربية والنواحي الثلاث القصير الفوقاني والوسطاني والتهتاني وناحية الاردو وكسب . وهذه النواحي الست تتبع قضاء انطاكية وثمة ناحية دركوش تتبع جسر الشحر وفيها سلسلتان من الجبال ممتدتان من الشمال الى الجنوب تتصل بها فروع واعضاد كثيرة تجعل هذه الكورة ذات حزون ونجود متموجة يتراوح علوها من ٧٠٠ الى ١٠٠٠ متر في الاكثر وفيها نهران يعبان في العاصي الاول نهر الابيض يخرج من هضاب الاردو مياهه عذبة والثاني نهر البواردة يخرج من قرب قلعة القعير ويصب في الشمال جنوبي جسر الحديد . وهي في الغرب في جهات الاردو وكسب مزدانة بمختلف الحراج الجميلة أخص اشجارها الصنوبر الحلبي واللبننة والبلوط اما في الشرق فهي خالية من ذلك ولكن اوديتها ومنحدراتها مفروسة بمختلف الاشجار المثمرة لاسيما الزيتون يأتي بعده التوت واللوز والتين والشمش وفي منخفضاتها الرطبة الحور والدلب والصفاف والدفي . وهذه الكورة كثيرة الغلال وافرة الخيرات تتوالى على سكانها المواسم واجل موسم فيها الزيتون وبه درزته الجيد الى انطاكية وصنع الصابون ثم يأتي بعده الحرير والبطيخ والتين والعنب والجبن والسمن والحنطة القصيرية مشهورة في هذه الربوع ومفضلة على غيرها وطير الصيد ودوابه

وهذه القرية واقعة في واد خصب له كروم وحدائق ذات بهجة وفيها نحو ثلاثمائة بيت . وقد اشتهرت بجودة تينها وجمال زنبقها . وهنا أقام علي باشا

كثيرة . ويبلغ سكان هذه الكورة في النواحي التي عددناها زهاء ٤٠٠٠ معظمهم من التركمان السنيين وبأقي بعدهم العرب السنيون ثم النصيرية وثمة قرى للأرمن واخرى للروم وواحدة للاسماعيلية تدعى جندالية وتاريخ هذه الكورة مرتبط بتاريخ انطاكية وقد كانت ثمر منها الجيوش الزاحفة نحو هذه العاصمة من اللاذقية او من جسر الشغفر وفيها من الحصون المنيعه التي كانت تحفر انطاكية من جنوبها القصير ودر كوش والشغفر وبكاس وكفردين . وفيها الآن من امهات القرى (قرية الشيخ) وهو الشيخ اسماعيل القصيري كان معدوداً من الاولياء وضريحه لا يزال مقصوداً بالزيارة والاستشفاء في هذه الديار حرة زائدة وقد اتخذت هذه القرية قاعدة لناحية قصير الفوقاني وفي غربيها لجود هي اعلى ما في هذا الجبل لها منظر جميل وهواء نقي تشرف على وادي العاصي والجبل الاحمر وسهل العمق والجبال المحيطة به وقرية (بابطرون) قاعدة ناحية القصير الوسطاني و (فارصو) قاعدة ناحية القصير التحتاني وهناك قرية (الاردو) وهي قصبة الناحية واهلها تركمان ثم (كسب) واهلها أرمن وفيها دير كبير للرهبان الفرنسيين ومنها يمكن الصعود الى جبل الاقارع الشامخ . وفي الشرق من الامهات قرية (در كوش) قاعدة هذه الناحية اهلها عرب سنيون عددهم (٢٥٠٠) مبنية على يسار العاصي في اضيق مكان من واديه يعلوها من الغرب جبل شامخ وعلى العاصي نواعير كما في حماة . عدة شيخ الربوة در كوش من الثغور الساحلية الجبلية وقال عنها ياقوت : در كوش حصن قرب انطاكية من اعمال العواصم اه . وقد زالت آثار هذا الحصن المنيع الذي عجز هولاء كو عن فتحه وبنّج في در كوش فواكه جيدة كالتفاح والرمان ترسل الى حلب . وهناك (القنية) قرية جميلة اهلها كاثوليك فيها دير للرهبان الفرنسيين وماؤها قليل وبقرها (كفردين) على رابية وكان لها حصن ذكره ياقوت يمر من تحته الدرب الذاهب الى (حمة الشيخ عيسى) وهي ذات مياه معدنية حديدية حارة تنفع للاستشفاء من داء المفاصل يقصدها الناس من كل الجهات ولوشيدت فيها ابنية صالحة للاستحمام والمبيت لزيد الاقبال عليها . ومن الامهات (قاريياز) اهلها تركمان

الجانبولاد لمرضى باشا وليمة عظيمة لم يسمع بمثلهما . فقد اكل كل الجند الذي بمعية علي باشا وعده كان ينوف على الستة آلاف واكل خلق عظيم لا يسمعه الحصر ممن حضر من الجوار ومع ذلك فقد بقيت الصحون والقصور

وعلوها ٨٠٠ متر ومعدا كبرواغنى قرى القصير اشتهرت بعنبها الفاخر ولوزها . و(جنيدو) واهلها روم بقام فيها في فصل الصيف سوق عام كل يوم خميس وفي غربها طريق تأخذ الى قلعة القصير الأثرية التي ذكرناها في بحث انطاكية . و(صوربة) وهي كبيرة واهلها روم فيها مدرسة وكنيسة ومعاصر زيتون .

والسائر في الطريق الذي سلكته قافلة الجبلي بعد ان يغادر انطاكية يتساقط عقبات جبل القصير وشعابه وهضابه فيمر بقرى نارليجه وقيارينار ثم يجتاز وادي نهر البواردة ثم بقرية الفاتكية التي اشتهرت بكثرة أشجارها وفاكهتها ثم بصورية وقلبيزان ومزرعة التركان وفلنجار وكفر عابد وسفربة وقارينار والهيئة التي تنتهي فيها حدود لواء الاسكندرونه وبالقنية حتى يصل الى جسر الشجر . ولعل قافلة الجبلي انحرفت من قاريناز الى الزنقية وهي الآن ضيقة صغيرة قرب دركوش فيها أطلال خان قديم ثم تابعت سيرها نحو الجنوب مارة بدركوش وبالقنية الى ان وصلت الى جسر الشجر . هذا والجتاز هضاب هذه الطريق لا بد ان يلج من أعاليها في الأفق الممتد شرقي العاصي آكام جبل الأعلى الغربية الخضراء وجلها مزدان بأشجار الزيتون تخفي في أوديتها بلدان صغيرة جميلة عاصمة كحارم وسلقين وكفر تخاريم وأرمناز وقرى اسقاط والعلائي وتل عمار والدويلي وهذه فيها حصن خراب وفي جنوبها الجبل الوسطاني الحائل بين سهل الروج ووادي العاصي وينسأحه من الشرق جبل بني طليم الذي صار يسمى الآن جبل الزاوية نسبة لزاوية في قرية منه تدعى أم رعيان ويسمى القسم الشمالي منه جبل الاربعين لمقام فيه يعرف بمقام الاربعين اختص بالأشجار المثمرة التي تنبت عذبا كالكركز والكثيرى والتفاح والتين والجوز والعنب وهو صحيح الهواء طيب الماء ذو مناظر جميلة تشرف على سهول حلب الغربية الشاسعة وما فيها من البلدات والقرى كأريحا وادلب ومرة مصرين وسرمين وغيرها . وفي جبل الزاوية كله قبور

ملانة بالأطعمة النفيسة . وأهدى علي باشا الى مرتضى باشا ثلاث أفراس من عتاق الخيل فقابلته مرتضى باشا بفرو من السمرور المرصع (١) . ثم استأنفنا المسير الى الجنوب الى ان وصلنا الى جسر الشفر وهو مكان موحش على شاطئ العاصي وتحيط به مروج خضراء وفيه خان صغير . على ان الأمن هنا مفقود نرجو الله ان يوفق اهل الخير لعمران هذا المكان وتوطيد الامن فيه

كثيرة منقورة في الصخور وخرائب أثرية أهمها في قرى أم رعيان والمغارة والحاس وادرم الجوز وكفرلانا والبارة . والبارة هذه تشبه خرائب بومبي في إيطاليا لا تزال قصورها ومعابدها وشوارعها كما كانت تمتد في مساحة واسعة تدل على ما كانت عليه هذه المدينة من العظمة . هذا وبين جبل الزاوية والجبل الوسطاني سهل الروح المشتهر بحصبه وكثرة مناقعه ورداءة هوائه (مساحة ٣٠٠٠٠ هكتار منها ٩٠٠٠ مستنقعات) وبما كان في كورته لصليبي انطاكية من المعازل المخصصة لحراسة انطاكية من الجنوب . قال عنه ياقوت : الروح كورة من كور حلب المشهورة في غربها بينها وبين المعرة ولها ذكر في الأخبار .

(١) من هو هذا الباشا الكبير الذي استطاع ان يقوم بتلك الولاية العظيمة . لم يذكر الجلبي وظيفته ولا من أين أتى وما سبب مجيئه لمقابلة مرتضى باشا إذ لا بد ان يكون غير علي باشا الجانبولاد الشهير الذي حكم حلب في سنة ١٠١٤ ثم خرج عن طاعة الدولة العثمانية وحارب جيوشها مدة مديدة الى ان قتل في سنة ١٠٣٠ أي قبل مرور قافلة الجلبي بثاني وثلاثين سنة على ما رواه الحجي في خلاصة الأثر . ولما حسبته انه والي حلب جاء يحتمي بزميله مرتضى باشا وجدت (سالنامة ولاية حلب) تذكر في قائمة اسماء ولائها احمد باشا الدباغ في سنة ١٠٥٧ ومصطفى باشا المستاري في سنة ١٠٦٠ والجلبي لم يذكر احداً منهما . فهل كان مخطئاً في بيان الاسم ؟

ليسهل مرور الحجاج منه (١) .

«للبحث صلة»

وصفي زكريا

(١) يظهر ان رجاء الجليلي استجيب فوراً . لان محمد باشا الكوبرلي الشهير الذي كان نائباً في طرابلس الشام قبل ان يصبح صدرأ اعظم مر من هنا بعد مدة وجيزة من مرور الجليلي فرم الجسر الكبير المعقود فوق العاصي وقبل انه هو ايضاً بنى الجامع الكبير وخائناً وحاملاً فعمرت بلدة الجسر على يد هذا الوزير بعد دئورها لانه كان في مكانها في العصور الفسيرة على ما قاله الافرنج بليلة اسمها Niaccuba او Séleucie ad Bellum ومن الغريب ان جغرافي العرب لم يذكروا عنها شيئاً . واكتفى ابو الفداء بذكر السوق العام الذي كان يقام قرب جسر ها وقد دعاه جسر كشفهان . ومها ~~يكن~~ فلان الجسر مكانة لا تنكر من الناحية الحربية والاقتصادية فقد كان يمر منه الرصيف الروماني القديم الذاهب من اللاذقية الى حلب الذي لا تزال آثاره ظاهرة في موقع يسمى اسفكون قرب خان الزعرور . وليس جسر الشفر مستقيماً بل سيف وسطه كوع جعل لمقاومة دفع العاصي كما ان ظهره أفقي ليس فيه الاحديداب الذي يرى في معظم جسور البلاد الشامية وطول هذا الجسر اربعمائة متر معقود على اربع عشرة قنطرة تدل حجارها على انه روم مراراً وفي منتصفه وعلى جانبه حجرة زيرت عليها كتابة عربية فيها اسم جقمق ولعله الملك الظاهر جقمق الذي حكم مصر والشام في سني ٨٤٢ - ٨٥٧ . وفي بلدة جسر الشفر الآن من السكان سبعة آلاف اكثرهم مسلمون وفيها دار للحكومة جديدة ومساجد ومدارس ودور للاهلين مبنية بالحجر الابيض حسنة في الجملة ويمر منها طريق السيارات الذاهب من اللاذقية الى حلب لكن هواها ردي لقرب مستنقعات الروج والغاب منها . وفي اواخر القرن الماضي جعلت مركزاً لقضاء يشمل قسماً من سهل الغاب وجبال النصيرية . وتنبه ناحيتها الجسر ودر كوش . ومعظم سكان هذا القضاء من العرب السنين والنصيرية وقليل من التركات القاطنين في مرتفعات جبل القصير ومن الروم في قريتي القنية وانكزبك وتكثر اشجار الزيتون في بقعة التركان والاشجار المثمرة والكرمة في قرى بداما والجسر ودر كوش والقنية وزراعة الارز والقطن في سهول قسطون وماجاورها . وفيه من المحاصيل

بزر الخردل وجزور المحموده المعروفة في الطب باسم سقمونيا . واشتهرت فيه قرية اشتبرق
 بجداثقها وبنايعها ومنزهاتها وانكزيك بمجوده هوائها وصلاحها للاصطياف وزعينة بحراجها
 ومياها ومصاندها وقسطون بخصب تربتها وبلبس ومشمشان وعين عيسى وبشلمون بذكرياتها
 التاريخية . وكان لبلدة الجسر على بعد ساعة في شمالها قلعة حصينة مقابلها أخرى يقال
 لها بكاس على رأس جبلين بينهما واد كالخندق كل واحدة تناوح الاخرى وفوق الوادي
 جسر كان يعبر من فوقه من احدهما الى الأخرى . مر ابن بطوطة في سنة ٧٢٥ بحصن
 الشفر وبكاس وقال انه منيع في رأس شاهق وذكر اسم اميره وقاضيه ونوه بفضل الأول
 وان الثاني من اصحاب ابن تيمية . وقال ابو الفداء المتوفى سنة ٧٣٢ : الشفر وبكاس من
 جند قنسرين قلعتان حصينتان بينهما رمية سهم على جبل مستطيل وتحتها نهر يجري به ولها
 بساتين وفواكه كثيرة ولها مسجد جامع ومنبر ورستاق وهما بين انطاكية وفامية على
 قريب منتصف الطريق بينهما وفي شرقيها على شوط فرس جسر كشفهان وهو جسر على
 النهر وهو مشهور وله سوق يجتمع الناس فيه في كل اسبوع والشفر وبكاس في جهة
 الشرق والشمال عن صهيون وفي الجنوب عن انطاكية وبينها الجبال اه .

فيستدل من هذا الوصف ان كشفهان ربما كانت هي بلدة جسر الشفر الحالية . وكانت
 الشفر وبكاس وما حولها من الحصون من معاقل الصليبيين المخصصة لحراسة انطاكية
 ومركز اتصال قواتهم بقوات قص طرابلس وملك القدس ومن هنا كانوا يغفرون على
 المسلمين في شيزر وحماة عن طريق افامية وعلى حلب عن طريق سهل ادلب . وظل هذا
 الحال الى ان جاء الملك الناصر صلاح الدين بن ايوب سنة ٥٨٤ فافتتح انطراطوس وجبله
 وصهيون والشفر وبكاس وحصن برزية ودر بساك وبغراس فاصبحت انطاكية بعد فقدان
 هذه المعاقل كما قال في الروضتين « بعدومة الاطراف قد قطعت ايديها وارجلها من
 خلاف » . ولم يبق الآن من آثارها تين القلعتين الا اسس الجدران واحجارها المتهمة
 وعلى بعضها كتابات عربية . وعلى مقربة من القلعتين قرية تدعى الشفر القديم تحيط بها
 المزارع والحدائق .

جامع التواريخ

- أو -

« نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة »

- ٢ -

حدثني ابو يعلى محمد بن يعقوب البريدي الكاتب قال لما قصدت سيف الدولة اكرمني وانس بي وأنعم عليّ وكنت أحضر ليلاً في جملة من يحضر قال فقال لي ليلة من الليالي كان قتلُ ابيك أوبرك الأشياء عليّ . فقلت كيف ذلك اطال الله بقاء مولانا ؟ قال : لما رجعنا من بغداد اقتصر بي اخي ناصر الدولة على نصيبين فكنت مقيماً فيها ولم يكن ارتفاعها بكفيني فكنت أدافع الأوقات وأصبر على مضض من الاضاعة مدة ثم بلغتني اخبار الشام وخلوها الا من (يانس الموثني) وكون ابن طفج بمصر بعيداً منها ورضاء بأن يجعل (يانس) عليها ويحمل اليه الشيء البسير منها . ففكرت في جمع جيش وقصدها وأخذها وطرده (يانس) ومدافعة (ابن طفج) ان سار اليّ بجيبي فان قدرت على ذلك والا كنت قد تعجبت من اموالها ما تزل به إضاقتي مدة ووجدت جمع الجيش لا يمكن الا بالمال وليس لي مال . فقلت اقصد اخي واسأله ان يعاونني بألف رجل من جيشه يزيج هو علمهم ويمطيني شيئاً من

من المال واخرج بهم فيكون عملي زائداً في عمله وعزه . قال وكانت تأخذني
 حتى ربيع . فرحات الى الموصل على ما بي ودخلت الى اخي وسلمت عليه فقال
 ما اقدمك ؟ فقلت امر اذكره بعد . فرحّب وافترقنا فراسلته في هذا المعنى
 وشرحته له فأظهر من المنع القبيح والرد الشديد غير قليل . ثم شافهته فكان
 اشد امتناعاً وطرحت عليه جميع من كان يتجاسر على خطابه في مثل هذا
 فيردهم . قال وكان لجوجاً اذا منع من الاول شيئاً يلتمس منه اقام على المنع .
 قال ولم يبق في نفسي من يجوز ان اطرحه عليه واقدّر انه يجيبه الا امرأته
 الكردية والدة ابي تغلب قال فقصدتها وخاطبتها في حاجتي وسألته مسأله
 فقالت انت تعلم خلقه وقد ردك وأن سألته عقيب ذلك ردني ايضاً فاخرق
 جاهي عنده ولم يقض الحاجة ولكن اقم اياماً حتى اظفر منه في خلال ذلك
 بنشاط او سبب اجعله طريقاً للكلام والمشورة عليه والمسألة له . قال فعلت صحة
 قولها . فأقمت قال فاني جالس بمضمرته يوماً اذ جاءه برّاج بكتاب طائر
 عرفه سقوطه من بغداد فلما قرأه اسود وجهه واسترجع واظهر قلقاً وغماً وقال
 انالله وانا اليه راجعون . يا قوم ! المتجرف ! الأحمق الجاهل المبذر السخيف الرأي
 الرديّ التدبير الفقير القليل الجيش يقتل الحازم المرتفق العاقل الوثيق الرأي
 المضابط الجيد التدبير الغني الكثير الجيش . ان هذا لأمر عجيب قال فقلت له
 يا سيدي ما الخبر فرمى بالكتاب وقال قف عليه فاذا هو كتاب خليفته
 ببغداد بتاريخ يومين يقول ان في هذه الساعة تناصرت الأخبار وصحت بقتل
 ابي عبد الله البريدي اخاه ابا يوسف واستيلائه على البصرة .

قال : فلما قرأت ذلك مع ماسمعه من كلامه متُّ جزعاً وفزعاً ولم أشك
 انه يعتقدني كأني ابو عبدالله البريدي في الأخلاق التي وصفه بها ويعتقد في
 نفسه انه كأبي يوسف وقد جثته في أمر جيش ومال ولم أشك ان ذلك
 سيولد له أمر آ في القبض عليّ وحسبي فأخذت أداريه وأسكن منه وأطعم
 على أبي عبدالله البريدي وأزبد في الاستقباح لفعله وتجهيز رأيه الى ان انقطع
 الكلام . ثم أظهرت له انه قد ظهرت الحق التي تجهني وانه وقتها وقد جاءت
 فتمت فقال يا غلمان بين يديه . فركبت دابتي وحركت الى معسكري .
 وقد كنت منذ وردت وعسكري ظاهر البلد . ولم أنزل داراً . قال فحين
 دخلت الى معسكري وكان بالدير الاعلى لم أنزل وقلت لغلامي ارحلوا
 الساعة الساعة ولا تضربوا بوقاً واتبعوني : وحركت وحدي . فلحقني نفر
 من غلامي وكنت أركض على وجهي خوفاً من مبادرة ناصر الدولة اليّ
 بمكروه . قال فما عقلت حتى وصلت الى بلد في نفر قليل من اهل معسكري
 وتبعني الباقون فحين وردوا نهضت للرحيل ولم أدهم ان يُرخوا (١) وخرجنا
 فلما صرنا على فرسخ من البلد اذا باعلام وجيش لاحقين بنا فلم أشك ان اخي
 أنفذهم للقبض عليّ فقلت لمن معي تاهبوا للعرب ولا تبدأوا وحشوا السير قال
 فاذا باعراي يركض وحده حتى لحق بي وقال أيها الأمير ما هذا السير
 المحثّ خادمك (دعنا) قد وافى برسالة الامير ناصر الدولة ويسألك ان تتوقف
 عليه حتى يلحقك قال فلما ذكر (دعنا) قلت لو كان شراً ما ورد (دعنا) فيه

(١) لعل صوابه : براحوا

فنزلت وقد كان السير كدّني والحمى قد اخذتني فطرحت نفسي لما بي .
 ولحقني (دنحا) واخذ يعاتبني على شدة السير فصدقته عما كان في نفسي فقال
 اعلم ان الذي ظننته انقلب وقد تمكنت لك في نفسه هيبة بما جرى وبعثني
 اليك برسالة يقول لك « انك قد كنت جثني نلتس كيت وكيت
 فصادتني ضجرًا وأجبتك بالرد ثم علمت ان الصواب معك فكنت منتظرًا
 أن تعاودني في المسألة فاجيبك فخرجت من غير معاودة ولا توديع والآن
 ان شئت فأقم بسنجار أو بنصيبين فاني منفذ اليك ما التمسست من المال والرجال
 لتسير الى الشام »

قال فقلت لدنحا تشكره وتجزيه الخير وتقول كذا وكذا . أشياء
 واقفته عليها . وتقول : اني خرجت من غير وداع لخبر بلغني في الحال من
 طروق الاعراب لعلمي فركبت لالحقهم وتركت معاودة المسألة تخفيفًا .
 فاذا كان قد رأى هذا فانا ولده وان تم لي شيء فهو له وانا مقيم بنصيبين
 لا أنتظر وعده . قال : وسرت ورجع (دنحا) فما كان الا ايام يسيرة حتى
 جاءني (دنحا) ومعه الف رجل قد أزيحت عليهم وأعطوا أرزاقهم ونفقاتهم
 وعرضت دوابهم وبغالهم معهم خمسون الف دينار وقال هؤلاء الرجال وهذا
 المال فاستغفر الله وسر . قال فسرت الى حلب وملكته وكانت وقائعي مع
 الاخشيدية بعد ذلك المعروفة . ولم يزل بيني وبينهم الحرب الى ان اسفرت
 الحال بيننا على ان أفرجوا لي عن هذه الأعمال وأفرجت لم عن دمشق
 واستغفريت عنه وكل ذلك فسببه قتل عمك لأبيك .

أنشدني ابو علي الحاتمي فصلاً في رسالة عملها الى بعض الرؤساء في صفته :
 أفكاره همم ابعاده نغم وعوده قسم تأمله عصم
 الفاظه حكم اوطانه حرم الحاظه نغم (١) آلاؤه ديم
 تبني الخلائق ان يحصوا فضائله ودون ذلك ما يستنفد الكلم
 ولو أرادوا جميعاً كنتم معجزه ابى له الله ما يأتون والكرم
 تبني مجاراته في فعله شير (٢) قد قصرت عندهم (٣) عن لعبه الفقم
 وكيف يسطاع فعل او يرام علا ما ليس يدركه الاوهام والفهم

حدثني بعض الأهوازيين قال رأيت ابا الحسن المنبري الشامي الطائي
 الشاعر بالأهواز على باب الحسين بن علي المنجم وهو عاملها يتردد مدة وكان
 قد امتدحه قال فتذاكرنا شدة تلون (٤) اخلاق المنجم وجنونه ونواميسه (٥)
 في وقت وعدوله عن ذلك في آخر ثم قلت له فأين أنت منه فقال ما آيس من
 رده ولا أطمع في وعده قلت انا : وهذا كأنه مأخوذ من الأبيات التي هجا بها
 الحسن بن رجا وهي مشهورة فلذلك لم أوردتها على جهتها والاخير (٦) من
 الأبيات وهو :

لكنها خطرات من وساوسه يعطي وينزع لا بخلًا ولا كرمًا

(١) لعله : نعم . (٢) لعله : بشر . (٣) لعل صوابه : عنهم عن كعبه البهم .
 (٤) بالاصل : تكون . (٥) لعله : تأنه . (٦) لعله : الا الاخير .

حكى لي عن بعض الصالحين في إخراج السرق قال تأخذ قدحاً فيه ماء وتأخذ خاتماً فتشده فيه بشعرة وتدليه في القدح وتكتب خمس رقاع فيها أسماء المتهمين بالسرقة وتكتب «السارق» في القدح وتضع رقعة تكتب فيها اسم من تنهه على حرف القدح وتقرأ عليه (وإذ نتقنا الجبل فوقهم كأنه ظلة وظنوا أنه واقع بهم خذوا ما آتيناكم بقوة واذكروا ما فيه لعلمكم نتقون .) فإذا ضرب الخاتم القدح نظرت في الرقاع (١) فإن السارق هو صاحب الاسم وإن لم يضرب القدح فتضع أخرى فإن السارق هو إذا ضرب . وقال لي في الأبق تكتب فاتحة الكتاب مدورة وتكتب في وسطها : (كظلمات في بحر لجي يغشاه موج من فوقه موج من فوقه سحاب ظلمات بعضها فوق بعض إذا أخرج يده لم يكد يراها ومن لم يجعل الله له نوراً فما له من نور) اللهم اجعل الأرض علوها وسفلها وسهلها وجبلها وبرّها وبحرها في قلب فلان بن فلان أضيق من مسك شاة حتى يرجع .

نذاكرنا في مجلس ببغداد حضره أبو علي بن محمد بن منصور الشاهد المعروف بابن كردي حديث غلبة النساء على الرجال الا الثفر من الرجال فقال لي أبو علي كان لنا شيخ فاضل من اهل القطيعة (٢) كان يضرب لنا في هذا مثلاً فيقول : ان في جهاز العروس الى زوجها سرجاً ولجماً فإذا انقضت ايام العرس : إن سبق الرجل فأسرج المرأة ووضع اللجام في رأسها وركبها ملك

(١) لعله : الرقعة . (٢) القطيعة اسم لعدة أما كن في بغداد .

عليها امرها . وان تراخى لحظة وضمت هي السرج على قفاه والجمام في فيه
فركبته فلم تنزل عنه الا بطلاق او موت .

حدثني ابو الفضل محمد بن عبيد الله بن المرزبان الكاتب الشيرازي قال
حدثني سهل بن نظير اليهودي الجهبذ قال حدثني جدي سهل بن نظير وكان
بتجهيز للوزير على قديم السنين منذ ايام الفتنة والى ان مات قال لما نكب
عبيد الله بن سليمان بعد نكبته (١) للموفق النكبة العظيمة كنت اتوسم فيه
الرفعة وعلو الحال فكنت احمل الى عياله في كل شهر مائة دينار وهو في
الحبس ثم اطلق فكنت احملها اليه الى ان ولي الوزارة فعرف لي ذلك وبلغ
بي كل مبلغ وشكرني عليه اتم شكر قال ثم ان عبيد الله نكب جرادة
الكاتب وكان قد جرت له عليه الرئاسة وعلى الناس والروضاء وكان له
احسان سالف الي كثير فكنت احمل الى عياله في كل شهر مائة دينار واحذر
به الى البصرة قال فبلغ ذلك عبيد الله بن سليمان وانا لا اعلم فدخلت اليه يوماً
فقال لي ياسهل بارك الله لك في عداوتنا قال فقلت له ايها الوزير من انا
حتى اعاديك وانا اخس كلب ببابك قال واكثر التنصل والتهيب وبكيت
وقلت ياسيدي ما هذا الكلام ان كان شيء رقي الى الوزير ابده الله عني
واقفني عليه ولعل عندي فيه حجة او برهاناً على بطلانه قال فقال لي تحمل الى
عيال جرادة في كل شهر مائة دينار قال فقلت ايها الوزير انا ما فعلت هذا ولا

(١) لعله : وزارته .

تجاسرت عليه انما فعله الرجل الذي كان يحمل الى عيال الوزير ابده الله مائة
دينار في كل شهر رعاية لحق احسانه اليه فرعى لجرادة احساناً له اليه ايضاً
فحمل اليه مثل ما كان يحمل الى عيال الوزير ابده الله فاحمر وجهه خجلاً
واطرق وسكت ملياً ثم تصبب وجهه بالعرق وقلت قبض والله علي ونكبي
قال فاسقطت فرفع رأسه وقال احسنت يا سهل ماترى بعد هذا مني منكراً
ولا بقي في نفسي عليك شيء فاجرم على رسمهم ولا يوحشك ما خاطبتك به .

« البقية تأتي »



آراء وافكار

— (١) —

الفاظ عربية في اللغة الارمنية

وفقت بعد بحث طويل الى جمع ما يقرب من ١٥٠٠ كلمة من اللغة الارمنية وجدت بينها وبين طائفة من الكلمات العربية مشابهة في لفظها ومعناها وهذا العدد عظيم بالنسبة للغة الارمنية التي لا يتجاوز عدد كلماتها ٢٠٠٠٠ كلمة هو دليل مقنع على ان الشعبين العربي والارمني كانا يقطنان قبل التاريخ بقاعاً واحدة . ويتكلمان لغة ابتدائية واحدة . ودليلنا على صحة هذه النظرية ان البشر في حالتهم الاولى كانوا لا يملكون من اللغة الا الكلمات الضرورية التي تفيدهم في حاجاتهم البسيطة : كالأكل والشرب والفاظ العقيدة وهذه الكلمات التي استعملها العرب والارمن في زمن وحدتهما في الازمنة المتويزة في القدم بقيت الى الآن مشتركة بينهما بالفاظها ومعانيها .

وهاء نذا أقدم نماذج من تلك الكلمات المشتركة ليطلع عليها علماء اللغة العربية وعسى ان أكون اديت بذلك بعض الواجب عليّ في خدمة اللغات السامية .

| الارمنية ^(١) | العربية | معناها في اللغتين |
|-------------------------|---------|-------------------|
| ح ا ث | حث | الخبر القفار |
| وارت | ورد | ورد |
| ذب ال | الذب | كثير الحركة |
| غ ا ر اس | خرس | ابريق او جرة |

(١) قد اثبتنا الكلمات الارمنية بحروف عربية لعدم وجود حروف ارمنية في مطبعتنا ولتسهيل امر المقارنة بين كلمات اللغتين .

| الارمنية | العربية | معناها في اللغتين |
|-----------|---------|--------------------------|
| ووصد | وصد | نسج |
| ت آر | دهر | الزمن الطويل (قرن) |
| هام وز | همزه | همس في قلبه وسواساً |
| ت رز | درز | خاط |
| ح اد | حد | حد السيف او السكين |
| حر - ح ور | حر | ضد البرد |
| خ اب | خب | صار خداعاً |
| ش وق ا | سوق | موضع المبيع والشراء |
| ش ي ن ع | شنع | قبيح المنظر |
| ص د وق | صدق | ضد الكذب |
| ص ورد | صرد | سريع التأثير في البرد |
| ص ور | صور | الميل العوج |
| ص وم | صوم | الامساك عن الطعام |
| ط ار | طار | ارتفع في الهواء |
| ع ار ص | عمرس | زوجة |
| وو خر | وخر | توقد عليه من الغيظ |
| خم ور | خمير | ما يعمل في الخجين ليعتمر |
| واد | وضع | ذليل |
| ع و ن ث | عنث | يبس العشب |
| ان س | انس | انسان |
| ع وق | عوق | ضد العجلة |
| ح ال | حل | فك |
| واه | بهي | حسن |
| غ و ث | غوث | استغاث |

| | | |
|-------------------------|-------|----------|
| قذرت | قذع | قوزوت |
| الجلد اليابس | قشع | قاشى |
| قتل الشئ | قلد | قيل دو |
| تفقد بالبحر | قن | قنن |
| المخلوط من الأخلاق | دغمري | دغم ار |
| مال الى الباطل ، جنابة | حنث | حانث |
| بخل | كوز | كزى |
| كيس الدراهم وغيرها | كيس | كيس |
| كل واحد معه آخر من جنسه | زوج | زوك |
| انحرف | زور | زور |
| شجر يقتدح به | مرخ | مارخ |
| متنرد | مرد | مارد |
| سفا السنبيل | مرق | موروق |
| قل لحه | مشل | ماشيل |
| شد يد العضل | ميز | ميس |
| الفاسد | نفل | ناغىل |
| الفصن الناعم لسفته | مخوط | مخوط |
| ضعيف نحيل | هنل | هوزال |
| الجلل | أهط | اوهود |
| هبوب الريح | هف | هود |
| رعد السماء | رعد | ورود |
| الارض | ارض | ارضى |
| ما يمس الجسد من اللباس | شعار | شورور |
| الثابة الناعمة | رودة | اورى ورت |

مجلس إحياء المعارف النعمانية « في الهند »

الفنا لجنة علمية دعوناها (مجلس إحياء المعارف النعمانية) بمعاونة لفيف من العلماء والغرض منها طبع المصنفات لمقتدمي الاحتاف مثل الامام ابي حنيفة وصاحبيه وحسن بن زياد والطحطاوي والخصاف والكرخي والخصاص وغيرهم من الاعلام الذين لم تطبع كتبهم بعد ولم نقصد من وراء ذلك الا نشر الدين وليس القصد التجارة . وقد وفقنا الله الى طبع كتابين (الأول) كتاب العالم والمتعلم للامام ابي حنيفة و (الثاني) شرح الصدر الشريد على كتاب (نفقات الخصاف) ونحن اليوم في صدد طبع الجامع الكبير والمبسوط والزيادات خاصة ولدينا نسخ من هذه الكتب غير ان زيادة التنقيح والتصحيح تقتضي الحصول على نسخ أخرى وقد ظفرنا بنسخة من المبسوط ونسخة من الجامع الكبير ولم نوفق الى الآن الى نسخة من الزيادات ونرجو من اعضاء المجمع العلمي وغيرهم من اهل الفضل ان يرشدونا الى مواطن الكتب التالية :

مصنفات الامام ابي يوسف كالأثالي والجوامع ، اختلاف الامصار ، المبسوط ، سند الامام له ونوادره رواية بشر بن الوليد . ومصنفات الامام محمد كالمبسوط ، الجامع الكبير ، الزيادات . زيادات الزيادات . السير الصغير . السير الكبير . كتاب الصلوة . الأثالي اي الكيسانيات . المارونيات . الجرجانيات . العمريات . الرقيات . ومسند الامام ابي حنيفة له ونوادره رواية تلاميذه : ابي سليمان — ابن سماعة . ابن رستم . المعلى . هشام . وكتاب الحججة على اهل المدينة له وغير ذلك . ومصنفات الطحاوي كالمختصر له — اختلاف العلماء . احكام القرآن وغيرها . ومصنفات الكرخي : مختصره شرحه للجامع الصغير والكبير وغير ذلك — ومصنفات الخصاف نحو كتاب أدب القضاء له وغير ذلك . ومصنفات الخصاص مثل شرحه على الجامع . وشرحه على مختصري الطحاوي والكرخي واصوله وغير ذلك . وكتاب العلل وبقال له الحجاج لعيسى بن ابان . وكتاب الحجاج لبشر بن غياث الرئيس . وغيرهم من الاعلام .

وتهمنا هذه الكتب وامثالها والوقوف على طريقة الحصول عليها وخاصة كتاب الحججة

على اهل المدينة والبسوط والجامع الكبير والزيادات . وكتاب الحجة وان كان قد طبع في الهند قبل خمسين عاماً الا ان فيه بياضات واغلاطاً وتقديماً وتأخيراً وتكراراً فان وجدت نسخة صحيحة منه نعمل على طبعتها ونشرها .
ابو الوفاء

رئيس اللجنة والمدرس بالمدرسة النظامية

في حيدر اباد الدكن (الهند)

حارة شبلي كنخ

(المجمع) نذكر في ما يلي طائفة من المصنفات المذكورة الموجودة في دار الكتب الظاهرية ليطلع عليه الاستاذ ابو الوفاء ونرجو من اهل الفضل ان يكتبوا اليه بعنوانه المذكور بما لديهم من اضر امثال هذه المصنفات :

(١) الجامع الكبير في الفتاوى : تأليف الامام محمد بن حسن الشيباني المتوفى سنة ٨٩ هـ : نسخة في ٤٣٢ صفحة كبيرة بنقص من أولها ورقة واحدة كتبت سنة ٧٦٦ بخط معتاد [رقم ١١٢]

(٢) الجامع الصغير : للامام محمد والموجود منه ثلاث نسخ الأولى كاملة في ٤٧٥ صفحة كتبت سنة ٧٦٠ وفي هذه النسخة اوراق كتبت بخط حديث [رقم ١٠٩] .

(٣) النسخة الثانية في ٥٨٠ صفحة كبيرة كتبت بخط فارسي وعليها تعليقات وهوامش [رقم ١١٠] .

(٤) النسخة الثالثة غير كاملة في ٣٣٢ صفحة ناقصة من آخرها كتبت بخط نسخ [رقم ١١١] .

(٥) شرح الجامع الكبير : للامام محمد بن الحسن المتوفى سنة ١٨٩ يوجد منه مجلد واحد يتندي من كتاب البيوع وينتهي بباب الايمان كتب بخط تعليق [رقم ١٥٨] .

(٦) شرح الجامع الصغير : للامام محمد ايضاً والشرح لبرهان الدين امام الحرمين في ٤٦٠ صفحة صغيرة بخط سعيد بن محمود الرازي سنة ٥٨٥ [رقم ٣٧٣]

(٧) شرح السير الكبير : للامام محمد ايضاً والشرح لشمس الأئمة ابي بكر محمد بن احمد بن ابي سهل السرخسي المتوفى سنة ٥٤٩ هـ : نسخة في ٧٧٢ صفحة متوسطة القطع نفيسة انطت بحلّة بالذهب [رقم ١١٥] .

وهذا الكتاب طبع مؤخراً في مطبعة حيدر آباد الدكن في الهند .

مطبوعات حديثة



انحاف اعلام الناس

«بجمال أخبار حاضرة مكناس»

تصنيف مولاي عبد الرحمن بن زيدان طبع في المطبعة الوطنية برباط الفتح
سنة ١٩٣١ في ٦٠٠ صفحة

(جزؤه الثالث)

هذا الكتاب النفيس وان كان عنوانه (اخبار مكناس) هو في الحقيقة تاريخ مملكة
مراكش بمجموعها فالمؤلف يصورها في مختلف عصورها للقاري كأنه يراها وقد صدر منذ
حين الجزآن الأولان منه ثم صدر جزؤه الثالث في هذه الأيام وهو يشتمل على تراجم كثيرين
من علماء تلك الديار ويقتلها تراجم بعض ملوك مراكش فان ملوكها يكادون يمتازون على
سائر ملوك الاسلام باشتغالهم في العلوم الدينية على طريقة العلماء المعروفة وآخر من اشتهر منهم
مولاي عبد الحفيظ ملك مراكش الا سبق . وقد نشر المؤلف في هذا الجزء وثائق تاريخية مما
يتعلق بالشؤون المراكشية الداخلية ووثائق أخرى خارجية تتعلق باسبانيا وفرنسا والدانمارك
وهي منشورة بصورها الفوتوغرافية على غاية الضبط والجمال عدا الصور والرسوم التاريخية
الأخرى : من ذلك صورة تمثل سفير الدانمارك وهو داخل على سلطان مراكش مولاي
محمد . وصورة تمثل سفير الانكليز كذلك . وصورة كتاب باللغة الافرنسية من ملك
فرنسا لويس السادس عشر يبشر السلطان بولادة ابن له وكتاب آخر من نابليون الثالث
يعزي سلطان مراكش بوفاة والده . وكتاب من اسرى الاسبانيين المسجونين في احدى
قرى السوس . الى غير ذلك من الصور والوثائق التي تصف الحالة السياسية والادارية في
بلاد مراكش مما كان له تأثير كبير في ضعفها واستيلاء الأجنبي عليها . وقد الحق

بالكتاب عدة فهارس للتراجم وللإعلام التاريخية والجغرافية . والكتاب حسن الورق والطبع لكن الأغلط فيه كثيرة كسائر ما يطبع في الاقطار المغربية ومع عناية المطبعة في تصحيح الأغلط بنشر جدول خاص في آخر الكتاب لحنا اغلطا أخرى كثيرة العدد فعسى ان ينتبه ارباب المطابع ثمة الى تدارك هذا التقصير في مطابعهم وقد ذكرنا ان مما نشر في الكتاب صورة كتاب ارسله لويس السادس عشر الى سلطان مراکش يهنؤه بولادة ابن له والكتاب نشر باللغة الافرنسية وهذه ترجمته العربية :

« من عظيم الذمارة ملك فرنسا الى عظيم المسلمين ملك مراکش والمغرب سلاماً وبعد فان المولى جل جلاله حقق امنيتنا وامنية فرنسا فرزقنا اميراً وضعته والحمد لله الملكة زهجتنا العزيزة وقربنتنا وقد بادرت باعلامكم بهذا الحادث العظيم الذي يضمن السعادة لرعيثنا ويخلص هذه العائلة الملوكية وانا متحقق انكم ستلقون هذا النبأ الذي يسر عائلتنا المشهورة ورعيثنا بكل سرور لما بيننا من روابط المودة وان السرور الذي ستقابلون به هذا الحادث سيكون شاهداً جديداً على ما بيننا من الصداقة المؤبدة وانا ندعو لكم ولملككم بالنصر والعافية والرفاهية ونطلب من الله ان يجرسكم بعنايته اه » .

والكتاب نشرت فتوغرافيته باللغة الافرنسية وقد كتب بخط دقيق جداً وهو لا يتجاوز خمسة الاسطر ولا يكاد يقرأ .

هذا وان تاريخ مكناش طرفه من طرف العلم التي اتفقنا بها مولاي عبد الرحمن لا يستغني عنها مؤرخ ولا سيما المتخصصين في تاريخ علاقة الشرق بالغرب في العصور الأخيرة تلك العلاقة التي هي اساس الحالة السوأى التي نحن عليها معشر الشرقيين .

« المغربي »



نظرات الشورى

« في الأحوال الشرقية الحاضرة . وهو يقع في ٢٦٠ صفحة من القطع »
 « المتوسط . تأليف الأستاذ محمد علي الطاهر »

صاحب جريدة الشورى الأستاذ محمد علي الطاهر من ذوي العقيدة الراسخة الناصرين
 لحزبهم السياسي أشد النصر والطاعنين في أعدائه بلا هوادة . وقد أصدر هذا الكتاب
 أثناء احتجاب « الشورى » وضعه احاديث وحوادث سياسية واجتماعية وادبية في كثير
 منها فائدة وطلاوة ونكات مستلعة . ولو جوزنا لمجلة المجمع العلمي ان تبحث في الأمور
 السياسية لقرئنا هذا الكتاب بما يستحقه لأن معظم أبحاثه في السياسة الحاضرة ورجالها .
 وربما رأى بعض الناس ان كثيراً من أبحاث الكتاب تصلح للجرائد اليومية ولا
 تستحق النشر في الكتب اما انا فأرى انهم غير مصيبين فيما ذهبوا اليه لأن بعض الحوادث
 التي تبدو صغيرة تكون في الحقيقة صورة صادقة لبعض الأوضاع الاجتماعية والأخلاقية
 والأدبية كالحوادث التي تضمنها (نشوارالحاضرة) للتنوخي وكالنكتة الآتية التي تدل على
 كثرة الجرائد في بلادنا ووفرة محترفي حرفة الصحافة عن جدارة او عن غير جدارة وقد
 اوردناها مثلاً لأشبابها مما حواه كتاب « نظرات الشورى » قال المؤلف :

« كان بعض الأصدقاء يسدرون بالقدس وكان الموضوع كثرة الجرائد التي تُرمى
 على الناس فقال الأستاذ احمد حلمي باشا مدير البنك العربي بالقدس انا مشترك في جريدة
 كذا وجريدة كذا ومجلة كذا الخ ولكن يصلني أكثر من ثلاثين جريدة ومجلة برغم اني .
 فقيل له وكيف ذلك يا باشا ؟ فقال لأن الجرائد الأخرى التي لم اشترك بها قد
 اشتركت بي ! »

فهذه النكتة الصغيرة اجمل صورة لموضوع اجتماعي مهم ولا يمكن ان يختلف في
 جمالها اثنان اما في السياسة فن البديهي ان الصور التي يصورها الأستاذ المؤلف مستقيمة
 يراها خصومه في السياسة مقلوبة . والعكس بالعكس . وهذا مالا شأن لنا به في هذه
 المجلة .
 مصطفى الشهابي

الخزف الشامي العراقي « في القرن الرابع عشر »

للمسيو سوفاجه : عدد صفحاته ٢٦ وعدد لوحاته المصورة ٤٩ طبع باريس

سنة ١٩٣٢

Jean Sauvaget - Poteries Syro - Mésopotamiennes du XIV.
Siècle; 26 Pages et 49 Planches . Paris 1932.

بدأ نشاط المعهد الافرنسي الفني بدمشق يتجلى للعيان منذ تولت إدارته يد مخرطة وهو يضم اليوم نخبة من الشبان الافرنسيين العاملين يشتغل كل منهم في نطاق اختصاصه وهم يتحفوننا من حين الى آخر بثمرات جهودهم في الابحاث العلمية والتاريخية المتعلقة بالبلاد السورية . والمسيو سوفاجه هو احد هؤلاء العاملين في خدمة الآثار الاسلامية في بلادنا فقد ضمن كتابه هذا بحثاً عن طائفة من الخزف الاسلامي المطبوع المعروف بالخزف الشامي العراقي وقد صنفاً بحسب أنواعها مستميناً بمجموعة من هذا الخزف عثر عليها في دمشق وهي محفوظة في المعهد الافرنسي المذكور . وقد ادلى بنظرية جديدة بالاعتبار توضح لنا تاريخ تسرب هذا النوع من الخزف العراقي الى دمشق وبقية المدن الشامية البعيدة عن الحدود العراقية مستنداً الى العوامل التاريخية التي اوجدته ويرى ان هذه الصناعة قد حملها بعض سكان مدن الفرات الشامية الذين التجأوا الى داخلية البلاد فراراً من جموع التتر التي تقدمت من العراق الى بلاد الشام في اوائل القرن الرابع عشر للميلاد .

جعفر الحسني

البيت الشامي

« في حوران ووادي بردى وجبل قلمون »

للمسيور . تومن — عدد صفحاته ٣٩ وعدد لوحاته المصورة ٣٥ مع خارطته

طبع باريز سنة ١٩٣٢

R. Thoumin - La Maison Syrienne dans la plaine hauranaise ,
le bassin du Barada et sur les plateaux du Qalamun. 39 pages
avec 35 planches et une carte. Paris 1932 .

وهذا الكتاب هو الجزء الثاني من مطبوعات المعهد الافرنسي في دمشق ضمنه المؤلف بحثاً عن دور سكان القرى في العهد الحاضر في حوران ووادي بردى وجبل قلمون ووصف تقاسيم هذه الدور ومواد بنائها في كل من هذه المناطق بوضوح يقبل من الرسوم الجميلة التي زين بها الكتاب . وسيصح هذا البحث وثيقة للمستقبل عن حالة البناء في هذه المناطق لان هذا النوع من البناء سيندر قطعاً ليعمل محله طرائق جديدة في البناء تجتمع بين الطراز الشرقي والطراز الغربي كما هو الحال في معظم قرى لبنان .

وقد ذكر المؤلف في ص : ٢ س : ٢٥ (عقال الورد) وصوابه (عقال الورد)
وذكر ايضاً في اللوحة العاشرة (شكل ٢) مدرسة (السباعية) وصوابه المدرسة (السباهية) ٤

جعفر الحسني



اصلاح سهو

ذكرنا في الكلام على طوق الحمامة لابن حزم (م ١٢ ج ٤ ص ٢٢٥) ان المؤلف لم
يشر الى اسم الطابع الأول لهذا الكتاب والحقيقة انه اشار اليه وذكر طرقاً من مقدمته
وهنا لا بد من شكر الطابع على عنايته في نشر هذا السفر ونرجو ان يوفق الى طبع كثير
من الكتب النافعة .



الثقالة و الثقلاء (١)

ما كان ينبغي أن أنقل عليكم أيها السادة بمحدث هؤلاء الثقلاء . الذين ضجّت منهم الارض والسماء . ولأن أهتم بجمع اخبارهم ولا تعيبيكم من غريب أطوارهم — لولا اني رأيت كبيراً من علماء السلف أفردهم بالذكر في مؤأف خاص سماه (كتاب الثقلاء) . وقد جمع فيه زبدة من آراء مفكري العرب في ما هي الثقالة . ومن هم الثقلاء ؟

فالكتاب صفحة من تاريخ أدبنا القومي الاخلاقي ومؤلفه كخبير من علمائنا الأقدمين الذين اهتموا بجمع أخبار فئات من الناس شاذة في بعض جوانب اخلاقها ومناحي طباعها . فهذا الجاحظ جمع لنا أخبار (البخلاء) كجامع في كتاب آخر أخبار (اللصوص) . وابن الجوزي صنف في أخبار (الحمقى والمغفلين) . والخطيب البغدادي وصف لنا في كتاب خاص أحوال (الطفيليين) الذين يغشون الولاثم من دون دعوة .

وكل هؤلاء العلماء لم يهتموا بهذه الطبقات من الناس إحياء لذكركم . أو تعجيذاً لقدرهم . وإنما كان غرضهم إعطاءنا دروساً في أخلاق السوء التي كانت عليها هذه الفئات المأفونة فتخامها . ونظّموا أنفسهم من أدبائها . على حد قول الشاعر :
(عرفت الشر لا للشر — بل لكيف لتوقيه)
(ومن لم يعرف الخير من الشر — يقع فيه)

إذ لا يخفى عليكم أيها السادة أن ساحة هذا الوجود تشبه المسرح الذي تمثّل عليه الروايات . قومٌ يمثّلون وقومٌ نظّارة : يشاهدون ثم ينصرفون .

(١) هي المحاضرة التي القاها الاستاذ المغربي في ردهة المجمع العلمي مساء يوم الجمعة الواقع في ١٨ كانون الأول سنة ١٩٣١ .

وكذلك آحاد الناس على مسرح هذه الكائنات: يتل قوم وينظر آخرون اليهم . حتى اذا انقضى دورهم صعد الى المسرح من يتل دوره مكانهم ثم يخلفه غيره وهكذا . ولا يوجد في هذا العالم أحد لم يتل دوراً نتحدث عنه الناس مستحسنين أو مستهجنين . والغرض من مشاهدة التمثيل سواء أكان على المسرح (التياتري) الصغير . أو على المسرح العالمي الكبير إنما هو العظة والاعتبار . يرى المرء الحسنه فيرغب فيها . ويرى السيئه فينفر منها : فالوفى هو الذي اذا نظر الى الممثلين اتعظ واعتبر . والمخذول من قمر به العبر . فلا يكون له حظ منها سوى النظر . حتى اذا مثل دوره فبح مثلاً . وأضحى في الحماقة أو الثقالة آيةً ونكالا .

ومثل ذلك يقال في تأليف كتب الأدب والتاريخ واخبار الناس ومانعته الاسفار المقدسة من القصص والمواعظ والأمثال — كل هذا إنما أريد منه عرض صور الممثلين الماضين على انظار الممثلين الآتين . فيعيد كل منهم تمثيل دوره . ويتجنب خطيئات غيره : فابن الجوزي الذي عرض تحت مواقع أبصارنا مأملة الحمى والمغفلون من الأدوار المضحكة إنما اراد أن يحملنا على الانتباه لأنفسنا فنطهرها من الحماقة في حركاتها وسكناتها . وهو في عمله هذا عامل بأداب القرآن . لأن القرآن أرشدنا الى الاعتبار بأفعال الحمى . وحذرننا أن نكون مثلهم . وأن تأتى من الأعمال مآتهم . فقال تعالى : (ولا تكونوا كالتي نقضت غزلها من بعد قوة أنكاثا) اي لاتنقضوا عهودكم وتكونوا كمثل المرأة المتناهية في الحمى (وهي ربيطة بنت عمرو من نساء مكة) . كانت تنهك في غزلها هي وجوارها حتى اذا أحسكت فتله . عمدت اليه فنقضته أنكاثاً . أي خيوطاً غير مفتولة .

ولا يخفى أن الوحي الآمى لم يقصد من ذكر قصة (ربيطة) المذكورة إضحاكنا وتسلينا . وإنما قصد إرشادنا وتريتنا .

وكذلك شأن أولئك المؤلفين . في ما قصوه علينا من أخبار الحمى والمغفلين ومثلهم مؤلف (كتاب الثقلاء) الذي جعلناه موضوع محاضرتنا اليوم .

وقد حلل شارح القاموس كلفي (الثقالة والثقل) وأشار الى كتابنا هذا اي كتاب الثقلاء فقال معلقاً على قول القاموس (وثقال الناس وثقالوهم من تكره صحبتهم الناس ويستثقلونه) — ما نصه (وواحد الثقلاء ثقل يقال أنت ثقل على جلسائك . وما أنت

الاثقل الظل • بارد النسيم • ويقال : بحالسة الثقل تغني الروح • ومن أبدع ما أنشدنا في الثقل بعض الشيوخ :

(وثقل قال صفي قلت أيش فيك أصف)

(كل ما فيك ثقل حل^(١) عني وانصرف)

وقال الراغب : الثقل سيف الانسان يستعمل تارة في الدم وهو أكثر في التعارف • وتارة في المدح نحو قول الشاعر :

(تحف الأرض إمازلت عنها وتبقى ما بقيت بها ثقيلا)

(حللت^(٢) بمستقر العز منها فتمنع جانبها أت ييلا)

وقد ألف في اخبار الثقل كتابه كلام التاج •

ونحن اليوم نستعمل كلمة الثقل في الدم وإذا أردنا المدح حرفناها وقلنا فلان (طليل) بالثناء المخممة كالطاء نريد انه وقور رزين •

في المكتبة الظاهرية طائفة من المجاميع المخطوطة • تحتوي كل مجموعة منها على عدة رسائل مختلفة في أبحاثها • متنوعة في موضوعاتها • وقد كنت يوماً أنقب في هذه المجاميع وأنصف ما أودعته من الرسائل • وإذا بي أمام رسالة عنوانها (الثقل) فأول ما خطر ببالي أن الثقل • هم إخوان الحمقى والبخلاء •

فلا جرم أن تكون النتيجة من دراسة أحوالهم واحدة • وإذا قد طبعت المصنفات عن (الحمقى) وعن (البخلاء) • وعرفت أطوارهم • وشاعت بين الناس أخبارهم فلا يحسن أن نجس إخوانهم (الثقل) حقهم • فلا نعلن أمرهم • ولا نذيع سرهم • فوأيت من

(١) قوله (حل عني) كذا بالخاء المهملة ولعل صوابه (حل عني) بالهمزة على أن عامتنا اليوم يقولون — إذا استثقلوا مخاطباً — « حل عنا يا » بالخاء المهملة •

(٢) قوله حللت الخ ويرد (لأنك موضع القسطاس منها) واذكر أن هذين البيتين للناطقة قالها في النعمان وقد لاموه على مخاطبته الملك بكلمة (ثقل) حتى اضطر الى تغيير الشطر •

وفاء الذم أن أصطنع من مضمون هذا الكتاب أعني (كتاب الثقلاء) محاضرة : ألقيا في هذه الروضة . كما كنت منذ سبع سنوات . ألقيت فيها محاضرة عن (الحق والمغفلين) .

وكتاب الثقلاء أيها السادة في نحو عشرين صفحة . صغيرة القطع . قديمة الخط . كالمدة اللون . قد تكون كُتبت في القرن السابع للهجرة . وهي ضمن مجموعة رسائل محفوظة في دار الكتب الظاهرية تحت رقم (١٨) في قسم الجوامع . وفي النسخة أغلام وتعاريف كثيرة . وقد لحقتها رطوبة في أوساط صفحاتها . فتلاصقت وانسجعت ونقشرت . ولما شققناها وباعدت بعضها عن بعض فسد كثير من كلماتها في مكان الالتصاق فكان أحياناً يغيب معنى الجملة . ويتبع ذلك إيهام وغموض في أصل القصة التي جاءت فيها تلك الجملة .

والثقلاء وإن كان الناس يمتقونهم ويتجنبون ذكرهم بل ذكر أسمائهم أحياناً فإن السلف الصالح رضي الله عنهم اهتموا بهم وتثبتوا في نقل أخبارهم إلى حد الورع : فهم لم يذكروا لنا تلك الأخبار كيفما اتفق . وإنما ذكروها بطريق الرواية والسنند . كما إذا كانوا يروون أخبار أنبياء مرسلين . لا ثقلاء ممقوتين . بل الأمر أعظم من ذلك فإن رسالة (الثقلاء) هذه رويت عن مؤلفها بعدة طرق : فقد وجد في أولها وآخرها ما يفيد أن (الحسن بن عمار) قرأها على (إسماعيل بن جلدك) القلانسي . وأجازها بها . وأن (علي بن مظفر) قرأها عليه أيضاً مرة على الأفراد . ومرة مع جماعة . وذلك سنة ٦٤١ للهجرة .

أما (إسماعيل بن جلدك) فروى الرسالة عن (أبي منصور بن مكارم) المؤدب سنة ٥٨٥ للهجرة . وابن مكارم رواها (سنة ٤٨٣ هـ) عن جماعة : فهم (علي السراج) و (الحسين النجار) . وهؤلاء رووها عن (هبة الله السمان) . وهبة الله رواها عن (الحسن الآدمي) والحسن الآدمي رواها عن مؤلفها (ابن المرزبان) سنة ٢٨٠ للهجرة .

أراهم يأسدون مبلغ اهتمام سلفنا الصالح بالثقلاء . ومقدار ما تجشعوا من الثقلة في جمع أخبارهم ؟ وتحيص رواياتهم .

ثم أبكون هذا شأن سلفنا الصالح في العناية بهم ونحن نزهد فيهم . ونعرض عنهم ولا نسمع بساعة واحدة من وقتنا في استماع رواياتهم . والاستفادة من دراسة ثقالاتهم .

أما مؤلف كتاب (الثقلاء) فهو من علمائنا الثقات الاقدمين . ذكره صاحب كتاب (شذرات الذهب . في اخبار من ذهب) . وشذرات الذهب مخطوط^(١) من أنفُس مخطوطات (المكتبة الظاهرية) .

قال مؤلفه (وفي سنة ٣٠٩ للهجرة توفي ابو بكر محمد بن خلف بن المرزبان البغدادي الاخباري صاحب التصانيف . روى عن الزبير بن بكار وطبقته . وكان صدوقاً . والمرزبان كلمة فارسية معناها (حارس الحدود) . هـ : (مر) حد و (زبان) بمعنى حارس او محافظ .

وقد لاحظت في مخطوطة (الثقلاء) اموراً تدل على قدم المخطوطة واتصالها بالأولين من علمائنا .

من ذلك، ان جملة (صلى الله عليه وسلم) التي تذكر عقب اسم سيدنا الرسول لا تكتب في المخطوطة الا مرموزاً اليها بحروف اربعة : الصاد (من صلى) واللام (من الله) والياء (من عليه) والواو (من وسلم) هكذا (صليو) لابتكئة صلعم كما نفعل نحن اليوم .

وقد رأيت في (رسائل اخوان الصفا) رمزاً للتصليية بحروف ثلاثة فقط وهي (صلعم) متصلة من دون ميم . اما (صلعم) فيظهر أنها اخترعت في حدود التسعمائة للهجرة : جاء في شرح الفية العراقي في مصطلح الحديث عند قول الناظم : (واجتنب الرمز لها والحذف) أي اجتنب الرمز للتصليية النبوية وحذف حرف من حروفها وانما اُثبت بها في النطق والكتابة كلها . ثم ذكر شارحها الشيخ زكريا الانصاري أن الشيخ (النووي) نقل اجماع من يعتمد بهم على سنية الصلاة على النبي نطقاً وكتابة اذن لا يكون من السنة أن يرمز اليها بحرف ما .

ثم ذكر الشيخ الانصاري أن الكاتب الذي كان أول من رمز للتصليية بحروف (صلعم) قطعت يده والعياذ بالله تعالى . ولا يخفى أن الشيخ زكريا الانصاري توفي في القرن العاشر للهجرة (٩٢٦) هـ .

(١) شرعوا في طبعه بمصر وقد طبع منه الى اليوم ست مجلدات .

رجع من وصف (كتاب الثقلاء) الى وصف (الثقلاء) أنفسهم فنقول :
 (الثقالة) لغة من صفات الاجسام ثم أجدوا لها اصطلاحاً وجعلوها من صفات الارواح .
 والروح في أصل خلقتها . ومحض جوهرها ألطف شيء في الوجود ولذا يسميها بعضهم
 (اللطيفة الربانية) . لكن قد يعتري هذه اللطيفة حالة مرضية تجعلها غير لطيفة ولا
 مرضية بحيث يصبح الانسان الذي يجالسها أو يكلمها أو يشاهدها — كأنما حملت نفسه من
 ثقالتها جبلاً راسخ الأساس . أو كأن أحد الناس ضغط على أكظامه فأخذ منه الأنفاس .
 فالثقالة المحقونة هذه تكون في روح الثقيل لافي جسمه . بل كثيراً ما يكون جسمه
 شخصاً خفيفاً قليل الجرم . ومع هذا تشعر النفس بثقله . وعلى العكس يكون الرجل أحياناً
 بادناً خفيفاً لكن تكون روحه خفيفة الحمل . لطيفة الظل .

وقد لاحظ علماء الأخلاق أن خفاف الروح يكونون في الغالب سماتاً ضخام الاجسام
 فما علاقة خفة الروح والدعابة بغضامة الابدان ؟ سر ذلك ما زال مجهولاً .
 أما الثقالة ولماذا تكون في ارواح بعض الاشخاص دون بعض — فقد ذهبوا في
 تعليل ذلك (يسكولوجياً) كل مذهب :

فقال بعضهم : إن الثقالة عدوى واكتساب : فالثقيل يعدي الثقيل . كما أن
 الأجرع يعدي الأجرع . ولو صح هذا لوجب على الحكومة أن تلقي حجراً صحيحاً على
 الثقلاء . وهذا غير مستطاع .

وقال آخر : إن الثقالة ناشئة عن تأثير البيئة والوسط وليس هذا بصواب ايضاً لأن
 الثقلاء واضدادهم اللطفاء يعيشون في بلدة واحدة وبيئة واحدة . وهواء وماء وطعام
 واحد ومدرسة وحكومة وعائلة واحدة . ومع هذا يكون أحدهم ثقيلاً . والآخر
 خفيفاً ظريفاً .

وقال آخرون : إن الثقالة وراثية فهي موروثة من آبيه أو أحد أجداده كما
 تورث اللطافة وخفة الروح . وإني اعرف في طرابلس الشام (بل وفي دمشق كما أخبرني ابناً)
 — أخوة خمسة كلهم بلغوا سن الشيخوخة وهم من أطرف الناس واخفهم روحاً . واحبهم
 للنكتة . ويخبرنا المعمرين من أهل طرابلس أن امهم كانت عجوزاً خفيفة الروح حلوة الكلام
 كثيرة المزاح والدعابة .

وربما كان هذا القول (أي أن الثقالة وراثية كاللطافة) — قولاً صحيحاً . ولكن الأصح منه في اعتقادي أن الثقالة استعداد خاص . ومزاج خاص . في بعض الأشخاص فيكون هذا الإنسان مستعداً لقبول هذا المرض الخلقي الخبيث . بينما ذاك الآخر مزاجه غير قابل له بالخلقة والاستعداد . وهذا كمرض السرطان الذي لم يهتد الأطباء إلى سببه وجُل ما يمكنهم أن يقولوه : إنه ناشئ عن مزاج خاص في الإنسان لأعلاقة له بالأرض . هذه بيسكولوجية (الثقالة) أما بيسكولوجية (الاستئصال) أي شعور الإنسان بثقالة غيره ومناشئ هذا الشعور وأسبابه فأمره غامض جداً وذلك لتشعب هذه الأسباب واختلاف تلك المناشئ ونضرب لكم مثلاً قاله ^(١) أحد (البيسكولوجيين) .

نرى أحياناً رجلاً فنستقله ولا ندري السبب في كراهته له . فننا من يستقل الرجل السمين . ومنا من يستقل الأشقر أو رجلاً آخر له أنف أفقى كمنقار النسر أو نحو ذلك وقد يعطى بعض هذا النفور في بعض الناس بمصادفة حدثت له في الصغر ثم انطبع أثرها في نفسه ولازمه حتى الكبر . مثال ذلك أن طفلاً كان يلعب لفجأة رجل سمين وخوفه : إما مزاجاً أو لغرض آخر . فانطبع الخوف في ذهن الطفل من كل رجل سمين وشب على كراهة السمان وهكذا يقال في كثير من حالات الاستئصال اه .

وتحمل الثقلاء والصبر على ثقلاتهم سنة من سنن الدين ومما ينبغي أن يسمعه صدر الحليم . ولكن إلى حد محدود .

أما إذا تجاوزت الثقالة حدها . وزاد بردها . وطفأ مدّها . فحينئذ لا الوحي إلا آهي بأمر بالصبر عليها . ولا الأنبياء عليهم السلام بملومين إذا انفضوا من حوالها . وشاهد ذلك ما جاء في القرآن والسنة وآداب السلف .

قال تعالى خطاباً لمحمد صلى الله عليه وسلم : (ولو كنت فظاً غليظ القلب لانفضوا من حولك) . والفظاظة هي الثقالة بعينها : فإله تعالى يقول لو كنت يا محمد فظاً ثقیل الروح لكركهك العرب ولتفرقوا من حولك لكنك لست بفظ ولا ثقیل فلم ينفضوا بل التفتوا حولك . وسمعوا قولك . وآمنوا بك . وهذا من فضل الله على الناس : إذ خلق لمحمد صلى

(١) رأينا هذا في مقال نشره بعض الفضلاء حديثاً .

الله عليه وسلم غير فظّة ولا ثقیل الروح حتى آمنوا به . ولو خلقه ثقیلاً لما آمنوا بالطبع
ولكانت لهم الحجة على الله في إرساله رسولاً ثقیلاً .
فانظروا أيها السادة ما أبشع الثقالة وأساء أثرها في الأم وكيف ان غلاظة نبي
من الأنبياء تصلح عذراً لأئمة في أن يكفروا بدينه .

وقد افتتح (ابن المزيان) كتابه (الثقلاء) بقوله : عن أنس بن مالك رضي الله عنه
قال : (لما أهديت زينب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم صنع طعاماً ودعا القوم . فجاءوا
فدخلوا فجعلوا يتحدثون وجعل رسول الله يخرج ثم يرجع . وهم قعود فنزلت (فإذا طعمتم
فانتشروا الآية) وقد طأى الحسن البصري رضي الله عنه على هذه الآية فقال : انظروا
كيف أن الله تعالى ذمّ الثقل في القرآن . فقال : (فإذا طعمتم فانتشروا) .
ويظهر من مجموع الآثار الواردة عن السلف أن استئصال الثقل أدب من آدابهم إذ
في ذلك تربية للثقل وتنبيه له الى إصلاح نفسه . وتدارك شر ثقافته . وقد جوس
كثيرون من السلف الصالح على هذا الادب حتى كان ابو هريرة رضي الله عنه إذا ثقل
عليه أحد قال : اللهم اغفر له . وأرحنا منه .

فأبو هريرة يرى أن ثقالة الثقل ذنب . ولذا دعا لصاحبها بالمغفرة أولاً . ثم الراحة
من ثقافته ثانياً . وقال بعض الفضلاء الثقل اذا عرف نفسه أنه ثقل لا يكون ثقيلاً .
وهذا ما عناه عمر بن الخطاب رضي الله عنه بقوله : (من خاف أن يكون ثقيلاً فهو
خفيف . وأما من أمن الثقل فهو ثقل) وقوله (أمن الثقل) معناه أن يبرر نفسه ويشهد
لها بأنها ليست ثقيلة . وهذه الطأينة لنفسه تجعله يغفل عن رذعها فتسرح وتمرح في ميادين
الثقالة . وهو لاه عنها . غير شاعر بثقلها . وهذه هي المصيبة العظمى . فسيذنا عمر
رضي الله عنه نبه الناس وحذّهم من هذه الخطة الملعونة . وأوصاهم بان يسبوا الطن
بأنفسهم لئلا يتورطوا في الثقالة من حيث لا يشعرون .

وكما أن الثقل اذا اعترف بثقله لا يكون ثقيلاً كذلك اللطيف الخفيف الروح اذا
تباهى بلطافته والتغرّج بصفته لا يكون لطيفاً ولا خفيفاً . وزد على ذلك أنهم صرحوا بأن
اللطيف الخفيف الروح اذا استأنس بالثقل واستلطفه كان ثقيلاً مثله : قال المؤلف (ابن

المرزبان) نقلاً عن بعض الفضلاء: (إن الاستئناس بالثقل آية على الثقاله: اذ كل طير إنما يطير مع شكله).

ومن علامات الثقاله الإلحاح في طلب الحاجات من الإخوان معها اعتذروا له بعدم إمكان إجابة سؤله. وقد يما مأوصى الحكماء بترك الإلحاح حتى قال حكيم العرب أكرم ابن صيني (من ألحف في مسألة فقد أيرم وأنقل).

ومن علامات الثقاله أيضاً أن يتبوأ الزائر من المجالس مكاناً ليس من العادة الجلوس فيه كوسط الحلقة مثلاً. وقد روي أن رجلاً قصد وسط حلقة سيدنا حذيفة بن اليمان رضي الله عنه. ولم يكفه هذا حتى التفت الي حذيفة وقال له: ان فلاناً صديقك مات. فاشتغل حذيفة. وقال له وانت أحق على الله أن يبتك: سمعت رسول الله صلى عليه وسلم يلعن الجالس وسط الحلقة.

وما كان السلف يتودعون من ذكر الثقل بما فيه: فكان حماد ابن زيد اذا رأى (عفان) قال ما أنقلك!!

وقال ابو نعيم سمعت سفيان الثوري يقول لرائدة بن قدامة لو كنت من البغال لكنت من بغال النقل. اي لأن بغال النقل تكون كبيرة فضمة غير مروضة ولا مهذبة بينما بغال الركوب تكون مرهفة الأعضاء لطيفة الجرم وتكون مع هذا مروضة مطبوعة على حسن السير.

وعن محمد بن عبد الرحمن قال: قال ابن طاووس (لكلام الثقل أشد على من الشيطان) وروي محمد أن اباعاصم كان يقول (اذا ابغضت الرجل لثقله ابغضت شي الذي يليه) اي يبغض جسمه الواقع من جهة ذلك الرجل.

بل غلا ابن السماك في ذلك حتى قال: كم من رجل خفيف الروح اذا نزل به بلاء تمنينا لو نحمل عنه بلاء. بينما آخر من الثقل نحب ان يموت ونرتاح منه وأنشد:

(وثقل أشد من نقل الموت ومن شدة العذاب الاليم)

(لو عصت ربها للجحيم لما كانت سواء عقوبة للجحيم)

وروى نصر الصائغ قال كنت عند (أسود بن سالم) فجاءه رجل من احد جانبيه فلم عليه فلم يرد ابن سالم السلام عليه. وغمض عينيه. فدار الرجل وجاءه من الجانب

الآخر فسلم . فلم يرد عليه . فقال له : يا با محمد لم لاترد السلام ؟ فالتفت أبو محمد الى من حوله . وقال لم : انظروا الى رجل غمضت عيني لثلا أراه ومع هذا فهو يريد مني أن أرد عليه السلام . الى هذا الحد كانوا يتبرمون من الثقلاء حتى استجازوا عدم رد السلام عليهم مع أن رد السلام فرض . وكان ابن سالم لما رأى الثقيل قد سلم دون أن يحافظ على آداب التسليم رأى هو أن يقابله على عمله فلا يرد عليه السلام .

وكان السلف يتفتنون سيفه هجو الثقيل ووصفه بأساليب كلامية : فيها حسن صنعة . وفيها شفاء غيظ : قال المؤلف : حدثنا محمد بن قدامة عن أبي أسامة قال سمعت هشام ابن عروة يقول لرجل (لآنت أثقل من الزواقي) فلم يفهم ابن قدامة معنى كلمة (الزواقي) قال : فذهبت الى (الفراء) إمام الفحاة فسألته ما الزواقي ؟ فلم يعرفها . فقال بعض جلسائه : إن العرب كانت تسمر بالليل سمرأ يلذ لها وبطيبي . فاذا سمعت زقاء الزواقي (اي صياح الدبوك) شق عليها عجي الصبح المؤذن بتفرقهم . قال ابن قدامة فأعجب الفراء بذلك . فالزواقي إذن هي الدبوك التي تزقو أي تصيح وقت الفجر وتفرق أرباب السمر وتشتت شملهم فهم يستثقلونها اذا سمعوا صوتها .

بل الأعجب من ذلك ما رواه محمد بن سعد قال : كان في المدينة المنورة رجل له ولدان لم يكن بالمدينة أثقل منها وكان أبوهما صالحاً طيب النفس . فذكروا يوماً الثقالة في مجلسه فقال : (على رسلكم : امرأته طالق إن كانت الزوراء عند احد ابني الاجاروشة) : و (الزوراء) قصر عظيم جداً بناء عثمان رضي الله عنه في المدينة . فالأب يحلف أن ذلك القصر على ضفافه ماهو الاجاروشة (أي حجر طحن) بالنسبة الى ثقالة ولديه حقاً إن ظرافة هذا الأب تخفف من ثقالة ولديه . وتعملنا نترحم عليهما وعليه .

وحاصل القول أن السلف رضي الله عنهم كانوا اذا اشتدت عليهم ثقالة الثقلاء فرجوا كربهم . وفشوا وطهيم . بما يصوغونه من الأساليب البليغة . والنكت المستلحة . ولكن بعضهم كانت تفاجئته ثقالة الثقيل قبل أن يستمد لها فيدهش ويفهم : فقد روى حماد بن زيد قال : حدثني شيخ من اعراب البادية قال : كان عمي رحمه الله إذا رأى ثقيلاً غشي عليه . وهذا الإغماء الذي كان يصيب ذلك الأعرابي عند رؤية الثقلاء يدل على رقة شعور وحساسية نفس أكثر من اللازم . أما ابن عائشة المغني المشهور فقد كان اذا رأى ثقيلاً

اكتفى بقوله : صفحة ميزان . وهي عبارة من الخاس الأصغر كالرطل ونحوه . والأفصح في كلمة (صفحة) ان تلفظ (سجة) بالسين لا الصاد . وهي معرب (سنكة) بالفارسية .
وابو أسامة كان إذا رأى نقيلاً مقبلاً لا يغمى عليه بل يكفي بقوله نغمت السماء .

وروى المؤلف عن والده أنه قال : كان بعض مشايخنا إذا رأى ثقبلاً صاح : (الحجر الحجر) ومراده بالحجر الحجر ان الثقبيل في ثقافته يشبه الحجر ويحتمل أن يكون أراد إيتوني بحجر لا رشقه به وطرده عن مجلسي .
أما (وكيع) رضي الله عنه فأمره غريب : ذلك انه اذا جلس اليه احد الثقلاء غمض عينيه وقام كيلاً يراه .

ووكيع هذا هو شيخ الامام الشافعي رضي الله عنه . وقد عناه الامام بقوله :

(شكوت الى وكيع سوء حفظي فأرشدني الى ترك المعاصي)

(واخبرني بأن العلم نور ونور الله لا يهدي لصافي)

وهكذا كانوا يتفنون في اساليب الكلام ليدلوا على فقرتهم من الثقبيل . وبعضهم كان لا يرى شفاء غيظه منه إلا بأن يعرفه صراحة بأنه ثقبيل . فقد روى معمر رضي الله عنه قال كنت جالساً في مجلس بصنعاء اليمن مع السماك بن الفضل . فدخل عليه فقي يستثقله فقال لي يا معمر تعال حتى نعد ثقبلاء صنعاء . فجعل يمدم واحداً واحداً ثم عدني أنا منهم ثم عدّ الفقي بمدني . فسكت الفقي ولم يمكنه الا خنجاك .

وروى مجاهد ان الشعبي كان يقول (من فاتته ركعتا الفجر فليمن الثقلاء) . وقد يقال إن إبليس هو الذي شغله عن الصلاة فما ذنب الثقبيل ؟ ولكن الشيخ الشعبي هكذا رآه في المسألة . وروي أيضاً عنه أنه كان قاعداً في مجلس فأقبل رجل فلما رآه الشعبي قام منصرفاً وقال ثقبيل والله .

والصحابي الجليل (حذيفة بن اليمان) رضي الله عنه كان يذهب في استثقال الثقلاء الى أبعد من هذا كله : كان يقول (إن الثقبيل ليدعوني أحياناً الى طعام فأقول له إني صائم . ولا اكون صائماً) يعني انه كان يترك إجابة الدعوة السنونة في الإسلام كي لا يجالس الثقبيل على طعام .

وعن ابن شبرمة قال سمعت الشعبي يقول : من الناس من يخفُّ ومنهم من يثقل حتى كأنه رحي ركبت فوق ظهري .

والامام الشعبي هذا من كبار علماء السلف وقد تكررت الروايات عنه في استثقال الثقلاء . ومثله في ذلك (شعبة) و (شريك) و (الأعمش) فإنهم أيضاً من علماء السلف ورواة أحاديث النبي صلى الله عليه وسلم .

وقد روى (ابن المزيان) في كتابه (الثقلاء) الذي نحن بصدد اخباره كثيرة مروية عن هؤلاء الأئمة الأربعة : الشعبي وشعبة وشريك والأعمش : اربعتهم من علماء السلف . وأول اسمائهم شين . الا الأعمش فشينه في آخره . وهم متناولون في حب النكسة والميل الى الدعاة البريئة . كما أنهم رضي الله عنهم اتفقوا على استثقال الثقلاء . والتفنن في إظهار النفرة منهم .

وفي كتاب الثقلاء الكثير الطيب من أخبارهم وأقوالهم . وقد سمعتم أنفاً ما قاله (الشعبي) من أن من فاتته ركعتا الفجر فليعلن الثقلاء أما (شعبة) فقد روى مزاحم عنه قال : سألت شعبة عن رأيه في أبي بكر الهذلي فقال (دعني لا أق) أي إن مجرد ذكر الهذلي يكاد يضطره الى القي . فكيف به لو رآه أو جالسه أو سمع كلامه ؟

وأما (شريك) ويسمى (النخعي) أيضاً : فقد روى عبد الرحمن الخوارزمي عنه قال : لقيت شريكاً فقلت حدثني بحديث كذا وكذا . فحدثني . فقلت : حديثاً آخر . فحدثني . فقلت وأخر . فقال لي باللغة الفارسية (أنت ثقيل) . ولو كنت ثقيلاً بالبيان خلف الأمر وهان ولكذك ثقيل على القلب ايضاً) .

والحق أن الخوارزمي لو لم يكن ثقيلاً لما استوقفه في الطريق وكلفه أن يحدّثه المرة بعد المرة . واذا كانت الاحاديث التي كلفه اياها من أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم (وهي كذلك في الغالب) كانت ثقلته أشد وأنكى . اذ كيف يليق أن تأخذ قارعة الطريق حيث العامة والغواص — مدرسة لحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم .

قلنا إن (شريكاً) هو الذي يلقب بالنخعي . فهو عربي قح منسوب الى قبيلة النخع إحدى قبائل مذحج العربية اليمنية القحطانية . ولا نعلم كيف تعلم اللغة الفارسية . وكان

رضي الله عنه يقصد من جميع الأقطار لتلقي حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم . وقد تولى قضاء الكوفة في زمن الخليفة المهدي ثم ابنه هرون الرشيد . ومات سنة ١٧٧ للهجرة . فلنفرض أنه حذى الفارسية بسبب من الأسباب ولكن ما هو السبب الذي جعله يشتم الثقلاء باللغة الفارسية لا العربية ؟

هل ان شدة تعصبه للغة العربية الشريفة حملته على ان يكرهها ولا يلوئها بسبب الثقلاء . ومن سببه للثقلاء بالفارسية ايضاً ما رواه ابن المزيان قال : حدثنا احمد بن زهير قال حدثنا يحيى بن أيوب قال حدثنا بعضهم أن رجلاً كان يتكلم في مجلس شريك فأكثر من الثثرة وهراء القول فقال له شريك بالفارسية (گران گران سخت) ومعنى ذلك بالفارسية (ثقيل ثقيل جداً) .

ذكرنا أنّها السادة أن هؤلاء الأئمة الاربعة (شريك وشعبة والشعبي والاعمش) كانوا أهل ظرف ونكتة وأشهرهم في هذا المعنى الأعمش . فقد روى المباس بن يزيد قال : أهدى رجل إلى الأعمش بطيخة . فلما أخذ الأعمش مجلسه في الصباح حضر الرجل فقال له : (يا أبا محمد كيف كانت البطيخة) قال : طيبة ثم عاد الرجل ثاني يوم وسأله عن البطيخة فقال طيبة ثم ثالث يوم كذلك . فصرخ الأعمش ان كففت عني وإلا تقيأتها .

فالتذكير بالاحسان من آيات الثقالة ايضاً اذ هو كالمن المنهي عنه شرعاً . وجاء حجاج ابن أرطاة الى الأعمش فاستأذن عليه فقال : قولوا له ابن أرطاة على الباب . فقال الأعمش . (أبكي ؟ على بكى ؟) ولم يأذن له . واصل العبارة في كتاب الثقلاء هكذا (أبكي عليه أبكي عليه) ولا معنى لها ولعل الصواب ما قلته وأن يكون أصلها (أبكي ؟ على بكى ؟) و (بكى) فعل من البكى بالهمزة وهو قلة لبن الناقة . هذا أصل معناه في اللغة ثم نقله البلغاء الى معنى قلة الكلام عيافاً وفهاةً فالأعمش بسبب مرضه أصبح بكياً اسبى ثقیل اللسان عسر النطق . وذاك الزائر (اي الحجاج بن أرطاة) غير فصيح ولا يحسن الكلام فهو قدّم عي . وأسبى مصاب أن يجتمع عيان : لا يتفاهمان . ولا يخلصان في حديثهما الى بيان .

وعن اسماعيل بن ابي خالد عن الشعبي أنه قال : (عيادة حمى القرءاء أشد على أهل المريض من مرض مريضهم) وذلك أنهم يعودونه في غير وقت عيادة ويطيلون الجلوس .

وكانوا يريدون بالقراء ما يزيد اليوم بكلمة (فقهاء) أو (طلبة) وفي مصر (مجاورون) وفي بلاد الترك (صُفته) وعكوف هؤلاء السُّفط على دراسة علوم الدين يجعلهم كغيرهم من المتخصصين في فنهم : منزولين عن الناس ذوي عقلية خاصة غير ملين بطبيعة البيئة التي يعيشون فيها ولا بعبادات أهلها ولا يعرفون شيئاً مما يدور في مجالس أناسهم وإذا تكلموا فلم يأتوا بتكلم في مسائل فنونهم التي تخصصوا فيها . ولا كل أحد يفهمها أو يهتم بها . فإذا كانوا في مجلس لم يعرفوا كيف يجارون أهلهم في حديثهم . ولا يشاركونهم في مطارحاتهم . ولا يتفطنون إلى نكاتهم . ومن أجل ذلك يستغلهم الناس ولا يحبون مجالستهم .

على أن الشعبي نسب ثقالة طول الجلوس عند المريض إلى حمى القراء مع أنها دأب كل نقيل لا حمى القراء وحدهم . ألم يبلغكم خبر الأعمش مع عواده ؟
مرض الأعمش مرة وعاده جماعة من الثقلاء . فأطالوا الجلوس عنده حتى ملّ وسئم ثم ما كان منه إلا أن قام وتناول وسادته وخرج من الباب قائلاً : شفى الله مريضكم .

وعن علي بن يحيى أن المأمون قال يوماً لجلسائه : لم صار الثقيل أثقل على القلب من الحمل الثقيل على الجسم ؟ فلم يجب منهم أحد وقالوا : أمير المؤمنين أعلم . فقال : لأن الحمل الثقيل يحمله كل من الروح والبدن . أما الشخص الثقيل فتتفرد بحمله الروح ولا يعاونها الجسم . فتزح المسكينة تحت عبء الثقالة من دون معين إلا الله . ولا عجب أن يصدر هذا التعليل من المأمون فهو حكيم خلفاء العرب وارقهم شعوراً وأكثرهم ظرفاً . وقد اتفق له أن تورط يوماً مع مغنٍ ثقيل فقال لجلسائه ما تعرفون في الثقيل ؟ فقال بعضهم : يقول الحكماء يا أمير المؤمنين : إن مجالسة الثقيل حمى الربيع . فقال لهم المأمون : فكيف إذا كان مغنياً .

قال المؤلف : وروينا عن أبي الحسن قال : أتى شريك بن عبد الله رجل من أصحاب الحديث أي من طلابه الذين يقصدون المحدثين للتلقي عنهم . وكان هذا الطالب يسمى (أبا سويد) فجاء يسأل شريكاً عن أطرافه كانت معه . وبغني طلاء الحديث بالأطراف عباراته من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم اقتصر عليها الراوي ولم يرو بقيةها فالرجل جاء يسأل شريكاً عن أطرافه من أحاديث لا عن أحاديث تامة كاملة . وكان ذلك في يوم شديد الحر فأكثر على شريك من الكلام والثرثرة ونقل عليه جداً . وشريك

صابر وفي آخر الأمر صاح شريك : (يا جارية تعالي) فأقبلت . فقال لها : (أسبلي الستر وأخرجي الذهب وأبأ سويد أيضاً) .

وطلاب الحديث عادةً يكونون شديدي الحرص في طلبه . وتحقيق الفاظه . وضبط أسماء روايته . فإذا غفلوا بمحدث أبرموه بالسؤال وأتعبوه بالألحاح . ولذلك كثير تغيير المحدثين منهم كما سمعت من خبر شريك مع (أبي سويد) .

وكما روي أيضاً أن يحيى بن سعيد قال مرة لأحد هؤلاء الطلاب لأن تضر بني بالسوط أحب اليّ من أن تسألني عن حديث . وقال عبيد الله بن عمر : جئت يحيى بن سعيد يوماً فأذن لي وقال من رأيت بالباب قلت فلاناً . فصكّ رأسه يديه وقال . جبل جبل . ثم خرجت فرأيت الرجل مازال على الباب ولم أدر إن كان أذن له بالدخول أو لا .

والحدث أبو أسامة اشترط في المستلي عنه أن لا يكون ثقيلاً : فقد قال سلمة بن شبيب سمعت أبا أسامة يقول إبتوني بمستل خفيف على اللسان خفيف على الفؤاد : إياي والثقلاء . إياي والثقلاء .

وقوله (إياي والثقلاء) أسلوب فصيح من أساليب كلام العرب . ومعناه باعدوا بيني وبينهم واحذروا أن تجعلوهم يقتربون مني . ومثله الحديث الشريف (إذا بلغ المرء الستين فإياه وإيا الشواب) يعني إذا صار عمره ستين سنة فليحذر أن يتزوج من النساء الشابات وإنما له الزوج بمن كانت عموماً مثله .

وهنا ملاحظة وهي أن أبا أسامة اشترط في تليذه أن يكون خفيفاً على اللسان فهو إذن يتشائم بالثقلاء حتى باسمائهم التي أصبحت ثقيلة بدلالتها عليهم .

وروي أبو الحسن المدائني قال : جاء رجل إلى الأعمش فقال له (يا أبا محمد أكثرت حماراً بنصف درهم وأتيتك أسألك عن حديث كذا وكذا) فأجابه الأعمش (أكثر بالنصف الآخر حماراً وأرجع حالاً) .

على أي أقول ما كان ينبغي للمحدثين أن يستثقلوا طلاب الحديث فأن تفصيله لذة تضملمهم على كل هذا الإلحاح والإحراج : وقد قلت في ذلك :

(كل^(١) العلوم ستمتها تجددها بالـ ريث)
 (الا الحديث فانه مثل اسمه ابدأ حديث)
 وأخشى اذا تبرم المعلنون من طلابهم أن يقابلهم طلابهم بالمثل فيستثقلون وينشدون :
 (لا تمنع العلم طالبه فسواك أيضاً عنده خبر)
 (كم من رياض لا أنيس بها هجرت لأن طريقها وعمر)
 قال المؤلف : وأشد أبو سعيد الاهوازي^٢ يصف ثقيلاً بشعر على نسق عجيب فقال :
 (لشؤم بخت . وقضم^(٣) قت . والف سبت . وأربعاء)
 (ونقل صخر . وغيم شهر وطول هجر . على جفاء)
 (وكسر ضلع . وتنف صدغ بهاء صمغ . ومومياء^(٤))
 (أهون من أن تراك عيني تمشي اختيالاً على الثراء)

والايات ظاهرة المعنى سوى قوله : ان الف سبت والف اربعاء هي اخف^٥ على القلب
 من رؤية ذلك الثقل . فلعل المعنى أنهم قديماً كانوا يتمطلون عن العمل يومين في الاسبوع
 (الثلاثاء) و (الجمعة) فيكونون فيها في مسرة وهناء . فاذا جاء يوم الاربعاء بعد الثلاثاء
 استثقلوه أما يوم السبت بعد راحة الجمعة فاسألوا صبيان الكتاب يخبروكم عن مقدار ثقافته .
 قال ودخل رجل على (ابن مصقلة) يعوده فكان من حديثه أن قال له : يا ابا عبد
 الله مات فلان . ثم سكث . ثم عاد . فقال مات فلان . وسكت . ثم ثالثة . فلما اراد
 ان يخرج قال يا ابا عبد الله ألك حاجة . قال نعم : لاتعودني مادمت مريضاً .
 وذكر الزبيدي في شرحه على القاموس ان ابن مصقلة هذا يسمى رقبة وكان من
 المحدثين روى عن انس بن مالك و روى له الترمذي في صحيحه .

(١) البيتان لابن الرومي واصلهما هكذا :

(ولقد ستمت مآربي فكانت طيبتها خبيث)

(الا الحديث فانه مثل اسمه ابدأ حديث)

قوله الا الحديث أراد به حديث الندماء .

(٢) الفت الفصفصة اليابسة وهو التي تسمى في مصر برسما .

(٣) كأنه اراد بالمومياء الشمع .

وعن حماد الراوية قال : اخبرني رجل عن نفسه أنه قال للفرزدق يا ابا فراس انشدني من شعرك قصيدة كذا وكذا . فأجابه الفرزدق (يا هذا إن قدرت ان لا تكون ثقيلاً فافعل) وقد أصاب الفرزدق : لأن هذا الثقل وهو من عامة الناس يكلفه ان ينشده شعره . وهو انشاده تنافس به الخلفاء . فيبقى للفرزدق ان يستثقل ذلك الرجل منذ استنشده على هذه الصورة .

وكما ابتلي الفرزدق بهذا الثقل ابتلي زميله (الاخطل) بثقل آخر تورط معه في غوطة دمشق .

ذلك ان الأخطل الشاعر الاموي المشهور كان يسمع بمعبد المغني الكبير ولا يعرفه فاتفق وجودهما في دمشق على باب الخليفة الاموي . فتعارفا وتآلفا وخرجا الى الغوطة ومعهما شراب وفاكهة وريحان وجلسا في احد البساتين على نهر جار . وتفريد أطيار وتناشد اشعار . واذا برجل قيل له : ان هذين هما فلان وفلان . فأحب الرجل مجالستهما وكان يسمع بشهرتهما فانسأل اليهما . ونزل نزول العمى طليهما فصبرا صبر الكرام . وبعد سكوت عميق التفت الثقل الى الأخطل وقال له : يا أخطل (أنظر القذى في كأسك) فحينئذ انفرج الكرب عن صدر الأخطل وشفى قلبه من الثقل بهذين البيتين :

(وليس القذى بالعود يسقط في الإناء ولا بذباب وقصه أيسر الأمر)

(ولكن ثقل لا نود اقترابه رمتناه الأقدار من حيث لا ندرى)

وروى الاصمعي عن ابن ابي طرفة (أن مجالسة الثقل مسمى باطنة) لكن (جبريل الطبيب) الدمشقي كان يقول : اننا معشر الاطباء نجد في كتبنا أن مجالسة الثقل حمى الروح . وقيل للشعبي هل تمرض الروح قال : نعم من ظل الثقل . قال فررت به يوماً فوجدته قاعداً بين ثقلين . فقلت له كيف الروح الآن ؟ قال في النزح .

ولعل العنصر العربي بطبيعته وأصل غريزته يكره الثقالة وينفر منها . واذا رأيت عربياً ثقيلاً أو يألف الثقل . وبحثت عن نسبه وجدت فيه عرقاً عجمياً .

هذا معن بن زائدة (أمير العرب المشهور) كان اذا تذاكروا بين يديه في ملذات الدنيا يقول : (ان الوقيعة في الثقل من الملذات) ومعنى الوقيعة فيهم غيبتهم وذكرهم بسوء . دعونا من (معن أمير العرب) ودونكم ما روي عن (علي أمير المؤمنين) فقد روي

(يمان بن ربيعة) أن رجلاً قال لسيدنا علي (تبتك الله يا أمير المؤمنين) فقال (على صدرك) يعني تبتني الله في القعود على صدرك فأفتلك أو أنقل عليك كما ثقلت علي بهذا الدعاء . ولعل في جو هذه الحادثة ما يجهد العذر للإمام علي كرم الله وجهه في أن يظهر كل هذا الضيق من ذلك الرجل الذي دعا له .

وروى الامام ابن المزيان في (كتاب الثقلاء) خبراً عن علي رضي الله عنه له علاقة بالذمالة وهو أغرب من الخبر السابق :

تعلمون أيها السادة أن الاشتر الضعي من أكبر قواد سيدنا علي وأشد شيعته حباً له . ومغامرة في سبيله . وهو الذي شرب العسل في طريقه الى مصر فمات . فبلغ معاوية الخليفة فقال (ان الله جنوداً منها العسل) .

فقد روى المؤلف ابن المزيان قال : حدثنا ابو العباس عبد الله بن نصر حدثنا الحسين ابن علي حدثني محمد بن ابي الحرث حدثنا سفيان بن عيينة عن محمد بن علي عن الشعبي قال : أخبرني عبد الله (وله يعني ابن عباس) أن علي بن ابي طالب عليه السلام كان يستنقل الاشتر اهـ . هذا هو الخبر بسنده ومتمه . وهو محل غرابة لا يكشف مرها الا المؤرخون المدققون في أخلاق السلف .

وأبشع انواع الثقالات (الثقالة المسجلة) تلك التي يكتبها الثقيل بقلمه في مكاتباته : فقد ولد لبعض فضلاء بغداد (واسمه ابراهيم . على اسم سيدنا ابراهيم الخليل) - ولد سماه محمداً (باسم النبي صلى الله عليه وسلم) فأرسل اليه ثقيلاً من اهل البصرة يهينه به فقال (بلغني انك سميت ابنك محمداً . وانت الى أعمال الانبياء . اخرج منك الى اسمائهم . وقبل هذا كان سماك ابوك ابراهيم . فما منعك هذه التسمية من سفك الدم الحرام . وشرب اكواب المدام . واكتساب المال من الآثام . وما أدري كيف ادعو لابنك : إن دعوت له ان يشبهك فالعار والنار . وان دعوت ان لا يشبهك فالظنة والتهمة والشناراه) يعني اذا كان الولد لا يشبه اياه كانت امه موضع تهمة والعياذ بالله تعالى .

واستنقال بعض افراد العائلة لبعضهم من اشد منفصات العائلة : كذلك الاعرابية المسكينة التي أعيتها ثقالة بعلها فهربت من بيتها وقال فيها شاعر القبيلة :

(وتاركة للبيت من ثقل بعلها كأن بعينها فذى منه تهمل)

(تود على حسن التبعيل انها رأيت بعلمها بين العمودين يحمل)

ومعنى قولها (حسن التبعيل) انها وان كانت تربت على طاعة بعلمها وحسن معاشرته كما امرها الله والرسول لكن ثقافته جعلتها تهرب منه وتتمنى ان يموت ويحمل بين عمودي النعش .

ومن هذا القيل ماروي عن الاعمش انه استئقل جلساءه يوماً فهرب منهم الى داخل الدار . ثم لم يلبث أن عاد اليهم فقالوا له مالك عدت ؟ فقال هربت منكم فاذا في البيت من هو انقل . قالوا من ؟ قال : زوج بنفي .

والاعمش على جلالة قدره وحبه للنكته يوجد في الامة العربية من هو اكبر مقاماً . وأحب للنكته منه : ذلك هو الامام الثوري رضي الله عنه فقد سأله سائل ثقيل عن المسح على الحية في الوضوء ؟ فقال له : خللها (اي ادخل أصابعك المبللة في خلال شعرها زيادة في التنظيف) فقال له الرجل (اتخوف ان لا يبلغها الماء) . فقال له انقعها من اول الليل . أما (سويد بن عبد العزيز) فانه لا يعجبه هذا من الثوري ولا يرضيه اطالة الحديث مع المحبين في السواك . فهو ينصح ويقول : اذا نزل عليك احد في سواكه فألزمه عينا عميا وأذنأ صما .

فلما ان اعراب البادية تغلب عليهم الرقة ولطف الحس والنفرة من الثقالة والثقلاء ولكن ما بالكم اذا كان اعرابياً وعاشقاً ايضاً كيف تكون رفته ولطافته ؟ فقد روى الاصمعي قال : اراد اعرابي ان يكلم امرأة يجحبها . فنظر فاذا رجل يراقبه فامتنع من كلامها وثقل عليه الرجل فما ملك نفسه أن خاطبه بهذه الجمل التي جمعت بين خشونة السب . ونعومة العتب . فقال له : (مالك رماك الله بداء عضال . يفقدني شخصك . ويسكنك رمسك . فقد ثقلت على عاشق مسكين . لم تشبع عينه من سهادها . كما شبت عيون الناس من رقادها) وكان ابن مصقلة أرق الناس وأرحمهم بالثقلاء فهو لا ينفهرم ولا يسبهم . بل يلطف بهم ويخاطبهم بمبارات غاية في اللين والنعومة فيقول للزائر الثقيل مثلاً (يا هذا داركم بعيدة والسماء متفجرة فقم مصحوباً بالسلامة) .

وقارنوا أيها السادة بين عبارة (ابن مصقلة) المصقولة الناعمة وبين ما خاطب به منصور ابن الحجاج الثقيل فقال (اللهم اقله : وان كان قتله يقتلني فائتله واقتلني) .

يكفي بإساذني إزعاجكم بأخبار الثقلاء . وقد مضى الوقت أو كاد . وأخشى
أن انقل أنا طليكم ايضاً اذا زدت على ما تقدم .
بلى يمكنني أن أزيدكم . لكن زيادة لا تعدونها من التثقيل بل تعدونها من التخفيف
وترويح النفس — زيادة من أحب ما تمتعته نفوسكم . وترتاح اليه قلوبكم .

تلك الزيادة هي حب النبي صلى الله عليه وسلم للزح الحلق اذ كان صلى الله عليه وسلم
يزح ولا يقول الا حقاً حتى إنه كان له من الصحابة (رضي الله عنهم) من يضحكه واشهرهم
في ذلك الصحابي (نعمان) أبن عمرو بن رفاعة الانصاري (من شهد وقعة بدر رضي الله عنه .
فن دعابات (نعمان) أن أعرابياً قصد النبي صلى الله عليه وسلم فدخل المسجد وأناخ
ناقته بفنائه . فقال بمض الصحابة لنعمان لو عقرتها فاكلناها . فاننا في شهوة الى اللحم فخرها
نعمان لم . وخرج الأعرابي من عند النبي صلى الله عليه وسلم فرأى راحلته معقورة فصاح
(واعقراء يا محمد) فخرج النبي صلى الله عليه وسلم فقال من فعل هذا ؟ قالوا نعمان . فلحقه
النبي صلى الله عليه وسلم ومعه الصحابة واذا بنعمان قد أختبأ في دار السيدة (ضباعة بنت
الزبير) فجعلوا يفتشون عليه . فأشار رجل الى النبي صلى الله عليه وسلم ورفع صوته قائلاً
ما رأيت يارسول الله وأشار بأصبعه الى حيث كان . وكان مختبئاً في سرب تحت أغصان من
جريد النخل فأخرجه صلى الله عليه وسلم من مخبأه وقال له :

— ما حملك على ما صنعت ؟

— الذين دلوك على يارسول الله . يعني انهم هم الذين امرؤه بما فعل .
فجعل رسول الله يمسح التراب عن وجه نعمان ويضحك . وغرم ثمن الناقة للأعرابي .
وكان نعمان يدخل السوق فيشتري من ما كولاتها بالدين ويأتي به النبي صلى الله عليه
وسلم قائلاً أهدي هذا اليك . ثم اذا طالبه صاحب الهدية بثمنها جاء به الى النبي صلى الله
عليه وسلم . ويقول له : أدِّ هذا ثمن متاعه . فيقول النبي صلى الله عليه وسلم لنعمان : أو لم
تهده إلي ؟ فيقول : (والله إنه لم يكن عندي ثمنه ولقد أحببت أن تأكله) .
فيضحك النبي صلى الله عليه وسلم ويأمر لصاحبه بثمنه وهكذا كان صلى الله عليه وسلم
يكرمه البؤس والتبؤس . ويجب إحداث المسرة في نفوس اصحابه واهل بيته . ومن قوله
في ذلك (ألهوا والعبوا فاني أكره أن يرى في دينكم غلظة) .

ومن العطف الاحاديث النبوية والمسامرات العائلية القدسية ماروته السيدة عائشة رضي الله عنها وهو ان امرأة من اهل مكة كانت تدخل بيوت قريش وتفحك النساء وقد اشتهرت بذلك : قالت عائشة فلما هاجرونا الى المدينة ووسع الله علينا دخلت تلك المرأة علي فقلت لها (فلانة ! ما أقدمك ؟) قالت (قدمت اليكن) . قلت فأين نزلت ؟ قالت على فلانة وكانت فلانة المذكورة امرأة من اهل المدينة تفحك نساءها ايضاً .

قالت عائشة وبعد قليل دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال :

فلانة المضحكة عندكم ؟ ؟ قلت : (نعم) . قال :

(فعلى من نزلت) ؟

قلت : نزلت على فلانة المضحكة فقال :

« الحمد لله ! إن الأرواح جنود مجندة : ما تعارف منها ائتلف . وما تناكرت اختلف » .



مخطوطات المدرسة العثمانية

« بحلب »

كانت في الشهباء مكاتب متعددة في مدارسها وزواياها الكثيرة ، الا ان ابدى الزمان قضت عليها وشتتت شملها والبقية الباقية منها الآن هي في مكتبة الأحمديّة والعثمانية والشرفية التابعة للأوقاف والمولوية وهذه المكاتب الأربع لا تمنع يد لأمس بالرغم عن وجود محافظين لها . ومنذ ثلاث سنوات وقعت في الأحمديّة سرقة مهمّة بلغت عدد المسروق منها بالإحصاء الرسمي ٩٠ كتاباً منها ما هو في النفاسة في الدرجة الأولى وكانت النتيجة بعد المحاكمة والتحقيقات الكثيرة تبرئة السارق كأن السرقة لم تكن . ولو وقع اقل من ذلك بكثير في مكاتب أوروبا لقامت القيامة لذلك الحادث وتوالى البحث والتحقيق الى ان تظهر تلك اليد الآثمة وتجازى بما تستحقه .

ومنذ سنتين ايضاً ظفرت عند بعض باعة الكتب بكتاب عليه ختم المكتبة العثمانية فابتعته ممن هو عنده بعد استئذان ادارة الأوقاف عندئذ اهتمت الدائرة بعض الاهتمام واحببت على اثر ذلك ان تحرى هذه المكتبة واكتب ما فيها فباشرت ذلك وعمل فهرس لها ولكن حالت عوائق دون اتمام ما شرعت فيه والآن عدت الى ذلك واتممت كتب التفسير والحديث فأحببت ان اتحف القراء بالغبية من هذين القسمين اذ لا يخلو ذلك من فائدة لعشاق الكتب المخطوطة النادرة ومحبي الاطلاع على نفائسها .

« كتب التفسير »

الجزء الأول من تفسير الوسيط للامام الواحدية فيه من تفسير سورة الأنعام الى قوله تعالى (ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه) لاتاريخ كتابته ويظهر انه مما كتب في القرن السابع أو الثامن .

الجزء الثاني منه فيه من سورة يونس الى آخر سورة الكهف لا تاريخ لكتابته ايضاً .
الجزء الثالث منه اوله سورة مريم وفي آخره من سورة الأحزاب الى قوله تعالى (لئن لم ينته المنافقون) لم يذكر ايضاً تاريخ كتابته لكنه اقدم كتابة من الجزئين الأولين يظهر انه مما كتب في القرن السادس .

الجزء الرابع منه اوله سورة الصافات الى آخر القرآن محرر سنة ٥٧٢ بخط ابي العباس احمد بن الحسين بن حيدرة السيرافي الواسطي وهذا الجزء اقدم من سابقه .
نغية البيان في تفسير القرآن لأبي عبد الله العارف بالله الشيخ عمر بن محمد السهروردي البكري وعليه خطه في اوله وفي آخره في ذيل سماع الكتاب عليه نسخة تامة نفيسة جداً محررة سنة ٦١٣ وهذا التفسير والذي قبله لم يطبع بعد .

الجزء الأول من النهر للامام ابي حيان محمد بن يوسف آخره قوله تعالى (يا أيها الناس قد جاءكم رسول من ربكم) من سورة يونس بخط احمد بن محمد بن عثمان الخطيب الطوخي بمدرسة الكهاربة (من مدارس مصر على ما ظن) يظهر انه مما كتب في القرن الثامن .
جزء منه فيه من سورة الأنعام قوله تعالى (واذ قال ابراهيم لاييه آزر) الى آخر سورة مريم لا تاريخ عليه غير انه على ما ظهر لي مما كتب في القرن الثامن . وهو من وقف الملك المؤيد ابي النصر شيخ اوقفه وما قبله وما بعده على الجامع الذي انشاء بباب زويلة (في مصر) وعليه خط احمد بن علي العلاني .

جزء منه اوله سورة الكهف الى آخر القرآن لا تاريخ لكتابته غير انه مما كتب في القرن الثامن ظناً وعلى الورقة الأولى منه خط العلامة ابراهيم البتروفي الحلبي سنة ١٠٤٧ .
الجزء الأول من النهر ايضاً الى آخر سورة يونس بخط محمد الاشتموني بخط عادي محرر سنة ١١٤٧ والثاني منه اوله سورة هود الى آخر القرآن .

تفسير الكواشي المعروف بالتلخيص لأبي العباس احمد بن يوسف الكواشي المتوفى سنة ٦٨٠ الورقة الأولى مذهبة محرر سنة ٧١٠ بخط عمر بن عبد الرحيم الكردي .
إعراب بعض آيات من القرآن العظيم لجمال الدين ابي عمرو المعروف بابن الحاجب نسخة قديمة الخط لا تاريخ في آخرها يرجع عهد كتابتها الى القرن الثامن .

إعراب آيات من القرآن العظيم لأبي عبد الله الحسين بن خالويه المتوفى سنة ٣٧١ الفاتحة

وآيات من جزء عم اسئلة القرآن لمحمد بن ابي بكر الرازي محرر سنة ١٠٥٩ قطع ربع .
ايضاً اسئلة القرآن للرازي نسخة ثانية وصل فيها الى سورة (التين والزيتون) تنقص
اوراقاً .

حواشي قطب الدين علي تفسير الكشاف الى اواخر سورة طه .
عمدة الحفاظ في تفسير اشرف الألفاظ لابن السمين احمد الحلبي محرر سنة ١٠٥٦ .
ومن هذا الكتاب نسخة ثانية في مكتبة الأحمديّة بحلب وربما كان الناسخ واحداً .
أسباب نزول القرآن لأبي الحسن علي بن احمد الواحدي النيسابوري .
الزبور قطع كامل خطه حسن محرر برسم عثمان باشا وباني المدرسة العثمانية وواقف
الكتب فيها بخط محمد بن عيسى الكردي .
كتاب في القرائت لأبي عمرو عثمان بن سعيد الداني .
حاشية السعد على الكشاف نسخة نفيسة قديمة الخط من الأول الى آخر سورة الانعام .

« نفائس كتب الحديث »

الجزء الاول من المفهم لما اشكل من تلخيص كتاب مسلم تأليف الامام ابي العباس احمد
ابن عمر ابن ابراهيم القرطبي لاتاريخ لكتابته ويظهر انه مما كتب في القرن الثامن .
الجزء الثاني منه مثل الاول خطأ وحجماً وعليه خط العلامة ابراهيم بن الملا الحلبي وخط
المحدث الشيخ احمد الشراباتي الحلبي .
الجزء الثالث منه مثل الاول والثاني خطأ وحجماً .
الجزء الرابع منه عليه خط الملا ايضاً اوله كتاب فضائل الصحابة الى آخر الكتاب
محرر سنة ٧٢٤ بخط محمد بن عيسى بن رززيك محرر الأجزاء التي قبله .
الجزء الأول من شرح الشفا شيخ الاسلام الشيخ عمر العرضي الحلبي المتوفى سنة ١٠٢٤
واسم. فتح الغفار قطعه كامل بخط خليل بن محمد محرر برسم نعمة الله افندي الكواكبي
نقله من نسخة المصنف .

الجزء الثاني منه . والثالث منه بخط عمر بن احمد محرر سنة ١١٤١ وبه تم الكتاب
ومن هذا الشرح نسخ متعددة في الاستانة ذكرت اما كتبها في تاريخي (اعلام النبلاء) في

ترجمة المؤلف وهو شرح جليل اعتنى به مؤلفه وقد ذكره الشهاب الخفاجي في مة دمة شرحه للشفاء .

الجزء الثاني والرابع والخامس من تخریج احاديث الهداية للزيلعي . ومن هذا الكتاب نسخة كاملة في مكتبة الأحمديّة بحلب .

الاعتبار في النسخ والمناسخ من الآثار للحافظ الحازمي المتوفى سنة ٥٨٤ عليه سيف آخره خط الحافظ محمد بن سعيد الديبني وغيره من الحفاظ محرو في بغداد سنة ٦٣٢ بخط محمد بن احمد بن ابي بكر بن خليل البكري . وعلى هذه النسخة وعلى نسخة مطبوعة في الهند طبعت هذا الكتاب في مطبعتي العلية .

جامع الأصول للإمام بن الأثير وهو الذي جمع فيه الكتب الستة مجلد ضخّم قطع كامل مذهب الصحيفة الأولى جميل الخط لا تخلو الا طبعاً وفي آخره رجال الكتب الستة لاتاريخ لكتابته ويظهر انه مما كتب في القرن العاشر في بعض بلاد العراق (١) .

فتح المتعال في مدح النعال للعلامة احمد بن محمد المقرئ المغربي التمساني نزيل القاهرة جلد واحد نسخة المصنف كما هو مذكور في آخره وفيه سبعة رسوم لنعل النبي صلى الله عليه وسلم ملونة بالألوان البديعة وفي آخرها تقاريط لعلماء عصره من علماء الديار المصرية آخرهم سيدي محمد بن رأس العين . وهذا الكتاب طبع الآن في الهند .

نسيم الرياض في شرح الشفا للقاضي عياض للشهاب الخفاجي سيف مجلد ضخّم مذهب الورقة الأولى محرو سنة ١١٢٩ .

توثيق عري الأيمان في تفضيل حبيب الرحمن للإمام العلامة الشيخ ابراهيم بن البارزي الحموي . مجلد واحد ضخّم . النسخة مقروءة على المؤلف سنة ٧٣٣ وهي بخط علي بن جمعة ابن ابي الحسن الشافعي الهلالي الحموي حررها سنة ٧٢٢ . وهذا الكتاب نادر الوجود ولا اعلم له نسخة ثانية .

(١) في مدرسة يحيى باشا في الموصل نسخة في مجلدين ورقها حريري جلد محلي بخط حمو الكردسي في الموصل خطها في غاية الجودة وقد رتب حواشيه احسن ترتيب . اه مخطوطات الموصل للدكتور داود الجليلي ص ٢٣١ .

الكاشف في رجال الكتب الستة للحافظ شمس الدين عبد الله محمد الذهبي نسخة نفيسة جداً محررة سنة ٢٥٦ هـ بعد وفاة المؤلف بقليل ومقابلته .

دلائل النبوة للحافظ البيهقي مجلد ضخم بخط مغربي محرر سنة ٨٧٤ بخط محمد بن محمد ابن عبد الله بن بن اسماعيل الدفترى المالكي .

جزء منتخب من تهذيب الكمال للزري اختصار عماد الدين أبي بكر بن أبي الجهد الحنبلي البعلبكي الأصل المتوفى سنة ٨٠٤ ومعه كتاب الضعفاء المختصر من تهذيب الكمال .

انكواكب الدراري في شرح البخاري للعلامة الكرماني نسخة في ٣ مجلدات قطع كامل .
خلافة الأئمة الاربعة للامام احمد بن حنبل العيني مجلد وسط قطع وسط محرر سنة الف بخط تقي الدين بن الحاج أبي بكر الموقت بجامع الكبير بحلب حسن الخط .

شرح الامام سراج الدين عمر بن أبي الحسن علي بن الملقن الشافعي المتوفى سنة ٨٠٤ في اربع مجلدات ضخام المجلد الاول يقتصر من اوله قليلاً وأول ما فيه باب ما ذكر من ذهاب موسى في البحر الى الخضر عليه السلام .

والمجلدات الأربع هي بخط دقيق جداً وناسخها الحافظ الكبير الامام ابراهيم بن محمد ابن خليل سبط ابن العمري الحلبي المعروف بالبرهان الحلبي المتوفى سنة ٨٤١ .

المجلد الأول محرر سنة ٧٨٥ والثاني سنة ٧٨٦ وعليهما خط المؤلف في عدة محلات وقد حررهما البرهان الحلبي حينما كان في مصر . وجاء في آخر المجلد الثاني ما نصه : ثم بلغ في الثاني بعد المائة قراءة علي ومقابلته بأصله نفعه الله واياي . كتبه مؤلفه غفر الله له .
والمجلد الثالث والرابع حررهما الحافظ البرهان الحلبي سنة ٨٢١ في حاب في المدرسة الشرفية بهذا الخط الدقيق وفي نهاية الرابع تم الشرح .

جاء في كشف الظنون في الكلام على جامع الصحيح للامام البخاري وشروحه في ص ٣٦٦ وشرح الامام سراج الدين عمر بن علي بن الملقن الشافعي المتوفى سنة ٨٠٤ وهو شرح كبير في نحو عشرين مجلداً اوله ربنا آتينا من لدنك رحمة الآية احمد الله سبحانه وتعالى على توالي انعامه الخ قدم فيه مقدمة مهمة وذكر انه حصر المقصود في عشرة اقسام في كل حديث وسماه شواهد التوضيح قال السخاوي اعتمد فيه على شرح شيخه مغلطاوي والقطب وزاد فيه

قليلاً قال ابن حجر وهو في أوائله أقعد منه في أواخره بل هو من نصفه الباقي قليل الجدوى انتهى .

وذكر الحافظ السخاوي في الضوء اللامع في ترجمة الحافظ البرهان الحلبي التي نقلناها عنه إلى تاريخنا (اعلام النبلاء بتاريخ حلب الشهباء (في ج ٥ ص ٢٠٧) وكتب عنه شرحه على البخاري في مجلدين بخطه الدقيق الذي لم يحسن عند المصنف لكونه كتب في عشرين مجلداً . وجاء في ترجمته بعد ذلك واجتهد الشيخ رحمه الله تعالى في هذا الفن (فن الحديث) اجتهداً كبيراً وكتب بخطه الحسن الكتب فن ذلك كما تقدم شرح البخاري لابن الملقن بل فقد منه نصفه في الفتنة (فتنة نيورلنك) فأعاد كتابته أيضاً اه .

ويستفاد من كلام الحافظ السخاوي أنه كتب جميع الشرح في مجلدين وليس كذلك لما تقدم من أنه كتب النصف الأول في مجلدين سنة ٧٨٥ وسنة ٧٨٦ ويحتمل أنه تم كتابة الجميع في أربع مجلدات ثم فقد منه النصف الثاني في الفتنة فأتمه في مجلدين سنة ٨٢١ بالمدرسة الشرفية في حلب .

وولادة الحافظ البرهان الحلبي سنة ٧٥٣ وكتابته لهذين المجلدين اللذين يبلغان مائة مجلدات سنة ٨٢١ فيكون عمره حين اشتغاله بكتابتهما ٦٨ سنة ومن هنا تعلم علوهم هؤلاء الرجال وحرصهم على الاستفادة والاستفادة وإن كبر السن لم يكن مانعاً لهم من الاشتغال والتحرير .

وطريقة الامام ابن الملقن في هذا الشرح أنه يذكر الحديث بتمامه ثم يشرع في الكلام عليه من عشرة وجوه وهكذا وفي الجملة فهو شرح جليل من أجل شروح البخاري يضاهي شرح العيني وابن حجر ولعله في كثير من المواضع اعظم فائدة منها ولا يؤثر فيه ما تقدم من قول الحافظ السخاوي .

وهو لعظم فائدته جدير بالطبع فعمى انت ينهض لابرازه الى عالم المطبوعات بعض ارباب المطابع في مصر فتم الاستفادة منه .

شرح المصابيح للامام فضل الله التوريشي مجلد واحد محرر سنة ٧١٢ .
شرح المناوي الكبير للجوامع الصغير للجلال السيوطي في سبع مجلدات نسخة كاملة .
الجزء الثاني من المناوي ايضاً .

القرب في فضل العرب تأليف الحافظ الزين العراقي .
 بجهة المحافل واجمل الوسائل بالتعريف برجال الشئام تأليف الشيخ ابراهيم اللقاني .
 الاصابة في اسماء الصحابة للحافظ بن حجر في مجلدين بخط محمد الداغستاني كتبها
 سنة ١١٢٩ .

التنقيح لألفاظ الجامع الصحيح للإمام الزركشي جلد واحد محرر سنة ٨٤٨ .
 الجزء الاول من سنن أبي داود الى آخر الجزء السادس من اجزاء الخطيب وعليه خط
 الحافظ يوسف بن عبد الهادي وسماعات كثيرة .

الاستيعاب في أسماء الأصحاب للحافظ بن عبد البر الاندلسي في اربع مجلدات بخط
 مغربي وعليها سماعات متعددة مكتوبة بقرطبة والأجزاء بخط ابراهيم بن يحيى بن ابراهيم
 حررها سنة ٥٢٣ فهي محررة بعد وفاة المؤلف بقليل ولعل هذه النسخة انفس نسخ
 الاستيعاب الموجودة في الدنيا .

المناهج للإمام أبي عبد الله الحسين بن الحسن الحلبي المتوفى سنة ٤٠٣ وهو من رجال
 ابن خلكان وهو في ثلاث مجلدات ضخام وهو شرح لحدیث واحد وهو قوله صلى الله عليه
 وسلم الايمان بضع وسبعون شعبة آخر الجزء الاول «فصل: فأما الفرق بين دعاء الرجل لغيره
 بالحضر وبين الشفاعة له» . قال في آخره يتلوه في الجزء الثاني : الثالث عشر من شعب
 الايمان وهو باب التوكل على الله جل ثناؤه . وهو بخط محمد بن احمد بن سليمان المالكي محرر
 سنة ٧٤٥ .

والجزء الثاني ليس عليه تاريخ كتابته لكنه بخط الناسخ الأول وعلى هذا الجزء خط
 شيخ الاسلام الشيخ عمر العريضي الحلبي شارح الشفا للقاضي عياض .
 الجزء الثالث منه وهو تنقيح الكتاب عليه خط العريضي ايضاً وليس عليه تاريخ كتابته
 لكن الناسخ واحد . ومنه نسخة في المكتبة السلطانية بمصر ولكن مما يؤسف له ان كثيراً
 من اوراقه في الأجزاء الثلاثة ملتصقة بعضها ببعض لمطر كان اصاب هذه النسخة وغيرها
 وذلك لقلة العناية بأمر المكتبة وعدم المبالاة في امر حفظها من امثال ذلك .

واقفى ايضاً ان يقبض الله لهذا الكتاب من يقوم بأمر طبعه لينتشر وتم فائدته .
 الحلية النبوية الشريفة وهي ورقة واحدة فيها صحيفتان فيهما نعت النبي صلى الله عليه

وسلم بخط درويش محمد المولوي بخط جميل جداً الصحيفة اليمنى ضمن سطور مكتشفة بالوان من الاحبار والدهانات العجيبة ومموهة بالذهب والبسرى شجرة ملونة كذلك ومموهة بالذهب وهي ضمن غلاف من جلد .

كتاب فضل الخليل للحافظ شرف الدين الدمياعي المتوفى سنة ٧٠٥ مجلد واحد عليه في آخر صحيفة منه خط المؤلف وسماح عليه سنة ٦٨٩ بالقاهرة وخطه حسن وهو مضبوط بالشكل وهو من نفائس هذه المكتبة ايضاً .

وقد وفقت لطابع هذا الكتاب على هذه النسخة وعلى نسخة أخرى هي في مكتبة المدرسة الأحمدية بحلب محررة سنة ٧٢٩ وقد اخذت بالمصور الشمسي صحيفة من تلك وصحيفتين من هذه وطبعت معه كتاب رشحات المداد فيما يتعلق بالصافنات الجياد للعلامة الشيخ محمد البخشي الحلبي المتوفى سنة ١٠٩٨ .

حلب : محمد راغب الطباخ



رحلة اوليا جلبي

- ٣ -

ثم سرنا الى الجنوب فكنا نجتاز تارةً أما كن صخرية وتارةً مسننقات وآجماً الى ان وصلنا بعد ست ساعات الى قلعة المضيق (١) . وهي قلعة صغيرة

(١) اخطأ جلبي في المدة التي ذكرها . فالبعد بين جسر الشفر وقلعة المضيق ٤٥ كيلو متراً لا تستطيع القافلة اجتيازها باقل من اثنتي عشرة ساعة . والخارج من جسر الشفر في يومنا يسير باديء بدء في طريق السيارات المعبدة احسن تمبيد الآتية من اللاذقية والتجهة شرقاً نحو الجبل الوسطاني فسهل الروج فجبل الزاوية فسهول اريحا وادلب وحلب وبعد ستة كيلومترات يودعها عند مفرق بين قريتي فريكة وسللي ويغترف الى الجنوب فيمر باراضي قرية الزيادة ويلمح عن بعد على عيين العاصي قرى الكفير وقرقور والزيارة . ثم يمر بقرية قسطون التي تعد من اخصب قرى الروج وأكثرها غللاً وكان فيها حصن قال عنه ياقوت : قسطون حصن كان بالروج من اعمال حلب نزل فيه ابو علي الحسن العقيلي في سنة ٤٤٨ فاستولى عليه وخربه اه .

وبعد قسطون ينتهي سهل الروج ويدخل السائح في سهل الغاب متتبعاً الرصيف الروماني القديم وهو صنع الذين بنوا مدينة افامية ومدوه منها الى انطاكية ولا تزال احجار هذا الرصيف وامباله ماثلة للعيان في مواضع كثيرة من سهل الغاب وفي الشمال عند دركوش تغيب تارة وتظهر أخرى فتسير في سفح اعضاء جبل الزاوية ولا تفارقه وترى عليه كثيراً من جلاميد الصخور المتدحرجة بفعل العوامل الطبيعية على كمر الدهور . واعضاد جبل الزاوية وفرعه الجنوبي المسمى شمشو نسبة لقرية ذكر ياقوت انها من قرى افامية واقفة كالجدار

شرقي سهل الغاب كما ان جبال النصيرية التي كان يدعوها الرومانيون برجيليوس ودعاها ابو الفداء جبل الخيط واقعة في غربيه اما المستنقعات والآجام التي اشار اليها اوليسا جلبي فهي بطائع سهل الغاب الفسيح وادغاله وهذه تنقلب في فصل الشتاء الى بحيرة عظيمة تدعى بحيرة افامية تحصل من نهر العاصي الذي لا يجرد متسعاً عند قرية قرقور وما بعدها ليجري براحة في زمن طفيلاته ثم من الانهر والينابيع الكثيرة التي تنبع من سفوح الجبال المحيطة بذلك السهل من الشرق والغرب . وبحيرة افامية ما برحت كما وصفها ابو الفداء « يحيط بها القصب والصفصاف من كل جانب وفي وسطها غابة من القصب والبردي وبها من انواع الطيور مثل الثايت مثلكة التاء والغريرات والجمع والاصواغ والاوز والطيور التي تأكل الاسماك مثل الجملط والايضانيات وغير ذلك من طيور الماء . وفي ايام الربيع ينبت فيها النيلوفر الاصفر حتى يغطي مجموعها اه .

وقال شيخ الروبة : بحيرة افامية بحيرة كبيرة يدخلها العاصي ويخرج منها ولها سكر يصاد فيه نوع من السمك شبيه بالحيات يسمى انكليس لحمه شبيه بالألة المشوية وللناصرى (لعله يعني الملك الناصر محمد بن قلاوون) فيه رغبة عظيمة يحمل في المراكب اليهم (كذا) داخل البحر ضمائه في السنة نحو ثلاثين الف درهم . وقال في موضع آخر : بحيرة افامية يشقها العاصي ولا يلتقي احدهما بالآخر وفيها من السمك الانكليس والسورمالا يوجد بغيرها اه . ومن الغريب ان جغرافي العرب واخص بالذكر ياقوت وشيخ الروبة وابو الفداء اکتفوا بوصف بحيرة افامية ولم يذكروا اسم سهل الغاب ولا وصفوه حتى انه لم يرد في كتاب الاعتبار لاسامة بن منقذ الا مرة (طبع جامعة برنستون صحيفة ٢١٨) في حكاية « انهزم فيها السبع الى الغاب » . ولم افهم اي غاب كان يعني . لأنه ذكر هذا السهل في موضع آخر (صحيفة ٥٨) باسم مرج افامية وانه استاق منه غنمة كبيرة . من الجواميس والبقر والغنم . اما كتبة الافرنج فقد قالوا ان سهل الغاب كان في زمن السلوقيين مجففاً يزرع ويستثمر وان استرابون اطنب بخصبه ووفرة غلاله وربما كان يربى فيه من قطعان الجواميس والخليل وان القدماء اقاموا فيه سدوداً وحفروا خنادق لمنع طفيلان العاصي . ذكر السائح الافرنسي « كيليودراي » انه شاهد منها في سنة ١٨٦٠ سدالة فتحات وفي جنوبي الغاب ضيعة

تدعى الخندق في جوارها خندق قديم كان خاصاً بتصرف المياه نحو العاصي وكانت برزية تفرق عن افامية بجيرة تحصل من سد على النهر الذي ذكره ابو الفداء فيما نقله عنه في وصف برزية . هذا وقد درس المهندسون في زمننا مشروع تخفيف الغاب وتنظيم طرائق ربه واعداده للحرث والزرع ولا يعلم متى يمكن البدء بالعمل . فمن عني بهذا المشروع وكتب عنه تقريراً ضافياً المهندس ويلهم مستشار وزارة الاشغال العامة في حكومة الاتحاد السوري المملغة في سنة ١٢٤٤ قال ما خلاصته : بعد ان يجتاز نهر العاصي حماة يجري في واد يختلف سعةً وضيقاً بين مكان وآخر ثم يسيل في مضيق عميق الغور ينفرج فجأة في بدء سهل منسج يبدأ من قلعة شيزر وعلى بعد عشرة كيلو مترات من هذه القلعة يصبح السهل مستنقاً ويدعى (الغاب) وهو يبدأ من قرية تل سلحج وينتهي قرب قرية فرفور وطوله ستون وعرضه عشرة كيلومترات ومساحته ٦٠٠٠٠ هكتار وأرضه تتألف من تربة عميقة ينساب العاصي فوقها محاطاً بالمستنقعات الكثيرة وهي في الضفة اليسرى أكثر منها في اليمنى . لكن هذه التربة تصبح بعد قرية فرفور مؤلفة من الحارر فيعود العاصي للجري في واد ضيق تحيط به الجلابيد العظيمة العالية . يبقى العاصي هادئاً سالكاً مجراه خلال اشهر الصيف . فاذا جاء الشتاء يرتفع مستواه فيطغو على الارضين المحيطة به وهي مساوية له في الارتفاع فيغمرها الى مسافات بعيدة ناهيك بالامطار التي تهطل هنا اي تهطل ، والسيول التي تنساقط من الجبال المجاورة والينابيع التي تنبع من سفوحها . وتخفيف سهل الغاب واستثماره حسب الاساليب الزراعية الحديثة مشروع عظيم ينفع بلاد الشام ويدبر عليها ارباحاً جزية لان ارضه مؤلفة من طمي الحرات المعروف بخصبه ووفرة مواده الغذائية . ولاجل ذلك ينبغي منع فيضان العاصي عليه ثم تخفيفه باقامة بحار كثيرة للصرف ثم ربه خلال اشهر الصيف بشبكة من القنوات . ففيضان العاصي يمنع تعميق مجراه واقامة جدرانته وتخفيض السد الموجود امام قرية فرفور . ولا صعوبة في هذا العمل لولا انه كثير النفقات . ويقام سدان عظيمان من التراب على ضفتي العاصي يبعد الواحد عن الآخر ٤٠٠ - ٥٠٠ متر حتى اذا ما طغى العاصي كان للماء من سعة الارض بين السدين ما يحول دون انهدامها . ويجفر في جانبيها الايسر وفي قاعدتيها خنادق او مصارف للمياه المنصبة من السهل فتوصلها الى العاصي

في نقاط مناسبة منه . وقد حسبوا كمية ماء العاصي في اوائل الخريف بالامطار المكعبة وفي الثانية فبلغت عند خروجه من شيزر ١٨ وفي مصبه عند قرقور ٢٧ وتغذي هذه الزيادة الينابيع الكثيرة التي تنبجس من سفوح الجبال وتنبع في جوانب السهل ، واهمها ينبع (باب الطاقة) في الضفة اليمنى فان قوة مائه لا تقل عن المترين المكعبين في الثانية . هذا وليست الاراضي القابلة للري مخصصة في سهل الغاب بل هناك سهول ونجود واسعة تمتد من قلعة شيزر على ضفتي نهر العاصي يسهل رها فيقام لهذه الاراضي في زور (التريسة) سد قليل العلو يسقي قناتين الواحدة لرية ارض الضفة اليمنى والثانية لري الضفة اليسرى وطول كل منها ٧٥ كيلو متراً ثم ينشأ في نقاط مختلفة وعلى طول هاتين القناتين مأخذ يجري الماء منها الى قنوات ثانوية ومن هذه الى قنوات التوزيع على الحقول ، فيصبح الغاب مخترقاً بشبكة من القني تسوق الماء الى مختلف مواقعه وارضيه وما فاض منها يصب في العاصي امام قرقور . والمساحة الممكن رها بعد اتمام هذا المشروع الكبير تقرب من تسعين الف هكتار وهي تنتج احسن الفلال من القطن وغيره لزكاة التربة كما اسلفنا وغرارة مياه الري وجودة الاقليم اذ السهل لا يعلو عن سطح البحر اكثر من ٢٠٠ متر وجبال النصيرية تدراً عنه الرياح الغربية اه .

هذا والسائح يدخل بعد قسطون في سهل الغاب فيمر بضياح تدعى قليدين والعنقاوي والحمقية وحواش والحويجة والحويز وبعض سكان هذه القرى بدو حراثون يدعون ان جدودهم جاؤا من بطائح الفرات في العراق ، ويمر بالعريبي والجماسية والشريعة والتويني الى ان يصل الى قلعة المضيق . ويلمح في وسط سهل الغاب ضياح تكون في ايام الفيضان كالجزائر لا يوصل اليها الا بقوارب رقيقة تدعى الجروف منها الجيد والريصيف والقرم والخندق واهلها نصيرية . ويبيت ضياح الغاب اخصاص حقيرة تحيط بها الأذغال والمياه واهلها صفر الوجوه هنلى ينقلون كسكان اواسط افريقية في القوارب التي ذكرناها ويعيشون على تربية الجاموس وصيد السلور الذي يرسل في فصل الشتاء لاكثر بلاد الشام الشمالية حيث يؤكل بكثرة وبصطادون الطيور المائية وعد ابو الفداء بعضها فينتفون ريشها وبلتقون بيوضها ويزرعون الذرة البيضاء في الارض التي تنحسر عنها المياه في

من اعمال أباله حلب بنيت قرب بحيرة تسمى باسمها فوق هضبة مشرفة على السهول والآجام المحيطة بها . وقد سميت بالمضيق لان الذي بناها كان من وزراء نور الدين الشهيد واسمه مضيق (١) . ثم غادرناها فوصلنا بعد سبع الصيف . ونبع الطاقة من احسن اماكن صيد السلور لانه حينما يقرس الشتاء وتبرد مياه العاصي يلجأ السلور الى مياه هذا النبع الدافئة في كثرة هائلة فيسطو عليه اهالي الغاب ويصطادونه بحراب خاصة . وجبال النصيرية المطلة على سهل الغاب من علو ١٦٥٠ متراً فمادون تتحد نحو ميل سريع فتؤلف بقعة وعرة بدعونها (الشعرة) فيها وهاد سحيقة وعقبات كأداء تزيناها الغابات الغبراء من مختلف الأشجار والأنجم وتسرح فيها النور والذهب والذئاب وقطعان الخنازير البرية يقصدها غواة الصيد منذ القديم . وفي سفح هذه الجبال على يسار العاصي مما يتبع قضاء صهيون من اعمال حكومة اللاذقية قرى سرمانيا وبرزية وفريكة ونبول وشطحة واستركي وغيرها وسكانها نصيرية . وصف ابو الفداء برزية وقلعتها فقال : حصن برزية من جند قنسرين قلعة صغيرة في ذيل الجبل المعروف بالغيط من شرقيه مطلة على بحيرات فاميا وتتصل بها مياه البحيرات والأقصاب الى تحت برزية وليس بها كائن ساكن الا المرتبون لحفظ القلعة ويمتصم بها اهل البلاد في ايام الجفل وهي عن فامية في جهة الشمال والغرب على نحو مرحلة في الماء فان بحيرات فامية واقعة بينها وبرزية في جهة الجنوب عن الشفر وبكاس على مرحلة قوية اه . وفي أعالي هذه الجبال المطلة على البحر من القلاع التاريخية التي ذكرت سيفه وقائع الصليبيين والاسماعيليين ابدو وصهيون والمهيلة (بلاطس) وثمة قرى وضياع كثيرة منتشرة بين أودية هذه الجبال وأجسامها الوعرة وفيها الحراج الغبراء والبناييع السارية والمناظر الجميلة . وبعد ان بقيت هذه القرى في الستين الخالية في منزل لا تنالها ايدي الجيوش الا بالعناء لوعورة مسالكها وجلفة اهلها ذلت في العهد الأخير صماها ومهدت شعابها فصارت السيارات تجول فيها وجعل في بعض قراها المرتفعة الجيدة الهواء والماء والمنظر كملنفة أماكن للصطياف والقصف على الطراز الحديث .

(١) قلعة المضيق هي قلعة مدينة أبامية القديمة التي كان يدعوها مؤرخو العرب تارة

باسم فامية وثارة أفامية وقد ذكرت سيف شعر ابي العلاء بالالف حيث قال : ولولاك لم
تسلم أفامية الردى . قال عنها ياقوت سيف المشترك : أفامية مدينة عظيمة قديمة على نشر
من الارض لما بحيرة حلوة يشقها النهر المقلوب اه . كان اسم هذه المدينة قديماً فارناك ثم
دعاها الاسكندر المكدوني بللا باسم البلدة التي ولد فيها ابوه فيليب وبعد موته دخلت في
حوزة سلوقس نيكاتور مؤسس الدولة السلوقية فزاد في عمرائها وتحسينها ودعاها باسم امرأته
الاميرة الفارسية اباميا وجعلها موقعا عسكرياً مجهزاً بجميع العدد والعدد والمصانع
والاصطبلات وشاد فيها مدرسة حرية للفرسان ، وخصب سهل الغاب القريب منها ووفرة
مراعيه زخر فيها مئات من الفيلة المحلوبة من الهند وعشرات الالوف من الجياد والجواميس .
وظلت أفامية في عهد السلوقيين زاهية بمظمتها وجمالها ووفرة سكانها ورفهم تحسب الاولى
بين مدن الشام الشمالية بعد العاصمة انطاكية الى ان جاءها كينسرو الثاني ملك الفرس في
سنة ٥٢٣ ميلادية فنهبها وأحرقها وسبى أهلها وجاءت الزلازل فقصت على ما بقي منها قائماً
ولم يرتفع لها شأن بعد ذلك ولم يبق الدهر من تلك المدينة الجميلة سوى حصنها الذي كان
مبنياً فوق تل قريب في ضريبها دعي بعد حين باسم قلعة المضيق . ولما فتح المسلمون هذه
الديار شاهدوا افامية خراباً كما هي الآن فاكثفوا بحصنها ولم يمرروها قط وهم اذاذكروها عنوا
حصنها والقرية المبنية داخله . قال البلاذري : سار ابو عبيدة في سنة ١٧ بعد افتتاح
شيزر الى فامية فتلقاه أهلها بالصلح فصالحهم على الجزية والخراج . وذكر ياقوت حادثة جرت
في ايام العباسيين لتتولي عليها وكان رجلاً كردياً أغرى القرامطة في سنة ٢٩٠ باهل المعرة
فقتلوا قتلًا ذريعاً فلما انقلبت الآية وقتل رئيس القرامطة عوقب الكردي فهرب والى
بنفسه في بحيرة افامية فقال فيه احد شعراء المعرة :

توم الحرب شطرنجاً بقلها للقر ينقل منه الرخ والشاها
جازت هزيمته أنهار فامية الى البحيرة حتى غط سيف ماها

وفي العهد العباسي ظلت تتعاور حصن افامية أبدي الامراء الساميين للفاطميين
والسلجوقيين وفي الحروب الصليبية استولى عليه تنكرد برنس انطاكية وبقي بيد الصليبيين
نحو نصف قرن ثم جاء نور الدين الشهيد في سنة ٥٤٥ فاستخلصه منهم . قال ابن الأثير

في حوادث هذه السنة : وفيها سار نور الدين الشهيد الى حصن افامية وهو للفرنج أيضاً وبينه وبين حماة وشيزر مرحلة وهو حصن منيع على تل مرتفع عال من احسن القلاع وامنه سار وكان من به من الفرنج يغيرون على اعمال حماة وشيزر وينهبونها فساد نور الدين اليه وحصره ومملكه وحصنه بالرجال والدخائر وكان قد اجتمع الفرنج وساروا ليرحلوه عنه فملكه قبل وصولهم فلما بلغهم فتحه تفرقوا اه . وفي الزلزلة الهائلة التي حدثت في سنة ٥٥٢ خرب حصن افامية فيما خرب من بقية الحصون والمدن في شمالي الشام فرمى نور الدين واليه ينسب معظم مبانيه . وبعد وفاة السلطان صلاح الدين الابوي في سنة ٥٨٩ استقر هذا الحصن ومثله حصون برزبة وكفر طاب ويعرين بيد الأمير عن الدين ابراهيم بن المقدم ثم اخيه شمس الدين عبد الملك من بعده . لكن ابن صلاح الدين الملك الظاهر غازي صاحب حلب استخلصه منه ولما زالت دولة الابويين عن الديار الحلبية انتقل حصن افامية كغيره الى ايدي المماليك . ولا يعلم اذا كان جيش هولاء التتري وصل اليه في ذلك العهد وقال منه . في سنة ٦٦٨ جاء الملك الظاهر بيبرس الى حصن افامية وجمع جيوشه فيه ثم زحف منه على انطاكية واستولى عليها وفي ايام الملك المنصور قلاوون كان حصن افامية في حوزة الأمير الثائر سنقر الأشقر . وبعد خروج الصليبيين وروال الحاجة للدفاع لم يبق لهذا الحصن مكانة حربية بل ظل كما هو الآن عبارة عن قرية يعتصم أهلها فيها من هجمات البدو والنصيرية وهؤلاء كثيراً ما كانوا يغيرون عليها وعلى غيرها من القرى ايام الفتن في عهد المماليك والعثمانيين .

هذا ومدينة افامية لا تزال على ما فعل بها الفرس خراباً يباباً تروى الزائر بفخامة اطلالها وجمال رسوما وعظمة مساحتها البالغة مائتي هكتار . ففيها انقاض سورها القديم وكان عليه ابواب لم يبق منها الا الباب الشمالي الذي قنطرتة واطلال البرجين المحيطين به ماثلة . وثمة شارع عظيم مستقيم يمتد من الشمال الى الجنوب طوله يزيد عن ١٦٠٠ متر كان على جانبه صفان متقابلان من الاعمدة الخشبية لا تزال قواعدها . بعض اقسامها المهشمة ظاهرة . وهناك شوارع أخرى مستقيمة تتشابه في مواقع عديدة مع الشارع الاعظم . وحول هذه الشوارع تجد ابنا ممرث دوراً وقصوراً متهدمة وجدراناً متداعية واجاراً مخوثة

مبعثرة وقواعد وتيجان اعمدة واعمدة طويلة ضخمة متعددة او منتصبة سطوح بعضها مستوية و سطوح الأخرى محزومة بخطوط مقعرة ونائشة مستقيمة او حلزونية وكلها من الصخر الجيري الأشهب الذي فضحه الحطب وقفل فيه كمر الدهور . وقد كانت افامية في عهد أسامة بن منقذ على هذه الحالة اذ يقول في كتابه الاعتبار صفحة ٤٧ : « وسرنا الى افامية فلقينا فارسهم وراجلهم — يعني الافرنج — في الخراب الذي لها وهو مكان لا ينصرف فيه الخيل من الحجارة والاعمدة واصول الحيطان الخراب » . قامت بعثة اثرية بلجيكية منذ خريف سنة ١٣٤٩ بحفر تلك الخرائب فكشفت آثار عديدة بانت منها شوارع المدينة وبعض مبانيها وجدرانها وكثير من تيجان الاعمدة وقواعدها المنقوشة والمخططة باشكال واغصان جميلة ونبتت البعثة مركز توزيع المياه الآتية بقناة عظيمة من شمال البلدة واظهرت الاسماء واناءات الحجربة الضخمة والقساطل الخزفية الصغيرة التي كانت تتألف منها قنوات الماء الموزعة على المدينة كلها بأسلوب غاية في الاتقان والمتانة واطلمت على بعض الآثار الخاصة بعبادة باخوس اله الخمر وهي دائبة على العمل في خريف كل سنة وعساها تتوفق لاظهار دقائنها هذه المدينة التاريخية الجميلة .

اما حصن افامية فلا يزال فوق تلة الكبير العالي يشرف في الغرب على جبال النصيرية وعلى سهل الغاب ووادي العاصي وفي الشمال على جبل الزاوية وفرعه الجنوبي المسمى شحشبو وفي الجنوب والشرق على سهول ناحيتي طارالعلا وخان شيخون . وكان يحيط بالتل خندق عظيم زال معظمه على انه ليس في هذا الحصن قلعة كبيرة كما في حصن شيزر وحصن الاكراد بل سور عظيم على هيئة مضلع غير منتظم تغلله ابراج كثيرة مربعة الشكل وفي اسفل السور رصيف من الحجارة كان التل مصفحاً به كما في قلعة حلب وحمص وغيرهما . وقد خرب القسم الغربي من السور كما ان المباني التي كانت تعلوه دثرت بالكثبة . وفي شمالي الحصن برج جميل البناء في وجهه القبلي كتابة نحوي اسم الملك الظاهر غازي صاحب حلب تاريخها ٦٠٤ وفي قبله باب كبير ذو قنطرة يدخل منه الى القلعة يحرسه برجان متقاربان وعلى الباب كتابة نحوي اسم الملك الناصر يوسف صاحب حلب وهو حفيد الظاهر غازي تاريخها ٦٥٤ . وهاتان الكتابتان ، وفقدان كل اثر للسلافيين والصليبيين ، وشكل الابراج المربعة واقسامها

الداخلية والاعمدة التي حشيت في عرض جدرانها ، وشكل برج الباب اللذين يؤلفان ما يسمى في كتب العرب باشورة كل ذلك يدل على أن بناء هذا الحصن عربي صرف وكذلك طراز هندسته وهو من آثار نور الدين محمود بن زنكي والأيوبيين من اعقاب صلاح الدين حكام حلب . هذا والقرية التي في داخل الحصن كبيرة يبلغ عدد سكانها نحو الفين حافلة بالدور المبنية من انقاض السور والابراج واهلها يصعدون وينزلون كل يوم الى مزارعهم ومراعهم التي في اسفلها وجوارها ويشربون من البنايع التي في سفح التل وشأنهم في الهزال واصفرار الوجوه شأن بقية قرى الغاب الا قليلا . وفي خارج الحصن على مقربة من باب القبلي جامع صغير حسن البناء من عهد العثمانيين لكنه اصبح خراباً مهجوراً وفي قرية خان خراب من آثار الوزير سنان باشا الشهير كانت تأتي اليه قوافل التجار والحجاج القادمة من اطاكية الى حماة وماوراءها . واقاموا في غربي الحصن على احد روافد العاصي سداً له فتحات يحصل بسببه بحيرة تمتلئ بالسمك فيصطادونه . وقد اتخذت قرية قلعة المضيق قاعدة للاحية الحقوها في السنين الأخيرة بقضاء المعرة تتبعها القرى التي تقدم ذكرها في بحث سهل الغاب . ولا يعرف العهد الذي تبدل فيه اسم حصن افامية وهو المصطلح عليه في عامة التواريخ القديمة فصار قلعة المضيق ولم اعلم من اين أتى اوليا چليبي برواية ان احد قواد نور الدين الشهيد كان اسمه مديق او مضيق تولى عليها مدة فسميت باسمه . ولم اعثر في كتبنا القديمة على كلمة المضيق الا عرضاً في ذيل تاريخ دمشق لابن القلانسي عند ذكره الواقعة التي جرت حول افامية في سنة ٣٨٢ لما حاصرها الروم وضائقوا اهلها وجاء جيش ابن الصمصامة والي دمشق لاستخلاصها فكسر الروم وقتل ملكهم قال : وكانت الواقعة في مرج الفيج يطيف به جبل يعرف بالمضيق لا يسلكه الا رجل في اثر رجل ومن جانبه بحيرة افامية ونهر المقلوب فلم يكن للروم مهرب في الهزيمة اه . فيظهر من ذلك ان سهل الغاب كان يدعى مرج افامية وقلعة المضيق حصن افامية وذيل جبل الزاوية المشرف على هذه القلعة المضيق ونهر العاصي النهر المقلوب ، ولم يشذ احد من الكتب التي اطلعت عليها عن ذلك .

ساعات الى قلعة شيزر (١) .

« للبحث صلة » وصفي زكريا

(١) بعد قلعة المضيق يجتاز السائح وادي الجفر وينجه جنوباً فيغادر ولاية حلب ويدخل ناحية طار العلا من اعمال لواء حماة التابع لدمشق ويمر في سهول بعيدة الاطراف لا شجر فيها ولا حجر ذات تلعات متموجة وتلال بعثرت فيها كثير من القرى والضياع ومضارب البدو فيمر من ضياع صغيرة كالجرنية وحيالين وحجلة وتل ملح ويرى على يمينه على سيف الغاب الصقيلية ذات الدور البيضاء وهي كبيرة واهلها روم ارثوذكس يملفون الالفين اشتهرت بمسحها الذي يتخذ للبذر في الديار الحموية وقرى صلبا والعونية وكفر يهود وثمة على العاصي عمورين والعشارنة والتريسة او تل الترمسي كما قال أسامة وفي العشارنة جسر على العاصي يجتازه قاصدو جبال النكبية وقراها . وفي شرقي هذه الطريق كفر نبوذا ومغير وكرناز وبريديج والشيخ حديد وجبين والزلاقيات ووراء هذه القرى كفر زيتا واللطامنة ومورك الشهيرة بطينها وصوران وطيبة الامام . وهكذا الى ان يهبط السائح وادي العاصي ويصل الى جسر شيزر وقلعتها بعد اجتياز ٣٧ كيلو متراً . وكل هذه القرى التي عددناها ذات تربة رملية طينية حمراء معروفة بمحصبها وانباتها الزروع الصيفية والشتوية عذياً وبيوتها في الضياع تصكون اكواخاً مستطيلة من القصب والقش يدعونها طامات وفي القرى قباب محروطة او دور حجرية . ذكر ياقوت في محجمه من هذه القرى عمورين وسماها عمورية ودعاها بليدة وهي الآن ضيعة صغيرة قال : عمورية بليدة على شاطئ العاصي بين فامية وشيزر فيها آثار خراب ولها دخل وافر ولها رحي تغل مالا اه . وذكر أسامة بن منقذ في كتابه الاعتبار اسما ~~كفر~~ نبوذا وتل ملح وتل التلول . وقال ان تل ملح كان مكاناً للافرنج عند اغارتهم على شيزر .

وجبال النصيرية المشرفة على هذه الطريق تعد من الشعرة التي تقدم ذكرها ووصفها في سفحها من القرى الجديدة بالذكر مرداش وعناب وعين الكروم وهذه كبيرة ذات اربع ضياع اتخذت مركزاً ناحية وفقر وحداوي ، وكل هذه القرى على سيف الغاب وثمة عين تدعى عين الجراص في قربها هضبة قامت عليها ضيعة تدعى قلع الشيخ ملوخ بلوح لي انها

مكان حصن الجراض الذي استخلمه ابو الحسن علي بن منقذ من الروم قبل ان يستلم منهم شيزر في سنة ٤٧٤ . قال البستاني في دائرة المعارف عن عتاب التي تناوح قلعة المضيق انما هي آنب التي حدثت حولها في سنة ٥٤٤ هـ معركة هائلة بين نور الدين وريوند دوباتية برنس انطاكية فانتصر نور الدين وهناك القيسراني بقصيدة جاء فيها :

وعسكرك الذي استولى مسيحاً على ما بين فامية وسبع
بآنب يوم ابرزت المذاكي من النقع الغزالة في مسوح
غداة كأنما العاصي احمراراً من الدم عبرة الجفن القريح

وجاء في كتاب الدليل الازرق لمؤامرة ان هذه المعركة حصلت عند ضيعة تدعى إنب في سهل الروج وفي خطط الشام للاستاذ كرد علي ج ٢ ص ٢٣ ان إنب هذه من اعمال اعزاز . على ان اوصاف القصيدة تنطبق في الغالب على عتاب القريبة من فامية والعاصي بينما إنب الروج او تذب اعزاز بعيدتان عنهما .

جامع التواريخ

— أو —

« نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة »

— ٣ —

حدثني عبيد الله بن محمد بن عبد الله الأهوازي قال حدثني ابو الفضل
البلخي الفقيه قال حدثني الخليل بن احمد السجستاني قاضيا قال قدم علينا
صاحب جيش خراسان من قبل نصر بن احمد ومعه خلق عظيم من الجيش
فلما سجدوا واكثر أصحابه الفساد في البلد وامتدت أيديهم الى النساء في
الطرق قهراً . قال فاجتمع الناس اليّ والى فلان الفقيه وقد ذكره البلخي
وأنسبته انا وشكوا الحال فضينا معهم الى صاحب الجيش فدخلت اليه انا
والفقيه وجماعة من رؤساء البلد وكان المبتدي بالخطاب الفقيه فوعظه وعرفه
ما يجري قال فقال له يا شيخ ما ظننتك بهذا الجهل معي ثمانون الف رجل نساؤهم
بخاري فاذا قامت كيف يصنعون ؟ ينفذونها بسفاح الى حرمهم ؟
لا بد لهم ان يضعوها فيمن هاهنا كيف استوى لهم هذا الامر فلا يمكنني (١)
افساد قلوب الجيش بنهيم عنه فانصرف . قال فخرجنا . فقالت لنا العامة

(١) كذا بالاصل .

ايش قال الامير قال وأناد عليهم الفقيه الكلام بعينه فقالوا هذا القول منه فسق وامر بالفسق ومكاشفة بمصية الله تعالى فهل يحل لنا عندك قتاله بهذا القول؟ فقال لم الفقيه نعم قد حل لكم قتاله قالوا: فتأذن قال: نعم. قال فبادرت العامة وانسلنا من الفتنة فلم نصل المغرب من تلك الليلة وفي البلد احد من الخراسانية. قال: لانه اجتمع من العامة من لا يضبط عدده فقتلوا خلقاً عظيماً من الخراسانية واستحرق القتل فيهم ونهبت دار الامير وطلبوه ليقتلوه فافلت على فرسه ومعه كل من قدر على الحرب ومضوا على وجوههم فما جاءنا بعدم جيش من خراسان اصلاً.

حدثنا محمد بن عبد الله بن محمد بن مهرويه المعروف بابن ابي علان قال حدثني ابن ابي القاسم قال كنت اكتب لعبيد الله بن الحسن بن يوسف على كور الأهواز فكتب علي بن عيسى بطلبنا بالحساب فتقدم الى ابي احمد عبيد الله بن الحسن بعمله وبالحروج للموافقة عليه وذلك في سنة ٣٠٦ قال: فجمعت الحساب وحملت (١) جماعة (٢) لسنة ٣٠٥ بارتضاع مال الخراج بالأهواز وكورها سوى الضياع فكان مبلغ ذلك ستة عشر الف وثمانمائة الف درهم وكسرها وكسرها قد صبح في الاستخراج ولم يبق للسلطان الا نيف واربعين (٣) الف درهم قال فكان مال الضياع يقارب هذا الا انه لم يكن في حسابنا.

(١) لعله وحملت وعملت. (٢) قال في مفاتيح العلوم: الموافقة والجماعة حساب جامع يرفعه العامل عند فراغه من العمل. (٣) كذا بالاصل.

حدثني عبدالله بن عمر الحارثي قال عجل عليّ الشيب فغمني ذلك وفكرت في ان أخضب لحيتي فتمت فرأيت في النوم كأنني أشاور طبيباً في خضاب فقال لي لا تحتاج الى خضاب ولكن أصف لك شيئاً يسود الشعر ويحفظ لونه ويمنع من السواد ان يبيض . خذ دهن الزرجيل العتيق وزن خمسة دراهم ومن الاهليلج الأصفر وزن نصف درهم ومن النوشادر وزن دائق واسحق الجميع ودفه بالدهن حتى يختلط واطل به الشعر فانه يسود . فانتبهت وقد حفظت ذلك فعملته فاسودّ شعري وتأخر الشيب غني دهرًا طويلاً .

وحدثني قال كنت في شبابي أمتنع بالجوارى والماليك فكان العزل يشغل عليّ جداً فاشتريت جارية بدنانير كثيرة وكنت أخاف ان تحبل فيذهب ثمنها فتمت مشغول القلب بذلك فرأيت قائلاً يقول اذا أحببت ان لاتحمل المرأة فخذ نجماً واسحقه واعجنه بلبن فرس وجففه واجعله في كيمخت (١) وعلقه على المرأة فانها لاتحبل فقلت له ما سمعت هذا من طبيب . قال : ان أحببت ان تمنح صحة ذاك فخذ هذا الدواء واجعله في قارورة ماء واجعلها على النار واوقد تحتها فانه لا يغلي ولو مكث سنة قال وانتبهت وأوجرت ذلك فوجدته صحيحاً .

وحدثني ايضاً الحارثي قال حدثني ابي وكان يخدم في دار الموفق والمعتضد بعده . ان المعتضد أراد ان يشهد على نفسه العدول في كتاب صدره (١) نوع من الجلد مأخوذ من كفل الفرس أو الحمار ومدبوغ دباغة خاصة :

(هذا ما شهد عليه العدول جميعاً ان امير المؤمنين عبد الله ابا العباس المعتضد بالله اشهدهم على نفسه في صحة منه وجواز امره) وعرضت النسخة على عبيد الله ابن سليمان فضرب عليها وقال هذا لا يحسن كتبه عن الخليفة اكتبوا (في سلامة من جسمه واصابة من رأيه) .

قال لي الحارثي استهديت من صديق لي نبذاً فانفذ اليّ نبذاً حامضاً فرددته عليه وكتبت اليه الجيران : أحق بهذا من الاخوان . ووصف لنا مرة نبذاً طرياً شربه فقال هو دواء الفهم عمل من ثمر البلاذر اي هو لا يسكر لضعف فعله .

حدثنا ابو الفتح عبد الله بن محمد البرودي الكاتب قال حدثني بعض شيوخ الكتاب قال (١) قال ابن الفرات لابي منصور بن جبير كاتبه ايما أكفا (٢) انا و علي بن عيسى فقال الوزير اكفا واضبط قال دعني من هذا قال توأمني قال قد امتنك قال علي بن عيسى اذا حضر بين يدي الخليفة فاراد ان يكتب سرآ له لم يحتج الى غيره وكتب هو ونحاه وختم وخرط (٣) بيده وانفذ العمل وانت لا بد لك من زنجبي ولوطي صاحب دوانه فيطيل (٤) الامر بظهور اثنين عليه قال فضلت علينا علياً؟ قلت لا والله ياسيدي ولكن يكون علي بن عيسى كاتبك .

(١) كتاب الوزراء لهلال ص ٦٣ . (٢) الصواب أينأ أ كفى .

(٣) يعني : جعل في الخريطة . (٤) لعله : فيبطل . والعبارة عندهلال غير هذه .

حدثني عبد الله بن محمد بن داسه ان ابا القاسم البريدي ايام تقلده الامر بالبصرة شرب يوماً وعنده جماعة من ندمائه فافتقد قحف بلور كان معجباً به وطلبه الشرايية فلم يعرف له خبر فحلف انهم ان لم يحضروه ضربهم بالمقارح فقال له احدهم لا تعجل ولكن امر (١) باحضار كل من كان البارحة حاضراً فأمر باحضارهم فجلسوا وأنفذ الغلام الى منزل كل واحد منهم برسالة منه أن انفذوا القحف البلور الذي تملكته اليكم البارحة فعاد احد الرسل من دار احدهم ومعه القحف فافتضح ذلك النديم وسقط محله . وهذا مضاد لما حكى عن بعض الاكاسرة انه كان يشرب فوقعت عينه على غلام من غلمانه وقد سرق صينية ذهب مع ما فيها وحملها فأمسك الملك وفاز بها الغلام فافتقدها الخزان من الغد وجاؤا في طلبها فدعاهم وقال لا تتبعوا في طلبها فقد اخذها من لا يردها وراه من لا ينم عليه قال فأمسكوا فلما كان بعد سنة كان الملك يشرب فدخل ذلك الغلام عليه فرأى عليه منطقة ذهب حسنة فقال له الملك سرأ هذا من ذلك فقال نعم . فقال ان كان ما عندك من تلك الدنانير التي من الصينية قد نفذ فعرفني لا دفع اليك أخرى .

وحدثني قال وحدثنا ابو الحسين احمد بن الحسن بن المثنى قال لما قدم حامد بن عباس الابلّة يريد الأهواز وهو وزير خرجت لتلقيه فرأيت له حراقة ملاحوها خصبان بيض وعلى سطحها شيخ يقرأ القرآن وهي مظلمة مسترة .

(١) يعني : امر .

فسألت عن ذلك فقالوا هذه حراقة الحرم لا يجسن ان يكون ملاحوها
فحولة .

قال وقال لي ابو الحسين دخلت الى ابن الجصاص في داره ببغداد فرأيت
خصياناً بيضاً مزينين .

قال حدثنا ابو الحسين قال رأيت لابي العيناء خادمين خصيين أسودين
يقودانه فقيل له كيف اتخذت خصيين أسودين فقال حتى لا يتهما بي ولا
أتهم بهما .

وحدثني قال حدثنا ابو الحسين قال قدم ابو العيناء البصرة في سنة نيث
وثمانين بعد الغيبة الطويلة التي غاب عنها وخدمته للخلفاء والوزراء بسر من رأى
وكان ابو خليفة اذذاك عالم البصرة بالحديث والأخبار واللغة والنحو ومحمد بن
جعفر بن بسام قاضيهما وكان له محل من الادب واللغة والشعر كبير وكنت
منقطعاً اليه ملازماً له أدرس عليه الفقه فكان اول من اثنمني ورفع
شأني . فقال لي يا ابا الحسين قد قدم ابو العيناء وأحب ان أجمع بينه وبين
ابي خليفة وننظر اثرهما (١) فقلت عليّ ذلك فقال مضيت ولقيت ابا العيناء
وعقدت عليه وعداً للمضور عند ابن بسام وعلى ابي خليفة فاجتمعا فأخذ ابو
العيناء في الرواية عن الأصمعي ومشاهداته مع المتوكل وابن ابي دواد وفلان

(١) لعله : آثرهما أي أفضلهما .

وفلان والشعراء قال فاسكت ابو خليفة فلم بنجرته معه ولم يلحق به قال فائتينا على ابي العيناء وقرظناه فقال يا أيها القاضي انا لا أنسى ما كنت أحفظه منذ اربعين سنة .

وحدثنا ايضاً قال حدثني ابو عبيد محمد بن علي الاجرّمي قال كنت عند ابي العيناء لما قدم البصرة سنة نيف وثمانين بتسبيبات له على عمالها وكان معنا أصحاب الحديث فقبل له قد دخل اليك ابن المثنى فقام وقدّر ان ابا علي الحسن بن المثنى قصده فقال له بعض الحاضرين انه احمد بن الحسن بن المثنى فجلس قيل ان يقرب منه ابو الحسين ثم استدنا (كذا) ابا الحسين واكرمه وسأله عن خبر ابيه (١) .

. فقال لي لأدري كنت يوماً في مجلس موسى بن اسحاق القاضي بالبصرة وقد اجتاز بنا وكان أصحاب الحديث حضوراً وكان موسى لا يطلق (٢) ان يدخل مجلسه غلام أمرد ليسمع الحديث فحين رآه موسى صاح يا غلام أخرجه فقلنا له اعز الله القاضي هذا ابن اخيك ابي علي بن المثنى قال فرفعه وقدمه .

وحدثني قال حدثني ابو الحسين قال لما نشأت كتّبت ابو حازم القاضي الى ابي يقول انه قد بلغني انه قد نشأ لك فتى يطلب العلم ومن حاله وصفته .
(١) يظهر ان أواخر الحكاية قد سقطت مع أوائل حكاية أخرى . (٢) لعل لا يطيق

(قال وقرظني) فانفذته اليّ لأقلّده القضاء قال فقال لي ابي ما تقول فقلت فانفذني فانك هو ذا ترى مانحن فيه من الإيضاعة فلعلني اتسع بالارزاق (١) فان الاعمال نفني والصيانة تبقى .

وحدثني قال حدثني بعض شيوخنا ان ابا العيناء قد قصد دار الوائقي وهو الامير بالبصرة اذذاك فأجاس في الدهليز ساعة الى ان استوذن له وجرى الحديث فقال رجل في حديث اقتضى ذلك يا ابا العيناء انت صائم اليوم فقال اما في هذه الدار فنعم فكاتب صاحب الخبر الى الوائقي بذلك فأذن له في الحال واعتذر اليه من إحلاس البوايين له في الدهليز وانكر ذلك عليهم .

قال واجتمع ابو العيناء وابو النضير (٢) يوماً في مجلس فاستطال عليه ابو العيناء فقال له ابو علي : نحن جميعاً ضريران فما هذا التطاول فقال ولا سواء انت من عميان العصا وانا من عميان المراكب (٣) .
(بحث صلة)

(١) يظهر انه سقط ما معناه : فقال ابي لا تفعل .

(٢) لعله : ابو علي البصير الذي اسمه الفضل بن جعفر .

(٣) لعله : المراكب .

آراء وأفكار

— (١) —

ملاحظات لغوية

نشر لي المجمع العلمي العربي في مجلته م ١١ ص ٦٩١ - ٦٩٧ فصلاً فيه ملاحظات على طائفة من الفضلاء الذين يكتبون فيها ، وبدا له فعلق على موضعين منه تعليقا وجيزا ، ثم فقى عليه كبير ككتاب العصر الأثير شكيب أرسلان فوافق على كل ما جاء فيه عدا كلمة واحدة استوقفته فاستفهمني عنها وتفاضاني عليها شاهداً يوثق به . وقد سمعت ما عندهما فأحب أن يسما ما عندي ، ورأيتما الموفق !

فأما ملاحظتنا للمجمع فأولاهما أن أدبياً باحثاً ذهب في فصل كان يتحدث فيه عن الجاحظ الى أن العرب كانوا يقولون في الفرس السابق « يلحق الغزال ويسبق الظلام » فأخذت عليه قوله يسبق الظلام ونقبت أن يكون لسبق الفرس الظلام مفهوم في الكلام وقالت إنما كانت العرب تقول يسبق الظلم وهو الذكر من النعام وعززت قولي بينات من اللغة والشعر يغني الرجوع اليها عن إعادتها ، فعلق المجمع على شطرنج قولي من غير أن ينفذ الى الشواهد التي أفتتها على تأييده ونازعني في إنكاري أن يكون لسبق الفرس الظلام مفهوم ما وقال إن لذلك وجهاً وجيهاً ووثق رأيه ببيت للناطقة الديباني وهو قوله :
وانك كالليل الذي هو مدركي وإن خلت أن المتأى عنك واسع

ثم لم يزد عليه شيئاً

وأنا أتفحاهم في هذا الذي أذهب اليه الى النص وسياقه والى المنطق والى العرب ثم علماء الأدب فيما فهموه من هذا البيت . فأما النص فإنه — كما قلت أول مرة — من كلام ابن شرف القيرواني في رسالته الانتقاد ، وهو يتحدث عن محترعات امرئ القيس

في الشعر ، وهو قوله « كانوا يقولون في الفرس يلقي الغزال والظلم حتى قال قيد الاوابد » أي الوحوش ، وقد طبعت هذه الرسالة ثلاث طبعات : في الأوليين منها « الظلم » وفي الثالثة « الظلام » ويظهر أن الكاتب اعتمد هذه الطبعة الثالثة فقال ما قال من غير أن يتروى في السياق والسباق ، فأية علاقة في النص بين الظلام وبين الغزال والأوابد ؟ لا شك أن ائتنا في هذا من الشدة بحيث لا يمكن أن يجمع بينها المعنى الذي قصد اليه ابن شرف كيفما حاول التعلل أن بلانم أو بوانم أو يلاحم ، انما يستقيم المعنى بالظلم . . . وبالظلم وحده ليس غير . وللزيادة في تأكيد أن هذا اللفظ هو الشابت نذكر أن ممن تعرض له ايضاً ابن رشيق سبغ قراضة الذهب وبعض شراح ديوان المتنبي عند قوله « أجل الظلم وربقة السرحان » وقوله « وعقلة الظبي وحشف التنفل » فقد اشاروا جميعاً الى أن المتنبي قد احتذى امرأ القيس في « قيد الاوابد » الذي اشار اليه النص الصحيح المتقدم من كلام ابن شرف ، غير أن المتنبي أنى بالمعنى في غير اللفظ وزاد زيادة جيدة فقال « أجل الظلم » وقال « ربقة السرحان » الخ وفي هذه دلالة قاطعة على صحة ما ذهبنا الى تصحيحه وعلى أن العرب من عهد امرئ القيس الى المتنبي والى ما لا ادري انما كانت تذكر في تفضيل سبق الجياد الحيوان والوحش من غزال وظلم وتنفل لا الظلام وما اليه . هذا النص ومؤبداته وأما المنطق فهو يرفض كل الرفض ماذهب اليه التعليق من « وجاهة » معنى سبق الفرس للظلام ، فانه من الوهم الذي لا يتحقق له وجود في الخارج إذ كيف يسابق الفرس للظلام وفي أي فلك يدور معه وبجاريه وفي أي مضمار يجول ويباريه ؟ ان هذا الذي يريد به التعليق ان هو الا إحالة ^(١) فاسدة لم يتعلق بها حتى المغروقون في المبالغات السخيفة ^(٢) من الشعراء المولدين .

واما بيت النابغة الذبياني فهو في وادٍ غير هذا الوادي وهو بعيد جداً ان يكون مؤيداً لهذا المعنى الذي يذهب اليه التعليق ، وتدع القول فيه الى ما فهمه منه فصحاء العرب ثم الرواة وأئمة الأدب لئلا تترك مجالاً للاعتراض والرد تارة أخرى :

عن جرير بن يزيد بن جرير بن عبدالله البجلي قال — كنا عند الجنيد بن عبد الرحمن بنجراسان وعنده بنو مرة وجلساؤه فلذاكروا شعر النابغة حتى أشدوا قوله « فانك كالليل

(١) [المجموع]

الذي هو مدركي ٠٠٠ البيت » فقال شيخ من بني مرة — وما الذي رأي (يعني النابغة) في النعمان حتى يقول مثل هذا ؟ وهل كان النعمان الا على منظره من مناظر الحيرة ؟ وقالت ذلك القيسية ايضا فاكثرت ، فنظر الى الجنيد فقال — يا أبا خالد ! لا يهولك قول هؤلاء الاعارب واقسم بالله لو عاينوا من النعمان ما عاين صاحبهم لقوالوا أكثر مما قال ولكنهم قالوا ما نسمع وهم آمنون . وانت ترى من إنكار الشيخ المري على النابغة قوله أنه انما فهم منه المبالغة في دعوى سعة^(١) ملك النعمان على حين أنه لم يكن الا على منظره من مناظر الحيرة فانكر عليه دعواه الكاذبة كما أنكرتها القيسية ايضا .

وقال العلامة الأديب عبد الرحيم العباسي في معاهد التنصيص يشرح البيت :
المتأى : اسم موضوع من اتأى عنه أي بعد ، وشبهه بالليل لأنه وصفه في حال سخطه وحوله ، والمعنى : انه لا يفوت الممدوح وان أبعد في الحرب وصار الى اقصى الارض لسعة ملكه وطول يده ولأن له في جميع الآفاق مطيعا لأمره يرد المارب اليه .

ثم أورد اعتراضا للاصمعي على النابغة في تشبيهه الادراك بالليل بأن الليل والنهار قد تساويا فيما يدركانه وإنما كان سبيله ان يأتي بما لا قسم له حتى يأتي بمعنى منفرد . وقال : فلو قال قائل — ان قول النخيري في ذلك أحسن منه — لوجد مسانغا الى ذلك حيث يقول :
فلو كنت كالعنقاء أو كسموها خلطتك الا أن تصد تراني

ثم أورد العباسي في معنى بيت النابغة أشباها كثيرة في وصف سبق الفرس من شعر ابن جبلة وسلم الخاسر والمجترى وابن هاني الاندلسي وأبي العرب الصقلي وكلها يدل على غير ما ذهب اليه صاحب التعليق في تفسير بيت النابغة ! !

وثانية الملاحظتين أنني صححت كتابة (عري) جمع (عروة) بالألف (عرا) بناء على قاعدة البصريين في إرجاع الكمات الى أصولها ، فغالفتي الجمع وقال « بل الاصح أن تكتب بالواو (هكذا في الطبع وهو يريد بالياء) بناء على قاعدة الكوفيين كما كتبوا الضحى والخطي » انتهى . وأنا لا أعلم ما الذي يجعل قاعدة الكوفيين أرجح في نظر الجمع على حين أنها قاعدة شاذة عن المقاييس العلمية ليس لها أصل معقول تحول اليه ! وحياة اللغة إنما تستمر باصطناع المقاييس المطردة التي جرى عليها البصريون ومن هنا نحوم في

(١) [الجمع] أو في دعوى سرعة اللحاق والإمدراك .

تأصيل الأصول القياسية من فلاسفة اللغة وأهل البيان ، وشذوذ من المجمع أن يرجع الشاذ على المقيس من غير مرجع لديه ويرجع بالأصول اللغوية الى طور السذاجة قبل أن يتناولها الاستقراء العلمي ويجررها اليبحث الفني . على أنني كنت أحب للمجمع . وهو القائم على تهذيب اللغة في هذا العصر العتيق أن يتجاوز حتى قاعدة البصريين التي هي أننى للغلط الكتابي الذي يضح منه العالمون والمتعلمون من قاعدة الكوفيين الجامدة البليدة الى أفق أوسع ومجال أرحب فيدعو الى كتابة الباب « كاه » بالألف حملاً للخط على اللفظ سواء كانت الألف ثالثة أو فوقها ولومقلبة عن ياء في علم أو غيره ، لترجح ونسريح من الشكوكي المريرة من صعوبة قواعد الكتابة العربية التي لايسلم أكثرها من تنطع وبلادة وجمود . والمجمع لايجعل أن هذا الذي أريده قد مشى عليه جماعة من النخاة منذ عهد عهيد ووجهوه بأنه القياس وأنه أننى للغلط ، وهو تحليل صحيح بدل على سمو في الفكرة ودقة في النظرة فأننا أدعو الجماعة العاملين على إحياء العربية الى مشاركتي في هذا الرأي ونشره بين الناس في المدارس وفي الصحف فان في ذلك تخفيفاً كبيراً من عبء اللغة على المتعلمين وخيراً كثيراً . وأما ملاحظة العلامة الأمير شكيب أرسلان (المجمع م ١٢ ص ٢٤٩) فعلى كلمة جنح بمعنى جناح في مثل وهو قولهم « ركب جنح نعامه » كنت اوردته شاهداً على ان النعام ذكره وأنتاه هو الموصوف عند العرب بالخفة وسرعة الجري وشدة الحذر . فالأمر يعترض على استعمال الجنح ويرى أنه غير الجناح ويقول « لا أزال أحفظ أن البازجي الكبير في مقاماته استعمال الجنح بمعنى الجناح مضافاً الى الطائر فأخذ عليه في ذلك أحمد فارس صاحب الجوائب » ثم هو يتقاضاني أن أدلي له بنص أو شاهد يوثق به على ورود جنح بمعنى جناح مضافاً الى الطائر . وجوابي له أنني نقلت هذا المثل بهذا اللفظ من كتاب حياة الحيوان^(١) مع علمي بأن الوارد في القاموس المحيط وفي كتب الأمثال إنما هو جناح ، وطلة ذلك أنني أعتقد أنه لا فرق بين الجنح والجناح بدلالة مفاهيم عبارات اللغويين وجنوح الأدباء وعامة الناس في مصر والشام والعراق الى استعمال ذلك بمعنى هذا . فأما عبارات أهل اللغة فقد جاءت متعددة غالباً في الجنح والجناح فن معانيها معاً : الكتف ، والناحية ، والجانب ، فاذا أردنا جانبي الطير أو الانسان أو الجيش فلماذا يصح أن يقال جناحه ولا يصح^(٢) أن

(١) طبعة مصرية . (٢) [المجمع] لان اللغة نقل .

يقال جنها على حين أنها يدلان على شيء واحد دلالة واحدة وهي « الجانب » ؟ فان قيل إن الجناح بمعنى الجانب مجاز كما في قوله تعالى « واخفض لها جناح الذل من الرحمة » . قلنا : وكذلك قَوْلُ العرب « أناخ فلان عند جنح سبيل » أي جانبه ، و « بات بجنح القوم » أي كنفهم . ولا بد لكل مجاز من حقيقة بنقل عنها ، فإذا اعتبرنا حقيقة الأول هي جناح الطائر فما عسى أن تكون حقيقة الثاني ؟ لاربيب أن اتحاد اللفظين في معانيهما المجازية دليل على اتحادهما في حقيقةهما أيضاً غير أن حقيقة الجناح أمنت لسبب من الأسباب وحقيقة الجناح استمرت في الاستعمال . وقد قالت العرب سيفه كلبات مثلها « نجح ونجاح ، وصبح وصباح ، ومسي ومساء » وغيرها ، فلماذا لا يكون الجناح على هذا القياس ^(١) ؟ ولم كل هذا التشجير ومعاجم اللغة لم تدون كل مفردات اللغة ؟

وإذا تخلفنا من قيود الجود على ورد ولم يرد استوفقنا إطباق أكثر أهل البلاد العربية على استعمال هذين اللفظين بمعنى واحد في حقيقة واحدة ، فنضرب بذلك كله عرض الحائط ولا نعبره أقل اهتمام ؟ هذا اليازجي ^(٢) الكبير قد رأى جواز استعمال هذا اللفظ بمعنى ذلك فاستعمله ، وتلك الطبعة المصرية لحياة الحيوان تستعمله كذلك ، وهذه أبيات من الشعر العراقي ^(٣) فرأيتها في كتاب العقد المفصل ج ١ ص ١٧٧ و ج ٢ ص ٣٤ وهي صريحة في استعمال الجناح بمعنى الجناح .

وهو للمؤمنين يخفض جنها دون أدنى محله الجوزاء

أهون بأحداث الزمان وإن تكن لعظيم إبطال الزمان تبير
قد فاجأته في الرضاع وقلبيها فزعاً بجنح الرعب منه بطير
وقد استرأينا في هذا فاضلين كبيرين من أعيان العصر في الشعر وفي النثر فوافقاني
على ما ذهبت إليه في غير تلكو وبعد هذا قد ذهب وهم العلامة الأمير إلى أنني استشهدت
بقول الشاعر الحماسي :

كأن يصحوا المرابط نعمة تبادرها جنح الظلام نعائم

(١) [المجمع] لأنه لا قياس في اللغة . (٢) [المجمع] !!

لأثبت صحة جنح بمعنى جناح . . . وليس كذلك فأنا انما استشهدت به وبما قبله وبعده
لأثبت صفة سرعة الجري للنعام ذكره وانشاء ليس غير ، وأما موضوع الجنح والجناح
فلم أكن بسبيله وإنما أناره الأمير . عليه مني تحية طيبة مباركة .

بغداد : محمد بهجة الأثري

من أعضاء المجمع العلمي العربي

(المجمع) لعل القاري بعد ان استطال كلام الفاضل الأثري يريد ان يعرف
النتيجة الصحيحة من هذه الابحاث الثلاثة فنقول :

(١) ان العرب كما يصفون الفرس بانه يسبق العظيم يصفونه ايضا بانه يسبق الظلام
بدليل ما نقل عن الجاحظ وبدليل قول النابغة : (فانك كالليل الذي هو مدركي)
فهو يقول للنعمان انك تدركني وتبطش بي أني فرت كما أن من رأى اول الليل
مقبلاً من جهة الشرق فحيل اليه انه اذا فر منه ينجو فلا جرم انه لا ينجو بالفرار بل ان ظلام الليل
يدركه افي سار .

(٢) الكوفيون من علماء اللغة اقوالهم مرجوحة سوى مسائل معروفة رجحت فيها
آراؤهم من ذلك ككتابة (عرى ونحى وخطى) بالياء وان كان أصلها واواً وكثيراً ما كانت
الفصاحة في استعمال الشاذ — كفعل (استحوذ) مثلاً فان الفصح فيه ان يقال كما قال تعالى :
(استحوذ عليهم الشيطان) وان كان اصل القاعدة (استحاذ) .

(٣) ما قاله الامير شكيب من ان كلمة (جنح) لم ترد بمعنى جنح الطائر في نصيب
كلام العرب ولا في معاجم اللغة المعتمدة — هو الصحيح ولا يجوز جعل (طبعات) الكتب
وشعر المتأخرين وإطباق الرأي العام — براهين على صحة دعوى لغوية ما لم يؤيدها النقل
الصحيح من أئمة اللغة المثبتة اقوالهم في المعاجم المشهورة .

(٤) يبقى مجمعا علمي متمسكاً بما قرره الاقدمون من قواعد اللغة العربية ويجب من
وفاء الذم ان ينبه الى ما وقع من الخطأ في تلك القواعد حتى اذا تسرله تنفيذ خططه في
اصلاح اللغة وتهذيب قواعدها واهلن ذلك على الملأ كان له اذ ذاك ان بغضي عن الاغلاط
معا خالفت آراء المتقدمين ما دامت موافقة لخططه وطرائقه .

نموذج من الكلمات الصليبية

قلت في مقالتي (الكلمات الايوبية) المنشورة في مجلد هذه السنة ص ١٥١ ان التويري ذكر في كتابه (نهاية الأرب) ان الشاميين اقتبسوا من الأفرنج كلمة (مفصولة) ويريدون بها الأرض التي يعطيها الأمير صاحب الاقطاع الى بعض اتباعه مقابل شيء معلوم يؤديه في السنة وان مفصولة مشتقة من الفصل . ثم نقلنا عن بعض فضلاء مصر المعاصرين ان الفصل معربة عن كلمة Vassal الافرندية بالمعنى المذكور ثم قلت ينبغي لنا ان نتبع هذه الكلمات الصليبية ويوشك ان نعث منها على طائفة صالحة . وقد اتفق لنا ان كنا نصحح كتاب (الدارس في المدارس) مع بعض اخواننا من اساتذة المجمع فر معنا في ترجمة السلطان صلاح الدين قوله بعدد أعمال السلطان في بيت المقدس (وعمل للشافعية المدرسة الصلاحية وكان موضع كنيسة على جسد حنة اي على قبر حنة ام مريم عليها السلام اه) فرأينا العبارة قلقة من جهتين (١) من جهة قوله ان السلطان بنى المدرسة على جسد حنة ولم تبحر العادة بأن يقال هذا (٢) ان النعماني مؤلف الدارس فسر الجسد بالقبر مذ قال (اي على قبر حنة) وهذا غير سائغ . فراجعنا تراجم صلاح الدين فاذا صاحب الفتح القسي وصاحب الروضتين يقولان ان السلطان صلاح الدين اراد ان يبني مدرسة للشافعية (فعين لها الكنيسة المعروفة بصند حنة) فلم يقولوا (جسد) وانما قالوا (صند) فاحدى الكلمتين محرفة عن الاخرى واحدهما وهي (جسد) لما معنى في اللغة والاخرى وهي (صند) لامتعى لها اصلاً ومع هذا رأينا أجهل الكلمتين وانكرهما في العربية هي المقصودة والمرادة هنا : وذلك ان كلمة (صند) كلمة صليبية اخذها عرب سوريا عن الأفرنج الصليبيين . وهؤلاء يقدسون السيدة حنة ام مريم عليها السلام فلا يذكرون اسمها مجرداً عن لقب الشكريم بل هم كلما ذكروها قالوا (سنت حنة) (سنت حنة) ومعنى سنت (Sainte) في اللغة الافرندية القديمة فكان رجال السياسة في العهد الصليبي يسمعون كلمة (سنت) بمعنى القداسة منهم . ومن هؤلاء الرجال (العماد الكاتب) اكبر رجال صلاح الدين وكتابه ومؤرخي دولته وهو مؤلف كتاب (الفتح القسي في الفتح القدسي) وقد وصف لنا فيه كيف بنى صلاح الدين بيت المقدس . فلا غرو اذا قلنا انه كان يسمع الأفرنج يقولون (سنت حنة) ولما اراد ان يذكر لنا ان صلاح الدين

بني المدرسة الصلاحية قال انه بنساها على (سنت حنة) يعنى القديسة وانظر لما ذا لم يقل القديسة بدل (سنت) ؟ ثم ان العرب يتلاعبون بالألفاظ الفرنجية ويحذّبونها الى مناحي لغتهم واوزان كلماتهم فعربوا كلمة (سنت) الى (صند) بقلب السين صاداً والتاء دالاً . وهذا الابدال كثير في الكلمات العريقة في العروبة فما بالاك في الكلمات الدخيلة الامجمية . والحاصل ان العاد الكاتب قال (صند حنة) ونقل العاد عن مؤلف (الروضتين) وهو قريب العهد بالزمن الصليبي فقال ان السلطان بني المدرسة على (صند حنة) وبعد نحو ثلاثمائة سنة ألف الشيخ النعمي (المتوفى سنة ٩٢٧ هـ) كتابه (الدارس) وخلص كلام المؤرخين المذكورين وقال ان السلطان عمل للشافعية المدرسة الصلاحية وكانت موضعاً للكنيسة على (صند حنة) وقد ظن النعمي ان معنى كلمة (صند) الافرنسية (قبر) ففسرها بقوله (اي على قبر حنة) ثم تعاور النساخ كتاب الدارس ولم يفهموا كلمة (صند) فرجموا أن تكون محرفة عن (جسد) وهكذا كتبوها (جسد حنة) فكلمة (صند) كلمة صليبية يعنى ان العاد الكاتب وغيره من عرب الشام في ذلك العهد اقتبسوا في كلامهم كلمة (سنت) بعد ان عربوها بصند . بل وجد في الكتابات العربية الباقية من آثار العرب في جزيرة صقلية (سبيليا) ما يفيد انهم كانوا يستعملون كلمة صند بمعنى القديسة ولكن يكتبونها هكذا (صنت) بالتاء لا بالدال . والاندرلسيون يلفظونها بالشين فيسمون مدنيهم (شنت مربة) (شنت ياقب) الخ وقال ياقوت اظنها بمعنى البلدة او الناحية لانها تضاف الى عدة اسماء . وليس كما قال .

ويمكن ان نضم الى كلمة (صند) الصليبية كلمة أخرى مثلها وهي كلمة (كُند) بضم الكاف وسكون النون وهي لقب شرف بمعنى أمير فان كتاب العرب منذ العهد الصليبي ادخلوها الى لغتنا العربية اقتباساً من لغة الصليبيين ففي ص ١١٠ من كتاب نهاية الأرب للنويري ذكر ان الملك المنصور قلاوون كتب (او كتب كتابه عنه) الى ملك اليمن كتاباً وصف له فيه بعض وقائع الحروب الصليبية وقد جاء في كتابه قوله (والرغبة الى الله ألا تشق لدينا الا اكباداً ككناد . ولا تحزن غير شعور ملوك الفتر الخ) فقوله (اكناد) جمع (كُند) وكند معرب كونت (Conte) الافرنسية ومعناها أمير (راجع مجلة المجمع ص ٨٦ من هذه السنة) وتاء (كنت) او (كونت) قلبت دالا في العربية كما قلبت تاء

(سنت) دالاً ايضاً مذ قالوا (صند) . وقلب التاء دالاً لقرب مخارجيهما أمره استفيض
 في كلمات اللغة مثل (أعتدت متكاً وأعدت) و (سَبَدَ شعره وسبته) و (مرّت
 الجلد ومرّده) و (مدّ الحبل ومته) الخ . أما قلب السين صاداً على نمط ما وقع في (سنت
 وصند) فكثير ايضاً في كتب اللغة حتى كاد بعضهم يزعم أن كل سين في كلمات اللغة
 العربية يجوز قلبها صاداً وبالعكس . ولكنهم لم يسلوا هذا للقائل . وإنما هم قالوا بكثرته
 فقط .

المغربي



من نوادر المخطوطات
« في دار الكتب الظاهرية »

- ٥ -

ذيل تاريخ بغداد^(١) : تصنيف محب الدين محمد بن محمود المعروف بابن النجار البغدادي المتوفى سنة ٦٤٣ قال صاحب كشف الظنون : وهو ذيل عظيم على تاريخ بغداد جمع فيه فاعى يقال انه يتم في ثلاثين مجلداً ورتبه كالطبقات . الموجود منه المجلد العاشر فقط في ٤٦٠ صفحة كبيرة أوله : ترجمة عبد المغيث بن زهير المتوفى سنة ٥٨٣ وينتهي الى ترجمة علي بن الحسين الاسكاف [رقم ٤٢ التاريخ]

ذيل طبقات الحنابلة : تأليف زين الدين عبد الرحمن بن احمد المعروف بابن رجب الحنبلي المتوفى سنة ٧٩٥ وهو ذيل على طبقات الحنابلة لابن الحسين محمد بن محمد بن الحسين ابي يعلى الحنبلي المعروف بابن الفراء المتوفى سنة ٥١٦ وانهى فيه الى سنة ٥١٢ وهذا الذيل وصل فيه الى سنة ٧٥٠ الموجود منه نسختان [رقم ٦٠ و ٦١ التاريخ] .
سيرة احمد بن طولون : تأليف ابي احمد عبد الله المدني البلوي وقال صاحب كشف الظنون انها لأحمد بن يوسف بن الداية المتوفى سنة ٣٣٤ . أولها الحمد لله خالق السموات والارض وما بينهما من الآيات على حكمته الشاهدات على قدرته الخ نسخة في ٢٥٠ صفحة متوسطة كتبت بخط قديم يرجع الى القرن الرابع [رقم ٢٤٢ التاريخ] .

(١) جاء في كشف الظنون ما نصه : قيل أول من صنف لبغداد تاريخاً احمد بن طاهر البغدادي وتلاه ابو بكر احمد بن علي المعروف بالخطيب البغدادي المتوفى سنة ٤٦٣ فكتب على طريقة المحدثين جمع فيه رجالها ومن ورد بها وضم اليه فوائد جمعة فصار كتاباً عظيم الحجم والنفع اه . وقد طبع التاريخ للمرة الأولى بنفقة مكتبة الخانجي بالقاهرة والمكتبة العربية ببغداد وصدر منه الى الآن ١٣ مجلداً .

- عيون التواريخ — تأليف صلاح الدين أبي عبد الله محمد بن شاذان الكشي المتوفى سنة ٧٦٤ رتبته على السنين وانتهى فيه إلى سنة ٧٦٠ ابتداء بسيرة النبي صلى الله عليه وسلم ثم سيرة الخلفاء الراشدين وجمهور الصحابة والتابعين وتراجم رجال الحديث النبوي ومراتب روايته وطبقاتهم وتراجم الصالحين والزهاد والأعيان والشجعان والكرماء والأدباء والشعراء والمغنين وغيرهم قسمه إلى حوادث ووفيات . الموجود منه سبعة مجلدات من نسخ مختلفة .
- (الاول) يشتمل على سيرة النبي صلى الله عليه وسلم إلى وفاته في ٣٢٠ صفحة متوسطة القطع كتب سنة ٨٨٨ بخط نسخ [رقم ٤٣ التاريخ] .
- (الثالث) فيه تاريخ من سنة ١٣٢ إلى سنة ٢١٧ هـ في ٤٢٠ صفحة متوسطة بخط نسخ [رقم ٤٤] .
- (الخامس) فيه تاريخ من سنة ١٢١ إلى سنة ١٤٣ هـ في ٢٠٠ صفحة صغيرة [رقم ٤٥]
- (الخامس) (من نسخة أقدم من المتقدمة) فيه تاريخ من سنة ٧١ إلى سنة ١٠٨ هـ في ٢٠٠ صفحة كبيرة [رقم ٤٦] .
- (الثاني عشر) فيه تاريخ من سنة ٣١٠ إلى سنة ٣٩٠ هـ في ٦٠٠ صفحة متوسطة [رقم ٤٨] .
- حسفي الكسم

مطبوعات حديثة

الضياء

« مجلة تسمى في ترقية الآداب العربية »

« في لكنؤ (الهند) »

— — —

كما ذاق كأس يأس مرير جاء كأس من الرجا معسول
وهكذا شأننا في الخوف على لغتنا العربية والحذر من ان تضعف وتتخاذل امام زحف
اللغات الاجنبية عليها وزمنة دسائسهم حوالها فليس العجب ان تنهض العربية في تونس والجزائر
ومراكش وانما العجب ان يسطع ضياؤها ويحقق لواؤها في بلاد الاعاجم : كانتشارها في
امريكا بواسطة ابناء العرب وغسان من اخواننا المهاجرين وانتشارها في جزائر جاوه بواسطة
الحضارة وكنهوضها اليوم في بلاد الهند بواسطة الغيورين من اساتذة معاهدها العلمية
والدينية : فقد انشأ هؤلاء الاساتذة مجلة علمية أدبية تعليمية اجتماعية ولغة الانشاء فيها هي
لغة مضر بما عهدناه من فصاحتها وناصع عروبتها (الاقليلا) . وان القائم بانشاء تلك المجلة
الاستاذ (مسعود عالم الندوي) تحت إشراف الاستاذين سليمان الندوي رئيس دار المصنفين
وتقي الدين الهلالي المغربي المراكشي . وقولم (الندوي) . نسبة الى جميعتهم المشهورة
في لكنؤ المسماة (ندوة العلماء) . وقد جاء مجمعا العلمي ثلاثة الاجزاء الأولى من تلك
المجلة فراقنا منها أولا (الاخلاص) الذي لحناء بترقرق خلال سطور ما يكتب فيها .
ثانيا (فصاحة العبارة) العربية التي تجل في ما يكتبه العلماء الهنود فيها . ثالثا (المقدرة
الصحافية) في جمع المواد وتبويبها وحسن إيرادها وجودة تنسيقها . ففي الجزء الأول
مقالان عن النهضة العلمية في الهند من الوجهتين الدينية والدينية وعلاقة ذلك باللغة العربية
التي ينظر اليها مسلمو الهند نظر تقديس وتعظيم . ومقال في فلسفة الأمثال . وآخر مناقشة مع

الأب (لويس شينغو) في ما كتبه عن (شعراء النصرانية) ومقال في شاعر الهند (محمد إقبال) ويظهر ان مسلمي الهند عاتبون علينا في التنويه بطاغور الهندوسي والاعجاب بشعره وشاعريته وإعراضنا عن ذكر شاعرهم (محمد إقبال) وترجمة اشعاره والتحدث بأخباره . ومن ثم عزموا في مجلته ان يترجموا من قصائده الى العربية الفصحى ويرووا لنا الفينة بعد الفينة نتفأ من آثار قلمه وبدائع حكمه . ولم يقتصروا على تقديم شاعرهم العظيم الينا بل هم بنوهون ايضا بشاعرته الهندية العظيمة (سروجنى نايدو) وقد اخبرونا ان شاعرته هذه قالت في شاعرهم (إقبال) في الحفلة التي أقيمت لتكريمه في لندره — انه (ملك شعراء آسيا) . ونشروا في الجزء الثاني : مقالاً ممتعاً عن (كيفية انتشار الاسلام في الهند) و (من هو الواضع لعلم الجبر والمقابلة) و (تأثير الاسلام في الشعر العربي) (ومناهج التعليم في اللغة العربية) وفي الجزء الثالث : (نشأة اللغات) و (شرف ابي الصلاء المعري بالمتنبي) و (المدرسة البادرائية بدمشق) و (احصاء المسلمين في العالم) وغير ذلك من قطع النثر والنظم القديم والحديث الهندي والعربي ويمكن ان يقال ان الهدف الذي ترمي اليه المجلة هو (١) احياء اللغة العربية بين مسلمي الهند فتقوى على مهاجمة اللغة الانكليزية . (٢) التقريب بين الأدبين العربي والهندي وتعريف أدياء الفريقين بعضهما ببعض . وهذان الغرضان لا يتأتان ما لم يعن بتعليم اللغة العربية في البلاد الهندية وهو امر يهتم به علماء الهند كل الاهتمام ويخشون من تقصيرهم فيه أن يضعف الاسلام وتقوى الشعوبية وقد أعرب عما قلناه كبير علماء الإصلاح في الهند (السيد سليمان الندوي) في المقدمة التي افتتح بها المجلة وكان فيها بين الرجاء واليأس : فهو يرجو نهوض اللغة العربية وآدابها بسبب كثرة مدارسها في الهند ثم يعود فيظهر القنوط مذ يرى التواء طرق تعليم تلك اللغة ويحض قومه على العناية باصلاح البرامج وحسن اختيار الاساتذة والمعلمين .

ونحنم تقريبظنا هذا باقتباس بعض ما قاله عن المدارس التي تعلم اللغة العربية في البلاد الهندية قال : « هذه بلادنا الهند فيها نحو ثمانين مليوناً من المسلمين وفيها نحو مليون من يفهم لغة القرآن ويعرفها وان لم تكن لم قدرة على التكلم بها . وتقدر مدارسهم العربية بالف ان صغارها وكبارها وطلبة العربية فيها نحو مئة الف او يزيدون : فان صقعا واحداً من اصقاع الهند ويعرف ببلاد البنغال يضم بين جناحيه ستين الفاً من طلبة العلوم العربية وتلامذتها وتجدد في

مدينة واحدة وهي دلهي عاصمة الهند نحو مئة مدرسة عربية بين صغيرة وكبيرة . أثارها (مدرسة جامع فقهيوري) واعمرها المدرسة الامينية . وتلقى في مدرسة واحدة وهي المدرسة العالية في (ديوبند) أكثر من ٥٠٠ طالب تدر على أكثرهم المدرسة رواتب شهرية تفي بما كلهم وملا بسهم ودع دار علومنا التي قامت بتأسيسها (ندوة العلماء) بلكنؤ فهي أحدثها عمراً . ولكل منها من المزايا مالا يخفى على ذي عينين « ثم قال ان هؤلاء الطلاب على كثرتهم بكم عن التكلم باللغة العربية وعاجزون عن الكتابة والخطابة فيها اللهم الاجابات سمجة في الفقه والمنطق وأول من تنبه لترقية اللغة العربية مدرسة (دارالعلوم) التي اسستها ندوة العلماء فنظمت التعليم العربي (وألفت معجماً شرحت فيه الكلمات الدخيلة والمعرية التي لا غنى عنها في فهم الجرائد والمجلات العربية) . وآثرت لتعليم الآداب العربية أساتذة من العرب مثل الاستاذ (الشيخ تقي الدين الهلال المغربي المراكشي) . والزمت طلاب العربية بالكتابة والانشاء باللغة العربية . وقد انتقل هذا الاهتمام بالعربية الى المدارس الأخرى كمدارس بنجاب والمدارس الانكليزية الرسمية وجوامع لاهور وإله آباد ولكنؤ وبننه وكلكة والكلية الشرقية بلاهور ومدرسة شمس الهدى (بننه) والمدرسة العالية (كلكتا) وخاصة (جامعة دهاكه) الانكليزية . وقد ارادت جامعتنا الاسلامية في (عليكره) ان تفتني أثر جامعة (دهاكه) في العناية باللغة العربية فعسى ان تثر مساعيها . واما (الجامعة العثمانية) بميدد آباد فهي أكثر الجوامع إنفاقاً على فرعها العربي وعناية بمستقبل خريجيه . ثم ان الكاتب الفاضل بعد هذا الرجاء المصقول عاد فعقبه بأسف وبأس : ذلك ان اللغة الانكليزية وآدابها وصحفها تكاد تخنق العربية وتأتي على المساعي التي تبذل في تعميمها قال (فذلك ما دعانا الى اصدار مجلة عربية دعوناها الضياء) ثم دعاها بالتوفيق ورجا من فضلاء بلاد العرب ان يمدوها بكل ما يحينها ويساعد على ثباتها .

وجمعنا العلمي يرحب بهذه المجلة ويباهي بجهود القائمين بها وبهذه النهضة المباركة في البلاد الهندية .

المغربي



مجلة الابحاث الشرقية

الجلد الاول ١٩٣١

Bulletin d'Etudes Orientales, Tome 1 1931

هي مجلة يصدرها باللغة الافرنسية المعهد الافرنسي في دمشق عوضاً عن مجلته السابقة .

Mélanges de la Section Scientifique des Arabisants de l'Institut d'Archéologie et d'Art Musulmans de Damas

وابحاثها كالسابقة : ابحاث علمية شرعية متنوعة يحررها اعضاء هذا المعهد بمؤازرة نخبة من علماء المشرقيات فترحب بالمجلة الجديدة ونرجو لها دوام التوفيق .

جعفر الحسني

هدايا كتب

مر في ص (٤٤٢) من مجلد هذه السنة أن قد انشئت في (حيدرآباد الدكن) من بلاد الهند لجنة بأسم (مجلس احياء المعارف النعمانية) تعنى بنشر مصنفات أئمة المذهب الحنفي القديمة مما لم يطبع الى اليوم وقد طبع بعض تلك الكتب واهدت اللجنة منها الى مجموعتنا كتابين : (١) شرح الصدر الشهيد على كتاب النفقات للخصاف وهو الذي جمع فيه مسائل النفقة وجعلها على اقسام منها نفقة الوالد على ولده ونفقة الام على ولدها ونفقة الولد على الوالد ونفقة ذوي الأرحام الخ وقد ألحق الكتاب بذيل ذكر فيه ترجمة كل من الامام الخصاف المتوفى سنة ٢٦١ هـ وشارح كتابه الصدر الشهيد (المتوفى سنة ٥٣٦ هـ) والكتاب لطيف الحجم في نحو ٥٦ صفحة وقد طبع في مطبعة (دكن لاريوت) في حيدرآباد .

(٢) كتاب العالم والمتعلم للإمام أبي حنيفة النعمان قال صاحب (كشف الظنون) يشتمل هذا الكتاب على العقائد والنصائح بطريق السؤاأل عن المتعلم والجواب عن العالم يقال رواه (ابومقائل) عن الامام الأعظم رضي الله عنه اه .

وأوله (ان الحمد لله حيلاً لا يموت وحمداً لا يطعم الخ وهو في نحو ٣٢ صفحة وقد طبع في المطبعة الحيدربية في (حيدرآباد) .

وتوجد نسخة مخطوطة من (كتاب العالم والمتعلم) في دار الكتب الظاهرية كتبت حديثاً . لكن في اولها مقدمة ليست في النسخة المطبوعة المهداة اليها من لجنة الهند وقد رأينا من تمام الفائدة نشر هذه المقدمة وهذا نصها :

« قال الشيخ الامام العالم الزاهد الورع القدوة العلامة رئيس الاصحاب مجد الدين عبد الرحمن بن عمران بن احمد بن هبة الله بن محمد بن محمد بن ابي جرادة قال :

أخبرنا الشيخ الامام نجم الدين ابو القاسم اسماعيل بن عبد السلام بن عبد الرحمن المغاني مدرس مشهد ابي حنيفة رحمة الله عليه بقراءتي عليه في مشهد ابي حنيفة بالجانب الشرقي من بغداد جبرها الله وذلك يوم السبت رابع صفر سنة ثلاث واربعين وستمائة قال أخبرنا صبح الدين ابو الحسن بن المبارك بن محمد بن يحيى الزبيدي بسماعه من ابي العلا حامد بن ادريس جماعة من ابي المعين ميمون بن محمد المكحولي النسفي بسماعه من ابي طاهر المهدي محمد الحسيني بسماعه من ابي يعقوب بن منصور السباري بسماعه من ابي الفضل أحمد بن علي بن عمر السليمان بسماعه من ابي سعيد حاتم بن عقيل الجوهرى بسماعه من الفتح حنيفة ابي علوان ومحمد بن يزيد بسماعهما من الحسن بن صالح عن مقاتل عن الامام ابي بن نعمان بن ثابت رحمة الله عليه قال الحمد لله حياً لا يموت الخ .

المفري

العلوم الطبيعية

عند إخوان الصفا



إخوان الصفاء هي جمعية علمية تأسست في البصرة في القرن العاشر الميلادي ، ولم يعلم على التحقيق الزمن الذي عاشت فيه ولا أسماء الأشخاص الذين تألفت منهم . لأن الذين كانوا ينتمون الى هذه الجمعية يرمون الى معرفة الحقيقة على حسب الطاقة البشرية وان كتمان اعضاء هذه الجمعية ساق كثيرين الى الزعم أن لهم غايات سياسية . ولكن اذا تصفحنا رسائلهم اقيمة التي نشروها مع كتم اسمائهم تيقنا ان الهدف الذي كانوا يرمون اليه انما هو إحصاء العلوم في ذلك الزمن .

وان اول الباحثين في هذه الجمعية هو العلامة الالماني المستشرق (ديتريسي) الذي أبان فضل هذا المجموع العلمي القديم وترجم منتخباً من كتبه ولا سيما ما يتعلق بالعلوم الطبيعية . وهو اول من نشر عن جمعية إخوان الصفا ايضاً في اللغة العربية . وفي مقدمة الكتاب الذي طبع في القاهرة عام ١٩٣٨ كلمة للدكتور طه حسين والعلامة احمد زكي باشا ، وكلاهما اشار الى ان هذه الجمعية نشأت في القرن العاشر ، ولكنهما لم يلمحا الى ماتحويه تلك الرسائل من الكنوز في العلوم الطبيعية .

والغرض من مراقبة الطبيعة عند هذه الجمعية هو التوصل الى الهدف الأسمى والغاية العليا التي هي معرفة الصانع والتقرب اليه بالكمال النفسي ، وهكذا نرى إخوان الصفاء يبدؤون بالعلم الأدنى الى ان يصلوا الى العلم الأعلى وهو العلم الآلهي .

واكبر حامل لم على البحث في العالم كله هو إدراك ماهية الانسان الذي هو ثمرة الطبيعة وتاج الخليفة ، واعتقادهم ان الانسان عالم صغير كما ان العالم انسان كبير فيقولون (ان

جميع السماوات السبع والأرضين وما بينهما جسم واحد بجميع أفلاكه وإن له نفساً واحدة سارية قواها في جميع أجزائها كسريان نفس الإنسان الواحد في جميع أجزاء جسده .
والطبيعة عندهم تنقسم الى قسمين (الأمهات الكليات) وهي النار والهواء والماء والأرض وثلاثة هي (المولدات الجزئيات) وهي الحيوان والنبات والمعادن . ويعبرون عن الطبيعة بقوى من قوى النفس الكلية المثبتة في جميع الأجسام ويجدون هناك اتساقاً في المعنى بين التعبير الشرعي للملائكة ، والتعبير الفلسفي لقوى الطبيعة وإن كان هناك اختلاف في اللفظ وقوى النفس الكلية الفلكية السارية في جميع الأجسام المسماة (الطبيعة) تنقسم إلى جناس الكائنات وتصورها .

والذي يثير إعجابنا من إخوان الصفاء في مباحثهم الطبيعية هو توافق بعض نظرياتهم الطبيعية للنظريات الأوروبية الحديثة . ومن أم هذه النظريات نظرية داروين الانكليزي في اللشوء والارتقاء فجدد إخوان الصفاء كانوا يرون أيضاً أن آخر مرتبة من مراتب المعادن متصلة بأول مرتبة من مراتب النبات ، وأن آخر مرتبة من مراتب النبات متصلة بأول مرتبة من مراتب الحيوان وأن آخر مرتبة من مراتب الحيوان متصلة بأول مرتبة من مراتب الإنسان . ومرتبات الإنسان عندهم أيضاً ليست واحدة ، فمنهم الذين يسعون الى الكمال النفسي وهم في أرقى الدرجات . وإن الأدنى في المرتبة خادم للاشرف ومسخر له لجسم النبات غذاء لجسم الحيوان لأنه دون رتبته ، والنفس الحيوانية مسخرة للنفس الحيوانية الناطقة . فرى هنا شيئاً من نظرية تنازع البقاء ، التي كان لها شأن في الفلسفة الأوروبية في القرن الماضي ، وأكبر الداعين الى هذا المذهب هو الشاعر الفيلسوف الألماني (نيتشه) على أن إخوان الصفاء لا يعلمون الى هذا المذهب ونجد عدم اطمئنانهم في تلك القصة اخطائية المحكية على لسان الحيوانات التي تشتكي ظلم البشر .

وإن في آخر كل مرتبة من المراتب جسماً خاصاً ، فاطراف المعادن ما يلي الترب الجص وما يلي اليافوت فهو الذهب الأحمر ، لأن اليافوت كما يعتقد أكثر علماء الاحجار ارقى مرتبة من مراتب الاحجار . وأما مرتبة النبات ما يلي المعادن فهي خضراء الدمى . وارقى انواع النبات الفحل . أما رتبة الحيوانية التي تلي رتبة الانسانية فليست من جهة واحدة ، ولكن من عدة وجوه ، لأن رتبة الإنسان لما كانت معدناً للفضل وينبوعاً للمناقب لم يستوعبها

نوع واحد من الحيوانات وانما استوعبتها عدة انواع فمنها ما قارب رتبة الانسانية بصورة جسدية مثل القرد ، ومنها ما قاربه بالاخلاق النفسانية كالفرس ومنها كالطائر الانساني ايضاً ومثل الفيل في ذكائه والبيغاء والهازار ونحوهما من الاطيار الكثيرة الاصوات والالوان ، ومنها النمل اللطيف الصنائع الى ما شاكل هذه الاجناس ، وذلك انه ما من حيوان يستخدمه الناس ويأمنون به الا ولنفسه قرب من نفس الانسان . على اننا نجد عند غير العلماء كابن خلدون والبيروني ان آخر مرتبة الحيوان المتصلة بالانسان هي القردة فقط ^(١) : اما رأي اخوان الصفاء في المادة فيوافق كل الموافقة ذلك العالم الافرنسي الكبير لافوازييه Lavoisier القائل ليس في الطبيعة شيء يحصل من العدم ولا شيء ينعدم ، اذ يقولون : « الكون والفساد ضدان لا يجتمعان في زمن واحد ، لأن الكون حصول الصورة في الهولوى والفساد هو انحلالها عنه ، فاذا فسد شيء منها فلا بد ان يتكون شيء آخر . لأن الهولوى اذا انتزعت منها صورة البست أخرى ، فان كانت التي ألبست أخرى اشرف سمي كوناً ، وان كانت ادون سمي فساداً ، مثال ذلك : ان يصير التراب والماء نباتاً ويصير النبات حباً وثماراً ، والثمار والحب يصيران غذاءً ، والغذاء يصير دماً ولحماً وعظماً فيكون من ذلك حيوان . والفساد ان يحترق النبات فيصير رماداً ، او يموت الحيوان فيصير تراباً . ويطنون ان حل كل ما يحدث في الطبيعة اربعة : علة فاعلة ، وعلة هيولانية ، وعلة تامة ، فاعلة الفاعلة الطبيعة التي اشرت اليها سابقاً . واما العلة الهيولانية لها ، فهي الزئبق والكبريت . وعلى قدر اختلاف هذين الجسمين تحصل المعادن المختلفة . وقد زعم جابر ابن حيان الكيمائي ذوالشهرة الواسعة في تاريخ الكيمياء ، ان العناصر مركبة من جوهرين اثنين ، ذكر وأنثى ، جسد وروح ، احمر وابيض ، طائر وثابت ، ارض وماء ، كبريت وزئبق ^(٢) . وهذا المثل يطابق كل المطابقة تقسيم العناصر على الطريقة الكيمائية الحديثة المعبر عنها بالكاثيون Kasion والانيون Aniod .

(١) راجع مقدمة ابن خلدون — بيروت ١٨٨٦ ص ٨٤ .

(٢) راجع المصنفات في علم الكيمياء للحكيم جابر بن حيان الصوفي ، نشره ارك يحيى هوليارد باريس ١٩٢٨ ص ٥٣ . ومن الذين عينوا الزمن الذي عاش فيه هذا العالم الاستاذ روسكا والدكتور كراوز في برلين .

ولا إخوان الصفاء آراء صائبة في كثير من حوادث الطبيعة في عصر لم يسد يعرف البحث البشري عنها الا الشيء القليل . فقدم يصفون المطر ، والصاعقة ، وكيفية تكون المعادن ، والمد والجزر ، والينابيع الارتوازية ، وكيفية تجمع مياه الأنهار ومسيرها الى البحر ، وكثير من التدقيقات الجيولوجية . فيقولون عن المطر انه من تصاعد البخارات ومن أحب ان يعلم صدق قولنا ويتصور كيفية وصفنا فلينظر الى تصعيدات المياه وتقطيرها وكيف يعمل منها أصحائها ، مثل تصعيد ماء الورد داخل المصعد وماشأكلها ، ومثل البخارات الصاعدة في بيوت الحمامات وكيفية تقطير الماء من سقوفها .

ولقد لفتت نظر الاستاذ روسكا كيفية تكون البراري لدى إخوان الصفاء حيث يجد فيها الانسان أساس النظرات الجيولوجية الحديثة ^(١) فقدم يقولون : « ان الأرض بجميع ما عليها من البحار والجبال والبراري والأنهار والعمران والخراب هي كرة واحدة معلقة في الهواء في مركز العالم . . . فنها مواضع براري وفقار وفلوات وخراب . ومنها مواضع الجبال والتلال والارتفاع والانخفاض ، ومنها مواضع المراعي والقرى والمدن والعمران . . . وان هذه الأرض تتغير وتبدل على طول الدهر والأزمان وتصير مواضع الجبال براري وفلوات ، وتصير مواضع البراري بحاراً وغدراناً وانهاراً ، وبصير مواضع البحار جبلاً وتلالاً وسباحاً وأجاماً ورمالاً ، وتصير مواضع العمران خراباً ، ومواضع الخراب عمراناً وان البحار هي كالمتنقعات على وجه الأرض ، فان الجبال منها كالمسنوات والبريدات لها لتفصل البحار بعضها من بعض ولتلا يكون وجه الأرض كله مغطى بالماء . وذلك انه لو لم تكن الجبال على وجه الأرض وكانت وجهها مستديراً ملساً لكانت مياه البحار تنبسط على وجهها فتغطيها من جميع جهاتها وكانت وجه الأرض كله بحراً واحداً وان الأودية كلها تنبدي من الجبال والتلال وتمر في مسيلها وجريانها نحو البحار والآجام والغدران . وان الجبال من شدة إشراق الشمس والقمر والكواكب عليها بطول الأزمان والدهور تنشف رطوبتها وتزداد جفافاً ويساً ، وتنقطع وتنكسر ، وتصير أحجاراً أو صخوراً أو حمى ورمالاً . ثم ان الأمطار والسيول تخط تلك الصخور

والرمال الى بطون الأودية والأنهار ، ويحصل ذلك شدة جريانها الى البحار والغدران والآجام . وان البحار لشدة أمواجها وشدة اضطرابها وفورانها تنبسط تلك الرمال والطين والحصى في قعرها سائقا على ساف بطول الزمان والدهور ، وتتلبد بعضها فوق بعض ، وينعقد وينبت في قعر البحار جبلاً وتلالاً كما تتلبد من هبوب الرياح دعاص الرمال في البراري والقفار وكما انطمت قعر البحار من هذه الجبال والتلال التي ذكرناها انها تنبت فان الماء يرتفع ويطلب الاتساع وينبسط على سواحلها نحو البراري والقفار ويغطيها الماء ، فلا يزال ذلك دأبه بطول الزمان حتى تصير مواضع البراري بحاراً ، ومواضع البحار بساتين وقفاراً ، وهكذا لا تزال الجبال تنكسر وتصير أحجاراً وحصى ورمالاً تحطها سيول الأمطار وتحملها الى الأودية والأنهار بجريانها حتى البحار ، وتنعقد هناك كما وصفنا ، وتنفخ الجبال الشاغمة وتنقص حتى تستوي مع وجه الأرض ، وهكذا لا يزال ذلك الطين والرمال تنبسط في قعر البحار وتتلبد وتنبت عنها التلال والروابي والجبال ، وينضب من ذلك المكان الماء حتى تظهر تلك الجبال وتنكشف هذه التلال ، وتصير جزائر وبراري وبصير ما بقي من الماء في وهادها وقعرها بحيرات وآجاماً وغدراناً فلا تزال السيول تحمل الى هناك الطين والرمال والوحول حتى تجف تلك المواضع وتنبت هناك الأشجار . . . ثم يقصدها الناس وتصير مواضع الزروع والنبات بلداناً وقرى يسكنها الناس » .

ويعلمون حرارة بعض العيون في الشتاء والصيف على حالة واحدة بان في باطن الأرض وكهوف الجبال مواضع تربتها كبريتية فتصير تلك الرطوبات التي تنصب هناك دهنية ، وتكون الحرارة فيها راسبة دائماً هناك وجوازها عليها ، ثم تخرج وتجري على وجه الأرض وهي حارة حامية .

وقد ذكروا ايضاً كيفية حدوث البرق والرعد فقالوا انها يحدثان من اجتماع بخارين مختلفين بالكيفية ويسمون الاول البخار الرطب والثاني البخار اليابس حتى كادوا يقولون « مثبت ومنفي » . وبما انهم يعلمون كل حادثة من حوادث الطبيعة بمقتضى الامثال التي يرونها فيعملون مثلاً حدوث تلك (القرعة) باجتماع البخار الرطب باليابس كما تفرقع الأشياء الرطبة دفعة واحدة اذا احتوت عليها النار ، ولقد علموا بان البرق والرعد يحدثان

في وقت واحد ولكن البرق يصل الى الأبصار قبل الصوت الى المسامع .
ولقد نكلموا عن قوس قزح بأنه يحدث في سلك كرة النسيم عند تزلزل الهواء وان
أصباغه الاربعة موافقة للكيفيات الارباع التي هي الحرارة والبرودة والرطوبة واليبوسة ،
والأركان الاربعة التي هي النار والهواء والماء والارض المعروفة في عهد قدماء اليونان .
ولقد ذكروا ايضاً ان علة حدوث قوس قزح لا يفهمها الا المرتاضون بالاشكال الهندسية
والامور الطبيعية والنسب التأليفية .

ولم نظريات في الألوان ، فان الألوان المفردة لديهم هي البياض والسواد والحرارة
والصفرة والخضرة والزرقة والتكدرة . ولحدوث كل لون أسباب عديدة . فالاشياء التي
ترى بيضاء بياضها اما لأن النور محبوس فيها لغلبة الرطوبة كاللبن ، او لأن النور موج
فيها لكثرة القتلخل كالملح ، او لأن النور محبوس فيها كالفضة . والنور يرى من وراء
الاجسام الشفافة أبيض فان عرض له عارض يرى أصفر . . . ومنها ما يرى أصفر لأن
الحرارة تسد مسامها ، كالاشياء البيضاء اذا طبخت اصفرت . وطلة رؤية الاشياء حمراء
شيثان : احدهما الأسباب المعفئات ، والآخر الأسباب المذوبات ، فالمعفئات لكثرة
الرطوبة ، والمذوبات لكثرة الحرارة ، كاشمس ثراها حمراء عند كثرة البخارات .
والأثمار ترى حمراء عند النضج لكثرة الرطوبة ، والخضرة والسواد يحدثان من منع
النور ان يصير الى البصر خالفاً ، فالسواد يجمع الألوان والبياض يفرقه وبقية الألوان
هي بين هذين الطرفين ^(١) .

لقد ذكرنا انهم يقسمون الطبيعة الى ثلاثة أقسام : معادن وحيوانات ونباتات ،
ويسمون جهدهم في تقسيم كل فرع من الفروع على أسلوب خاص ، ويعتقدون ان لكل
نوع من الجواهر المعدنية بقعة مخصوصة وتربة معروفة لا يتكون الا هناك كالذهب فانه
لا يتكون الا في البراري الرملية والجبال والاحجار المختلطة بالتربة اللينة ، والكبريت

(١) نظرية الألوان لعبت دوراً عظيماً في اوربا ولقد كتب الشاعر غوته شيثان عن
تاريخ علم الألوان وكنت نشرت كلمة في هذا الصدد في مجلة المعرفة (القاهرة ابريل ١٩٣٢)
بمناسبة مرور مائة عام على وفاة غوته .

لا يتكون الا في الاراضي الندية والرطوبات الدهنية والفلقطار^(١) ، والأملاح لا تنمعد الا في الارض السجفة والبصاع المشروجة والجلس ، والاسفيداج لا يتكون الا في الارض الرملية المختلط ترابها بالحصى والزاجات ، والشبوب لا تتكون الا في التربة العفصة الفشقة وعلى هذا القياس حكم سائر أنواع الجواهر المعدنية . ولقد ذكرنا ايضاً ان لزيج الممدن لابد من مرور زمن مخف وص ، فالملح يحتاج الى زمن قليل ولكن الياقوت والزمرد يحتاج الى زمن كثير وكذلك الذهب . . . الخ .

وعرفوا النبات : بانه كل جسم يخرج من الارض ويتغذى وينمو ، فمنها اشجار تفرس قضبانها أو عروقها ، ومنها ما هي زروع تبذر حبوبها أو قضبانها . ولحصول الافعال الحيوية في النبات اتضت وجود قوى عديدة مثل الجاذبة والمانسكة والدافعة . ويعملون كيفية امتصاص غذاء النبات بما يلي : ان القوة الجاذبة اذا امتصت نداوة الماء بعروق النبات كما يمتص الحجام الدم بالمحجمة أو كما تمص النار الدهن بالفتيلة وجذبتها التجذبت معها لأجزاء الترابية اللطيفة لشدة انجذابها . فنجهد هذا التدقيق موافق كل الموافقة لرأي الاوربيين . وقد كانت نظرية الامتصاص غالبية حتى ظهور الانحلال الضغطي المعبر عنه (Osmose) ويقسمون النباتات بطرق مختلفة : فأولاً الشجر الكامل الذي يحتوي على الأصل والعروق والقضبان والورق والثمر والصنم ، ثم الناقص ، ثم الشجر المنتصب ، والشجر الذي ينبت على وجه الارض والذي ينبت على وجه الماء كالطحلب ، وما ينبت تحت الماء كالأرز وقصب السكر . وكذلك النجم وهو الشجر الذي ينسلق على الأخشاب كالكرم . ويقسمون ايضاً النبات على حسب المكان فيذكرون نبات البهاد الحارة ، والمعتدلة والباردة . ويعبرون عن الحيوان بانه جسم متحرك حساس يتغذى وينمو ويمس ويتحرك حركة مكان . وان من الحيوانات ماهو في أشرف المراتب مما يلي مراتب الانسان . . . ومنه ماهو في أدنى رتبة مما يلي النبات . وهو كل حيوان ليس له الاحاسة المس كالأصداف أو كأجناس الديدان التي تتكون في الطين أو في الماء أو في الخلل أو في الثلج أو في لب

(١) الفلقطار هو تعبير يوناني . معناه الزاج الأصفر وتركيبه الكبريتات

الشمع أو في الحب أو في لب النبات ، حتى كادوا يتكلمون عن الجراثيم . ويقسمون الحيوانات على حسب الحواس الخمس : فإن منها ما له لمس فقط كالديدان المذكورة ومنها ما له لمس وذوق كالحيوانات التي تعيش في قعر البحار والمياه والمواضع المظلمة ومنها ما له لمس وذوق وشم وسمع والاكل من له الحواس الخمس . ويقسمون الحيوانات على حسب السير ايضاً : فمنه ما يتدحرج كالديدان ، ومنه ما ينساب كالخية ، ومنه ما يدب كالعقرب ومنه ما يبعدو كالفأر ، ومنه ما يطير كالطيور . . . الخ . وكذلك يقسمون الحيوانات من جهة البنية .

وان أسى غاية لديهم هي الاعتبار ومعرفة دقيق صنع الباري فيقولون : « ان أكثر الناس يتعجبون من خلقه الفيل أكثر من تعجبهم من خلقه البقرة . فان الصانع البشري يقدر على ان يصور فيلاً من الخشب او من الحديد او من غيرها بكامله ، ولا يقدر احد من الصانع ان يصور بقة لامن الخشب ولا من الحديد » . ولقد ضربوا مثلاً لفكرة القيامة بفرخة الدجاج التي تخرج من البيضة . وانها اعجب من خروج الناس من قبورهم يوم القيامة لولا جريان العادة بذلك ، فيريدون بذلك عدم المرور (مروراً سطحياً) على كل ما نشاهده من الطبيعة .

دقق عدد كبير من البعثين الأوربيين في اخبار اخوان الصفا ومحصوا علمهم وفلسفتهم ومراميمهم من كل الوجوه . ولاخوان الصفاء علاقة شديدة بالفلسفة اليونانية فهم متأثرون بأراء (الافلاطونية) الجديدة وكذلك بأراء ارسطوطاليس . ولم يعلم السبب في ذلك حتى هذا اليوم . وهناك اسئلة جمّة عن اخوان الصفاء لاتزال غامضة حتى يومنا هذا .

برلين : محمد يحيى الهاشمي

الكلمة الأخيرة

— في الكلمات غير القاموسية —

« أو فتاوى علماء اللغة المعاصرين في أصنافها السبعة »

[تمهيد الطريق امام المهجم العتيق]

— ص —

كنت صنف الكلمات غير القاموسية (وهي التي لم تدون في قواميس اللغة العربية) — الى اصناف سبعة وطلبت رأي إخواني اعضاء المجمع العلمي في أي الاصناف ينبغي قبوله وعده عربياً وتدوينه في المهجم العتيق وأي الاصناف لا يجوز فيه ذلك . وقد افرغت طلبي في شكل استفتاء أو اقتراح نشر في مجلة مجمعنا العلمي (ص ٢٩ مجلد ٨) فكانت اجوبة الاعضاء ترد تباعاً حتى بلغت ١٨ جواباً نشر منها ١٣ في المجلد الثامن وه في المجلد التاسع . وقد رأيت الآن ان ارجع الى هذه الأجوبة فامحضها واستخرج منها زبدة يصح الركون اليها بحيث تكون بمثابة (قرار قطعي) واجب التنفيذ . وقد جرئت في استخراج التنيية على طريقة جمع الآراء والاصوات في كل صنف على حدة ثم المقارنة بينها وتجميع ما رجحته الأكثرية ايجاباً أو سلباً في كل صنف من تلك الأصناف .

و كنت وأنا أنصف اجوبة المحبين أرى أكثرهم يجيب على السؤال نفسه بحيث يمكن اقتباس عبارته فاقبسها بنصها بين هلالين وبعضهم يسهب ويستطرد فاضطر ان اخلص جوابه بقدر ما يفهم منه رأيه . وكان بعض المحبين يقيّد جوابه بشروط (او تحفظات) وبعضهم يطلق القول اطلاقاً . وكثيراً ما ناقض بعضهم زميله وخالفه في بعض ما ذهب اليه . مثال ذلك ان بعضهم اباح استعمال فعل (خابر) للحاجة اليه وبعضهم منعه لعدم الحاجة اليه ومثله كثير في أجوبتهم .

وهذه (التحفظات) أو (الاختلافات) لو فُتحتُ باب الاستفتاء فيها أو الاقتراع عليها ودعوت الاخوان للولوج فيه لطال الأمر . وبقينا في الاخذ والرد الى يوم الحشر .
على أن بعض هذه « التحفظات » ربما كان مما يوافق عليه بقية المحبين لكنهم اعملوا التمرض له في اجوبتهم حباً بالاختصار او تجنباً للبعث . وسأشير الى هذه التحفظات في محلها .
وما انا ابدأ بتلخيص ما كنت قلته في كل صنف على حدة ثم اتبعه بعسارة الحبيب (بنصتها أو تلخيصها) حتى اذا استوفيت اجوبتهم في صنف انتقلت الى الصنف الذي بعده .
وهكذا الى آخر الاصناف السبعة .

« الصنف الأول »

كلمات عربية وردت في كلام فصحاء العرب ولم تدونها المساجم . وقد مثلت لهذا الصنف بكلمة (تبدى) بمعنى (ظهر) الواردة في شعر عمرو بن معدى كرب فهل نهمل مثل هذا الصنف من الكلمات فلا نستعمله ولا ندونه ؟ او نستعمله وندونه ؟

فاجاب الامانة :

- ١ - الرصافي « مجلد ٨ ص ٣٢ » (نستعمله ولو كره الجامدون) .
- ٢ - الكرمل « مجلد ٨ ص ١٠٢ » (كل لغوي يوافق على تدوينه) .
- ٣ - النشاشيبي « مجلد ٨ ص ٢٨٥ » (يجب ان يودع المعجم ويعد عربياً محضاً) .
- ٤ - الفلاييني « مجلد ٨ ص ٣٥٩ » (ما شاع على السنة الفصحاء من الكلمات غير القاموسية وكان له اصل في السماع - قبلناه) .
- ٥ - محمد الخضر « مجلد ٨ ص ٤١٠ » (نوافق في صحة استعماله) .
- ٦ - كامل الغزي « مجلد ٨ ص ٤٨٠ » (يجوز عندي استعماله بلا تردد) .
- ٧ - نقولا فياض « مجلد ٨ ص ٥٦٠ » (كيف لنهمل على لغتنا بلفظ عربي لعله انه لم يرد في القاموس ؟) .

- ٨ - الزهاوي « مجلد ٨ ص ٦٨٦ » (لا يجوز التردد في قبوله) .
- ٩ - احمد رضا « مجلد ٩ ص ٥٨ » (أقول بصحته) .
- ١٠ - رشيد بقدونس « مجلد ٩ ص ١٠٣ » (يجب ان نفعمه) .

- ١١ - قسطاكي حمصي «مجلد ٩ ص ١٧٦» (أنا من أشد المتسكين به واسبق انصاره) .
 ١٢ - عيسى العلوف «مجلد ٩ ص ٣٥٥» (لا بأس باستعماله) .
 ١٣ - سليمان ضاهر «مجلد ٩ ص ٤٨٤» (يجوز استعماله) .
 ١٤ - الاسكندري «مجلد ٨ ص ١٠٤» - (نقبله على الرأس والعين بشرط ان يرد في شعر فصيح او ثر اشهر كثر الأمثال) .
 أقول : هذا الشرط او هذا التحفظ ليس فيه سوى زيادة الاستيثاق من كوث كلمات هذا الصنف فصيحة .

١٥ - الجابري «مجلد ٨ ص ٣٦١» - قال ما ملخصه : (ما لم يدون ولم يشع استعماله ليس من اللغة في شيء ويستثنى من ذلك ما كان مشتقا تقضي قاعدة الاشتقاق ببوازه وقد روي استعمال بعض العرب له) .

أقول : ومؤدي (التحفظ) في هذا الجواب ان تكون كلمات هذا الصنف بما تقتضيه قواعد الاشتقاق لاما يناقض القواعد ويشذ عنها .

١٦ - احمد امين «مجلد ٨ ص ٣٥» - (أدخل منه في المصاحم ما نحن في حاجة اليه فقط) .

أقول هذا (التحفظ) يشبه التحفظ الآتي في جواب الاستاذ النكدي .

١٧ - النكدي «مجلد ٨ ص ٥٩٧» - لم يكن جوابه صريحا في حكم كل كلمة عربية وردت في فصيح كلام العرب . وانما هو اقتصر على كلمة (تبدى) التي ذكرناها مثالا وقلنا ان معناها ظهر فقال انه لا حاجة لنا بها مادام قد ورد في لغة العرب (٢٤) كلمة كلها تدل على معنى الظهور ورأيه ان لا يكون في لغتنا العربية اليوم كلمات مترادفة : فلاستاذ أحمد امين قال (نقبل من هذا الصنف ما يحتاج اليه) وكأن الاستاذ النكدي يوضح لنا في جوابه معنى هذا الاحتياج فهو يقول ان لفعل (تبدى) مرادفات كثيرة فلا حاجة بنا اليه . فنستنتج من قول الاستاذين ان هذا الصنف من الكلمات غير القاموسية نقبله اذا لم يكن له مرادف لاننا اذا ذاك نكون في حاجة اليه . والا فلا .

١٨ - ادور مرقص «مجلد ٨ ص ٧٤٠» - لم يبحث حفصة الجيب في اصل القاعدة وانما بحث في المثال اعني كلمة (تبدى) الواردة في شعر عمرو بن معدى كرب فها قاله

(لا أرى 'ن مجرد استعمال هذا الفصح البدوي المخضرم (يعني عمرو بن معدى كرب)
لفعل (تبدى) بحسب حجة لصحته ولو لزمنا ان نقر كل ما نطق به عربي جاهلي فصيح
— لوجب ان لا ننكر شيئاً من فلتات كلام القوم الكثيرة المخالفة لما عليه جمهور
المحققين اه .

فستنتج من قول المجيب انه يرفض قبول هذا الصنف ويحسبه من قبيل الفلتات أو
الشواذ ما دامت المعاجم لم تذكره .

انتهى استعراض الاجوبة الثانية عشر فكان منها « ١٧ » جواباً وافقت على قبول هذا
الصنف . وجواب واحد « ادور مرقص » رفض قبوله .

فالتوى إذن على قبوله ، فنستعمل كلماته من دون تكبير ونودعها معجمنا اللغوي
العتيد من دون حرج .

« الصنف الثاني »

كلمات عربية وردت في كلام فصحاء العرب الاسلاميين الذين لا يحتج باقوالهم
كفعل (أقص) الخبر بمعنى (قصه) الوارد في قول المؤرخ (الطبري) وكلمتي (نعيم)
و (صدفة) في قول العلامتين (اليازجي) و (محمد عبده) .
فهل تقبل كلمات هذا الصنف وتستعمل وتدون او لا ؟

فاجاب الاساتذة :

١ — الرصافي « جلد ٨ ص ٣٢ » — « أوافق على جواز استعمال هذا الصنف

بلا تردد » .

٢ — النشاشيبي « جلد ٨ ص ٢٨٥ » (هذا الصنف اخو الصنف الأول فيجب أن

يودع المعجم ويعد عربياً محضاً) .

٣ — كامل الغزي « جلد ٨ ص ٤٨٠ » — قال ما ملخصه : (لا أرى بأساً في

استعمال (أقص) و (صدفة) فان كلاماً من الطبري والشيخ محمد عبده ثقة ، ولا في استعمال
كلمة (نعيم) التي أقرها (اليازجي) لان القياس لا يأبأها) اه . فيستنتج من كلام الأستاذ
ان كلمات هذا الصنف تقبل وتعد عربية ما دام قائلوها ثقة وما دامت موافقة للقياس .

- (٤) — تقولاً فياض « جلد ٨ ص ٥٦٠ » — (ان الألفاظ الشائعة السخيلة لا بأس بها اذا لم نجد ما ينوب عنها) .
- أقول : عبارة المحبب صريحة في قبول كلمات هذا الصنف وبقية الاصناف حتى الصنف السابع وهو « العامي » لكنه اشترط ان لا نجد ما ينوب مناب الالفاظ الدخيلة .
- (٥) — الزهاوي « جلد ٨ ص ٦٨٦ » (لا يجوز التردد في قبوله ايضاً) .
- (٦) — احمد رضا « جلد ٩ ص ٥٨ » — قال ما ملخصه (ان ورود أمثال كلمات هذا الصنف في كلام أئمة اللغة يُنزّل منزلة التنقيص على نقلهم لها وهم لا يقدمون على استعمال ما لم يروه صحيحاً سائغاً) .
- (٧) — قسطنطين حمصي « جلد ٩ ص ١٧٦ » (انا ايضاً من أشد أنصار هذا الصنف) ثم حدد زمن الفصحاء الذين ورد هذا الصنف في كلامهم حتى يكون مقبولاً — بالقرن السادس او السابع الاسلامي .
- (٨) — عيسى المعلوم « جلد ٩ ص ٣٥٥ » قال ما منه « التساهل في اللغة يقتضي قبول كلمات المولدين والمعاصرين فضلاً عن كلمة « نعيم » التي اقرها العلامة اليازجي .
- (٩) — الكرملي « جلد ٨ ص ١٠٢ » (كلم فصحاء العرب الاسلاميين تدون ايضاً) ثم قال ان كلمتي (نعيم) و (صدفة) الواردتين في قولي (اليازجي) و (محمد عبده) ليستا من هذا الصنف ؟ ؟
- (١٠) — احمد امين « جلد ٨ ص ٣٥ » (ندخل في المعاجم ما نحن في حاجة اليه فقط) .
- أقول : هذا الفاضل والفضلاء الخمسة الآتون شددوا في الشروط والتحفظات لكنهم بوجه الاحمال أجازوا كلمات هذا الصنف . وما يدربنا ان معظم المحبين الاولين الذين اطلقوا ولم يقيدوا — يوافقونهم في تحفظاتهم هذه ؟
- (١١) — الفلايني « جلد ٨ ص ٣٥٩ » — قال اولاً ما ملخصه : (كلمات الفصحاء الاسلاميين لا تقبلها ما دامت محتمة لان تكون محرفة) ثم قال ما نصه :
- واما « صدفة » (وهي الواردة في كلام الاستاذ الامام) فأرى « ان شيوعها كاف لان يحملنا على قبولها وعدها اسماً بمعنى المصادفة كنظائر الكثرة اه » .

أقول : لنا ان نستنتج من مجموع جواب الأستاذ ان كلمات هذا الصنف ان وثقنا بعدم تحريفها وشاعت حتى أنسأ بها قبلناها والا فلا .

(١٢) — الاسكندري « جلد ٨ ص ١٠٤ » — قال ما ملخصه : (نقبل ماورد في كلام الفصحاء الاسلاميين الاقدمين كأبي نواس والمتنبي* لامن جاء بعدهم . الا اذا وافق القياس) والمتنبي* قتل سنة (٥٣٥٤ هـ) .

(١٣) — الجابري « جلد ٨ ص ٣٦١ » — مخرج جوابه على هذا الصنف مع جوابه على الصنف الاول الذي مر فقال ما ملخصه : (ما لم يدون ولم يشع استعماله ليس من اللغة العربية في شيء* . ويستثنى من ذلك ما كان مشتقاً تقضي القاعدة بجوازه وقد روي استعمال بعض العرب له اي العرب الذين يؤمن لحنهم) .

وأطلق المحجب في هؤلاء (العرب) فلعله يريد بهم ما أراداه (الاسكندري) اعني الجاهليين الاسلاميين حتى عهد المتنبي* .

(١٤) — النكدي « جلد ٨ ص ٥٩٧ » — لم يكن كلام الأستاذ النكدي ايضاً صريحاً في كلمات هذا الصنف وانما عمد الى المثال اعني كلمة (اقص) الواردة في كلام الطبري فقال انها محرفة ولو فرضنا عدم تحريفها لا حاجة لنا بها لوجود ما ينوب منابها وهو (قص) وكذا (فخم) و (صدفة) تقوم مقامها (فخم) و (مصادفة) .

اقول وهذا من الأستاذ النكدي مبني على رأيه في وجوب الغاء الترادف او تضيق دائرته والانتصار من الكلمات المتردفة على افصحها . ويمكن تلخيص جوابه على كلمات هذا الصنف بأنه يقبل الموثوق بصحته وما نحن في حاجة اليه منها .

(١٥) — رشيد بقدوناس « جلد ٩ ص ١٠٣ » — قال ما ملخصه : (نقبله بشرط صحته وعدم وجود اخف منه في مادته) فعلى هذا لا يكون فعل « اقص » مقبولا لديه وان صح نقله عن « الطبري » لانه يوجد في مادته فعل (قص) الثلاثي وهو أخف منه طبعاً . وقد بقي ثلاثة من المحبيين رفضوا قبول هذا الصنف رفضاً باتاً وهم :

١٦ — محمد الخضر « جلد ٨ ص ٤١٠ » — قال ما ملخصه : (ماورد من هذا الصنف

عن العرب الاسلاميين اما محرف أو هو خطأ وقبوله فوضى في اللغة .

١٧ — سليمان ضاهر « جلد ٩ ص ٤٨٤ » (لا يجوز اقص الخبر رباعياً بمعنى قصه

ثلاثياً لعدم النص عليه في المعاجم . أقول : فيستنتج من كلامه ان ما لم تذكره المعاجم من كلمات الاسلاميين لا يجوز استعماله بخلاف الجاهليين كما مر في جوابه على الصنف الاول .

١٨ - أودار مرقص « جلد ٨ ص ٢٤٠ » - (اذا لم يصح لنا اتخاذ فصحاء الجاهليين حجة فكيف يصح اتخاذ من بعدهم كالطبري ؟) .

انتهت الاجوبة على كلمات الصنف الثاني : فكان من المحبين ثلاثة رفضوا قبولها وه ١ منهم قبولها وبعض هؤلاء اشترطوا وتحفظوا . ولا يضر هذا في قبولهم . فيصح اذا إذن أن نعلن ان الاكثرية أفتت بجواز استعمال كل كلمة وردت في كلام فصحاء العرب الاسلاميين وجواز تدوينها في معجمنا المنتظر .

« الصنف الثالث »

الكلمات العربية الاصطلاحية التي وآدها رجال العلوم والفنون والصناعات ولا يعرفها اهل اللسان كقولهم (ميزانية) (كيفية) (كبة) (هيئة الحكمة) (انقذت الجلسة) (تمريرة الرسوم) في نظير ذلك .

فهل تقبل كلمات هذا الصنف وتدوين في المعجم او لا ؟

فأجاب الاساتذة :

١ - الرصافي « مجلد ٨ ص ٣٢ » (ان الذي يمنع جواز استعمال هذا الصنف عليه ان يمنع اولاً : المصطلحات التي اصطلح عليها علماء الاسلام قديماً الخ) يعني والمصطلحات القديمة قبلها اسلامنا من دون تكبير فالواجب علينا قبول هذه المصطلحات من دون تكبير .

٢ - احمد امين « مجلد ٨ ص ٣٥ » (ارى جواز ادخال كلمات هذا الصنف في

القواميس كذلك) اي بشرط الحاجة اليه كما مر اشترط ذلك في الصنفين الاولين .

٣ - الاسكندري « مجلد ٨ ص ١٠٤ » (تقبل هذا الصنف بصلوحه) وهو عمدتنا ومبلوونا في تنمية اللغة . وفي رأبي انه ينبغي عن كل دخیل (لكن المشرط الأستاذ ان تجري هذه المصطلحات على قواعد الاشتقاق والمجاز والنسب المقررة في اللغة العربية .

٤ - النشاشيبي « مجلد ٨ ص ٢٨٥ » (هذا الصنف كالصنفين الاولين يجب ان يودع المعجم ويعد عربياً محضاً) .

- ٥ — محمد الخضر : « مجلد ٨ ص ٤١٠ » (هذا الصنف لثله تؤسس الجامعات اللغوية ومعارضته إمانة للغة لكن يشترط فيه ان يجيء على القياس) .
- ٦ — كامل الغزي « مجلد ٨ ص ٤٨٠ » — كلمات هذا الصنف (نعتبرها عربية ونستعملها كما نستعمل الكلمات العربية) . (أقول : لكن الاستاذ اشترط في الكلمات المركبة مثل (ملتزم الاعشار) و (مفتش العدلية) ان يستبدل بالخلوط منها غيرها ان امكن .
- ٧ — نقولا فياض : « مجلد ٨ ص ٥٦٠ » جواب الأستاذ على هذا الصنف كجوابه على الصنف الثاني فقد قال : (ان الالفاظ الشائعة الدخيلة لا بأس بها اذا لم نجد ما ينوب منها) وقد قلنا هناك ان اطلاقه هذا يشمل الدخيل بجميع اصنافه حتى العامي منها لكن بشرط الحاجة اليه .
- ٨ — الزهاوي « مجلد ٨ ص ٦٨٦ » قال في هذا الصنف كما قال في اخويه : (لا يجوز التردد في قبوله) .
- ٩ — احمد رضا « مجلد ٩ ص ٥٨ » — (هو صحيح واستعماله صحيح بلا مناقشة) .
- ١٠ — قسطنطين حمصي « مجلد ٩ ص ١٧٦ » (لا أدافع فيه لكثرة فشوه على الاقلام) .
- ١١ — سليمان ضاهر « مجلد ٩ ص ٤٨٤ » (يلزم الترخيص باستعماله) ثم استشهد الأستاذ بقول ابن ابي الحديد وهو (قد استعملت . . . الفاظ القوم من متكئين وحكام مع علمي بان العربية لا تجيزها مثل المحسوسات) و (الصفات الذاتية) و (الجسائيات) ولكنني استعجنت بتبديل الفاظهم . وتغيير عباراتهم . فمن كلام قومهم باصطلاحهم اه .
- ١٢ — عيسى المعلوف « مجلد ٩ ص ٣٥٥ » (ما أمكن إيجاد مقابل له في القديم يكون استعماله أولى) ويعني الاستاذ بالقديم اصطلاحات العرب في عهد حضارتهم فاذا وجدنا لم اصطلاحاً عالياً أو صناعياً أو حكومياً استعملناه وأهملنا الاصطلاح الحديث والا فلا .
- ١٣ — أدور مرقص « مجلد ٨ ص ٧٤٠ » أبان الاستاذ وجه الحاجة الى قبول كلمات هذا الصنف وقد اعتبرها مما وضعه العرب وانما نحن نقلناها الى معنى مصطلح جديد . ثم قال مائنه : « ولكن ينبغي لنا ان نحرص على وضوح العلاقة بين الموضوع له والمعنى المنقول اليه وعلى اتباع الأوزان والأساليب الغالبة على لغتنا الفصحى » .

(١٤) - رشيد بقدونس « مجلد ٩ ص ١٠٣ » (ان وجدنا في اللغة العربية لفظاً افصح منه بحيث يؤدي معناه استغني عنه والا استعمل) .

(١٥) - الفلايني « مجلد ٨ ص ٣٥٩ » (الميزانية والكيفية والكمية من الكلمات المألوفة والاخيرتان من الكلمات العلمية التي استعملها الجدود قديماً ومثل ذلك لا يجوز ان يصادم) فالجيب يفتي بجواز استعمال المصطلحات لكنه يشترط ان لا يكون في اللغة العربية كلمات البق منها .

(١٦) - النكدي « مجلد ٨ ص ٥٩٧ » اسهب في تحليل الكلمات التي ذكرتها مثلاً لهذا الصنف : فجعل بعضها من العربي الفصح المقبول من دون تكبير وجعل بعضها مما لا حاجة لنا به لوجود ما يسد مسده ثم قال ما نصه : (واما كلمة الرسوم » في قولهم تعريفه الرسوم » - وان كانت نسبتها اللغوية غير متصلة بين معناها الوضعي وما اصطلحت على استعمالها له الحكومة - فقد راجت واشتهرت وكلمة « الخرج » لا تسد مسدها فلا بأس من النظر فيها ثم افراها اه) فرأيه اذن في هذا الصنف قبوله واقاراره بشرط ان يروج ويشتهر ولا يوجد في الفصح ما يسد مسده كما هو الحال في كلمة « رسوم » .

(١٧) - الكرملي « مجلد ٨ ص ١٠٣ » يرى وجوب غلبة كلمات هذا الصنف : فما ولده السلف مثل (ماهية) قبلناه . وما ولده الخلف قبلنا منه ما نحن في حاجة اليه نحو (ميزانية) . وترفض ما سوى ذلك أمثال (هياة المحركة) لاستغنائنا عنه (بجماعة المحركة) .

(١٨) - الجابري « مجلد ٨ ص ٣٦١ » جواب الأستاذ الجابري لم يكن مرتباً بحسب ترتيبنا للاصناف السبعة وانما هو اورد اجوابته بطريقة أخرى ولذلك كان استخراج الجواب من كلامه بطريق الاستنباط كما فعلنا في الصنفين الأولين وكما فعل هنا فنقول انه ذكر من الالفاظ حنفياً عبر عنه بقوله (واما ما اتفقت عليه اهل الاقطار فهذا لا بأس باستعماله وتدوينه وإدخاله الى اللغة لان ذلك من مقتضى اتساع اللغة بامتداد الزمن وحدوث مسميات متجددة اه) فلا جرم انه يريد هذا الصنف الثالث الذي نحن في صده اعني (الكلمات الاصطلاحية) وظاهر انه أفتى به وأباح استعماله وتدوينه .

انتهت الأجوبة الثمانية عشر على هذا الصنف وهي مجمعة تقريباً على قبوله لاشتداد الحاجة اليه في تنمية اللغة . لكن معظمهم اشترط في قبوله موافقته لاوزان اللغة فتعريفه الرسوم

يجب أن نقول فيها (تعرفة) لا (تعريف) — وأن لا يوجد في اللغة الفصحى ما يسد مسده (فيأية المحكمة) مثلاً نستغني عنها (بجماعة المحكمة) . وهذه (التحفظات) لا أرى بعض المحبين يوافق عليها ولو فتحنا باب الاقتراح بشأنها لما وصلنا الى قرار حاسم في بحثنا هذا كما اشرنا في المقدمة . لذلك نكتفي عن النظر في الفروع — بالنظر في الأصول فاذا وجدنا اكثريّة المحبين قبل الصنف اعتبرناه مقبولا بالجملة كما وقع في الاصناف الثلاثة السابقة والا فلا .

«الصنف الرابع»

المؤند اعني الكلمات التي ولدها العرب الاسلاميون من مادة عربية الأصل مثل (خايره) من (الخبر) و (تفرج) من (الفرج) و (احتار) من (الحيرة) و (نزه) من (النزهة) الخ .

فهل يجوز استعمال هذه الكلمات وتدوينها في المعجم ؟
فأجاب الأستاذة :

(١) — الرصافي «مجلد ٨ ص ٣٢» (انتما مضطرون الى استعمالها شئنا او لم نشأ والقياس في اللغة يؤيدنا) .

(٢) — الكرملي «مجلد ٨ ص ١٠٢» (انا أوافق من يدونها في المعاجم) .

(٣) — النشاشيبي «مجلد ٨ ص ٢٨٥» (الألفاظ المولدة — واللغة لغة والناس ناس يجب أن تودع المعجم العربي وتعد عربية محضة) .

قوله: (واللغة لغة والناس ناس) يشمر بانه يشترط في قبول الكلمات المولدة ان تكون مما ولده اهل العصور الاسلامية الأولى وزاد ذلك تأييداً قوله في مكان آخر من جوابه (الألفاظ المولدة في العصور السخيفة نبذها فرض) .

(٤) — الزهاوي «مجلد ٨ ص ٦٨٦» (لامندوحة لنا من قبول كلمات هذا الصنف وقد أنتت بكثرة في شعر كبار الشعراء) .

(٥) — نقولا فياض «مجلد ٨ ص ٥٦٠» يفهم تجويز الأستاذ فياض لكلمات هذا الصنف من عموم قوله السابق: (ان الألفاظ الشائعة الدخيلة لا بأس بها اذا لم نجد

ما ينوب منهاها) .

(٦) - احمد امين «مجلد ٨ ص ٣٥» قال ما حاصله «تقبل هذه الكلمات المولدة اذا لم نجد في اللغة ما يسد مسدها» .

(٧) - كامل الغزي «مجلد ٨ ص ٤٨٠» (اذا لم نجد في اللغة ما يعني عن كلمات هذا الصنف فلا بأس من استعماله لانه صار في حكم المصطلح عليه) .

(٨) - ادور مرقص «مجلد ٨ ص ٧٤٠» - (الذي أراه جواز هذا الصنف توسيعاً على نفسنا) ثم اشترط موافقة كلماته للقياس اللغوي .

(٩) - رشيد بقدنس «مجلد ٩ ص ١٠٣» (يقبل من هذا الصنف كل ما لا غنى لناعته) .

(١٠) - احمد رضا «مجلد ٩ ص ٥٨» (لا أرى مانعاً من استعمال المولد الشائع ولكنه غير فصيح فهو كاستعمال الوحشي اللغوي : صحيح غير فصيح) .

(١١) - النكدي «مجلد ٨ ص ٥٩٧» اشترط الأستاذ النكدي في كلمات هذا الصنف أن نكون في حاجة اليها ولذلك اجاز (تفرج) و (تنزه) للحاجة الماسة اليها ولم يجوز (خاير) و (احتار) لعدم الحاجة اليها بوجود مرادفاتهما اذ يرادف الأولى (راسل وفاوض وباحث) وغيرها ويرادف الثانية (حار وتجهير) وغيرها .

(١٢) - قسطنطين حمصي «مجلد ٩ ص ١٢٦» - (هذا الصنف يجوز لنا قبول بعضه ورد بعضه) ثم قال انه يقبل (خاير) لظهور اشتقاقه من الخبر ولفشو استعماله ولكون (الخفايرة) بمعنى (المزارة) لم تبق معروفة . اما (تفرج) و (احتار) فلا حاجة لنا بهما إذ لدينا ما يسد مسدهما فالأستاذ قسطنطين إذن يقبل من كلمات هذا الصنف ما ليس له مرادف ويرفض ما له مرادف .

(١٣) - الغلاييني «مجلد ٨ ص ٣٥٩» بحث الأستاذ في كلمات هذا الصنف بشرطين (١) ان توافق القياس و (٢) أن تشيع على السنة الكتاب الخواص : فعلاً (خاير) و (احتار) جائزان لأنهما شاعا على السنتهم . واما (تفرج) فلا يجوز لانه لم يشع ثم قال «على انه يمكن ارجاع (تفرج) الى اصل لغوي بضرب من الهجاز» .

(١٤) - سليمان ضاهر «مجلد ٩ ص ٤٨٤» بحث في الأمثلة ايضاً فاجاز (تفرج)

و (تنزه) للحاجة اليهما وليشوع استعمالهما ولم يجوز (خابر) ولا (احتار) لعدم ورودهما في كلام الفصحاء ولعدم الحاجة اليهما : فالأستاذ الجبب يشترط في قبول كلمات هذا الصنف ان يشيع استعمالها في كلام الفصحاء وأن تكون هناك حاجة داعية الى استعمالها .
(١٥) — عيسى الملعوف « مجلد ٩ ص ٣٥٥ » (اذا كانت لكلمات هذا الصنف مرادفات تؤدي معناها فالأولى العدول عنها والا استعمالنا منها ما يحمل على القياس) ثم قال ان الفعل (خابر) مرادفاً وهو (فاوض وكالم) والكلمة (الشريقة) مرادفاً ايضاً وهو (الفيلجية) فالأولى العدول اليهما .

(١٦) — الاسكندري « مجلد ٨ ص ١٠٤ » (كلمات هذا الصنف لا يجوز استعمالها) .

(١٧) — محمد الخضر « مجلد ٨ ص ٤١٠ » (قبول كلمات هذا الصنف يُطلق لكل

احد العنان في ان يشتق الكلمة على غير قياس) ويعني بذلك انه لا يجوز استعمالها .

(١٨) — الجابري « مجلد ٨ ص ٣٦١ » الظاهر من جواب الأستاذ الجابري انه

لا يجوز استعمال كلمات هذا الصنف لانه اشترط في جواز الكلمة التي لم تدون في المعاجم (ان ينطق بها العرب الذين يؤمن لهنهم) والمفروض في كلمات هذا الصنف انها مولدة وان الذين ولدوها غير الفصحاء من الاسلاميين .

انتهت الأجوبة على هذا الصنف وقد صرح ثلاثة من اصحابها وهم الاسكندري والخضر والجابري برفضه وعدم جواز استعمال كلماته اما الباقون وهم الأكثرية فقد اجازوه ورحبوا بكلماته لما في ذلك من تنمية اللغة وتوسيع نطاق التعبير بها .

نعم لا ننكر ان بعضهم اشترط في قبولها الحاجة الداعية اليها وبعضهم اشترط شيوعها على ألسنة الفصحاء وبعضهم موافقتها للقياس ولكن كل هذا لا ينبغي ان يحمل على التشاؤم بها والتردد في قبولها والانتفاع بها بالجملة .

« التتمة في العدد الآتي » المغربي

القضاء عند عرب البادية (١)



فطر الأعرابي على حب العز والفخار ، تصبو نفسه الى المكارم وشريف الأعمال ، ولا يخلد الى اللذل والصغار ، مها جاهدته المصاعب والأقدار . وهو لا يطمع الى المعالي إلا لينال صيناً بعيداً وشهرة واسعة بين أقرانه وفي عشيرته . فيغار البدوي على شرفه . ويؤثر المنون على العار والهوان ، وتنهض به غيرة نفسه الى الانتقام ، او طلب الحق امام القاضي البدوي . وقد يشور نائره لأدنى امر يحظ بقدره ويخضع من حاله .

(ماهي الحقوق البدوية التي يستند اليها قضائهم ؟) — هي قوانين تقليدية محفوظة في البادية مرسومة لتأديب المجرمين وتهذيب الأعراب ، يعرفها ارباب القضاء ويجرون عليها ، وبها يعوضون لصاحب الحق او لأهله ما فقدوه من الشرف او المال او الحياة . ومن هذه القوانين عندهم أن الأخذ بالتأثر لا بعد فربة يجازى عليها المنتقم . فالانتقام عندهم من النواميس الشريفة والفرائض الضرورية المقدمة التي لا يسمهم تجنبها ولو طال عهدها فالضغينة تبقى مستورة في صدورهم كالنار تحت الرماد ، فيأتي الريح يوماً وبكشف الرماد وتظهر الثارات والأحقاد . وكثيراً ما يرفض الأعراب حكم قاضيهم ليرووا ضمام بدم الأعادي ، ويثأروا للقتيل وينالوا الطوائل بأيديهم وقد يجتمع الأعرابي اولاده على سرير موته ويوصيهم أن يأخذوا الثأر من احد اعدائه ، ولا يدعوا الدم يصرخ الى السماء صراخاً أليماً . فأنهم يعتقدون أن دم المقتول يصرخ دائماً في الليالي الدامسة ، ويطلب من اولاده واقاربه وعشيرته ان ينتقموا له من قاتله .

ينتظر البدوي الفرصة الموافقة لأخذ الثأر بصبر عجيب ، ويقدم على هذا الأمر بنفس

(١) محاضرة الاستاذ عبد الله رعد كان ألقاها في ردهة المجمع العلمي

حادثة ومروءة عظيم ، لأنه يعلم أن القضاء لا يطالبه بهذا الدم ، إذا كان دم القاتل نفسه أو دم اولاده أو اقربائه حتى الدرجة الخامسة . أما إذا زادت هذه القرابة على الدرجة الخامسة فيبعد قتله عندئذ جرماً . على أن ارباب الحق الذين يعجزون عن الأخذ بالثأر لقاتلهم أو لضعفهم تجاه بسالة عدوهم ، فانهم ينتقمون الى امير كبير من عشيرة أخرى يعرف بمجراة صدره ، ورباطة جأشه ، وثبات جنانه ، وهو ينتقم لهم من عدوهم . او يطلب القاتل ويلزمه بالقيام بحق الدم .

إن من يتأمل في عادة الانتقام ، أيها السادة ، يحكم لأول وهلة أنها بربرية لا يقدم عليها الا الام المتوحشة . وهذا من المحمة على جانب كبير لولا وجود هذه السنة في البادية لغدت القفار الاعرابية دار حرب دائمة ، لأن الجرمين لا يهابون قتل النفوس البريئة ، اذ لا رادع يردعهم ، ولا سيف يمنعهم . وسنة الدم بالدم تصد الاشرار ، لذلك يندر القتل في البادية . وخوفاً من العقاب لا يهدر البدوي دم المسافرين ، بل يكفي بسلبهم ثيابهم واموالهم . ثم إن العرب يرحلون على ظهور اباعرم طلباً للرزق الحرام من الغزوات ، فهم مع ذلك ينجبون القتل لثلاث تزل بهم الضربات الهائلة التي تأمر بها شريعة الأخذ بالثأر . وهذه الشريعة تجعل البيداء سبباً آمناً وسلاماً ، يسافر فيها المرء غير خائف على نفسه وان سلبوه ماله بخلاف القفار الافريقية حيث يُقتل قبل ان يُسلب .

(ما هو القاضي البدوي ؟) — قاضي العرب أمير من أمراءهم تسلطه القبيلة أو العشيرة على أفرادها ، لاظهار الحق من الباطل طبقاً للتقاليد البدوية ، والعوائد التقليدية القديمة . على أن الأعراب قد لا يرضون بقاض واحد كبير يترأسهم ، بل يوكلون القضاء الى وجوه العشيرة وكمهولها ، فيأتون اليهم ويعرضون دعواهم فيحكمون بينهم بحسب عاداتهم الجارية . هؤلاء الرجال لا يبالغون كالأهنة الحقيقيين راتباً لقضائهم ، وانما يعملون ذلك ، كما يقولون ، لوجه الله الكريم ، والمتخاصمون يلبثون أحراراً في الخضوع لحكمهم أو رفضه ، ورفع الدعوى الى القاضي الكبير .

القاضي الكبير يرث الحكم عن أبيه لأن العرب مولعون بحفظ الأصل والنسب .

ولكنه لا يتسلط على الأعراب الا اذا نال رضي الجميع ، بسد يد رأيه ومعرفته للحقوق البدوية . ولهذا القاضي سلطة واسعة تفوق سلطة الحاكم المتحدثة والربوع العامرة . فاذا قال كلمته انقطع الحديث ، وباد الاعتراض وصمت المتخاصمون . ولم عادة حميدة تذكر بالشناء عليهم ، وهي ان قاضي الشيرة اذا رُفعت اليه دعوى باحد أقاربه لا يحكم فيها بل يحيلها الى قاض آخر غيره من القضاة المجاورين أرباب العدل والانصاف ، لئلا تقوم حوله الظنون .

(كيف يجري القضاء عند العرب ؟) — اذا وقعت الخصومات بين العرب على ممتلكاتهم من الحيوانات والارضين ، حاج هاتجهم ، فتستفزهم في الحال نزوة الغضب ، فينتفضون من الغيظ ، ويرتجفون من الخفق ، فينتفضون السيوف ويطلقون الرصاص ، لما طبعوا عليه من حدة الأخلاق ، وحفظ الحقد والفضينة . والسرقة عند من الفضائل ، والكذب جار عندهم يجري العادة بضربون به المثل قائلين « الكذب ملح الرجال ، وعيب على من يصدق » . فاذا حل الخصام ، وارتفعت الأصوات والشتائم ، وأتضيت السيوف وسمع أزيز الرصاص ، دخل المصلحون بين المتخاصمين ، وحلوم على الكف عن الخصام ، وحل المشكل بالقسم أو بحكم القاضي .

أما القسم فمن أدهب الامور عند العرب وأقدسها ، ولا يقدمون عليه الا مضطرين . لأن الأعرابي تملك قلبه الخيالات الخفيفة ، والتصورات المزعجة ، لذلك ينجب الحلف ولو كان به صادقا ، وهاب اتخاذ المولى الكريم أو أحد أوليائه وأنبياؤه شاهداً على صحة قوله ، ولو كان من قطاع الطرق .

والقسم عند العرب أنواع مختلفة : منه ما يسمونه القسم الجاري أو القسم الصغير ، ومنه قسم اليد ، والقسم الكبير ، ومنه القسم العُشبة ، ومنه قسم الثملة والشملة . ففي القسم الصغير يقوم الشيخ وسط الخيمة ويقول : أقسم عليك بالله وبصلاة محمد هل فعلت الامر الفلاني . فيقول والله وصلاة محمد لم أفعل .

وفي حلف اليد ، يضع الحلف يده على رأس الحلف ويقول : « أناشدك الله ، بما تحوش وتنوش ، بجلايات الحليب ونسائم السبب (اي الخيل) ، وبالنساء وما تحيب ،

داخل عليك لائل والعيال ، من الحتل والاستحلال ، اليوم بين عينيك وبارك بين متنيك (أي اليوم تراني وغداً تفحاني على النعش) بنيتك عليّ وبنيته عليك ، ان اطلعتها تسرك وان خبيتها فسررك ، اما صار كذا وكذا ؟ فيجيب : إي بالله ورسوله صار كيت وكيت . أو : لا بالله ورسوله ما صار ذلك .

ويقولون ايضاً في أقسامهم « انا حاضر بحضارك وبعقد نارك ، اما صار كذا وكذا » ويقولون في حلف العشبة : بحق هذه العشبة الملوحة والكاذب ماله ذرية .

أما قسم النملة والشملة فدونكم وصفه : حينما يكون العرب وكبارهم ملتصقين في شق الرحال من الخيمة ، وقد طال الجدال بين فريقين على أرض أو فرس أو غير ذلك ، يقوم أمير البيت ويخرج بمجلسه خارج الخيمة ، ثم ينتضي سيفاً ويخط به دائرة كبيرة ، ويضع في وسط الدائرة حبة حنطة ونملة . والحنطة تدل عند العرب على أكرم ما خلق الله تعالى والنملة تمثل الحكمة والفطنة والإدراك . ثم يمد السيف في منتصف الدائرة . عندئذ ينزع المتهم عنه سلاحه ويدخل في وسطها ويضع يده على نصاب السيف ويقسم قائلاً : « والله العظيم والسيف الكريم ما فعلت الشر ولا سرقت ولا قتل الخ » .

وكثيراً ما يمتقع لون الرجل ، وترتخي مفاصله ، وترتجف يده ورجلاه من الرعب ، وربما رجع عن الحلف وأقر بما فعل .

والحلف بالمقامات يعد عند الأعراب من الأقسام العظمى . وربما أقسم البدوي بالله مراراً عديدة وأبى أن يقسم بالأولياء والمزارات المقدسة كمزار النبي شعيب ، والنبي هوشع ، والشيخ عبد الله ، ونحو ذلك من المزارات المشهورة عند العرب .

على ان العرب يدعون غالب الأحيان القسم لرهبتهم ، ويلجأون الى القاضي البدوي . وهذا ما يدعونه (بالقضوة) .

فما أجمل بيت الشعر حينما يزين بأنواع الأثاث ، ويفرش بالسجاد الفاخر ، ويعلق على جدرانها السلاح اللامع . يجلس الأمير في صدره للقضاء ، ومن حوله وجوه العشيرة . فيسمع صوت «المهاج» يدق القهوة ، فتطبخ ويطاف بها على الحضور دفعات متوالية . وبعد شرب القهوة يقوم أحد المتخاصمين وهو المدعي ، ويجلس في وسط الخيمة بين الحاضرين ويلتفت الى القاضي ويقول : وهو عندهم بمثابة الاستدعاء فيفتخون به الدعوى : « وايش

بك يا قاضينا ، يللي بمحك تراضينا ، جيتك حدتي وشيا قدي ، أفلح وصل عالي
(فيقول الجميع الصلاة والسلام عليه) ، حظي وحظك بدخلان على اربعة واربعين نبي ،
من الفوط والنوط والحق الردي ، وانا داخل عالال والعيال من شي مبيتن طلي وطيكت غبي ،
وانا حاططها بعيونك السود وربك القعود ، وبالا امرأة وما تيجين ونسألات العسب . ثم
يذكر ماجرى له بصوت جهوري بحيث يسمعه الحضور . من أطراف الخيمة ، ويورد
البراهين في ذلك ، الى ان ينتهي ويعود الى مقامه الاول فيقوم المدعى عليه ويجلس في
وسط المجلس ، ويكرر المقدمة نفسها : وايش بك يا قاضينا الى آخر الديباجة التي اتينا على
نصها بالفاظهم ولنتهم المستعملة في البادية . ثم يفصع عن ادلته . ولا احد يعارضه في شي .
والقاضي بين كل ذلك صامت لا يبدى كلمة . وفي آخر ذلك يلتفت القاضي الى الخصامين
ويقول : افلحوا واصلحوا خير لكم . فاذا ايبا الاظهار الحق يقول : قدموا الرزقة .

* * *

« الرزقة » — هي اجرة يدفعها احد الخصمين للقاضي تقدر بربع قيمة ما يخاضع عليه
وقد يجري في هذا التقدير جدال طويل يدوم ساعات من أجل تعيين مقدار الرزقة إن
نقوداً او عروضاً كفرس مثلاً أو سيف أو بعير . وربما لم يقبل بها القاضي فيرفض الحكم
الى ان يستحسن ما يقدم له .

والرزقة أنواع كثيرة ، منها ما يسمونه رزقة المبطل ، ومنها رزقة الحق . فرزقة المبطل
هي التي يدفعها المجرم أو المفتري للقاضي ، ورزقة الحق هي التي يدفعها صاحب الحق . واذا
استأنف المحكوم عليه دعواه الى قاضٍ اكبر وحكم له بالحق . وكان قبل ذلك قد
دفع رزقات عديدة برذاله المحكوم عليه . لأن المستأنف الكاسب حقاً بجميع الرزقات
التي يكون قد دفعها للقضاة من قبل .

* * *

(الكفلاء) — وبعد ان يتفق الخصمان على الرزقة يجب عليهما ان يقدم كل واحد
كفيلاً يتعهد أمام الشهود بدفع الرزقة اذا الى الآخر تقديمها . فيقولون : « نرى باشيخ
فلان هذه المسألة في وجهك » . وان كان الكفيل غائباً يقولون : « نرى ان هذه المسألة
في وجه فلان » اي أنه يتعهد بدفعها أو يحمله الخصامين على دفعها . فيقول القاضي للكفيل :

« عندك الشيء الفلاني » فيجيب : « عندي ما نطلب » وحسب الله ورسوله اني ما أبوق »
(أي لا أخون العهد) .

رأبنا أن الكفيل نوعان : غائب وحاضر . فالغائب هو الذي لا يحضر مجلس القضاء حينما ترفع (الدعوى) فينتاره الحاضرون والقاضي لا ينفذ الأمر . والحاضر هو القائم بين الحضور في أثناء الدعوى . على ان لكل منهما واجبات خاصة تختلف عن واجبات الآخر : فالغائب مضطر الى قبول الكفالة ، والحاضر له الخيار في قبولها أو رفضها . لذلك جاء في أمثالهم : « الغائب مضطر والحاضر حر » . ولا بد للكفيل من صفات : أخصها أن يكون معروفاً بين العشيرة بصدقه واقتداره على الدفع .

والذين يُحرمون حق الكفالة هم شاهدو الزور ، والجناء الذين يشردون في الحروب والغزوات ، هؤلاء كلهم مردولون عند العرب ، لا يُقبلون في مجالس الكرام ، ولا يشربون القهوة في خيام الامراء ، ولا تقبل لهم شهادة . واذا جلس أحدهم في مجلس الشيوخ صب له الشيخ القهوة ، وبينما هو يرفع النجسان الى فمه يزرعه الشيخ بعنف منه ويهرق القهوة على التراب ويقول له : انت لا تستحق القهوة ولا لك مقعد بين الرجال .

(الشهود في الدعوى) — وبعد تعيين الكفيل ، يتجه القاضي نحو المدعي ويقول له : يا فلان ، اذا كان عندك شاهد لا يكذب ولا يوجد عليه اعتراض فليقدم ويشهد . فيجيب : عندي يا قاضي العرب فلان وفلان وفلان . فيلثفت القاضي الى أكبر الحاضرين ويقول له : وأيش تقول يا شيخ عن فلان ؟ فان كان مقبول الشهادة يقول : « والله انه مقبول الشهادة » ما انا خابر عليه الذرب الذي يذريه عن الشهادة » وان كان مرفوض الشهادة يقول : « والله انه غير مقبول » .

وقد تقع الخصومات في اختيار الشاهد فمنهم من يرفضه ومنهم من يقبله . وبطول الكلام بينهم الى حد يسأم منه الحاضرون ، الى أن يقر رأيهم على شاهدين . فيقنان ويقسمان القسم البدوي ، يقول كل واحد على حدة : « والله العظيم ، والرب الكريم ، وحياة العود ، والرب المعبود ، والكاذب ماله مولود ، لا غيظ شافيه ، ولا نفع راجيه ،

(إي إنه لا يحلف لأخذه نار ولا لأجل مال) الا حق الله من رقبتي مؤدبه ، ان هذا الرجل قد فعل كذا وكذا » .

وللشاهد حق في طلب هدية ما اذ لا بد له من القسم ، والعرب كما أوضحت يرهبون القسم ولو كانوا صادقين . لذلك هم يقدمون للشاهد هدية بدوية كسيف او عباءة او نحو ذلك .

والنساء في جميع العشائر لا تقبل لم شهادة الا عند عشائر النصارى في الصلت والكرك ومادبا وغيرها في شرق الاردن ، وشهادتهن ثابته قوية .

(الحكم) — وبعد ان تنتهي المحاكمة ينطق القاضي بامثال يبين فيها احكام القضاة من قبله في امور جرت من عهده قديم . فيروي حكايات واقعة او خيالية يذكر فيها الحكم بمبهم الكلام ، وربما أتى بامثال حيوانات تنطبق على الامر الواقع ، حتى يدرك الحاضرون الحكم المراد قبل ان ينطق به . واخيراً يفوه بالحكم القاطع بقوله : « انا من عندي ، ومن عند القضاة الذين قبلي ، ومن عند اجاويد الله مثلكم ، ان فلانا هو المجرم ، وفلانا هو البري » ، ويورد في ذلك الادلة والبراهين والاسناد كي لا يبقى في الامر ريب . وهنا ينتهي الحكم فيقوم جمهور الحاضرين وينصرفون الى بيوتهم وهم يرددون الحكم المبرم .

(العقوبات) — والعرب يدعونها الحق . فمنها حق الشاتم ، وحق البيت ، وحق الوجه ، وحق الدخيل ، وحق الدم ، وحق الطنيب ، وحق القصير ، وحق العرض ، وغير ذلك .

وقبل ان نذكر شيئاً من هذه العقوبات عند البدو ، يجمل بنا ان نأتي على ذكر عواطف الشفقة والحلم التي تغلب عند عرب البادية مرات على حب الانتقام ، وتعلمهم على الصلح . سمعنا حوادث كثيرة تدل على عفو العرب عن أعدائهم ، ودونكم النادرة الآتية :

كانت النار تضرع ذات ليلة في مضارب بني صخر ، والكلاب تنبح فتدعو المسافرين الى خيمة الشيخ واذا بشاب لطيف قد نزل عن فرسه وحيا الضيوف قائلاً : السلام عليكم . فقالوا وعليكم السلام . قال حيا الله الرجال ، قالوا حيا الله الرجل . قال العوافي يا غافلين ، قالوا

حيناً الله الغانم . ثم جلس بالقرب من الشيخ وبات عند العرب أياماً طويلاً لا يسألونه فيها جهة القصد . الى ان حان وقت طعاه فيه الشيطان فأسقطه في زلة كبرى : ذلك انه رأى ابنة الشيخ فسعر بجملها ، ولما انسدل الليل هم على خيمتها فقتل العبد الحافظ لها وخطفها وسافر . فذاع الخبر باقل من لمح البصر ولحقه اخوتها الثلاثة . وكان كما تقدم اليه احد بضربه برمح فيرميه مجدلاً على الارض . أخيراً لحقه الفرسان فانهم زم الى ان لقي خربوشاً (والخربوش هي الخيمة الصغيرة لها عمود واحد) وكان على باب هذا الخربوش شاب في مقتبل العمر فصاح به وقال : يا أبا رشيد اني وجهك وفي مرقد عيالك . قال : لقيت خيراً ومرعى واماناً . ولما اقبلت العنيرة تطلب الابنة وحق الدم أرجعها الشاب وقال : « هو البيت يحمي الطريد والشريد ، وهو الوجه يدفع صدمات العدو » . فرجع القوم صامتين . وسأل الخاطف الابنة عن صاحب البيت فقالت : « سوء الله وجهك هذا ابن عمي وخطيبي قد طلبني فوعده بما طلب ، وقد مهد الصعاب كي يتزوجني اذ قاتل اولاد عمه . » فامتع لونه وتغيزت هيأته . على ان صاحب الخربوش اكرم مشواه في تلك الليلة ، واعد له خيمة العرس وزوجه بالفتاة ، ثم صالح العرب مع الشاب وسالمهم وعاهدهم بان لا ينزلوا به ضرراً . هذه حكاية تدل على علو نفس وشهامة قد لا يوجد مثلها بين اصحاب التمدن ، كيف لا وقد صفح هذا البدوي عن قاتل اولاد عمه وخاطف خطيبته وصالحه مع العرب . وهل دفعه الى هذا الصفح الاسمو النفس وحب الذكر ؟

(غنقيات اهل القوارع والشتائم) -- بمصر على البدوي احتمال أدنى شتيمة ، لأن العرب طبعوا على حب المجد والشرف ، لذلك هم يعدون الشتيمة أشد تأثيراً من حد السيف وقد تثير الشتام الحروب في البادية ، وتحمل المشتوم بل واهل المشتوم ايضاً على الانتقام . حكى عن عبدالمهدي قاضي العوازم انه قال : ارباب الشتام يعذبون باقسا أنواع العذاب . وروى أن رجلاً من عرب العدوان رفع يده على ابيه قائلاً « اخس يا شبيب » فسمع بذلك شيخ العدوان فامر بقطع لسانه . ويقال إن بدويًا بصق بوجه عدو له فحكم عليه ان تحلق لحينه الى نصف الذقن فقط ويبقى النصف الآخر . ومن شتم من عرب الصخور يدفع للمشتوم فرساً او سيفاً او بعيراً او ثلاثين ريالاً . وعند بعض العشائر يضرب الشتامون بالسياط حتى يسيل منهم الدم . وبعضهم يضعون دبساً على وجه الشتام ، ويربطونه باوتاد فيأكله

الذباب ، او يربطونه ويوجهون عينيه الى الشمس . ويروى أن بدويًا اهان اباہ اذ رفع عليه
مجانة (والمجانة عصا صغيرة) فألزمه القاضي ان يحرث ارض ابيه مدة سنتين .
ومن احاديثهم أن قدم شيخ هرم الى قاضي البلقاء ابن قلاب وقال : « وايش بك
يا عواد بن قلاب ، يا حامي النسب ، بولد لي ربيته حتى نشأ وكبر ، واليوم قد جرتني
بجديلتي الى خارج الخيمة وشتني » فقال له القاضي « اذهب يا شايب ، ما صنع ابنك بك
سيمنعه به اولاده في المستقبل » وحكم على الولد بان يبني خيمة لابييه ويدفع له خمسين
نخلة ليكرم بها الضيوف . وقد صدق كلام بن قلاب ، فان اولاد الابن جرتوا اباہم الى
خارج الخيمة ، ولما انتهوا به الى الموضع الذي اوقع اباہ فيه قال لهم : كماكم ايها الاولاد
الاشرار الى هنا فقط جرت ابي ، وتذكر قول ابن قلاب .

ويروى أن شاعراً من بني حسن هجا ذئبة ابنة الشيخ عوده ابي تابه امير الحويطات .
فلما ورد الشاعر الى مضارب الامير قال له عوده : فجعاً لهذه الهجة يا قذاف المخصنات ، لسانك
باسم كلسع الحيات . فهرب الشاعر كئيباً ولم يذق طعاماً عند الشيخ . ولما اتعد في البرية
أمر الشيخ عوده احد عبيده فلتحق به في الخلاء وقتله على هجائه .

(حق البيت) — بيت شعر في البادية ، وإن كان خربوشاً ، هو رفيع الشأن عظيم
الاکرام عند العرب . ومن اهان بيتاً عندهم اهان اصحابه النازلين فيه ، لا بل اهان العشيرة
كلها . ومن تعدى عليه نال جزاء تعديه إهانة وعذاباً . وهم يعدون اهانة تكسر شرق
البيت تلك التي تحصل من بدوين يتخاصمان في بيت حتى يصل بهما الخصام الى المسبات
والشائم او رفع الاسلحة . فالبيت يطلب حقه . واذا أهين صاحب البيت في بيته ، فالبيت
وصاحبه كسر شرفهما ، وصار على الشائم حقان حق البيت وجبى صاحب البيت .
وبعض الاعراب يزعمون أن من ازدري بالبيت واحتقره ، فقد صنع ذلك ليس نحو
الاحياء النازلين به فحسب ، بل تعدى الاهانة الى أجدادهم وأمواتهم .

إهانة البيت يحاكم عليها امام القاضي . فينتصب المدعي وهو صاحب البيت في وسط
الجماعة ويقول : « ويش بك يا قاضي العرب ، يا حامي النسب ، بفلان إني كسر شرفي
بقوله كيت وكيت ، واهاني في عشيرتي ، وبحضور جماعتي ، واهان ضيفي ، فودعي منك

ان يبيض الوجه» ثم ترد الشهود وتشهد على صحبة مدّعاء . فينتصب القاضي ويقول : « انا من عندي ، ومن عند القضاء الذين قبلي ، فلان كسر شرف البيت وأهان صاحبه وضيغه » ثم يحكم عليه بدفع عشرين ناقة وخمسين نجة لصاحب البيت ، وثلاثين ريالاً لضيفه المهان . فيقول المحرم « نعم انا مستعد ، امرك يا قاضينا فوق الرأس ، وبعد ذلك يقوم احد الشيوخ الحاضرين ويقول لرب البيت « حقا على الرأس والعين ، ولكن من شأن الشيخ فلان دع له خمس نياق » فيقول « من شأن خاطرك وخاطر السامعين تركت ما تريد » ثم ينتصب شيخ آخر ويقول « يا شيخ فلان اترك له من شأن الجماعة ومن شأن والدك كذا وكذا » فيقول « تركت ما طلبت » وهكذا الى ان يصبح المطلوب سهلاً وخفيفاً . ثم يبيضون وجه رب البيت المحكوم له وذلك بان ينشروا له راية بيضاء يطوفون بها حول الخيام وهم يقولون « راية فلان يبيض الله وجهه » .

« حق الوجه » — الوجه عند العرب هو الكفيل الموكل باجراء ما يتفق عليه فريقان من فعل خير او اتقاء شر . والوجه لا يجوز صاحبه أبداً ولو فقد ماله وحياته . فاذا باع امرؤ أرضاً او فرساً او غيرهما من الأشياء يقول البائع للشاري « ترى بعثك بوجه فلان ان طلبتها ادفع كذا وكذا عقاباً على ذنبي » وكذلك الشاري يقول « ترى اشتريت بوجه فلان ، ان ارجعتها ادفع كذا وكذا عقاباً على ذنبي » . واذا تشاجر اثنان ثم تسالما يقول الواحد لصاحبه « ترى بوجه فلان تصالحنا ومن اضر قريبه لا يلوم الا نفسه » . ومن اودع ودیعة وخاف عليها من السرقة او من الاتلاف يقول للمؤمن عليها « ترى فلان وجهك عليك » . فمن تعدى على صاحبه في مثل هذه الأحوال يجد امامه اعداء كثيرين بسبب الوجه ، لان المشيرة كلها تقوم مع الوجه يداً واحدة . والمتعدي عليه يلتجئ الى الوجه ويقول له « يا شيخ فلان ، قد صار الأمر الفلاني بوجهك ، وخصمي فلان تعدى عليّ وكسر وجهك ، فيبيض وجهك ووجهي » فيجمع الوجه مجلساً مؤلفاً من القاضي البدوي والامراء المروفيين ويرسل رسلًا لياتوا بالمتعدي . فيقص الوجه قصته على الحاضرين ، والمتعدي في اثناء ذلك راكع والمقال في رقبة دلالة على التذلل . ثم يحكم القاضي على المتعدي بدفع ما عليه ويعاقبه بدفع عشرة خرفان للوجه .

(حق الدخيل) - الدخيل عند العرب هو الرجل المستجير الخائف من امر دمه او سيده ، فيجئ الى شيخ كبير قوي يستغيث به ويطلب حماه ، ويقول له « انا دخيلك احمني وارحمي » . ورب مستجير يأتي في الليل ويرقي على فراش الاولاد في خيمة الشيخ ويقول بصوت متقطع حزين « انا بمضارك وموقد نارك ، انا داخل عليك من السيف والحيف ومن فلان صاحب الحق الردي » ثم يبسط له سبب اعتصامه به . فيقول له الشيخ « ابشر بالعز والهناء وعش في ديارنا فرحبا بك » ثم ينزع كوفيته من على رأسه ويضعها على رأس الدخيل ويقول « الله ورسول الله لا احد ينزع من رأسك شعرة » .

وحينما يقبل الشيخ الدخيل في منزله يرسل رسلاً الى عدو الدخيل وطالبه يقولون له « ترى فلان دخيل في بيتي احذر ان تصيبه باذى » فيجيبه الرجل « اطلب خصمي الى القضاء » فيقول صاحب الدخلة « أعطه عطوة » والعطوة في البادية هي هدنة من الزمان يمنع فيها العدو عن الانتقام الى ما بعد الهاكمة ، وهذه الهدنة تكون عند بعض العشائر اسبوعين ، وقد تمتد عند غيرها الى اكثر من ذلك ، ومعظمها شهران .

وفي أثناء المهادنة يبحث صاحب الدخلة وفوداً الى عدو دخيله ثلاث دفعات متوالية ، مستخدماً الوعد تارة والوعيد أخرى حتى يرعوي وينتهي للحق الذي يحكم به الاجاويد او القاضي ، وان ابي الا الانتقام وأخذ الثار يده ، يجمع الشيخ فرسانه الشجعان ويقودهم الى منزل العدو فيسلبون ما يجودونه هناك من المواشي ويقودونها الى ارض قاحلة لا امرعى فيها فيضطرو حينئذ الى المصالحة . وان أصر على عناده تموت اغنامه ويصبح فقيراً ولا يحق له ان يطالب صاحب الدخلة بشيء لانها تحسب عقاباً له وهي حق الدخيل .

(حق الدم) - السنة عند العرب هي « الدم يطلب الدم » على ان من لا يقدر على أخذ ثأره يطلب الدية ، وتدعى عند الأعراب « العقلة » وقدرها ٣٣٣٣٣ قرشاً . وقاتل المرأة وخصوصاً العذراء يدفع اربعة اضعاف الدية ، لأن المرأة انسان ضعيف وقتلها جرم كبير على الرجل وإهانة مُذلة له .

فاذا ذبح أعرابي عدوه يسمى حالاً في طلب امير كبير يحتمي في ظله ويتمتع بمقله هو وماشيته خوفاً من ان يقتل وفقاً لسنة الانتقام العاجل التي تعطي اهل القتل حقاً مدة

ثلاثة ايام ان يأخذوا نأرهم بذبح القتاتل واهله وهدم بيته وسلب ماشيته . فالامير المجير يلتزم أن يبذل جهد طاقته لتخليص المجرم من طائلة هذا الانتقام ، ولو كان القاتل المستجير من اعداء العشيرة ، او عدوه ، او قاتل ابنه او احد اقربائه ، لان الشهامة الأعزائية تحتم عليه ان يحامي عن الضعيف المستجير .

اذا وصل المستجير امام الخيمة وقال لصاحبها « انا دخيلك » او تمسك باطناب الخيمة او وقف امام الخيمة فقط فقد «عد» دخيلاً . وان قتله احد خارج الخيمة قبل ان يبلغها وكان المدى بين مكان وقوعه قتيلاً وبين الخيمة التي أتى ليستجير بصاحبها لا يتجاوز رمية عصا ، فقاتله يضطر الى دفع دية الدم ونحو الدخلة .

وعند ما ينزل القاتل عن فرسه يذهب توتاً الى فراش الامير فيجلس عليه ويقول « انا دخيلك بعبالك وحلالك » من الحظ المنكود ، والسيف المجرود ، والظالم الحقود ، والكاذب ما له مولود » فيجيبه الامير « يا هلا ، ابشر بالرز وطيب المنزل » عند ذلك لا يهتم القاتل بشئ بل يعيش بصفاء ، والسعي كله يعود على المجير . فيرسل بعثات متتالية الى اهل القاتل كي يقبلوا المصالحة ويأخذوا دية الدم . على انهم يرفضون الصلح دائماً في اول مرة ، ويطلبون الدم بالدم ، ويذكرون الدم المهدور ، الصارخ الى السماء ، الطالب الانتقام . فيعود الوفد الاول خائباً . على أن المجير لا ييأس من هذا الجواب المؤلم لأن هذه هي العادة عندهم ، فيعيد الكرة بعد ايام مرسلًا اليهم وفدًا اكبر كي يصلحوا ذات البين ويأخذوا الدية ، فيرجع ايضا الوفد الثاني مكسور النفس . وفي غالب الاحيان يصير الصلح بعد المرة الثالثة لان العرب ترتفع بهم العواطف النبيلة اذا شاهدوا كهراة البيداء متذللين أمامهم . ولكن ان ابى اهل القاتل المصالحة بعد المرة الثالثة ، فتملك دلالة على انهم لا يريدون الا الانتقام ، ويجب على القاتل حينئذ ان يهرب في ظلمات الليل الى بلاد بعيدة ويعتصم بقبيلة شهبيرة .

والذين تصيبهم سهام الانتقام هم اهل القاتل واقرباؤه الى الدرجة الخامسة اي ابو القاتل وجدّه وأولاده وأولاد اولاده واعمامه وابناء اعمامه . اما الاباعد من الأسرة كابن العمّة وابن الخالة ونحوهما فلا يؤذى بضرر بل يقدم لاهل القاتل بعيراً يسمى عندهم « بعير النوم » ويبقى في خيمته غير خاشٍ صولة الاعداء .

(حق الطنيب) - وبدعى ايضاً حق القصير ، الزنبيب تدخير الطنيب : هو جبل الخيمة . وعند العرب الطنيب هو الجار المستجير ، ويعتبر طنيباً اذا علقى بعض آلات صناعته على طنيب من أطواب الخيمة ، ومنهم من يكتفي بالكلام فقط فيقول : « يا شيخ فلان يا أبا فلانة انا طنيبك » فيقول له « يا هلا بك » .

فن الأعراب من يترك عشيرته وبيت ابيه فيحمل خيمته ويرفعها الى جانب شيخ عظيم ، ويكون ذلك اذا خشي عدواً لا يقدر على مقاومته أو وجد ضده عدداً والفرأ من الاعداء لا يستطيع منازلتهم أو قد تم طلباً للرزق والشغل عنده في حراثة ارضه . فما من احد إذا يضطر الى مجاورة أمير غريب عن عشيرته ووطنه الا ان يكون ضعيفاً أو فقيراً . ويقول العارفون بعادات العرب ان الضيف يسمى عندهم ضيفاً مدة ثلاثة أيام وأن طال مكثه 'عدن' طنيباً ، وكم من قائل مثلاً نزل بالقرب من أمير كبير في بلاد بعيدة عن وطنه فسمي باسمه وتطبع بطابع عشيرته وقد نسي أصله ونسبه بعد طول الزمان .

ومن غريب ما يجري في هذا الحق إن بعضاً من التجار ينزلون في خيام العرب أو عند الشيخ ليبعوا بضاعتهم من ملابس وما كول في حماه ، فيصح شأنهم شأن طنيب هذا الشيخ أو قصيره . ويلتزم الشيخ ان يجمع لهم ديونهم من المديونين ، واذا تعصب المديون وامتنع عن الدفع يضطر الشيخ نفسه الى الدفع كي يبيض وجهه أمام القصير . واذا شُرق شيء من القصير ، فعلى الشيخ ان يسعى باسترداده له .

(حق العرض) - البادية بلاد تفتح عن المنكرات ، وهي في هذا الباب أشرف من المدن المتمصرة حيث يظهر المنكر ظهوراً جلياً على حد ما قال الشاعر الشعبي : « ما في شيء اسمه عيب » . فالنساء في القرى على الجملة عذافات يتجنبن الطرق السافلة وأبواب المحرمات . وقد تسير المرأة البدوية وحدها في البادية ترعى الاول والنعاج ، ولا يعارضها احد أو يتعدى عليها .

على ان جرماً من هذا النوع كثير الحدوث في البيداء ، الا وهو الخطف . وكم من شيخ بكى على ابنة له كانت سعادته في هذه الدنيا ، فغابت عن نظاره في ليلة دامسة ، وبات

هو بطوي الأيام والأوقات بالحزن والبكاء . وهم يقولون فلانة خطفت فلاناً . ولا يقولون فلان خطف فلانة .

إذا رام الشاب البدوي أن يتزوج بابتنة على غير إرادة أبيها واتفق معها على خطفها يتواعدان إلى زمان ومكان محدودين ، فإذا ستر الليل الأرض يأتي إلى الابنة ويرد نفسها وراءه على فرسه ويهرب بها إلى بلد بعيدة . وربما وجدها واردة على عين ماء أو في حقل فخطفها بعد أن يكونا قد اتفقا . ولا بد للخطاف من عقاب شديد إذا وقع .

قلتُ إن الخطاف كثير في عرب البادية . وقد لا يمر شهر إلا ويسمع فيه خبر كهذا بين الأعراب ، والحق في ذلك سيف غالب الأحيان على أهل البنت الذين يطمعون ببيع بناتهم بأثمان باهظة حين زواجهن ، فإن البنت عند العرب تكون لمن يقدم مالاً وحلالاً أكثر من سواء ، لذلك يصبر الزواج عندهم على غير حب ووداد .

فإذا خطفت ابنةٌ وكانت خاطفها من قبيلة قريبة ، ركب أهلها وأقاربها ليرجموا الشرف المفقود والابنة الهاربة ، ولم الحق بأن يصنعوا ما يشاؤون في مدة أيام ثلاثة فقط يسوغ لهم فيها أن يقتلوا الخطاف ويملكوا غنمه ، ويهدموا خيمته ، ويذبحوا فرسه ، وهم يسرفون بما تصل إليه أيديهم ، إما أن لا يستبقون لأنفسهم منه شيئاً وإن هم استبقوا رذلوا وأهينوا ، وإذا مضت الأيام الثلاثة ولم يظفروا بالخطاف ولم يستطيعوا فيها إرجاع شرفهم المفقود ، حل بهم العار والحجل ، فيرحلون وينزلون وحدهم مؤثرين العزلة والغربة . والخطاف يتزوج بالفتاة التي خطفها أمناً لا حرج عليه .

وفيما خلا الخطف ، فمن أقدم من البدو على الفواحش بنفس راضية ، يردعه الشيخ مع وجوه العشيرة مرات عديدة ، وإن هو لم يرتدع يحكمون عليه بالنفي ، ويكون دمه مطلوباً لا يطالب به وهي عادة محمودة تحمل العرب على تجنب المنكر خوفاً من العقوبات الصارمة .

ومما يخفف وطأة الفواحش في البادية خوفهم من العار والهوان ، لأن البيداء لها آذان تسمع وعيون تنظر ، فلا يخفى فيها خاف ، ولا يوجد فيها سرٌّ مكتوم . قال أحدكم إن أهل البادية كالشرفين على رأس الجبل ، يراقبون الحركات والاشارات الخفية ، ومن وجد جرم فظيع في بيته قد تحرق خيمته وينشر رمادها في الهواء .

ولقد اتخذت العرب وسائل فعالة لمنع الفواحش ، فإذا أحسن أبٌ بجرم ابنه يقطع رأسها ويعلقه على رمح ويطوف به في كل القبيلة قائلاً : « هكذا يعاقب المجرم » ومنهم من يثدّها حيةً فيغطّيها بالتراب إلى ما فوق رأسها . ومنهم من يغمرها بالتراب إلى رقبتهـا فقط ، فتأذيها الوحوش وتذيقها من العذاب أمره . ومنهم من يسقيها السم . ومنهم من يضع على جسمها ديساً أو عسلاً ويتركها فريسة الذباب تموت أشنع الميتات . ومنهم من يأخذها إلى الفلاة فيضربها ضرباً اليأس ، ثم يربطها بأوتاد في الأرض حتى تفترسها الحيوانات الضاربة . وقد سمعنا أن رجلاً القى ابنته في بئر عميقة . وأن غيره ربطها إلى شجرة جرداء وكان وجهها إلى ضياء الشمس فاحترقت وماتت من الجوع ووقدت الأشعة وأكثر الناس يذبحونها بلا شفقة بسيف حاد أو يقتلونهم برصاصة في رأسها . وقرأت أن أباً ترك ابنته خارج المحلة على صحرة شاهقة في فصل الشتاء القارس ، وكانت الأمطار تهطل الرعد تقصف والثلوج تسقط ، فماتت وقد جمد دما وبست أعضاؤها .

رحلة اوليا جلبي

- ٤ -

اما شيزر فقد قال عنها ياقوت : شيزر قلعة تشتمل على كورة بالشام قرب المعرة بينهما وبين حماة يوم في وسطها نهر الأردن (١) عليه منطرة في وسط المدينة وتعد من جند حمص .
وقال ابو الفداء : شيزر من جند حمص ذات قلعة حصينة والعاصي يمر من شمالها (وصوابه من شرقها) ويخدر عندها على سكر ارتفاعه يزيد على عشرة اذرع يسمونه الخرطلة وهي ذات اشجار وبساتين ونواكه كثيرة اكثرها الرمان ولها سور من لبن وثلاثة ابواب .

وقال الاصطخري : واما شيزر وحماة فانهما مدينتان صغيرتان نزهتان كثيرتا الماء والشجر والزرع .

وقال شيخ الربوة : وشيزر مدينة حصينة وبيدة (وبيلة أو وبيدة) تشرب اهلها وارضها من النهر العاصي ولها قلعة طولها ظاهر تسمى عرف الديك محاطة من ثلاث جهات بالعاصي اه .
قلت لم يبق في شيزر من القواكه اثر يذكر ما عدا قليل من الرمان وحالة الازوار والبساتين ايضا وصلى وسكر الخرطلة قد دثر اكثره وتنوحي اسمه . والبلدة ذات السور والابواب الثلاثة التي كانت في اسفل القلعة قد غفت رسومها ولم يبق منها الا بعض اسس الجدران وكسور الحجارة والاعمدة وصار مكانها قباب حقيرة بين الجسر وباب القلعة يقطنها العمال في ازوار شيزر ، والبلدة العليا التي كانت في داخل القلعة خربت وصار مكانها قرية بنيت بركام الانتاض يقطنها فلاحو الأرض العذبة ، ولا يزيد عدد الجميع عن الاربعائة جلهم من السنيين وثلثهم من النصيرية والاسماعيلية .

وخلاصة تاريخ شيزر ان فراعنة مصر عرفوها وذكروها في رقم تل العمارنة المسماة باسم سنزار وعرفها اليونان وسموها لاريسا قبل ان لسلوكس نيكاتور فضلاً في ترميمها وتجهيزها وذكروها امرؤ القيس في قوله :

تقطع اسباب اللبانة والهوى عشية جاوزنا حماة وشيزرا
يسير ينجح العود منه يمنة اخواله لابلوي على من تعذرا
وذكروها عبيد الله بن قيس الرقيات في قوله :

قفوا ونظروا بي نحو قومي نظرة فلم يقف الحادي بنا ونغشيرا
فوا حزناً اذ فارقونا وجاوروا سوى قومهم اعلى حماة وشيزرا

فتح المسلمون شيزر عام ١٧ هـ وذلك عقب استيلائهم على حمص وحماة بقيادة ابي عبيدة ابن الجراح . ولما كانت شيزر وجارتها أفامية على الطريق الذي تسلكه اكثر القوافل والجمافل القادمة من شمالي الشام او جنوبه وتسلطها على وادي العاصي كانت لهما مكانة حربية مهمة وكانت شيزر على الأخص تعد مفتح بلاد الشام . لذا بقيت بعد دخول المسلمين عرضة لهجمات الروم المتتابعة فكانوا يستولون عليها تارة ويخسرونها أخرى الى ان استقرت في ايديهم نحو ٨٢ سنة حتى سنة ٤٧٤ هـ التي جاء فيها سديد الملك ابر الحسن علي بن منقذ الكناني . قيل انه عمد الى تل الجسر (اي جسر بني منقذ الذي يظن انه كان بعيداً عن القلعة نحو كيلو مترين للغرب) فممره حصناً وجمع فيه عشرينه ونفر على حصن الجراح الذي ذكرنا موقعه وهو يبعد نحو ٢٥ كيلو متراً غربي وادي الغاب فأخذه بالسيف من الروم ثم نازل شيزر فسلمها من اهلها بالآمان . وفي زنا مارة ابنه ابي العساكر سلطان لم تسترح شيزر من توالي غزوات الاسماعيليه واعراب بني كلاب والروم والصليبيين وفي كل مرة كانت تنجو من السقوط بفضل مناعتها الطبيعية وحصانة قلعتها وبسالة اصحابها بني منقذ . وظلت شيزر بيد هؤلاء الى سنة ٥٥٢ هـ وهي السنة التي حدثت فيها زلازل هائلة اخرجت كثيراً من المدن والحصون في شمالي الشام وكان اشدها كما قال ابن الأثير في حماة وشيزر فانها خرba بالمره . وكان بنو منقذ مجتمعين في وليمه ختان فهلكوا ولم ينج احد من كان منهم داخل القلعة الا امرأة اخرجت من تحت الردم . وكان أسامة

غائباً في دمشق فجاء بعد الزلزلة وعين مافعلته بشيزر واهله فبكمهم ورنهم بغرر القصائد . وجاءها نور الدين محمود بعد الزلازل فرمها وجددها فيما جدده من بقية الحصون واقطعها الى احد امرائه مجد الدين ابو بكر بن الداية ولما مات انتقلت لأخيه سابق الدين عثمان الذي ظل فيها وفي حصن ابي قبيس الى بعد وفاة الملك الناصر صلاح الدين بن أيوب فصار من عمال ابنه الملك الظاهر غازي صاحب حلب . ولما مات سابق الدين انتقلت لابنه شهاب الدين يوسف . وفي سنة ٦٣٠ تمهاه هذا بالعصيان فجاء الملك العزيز محمد بن الملك الظاهر غازي وحاصره وأسترد شيزر واما قبيس منه فنهأه يحيى بن خالد القيسراني بقوله :

يا ملكاً عم اهل الأرض نائله وخص احسانه الداني مع القاضي
لما رأت شيزر آيات نصره ارجائها الفت العاصي الى العاصي

ولما جاء التتر بقيادة هولاء كوهدموا اكثر القلاع التي كانت للأيوبيين ولا بد أن يكونوا نالوا ايضاً من شيزر لأنها ذكرت في جملة القلاع التي رمها الملك الظاهر بيبرس في أواخر القرن السابع . ولما جلس الملك المنصور قلاوون الصالحى ظلت شيزر كجارتها أفامية مدة سنة في يد الأمير العاصي سنقر الأشقر ثم استرجعها قلاوون منه صلحاً في سنة ٦٢٩ ورم بعض اركانها وبقيت في حوزة اخلافه المالك الى ان دخل العثمانيون . ولعل خراب شيزر الحالي بدأ قبيل دخولهم هذا . وهما بكن فأت شيزر بعد استيلاء العثمانيين على بلاد الزمام كلها وزوال الحاجة للدفاع لم يبق لها كما قلنا في أفامية مكانة حربية بل ظلت كما هي الآن قرية يعتمد عليها من البدو والنصيرية الذين كانوا يغيرون عليها أيام الاتن في عهد المالك والعثمانيين .

وقلعة شيزر بنيت على فاهر أكمة صخرية منتصبة على يسار العاصي شهبها العرب لتتوشها بحرف الديك . ويمر نهر العاصي من شرقي هذه الاكمة بعد ان يلتوي في منحرج ذي زاوية قائمة ويجري سيفه وهذه عميقة . فالقلعة منفصلة عما يجاورها في شرقيها وشمالها وشرقيها بفضل التحدرات الصخرية العميقة المحيطة بها والتي تعلو بنحو ٤٩ — ٥٠ متراً . اما في الجنوب فقد كانت أكمته متصلة بالجبل الجاور الى ان حفر القدماء فيه خندقاً عريضاً وعميقاً فصلوها به عنه وبنا فوق الخندق برجاً كبيراً سيأتى وصفه . وفي رواية انهم كانوا عند

مهاجمة الأعداء يبرون مياه العاصي من هذا الخندق بعد سدّ مجراه بسكر لعله سكر
الخرطة الذي نوء به ابو الفداء فاذا مرت هذه المياه وطفّت على السهل الغربي تصح شيزر
كجزيرة لا يعود بإمكان العدو الاقتراب منها .

وقلعة شيزر خراب في الجملة لم يبق عنها سائلاً الا طرفاها الشمالي والجنوبي .
بدخل القاصدون من بابها الكائن في الجهة الشمالية بعد ان يجتازوا جسراً حجرياً بني
فوق وادي ضيقٍ وعميق . وكانت هذا الجسر في العصور الوسطى من الخشب وهو تقال
يرفع عند اللزوم . اما الحالي فحجري يعلو طبقتين من القناطر . ولشدة الانحدار جعل
ممشاء ذا درج مرصوف ببلاط كبير وجعل على طرفيه درابزين بوشك ان يتداعى .
أما مدخل القلعة فقد جعل في جوف باشورة بارزة الى الأمام بنيت بقطع ضخمة من
الحجارة التي يدعوها البناؤون في دمشق (غشيمة) و (سوربة) والأولى غير مضمونة الا قليلاً
والثانية منسوبة للأسوار تكون نائثة في وسطها . وحشي بين هذه الحجارة قطع من
الأعمدة لتشد ارتباط المداميك بعضها ببعض .

وفي المدخل فرضة تعلوها قوس من النوع الذي يدعوه البناؤون في دمشق (قوس
على الخمس) . وفي جوف الفرضة باب ذو أسقف مستقيمة وفوق القوس كتابة عربية
طويلة فيها اسم الملك المنصور قلاوون الصالح في سنة ٦٨٩ على احجار الجدار الظاهرة .
وفوق الكتابة بقليل زخولان لرمي السهام ونافذة مربعة الشكل . وفي الطابق الأعلى من
القلعة نافذة أخرى مربعة لا يزال يعلوها زافرتا مرعى كان مخصصاً لحراسة المدخل . وقد
هدمت الباشورة حتى وصلت الى مستوى هاتين الزافرتين . وعلى يمين الباشورة قلعة هرمية
الشكل أقسامها العليا مهدومة ، وأقسامها السفلى راكمية على سفح عريض . بلط احد جوانبه
بلمصق ويحيط بالباشورة التي تقدم ذكرها والفلح المجسم الشمالي الغربي لهذا السفح المستدق
قطع وأعرض وذلك لدفع شر رماة السهام والنقابين . وتحت الباشورة ساباط معقود يدخل
منه الى ساحة القلعة التي ملئت بيوت القرية المبنية من أحجار السور المهذوم ووراء الباشورة
وأطلالها مراديب معقودة متداعية كانت توصل من القلعة الى العاصي . وثمة درب ضيق
بين بيوت القرية بأخذك الى قبلي القلعة فتجد فيها البرج الكبير .

وهذا البرج في أضعف نقطة من نقاط الدفاع فوق الخندق الذي تقدم ذكره لذلك بني بعناية خاصة ، فأحجاره (غشية) و (سورية) وهي هنا أنصم وأدق عملاً من حجارة الباشورة ، وفي عرض جدرانه حشيت تطع كثيرة من أعمدة الروابط لتزيد انضمام الاحجار الخارجية بالداخلية . وشكل البرج منشور ذو وجوه مستطيلة وله في جهته الشمالية بروز قليل فيه المدخل ، وقد جعل هذا المدخل في محترق زاوية معرضة للقذائف المتشابهة التي تلقى من طوابق البرج العليا ، وهذا من قواعد الهندسة العربية في المباني العسكرية . وعلى جدار البرج كتابة باسم الملك العزيز محمد صاحب حلب سنة ٦٣٣ والصاعد من درج المدخل يصل الى طابق يتحته اقبية معقودة لعلها كانت صهاريج ماء او مخازن مؤنة ، وثمة درج يؤدي الى طابق ثان ثم الى السطح . وفي الطابق الاول غرفتان كبيرتان عقودهما مرتكزة على عضادات وجدرانهما مثقبة بكوى للنور وزغاليل غريبة الاشكال . ويشتمل الطابق الثاني على الاوضاع ذاتها ، اما السطح فقد هدم منه جدار الدفاع الذي كان مضرراً بشرا ربف عديدة اه .

قال الاثري (فان برشم) في كتابه «رحلة في الشام» الذي اعتمدنا عليه في وصف شيزر ان باشورة باب القلعة من آثار نور الدين محمود دون غيره على الرغم من ان الملك المظفر قلاوون استكتب اسمه فوق الباب اذ لم يكن له فضل في غير ترميم بعض اركانها واثاث القلعة والسفح من آثار الملك الظاهر بيبرس ، والبرج الكبير القبلي ربما كان من آثار نور الدين محمود دون غيره لأن الكتابة التي فوق باب زيرت بعد البناء ولعل الملك العزيز محمد رمم المداميك العليا فقط . وقال ايضاً : ان الصليبيين على الرغم من مهاجمتهم شيزر مراراً لم يستطيعوا اقتحامها راذاً تكون هذه القلعة عربية بجدة من آثار مهندسي العرب دون سواهم في القرنين السادس والسابع ، وبرهاننا على ذلك تخطيط سورها ورفع الحيطان الجامعة بين ابراجها وهذه الابراج المربعة القليلة البروز وشكل بناء الباشورة والبرج الكبير الخشوة جدرانهما بأعمدة الروابط واقسام البرج في الداخل وانتساق مراكز الدفاع فيه ، فقد ان اي قطعة مرخمه او مهندمة على الطراز الغربي اه .

قلت وهذه احدى شهادات هذا العالم الأثري الادري الذي اختص بدرس المباني

العربية القديمة تدل على ما كان عليه أسلافنا من البراعة في تشييد القلاع والحصون وإحكام وسائل الدفاع والحصار فيها ، مما ينبغي له علم غزير وخبرة واسعة في فنون الحرب والهندسة والبنان . ومن اكبر دواعي الأسف ان لا نعرف اسماء المهندسين العسكريين الذين خططوا قلعة شيزر وامثالها من القلاع العربية في القرن الخامس والسادس والسابع ، وصورة انشائها بهذا التأليف البديع والانتقان الغريب وان تجهل القواعد والمسميات التي كانوا يتبعونها وبتداولونها في تشييد الاسوار والابراج والثغوب والمرامي واقسامها البارزة والفائرة فيتمذر علينا تعريب ما كتبه عنها علماء الآثار من الافرنج بالحرف . ولو سمع الدهر بإبقاء شيء من مؤلفاتهم التي لا بد ان يكونوا اعنوا بوضعها ومنها كتاب القلاع والحفون لأسامة بن منقذ او لو عني مؤلفو كتب التراجم بهؤلاء المهندسين والبنائين وغيرهم من ارباب الصناعات الدقيقة مثل أكثرائهم بترجمة الشعراء والكتاب والزهاد والمتقشفين إذ ثبت لعرفنا شيئاً من قواعدهم أو مسمياتهم فتمكنا من وصف ما بنوه وصفاً علمياً هندسياً تعرف به خطوطه ومقاييسه واشكاله واوضاعه وجنس المواد والحجارة التي يتألف منها وكيفية تركيبها وتوزيعها والغايات المنشودة من اختلاف الابراج والقلل والنوافذ والمرامي وكبرها وصغرها وتقويتها وتدبروها وما كانت يوضع او يعمل في ارجائها واجزائها . الخ لا كما يذكره كتابنا الذين يهيمون في وادي الخيال فيقولون كما قال شهاب الدين محمود في وصف حصن: حصن قد تقرط بالنجوم وتقرط بالغيوم وسما فرعه الى السماء ورسا اصله الى النجوم تخال الشمس اذا علت انها تنقل في ابراجه ويظن من سها الى الجها انها ذبالة سيفه سراجة . . . الخ ما هنالك من الاعراق الذي ليس فيه شيء مما يدل على هندسة هذا الحصن وكيفية بنائه ، وكلهم نفي هذا النفي .

هذا وقبل ان بين شيزر وقربة الزلاقيات التي تبعد عنها نحو اربعة كيلو مترات الى الشرق ثناء قديمة متفرعة من العامي تسير في نفق محفور في لطف الجبل الى ان تصل قرب القلعة الى فوهة يدعوونها الشلقة تعلو بضعة أمتار فيخدر منها الماء كالشلال بهدير قوي . وجاء في كتاب الاعتبار لأسامة امم بندر قنين وانها كانت قرية عند المدينة والآن لا يعرف لها خبر ولا أثر . وجسر شيزر دم مراراً في الماضي وبني مجدداً في سنة ١٣٤١ هـ

ويظن انه ليس هو جسر بني منقذ الذي كان حوله تل وحصن ذكرهما أسامة في مواضع عديدة وقبله جده ابو الحسن علي بن منقذ الكناني وهو بابي الحصن قبل نقرته على حصن الجراء واستيلائه على حصن شيزر كما اسلفنا .

قال فان برشم : بحثنا كثيراً فلم نثر على اثر حصن الجسر الذي يفهم من كلام أسامة انه كان في ضفة العاصي اليمنى اقيم لحماية جسر بني منقذ . ونظن ان هذا الحصن والجسر كانا في موقع يبعد عن شيزر للغرب نحو كيلو مترين حيث ترى عضادتين بارزتين من العاصي تقاومان جريانه الشديد اه . قلت ويؤيد عبارة فان برشم ما جاء في ص ٢١٨ من كتاب الاعتبار ان حصن الجسر كان كثير الصيد يذهب اليه والد أسامة وابناؤه ومعهم البزاة والفهود والكلاب يصطادون الطيور والدواب التي قدما ذكرها وانهم كانوا يعودون من الصيد وينزلون على بوشمير وهو نهر صغير بالقرب من الحصن . فلو كان حصن الجسر في قرب القلعة كما ظنه بعضهم لما اقترنت طيور الصيد ودوابه كما انه ليس في قرب الجسر الحالي نهر او جدول يدعى بوشمير . ويستحيل على ابي الحسن علي جد أسامة ان يبني مثل هذا الحصن في جوار القلعة لما كانت بيد الروم ثم يناوشهم منه .

هذا والواقف فوق سطح البرج يطل على مناظر عديدة منها في الشرق الهضبة العالية التي يفصل العاصي بينها وبين اكمة عرف الديك وكانت قواد الجيوش المحاصرة لشيزر تجعل يحيطها في هذا الموقع المشرف على القلعة وتنصب فيه المنجنيقات وتضربها منه . وسب في هذه الهضبة قبة فيها مسجد وضريح ينسب الى ابي عبيدة وصوابه ان ابا عبيدة لما جاء ليفتح شيزر خيم فيه فاتخذه الناس بعد مقاماً له وبنوا هذا الضريح وذلك المسجد . قيل ان في جدار المسجد حجراً زبرت عليه كتابة تدل على ان منشي هذا المكان هو السلطان مراد ابن السلطان سليمان العثماني الذي حكم بين سنني ٩٨٣ - ١٠٠٣ . واذا تطلع الواقف نحو العاصي يراه خارجاً من الوهدة العميقة المحصورة بين الجبلين ليلالي السهل المسجج الممتد في الغرب جارباً بهدير قوي لشدة الانحدار هنا . وبشبه النظر مع العاصي ومنعرجاته التي تكثرت في هذه البقعة فيرى اذوار شيزر وعلى بعد خمسة كيلو مترات قرية التريسة وأزوارها وفي شمالها تل الطويل ولعله تل التلول الذي ذكر محرفاً في كتاب الاعتبار لأسماء بن منقذ

وبعدها قرية الصفصافية وجسر الفجرة • ثم بطائح الغاب وآجامه وهي علة وخامة المرتع في هذه الربوع •

وفي السهول والتلعات الغربية الممتدة من قرب شيزر الى سفح جبال النصيرية الغضراء قري وضياح عديدة تتبع حكومة اللاذقية أهلة بالنصيرية نخس بالذكر منها في السهل تل ساحب وهي كبيرة مستوية تحيط بها بطائح الغاب من الشرق والشمال وفي ذيل الجبل قرية دير شمبل كانت من حصون الفرسان الاسبتاريين فيها دار حكومة مذ كانت قاعدة للناحية وفي شمالها حصن خراب نظن انه حصن الخريبة الذي ذكر اسامة أنه كان عليه للافرنج ديدباناً يكشف مسلمي شيزر اذا ارادوا الاغارة على اقامية مع ملاحظة ان البعد بين هذا الحصن وشيزر ثلاثة عشر كيلو متراً • وفي غربي دير شمبل على رأس احد اذيال الجبل المرتفعة حصن آخر خراب اكبر من الاول يدعي ابا قيس يطل على واد يجري فيه نهر ابي قيس احد روافد الغاب وقد مر ذكر هذا الحصن في تاريخ شيزر، وهو احد قلاع الدعوة الاسماعيلية المنتشرة في هذه الجبال منها — غير ما عددناه سابقاً — مصياف والكهف والعليقة والمنبقة وبكسر اثيل وغيرها • وجبال النصيرية المقهبة نحو الشرق الشاخنة كالجدار بين هذه البقاع والبحر تدعى هنا جبال الككية تؤلف كورة واسعة قاعدتها مصياف تتبعها قري كثيرة مما عددناه وغيره يقطن اكثرها النصيرية واقلمها الاسماعيلية اشتهرت بمنعها وتينها ودود حريرها وحراجها وينابيعها المتدفقة •

هذا وبعد ان انتهيت في ربيع سنة ١٣٥١ من زيارة هذه القلعة والاحاطة بما وصفته آنفاً تأملت وانا على سطح ذلك البرج في حاضر شيزر وغابرها ورحلت في فضاء التفكير اجل قدر الذين انتقوا هذا الموقع الحربي الهائل ، وانخيل المعارك الطاحنة التي كانت تدور تحت اقدامه بين الجيوش المحاصرة والمدافعة عنه ، وأكاد أسمع قراع الرماح ووقع السيوف ورنين القسي ، وارسى القتل والجرحى ملأوا السهل فجعلت هذه التربة الحمراء بدمائهم او صبغ العاصي بها •

واتذكر الوقائع التي كانت تجري في هذه الضواحي لبني منقذ الاشواش لاسما لتابعيهم البطل العالم الشاعر أسامة صاحب كتاب الاعتبار وكيف كانوا شعباً في حلق

الروم والصليبيين يستبسلون رجالاً ونساءً في دفع غاراتهم وغارات البدو والاسماعيلية وغيرهم وكيف كانوا يصطادون الأحجال والأرانب في الجبل قبلي البلد وطير الماء والدراج والجمامير والغزلان على العاصي في الأزوار غربي البلد واخيراً كيف نضت عليهم الزلازل فأفنتهم وخرت هذا الحصن الهائل المرءى لجماعته كما قال أسامة « متهيلاً مثل النقا المتهيل » واتصور نور الدين الشهيد في سنة ٥٥٢ والملك العزيز محمد صاحب حلب ومعه ابن عمه الملك المظفر محمود صاحب حماة في سنة ٦٣٠ والملك الظاهر بيبرس في سنة ٦٦٤ والملك المنصور قلاوون في سنة ٦٨٩ يأتون كل في يومه ووراءه وزرأوه وقواده وحرسه الخاص بيزتهم واهبتهم به مدون الى هذه القلعة ليعاينوا مافعلته الزلازل والحروب في اسوارها وابراجها ويقولون بين اطلالها وركامها متأسفين ومحوتين فيأمرهم باحضار المهندسين والبنائين ليرموا ويحددوا مافعلته فيها طواري الحدثنان فننفذوا امرهم بتحقيق رغائبهم فوراً .

واتأمل بلدة شيزر السفلى ذات السور والأبواب الثلاثة والمنزهات والبساتين والزروع والقواكه الكثيرة التي كانت فيها واسأل كيف عنت عوادي الزمان رسومها فاصبحت ضيعة صغيرة وبيلة والبلدة العليا التي كان بنزلها امراء وجنود اعزاء بعدون بالألوف كيف اصبحت الآن كالأطلال الدارسة سكانها تلالا للاحون بينهم بيت تديم يعرف بالثيزري باعوا قريبهم وموئل سوددم لبعض سراة حماة فاصبحوا صعاليك فزالك في غابة من البؤس والجهل لا سيما في معرفة ماكانت عليه هذه القلعة ومن سادوا وشادوا فيها . فسبحان محول الأحوال يؤقي الملك من يشاء وينزع الملك ممن يشاء .

هذا والطريق بين شيزر وحماة تبلغ نحو ٢٤ كيلومتراً والسائح بعد ان يصعد من وادي شيزر يجتاز سهولاً شاسعة ذات تربة حمراء فبر من غربي قرية كبيرة تدعى محردة فصبة ناحية طار العلاء ذات دور حجرية بيضاء اهلها من طائفتي الروم السريان يبلغون ثلاثة آلاف وهي قريبة من العاصي عرفت بجبال نساها وسعة كرومها المعتدة عن عيبتها ويسارها . وفي شرقها قرية كبيرة أخرى تدعى حلفايا اشير في إحدى الخرائط الحديثة الى تناة ماء مندثرة تأتي اليها من حول قرية معزاف وتسير شمالاً مجتازة العاصي الى قرية اللطامنة فورك . والعاصي القادم من حماة بعد ان كان يتجه من الجنوب الى الشمال بنعطف نحو

الغرب بين قريتي حلفايا واللطامنة عند طاحونة الوعرة وبعد ان يجتاز من شمالي حلفايا ومجردة على مقربة منها يتجه نحو شيزر كل ذلك في وهاد سحيقة ومنعرجات عديدة . والباحث عن العاصي ويجراء في هذه الربوع لا يسهل الا ان يتسائل عن موقع دير القديس مارون ابو الطائفة المارونية الذي قيل انه كان على العاصي بين شيزر وحماة ويظهر ان الروم البيزنطيين في القرن الأول للهجرة لما خربوا هذا الدير وذبحوا رهبانه عفوا رسومه بالكليّة فأصبح لا يعرف له اثر ولا خبر . هذا وبعد مجردة يغادر السائح على يمينه ضياع عديدة منها تل سكبن قعادة ومعزاف وقد ذكرهما — أسامة بن منقذ في كتابه . وبعد المجدل يجتاز نهر الصاروت احد روافد العاصي وعليه جسر قديم ، وهذا النهر يتألف من اودية وجدول تغدر نحو من اذيال جبل الكليّة بين بعين ومصياف . ثم يرى على يمينه من الضياع الشير وفي ضاربها كفر عميم والتويم وام الطيور وفي جنوبها كفر العاون وتل سكبن الصاروت ويبلغ في جنوب هاتين القريتين اطلال عالية لقصر قديم في قرية تيزين قيل انه كان مصيفاً للملك المظفر محمود .

ويبلغ في الانق الشرقي البعيد جبال الملا يظهر منها جبل الفانات وجبل كسوف (علاه ٥٨٦ متراً) وتمتد هذه السلسلة في الشرق الجنوبي الى قلعة شيميس وبلدة سلمية التي اشتهرت بكنيها الرومانية وكرامها وبساتينها وبأنها منشأ الدعوة الاسماعيلية وموطن اهل هذه الشيعة قديماً وحديثاً عمروها بعد دثورها في آخر القرن الماضي وجعلتها الحكومة قاعدة قضاء تتبعه قري وضياح عديدة تمتد الى سفوح جبل الباعس سكانها من الاسماعيلية والنصيرية وقليل من السنيين والشر كس . ويبلغ ايضاً قرون حماة وهما جبلان متقاربان يبعدان عن حماة الى الشمال نحو عشرة كيلو مترات يدعى الكبير منهما زين العابدين (٦٣١ متراً) والصغير كفر راع (٦٤٥ متراً) وفوق الأول جامع مجبور ذو قبة بين يضاوين من آثار الملك الأشرف قنباي في سنة ٨٨٣ وفي الجامع مقام يسمى زين العابدين (؟) تقصده النصيرية من جبال الكليّة بالزيارة وحولها قريتا الهاشمية وكفر راع . وقد اشتهرت قرون حماة بالمصاف الذي وتبع حولها في سنة ٥٧٠ بين صلاح الدين الأيوبي وصاحب حلب الملك الصالح اسماعيل بن نور الدين محمود وابناء اعمامه الذين جاؤا من الموصل وكانت

الدائرة عليهم . هذا وبعد ان يترك السائح على يمينه قرى الشير وشيما ومعدفتين وعلى يساره
في سقي العاصي مزارع كبيرة تروى بالنواعير تدعى ازوار منها الناصرية وخطاب ومردس
وأرزة يرى امامه في وادي العاصي كازو وفي شرقها قهانة والظاهرية اللتان تمر منهما سكة
حديد حماة - حلب وعين الباد وجبرين وهكذا الى ان يمر من جوار محطة السكة الحديدية
ومقابر حماة واحياؤها القريبة منها ثم يهبط وادي حماة المنخفض .

« للبحث صلة »

وصفي زكريا

جامع التواريخ

— أو —

« نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة »

— ٤ —

حدثني محمد بن احمد بن عثمان بن الحارث الزيات قال حدثني ابي قال كان لي ولجاعة من التجار ببغداد على رجل من البزازين اربعة الف (١) دينار فقام للناس فاجتمعنا ففتحنا دكانه فوجدنا فيه متاعاً ثمنه اربعمائة دينار فقال ان اخترتم اخذها وابرائي من الباقي نخذوا فاني لأرجع الى شيء غير ذلك وان اخترتم ان تؤخروني بالدين وافتح دكاني واعمل بهذه اربع مائة الدينار دفعت اليكم في كل سنة اربع مائة دينار فيأخذ كل واحد منكم منها العشر من ماله وتستوفون المال في عشر سنين فاجبنا الاربعة ارجل يعقد يقول زيدوني على العشر ولو ديناراً واحداً في السنة فقلنا لارجل أجبه الى هذا فقال ان أعطيت هذا الدينار زيادة على اربعمائة الدينار في السنة مضت اربع مائة الدينار في السنة (٢) سنين وبقيت بقية دينكم بحالها . فعجبنا من ذلك وقلنا

(١) يريد آلاف .

(٢) الصواب : في التسع سنين .

اوجدنا صحة ماقلت فقال هذه اربعمائة الدينار اذا تجرت فيها سنة وسلمت فربحي اربعمائة دينار يخرج منها اربعمائة دينار ودينار يبقى ثلاثمائة وتسعة وتسعون ديناراً فأتجر فيها في الحول الثاني فيحصل معي سبعمائة وثمانية وتسعون ديناراً يخرج منها اربعمائة دينار يبقى ثلاثمائة وسبعة وتسعون ديناراً فيحول الحول الثالث فيصير المال سبعمائة اربع وتسعون ديناراً يخرج منها اربعمائة دينار ودينار يبقى ثلاثمائة وخمسة وخمسون ديناراً (١) يحول الحول الرابع فيصير سبعمائة وستون ديناراً يخرج منها اربعمائة دينار ودينار ويبقى خمسمائة وثمانون ديناراً ويحول الحول الخامس سبعمائة دينار يخرج منها اربعمائة دينار ودينار يبقى ثلاثمائة خمسة وثمانون ديناراً ويحول الحول السادس فيخرج منها اربعمائة دينار ودينار يبقى ثلاثمائة تسعة وسبعون ديناراً ويحول الحول السابع فيصير سبعمائة واربعة وخمسين ديناراً يبقى ثلاثمائة وسبعة وخمسين ديناراً ثم يحول الحول الثامن فيصير مائتين وتسعين ديناراً يخرج منها ثلاثمائة دينار بقي منها مائتين تسعة وستين ديناراً والدين الدين ولا يمكن ان يدفع اليكم اذا كان الأصل اربعمائة ودفع اليكم (٢) اربعمائة فاجابته على الاقتصار على الاربعمائة وفتح دكانه وعمل ورزق .

يقول المصحح (٣) قد غلط الناسخ في ايراد حجة التاجر غلطات أفسدت معناه فيصلحه الجدول الآتي :

(١) سيأتي التصحيح بعد انقضاء الحساب . (٢) لعله : اليهم .

(٣) [المجمع] هو الاستاذ مرجليوث .

| | | |
|-----|-----|------------------------------|
| | ٨٠٠ | للسنة الاولى الأصل مع الربح |
| | ٤٠١ | يخرج |
| ٣٩٩ | | يبقى |
| | ٧٩٨ | للسنة الثانية الأصل مع الربح |
| | ٤٠١ | يخرج |
| ٣٩٧ | | يبقى |
| | ٧٩٤ | للسنة الثالثة |
| | ٤٠١ | يخرج |
| ٣٩٣ | | يبقى |
| | ٧٨٦ | للسنة الرابعة |
| | ٤٠١ | يخرج |
| ٣٨٥ | | يبقى |
| | ٧٧٠ | للسنة الخامسة |
| | ٤٠١ | يخرج |
| ٣٦٩ | | يبقى |
| | ٧٣٨ | للسنة السادسة |
| | ٤٠١ | يخرج |
| ٣٣٧ | | يبقى |
| | ٦٧٤ | للسنة السابعة |
| | ٤٠١ | يخرج |
| ٢٧٣ | | يبقى |
| | ٥٤٦ | للسنة الثامنة |
| | ٤٠١ | يخرج |
| ١٤٥ | | يبقى |

للسنة التاسعة

٢٩٠

يخرج

٤٠١

يبقى

١١١

وحدثني قال حدثني ابي فقال كل كيس يكون فيه الف درهم فتخرج منه درهماً واحداً ولا بدخله درهم آخر فان الكيس كله يذهب ان كان بتجارة فنقصان (١) ربحها وان كان بنفقة فليس يحتاج الى دليل . وانما يحفظ الاموال فضولها وينستر (٢) التاجر بربحه .

حدثني عبيد الله بن احمد بن داسه قال حدثني ابو عبد الله بن (٣) محمد ابن ابراهيم بن عبيد الله الفقيه الحنفي الارمني قال كان ابو زهير الجبائي الفقيه ورعاً حاذقاً بمذهب ابي حنيفة فدخل بغداد فبلغه اخبار ابي الحسن الكرخي رضي الله عنه في ورعه قال فلقبه فقال له يا ابا الحسن بلغني انك تأخذ من السلطان رزقاً في الفقه قال نعم قال ومثلك في عملك ودينك بفعل هذا فقال له ابو الحسن اوليس قد اخذ الحسن البصري رضي الله عنه في زمنه وفلان فعدّد خلقاً من الصالحين والفقهاء ممن أخذ من بني أمية فقال له ابو زهير : ذهاب هذا عليك اطرف : بنو أمية كانت مصائبهم في اديانهم وجبايتهم الاموال سليمة لم يظلموا في العشر ولا في الخراج وكان الفقهاء يأخذون من الاموال مع

(١) لعله : فنقصان . (٢) لعله : ينيسر يعني بصير ميسوراً .

(٣) لعله : زائد .

سلامتها وهؤلاء (١) مع سلامة اديانهم اموالهم فاسدة وجباياتهم بالظلم والفش فسكت ابو الحسن فلما كان وقت قبض جائزته لم يطالب بها وتركها ولم يقبض شيئاً من الجاري الى ان مات . قال لي عبد (٢) الله بن داسه ان زهيراً هذا هو استاذ ابي محمد بن عبدل الذي علمه الفقه على مذاهب اصحابنا وكان ابو محمد بن عبدل استاذنا نحن في الفقه وقد درست عليه وشاهدته الطويل العريض وماسمعت هذه الحكاية منه .

وحدثني قال لي بعض شيوخنا ان الشيخ اذا أسن صارت فيه ثلاث خصال مذمومة اذا قام عجن (٣) واذا مشا زفن (٤) واذا سعل قرن (٥) .

وحدثني قال حدثني عبدالله بن معاذ قال حدثني شيخ من اهل المذار قال كان لي زرع في ضبعة وكان حسناً جيداً وافراً وكنت واسع الطمع فيه فبت ليلة فرأيت في منامي كأنني بنفسين يطوفان الصمارة المزدرة ويقول احدهما للآخر اكتب : زرع فلان كر وفلان كرين قال وانا احفظ الاسماء وبلغ السكيل الى ان جاء الى قراحي فقال اكتب وزرع فلان ثلاثة اكرار فقلت له اعزك الله زرعي والله في غاية الجودة وانا او ثمل فيه عشرة واكثر فقال لصاحبه اكتب ثلاثة اكرار قال فلما كان من الغد انتهت متعجباً وقت وما مضت ايام حتى لحقت القلة آفة ونجا بعض الناس واصيب بعضهم وحصد (١) يعني : الباسيين . (٢) لعله : عيد . (٣) يعني نهض معتمداً على الارض كفعل العاجن . (٤) يعني رقص كأنه أعرج . (٥) لعله يريد استمر .

جبراني وحصدت قال فحصل لي والله ثلاثة أكرار لا تزيد قفيزاً ولا تنقص قفيزاً قال وعرفت خبر القوم الذين كنت حفظت أسماءهم ومبلغ كيلهم فاذا كيل الجميع قد خرج على ذلك المبلغ سواء .

بلغني من جهة وثقت بها عن معز الدولة انه قال ما نام بين طلوع الفجر الى طلوع الشمس مقبل قط وهذا منه (١) انه رجل عجمي حسن جداً والاصل في ذلك قول امير المؤمنين علي بن ابي طالب عليه السلام ان النبي صلى الله عليه وسلم قال بورك لأمتي في بكورها .

حدثنا ابو احمد بن ابي الحسك الشاهد قال كان ابو عمر القاضي يجتاز بباب دارنا دائماً ذاهباً الى ضيعته المعروفة بالصالحية وانا صبي وبعد ذلك الى ان صرت حدثاً قال فسمعت اذ ذاك انه اجتاز فلما صار على شاطئ نهر عيسى رأى رجلاً في الماء وهو يصيح الغريق ولم يكن بين يدي ابي عمر الا غلام واحد قال فصعد ابو عمر بجماره على تلعة وصاح بأعلى صوته ياناس ياناس دفعات فلم يجبه احد لخلو الموضع وانقطاع الطريق فنزل عن جماره وقطع عمامة كانت عليه ورمى بها الى الرجل واخذ طرفها بيده ومسك بيده الأخرى شجرة كانت هناك وقال للرجل لا خوف عليك فاجذب العمامة بكل قوة قال فما زال الرجل يجذبها ويقرب الى ان قرب من الشط حتى رقا في الشط وخر مغشياً عليه وجازت جماعة فرأوا القاضي على تلك الصورة فدعوا له وشكروه

(١) لعله سقط : بحيث .

وبادروا الى الرجل وعصروا جوفه من الماء ونجما وعاش .

حدثني عبد الله بن احمد بن بكر البصري قال كان المهريين بالبصرة له (١) نعم ومروآت وكانوا في جيراننا فحدثني شيوخنا ان فتى منهم وكان ظريفاً فركب في يوم شاتٍ شديد البرد . والماء قد جمد وليس عليه من الحشو شيء . انما كان عليه قميصان وعمامة وطيلسان وخف فدخل الى قوم فعجبوا من صبره على البرد فنزع خفه فاذا هو قد طلا رجله بالغالية وحشا منها شيئاً كثيراً بين أصابعه وفي سرته واستعمل منها شيئاً كثيراً في لحيته واخذ خرقة وطلا عليها ووضعها على رأسه ونعم عليها فحسب حياً لم يحتاج معه الى اكثر من قميصين .

قال وحدثني شيوخنا ان محمد بن سليمان بن علي الهاشمي كان في ضيعته التي يقال لها المحدثه خارج البصرة جالساً في مجلس على بستان وفي بعض زوايا البستان اجانة صيني كبيرة مملوءة غالية فدخل اليه قوم من العامة في حاجة لهم وكان احدهم خسيس الحال فلما رأى الغالية سرق منها شيئاً كثيراً اغترفه ملء كفه فوضعه على رأسه وأطبق عمامته عليه وأطال القوم الجلوس وهو معهم فلما قاموا قام معهم فلم يبصر فقال خذوا بيدي فقد عميت فاغتم محمد بن سليمان لذلك وجاء بطبيب في الحال وقال ما دهاك فلم يصدقه فامر

(١) لعله : المهريون بالبصرة لم .

الطبيب بكشف رأسه فرأى الغالية فصب عليها الماء البارد حتى لم يبق لها
أثر ثم طلاه بالصندل والماورد والكافور وأقامه في الهواء ساعة فصاد بصره
الى حال الصحة وانصرف .

وحدثني قال حدثني ابو الحسن محمد بن اسحاق بن عباد النجار وهو شيخ من
وجوه التمارين بالبصرة طال عمره وحدث وكتبت عنه ولم أسمع هذه
الحكاية منه قال كان في جوارنا فلان فتصدق ليلة على ضرير اجتاز به وهو
لا يعرفه فأراد ان يفتح احد صرتين في كمه في احدهما ذهب وفي الاخرى
دراهم فيعطيه درهماً فأعطاه ديناراً وانصرف الضرير وهو لا يشك ان معه
درهماً فبكر به الى بقال يعامله فقال خذ هذا الدرهم واحسب مالك علي
واعطني الباقي كذا وكذا فقال له البقال يا هذا من اين لك هذا قال أعطانيه
البارحة فلان قال انه دينار فخذ فآخذه الضرير وجاء به من الغد الى الرجل
وقال انك تصدقت علي بهذا وأظنك أردت ان تعطيني درهماً وغلطت
وما أستحل أخذه مغالطة فخذ فقال له الرجل قد وهبته لك واذا كان في
رأس كل شهر فتعال الي أعطيك شيئاً آخر مجازاةً لآمانتك وكان يجيئه في
رأس كل شهر فيعطيه خمسة دراهم . قال فلم أر أعجب من أمانة البقال
والضرير والبقال (١) ولو كان في هذا الوقت لجرى ضد ذلك .

قال وقال لي ابن عباد وكان يقرأ بالسبعة فكنت أسمعه طول الليل
يقرأ وكان فقيراً فاذا كان النهار خرج يتصدق (١) فاسمعه ينشد على الطريق
الرقائق والزهديات لا أسمعه يتصدق بغيرهما فقلت له يوماً يا فلان انت
تحفظ القرآن وأراك تتصدق بالرقائق فكيف لا تقرأ وتتصدق كما يفعل
الاضراء فقال والله لأعرض القرآن للمسألة أبداً .

حدثني ابو محمد قال حدثني السورجي شيخ كان يحاورنا مستور قال
كانت لي امرأة صالحة فكنت اذا اشتريت لهما طعاماً لطبخته وغرفته
جميعه وجاءتني به وكنت أكون لا فكنت آكله جميعه وتجمع هي واولادها
قلت لها يا هذه اذا طبخت شيئاً فاقسميه قسمين وجيئني باحدهما ودعي الآخر
لنفسك واولادك فقالت لا والله لا أفعل هذا بل أقدمه اليك كله لتأكل
أجوده فانك انت تَسأل عنه .

أنشدني ابو الحسن بن ابي الليث لنفسه :
عصبت الهوى وأطعت العزولا وكنت كما قال في الحسود
وملمت رفقك فهو المنى وبعثك للدين فيمن يزيد
لئن لم أكن أتمنى السقام لعلي ألقاك فيمن يعود
(للبحث صلة)

(١) اي يطلب الصدقة ويستعمل في الأكثر في من يعطيها .

آراء وافكار

— « » —

كلمة مكان كلمة

« صَوْنَة مكان شنطة (أو) — Sac-à-main »

سئلت عن كلمة عربية تقوم مقام (شنطة) وهي المحفظة الصغيرة من جلد تحملها المرأة بيدها وتضع فيها ذراهمها وادوات زينتها وتسمى بالفرنسية (Sac-à-main) وفي اللغة العربية كلمات كثيرة تدل على الأوعية التي توعى فيها الاشياء . ومنها الكبير كالفرارة والجوالق والعدل والعكس . ومنها الصغير الذي توعى فيه الثياب والامتعة اللطيفة الحجم . وهذا النوع منه ما هو خاص بامتعة المرأة وادواتها ومنه ما ليس كذلك كالكيس والجراب والحقيبة والعبية والخريطة والصوان والتخت والجوثة والسلمة والصندوق والقمطر والكرز والخرج الى غير ذلك مما لا حاجة بنا الى شرحه وبيان ما بوضع فيه فنحن في هذه المقالة نستعرض كلمات الأوعية التي يفهم من كتب اللغة انها من أوعية النساء ثم نختار منها ما هو الأليق بالاستعمال مكان كلمة (شنطة) .

(القُفَّة) أصل معناها القرعة اليابسة ثم سموا ما يتخذ من خوص الفخل على شكل تلك القرعة قُفَّةً وتستعمله المرأة في وضع قطنها . ويريدون بقطنها القطن الذي تغزله . فليست القُفَّة إذن مما نحن فيه ولا سيما انها شاعت في لغة تخاطبنا بمعنى المكنل والزنبيل . (المشيمة) بكسر الميم هو ايضاً وعاء تجعل فيه المرأة قطنها ونحوه .

(السفط) قالوا هو الذي يعتبي فيه الطيب وما اشبهه من ادوات النساء ولكنه ايضاً ليس مما يحسن ان بوضع موضع الشنطة لأن (السفط) يستعمل كثيراً في وعاء الجواهر وغيرها فهو من أوعية الصاغة والجوهرية والتجار ولم يعد مما يختص استعماله بالنساء .

(الخط) وعاء كالسقط وزاد بعضهم قوله (تجعل المرأة فيه ذخيرتها كالعكم) وليس هذا أيضاً مما نحن فيه لأن المراد بذخيرة المرأة مؤونة يبيتها لا أدوات زينتها لأنهم جعلوه كالعكم والعكم العدل .

(الحفش) بكسر الحاء وعاء تجعل فيه المرأة دهنها . والمراد بالدهن هنا ما كان نحو السمن والزيت أو المراد به ما كان من قبيل الطيب فيكون من أوعية النساء .

(الظبية) أنثى الغزال ثم يتخذون من جلدها المكسو بالشعر جراباً يخبأون فيه الامتعة وقد جاء في الحديث الشريف (ابن النبي صلى الله عليه وسلم أهدى إليه ظبية فيها خرز فأعطى الأهل والعزب) والمراد بالآهل المتزوج . فيوشك أن تكون (الظبية) مما يستعمله النساء في وضع أشياءهن كالخرز . ومع هذا فلا يحسن أن تقوم مقام (شنطة) لأن عبارة اللغويين ليست صريحة في أن الظبية مما يستودع أدوات النساء . واذكر أن الحجاج قديماً إذا أبوا من الحج يكون معهم في جملة الهدايا أوعية صغيرة من جلد أحمر على شكل مخصوص يهدونها إلى غلات أهلهم يضعون فيها فلوسهم وكنا نسميها (ضبوة) بالضاد والواو ولعل (ضبوة) هذه محرفة عن كلمة (ظبية) المذكورة .

(المثبنة) كيس تتخذ فيه المرأة مرآتها والظاهر أنه خاص بالمرأة يصونها من الصدأ والوسخ . ونحن نريد وعاء يستودع المرأة وغيرها من أدوات زينة المرأة .

(الدُرُج) سفينة (صغير سفت) صغير تذخر فيه المرأة طيبها ويظهر من هذا التفسير أيضاً أن الدرج خاص بالطيب .

(الطبل) قالوا : طبل المرأة الذي فيه طيبها وحناؤها تتخذ فيه مواضع للقوارير بمواجز يبيتها . هذا ما قالوه في تفسير الطبل . وقولهم (بمواجز) يشعر أن هذا الوعاء كبير بحيث تكون فيه حواجز تحجز بيوته الصغيرة بعضها عن بعض . وكأنه على هيئة (الطبل) فسعى (طبل) . وعبارة اللغويين صريحة في أنه خاص بالاستعمال بالنساء . ومع هذا لا أظن أن نساء اليوم يرتضين اختياره ليقوم مقام (الشنطة) أو الحافظة على أن في لفظه اجتذالاً وفي معناه اشتراكاً فإنه أكثر ما يستعمل اليوم بمعنى طبل العرس أو طبل الحرب .

(القشوة) قفّة من خوص (أي جريد النخل) يجعل فيها مواضع للقوارير (أبى صفار القناني) بمواجز يبيتها لعطر المرأة وقطنها وأدواتها . يقال (فلانة) : إذا فثت قشوتها

نفتحت نشوتها) اي فاحت رائحتها الطيبة . وسميت (قشوة) من قشا العود اذا قشره وقشا العصا اذا أزال عنها لحاءها وفي حديث قليلة (ومعه عسيب نخلة مقشوة) اي مقشور عنه خوصه . فقشوة المرأة تتخذ من عيدان أو جريد نخل مقشوة اي مقشورة منحوتة .

وقال الأزهري : القشوة هي شبه العتيدة المشناة بجلد وقال العلامة سليمان البستاني في تعليقاته على كتابه : (تعريب الالباب) قشوة الطيب قفة من خوص تجعل المرأة فيها أدواتها وتحملها معها ، فقوله (وتحملها معها) زائد على ما قاله علماء اللغة . فلعله رأى هذه الزيادة في بعض ما لم نطلع عليه من كتب اللغة أو الأدب . وقوله (تحملها معها) أي في السفر أو تحملها بيدها اذا خرجت من دارها الى زيارة صويحاتها كما يفعل نساء زماننا . وهذا مما يجعلنا نفضل استعمال كلمة (قشوة) على غيرها من الكلمات لتقوم مقام (شنطة) أو Sac-à-main وزد على ذلك ان اللغويين قالوا أن القشوة شبه العتيدة المشناة بجلد فتعشيتها بالجلد يجعل شبهاً بينها وبين محافظ النساء في هذا الزمان لان المحافظ من جلد عادة . ولكن لفظ (قشوة) ليس مما يستحب لديهن في ما أظن على ان (القشوة) في لغة الدماشقة يريدون بها علبة لطيفة تعي فيها لوازم النساء ولوازم طفلها كالبودرة والقطن والكحل الخ . لذلك نصرب عن (القشوة) صفحاً ونعدل الى أختها وهي كلمة (العتيدة) .

(العتيدة) طبل العرائس أعدت اي هيات لوضع ما تحتاج اليه العروس من طيب وأداة وبخور ومشط وغيره وقد مر الكلام على كلمة (الطبل) وانه الوعاء الذي تجعل المرأة فيه أدواتها وفي حديث ام سليم (ففتحت عتيدتها) وقد فسر ابن الأثير في نهايته كلمة (العتيدة) بقوله هي كالصندوق الصغير الذي تترك فيه المرأة ما يعز عليها من متاعها اه . فالعتيدة نراها أقعد تلك الكلمات واجمعها لشروط الحسن واجدرها بالاستعمال . واذا لم نجعهن (العتيدة) ولا اخواتها (القشوة) و (الطبل) و (الظبية) و (المشبنة) و (الدرج) فلدينا كلمة اخرى هي آخر سهم في الكنانة وهي كلمة :

(الصَوْنَة) يقولون وضعت العروس طيبها في (الصونة) . فلتصح عزيمتنا على اختيار هذه الكلمة واستعمالها مكان (الشنطة) ولا سيما ان لفظ (الصونة) بذكر بالصيانة حتى اذا حملتها احدها في يدها وخرجت من دارها كانت نعم صاحب لها تذكرها بالعون وتنبيهها الى ما يحسن بها خارج بيتها من الأدب والحشمة عدا ما في (الصونة) من رشاقة

اللفظ وسهولته وكم من الفرق بينه وبين الشنطة . وبين (سالك أمين) الافرنسية التي نخشى ان تشيع بينهن وتغلب على السنن .

المغربي

مطبوعات حديثة

تهذيب تاريخ ابن عساكر

« للشيخ عبد القادر بدران الدومي المتوفى سنة ١٣٤٦ هـ وقف على طبعه السيد »

« احمد عبيد . الجزء السابع من ٤٨٠ طبع في مطبعة الترقى بدمشق سنة ١٣٥١ »

صدر هذا الجزء من هذا التاريخ المفيد وفيه صور من التراجم المطولة والمختصرة . والمؤرخ يتوخى كما يتوخى ابن الخطيب البغدادي صاحب تاريخ بغداد ان يترجم للمحدثين أو لمن نقلوا الحديث من الصحابة فمن بعدهم الى عصره وان كان لا يغل في الأدب والشعر والاخبار اذا كانت مما يغل على مترجميه ومن ترجم لم تراجم مطولة يستفاد من لغتها وأفكارها وأخبارها . وفيه من التراجم ترجمة الأحنف بن قيس . طارق بن زياد . طرماح بن حكيم . طلحة الخير . ابو الأسود الدؤلي . عامر الشعبي . ابو عبيدة بن الجراح . ابو الهيثم المري . العباس عم الرسول (ص) . ابو مسلم الخولاني . عبدالله بن رواحة . عبدالله بن الزبير . الى عشرات غيرهم من أطلال المؤلف في الترجمة لهم أو اختصر . وكلهم من الصحابة والتابعين ومن بعدهم من رجال الاسلام ممن استوطنوا دمشق أو دخلوها سائحين .

ويتألف من أحاديثهم وأخبارهم وأشعارهم وخطبهم وحكمهم وسمرم وسيرهم كتاب في الأدب نفيس ، يعلم الفصاحة ويحيي فصحا وشوارد جميلة في المنظوم والمنثور . وفي هذا الجزء أمور كثيرة ليس لها وجود في المتداول من كتب التراجم والسير والحوادث والآداب لاجرم انه سيتألف من مختصر ابن عساكر مجموع في هذا المعنى يغني عن المطولات المتنوعة ، مما لا يتسع حال الزمان لاقتناء الناس له ، ولا مطالعته مطالعة تدير وتبصر . وبإحياء

مثل هذه الأسفار في الحقيقة إحياء لجوانب كثيرة كانت غير متجلية تجلياً حقيقياً من مدينتنا وتاريخنا . فالشكر للاستاذ ابن عبيد المعنى بمراجعة اصول هذا الكتاب الذي ابتلي كـبعض مخطوطاتنا بجمل النساخ حتى حرفوه ومسحوا محاسنه . ومن قابل الايات (ص ٤٤٩-٤٥٧) الواردة في المتن بما صححها به مصححها الفاضل يتجلى له مقدار العناية الذي لاقاه في اثبات الصحيح من الألفاظ حتى تفهم المعاني ، واذا وقعت له مظان أخرى فتوقف فيها ، فعذرته انه لم يقع على غير نسخة واحدة معروفة . ولعل الايام لا تضن على هذا السفر المحترم بإيجاد نسخه المبعثرة في البلدان لتصحيح ما سقم منه بطول الايام وجمل الابدعي التي تعاونه .

م . ك

رسول الوحدة

«أوالوحدات الخمس»

يقوم إخواننا مسلمو الهند في هذه الايام بنهضة دينية ثابتة القدم . مقسمة النطاق . وقد جعلوا للغة العربية نصيباً مفروضاً من نهضتهم هذه كما اشرنا الى ذلك في مكان آخر من مجلد هذه السنة . ومن مساعيهم الحسنة انهم سمو يوم مولد النبي صلى الله عليه وسلم — (يوم النبي) ولم يقتصر وافيهِ على قراءة قصة المولد المشهورة التي اصحبت على قناري الايام ضعيفة التأثير في نفوس المسلمين بل أخذوا على أنفسهم استكتاب الفضلاء محاضرات في حياة النبي (ص) وسيرته وحقائق شريعته ثم يترجمون تلك المحاضرات الى اللغات المختلفة وينشرونها في العالم . قالوا : ولقد كان من نتيجة المساعي التي بذلت في السنوات الثلاث الماضية أن أقيم في مئات من المدن مراكز لإشاعة (الحياة النبوية) وقد ترجمت الحياة الى (١٧) لغة وأقيم في مختلف جهات العالم خمسون الف احتفال ووزع ما يزيد على سبعمائة الف كتاب في (الحياة النبوية) بين المسلمين وغير المسلمين مجاناً . وقد أرسل الاعلان الأسامي لهذه الفكرة — الى ٢٨٥ صحيفة لنشره حيث يم من (كاليفورنيا) الى سواحل الصين اه .

ومن هذه المحاضرات التي أقيمت في (يوم النبي) محاضرة بليغة بعنوان (رسول الوحدة) القاها زعيم الاصلاحيين في بلاد الهند مولانا الاستاذ (سليمان الندوي) ولعله القاها باللغة

الاوردية فترجمها مولانا (احسان سامي حقي) الى اللغة العربية وقد أرسلت الى مجمعا نسخة من هذه المحاضرة فاذا هي تتضمن ستة أبحاث في الوحدات الخمس (١) وحدة الالوهة (٢) وحدة الرسالة (٣) وحدة الكتاب السماوي (٤) وحدة الانسانية (٥) وحدة الدنيا والدين . فكان المحاضر يشرح كيف أنه صلى الله عليه وسلم علم بهذه (الوحدات) ثم يقارن بين تعاليمه فيها وبين تعاليم الاديان الأخرى ويبين أفضلية التعليم المحمدي وفائدته للبشر وإصلاح حالهم . وفي المحاضرة فوائد تشرح لنا عقائد أديان الهند وتعاليم أنبيائهم . ويظهر من كلام مولانا سليمان السدوي أنه يعتبر سقراط وزرادشت وبودا وكونفوشيوس وامثالهم من الانبياء الصادقين الذين لم تذكر اسمائهم في القرآن . وذكر أن فرقة من فرق الهندوس الوثنيين تعتقد بثلاثمائة وثلاثين مليون من الآلهة وهذا أكبر عدد في تعدد الآلهة كما ان عقيدة (ماني) القائلة بالإله آمين أقل عدد . وقد جاء محمد صلى الله عليه وسلم فعلم بالتوحيد الخالص وقد أدرك المعدون خطأهم فأخذوا في إصلاحه : فقد قام في القرن الرابع عشر للميلاد المصلح (رامانندسيامي) فدعا الى توحيد الإله وذهب الى أن مذاهب العالم كلها مستمدة من نبع واحد . وقام بعده في القرن الخامس عشر المصلح (كبير) فقصى على عبادة الأوثان وحاول أن يدمج الوثنيين بالمسلمين الموحدين . قال (وهكذا يظهر أن مذهب السيخ كان وضع أساسه في اجداء وأمره بناء على هذه النظرية) (بعض نظرية التوحيد . أما المصلح (كبير) هذا فهو رجل حائك ألف فرقة موحدة وقد انقرضت فرقته . ولا يزال بعض كتبه التي ألفها متداولاً في أيدي الناس وأكثرها شعراً . وأما مذهب (السيخ) فصاحبه (بابانانك) البجنابي ومذهبه كان أقرب الى الاسلام منه الى الهندوسية غير أن اتباعه عادوا فابتعدوا عن الاسلام واقتربوا من الهندوسية ولهم كتاب مقدس وعددهم نحو ثلاثة ملايين ونصف ومسمى كتاب البجناب . وكلمة (سيخ) تكتب في اللغة الهندية هكذا (سينكه) وتلفظ بكسر السين والياء وإسكان الكاف والهاء المدغمتين . وذكر المحاضر الفاضل ان الاسلام علم بوحدة الانسانية بينا الوثنية تفرق هذه الوحدة فتجعل الانسان طبقات مختلفة طبقه مخلفت من (فهم الإله) وأخرى من (يديه) وثالثة من (رجليه) وهلم جرا . وذكر المحاضر في بحث وحدة الرسالة ان الاسلام علم بوجود الإيماني بالرسول وأبطل ما كان عليه اليهود من تكذيبهم لميسى وما كانت عليه قريش إذ (كانت تكفرو

حق استماع اسمه) اي اسم عيسى ؟ الى غير ذلك من الفوائد التي تضمنتها تلك المحاضرة النفيسة فالشكر لصاحبها .

المغربي

ثلاث رسائل

« في علم مصطلح الحديث »

علم مصطلح الحديث او علم اصول الحديث من العلوم الجليلة التي يتوقف عليها الاجتهاد او التشريع في الاسلام ومن ثم تعددت التأليف في هذا الفن وطبع منها الشيء الكثير وبقي الشيء الأكثر مدفوناً في مظامير الخفاء تنتظر ارباب الجد والحرص على نشر العلم فينشرونها من مدافنها ويشيرونها من مكائنها . من ارباب الجد هؤلاء الأستاذ الشيخ راغب الطباخ عضو الجمع العلمي العربي في حلب فإنه لا يألو جهداً في التنقيب عن نفائس الكتب وطبعها ونشرها . من ذلك ثلاث رسائل في علم المصطلح عثر عليها في بعض الجامعات المخطوطة المحفوظة في مكتبة التكية الاخلاصية وبعد ان عارضها بثلاث رسائل من جنسها محفوظة في دار الكتب الظاهرية بدمشق طبعها في كِتَاب واحد تبلغ صفحاته نحو ثمانين صفحة حسنة الطبع والضببط والتصحيح والتعليق .

وأولى تلك الرسائل (تذكرة الطالب المعلم . بن يقال انه مخضرم) وهؤلاء المخضرمون من رواة الحديث بلغ عددهم اثنين واربعين رجلاً والمخضرم في مصطلح الحديث ان يتردد الراوي بين طبقتين من طبقات الرواة بحيث لا يدري من ابتعها هو :

والرسالة الثانية (التبيين لأسماء المدلسين) والراوي المدلس هو الذي يروي الحديث ولا يسمي من حدثه به أو يوم أنه سمعه من محدث ولا يكون ذلك المحدث حدثه به في الواقع ونفس الأمر . والتدليس انواع مبسطة ومبينة في هذه الرسالة وسواها .

والرسالة الثالثة (الاغتباط بمن رمي بالاختلاط) هذه الرسالة تكشف لنا عن أسماء رواة الحديث وطلقاته الذين اصيبوا في آخر عمرهم بالحرف أو العتة فتقع الشبهة في الأحاديث التي رويوها : هل رويوها في حالة سلامتهم او في حال عتتهم . والرسائل الثلاث تأليف الحافظ

برهان الدين أبي اسحق ابراهيم بن محمد بن خليل السبط بن العجمي المحدث بالمدرسة الأشرفية
بجبل المتوفى سنة ٨٤١ هـ .
المغربي

المسك الأزفر

« تأليف السيد محمود شكري الآلومي البغدادي رحمه الله »

سوق العلم لا تزال كاسدة في بلادنا على الرغم من النهضة المباركة التي نراها اليوم في
الشبيبة السورية لان الأكثرين انما يطلبون العلوم الفنية كالطب والصيدلة والحقوق من
أجل تأمين مستقبلهم وكسب رزقهم من هذه الأبواب . ومن حصل لغة قبل ذلك فليل
الشهادة المدرسية التي تمكنه من دخول مدارس العلوم الفنية .

قليل اليوم من يهتم بالعلم من أجل العلم . واقل منهم من يُعفى بتدوين تراجم العلماء
المحدثين مع أن تراجم العلماء الاقدمين كتبها أكثر من أن تُعد . ذلك لان جامع مثل
هذه الكتب لا يبيع منها بما يستعوض به نفقة الطبع فضلاً عن الربح . وهذا من جملة
براهين كساد العلم الذي لا يدرك لصاحبه كسباً مادياً .

سدد السيد نعمان الاعظمي ببغداد قطعة ولو صغيرة من الثلثة الكبيرة ، بطبعه على
نفقته كتاب « المسك الأزفر » للمرحوم السيد محمود شكري الآلومي المتفهم تراجم علماء
بغداد في القرنين الثاني عشر والثالث عشر . وقد أهدى الى مكتبة المجمع العلمي الجزء
الاول منه وهو مصدر تراجم العلماء من البيت الآلومي وهو بيت اشتهر بالفضل والصلاح ،
ومن هؤلاء بعضهم رندوا في رحمة ربهم وبعضهم احياء يرزقون ، ولا غرابة في هذا
التصدير فالمؤلف من هذا البيت . تلا ذلك تراجم عدد من اشتهروا بالعلم في بغداد ،
ويتخلل كل ترجمة شيء من شعر المترجم .

عبد الله رعد

عضو المجمع العلمي

نصوص قهري توتموزيس الثالث وامنوفيس الثاني

«المسيو بوشير — الجزء الاول عدد صفحاته ٢٢٢ مع ٤٢ لوحة رسوم»
 «طبع القاهرة سنة ١٩٣٢»

Paul Bucher - Les textes des tombes de Thoutmosis III et d' Aménophis II . Tome premier , 222 pages et 42 planches . Le Caire 1932 .

نشرت هذه الوثائق في الجزء الستين من مجلة المعهد الافرنسي للآثار الشرقية في القاهرة وفي الجزء الاول مجموعة المروغليفية المدبنة على جدران قهري الفرعون توتموزيس الثالث والفرعون امنوفيس الثاني اللذين اكتشفها المسيو لوري (Loret) وقد شفع هذه النصوص برسوم واضحة يمكن منها التثبت من صحة حل رموزها ، وموضوع هذه الوثائق ديني يتعلق بطقوس الموتى .

جعفر الحسني



الكلمة الاخيرة

في الكلمات غير القاموسية

— او فتاوى علماء اللغة المصريين في أصنافها البعثة —

« تمهيد الطريق أمام الهجوم العتيق »

— ٢ —

« الصنف الخامس »

المعرب أو الكلمات المولدة بالتعريب وهي التي يكون أصلها أعجمياً فيستعمله العرب بعد تغييره تغييراً قليلاً أو كثيراً ويندر أن يبقوه على حالته . ومنه الخفيف على اللسان نحو كلمة (فلم) شريط السينما . ومنه الثقيل نحو كلمة (اوتوموبيل) و (برصوناليت) . فهل هذه الكلمات المعربة مما يجوز قبوله واستعماله وتدوينه او لا ؟ فاجاب الاساتذة :

(١) — الرصافي « مجلد ٨ ص ٣٢ » (تأخذ منه ما تقرر باستعمال العامة اباه بعد صقله وتحويله إن كان فيه تناقض او ثقل او خشونة) .

(٢) — الفلاييني « مجلد ٨ ص ٣٥٩ » (أرى استعمال المعرب : كاللناورة واللفظ الاعجمي إن امكنا ايجاد لفظ عربي له فذاك والا عربناه) .

(٣) — نقولا فياض « مجلد ٨ ص ٥٦٠ » (ان الألفاظ الشائعة الدخيلة لا بأس بها اذا لم نجد ما ينوب عنها) ثم اشار باستعمال الكلمات الاعجمية الخفيفة نحو (بالون) وترجمة ما كان ثقبلاً نحو (برصوناليت) فنقول مكانها (ذاتية) ثم قال (وكما اطلب أن تدخل في اللغة ألفاظ ليست منها فاني اطلب ان يهدف الفاظ وضعت لعهد مضى الخ) .

(٤) — الاسكندري « مجلد ٨ ص ١٠٤ » القول الفصل عنده في هذا الصنف أن الكلمات الألف التي عربتها الجاهلية واهل القرون الاسلامية الثلاثة تُعدّ عربية . وان ما سواها من الكلمات التي عربها غير هؤلاء الى زمننا الحاضر فهو عامي . واستعماله لحن . وقبوله خرق للقواعد .

(٥) — النشاشيبي « مجلد ٨ ص ٢٨٥ » (الالفاظ المعربة في الازمنة الكريمة يجب ان تودع المعجم العربي وتعد عربية محضة) وقوله (الازمنة الكريمة) يشعر بانه يشترط في قبول (المعرب) ما اشترطه الاستاذ الاسكندري اعني ان يكون مما عرب في العصر الجاهلي او العصور الاسلامية الاولى .

(٦) — محمد الخضر « مجلد ٨ ص ٤١٠ » (يجب على المجمع العلمي ان يضع الفاظاً عربية للعاني الحديثة . . . ولا نعه مضطراً الى اباحة استعمال الكلمات الاعجمية الا اذا لم يجد في نفس اللغة العربية ما يغني عنها) .

(٧) — الزهاوي « مجلد ٨ ص ٦٨٦ » (نقبل كل دخيل (يعني به المعرب) بعد تخفيف الثقل منه بصقله وارجاعه الى الاوزان العربية وتبديل بعض حروفه كما تقتضيه قواعد التعريب : فنقبل اليوم الاكجيين والتلسكوب والسينما والبترول كما قبل اجدادنا قبل اليوم الاسطفس والهيوولي والاسفنج والاسطرولاب) .

(٨) — احمد رضا « مجلد ٩ ص ٥٨ » (التعريب مفتوح الباب في اللغة . . والكلمة الاعجمية ان كانت خفيفة استعملت على حالتها كما استعمل العرب (لجام) الاعجمية وان كانت ثقيلة هذبت وأرجعت الى اوزان العرب) .

(٩) — قسطاكي حمصي « مجلد ٩ ص ١٢٦ » (هناك الفاظ كثيرة اعجمية لا يأبأها قانون الوضع عندنا خلفه لفظها) ثم اشار على المجمع باعلان امثال هذه الالفاظ كي تستعمل وتشيع ونظم في سلك اللفظ العربي وتغني بها اللغة العربية وهذا اذا لم يمكن وضع لفظ عربي يقوم مقامها كما وضعوا السيارة للاتوموبيل والمنطاد للبالون .

(١٠) — سليمان ضاهر « مجلد ٩ ص ٤٨٤ » (اقول بجواز استعمال ما خف لفظه على السمع مثل (فلم) و (بالون) ان اقتضت الضرورة وتعدّر وضع ما يؤدي مؤداه من الفاظ اللغة العربية) .

(١١) — عيسى المعلوم «مجلد ٩ ص ٣٥٥» أشار أولاً بلزوم وضع كلمات عربية في مقابل الكلمات الاعجمية بحيث تشترك معها ولو ببعض الوجوه ثم قال : (واذا لم نجد ما يناسب اللفظ الاعجمي وكان هذا الاعجمي خفيفاً وصيغته تناسب الصيغة العربية فلا بأس بإبقائه على أصله) .

(١٢) — الكرملي «مجلد ٨ ص ١٠٢» خلاصة جوابه ان الكلمات الاعجمية اذا كانت ثقيلة وجب ان تفرغ في الاوزان العربية حتى تخف على اللسان اما اذا كانت خفيفة مثل (فلم) (بالون) (مناوره) وجب قبولها ولو كان في لساننا ما يقوم مقامها ثم ضرب لذلك مثلاً اجدادنا العرب فانهم كانوا يستعملون الكلمة الاعجمية مع وجود عربية تقوم مقامها ولا سيما اذا كانت العربية ثقيلة فالفيل كان العرب يسمونه (العيشوم) (الكاثوم) (الدغفل) (المقرطل) (ابو مزاحم) الخ لكنهم لما سمعوا الفرس يقولون « الفيل » تركوا كلماتهم واكتفوا بكلمة (الفيل) (ألم تركيف فعل بذلك باصحاب الفيل) .

(١٣) — احمد امين «مجلد ٨ ص ٣٥» اجاب بما حاصله : ان الكلمة الاعجمية اذا كان مسماها امراً معنوياً مثل (Idéal) وجبت ترجمتها الى العربية وان كان مسماها امراً مادياً مثل كلمة (فونوغراف) وتمذرت ترجمتها الى العربية قبلت بعد صقلها وتهذيب خشونتها . ويستفاد من كلامه انه يعتبر ما تفعله العامة في صقل الكلمات الاعجمية وتهذيبها وقد قال في هذا الصدد هؤلاء عاتتنا استثقلوا كلمة (سيناثوغراف) فسموها (سيناثا) وكذلك يفعلون في كثير من الكلمات) .

(١٤) — النكدي «مجلد ٨ ص ٥٩٧» (اللغة مجموع الفاظ يعبر بها عن المعاني فهل يعقل ان نقف عاجزين أمام بعض المستحدثات الجديدة والمعاني العصرية : لا نعرف لها اسماً . ولا نوجد لها لفظاً . ومنع الناس ان يستعملوا اللفظ الاجنبي لها ؟) كلا لا يعقل بل يجب ان نقبل المرب . ثم يفهم من نقوى بقية كلامه انه يشترط لقبول الكلمة العربية ان لا يوجد في اللغة العربية ما ينوب منابها .

(١٥) — كامل النزي «مجلد ٨ ص ٤٨٠» قال ما ملخصه : ان كان اللفظ الاعجمي مرادف في لغتنا العربية استعملنا المرادف والا استعملنا اللفظ الاعجمي بصيغته الاعجمية

ان كان خفيفاً نحو (كيلو . سنتيم . فرنك) وان كان ثقيلاً حولناه الى صيغة عربية فنقول (طن) في (طنولاته) و (تنيل) في (اوتومويل) هذا اذا لم نترجم (طن) بقنطار و (اوتومويل) بسيارة .

(١٦) — الجابري «مجلد ٨ ص ٣٦١» اطال في الجواب عن الكلمات العربية بما يدل على قبوله بل تعصبه لها ودفاعه عنها كلها حتى الثقل منها الذي عربه المعاصرون وبما قاله في هذا الصدد (اسماء المخترعات الحديثة مثل التلغراف والتلفون والادتومويل ليس قلبها الى اسماء أخرى فائلين (برق . هاتف . سيارة) إلا من التعصب البارد بل يكون من قبيل اغتصاب ما ليس لنا . . . على ان دخول تلك الاسماء في لغتنا لا يمس كيانها ولا شرفها مما كثرت بل تزداد لغتنا رونقاً بموافقتها للغات اصحاب تلك المخترعات الخ) .

(١٧) — ادور مرقص «مجلد ٨ ص ٧٤٠» اطنب في اظهار حرصه على سلامة اللغة العربية وذهب الى ان قبول الكلمات الاعجمية يفسد اللغة تدريجياً فهو يرى وجوب الاستغناء عنها مطلقاً خفيفة او ثقيلة ما دام في لغتنا متسع فاذا لم نجد متسعاً واحتجنا الى لفظ اعجمي (فلا بأس ان ننقله والاحسن ان لا ننقله الا عربياً اي مذهباً حسب الاوزان العربية) فيفهم من هذا تجويزه للعرب بشرط حاجتنا اليه وبشرط طبعه بالطابع العربي .

(١٨) — رشيد بقدونس «مجلد ٩ ص ١٠٣» (ترد كل كلمة أعجمية لم يستعملها العرب . وليس لنا ان نقيس أنفسنا على اجدادنا الذين عربوا كلمات اعجمية : فالجاهلية لم يعربوا عن قصد . . . والاسلاميون ما لبثوا (بعد ما عربوا كلمات اعجمية) ان استبدلوا بها أخرى عربية محضة) ثم وصف الطريقة التي يجب ان نسلکها في تدوين الاصطلاحات العربية القديمة لنستغني بها عن الاصطلاحات الاعجمية الحديثة وان الواجب علينا اليوم ان نترجم الى لغتنا ما استبعد من الاصطلاحات ثم قال : (واذا عجزنا عن ترجمتها فاني اذهب الى أبعد من ذلك فاخترع كلمة مهيئة من احرف عربية ثلاثية او رباعية او خماسية او سداسية موافقة للأوزان العربية وأضعبها لذلك المعنى وانشرها ولا استعمل كلمة اجنبية . هما كانت فيمتها اه) .

انتهت الاجوبة عن صنف الكلمات العربية . وهذا الصنف هو بيت القصيد من الاقتراح . وقد كانت أكثرية الآراء في جانب قبول تلك الكلمات .

ومن مواضع العجب في اجوبة الاساتذة أن احدهم وهو (العلامة الجابري) أفرط في التفاؤل بالكلمات الاعجمية : فهو يستحسن بل يرى من الحق ان نستعمل كلمة (تلفراف لا يرق) (وتلفون لا هاتف) (واوتوموبيل لا سيارة) بينما (الاستاذ بقدونس) يفرط كل الافراط بالتشاؤم بالكلمات الاعجمية حتى ما كان خفيفاً منها فكلمة (فلم) مثلاً يجترع كلمة جديدة ولو بان يقلب كلمة (فلم) فيقول (ملف) وهو لفظ مهمل في اللغة العربية يتبدل على شريط السينما ولا يقول (فلم) . وبين الاستاذين ستة عشر استاذاً توسطوا فاجازوا العرب بالشروط المعتمدة عند معظم علماء اللغة المتقدمين .

« الصنف السادس »

أساليب او تراكيب ذات معان اعجمية الاصل وقد تسربت الى لغتنا العربية مترجمة عن اللغات الاجنبية ولا عهد للعرب الاقدمين بها وهذا كقولهم (ذر الرماد في العيون) (عاش ستة عشر ربيعاً) (وضع المسألة على بساط البحث) (ساد الامن في البلاد) في نظير ذلك . فهل امثال هذه التراكيب يقبل في لغتنا ويستعمل ويدون او لا ؟
فاجاب الاساتذة :

(١) — احمد امين « مجلد ٨ ص ٣٥ » (أوافق كل الموافقة على ادخال هذا الصنف في لغتنا) .

(٢) — رشيد بقدونس « مجلد ٩ ص ١٠٣ » (هذا الصنف يقبل) .

(٣) — احمد رضا « مجلد ٩ ص ٥٨ » (لا غبار على تلك الاساليب ولا بأس في استعمالها)

(٤) — الرصافي « مجلد ٨ ص ٣٢ » (هب مفردات اللغة موقوفة على السماع ولكن من ذا الذي ادعى ان التراكيب بما فيها من تشبيه واستعارة ومجاز وكناية موقوفة هي ايضاً على السماع ؟)

(٥) — الزهاوي « مجلد ٨ ص ٦٨٦ » (لا احسب في هذا الصنف ما يدفع الى الاستفتاء عنه والا اضلقتنا باب المجاز والتشبيه وهما من محاسن اللغة) .

(٦) — الغلاييني « مجلد ٨ ص ٣٥٩ » (ما لا يضر بأساليب العربية من الاساليب

والتراكيب الاعجمية جاز استعماله) .

(٧) — سليمان ضاهر « مجلد ٩ ص ٤٨٤ » (لا مجال للتردد في جواز استعمال هذه التراكيب والأساليب الأعجمية اذا كانت جارية مجرى التراكيب والأساليب العربية) .

(٨) — نقولا فياض « مجلد ٨ ص ٥٦٠ » لم يُجيب على هذا الصنف بخصوصه لكن يعلم قبوله له من جوابه على الكلمات (الاصطلاحية والمولدة والمعرّبة) فانه أجازها كلها . وهو بالطبع يميز الأساليب الأفرنجية ومثله في ذوقه الإنشائي لا بد ان يشترط موافقة تلك الأساليب للأذواق السليمة ولقواعد اللغة القومية كما اشترط غيره .

(٩) — الجابري « مجلد ٨ ص ٣٦١ » لم يتعرض الأستاذ لهذا الصنف ايضاً ولعله رآه واضحاً لا يحتاج الى جواب ولا سيما ان الأستاذ أجاز تعريب الكلمات الأعجمية وفتح لها الباب على مصراعيه فكيف لا يسمح للأساليب الأفرنجية بالدخول . وهي أحق منها بالترحيب والقبول ؟

(١٠) — النكدي « مجلد ٨ ص ٥٩٧ » (ليس في العرب من ينكر تعبيراً او تركيباً لا يخالف المناحي العربية والا لامتنع المجاز والكناية والاستعارة) فالأستاذ النكدي يشترط ما اشترط المحبون الاولون من وجوب موافقة الأساليب الأفرنجية للأساليب العربية . وزاد تلك الموافقة ايضاحاً وبياناً للمحبين الثالون :

(١١) — الكرمل « مجلد ٨ ص ١٠٢ » قال ما نخفوه : ارحب بالأساليب التي تضمنت «خواطر أفرنجية» كالأمثلة المذكورة بشرط ان يكون تركيبها عربياً لا خلل فيه . والا بان تقدم فيه المضاف اليه على المضاف مثلاً كما في اللغتين الفارسية والانكليزية فهذا أكرهه ولا أوافق عليه .

(١٢) — النشاشيبي « مجلد ٨ ص ٢٨٥ » لم يُجيب الأستاذ النشاشيبي على هذا الصنف بخصوصه وانما قال (فرض علينا اليوم نبذ كل تركيب غير عربي يلتبس فيه معنى الكاتب ولكل لسان أسلوب ، والتسامح في هذا الشأن هو اهلاك) فهو قد اشترط في قبول الاسلوب الأفرنجي ما اشترطه الأستاذ الكرمل من كونه مطابقاً في التركيب للقواعد العربية كي يسلم المعنى من اللبس .

(١٣) — الاسكندردي « مجلد ٨ ص ١٠٤ » وجواب هذا الأستاذ أيضاً بتلخيص الاشتراط فيه بما قلناه في جواب الأستاذين السابقين الكرملّي والنشاشيبي .

(١٤) — قسطاكي حمصي « مجلد ٩ ص ١٧٦ » لا غبار على أساليب هذا الصنف ما لم تكن عامية مبتذلة . وهذا الابتذال الذي أشار اليه الأستاذ المحبب أو ضمه المحببون الثالون بالأمثلة والشواهد :

(١٥) — محمد الخضر « مجلد ٨ ص ٤١٠ » (لا نعلم وجهاً للنفور من استعمال هذا الصنف ما دام التركيب موافقاً للذوق المألوف في علم النحو) . الا ان يكون شيئاً تنبو عنه الاذواق السليمة (وما تنبو عنه الاذواق السليمة هو العامي المبتذل الذي حذر منه الأستاذ حمصي .

(١٦) — كامل الغزي « مجلد ٨ ص ٤٨٠ » هذه التراكيب والاساليب وما مثلها لا ارتاب في جواز استعمالها . . . لان المركبات الاسنادية لا يتوقف استعمالها على النقل عن العرب كالمفردات . . . على شرط ان تكون مما افاضته قريحة سليمة لاسفجة يقول صاحبها (هذه عصارة عقلي) وربما قال (عصارة دماغي) اه .

(١٧) — عيسى المعلوف « مجلد ٩ ص ٣٥٥ » (اذا كان لهذه الاساليب المترجمة مايقابلها في اللغة العربية الفصحى فالاولى استعمالها وان لم يكن في لفتنا مايقابلها وكانت قريبة من اذواقنا قبلناها ايضاً) ثم مثل الأستاذ للأساليب الافرنجية التي لا تلائم اذواقنا بقول (فيكتور هيكتور) : (اجراس كثيرة تفرع كلها كأنها أنون من الموسيقى) ويقول الآخر (جليلد المرأة) يريد زجاجها ويقول (وشطن ابرفن) في مطالع يقرأ الكتب ويثني اطراف اوراقها ليرجع اليها عند اللزوم قال : (ان كتبه كلها آذان كلاب) ويقول الانكليز في وصف الرجل الذي يكف على مطالعة الكتب « هو دودة كتب » ويقول في وصف أزهار الازهار في براعمها « نامت في سريرها الشتائي » فالأستاذ المعلوف يرى عدم قبول هذه الاساليب المترجمة لانها بعيدة عن الاذواق العربية .

(١٨) — ادور مرفص « مجلد ٨ ص ٧٤٠ » (هذا الصنف مرجعه الى المجاز وباب المجاز لاهرج علينا في التوسع فيه بعد المحافظة على وضوحه وملاسته لمعيشة الناطقين به وعاداتهم واذواقهم) ثم قال : ان من المجازات الافرنجية ما لا تنصكره اذواقنا فالواجب

قبوله ومنها ما تذكره اذواقنا فالواجب رفضه . ثم مثل للواجب الرفض بقولم :
(طلب فلان بد فلان) ونحن نقول (خطبها) وقولم (قذف آخر خرطوشه لديه)
ونحن نقول (رمى آخر سهم في كنانته) وقولم (ضحك ضحكة صفراء) ونحن نقول
(تكلف الضحك) اهـ .

فالاساتذة « الخضر والغزي والمعلوف ومرقص » جعلوا الاساس في قبول هذا
الصف ان يكون ملائماً لاذواقنا العريضة وكل منهم مثل لغير الملائم بأمثلة ان لم تلائم
ذوقه هو ربما لامت ذوق غيره . على ان تحكم الذوق الخاص وتميز الملائم من غير
الملائم — امر من الصعوبة بمكان : وذلك لاختلاف الازواق والمشارب ولتباين استعداد
الناس في « الحس اللغوي » وهذا هو في الحقيقة مبعث تشتتنا وتفرقتنا ووهن عزائمنا دون
الاصلاح الواجب لاعتنا . وأرى ان اتقدي بالاساتذة فاذكر بعض ما لا يلائم ذوقي من
الاساليب الاعجمية المترجمة :

« تعذيب الضمير . ومعذب الضمير . وضميري يعذبني » « بكى بكاء مرأ » « هناك
البكا وصرير الاسنان » (واقول انا في دوري) (المسألة الفلانية قيد البحث) (اعتنق
فلان الدين الفلاني) (مبارك هو الرب) (يجرى البخور امام فلان) (فلان ضحى فلاناً
على مذبح اغراضه) (يشتغل في حقل الوطنية) (صب طيبه جام غضبه) . وفي آخر
كتاب تلقينته من الامير شكيب بقول :

قولم « العمل الذي عمله فلان ضد فلان » او « لم يزل يجرى ضد » او « كان دائماً
يشتغل ضد » لم اجد هذا التركيب في الكتب القديمة افلا يكون تركيباً ؟

انتهت الاجوبة على الصف السادس وهي متفقة على قبوله بل ذهب بعض الاساتذة
الى ان قبوله يكاد يكون مدركاً بالبداهة وما كان ينبغي ذكره بين الاصناف الجعوث
عنها . غير ان بعضهم لاحظ ما لاحظناه من وجوب الاحتياط والحفظ في قبول الاساليب
المترجمة فاشتراط ان لا يكون في لغتنا الفصحى ما يقابلها وان لا تكون مخالفة في تركيبها
لقواعدها وان لا تكون نافية عن اذواقنا .

والحاصل ان هذا الصف مقبول . مع شيء من التحفظ المعقول .

« الصنف السابع »

العامي : وهو الكلمات التي تدور على افواه العامة ولا يستعملها الفصحاء بل يتعاشون النطق بها : مثل (بَدَي اذهب) (جيب الكتاب) (تمربش على الشجرة) (تمركش بفلان) .

فهل يجوز استعمال كلمات هذا الصنف وتدوينها في المعجم او لا ؟
فأجاب الاساتذة :

(١) - فسطاكي حمصي - حلب « مجلد ٩ ص ١٢٦ » (هذا الصنف مردود - مردود) .

(٢) - احمد رضا - جبل عامل « مجلد ٩ ص ٥٨ » (هذا الصنف لا يصح استعماله وهو هناك حرمة اللفظ) .

(٣) - ادور مرقص « مجلد ٨ ص ٧٤٠ » (لا اظن اديباً عربياً يخالف في خطر استعمال الكلمات العامية) .

(٤) - الفشاشيبي « مجلد ٨ ص ٢٨٥ » (الالفاظ المولدة في المعصور السفيفة والالفاظ العامية نبذها فرض) .

(٥) - الفلايني « مجلد ٨ ص ٣٥٩ » (لا ارى احداً يغار على لغته يقول بجواز استعمال هذا الصنف) .

(٦) - محمد الخضر « مجلد ٨ ص ٤١٠ » (الكلمات العامية من امراض اللفظ التي يجب ان نحمي السنتنا واقلامنا من ان تقوم حولها) .

(٧) - الاسكندري « مجلد ٨ ص ١٠٤ » (الكلمات المولدة التي لا يستعملها احد من الفصحاء لا يجوز استعمالها) .

(٨) - النكدي « مجلد ٨ ص ٥٩٧ » (أجاب بما يفيد شدة احتقاره للعامي وانه ما كان ينبغي ذكره في الاقتراح وانما ندعه لاولئك الذين يريدون إمامة لغتهم بأحياء عاميها) .

(٩) - احمد امين « مجلد ٨ ص ٣٥ » (لم يطلق القول في رفض العامي اطلاقاً كما فعل

من اجاب قبله وانما هو قسم الكلمات العامية الى ما يصح الانتفاع به في الاستعمال مثل كلمتي (جَزْمَة) و(عَرَبِيَّة) والى ما لا يصح مثل «ماطيش» وقال ان هذا القسم الاخير يرفض رفضاً باتاً وقد حذا حذوه في هذا التقسيم الاساتذة التالون :

(١٠) — الجابري «مجلد ٨ ص ٣٦١» (واما الالفاظ العامية فالمحرف والمصحف

منها والمشتق على غير قاعدة الاشتقاق العربي — لا ينبغي أن يرفض) .

(١١) — كامل الغزي «مجلد ٨ ص ٤٨٠» قال ما حاصله (اللفظ العامي المجهول

الاصل او الذي اصله اعجمي : ان كان له مرادف في اللغة أهمل والا استعمل . واما اللفظ العامي المحرف عن اصل عربي فانه يهمل ويستبدل به اصله العربي) .

(١٢) — عيسى الملوغ «مجلد ٩ ص ٣٥٥» العامي الفصح من اصله ووضعه يبقى

على حالته . وغيره يرد الى اصله او يوضع له ما يناسبه (عبارته هذه تزداد وضوحاً وتفسيراً بعبارته الاخرى الواردة في مقدمة الجواب وهي) اعتنيت بجمع اللغة العامية . . . ورددت ما يمكن رده الى اصله ووضعت لما ليس له كلمة عامية فصيحة ما يقابله من الفصحى اه) فراهبه اذن في الكلمة العامية ان تصحح ويقوم اعوجاجها . وان تعذر ذلك استبدل بها كلمة فصيحة .

(١٣) — سليمان ضامر «مجلد ٩ ص ٤٨٤» (هذا الصنف ممنوع البتة الا اذا كان

له اصل فصيح يمكن ارجاعه اليه) .

(١٤) — نقولا فياض «مجلد ٨ ص ٥٦٠» لم يصرح برأيه بخصوص هذا الصنف

وانما قال (ان الالفاظ الشائعة الدخيلة لا بأس بها اذا لم نجد ما ينوب منايها) وقوله هذا عممناه فجعلناه يشتمل الصنفين السابقين (المولد) و (المعرب) وكذلك هو يشتمل بظاهره الكلمات العامية فهي مقبولة عنده اذا لم يكن في اللغة ما ينوب منايها واذا كان نكحون في احاجة اليها .

(١٥) — الكرمل «مجلد ٨ ص ١٠٢» ان الكلمات العامية تختلف في رأيه اختلاف

الادوية وعليها ان تصنفها ونميز بينها كما يفعل الصبدي في ادويته قال : (فالسام من الالفاظ هو العامي القبيح الذي يكون له مقابل فصيح — والمضر هو العامي المبتذل — والنافع هو العامي المولد الذي لا غنى لساعته ولا سيما اذا كان لمنه علاقة بالعلوم — والمفذي هو

العامي الفصيح الجامع لشروط الفصاحة والبلاغة اه) . فيفهم من هذا انه يقبل العامي بشرط ان لا يكون له مقابل فصيح وأن لا يكون مبتذلاً . أما العامي المبتذل أو الذي له مقابل فصيح فلا يجوز قبوله ولا تدوينه . واما العامي الفصيح فهو نعم المغذي والمنمي للغتنا .

(١٦) — رشيد بقدونس « مجلد ٩ ص ١٠٣ » (في هذا الصنف تفصيل اجاد فيه من اجاب قبلي) وقد عني الاستاذ بهم من ميز بين الكلمات العامية : فقبل بعضاً ورفض بعضاً . هذا وقد بقي من المحبين استاذان : (الزهاوي) و (الرصافي) وفي جوابها نعمة لم نسلمها من غيرهما .

(١٧) — الزهاوي « مجلد ٨ ص ٦٨٦ » واما هذا الصنف السابع فلا وجه لجملة صنفاً على حدة يستغنى عنه في يوم صوت الجمل فيه اقوى من صوت العلم (اه) . ولم افهم ما اراده بعبارة . الاخيرة : هل اراد احتقار العامي كما احتقره الاستاذ النكدي وانه اذا اراد الاعراب عن رأيه في احتقاره قام الجاهلون فرفعوا اصواتهم بالانتصار له — أو أنه على العكس يراه موضعاً للاهتمام والدرس وانه اذا اراد التصريح بقبوله قام الجاهلون فرفعوا عقيرتهم بالزراية عليه وانتقاصه وبناءً على الفرض الثاني يكون رأي الزهاوي في العامي ك رأي الرصافي فاسمع ما قال :

(١٨) — الرصافي « مجلد ٨ ص ٣٣ » : (الكلام على هذا الصنف لم يحسن حينه بعد فلذا أمر به ساكتاً بلا جواب) ثم قفى على ذلك بقوله (ان مسألة اللغة العامية من اهم مسائلنا الحاضرة التي تستحق النظر والدرس والا فان الاعراض عنها ليس من الصواب .

انتهت الاجوبة على الصنف السابع اعني الكلمات العامية وبانتهائها انتهت الاجوبة على الاصناف السبعة التي يتألف منها الاقتراح . وخلاصة ما اجابوا به على الكلمات العامية ان واحداً منهم وهو (الاستاذ الرصافي) توقف عن الحكم عليها وأعرب عن حسن الظن بها . وآخر وهو (الاستاذ الزهاوي) جزم القول في ذلك وهو في الراجع يريد ما اراده رصيفه وابن بلده . وثمانية منهم ميزوا بين هذه الكلمات العامية فقبلوا بعضاً ورفضوا بعضاً . والباقيون وهم ثمانية أطلقوا القول في ردّها ومقتها وعدم قبول شفاعتها فيها .

شعوب سورية

وآثارها القديمة^(١)



عنت الام منذ القديم بالفنون الجميلة وخاصة منها الصنائع وكان حفظ كل أمة من هذا الشأن بحسب رقيها وحضارتها وكان الملوك والعظماء يجمعون آثار مشاهير فناني العالم ويتنافسون باقتنائها لا لغاية عميلة بل للزينة والتفاخر ودام هذا حالم حتى النصف الثاني من القرن الثامن عشر للميلاد لما ظهر كتاب تاريخ الفن عند الاقدمين لمؤلفه (Winckelmann) الألماني وهو اول من وضع أسس هذا العلم الحديث علم الآثار القديمة ومنذ ذلك اليوم أصبحت المجموعات الأثرية مكتبة يرجع اليها بعد ما كانت من جملة المتاع تزين بها القصور .

لم يقتصر التجدد في عصرنا هذا على العلوم والفنون فقط بل تعداه الى التاريخ ونهج المستغلون به نهجاً جديداً . فقد كانت التاريخ فيما مضى كتاب أدب يجمع بين الاخبار والفكاهات وبدس فيه حوادث ما أنزل الله بها من سلطان رغبة في تأييد مبدأ او خدمة حاكم حتى أصبح الكثيرون يشكون بعمه ماورد في أكثر هذه الكتب ولطالما قرأنا روايتين أو أكثر لحادث واحد تختلف الواحدة عن الأخرى اختلافاً كبيراً حتى أصبح التاريخ القديم في ارتباك عظيم .

ان مؤرخي العرب هم اول من أدرك وبال هذا المنهج العقيم لما عانوه من المشاق في استنتاج الحقائق من المصادر التي دوتها الأقدمون وحضوا الكتاب على أمانة النقل حرصاً

(١) المحاضرة التي القاها الامير جعفر الحسيني في ردهة المجمع العلمي في ٩ شباط

على الفائدة ولا إدراك الغاية التي وضع التاريخ من أجلها ، فليس هو مضمناً تنبأ به قرائح الشعراء أو تخدم بواسطته الأهواء . ولذلك نرى مؤرخي العرب مثل الطبري والفرج وابن الأثير وابن خلدون وابن عساكر وغيرهم قد نهجوا منهجاً جديداً في تدوين الحوادث والأخبار حتى أصبحت مصنفاتهم من مفاخر الحضارة العربية لما امتازوا به من الضبط والدقة والصدق في إيراد الأخبار وإيجازها واتصلت سلسلة تلك التواريخ العربية حتى يومنا هذا . وقد توسع علماء الزب بالضبط والدقة منذ ظهور الطباعة وانتشارها في العالم حتى أنه لا يقدم أحدهم على سرد حادث دون أن يؤيده بأدلة راسخة أو الإشارة إلى المصادر والمآخذ مع تعيين الصفحة والسطر وإذا لم يتوصل إلى معرفة أمر أقر بهجته بكل صراحة دون أن يرى بذلك ما يحيط من قدره ولا يستنكره عليه أحد . ولما لم يجد علماء التاريخ في التأليف القديمة ما يفي بحاجتهم وضافت بهم سبل الهداية لمعرفة الماضي عمد بعضهم إلى بطن الأرض يستنطقون دفائنهم ويستضيئون بقبس كنوزها . وأطلق على هذه الفئة اسم علماء الآثار لأنهم يعتمدون على الآثار دون سواها .

إن علم الآثار القديمة فرع من فروع التاريخ ومن أصعبها مراساً إذ يحتاج صاحبه إلى انتباه قوي وذوق سليم فإن هذا العلم لا يقتصر فيه فقط على جمع الآثار القديمة في المتاحف ووصفها بل الصعوبة كل الصعوبة سبغ حل رموزها وفهم كتبها واستنباط تلك الشهود الصامته واستنتاج الحقائق منها وقد قال Volney ما ترجمته « إن مهمتنا أصعب من مهمة علماء الطبيعيات لأننا لا نستغل مثلهم بأجرام ملموسة أو بحوادث واضحة للحواس بل نعمل كهينة تحقيق لديها حوادث أدبية غائبة وربما كانت مختلفة نقلها إلينا بعض شهود عيان أو اتصلت بهم أخبارها من الرواة ويتكلم هؤلاء المحدثون لغات مختلفة قد تلاشت فيتطلب منا تعلمها وهي العثرة الأولى في بدء الأمر وقد نغطي بترجمتها . ثم يجب علينا البحث عن الحوادث أو الوقائع المبعثرة التي تؤيدها وتكون هذه غالباً محرفة بتناقضها من لم إلى لم ويتطلب منا بعده متابعة هذه الروايات والتثبت من أخلاق محدثيها وصدق تحقيقهم ويكون التناقض في بعض الحوادث واضحاً فينشأ عنه صعوبات لا يخرج منها (١) .

وقد أصبح النظر اليوم في أبحاث علماء الآثار ونقح يقائهم من الواجب على كل مؤرخ ومحقق كما يستنير بها كل لغوي ومفسر . فكأن معضلة تاريخية ولغوية حسمت بفضل هذا

العلم . وكم من حوادث جاءت في كتب السلف بل وفي الكتب المنزلة فذهب الناس في تأويلها وشك بعضهم في صحتها ولولا علم الآثار الذي أمارت عنها اللثام وأظهرها للعيان ملهوسة محسوسة لقالوا عنها أساطير الاولين . أليس آشور والكلدان ومصر وفارس وبونان شهود عدل على جهود الذين اكتشفوا آثار تلك البلاد وبعثوا ذكرهم بعد ان كانوا نسياً منسياً وفقاً من السنين . .

لم يدوتن الأقدمون غير النذر اليسير الذي وصلهم من أخبار الشعوب القديمة وأغفلوا ذكر أكثر الأمم البائدة التي ذهبت أخبارهم بزوال أصحابها ولو اكتفينا بهذه النصوص المشوهة لما كنا أوفر حظاً ممن تقدمنا بمعرفة أخبار السلف . وبفضل هذا العلم نعرف اليوم أكثر أخبار هذه الأمم كما نعرف حوادث الأمم في القرون الوسطى . وقد توصلوا الى معرفة ما كان عليه الانسان قبل عشرات الالوف من السنين يوم كانت الارض وطاءه وأديم السماء غطاءه يقات بالنبات ويفترس الوحوش مع اننا نجعل اليوم ونحن في القرن العشرين كثيراً من عقائد بعض الشعوب المعاصرة وعاداتها ممن تقطن بمجاهل إفريقية وسواها من القارات الخمس ، ومن الانصاف ان لا ننكر فضل من نقلوا اليها أخبار السلف لان هذا الشيء اليسير هو الذي أثار في فئة من الناس حب الاستطلاع فدفعهم في هذا السبيل . وكانت هذه النصوص على علامتها نوراً يستضاء به ومرجعاً يستأنس به . وعلامة الآثار أصدق الناس في هذه الروايات وان كان لا ينكرون وقوعها فعم لا يميزون بصحتها الاثني عثروا على دليل من ذلك العصر يؤيدها . ولأبحاث علماء الآثار ميزة جديدة بالاعتبار فهي في أكثر الأحيان تكون منزهة عن الأغراض والغايات والأهواء . وقد يخطئ الأثري في استنتاجه ولكنه لا يعتمد تشويه الحقائق لان همه الوحيد ان يبيح الماضي البعيد ويجعل المعاصرين كأنهم يعيشون في ذلك العصر وذلك المحيط . ومن منا لا يشعر بمثل هذا الشعور عندما يزور متحفاً أو معبدآ أو أطلالاً قديمة . وكيف يمكنه ان ينكر الحقيقة ولسان حال هاته الأمم البائدة تقول :

ان آثارنا تدل علينا فانظروا بعدنا الى الآثار

لقد هذا العلم الحديث اقبالاً عظيماً في بلاد الغرب فبنيت حكوماتها به وأرصدت للمستغلين به أموالاً طائلة ، وأنشأت له المدارس والجامع العلمية أسوة ببقية العلوم وقد

أبدت هذه الفترة فئة الاثريين رغم قلة عددها نشاطاً عظيماً ووضعت في مدة قصيرة كثيراً من المؤلفات القيمة المفيدة وأحيت كثيراً من اللغات القديمة المتدثرة وحلت رموزها . وقد نال الشام قسطاً وافراً من هذه الأبحاث فهي اول بقعة انجبت نحوها الانظار وخصوصاً فلسطين لمكانة الشعوب التي استوطنتها منذ الزمن الأطول وأهمها الشعب الاسرائيلي وعلاقة الام الغربية بكتابهم المقدس . فقد أوفدت أكثر حكومات الغرب بعثات علمية للتحقيق عن آثار سورية واول بعثة رسمية وطئت بلاد الشام هي البعثة الافرنسية التي رافقت الحملة الافرنسية في سنة ١٨٦٠ .

يقسم التاريخ القديم في سورية كما في غيرها من البلدان الى مهيدين واضحين الاول عهد ما قبل التاريخ والثاني العهد التاريخي .

فالعهد الاول هو عصر الطران او الطور الحجري ويقسم الى قسمين احدهما حقبة الحجر المخوف (Paléolithique) والآخر حقبة الحجر المصقول (Néolithique) وهو احدث من القسم الاول وتختلف مدة هذا العهد بحسب الامكنة . وليس هذا العهد تاريخ حياة البشرية بل هي مرحلة من تقدم الجماعات الفكري والمادي وقد اختلف العلماء بتحديد اقدم تاريخ لهذا العهد فمنهم من يقول من (١٠٠ الى ٢٠٠٠٠٠) سنة ومنهم من يقول من (٦ الى ٨٠٠٠) سنة . تعتمد الفترة الأولى على تكوين طبقات الارض والهواء وتعتمد الثانية على نظريات دينية تأييداً لما جاء في التوراة عن تاريخ الخليفة فلا يمكننا ان نهمل نظريات علم طبقات الارض وقد ثبت ان طبقة الارض كانت منذ مئات الوف من السنين صالحة لحياة البشر كما انه لا يمكننا الا التسلیم بما جاء في الكتب المنزلة . (وهنا يبدأ دور علم الآثار عسى ان يوفق بين النظريتين والعلم لا ينافي الدين) .

لقد ثبت حتى الآن ان الانسان لم يكن منتشراً في أكثر انحاء الارض كما هو اليوم لأنها لم تكن جميعها صالحة لسكنى الانسان الاول فكان يكسو الجليد المرتفعات وتغمر المياه السهول ما خلا بعض السواحل والمضارب في القارات الخمس حيث أوى اليها الانسان . منها سيبيريا والقفقاس وجزيرة العرب فكانت تمتاز هذه الاصقاع عن غيرها باعتدال هوائها وخصب ارضها ووفرة دواجنها وكانت سيبيريا والقفقاس مأهولتين بجاعات الآريين وجزيرة العرب بجاعات الساميين ودام هذا الحال حتى طرأ على الارض بعض

الطواريء الجوبة فتقدم الجليد من شمال اوربا حتى جنوبها فاشتد البرد وكثرت الامطار وارتفعت المياه فغمر الطوفان معظم السهول فهلك خلق كثير من البشر فنفرك من بقي من هذه الجماعات فراراً من الموت تلتس ارضاً بقيها من الخطر فنزح قسم من سكان سيبيريا والقفقاس نحو الجنوب فوصل جماعات منهم الى سورية وكانت سهول سورية يومئذ مغمورة بالماء الا قليلاً منها وبقيت سورية زمناً طويلاً مأهولة بجماعات الآريين ثم حدث في اثناء اقامتهم بعض الزلازل وتقلص في القشرة الارضية . فجاءت هذه النعمة نعمة على سورية اذ انشقت الجبال وانفتحت الوديان فتسربت منها المياه للبحار واتخذت الأنهر لها مجاري ثابتة فجفت الارض واصبحت سورية قابلة للسكنى .

وقد وصلتنا اخبار هؤلاء القوم من آثارهم التي خلفوها لنا في الكهوف التي سكنوها وما اودعوه من مصنوعاتهم قبور موتاهم . وثبتت أن اشكال ذلك الانسان الصياد لا تختلف عن انسان اليوم وهذا يبطل ما علق في بعض الاذهان من أن الانسان القديم يفوقنا بكبر جسده مع انه كان معتدل القامة يسكن الكهوف الطبيعية ويلبس الجلود ويقتات من النبات والصيد فبقي زمناً طويلاً يجمل المعادن . واحتياجاته محدودة جداً لا تتعدى قطع الطران والصوان التي تشبه رؤوس الحراب والسكاكين والمناشير والفؤوس كان يستعملها للدفاع عن نفسه وللصيد ثم تدرج في الرقي فتغلب على الحجر فصار يصقله ثم استخدم العظم فنقشه ثم اكتشف صنع الخزف وهو اول ابتكار صناعي عرفه الانسان . وتشبه قبور هؤلاء القوم وصناعاتهم صناعات معاصريهم او اسلافهم في غيرها من البلدان في القارات الخمس وهذا ما يؤيد هجرة الانسان وتنقل هؤلاء الجماعات عقب الطواريء التي فاجئت الارض وغيرت اوضاعها الجغرافية . وقد حلت في جزيرة العرب طواريء طبيعية عقب التي حلت في سورية بزمن طويل قاسى أهلها الشدائد من جدد الارض وقلة الامطار فنزحت جماعات الساميين نحو الشمال لأنه المنفذ الوحيد لهم اذ البحار تكثفها من جهاتها الثلاث فسلكوا سواحل خليج فارس حتى نزلوا العراق . ثم توغلوا في شمال سورية ثم في جنوبها حتى وصلوا الى بلاد الحبشة . وقد تغلبت جماعات الساميين في برهة التي سنة على جميع سكان تلك البلاد حتى اصبحت سامية اللغة كما عرفها التاريخ . ونشأ من مزيج هذين العنصرين عهد جديد يتنازع برقيه ومدنيته . وتفرق هذا المزيج

بطول الزمن إلى شيم وشعوب عرفنا منهم منذ الألف الثالثة قبل الميلاد الآشوريين والبابليين في العراق والكنعانيين في فلسطين والاراميين في سورية الداخلية والفينيقيين في سواحل لبنان والعرب في جزيرة العرب فأصبح لكل منهم حضارة ولغة ينسازعون بينهم السيادة رغم أنهم يمتون جميعاً إلى أرومة واصل واحد .

وما هجرة بني اسرائيل من صحراء التيه إلى فلسطين وغزوات العرب في صدر الاسلام للبلاد الدانية والقاصية سوى مثال قريب العهد لتلك الموجات البشرية التي غشيت البلاد . ولم ينس هؤلاء الشعوب رغم تقادم العهد على استيطانهم هذه البلاد أنهم دخلوا فيؤكد المؤرخون الاقدمون أن الفينيقيين جاؤا من جزيرة العرب وروى (هردوتس) Herodote المؤرخ اليوناني في القرن الخامس قبل الميلاد أنهم اتخذوا اليها من سواحل البحر الاحمر ويقول استرابون (Strabon) إن أصلهم من خليج فارس كما كانوا يدعون . وكذلك يتذكر الكنعانيون نزوحهم من مدينة اور من بلاد آشور في سني الألفين قبل الميلاد . وان تكن هذه الشواهد حديثة العهد بالنسبة للحوادث التي سردناها غير أنها تشير بوضوح إلى اتصال أخبار السلف بالخلف والشعوب السامية أكثر الشعوب تمسكاً بانسابها وحفظ أخبارها ، وقد يهين العلم الحديث على فائدة هذه الروايات لاستنتاج الحقائق منها وهكذا وصل البناء غيرهما من الأخبار . أذكر منها روايتي الطوفان وسيل العرم . فقد عثروا في خرائب نيبور من بلاد آشور على وثيقة تاريخها من نحو (٢٢٠٠) سنة قبل الميلاد أي قبل هجرة ابراهيم عليه السلام بمئتي سنة وفيها وصف لطوفان اتصل بهم خبره وخلاصته : انه كان « انكي » (Enki) إله الماء وزوجته نينلا (Ninella) يحكمان البشر والسعادة سائدة في العالم والانسان يأمن من الموت والأمراض والآفات فنفخ انكي (Enki) على عباده لمخالفتهم تعاليمه وعزم على إبادتهم بطوفان فدعى احد عباده الصالحين واسمه اوتو (Uttu) وأسر إليه بالأمر وطلب منه ان يغو بنفسه على صفيته وهكذا كان الأمر فهلك جميع البشر الا صاحبه اوتو (Uttu) فتناسل منه البشر ثانية ولكنه حرم البشر السعادة التي كانوا يتمتعون بها من قبل وقدر على الانسان ان يسعى ليعيش وعرضه للأمراض واططار الفناء . وهكذا خرج الانسان بذنبه من النعم إلى الجحيم ، وما أشبه هذه الرواية بطوفان سيدنا نوح . وقد اتصل بسكان جزيرة العرب حادث آخر وهو سيل العرم وليس

هذا السيل الا احدى التكوارات الآتفة الذكر لأنه لا يُعقل ان يكون في بلاد سبأ سد^١ يجمع هذا المقدار من الماء وخصوصاً مياه جزيرة العرب قليلة شحيحة . والأرجح ان العوامل التي دحرت الانسان القديم من الشمال الى الجنوب هي نفسها التي أرغمت جماعات جزيرة العرب على ان يهجروا بلادهم الى الشمال . وما سبل العرم الا طوفان حصل لما اشتدت حرارة الهواء في العصور القديمة فأذابت الثلوج المتراكمة منذ ألوف السنين في قم جبال جزيرة العرب ومرتفعاتها فمكثداً كان سيل العرم في بلاد سبأ فتفرق سكانها في كل البلاد أبدي سبأ .

وقد دامت هذه الحوادث التي استمرضاها في اسطر عشرات الالوف من السنين كان يتدرج الانسان خلالها نحو الرقي وساعده على ذلك استقرار حالة الارض الطبيعية في الالف العاشرة فتأثر على خطة الابتكار والعمل اتباعاً لسنة تنازع البقاء فتوفرت لديه المعدات وجعل لنفسه مسكناً ونسج ملابسه واستخدم الحيوان واستثمر الارض أصبح صائغاً وفناناً وفلاحاً بعد ان كانت الوقا من السنين متشرداً صياداً فانتقل في آخر العهد الحجري من البداوة الى الحضارة فصار قسم منهم يتعهد الارض وقسم يعتني بتربية المواشي وهكذا تكون صفات من البشر بدو وحضر . رعاة ينتقلون بمواشيهم من بقعة الى بقعة ارياداً للماء واتجاعاً للكلأ . وفلاحون يقيمون بمزارعهم يعملون في الارض ويستغلونها .

وقد اقبلت لنا جماعات عصور قبل التاريخ كثيراً من آثارهم في سورية وجدت في الكهوف التي كانوا يأوون اليها او في قبور موتاهم ويمكن منها تتبع رقي الانسان وتدرجه في الحضارة . ونيسث هذه الآثار قنائل ونقوشاً او اواني نفيسة . بل هي شظايا من الطران والصوان الفخوت والمصقول او عظام حيوانات زينتها ابدي الصانع او خزف بسيط وقبور تلك الشعوب البائدة وهذه الآثار كانت صنعتها تقمن كلما اقرب الانسان من العهد التاريخي . ورغم قلة المشتغلين من العلماء بعصر قبل التاريخ في سورية فقد اهتموا الى اماكن عديدة وجد فيها من آثار ذاك الانسان في عدلون . ونعر ابراهيم . وانطلياس . ونعر بيروت . وطرابلس . ونبع نهر الكلب والمعاملتين . وتبنة . والبقعة . وتمناك . ومجدو . والكرمل . واذرعان . وجرش . وعمان . والعكر . ووادي موسى .

والقدس . وفي الفلاة الممتدة من جبرود حتى دير الزور وفي كثير من الاماكن في سورية الشمالية .

وطال امد العهد الحجري في سورية اكثر منه في مصر والعراق ولهذين القطرين فضل كبير في تحضير جماعات سورية والعالم اجمع . فقد شيدا بين سنة (٤٠٠٠ و ٣٠٠٠) قبل الميلاد عمرانا عظيم الشأن بينما كانت سورية وبقية العالم تقبض في ظلمات الجهل والامية وقد ارتقت سورية الى مصافها في الالف الثالثة قبل الميلاد لما تقوى عليها العراق وحمل اليها معارفه ومكتشفاته واهمها المعادن والكتابة . والعصر التاريخي ينتهي في كل امة من يوم وقوف اهلها على الكتابة لتسجيل اخبارهم وتدوين وقائع عصرهم . وقد دفعت سورية ثمنها باهظاً لحصولها على حضارة معاورها وهذا الثمن هو حرمانها استقلال جماعاتها . فمذ ذلك التاريخ وسورية تنتقل من يد مسيطر الى آخر حتى يومنا هذا . وكأنت موقع سورية الجغرافية وخصب ارضها وكثرة غاباتها هو سبب بلانها فهي حلقة الاتصال بين الغرب والشرق ومنفذ لكليهما . فمنها كانت تستورد مصر والعراق مايعوزهما من الخشب لبناء دورهم وصنع عمارتهم الحجرية .

وكانت سورية في أكثر ادوارها التاريخية ساحة حرب يتنازعها العراق ومصر ويطمع بها الحثيون واليونان والفرس والرومان كما جاءها العرب والترك من بعد . وقد ترك كل من هذه الشعوب اثرأ من حضارتهم وعوائلهم . ولا يمكن معرفة تاريخ سورية الا بالرجوع الى وثائق تلك الشعوب ورفقها وقدامتاريخ سورية بتاريخ هذه الشعوب ولا يمكن عزله عنه لملاقته بحوادث الام التي كانت تدين لسلطانها . ولذلك نرى في سورية مدنية ظاهرها مزيج من مجموع حضارات مختلفة بتعذر لأول وهلة تمييز بعضها عن بعض وتتبع سير تطورها . ومع ان هذا الدور يدعى بالعهد التاريخي فهو بالحقيقة اعقد مما سبقه من الادوار على كثرة المصادر والوثائق . وقد اصبح في سورية من جراء هذه التمزقة والمنازعات السياسية دويلات مختلفة بلغاتها وعوائدها وعقائدها اهمهم الكنعانيون والاراميون والعموريون والفينيقيون وكثير غيرهم من طوائف حدود سورية الشرقية والجنوبية . وقد خضعت هذه الدويلات لسلطة الآشوريين والبابليين والمصريين والحثيين وفارس واليونان والرومان . وكانت دمشق اقوى ممالك الاراميين . ويتعذر على المؤرخ ان يسرد حوادث

كل من هذه الأدوار لو لم يسعفه الأثري ويرشده في هذا المسلك الوعر .
وحوالى سنة (٢٠٠٠ ق م .) كانت هؤلاء الساميون بلغوا درجة من الحضارة
لا يستهان بها . معظمها مستمد من مصر وبابل . وقد شغف الفينيقيون بحب البحر ومروا
بعلم الملاحة حتى سيطروا على البحار والأسواق التجارية سيف جميع سواحل البحر المتوسط
لحملوا سلمهم وتعاليم الحضارة الشرقية الى أقصى بلاد افريقيا الشمالية واسبانية وجنوبي
فرنسا وجزر صقلية وقبرص وكريت وقد استوطن هذه البلاد جماعات من الفينيقيين وأسسوا
فيها حكومات كان لها شأن عظيم في التاريخ .

ولم يبق لنا الزمن الا النذر اليسير من آثار شعوب سورية السامية في العصور القديمة
لأن اسلافنا كانوا يبنون بيوتهم وهياكلهم من الطوب المحف بالشمس كما هو الحال حتى
اليوم في بعض المدن والقرى السورية ولا يخفى ان هذا النوع من البناء لا يمر طويلاً
فتنهار البيوت يرتطمها فيعتمد أصحابها الى بناء غيرها على أنقاضها وجرى الناس على هذا
الأسلوب من البناء قروناً متوالية تكونت منها تلال اصطناعية وهذه التلال تُعد بالآلاف
في سورية : كتل أريحا في فلسطين وتل الصالحية في الفوعة وتل الدرخبية في وادي الهيم
وتل النبي مندو وتل المشرفة بجوار حمص وتل جرابلس على الفرات وقد حفظت لنا الأيام
في بطن هذه التلال والقبور كثيراً من الآثار التاريخية المهمة ، وقد عُثر المنقبون على كثير
من نواحيح الأسر والرسائل والصكوك والحسابات والمذكرات وغيرها من الرق ووجدوا
ايضاً كثيراً من الأثاث والأواني الجميلة المزخرفة والرسوم المنقوشة . واما البنايات الأثرية
القديمة مثل بعلبك وجرش وتدمر وغيرها فهي من العهد الروماني فقط ولكنها شيدت على
أنقاض هياكل ومدن أقدم منها عهداً .

ولقد تبين من الحفريات التي أجريت في سورية ومن الآثار التي اكتشفت فيها —
ان آثارها تختلف عما وجد في البلاد المجاورة لها ولا يرجح ان نثر في هذه البلاد على آثار
تُشير بجسامتها إعجاب العامة قبل الخاصة كما هو شأن آثار مصر وأشور والفرس .
والسذاجة في الصناعات تغلب على السوريين منذ القديم ، هذا ناشئ لا عن طبائعهم ومعتقداتهم
فالسوري في جميع أدواره التاريخية يميل الى الساذج وهذا يظهر في صناعاته وفلسفته الدينية
وتجلى في هذه البساطة مواهب السوري الفنية فقد جمع بين الساذج والجميل فأحسن الصنع

وأبدع . ونقل الآثار المنقولة النفيسة التي اكتشفت في سورية بالنسبة الى ما وجد في غيرها من البلدان المتجاورة . وهذا القليل يشهد ببراعة الصانع السوري وذوقه السليم وهو ذو مكانة بين أقرانه من فناني بقية الشعوب . وليس معنى قلة العاديات عدم انتشارها في البلاد بل لأنها لم تتصل إلينا لأسباب وعوامل شتى . أولاً : لأن أكثر تربة سورية رطبة لا تحفظ ما يودع فيها . وثانياً : لأن السوريين قلما يودعون مدافن موتاهم فناسهم كما هو شأن المصريين وغيرهم من الأمم القديمة بل يكتفون بالاشياء البسيطة كقوارير الشبه أو الخزف وشي من أدوات الزينة من الفضة أو النحاس أو الذهب أو قطع سلاح وإذا أضفنا الى خلو القبور من الأغلاق ما قد كتبه اشمو نزار ملك صيدا على تابوته مخاطباً به نباشي القبور ناصحاً لهم بأن لا يهتكوا حرمة مؤكداً أن لا ذهب في قبره ولا فضة — تدركون سرّ ندرتها بين أيدينا فإذا كان هذا حال ملوكهم فما بالكم بالريعية . وخلو القبور منها هو حجة سورية لا عليها ودليل على سمو عقيدة سكانها ونفج فكرتهم منذ القديم . لأن السوري كبقية الشعوب السامية يغلب عليه الاعتقاد بان الجسم مادة تتلاشى مع الزمن ليست جذيرة بالاكرام الذي يبالغ به غيرهم من الشعوب ومع هذا فقد انتشرت في سورية عادة وضع بعض الاشياء في القبور وذلك بمؤثرات خارجية واقتباس عادات الغالب لأن سورية كانت في أكثر أحوال تاريخها خاضعة لسلطان أجنبي كما ذكرنا آنفاً .

سورية مهد ثلاث ديانات يدين بها اليوم معظم البشر وهذه الديانات لم تكن ابنة ساعتها بل هنالك عوامل مهدت لها السبل مدة قرون عديدة قبل ظهورها وبهم الصائم أن يعرف تطورها قبل نشوئها وهذا ما يزيد في مكانة آثار سورية ويجعل اقبال العلماء عليها أكثر من سواها لعلاقتها الكبيرة بنظامنا الاجتماعي الحاضر . وقد أدركت جمعية الامم هذا الامر واحتاطت له خوفاً من المزامحة او استئثار دولة بهذه الآثار دون سواها . ولذلك اشترطت في المادة الرابعة عشرة من صك الانتداب ان يكون النظام الذي سيوضع لحماية العاديات مستمداً روحه مما يدعو الى التنشيط أكثر منه الى التثبيط كما انها اشترطت على الحكومة المنتدبة عند منحها إجازات بالحفر ان لا تصرف بشكل يرمي الى حرمان علماء أي شعب كان من تلك الإجازات دون أسباب موجبة .

آثار سورية ٥٠ — ان معظم البنايات الاثرية التي نعرفها اليوم ويؤصها الزائرون من جميع أنحاء العالم مثل بعلبك وتدمر وجرش وبصرى الشام ومادبا هي حديثة العهد بالنسبة لقدم حضارة سورية ويغلب عليها تأثير الفن اليوناني والروماني والبيزنطي وقد ثبتت هذه البنايات على طواري' الايام لان بناءها من الحجر الصلب المنحوت بخلاف البنايات التي قبلها فقد درست لانها كانت من الطوب المحفف وهذه البنايات هي معابد وهياكل ومدن لها شهرة عالمية لانها بالحقيقة احدى معجزات الفن المعماري وهي في غنى عن كل وصف وقد برع السوريون بالبناء وكانت روما تستعدهم لتشييد بناياتها العامة .

وفي سورية بقايا بنايات أثرية لها أهمية تاريخية عظيمة منها منيج من أفضية حلب وقد أطلق عليها اليونان اسم (Hierapolis) نسبة لأبراه (Aera) المعبود الآشوري وجاء اسمها (Mappigu) في الوثائق الآشورية وفي هذه البلدة أقدم معبد سوري وكانت هذه المدينة مقدسة يقصدها الحجاج من جميع أنحاء سورية وقد كتب لوسيانوس المؤرخ الآشوري الاصل كتاباً في هذا المعبود وطقوسه الدينية وشعائره وحكاية بنائه وأسبابها ونسب بناءه الى (Stratonice) زوج ملك آشور . كما انه عقد في كتابه فصلاً في قدم مدينة جبيل الواقعة على طريق بيروت — طرابلس ووصف عبادة اهلها لأودونيس آله الاتناج وقد أبدت الحفريات الأخيرة قدم هذه المدينة فقد عثروا فيها على معبد قديم وجدوا تحت بلاطه عدداً من الاواني والادوات زبر على بعضها اسم الفرعون (Mycerenus) من السلالة الرابعة وباني احد اهرام مصر الكبيرة بين سنة (٢٩٠٠ و ٢٧٥٠) قبل الميلاد واسم الفرعون (Ounas) من السلالة الخامسة واسم (Pepi II) الثاني من السلالة السادسة ووجدوا ايضاً غيرها من الادوات المصرية أحدث عهداً من الاولى وهذا يؤيد علاقة مصر بالفينيقيين قديماً وكان المصريون يطلقون اسم (Keben) على مدينة جبيل حتى في عهد السلالة الثانية عشرة وذكرته بهذا الاسم في الرقم المصرية منذ سنة (٣٠٠٠) قبل الميلاد وكان المصريون يستوردون من جبيل الخشب اللبثاني لصنع سفنهم وربما كانوا يصنعونها في نفس مدينة جبيل وقد أطلق المصريون اسم (Kebenit) على اسطولهم الفخم نسبة الى (Keben) وهي جبيل كما ذكرنا . وقد عثروا ايضاً على بعض مدافن ملوك جبيل وأمرائها منهم أهرام المتوفى في القرن الثالث عشر قبل الميلاد وقد نقش على جوانبه

صورة الملك يتناول القرايين من أتباعه وبعض الشعائر الدينية وهو قائم على أربعة اسود ومما يزيد في شأن هذا الأثر الكتابة الفينيقية التي زيرت عليه وهي أندم كتابة أبجدية عرفت حتى اليوم وهذه ترجمتها «عمل هذا الإمران (أي الثابوت) إرفسبعل بن أحرام ملك جبيل لا يمه كي يكون مقره الأبدى فاذا ناصب ملك من الملوك أو حاكم من الحكام العداء لجبيل وأخرج هذا الحسابات من تحت البلاط فيكون خاتور خصمه فيدك عرش ملكه ويم الخراب جبيلاً فبما اذا محاه هذه الكتابة (.....) وآثار جبيل هي أم ماعثر عليه حتى اليوم في سورية من الوجهتين الفنية والعملية ويحق المتحف ببيروت أن يفاخر بها .

ومن اعجب ما ذكره لسبانوس المؤرخ عن عبادة اهل جبيل لأدونيس أنهم كانوا يزعمون ان أدونيس هذا خرج للصيد في جبال لبنان فوثب عليه خنزير وافترسه عند نبع نهر ابراهيم حيث نرى الى الآن نقوشاً ورسوماً تشير الى هذا الحادث وقد اطلقوا على هذا النهر اسم أدونيس تخليداً لذكر معبودهم . ولكن موت أدونيس لم يكن ابدياً بل كان يموت في فصل الخريف من كل سنة ويمت في ربيعها وكانوا يقيمون في ربيع كل سنة مأتماً عليه تلبس نساؤهم ثياب الحداد ويجلن في شوارع جبيل باكيات بضرين صدورهن ويشققن جيوبهن حزناً عليه ولكن في اليوم الثاني ينقلب الترح فرحاً اذ يُبعث أدونيس ويرتفع الى السماء فتقام في المدينة معالم الزينة والسرور فيحاكي النساء شعور رؤسهن ومن لا تقدم على هذه التضحية تكفر عن سيئتها بإباحة جمالها لكل طالب طول هذا اليوم ويخصص ربيع هذا العمل الشائن لأعمال البر والتقوى ولم يكن هذا العمل الفظيع يستنكر عندهم بل اللواتي يقدمن عليه ينلن حظوة كبيرة لدى مواطنيهم . وكان الفينيقيون يعدون اعمال العبادة والفجور اعمال نعيم ينقربون بها الى اربابهم . وقد عثر المنقبون على عدد من الكهوف التي كانت تجري بها مثل هذه المخازي في بلاد فينيقية . ومن الاعمال التي كانت تقسم لها الجلود عادة تقديم الضحايا البشرية فكان كل منهم يقدم ابنه البكر ضحية لاربابهم ليحصل على بركاتهم او دفعاً لخطر داهم وهذه العادة الفظيعة قديمة جداً في سورية وقد دامت حتى العهد الروماني . وبنو اسرائيل هم اول من استغفط هذا الامر وحرموه واستعاضوا عنه بالختان وهو فداء الكل بالجزء .

وفي دمشق اثر لا يقل مكانة عن غيره وهو الهيكل بالأمس او جامع بني أمية اليوم .

ونرى كثيراً من الكنائس والجوامع شيدت على انقاض هياكل ومعابد قديمة . وبمبدأ أقدم معلوماتنا عن هذا الهيكل من القرن العاشر قبل الميلاد الى العهد الذي تلاشت فيه الوثنية من هذه البلاد وكانت - يعبد فيه الآله (Hadad) او (Ramman) ورفيقته (Atargatis) . وحداد هذا عند الاراميين بمنزلة (Jupiter) و (Zeus) عند اليونان والرومان وقد ورد ذكر هذا المعبد مرتين في التوراة في حديثه عن شفاء نعان وكانت شهرة هيكل دمشق عاصمة مملكة ارام عظيمة جداً حتى ان اخاز (Achaz) ملك بني اسرائيل لما جاء الى دمشق للسلام على (Tiglat Pileser) ملك اشور دهش من معبدها واخذ مقياس مذبحها لكي يبني مثله في بيت المقدس وهيكل دمشق ، هو في سوربة الوحيد الذي احتفظ بهندسته القديمة رغم الطواري* التي نزلت به والايدي التي تعاقبت عليه وتقسّم جميع المعابد السامية السورية الى قسمين : الحرم وهو مختص بالكهنة ولا يقصد الا في ايام الزيارات والقسم الخارجي وهو مباح للعوام . ونرى هذين القسمين واضحين حتى اليوم في هيكل دمشق والحرم هو المسجد الآن والقسم الخارجي هو السور الذي يحيط به ونرى احد ابوابه عند مدخل باب البريد واقدم آثار الهيكل جدران المسجد الخارجية الغربية والشمالية وهي على طراز بناء الجدر المصرية القديمة وقد تحول هذا الهيكل الى كنيسة في عهد (Théodose) في سنة (٣٧٩ - ٣٩٥) للميلاد وبقي كذلك حتى الفتح الاسلامي .

وقد كشفت الحفريات آثار قيمة في تل النبي مندو وهي قديش القديمة احد حصون الحثيين وثبت هذا الحصن طويلاً أمام هجمات المصريين حتى استولى عليه الفرعون سبتي الاول في القرن الثالث عشر قبل الميلاد وذلك حصونه وقد خلد انتصاره بنصب محفوظ في متحفنا نقش عليه رسم الفرعون يتناول القرابين من اربابه وارباب الحثيين المغلوبين . وقد عثر الكونت (De Mesnil) منذ سنوات على مدينة قطننا القديمة في تل المشرفة قرب حصن وهذه المدينة كانت زاهرة في القديم فعثر فيها على قبور ملوكها ووجد فيها آثار لما شأنه تاريخي عظيم يرجع معظمها الى النصف الاول من الالف الثانية قبل الميلاد . وفي شمال سورية كثير من المدن التي سكنها الحثيون زمناً طويلاً وسيكون لآثار هذا الشعب المجهول مكانة عظيمة متى حلت رموز رقه وفهمت لغته .

لا يمكننا في ساعة واحدة الا التلويح الى آثار سورية اذ كل أثر منها يستغرق ساعات . وقد سبقنا الغربيون وكتبوا المجلدات عنها فاليهم يرجع الفضل بمكشف هذا الماضي المجيد . وآثار سورية هي أحق بعناية أبنائها فتعود علينا بفوائد مادية وأدبية لا تقدر .

جعفر الحسيني

حول كتاب الفكر السامي

« وصدور جزء به الثالث والرابع »

— — —

مصنف هذا الكتاب هو الملامه سبندي محمد الحجوي الشعالبي وزير معارف المغرب الأقصى ومدرس العلوم المالية في جامع القرويين بفاس وأحد أعضاء مجعنا العلمي . وقد كننا قرطنا الجزءين الأول والثاني من هذا الكتاب في مجلد السنة التاسعة (ص ٥٠٦) وقلنا ان المصنف بنى كتابه على اربعة أرباع أو أجزاء :

(١) طور طفولة الفقه الاسلامي من بمشة النبي (ص) الى حين وفاته .

(٢) طور شبابه من عهد الخلفاء الراشدين الى آخر القرن الثاني .

(٣) طور كهولته الى آخر القرن الرابع .

(٤) طور شيخوخته وهرمه الى يوم الناس هذا .

وطريقة المؤلف في تأليفه انه يترجم للعلماء والفقهاء من أبة فرقة كانوا بعد ان يأتي على مقدمة يذكر فيها نموذجاً من تاريخ فرقهم ومختلف مقالاتهم ثم يسخرج من ثنايا التراجم تدرج الفقه وتطورته وتولد احكامه وتشعب مسائله شيراً الى العجيب من أخبار الفقهاء ورجال الفرق قارئاً كل خبر بما يلائمه من المواعظ والعبر . وما يجب من الانتباه والحذر . على هذا جرى في الاربعين او الجزءين الأولين . وعليه جرى في الجزءين الأخذين (الثالث والرابع) . فالثالث في ٥٦ صفحة وهو يتضمن وصف كهولة الفقه في القرنين الثالث والرابع والعوارض التي طرأت عليه فيهما . والمصنف — مع كونه مالكي المذهب — لم يعقيد بمذهبه ولا بعلماء فقه بل عم القول وأفاض في الكلام على جميع رجال المذاهب والفرق

الاسلامية كما قلنا . فكان كتابه اشبه بمجلة فقهية بصح الرجوع اليها في كل ما يتعلق بهذا الموضوع ومن ثم كانت خليقاً باقبال الففلاء عليه والاستفادة بنوره . وقد انقد المصنف في هذا الجزء بعض فقهاء المذاهب الذين يرون نصوصاً أثمهم أجدر بالاعتبار والأخذ من نصوص الشارع !!! ولعل الأئمة رضي الله عنهم كانوا يجذرون أمثال هذا الغلو ففكرهوا ان يكتب عنهم شيء من أقوالهم لأنه اذا كتب وصرت عليه السنون تحجز وتقدس . وما ذكره في هذا الجزء ان تدخل الخلاف بين الدين والفلسفة أضرمهما معاً . ولو بقيت العلوم الدينية تسير في طريقها من دون ان تصطدم بالفلسفة لأزهرت الفلسفة وأثمرت الثمرات التي اجتنتها أوروبا . ومثل ذلك (القياس) فان الفقهاء لو لم يقاوموه ويشنعوا على أنصاره لأفادجداً في الترفيقات العصرية . ومن مباحثه الممتعة: هل ان نصوص الشريعة وافية بما يلزم للبشر من الأحكام ؟ وهذا البحث والذي قبله وغيرهما من المباحث الكثيرة من أقوى العوامل في نشاط العقول وجعل الفقه الاسلامي مثراً . لكن المصنف احياناً تغلب عليه طبيعة البيئة فيرى آراء لا تقوى على التمهيد مثل ما في ص ٣٥ من استدلاله برؤيا رآها على أن الله في كل مسألة حكماً شرعياً . وله في الصوفية والتصوف وكل ما له علاقة بهذا الموضوع كلام ونقول بمتعة جداً لعشاق هذا الفن . ومن فوائده انه كان في الاندلس في القرن الرابع للهجرة شورى وترايب دستورية جداً لو دامت وعرف المسلمون كيف ينتفعون بها . وفي هذا الجزء كثير من الابحاث التي لها علاقة بتريقات العصر غير مذكرونا وإن الإشارة اليها تخرجنا عن مسمى (الترميز) الى مسمى (التلخيص) وقال المصنف في آخر هذا الجزء ان العلماء الى آخر القرن الرابع يسمون (المتقدمين) وعلماء القرون التالية هم الذين يطلق عليهم اسم (المتأخرين) .

وسبق في الجزء الرابع سرد تراجم هؤلاء المتأخرين الى عصرنا هذا على طريقته في الاستطراد والاستنتاج الممتع : فوصف الحالة السياسية التي أدت الى انحطاط علم الفقه في المشرق والمغرب . وحرق الاسبانين لنفائس مخطوطات الاندلس . وان ملك الموحدون (ابا يوسف يعقوب) لما رأى غلبة كتب الفروع على فقهاء زمانه وجبولتها دون الاجتهاد حرقها وأمر بتصنيف كتب أحاديث الأحكام قال : وكان الفقهاء يعتمدون في ترجيح الأحكام الشرعية على الرؤى ومثل ذلك اعتمادهم على حساب الجمل كفعل (ابن كمال باشا)

مذ ألقى السلطان سليماً بحجارية الغوري أخذاً من القرآن بطريقة ذلك الحساب . ومناسبة كلامه على اصلاح الازهر في العهد الأخير وصف المؤلف جامع القرويين في فاس وهو احد المدرسين فيه . وانه كان سعى في اصلاحه بمساعدة المستشرق الكبير الموسيو (مرسني) لكن تدخل ذوي الأغراض حال دون ذلك الاصلاح وعطل تنفيذ مواد نظامه . بيد أنه اذا لم ينجح سعيه للاصلاح في ذلك المعهد العالي فقد انجح في المدارس الابتدائية والثانوية — ووصف لنا المؤلف فتنة الخلاف التي جرت بين العلماء والعامة في مسألة : (هل ان الكفار يعرفون الله ؟) وذلك في اوائل القرن الخامس للهجرة — ووصف لنا الوسائل التي ساعدت على انتشار الاسلام في صحراء افريقية وسودانها — وانه كان من عادة الأندلسيين ايداء الفلاسفة وتضييق الخناق عليهم وذكر ان الاختصار في المصنفات الدينية استدعى إطالة الكلام في شرحها فضلت الافهام بين هذا الشرح وذاك الاختصار — وذكر ان الفقيه المحدث الورع سيدي رضوان الجنوي أبوه من (جنوه) وقد أسلم لبعض الاسباب (راجعها في ص ١٠٣) ثم جاء المغرب فتزوج يهودية مسلمة ومن ابن هذين الأبوين ولد سيدي رضوان الذي قال فيه الامام القصار (رضوان الرجل الصالح لو أدركه ابو نعيم لجمعه في الحلية) وكانت وفاة سيدي رضوان سنة ٩٩١ هـ قال المؤلف : ومن فتاوى (محمد المرغني) المتوفى سنة (١٠٩٠ هـ) (أنه لا حرمة للجهنمات التي تكون في داخل المدن بل يجوز نبشها وذلك لأن المدين حبس) (أي وقف) على الأحياء) قال : ويعتقدون في المغرب ان قراءة تفسير البضاوي تسبب موت السلطان ولذلك كانوا يجتالون على من يريد قراءته بشق الوسائل — وذكر أنه يوجد من تاريخ ابن عساكر في خزانة المواسين بمراكش سبعة وعشرون جزءاً كبيراً من تجزئة نيف وثلاثين جزء — وترجم المؤلف نفسه ترجمة استغرقت نحو خمس عشرة صفحة ضمنها فوائد شتى .

وختم الكتاب بكلام عام مهد السبيل فيه الى طرائق اصلاح الفقه الاسلامي فوفق موضوع الاجتهاد والتقليد والاختصار في وضع المصنفات الفقهية ووصف صعوبة فهم مسائل كتب الفقه المختصرة حتى أدى ذلك الى نشو الأمية في العامة وذكر من أصول فقه المالكي اصلاً لا عهد لنا به في المشرق سماه (العمل القاسي) وخلاصته ان يحكم القاضي بما حكم به القضاة الذين كانوا قبله — وبحث في تتبع الرخص وتوحيد المذاهب ولزوم

وضع كتاب في الفقه على نمط المجلة العثمانية يتضمن من الأحكام الشرعية ما يلزم بحاجة أبناء هذا العصر — ونصح بالخضوع لناموس تطور الزمان وتأثيره في تطوير الأحكام وذكر أمثلة توضح ما أراد من هذا التطور والتطوير . ومن هذه الأمثلة التصوير الشمسي والفرق بينه وبين نحت التماثيل وذكر محاورة في هذا الموضوع جرت له مذ كان في تونس مع رئيس وزرائها (ولعله يعني به خليل بوحاجب) — وتساءل هل الأسباب متيسرة لمن أراد الاجتهاد في زماننا ؟ وهنا بحث في ما طبع من الكتب المساعدة على الاجتهاد — الى غير ذلك من الابحاث الجلية المرتبطة بجد الارتباط بمصالح المسلمين في هذا العصر مما ينبغي دراسته والتأمل فيه وخاصة لمن يهجمه نجاح الإصلاح الديني الاسلامي العملي لا النظري .

ومن طريق صنع المؤلف في خاتمة كتابه هذا أنه أتى على ذكر الانتقادات التي وجهها اليه علماء بلاده ثم عقب على كل نقد برده « تمثيلاً للحالة الفقهية والمناولات القلبية في افريقية الشمالية بالوقت الحاضر » وقد تجلّاه هذه المباحث الانتقادية مسألة خلاف علي ومعاوية رضي الله عنهما . وتفضيل المذهب الحنفي على غيره والسبب في ذلك مرونته وصلاحيته للتطور الكوفي — وذكر لنا مسألة (لا فتوى بمنع شيء اذا كانت هناك حاجة داعية الى إباحته) ومن هذا القبيل (عملية السيكورتاه في الأموال) وحاجة المسلمين اليها وان الجمود وعدم تجويز مثل هذا أضرّ بالمسلمين وجرأ الكماليين على ما فعلوا .

وبلي ذلك تقارب الكتاب وهي كثيرة ثم فهرست مفصل ثم الخطأ والصواب وما أكثر الخطأ في مطبوعات إخواننا المغاربة لكن اذا كان الخطأ في مطبوعاتهم كثيراً فان الصواب في آرائهم ومضامين مصنفاتهم أكثر لعمري .

رحلة اوليا جلبي

- ٥ -

ثم وصلنا الى حماة (١) - وبعد ان ذكر الجلبي نبذة من تاريخها شرع
بوصف حالها في زمن مروره قال :

(١) حماة من امهات مدن الداخل في الشام تملو عن سطح البحر ٣٠٨ امتار ، وهي في
وهدة صحيفة من وادي العاصي ولذا كانت حارة ورطبة ، تمر منها سكة حديد رباق - حلب
« طولها ١٨٩ كيلو متراً » وطريق السيارات المعبدة الممتدة بين دمشق وحلب « طولها ٢١
كيلو متراً » وتبعد حماة عن حمص ٤٥ وعن حلب في سكة الحديد ١٤٣ كيلو متراً .
وقد وردت حماة في التوراة مراراً باسم حمت الكبرى تمييزاً لها عن حمت الصغرى في
قيليقية وذلك تنويهاً بذكرى حماة من ابناء كنعان الذي ينسب بناؤها اليه . وكانت على
ما قيل الحد الشمالي للارض الموعود باعطائها لبني اسرائيل . وخلاصة تاريخ حماة ان الحثيين
سكنوها قديماً فيما سكنوا من مدن الشام الشمالية بدليل العثور على بعض كتاباتهم فيها
وقد فاست كما فاسته تلك المدن من توالي غارات فراعنة مصر وملوك آشور ودفاع الحثيين
واستبسالهم في معارك طاحنة دامت قبل الميلاد عدة قرون الى ان اقترضوا وخلفهم الآراميون
ثم الامراتيون ثم البونانيون السلوقيون وقد سماها احد ملوكهم انتيوخس ايفانوس
الرابع ايفانيا وظلت معروفة بهذا الاسم في دولة السلوقيين ولما زالت رجع الناس
الى استعمال اسمها القديم ثم جاء الرومانيون .

لا جرم ان بلاد الشام الشمالية في عهد اليونان والرومان تقدمت في العمران وكانت
نصيب حماة ان تفتح القنوات في يرايحها الشرقية ونصبت النواعير على العاصي فازدهرت
الزراعة وانتشرت القرى العامرة في شرقي سلبية وحول الأندرين . على ان حماة

كانت في ذلك العهد تابعةً لمحمص لسبق هذه تلك في المكانة والحضارة . ولما كان الفتح الاسلامي جاءها ابو عبيدة في سنة ١٧ فصالح اهلها على الجزية لرؤوسهم والخراج على ارضهم وجعل كنيستهم العظمي جامعاً وهو الآن الجامع الكبير وسياقي وصفه . وجعل الخلفاء الراشدون حماة من اعمال جند حمص للسبب الذي تقدم ذكره . ومن الاحداث التي حصلت فيها في اواخر القرن الاول في خلافة عبد الملك بن مروان ارسال قيصر الروم يوستينانوس قائدين اسمهما موريق وموريقان جاءا وخربا دير القديس مارون الذي كان على العاصي بين شبزر وحماة وقتلا رهبانه البالغين خمسمائة وشقتا شمل اتباع هذا القديس . ولما انتقلت الخلافة من يد الأمويين الى العباسيين في سنة ١٣٢ من القرن الثاني اورث انتقال العاصمة من دمشق الى بغداد فتوراً في الشام لأنهما أصبحت بعيدة عن نظر الخلفاء الذين قل اكرامهم بها يحكمها العمال حسب اهوائهم فكان ذلك مدرجةً لانهطاط شأنها وفي القرن الثاني وفي النصف الاول من الثالث اشتركت حماة مع حمص في الفتن والحروب الاهلية التي كانت تحدث تارة من تأجج نار العصبية بين القيسيين واليهانيين وتارة من الوثوب بالعمال ومجي جيوش الخلفاء لتأديب المتوثبين . وفي النصف الثاني من القرن الثالث ظهرت بوادر الضعف في العباسيين وصار المتغلبة من اولئك العمال يزعجون الى الاستبداد في الامر وكان اولهم عامل مصر احمد بن طولون فقد نزع ربة الخلافة واستولى على الشام فأخذ حماة فيما اخذه وعقبه ابنه خمارويه وحفيده جيش . وفي سنة ٢٩٠ جاء القرامطة بقيادة صاحب الشامه وخربوا حماة والمعرة وسلمية وقتلوا اهلها حتى النساء والاطفال فجاءهم في السنة التالية جيش الخليفة المكتفي من بغداد وجرت الوقعة الفاصلة في قرية تمنع (التمانعة قرب خان شيخون وشرقي طريق السيارات بين حماة وحلب) وكانت الدائرة على القرامطة . وفي اواخر القرن الثالث زالت دولة بني طولون على يد الخليفتين المعتضد والمكتفي اللذين لم يتوانيا عن القضاء على كل خارجي فظهرت بعدها دولة الاخشيد محمد بن طنج في مصر والشام ورأت البلاد ماراً من اقتتاله مع عامل الخليفة ابن رائق ومع سيف الدولة بن حمدان وبعد زوال الاخشيديين في منتصف القرن الرابع دخلت حماة في حوزة سيف الدولة بن حمدان واهلكه بن بعده وتبع حلب . وجاء الفاطميون اذ ذاك ينازعون العباسيين

الخلافة ورأت البلاد البلاء العميم من دوام الحروب بين الحمدانيين ثم المرادسيين وغيرهم من عمال العباسيين وبين جيوش الفاطميين . وكان الروم ينتهزون فرصة تطاحن المسلمين بعضهم مع بعض فيغيرون من حين الى آخر على شمالي الشام ويصلون الى حماة وحمص وما حولها فيميثون وينهبون ويسبون ويعودون .

ولما زالت اماره الحمدانيين في اوئل القرن الخامس وتقسمت القبائل العربية بلاد الشام تبعت حماة صالح بن مرداس الكلابي صاحب حلب فبقيت في يده ويد اعقابها الى ان زالوا وفي العقد الثالث من ذلك القرن تبعت حمص في عهد بعض عمالها ممن كانوا يخطبون للفاطميين وفي آخر القرن الخامس جاء السلجوقيون فاقطعها السلطان ملكشاه لعامله في حلب قسيم الدولة آق سنقر وهو ابو عماد الدين زنكي فتبعت حلب . وفي غرة القرن السادس ألحقت بحمص في عهد عاملها قيرجة خان بن قراجه السلجوقي . ثم ضمت الى دمشق في عهد الاتابك طفتكين واعقابها من بعده ثم عادت الى حلب في عهد عماد الدين زنكي الذي استخلصها من الاتابكيين واورثها ابنه نور الدين محموداً ومن هذا الى ابنه الملك الصالح اسماعيل . وغربت حماة في هذا القرن بالزلزلة الهائلة التي حدثت في سنة ٥٥٢ فوجها نور الدين وبنى اسوارها وقلعتها وبنى فيها الجامع والمستشفى المعروفين باسمه . وفي العقد الأخير من القرن السادس استخلص صلاح الدين الايوبي حماة فولى عليها خاله شهاب الدين الحارمي وبعد موته اقطعها لابن اخيه تقي الدين عمر فتملكها هذا واعقابها المعروفون بالبيت التقوي خلال ٦٨ سنة وانتهى ملكهم بخلع الملك الافضل بن الملك المؤيد ابي الفداء . ولم يكن لابناء البيت التقوي من الملكية الا الاسم والاهبة وكانوا فعلاً تحت إمرة ابناء عمهم صلاح الدين والسلطين المماليك الذين خلفهم . على ان حماة نالت في عهدهم حظاً موفوراً من العمران وبعد زوال دولتهم وعجمي هولاء في القرن السابع وتيمورلنك في اوائل القرن التاسع وتخريبها قلعتها واسوارها ونيلها منها — انعطش شأن حماة وتضاءل عمرها وظلت في عهد المماليك بديرها عمالم فتسعد وتشقى تبعاً لصلاح هولاء او فسادهم . وفي القرن العاشر دخلت في ملك العثمانيين وصار يتولاها المتسلطون والباشات الذين يوظفهم ولاية طرابلس او دمشق حسبما تكون حماة مرتبطة بهذه او بتلك فنالها في العهد العثماني ما نال القطر الشامي كله من الاهمال

وسوء التدبير الى ان حنت الحالة في الحملة في اواخر القرن الماضي فجمعت حماة متصرفية^١ ألحقت بها اذ ذاك أفضية حمص وجبل الكلبة ثم تبعتها سلمية في مطلع القرن الحالي .
 وما يستحق الذكر ان الصليبيين حاولوا الاستيلاء على حماة مرتين فشلوا بعد ان كاد الأمر يتم لهم . الأولى في سنة ٥١١ في عهد واليها شهاب الدين محمود فانهم انتهزوا فرصة خسوف القمر فوصلوا الى ارباض حماة وحاصروها والثانية في سنة ٥٢٢ انتهزوا فرصة غياب صلاح الدين في مصر ومرض عاملها خاله شهاب الدين الحارمي فحاصروها ، لكنهم في المرتين اجبروا على الرجوع . على انهم عند ضعف المسلمين وتنازع ملوكهم كانوا - ونخص بالذكر الداوية اي الفرسان الميكيين الموابطين في حصن الاكراد - لا يتوانون عن الاغارة على حماة فينالون من ضواحيها ويغرمون احياناً ملوكها وعمالها بمبالغ طائلة ويرجعون .
 هذا وقد حاولت ان اجد وصف حماة في القرون الماضية لانظر كيف كان عمرانها في ادوار متعاقبة فلم اعثر على اقدم من وصف القرن الثالث أنقله عن ياقوت . قال : وذكر احمد بن الطيب فيما ذكره من البقاع التي شاهدها في مسيره مع المعتضد من بغداد الى الطواحين (?) فقال بعد ذكره حمص « وحماة قرية عليها سور حجارة وفيها بناء بالحجارة واسع والعاصي يجري امامها ويسقي بساينها ويدير نواعيرها » وكان قوله هذا في سنة ٢٧١ فسمها قرية اه . قال احمد الصابوني الحموي في كتابه تاريخ حماة المطبوع في سنة ١٣٣٢ ماخلاصته ان احمد بن الطيب سمي حماة قرية وليست هي قرية كما قال ولكن من يشاهد بغداد في زمن المعتضد لا يستغرب منه تسميته حماة قرية لأن العباسيين لما اخذوا الخلافة لم يكن لهم عناية الا باعمار بغداد والعراق فاهملوا شأن البلاد الشامية ومنها حماة ولتوالي هذا الاعمال والفن خربت الكور والقرى التي كانت حماة تستقي منها موارد ثروتها مثل كورة البلعاس والاندرين ولطمين وصورات وبعرين وغيرها حتى صارت حماة تسمى قرية في نظر احمد بن الطيب اه . وقال الاصطخري في اواسط القرن الرابع ما يدل على صغر حماة اذ ذاك ومضارعتها شيزر : واما شيزر وحماة فانها مدينتان صغيرتان نزهتان كثيرتا الماء والشجر والزرع .
 وراى ابن جبير في القرن السادس بعد ان مضى على الزلزلة سنة ٥٥٢ التي خربت حماة

بالمرة نحو ربع قرن ، وكانت نشطت من عثرتها بفضل الدولتين النورية والصلاحية لكنها لم ترق كثيراً عيني ذلك الاندلسي المبتهجة بمراى غرناطة وقرطبة والحراء فلم نجبه أفنيهما الضيقة ومبانيها المزدحمة ولم ينشرح الحسن العاصي وجمال البسائين . وهالك ما قاله : « حماة مدينة شهيرة في البلدان قديمة الصلبة للزمان غير فسيحة الفناء ولا رائقة البناء ، أقطارها مضمومة وديارها مراكومة ، لا يهش البصر إليها عند الاطلاع عليها ، كأنها تكن بهجتها وتجنيتها فجد حسنهما كامنًا فيها ، حتى اذا جست خلالها ونفرت ظلالتها أبصرت بشرقها نهراً كبيراً تنسج في تدفقه أساليبه ، وتتناظر بشطيه دواليبه ، قد انتظمت طرفيه بسائين تمهدل أغصانها عليه ، وتلوح خضرتها عذاراً بصفتيه ، ينسرب إلى ظلالتها ، وينساب على سمت اعتدالها ، وباحد شطيه المتصل برضها مطاهر منتظمة بيوتاً عدة يخترق الماء من احد دواليبه جميع نواحيها فلا يجد المغتسل اثر اذى فيها ، وعلى شطه الثاني المتصل بالمدينة السفلى جامع صغير قد فجع جداره الشرقي عليه طينقاً تحتل منها منظراً ترتاح النفس اليه وتتقيد الأبصار لديه وبازاء ممر النهر بجوفي المدينة قلعة حلينة الوضع وإن كانت دونها في الحصانة والمنع مرب لها من هذا النهر ماء ينبع فيها فلا تخاف الصدى ولا تنيب مرام العدى . ومومر هذه المدينة في وحدة^(١) من الأرض عريضة مستطيلة كأنها خندق عميق يرتفع لها جانبان أحدهما كالجبل المطل^(٢) والمدينة العليا متصلة بسفح ذلك الجانب الجبلي والقلعة في الجانب الآخر في ربوة منقطعة كبيرة مستديرة قد تولى تحتها الزمان وحصل لها بحصانتها من كل عدو الأمان والمدينة السفلى^(٣) تحت القلعة متصلة بالجانب الذي يصب النهر عليه وكتلتا المدينتين صغيرتان وسور المدينة العليا يمتد على رأس جانبها العالي الجبلي ويعطف بها وبالمدينة السفلى سور يحديق بها من ثلاثة جوانب لان جانبها المتصل بالنهر لا يحتاج الى سور وعلى النهر جسر كبير^(٤) معقود بصم الحجارة يتصل من المدينة السفلى الى ربضها^(٥) وربضها كبير فيه خانات والديار وله حوانيت يستعجل فيها المسافرين حاجته الى ان يفرغ لدخول المدينة وأسواق المدينة العليا أحفل وأجمل من أسواق المدينة السفلى وهي الجامعة لجميع الصناعات والتجارات اه .

ولم ينبه ذكر حماة بعد خموله وتسعد الا في عهد أبناء تقي الدين عمر بن ايوب

فانهم لما آل اليهم ملك حماة وضواحيها عمروها بالأبنية الضخمة والقصور الفخمة والأسواق الحافلة والأسوار المحكمة بدلتنا على ذلك ما ذكره ياقوت في أوائل القرن السابع قال :
حماة مدينة كبيرة كثيرة الخيرات رخيصة الأسعار واسعة الرقعة حفلة الأسواق يحيط بها سور محكم وبظاهر السور حاصر كبير جداً فيه أسواق كثيرة وجامع مفرد مشرف على نهرها المعروف بالعاصي عليه عدة نواعير تستقي الماء من العاصي فتسقي بساقيها وتصب الى بركة جامعها ويقال لهذا الحاصر السوق الأسفل لانه منخفض عن المدينة ويسمون السور السوق الأعلى . وفي طرف المدينة قلعة عظيمة عجيبة في حصنها وإتقان عمارتها وحفر خنادقها نحو مائة ذراع وأكثر وهي مدينة قديمة جاهلية ذكرها امرؤ القيس في شعره (أوردناه في بحث شيزر) الا انها لم تكن قديماً مثل ما هي اليوم بسلطان مفرد بل كانت من عمل حمص اه . وبدلتنا على تلك العناية ايضاً ما ذكره ابن بطوطة في القرن الثامن : حماة احدى أمهات الشام الرقيقة ومدائنها البديعة ذات الحسن الرائق والجمال الفائق تحفها البساتين والجنات ويشقها العاصي ولها روض يسمى بالمنصورة أعظم من المدينة فيه الاسواق الحافلة والحمامات الحسان . وبحماة الفواكه الكثيرة منها الشمس اللوزي الشعير اه .

وقد فسر الصابوني في تاريخ حماة ما ذكره ابن جبير وياقوت فقال : كانت حماة قسمين قسم سيفي محلة باب الجسر وقسم في المدينة وبالنظر لارتفاع المدينة عن باب الجسر كانت تسمى القسم الأعلى وسوقها السوق الأعلى وكذا جامعها كان يسمى الجامع الأعلى وكانت مسورة بسور من الحجر الابيض عظيم يمتد الى تل العريضة وله أبواب عديدة منها باب النصر وباب المغار وباب النهر وباب العميان وباب الغربي وباب القبلي . وكانت محلة باب الجسر سور يحيط بها من جهة العاصي ويحيط بها من الجهة الاخرى وعلى العاصي الجسر الكبير له باب من جهة الشمال الغربي وباب آخر في مبداء من جهة القبلة ولسورها أبواب منها باب تدمر وباب النقفي وباب حمص . وقال شرحاً لما ذكره جبير وأشرنا اليه برقم (١) الوهدة المكان المنخفض فان حماة في وادي عميق كانت أرضه مساوية لأرض النهر ولكثرة الزلازل وتراكم التراب ارتفعت الأرض عن النهر . وعن الرقم (٢) انه تل العريضة . و (٣) محلة باب الجسر و (٤) جسر محلة باب الجسر و (٥) كان سيفي محلة الدهشة في بستان يسمى

الاتون حوانيت وخانات ينزل فيها المسافرين اذا جاء ليلاً وأبواب السور مغلقة ويسمى مثل هذا ربضاً . وكان بنيان محلة المدينة أوسع وأسواقها أحفل من أسواق محلة باب الجسر وكان بين القسمين طريق مما وراء القلعة من البستان الذي يسمى الآن بستان الخضر . ثم امتد العمران لجهة الحاضر فحدثت محلات عديدة كما امتد البنيان في زمن نور الدين الشهيد حتى ياب حمص بجانب رمح المسرودة . اما مكان السوق فقد كان مرتفعاً من الشمال ومنخفضاً في الجنوب وكان فيه مقابر واذا طغى العاصي فاض على هذا القسم المنخفض وملأه . فلما ضاقت البلد بالسكان مشى الناس بالبنيان الى موضع السوق فبنوا البيوت والحوانيت ولما ولي الملك المنصور حماة بنى هذا السوق وكان يعرف بسوق المنصورية .

قلت وكان ينتظر من الملك المؤيد ابي الفداء ان يصف لنا عاصمة ملكه حماة في كتابه « تقويم البلدان » وصفاً كافياً بطبعنا به على الرقي والعمران اللذين نالتهما في عهده وعهد اجداده التقويين الايوبيين في القرنين السابع والثامن ولكنه رحمه الله لم يشذ عن الاجياز الذي سار عليه في وصف بقية البلدان فاكتفى بقوله : حماة من الشام بين حمص وقنسرين وحماة مدينة أزلية ولها ذكر في كتب الاسرائيليين وهي من ائمة البلاد الشامية والعاصي يستدير على غالبها من شرقيها وشمالها ولها قلعة حسنة البناء مرتفعة وفي داخلها الأرحية على الماء وبها نواعير على العاصي تسمى أكثر بسايتها ويدخل منها الماء الى كثير من دورها قال الهروي في كتابه المعروف بالزيادات : وحماة بلدة قديمة مذكورة في التوراة وهي وشيزر مختصتان بكثرة النواعير دون غيرهما من بلاد الشام اه .

وقال شيخ الربوة في القرن الثامن ابضاً : حماة حماها الله بها سلطان ملك (لعله يعني الملك المؤيد ابا الفداء) ونائب مستقل وهي مدينة حسنة خصبة كثيرة الخير والأرزاق يحوطها النهر العاصي ويأتيها جاريًا من بين جانبيها ويجمع بين الجانبين قنطرة وعلى العاصي نواعير كبيرة التي لم ير في الآفاق مثلها يحملون من العاصي أنهاراً من الماء يسقون به البساتين والاماكن وهي كثيرة الثمار وبها الشمس الكافوري اللوزي الذي لم ير في سائر الآفاق مثله ومن اعمالها الكبار بعين وتسمى بارين وهي قلعة منيعة وسليمة وهي على سيف البرية (بناها عبدالله بن صالح وعلي بن عبدالله بن عباس رضي الله عنهم) ولها قناة كبيرة

تحمّل من سلبية الى حماة تسقى بساكنها وارضها وهو نهر ملج . وقال ايضا عن حماة في فصل اعياد النصارى ومواسمهم : وفي عيد الفصح تبطل اهل حماة مدة ستة ايام اولها يوم الخميس الكبير وهو خميس العهد وآخرها يوم الثلاثاء ثالث الفصح وتنتقش فيه النساء وتلبس فيه الكساوي الفاخرة وبصبغون فيه البيض ويعملون الأفراس والكعك ، المسلمون أكثر من النصارى . ويرد الى حماة اهل سائر البلاد المجاور لها مثل حمص وشيزر وسلمية وكفرطاب وابوقينس ومصيف والمعرة وتيزين والبساب وبزاعة والفوعة وحلب ويطلقون جميعا الى العاصي ويضرب لهم اهل حماة على شطوطه خياما وبركبون في المراكب بالمغاني ويرقصون في المراكب النساء والرجال على الشطوط حتى تهتك الخلّاق ويمضي لهم ستة ايام لا يرى في الوجود مثلها وكذلك يبطلون اول يوم صوم النصارى ويقولون قد طلّعوا يلتقون الراهب ويبطلون ايضا يوم نزول الشمس برج الحمل ولم أر هذا في مدينه - يرها . وفي ليلة عيد الميلاد بوعد اهل حماة كبيرهم وصغيرهم وجليلهم وحقيهم وجندهم واميرهم من القنابل فوق الاسطحة ومن القنب والشيخ شيئا عظيما وبوقدون من البارود وانفط انواعا شتى وكذلك في عيد اختان ويسمونه الميلاد الصغيرة وربما بوقدون فيها اكثر من الكبيرة اه .

قلت وقناه سلمية التي ذكرها شيخ الربوة كانت تصل الى حماة وتسقى الارض الفسيحة العذبة الممتدة في شمالها وقد درست وتنوسي خبرها . اما الزوارق فقد بقي منها ارضييل كان قاصدو النزهة من الحمويين يركبونها من جسر المراكب الذي صار يدعى جسر السرايا حيث العاصي زائد العمق في الجملة وبذهبون الى مكان في شرقي البلدة يدعى البشريات فيه ناعورتان كبيرتان تسقى البساتين نسبة الى دفين بجانبها يسمى الشيخ بشر . ولم يبق في حماة من الفواكه التي ذكرها ابن بطوطة وشيخ الربوة الا النادر وفقد منها الشمس اللوزي الذي ما زال موجودا في دمشق والقطر المصري ومعروفا بالحموي وليس في بساتين حماة وازوارها الا الزروع المسقوية من الحبوب والبقول الواسعة الغلال وقليل من الاشجار غير المطعمة وما ذلك الا من اهمال سراء حماة ملاكي هذه البساتين وانصرافهم لزيادة عدد ما يقتنونه من القرى العذبة دون العناية باتقان العمل .

وفي القرن التاسع في دولة المماليك وفي القرن العاشر في زمن عثمانين كسدت

لنضاعة العلوم الدينية فلم ينشأ أحد من الرحالين أو الجغرافيين ينشئنا عما كان عليه اذ ذاك
 عمران حماة وغيرها من مدن الشام مما تقدم معنا ذكره أو تأخره ، أو انه نشأ ولم نعتز على
 ما كتبوه . وكذلك لم ينشأ في القرن الحادي عشر سوى سائحين أوليا جلبي الذي وصف
 حماة على قدر ماوعاه فهمه . على ان المعروف من التواريخ ان حماة بعد زوال دولة الايوبيين
 التقويين والخراب الذي أصابها من هولاكو ونيورلنك واستمرار فوضى الأحكام في عهد
 المماليك ودثور سلية وغيرها من القرى الشرقية التي لاحتيا لحماة الالبها وفصل المرة عنها
 أقل نجم حظها ، وفي عهد العثمانيين دام هذا الأفظول لتوالي جور المسلمين الذين كان يرسلهم
 الولاة من طرابلس أو دمشق وقتن الأجناد وعسفهم حتى هاجر كثير من الحمويين على
 مارواه الهجي الى بقية مدن الشام الأكثر اطمئنانا نفلت حماة من رجالها وانخط شأنها
 كثيراً . وفي القرن الماضي ولاسيما في عهده الأخير دأبت الأسر الكبيرة التي أوجدتها
 أحداث ذلك العهد على استعفاء العقارات في المدينة والمزروعات في القرى بشق الوسائل
 حتى لم يبق منها لاسيما في البرية من الارضين المملوكة لاهلها الا ما ندر . وأصبح الحمويون
 من جراء ذلك فريقين متباينين ، العظامي الذي يسير غموراً لسعة املاكه ووفرة أرزاقه تدر
 عليه وهو مستريح ريعاً بنفقه في نعمه ورفهه ، والعصامي وهم السوقه والفلاحون الذين
 يكادون مدى العمر للحصول على كفاف العيش والأجور التي حققت عليهم لأولئك
 العظاميين . والشحناء من جراء هذا التباين مستفكة الحلقات بين هذين الفريقين .

ومنذ نصف قرن توافد رحالة الافرنج على حماة فأعجبهم جمالها الطبيعي ومنظورها الأثري
 واستغربوا انسياب عاصيها وشدو نواعيرها وأزياء أهلها وأطوارهم فكاتب بعضهم ومنهم ايزامبر
 وشوقه في سنة ١٨٨٢ وفان برشم في سنة ١٨٩٨ وموريس باريس في سنة ١٩١٤ ومونمارشة
 سنة ١٩٣٢ ما أوحته اليه قريحته الغربية . وخلاصة ما كتبوه بما يكادون يتفقون في مآله ان
 حماة اختبأت في منخفض العاصي ومنعرجاته لا يتميزها القادم من بعيد الا من قرونها وانها
 احتضنت العاصي بمسورها وأغمست فيه دورها وقصورها وأطنبوا بنفزة رياضها وزهو
 أشجارها وأزهارها وروعة عاصيها وانسياب الهادي ووصفوا نواعيرها معبين بشكائها وعظمتها
 ودورانها وشدوها المطرب وصعوبة اعتياد الغريب له في لياليه الاولى وانتشار الماء منها :

وانصابه في القناطر الممتدة الى الأحياء والبساتين وتمثلوا العصور الوسطى عند رؤيتهم مباني حماه الأثرية المركومة التي لم يخالطها حتى الآن بناء حديث وأسواقها المعقودة ودكاكينها المزدحمة بالقرويين والبدو وعند نظرهم الى أطوار سكان حماه وأزيائهم المتنوعة الألوان والأشكال وشكوا فقدان الفنادق والمطاعم وحرمان أسباب الرفه الجالبة للسياح وان حماه بلدة منكشة ، بعيدة عن الاتصال بحضارة الغرب ، قليلة الترحاب بالأجانب وأهلها متمصبون والحياة الاجتماعية فيها لاسيا عند أسرها الكبيرة التي يدها الملك كله تذكر عهد الإقطاع وان من المباني الأثرية التي تسحق الزيارة في حماه قصور بني العظم وبني الكيلاني والجامع الكبير والجامع النوري وجامع الحيات والقلعة ١٠٠٠ الخ . وما قاله احدهم وهو مومناشة صاحب « الدليل الأزرق » : وحماه مثل أكثر مدن الشام لا يحتاج المتجول فيها ركوب المركبة فضياع الوقت يكاد لا يذكر ناهيك ان الماشي يتلى أكثر بمشاهدة الطرق . فالأحياء المبنية في ضفة العاصي اليسرى أكثر امتداداً واستمتاعاً منها في ضفته اليمنى . واذا غادر السائح جسر السراي يسير شمالاً في شارع عريض يوازي العاصي (يعني شارع ابي الفداء) فيمر من تحت قناة ناعورة كبيرة ثم يصل الى القصر العربي الفخم الذي بناه اسعد باشا العظم حاكم حماه في سنة ١٢٤٢ م وقد اتخذ الآن مدرسة اهلية دعيت دار التعليم والتربية . وهذا القصر اصغر واقل بهاء من قصر بيت العظم في دمشق ، له فناءات احدهما علوي والثاني سفلي ، وفي العلوي قاعة ذات قباب امامها صف من الاعمدة ، ونجارة الخشب فيها ودهانه ووشيه من طراز القرن الثامن عشر وفي جنب القاعة غرفة فيها رسوم جميلة احدها يمثل مدينة حلب بمنظرها العام . واجمل ما في هذا القصر موقعه ، فان الواقف في فناءه العلوي يشرف على مشاهد جميلة في ضفتي العاصي وعلى احياء حماه التي في ضفته اليمنى (يعني الحاضر) . وبعد الخروج من القصر يسير السائح شمالاً فيمر من قرب ناعورتين عظيمتين جداً ثم من تحت ساباط الى ان يصل الى جسر على العاصي في قرنه ثلاث نواخير ، ويشاهد على ضفة العاصي اليمنى قصراً ذا قبة لآل الكيلاني ذوي الوجاهة في حماه والواقف على هذا الجسر تفر عينه بمناظر الحدائق الجميلة وصوت النواخير المطرب وثمة في الضفة اليسرى حمام عربي قديم واذا

« للبحث صلة » وصفي زكريا

جامع التواريخ

— أو —

« نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة »

— ٥ —

حدثني محمد بن احمد بن عثمان الزيات قال حدثني ابو بكر بن حوري :
شيخ كان من اهل خامية من اعمال النهروان قد اقام ببغداد سنين . وكان
مشهوراً بصحبة ابي عبد الله بن ابي عوف قال : كنت الزم ابن ابي عوف
سنين لجوار بيننا ومودة لا اسأله حاجة : لأنها لم تكن تعرض لي وكنت
اتخفف من يديه في حوائج بنفذي فيها . وكان رسي في كل ليلة أجيئه بعد
العتمة وقد صلى ودخل منزله . فحين يراني يمد رجله في حجري فأغمزها وأحادثه
فيسألني عن الاخبار والحوادث ببغداد . وكنت اسأل عنها وانطلبها من
كل موضع واجيئه بها واخبره بخبر من قدم البلد ومن سافر عنه ومن مات
ومن ولد ومن خاصم ومن ورث ومن يرجف به الناس واخبار الجيران وبكل
غث وسمين الى ان ينمى فاذا نعى قبض رجله فقامت الى بيتي وقد مضى
ثلث الليل او بعضه او أقل (١) على هذا سنين . فلما كانت ذات يوم جامي
سقطي كان يعاملني فقال قد دفعت الي شي إن تم علي افتقرت فقلت ماهو ؟

(١) قد سقط : وجرى الأمر .

فقال رجل كنت اذامله فاجتمع لي عليه الف دينار فطالبته فرهني عقد جوهر
 قوم بالف دينار الى ان يفتكه بعد شهر أو أيعه . وأذن لي في ذلك فلما
 كان امس وجه (موئس الفحل صاحب الشرطة) من كبس دكاني وفتح
 صندوقي واخذ العقد وقد استتر الرجل . فقلت له لا تفكر في هذا فاني
 اخاطب (ابا عبد الله بن ابي عوف) فيلزمه رده صاغراً . قال وانا مدلل
 بابن ابي عوف لمكاني منه . ومكنته من المعتضد . فلما كان تلك الليلة جثته
 فدفن رجله في حجر علي الرسم . وحادثته وعرفته الأخبار وقلت له في جملتها
 أمر السقطي مع موئس ثم قلت هذا الرجل جاري ومعاملي وأوجب الناس
 حقاً علي ولا بد والله من تفضلك ياسيدي واعتناء (١) في امره والزام موئس
 رد العقد . فقال ما انا وهذا ؟ أعاديه صاحب شرطة الخليفة ؟ وكيف
 استجرات أن تعرضني لمثل هذا وتسالني فيه ؟ كأني بك وقد قلت ابن ابي
 عوف صديقي الزمه رد هذا . ولم تشفق علي جاهي وكأن صلاح حال السقطي
 أحب اليك من صيانة جاهي ما انا عافاك الله وهذا ولا اليه ؟ قال فورد علي
 من هذا اعظم مورد . وقلت في نفسي : هذا الرجل قد خدمته كذا وكذا
 سنة هذه الخدمة التي لم تخدمها العبيد علي (٢) ما سألته قط حاجة ولا احتجت
 اليه في شيء ولا له علي رزق ولا إفضال يلقاني في حاجة قد سألته فيها بمثل
 هذا . شهد الله لا دخلت له داراً بعدها ابداً . وامسكت وجلست لا اتكلم
 ثم قمت قبل الوقت الذي كنت اقوم فيه . وعدت الى منزلي منكسراً

(١) لعله : واعتناك . (٢) قد سقط : الي .

مغموماً . فلما كان من الغد بكرت لثلا يمشي الرجل بسبب حاجته فافتضح عنده . ولم ادخل بيتي الى وقت المغرب ثم جئت فصليت وطرحت (١) واعتقدت انني لا امضي اليه . فلما صليت العتمة جاءني خادم لابن ابي عوف فقال الشيخ يقرأ عليك السلام ويقول لم تأخرت الليلة ؟ إن كنت معافي فتعال وان كنت متشكياً جئناك فاستحييت وقلت امضي الليلة ثم انقطع . فحين دخلت اليه ورأيت في مده رجله في حجري . فأخذتها وغمزتها على الرسم فقال ايش عندك من الأخبار ؟ فاقبلت أحدثه بمحدث غث متكاف متصنع . فلم يزل يصبر على ذلك ساعة ثم قبض رجله فقمت فقال بابا بكر انظر ايش تحت المصلي واذا برقعة في قرطاس فأخذتها وتقدمت الى الشمعة واذا فيها « يا مؤنس جسرت على قصد دكان رجل تاجر يُعرف بفلان وفتحت صندوقه واخذت منه عقد جوهر قيمته الف دينار وانا في الدنيا ؟ والله لولا انها اول غلطة غلطتها ما جرى في ذلك مناظرة . اركب بنفسك الى دكان الرجل حتى تردّ العقد في الصندوق بيدك ظاهراً » فقلت لأبي عبد الله ايش هذا يا سيدي ؟ فقال خطّ المعتضد الى مؤنس بما أردته : مثلت بين وجدك وعبتك مع وزن (٢) الحال مع مؤنس كما هي - وبين رضاك وقضا حقك وایحاش مؤنس فاخترتك عليه فأخذت خط امير المؤمنين بما تراه . فامض وأوصله اليه فانه يفعل ما امره به . فقبلت رأسه وشكرته وانصرفت وانا من الفرح لا اعقل . وجئت الى الرجل واخذت بيده ومضينا

(١) يربد : طرحت نفسي على مرير . (٢) لعله : بقاء .

الى مؤنس وسلمت التوقيع اليه . فحين قرأه اسود وجهه وارعد حتى سقطت الرقعة من يده ثم قال « يا هذا الله بيني وبينك . هذا شيء ما علمت به وتموء علي » فألاً نظلمت الي فان لم أنصفكم فالى الوزير . ما هذا ؟ بأغتم الامر الى امير المؤمنين من اول وهلة » قال وانتشطت (١) فقلت « بعلمك جرى والعقد معك » قال : فأحضر العقد وقال : خذوا الالف دينار التي عليه الساعة واكتبوا على الرجل بطلان ما ادعاه : فقلت لا نفعل . فقال خذوا ألف وخمس مائة دينار . فقلت والله لو اعطينا الف الف دينار ما رضى بنا او تركب بنفسك الى الدكان والعقد معك فترده الى الصندوق ولا نكذب انفسنا او ترد التوقيع . فقال أسرجوا لي قال : فركب والله في موكبه حتى وقف على دكان الرجل ورد العقد بيده الى الصندوق . فجاءنا صاحبه من ذلك اليوم ودفع ألف الدينار وارتمجه .

حدثني عبد الله بن احمد بن داسه قال حدثني ابو احمد بن ابي الحسك الشاهد قال حدثني بمصر ابو طاهر محمد بن احمد بن عبد الله بن نصر القاضي وهو قاضيه يومئذ قال حدثني شيخ كان في جوارنا ببغداد بدرب الرواسين من باب الشام قال كان ابو عبد الله بن ابي داود (٢) ينزل بباب الشام وهو صغير الحال فكنا نعرف احواله فباع يوماً مندبلاً كان له بسبعة دراهم لتعذر القوت عليه قال فاجتاز في طريقه وهو عطشان فرأى شارباً فعدل الى

(١) لعله : واستشطت أو ونشطت . (٢) الصواب : دؤاد .

الموضع ودعاه واستسقاء فكسر الشارب شفة كوز كان معه وملاه ودفعه اليه فقال له ابن ابي داود (١) لم فعلت ذلك فقوال قد شرب في هذا الموضع قبلك من لم ارض لك ان تجعل شفتك في موضع شفته فكسرت الموضع من الكوز لتشرب من موضع ما وقعت عليه شفة غير شفتك قال فشرب الماء ثم دفع اليه السبعة دراهم التي لم يكن يملك غيرها .

* * *

حدثني ابو الحسين احمد بن الحسن بن المثنى قال كانت امي قد رأت ليلة القدر فدعت الله بدعاء كثير فلما كان من الغد قال لها ابي هل دعوت الله لي فقالت شغلني الدعاء لاولادك عن الدعاء لك قال فكنا نرى ان ما أفاء الله تعالى علينا من نعمة بعد ذلك انما كان بدعائها .

* * *

حدثني ابو الفضل الشيرازي الكاتب محمد بن عبيد الله بن المرزبان قال حدثني شيخ من شيوخ النخاسين الجلّة ببغداد قال كنت أعامل ابا الهيجاء عبد الله بن حمدان في الرقيق فكان يشتري مني ولا يبيع شيئاً يشتريه بوجه إما ان يهبه او يعتقه فجاءني يوماً الى حجرتي ولم تكن عادته جرت بذلك فوجدته وهو مستجمل يريد الخروج الى القصر لقتال أعراب بلغه انهم عاثوا في الطريق وكان يليه فقال بعني الساعة جارية فعرضت عليه عدة جوار فاخترار مؤادة منهن وحملها في عماريته على بغل فلما كان بعد شهور اقل من سنة جاءني بها رجل من الجند يريد بيعها فقلت لها أليس كان الأمير ابو الهيجاء اشتراك

مني فقالت بلى ولكني وهبني لهذا قال فلم ابعها حتى كاتبته وعرفته خبرها
لثلاث تكون قد هربت او وقع بها حيلة فلما اعلمني انه وهبها شرعت في بيعها
في الحال فتعذر واقامت عندي اياماً فسألته عن اخبار ابي الهيجاء وامره في
داره فاخبرني باشياء من ذلك فكان من طريف ما اخبرني به ان قالت
اخرجني من عندك في العمارية وسرنا يومنا وليتنا الى قريب من انتصاف
الليل فكذني السير وانلفني ثم حط العمارية في الصحراء ثم ضربت له خيم
لاصحابه فصرنا في عسكر واشعلت النيران ونصب له سرير مخلع (١) في خيمة
له واستدعاني فجلست وهو على فراشه فلاعبي ثم نزع ... وجلس مني مجلس
الرجل ... فوقعت صيحة عظيمة فنهض عني ولم يكن ... وضرب يده الى
تحت الفراش واذا سيف مجرد فاخذه وخرج بلا سراويل وصاح انا ابو الهيجاء
وسألم عن سبب الصيحة فقالوا سبع اطاف بالخيم فخرج يعدو ومعه خلق من
علمائه واصحابه وأهاجوا السبع وطلبوه وناصبوه الحرب وناصبهم وانا اسمع
الصياح وزئير الاسد وقد تلفت فزعاً ثم يأتيه هو من بين الجماعة فقتله فحمل
رأسه وجاءني وهو في يده فلما رأيت صحت فرمى بالرأس وغسل يده ثم جاءني
فطرحني واذا ... قائم كما كان في وقت نهوضه ما تغير ثم ... ثم نهضت
فما رأيت قلباً أثبت من قلبه ...

حدثني عبدالله بن احمد بن داسه قال حدثني ابوسهل بن زياد العطار قال

(١) كذا بالاصل ولعل معناه وثير .

كان بأسكاف (١) شاعر به (٢) طريقة فهبجا عاملها وبلغه ذلك فامسك عنه فلما كان وقت الغلة ركب العامل الى البيدر وقسمه وحمل غلة الشاعر اصلاً فجاء الشاعر اليه يشكو ويداريه فقال يا هذا ليست بيننا معاملة انت هجوتنا بالشعر ونحن هجوناك بالشعر وقد استوت الحال بيننا وبينك .

حدثني محمد بن عدي بن حر وجماعة من البصريين قالوا لما نشأ لأبي الحسين محمد بن عبيد بن نصرويه مع فضله ورُجُلته (رجوليته) ومحلّه المشهور من الدهاء والفيل (٣) والعلم والعقل — ابنه الباقي الآن وأخبر ابو الحسين رحمه الله بتأخره غمه ذلك قال وكان ابو الحسين يوماً جالساً اذ جاء ابنه هذا يسعى اليه كأنه في مهم ثم تنفأ طاقة شعر كانت على اذن ابي الحسين وسعى قائلاً ذلك وغمه بلوغ تخلف الصبي الى هذا الحد ورثينا لما جرى قال لنا خلف النار الرماد .

وحدثني ابو الحسين بن محمد الجبائي قال لما سعى ابو طاهر الحسين بن الحسن عامل البصرة علي ابي الحسين بن نصرويه حتى نكسب النكبة الثانية التي ألزمه فيها الوزير العباس بن الحسين ما ألزمه من المال راسل ابا طاهر فقال له اعلم ان الصياد الفاره لا يذبح شباشه (٤) وانا كنت لك في هذا البلد مع التجار

(١) مكان في نواحي النهروان . (٢) لعله محرف عن مثل به دعابة ظريفة .

(٣) يريد الاغتبال كما تدل عليه الحكاية الآتية . (٤) أظن هذه الكلمة عبرانية

معناها المغرور . قد وصفه الدكتور خليل سعادة في قاموسه ببطة أليفة توضع في المعابر الموصلة الى بركة لاستخراج البط البري ووقوعه في الشرك .

والناس مثل شباش الصياد فما انما ظن الناس انك عادلاً (١) وكنت تأخذ من تريد من الأوساط والأصاغر ولا ينكشف امرك وقد صرت بما عاملتني مثل الصياد الذي ذبح شباشه فلبس عزمه بعدها ان يضطاد وستعلم انك لا تنتفع بنفسك ولا بالبلد بعدي ثم عدل الى السعاية عليه مع ابي الفضل العباس ابن الحسين الوزير فما خرج من البصرة حتى قبض (٢) ونكبه وقلد البصرة ابا القاسم علي بن الحسين بن ابراهيم بن أخت ابي الفرج محمد بن العباس ابن فسانجس وألزمه مالاً ثقيلاً لم ينهض به وتلف ابوطاهر في المطالبة والضرب ومات في الحبس والسحق هو واهله الى آخر دهرهم وكل ذلك تدير ابي الحسين وترتبه المكاره عليهم .

حدثني محمد بن هليل بن عبد الله قال حدثنا القاضي احمد بن سيار قال حدثني رجل من الصوفية قال كنت اصحب شيخاً من الصوفية انا وجماعة في سفر فحدثني حديث التوكل والارزاق وضعف النفس فيهما وقوتها فقال ذلك الشيخ علي "علي" لاذقت مأكولاً او يُبعث اليّ بجامة فالودج حار ولا آكل الا بعد ان يحلف علي" قال وكنا نمشي في الصحراء فقالت له الجماعة : الآخر جاهل ومشاي ومشيئنا وانتهينا الى قرية ومضى عليه يومان ولبثان لم يطعم فيهن شيئاً ففارقت الجماعة غيري فانه طرح نفسه في مسجد في القرية مستسلماً للموت ضعفاً فامت عليه فلما كان في ليلة اليوم الرابع وقد انتصف الليل وكاد ان يتلف

(١) لعله : فانما ظن الناس انك عادل . (٢) قد سقط : عليه .

الشيخ فاذا بباب المسجد قدفتح واذا جارية سوداء ومعها طبق مغطى فلما رأتنا قالت انتم غرباء او من اهل القرية؟ فقلنا غرباء فكشفت الطبق فاذا بجام فالزوج يغور لحرارته فقالت كلوا فقلت له كل فقال لا افعل فقلت له والله لتأكلن لأبرء قسمه فقال لا افعل قال فشالت الجارية يدها فصنعتة صفة عظيمة وقالت والله لئن لم تأكل لا صفعنك هكذا الى ان تأكل قال فقال كل معي فأكلنا حتى نظفنا الجام وجاءت الجارية تمضي فقلنا لها مكانك خبرينا بخبرك وخبر هذا الجام فقالت نعم انا جارية رجل هو رئيس هذه القرية وهو رجل احمق حديد فطلب منا منذ ساعة فالزوجاً فقمنا لنصلحه وهو شتاء وبرد فالى ان تخرج الحوائج من البيت وتشعل النار ويعقد الفالزوج تأخر عنه فطلبه فقلنا نعم وطلبه ثانياً ولم نكن فرغنا منه وطلبه الثالثة فغرد وحلف بالطلاق لا يأكله ولا احد من داره ولا احد من اهل القرية ولا يأكله الا رجل غريب فغملناه في الجام وخرجنا نطلب في المساجد رجلاً غريباً فلم نجد الى ان انتهينا الى هذا المسجد فوجدنا كما ولو لم يأكله هذا الشيخ لقتلته ضرباً الى ان يأكل لئلا تطلق ستي من زوجها قال فقال الشيخ كيف ترى اذا اراد ان يرزق .

(للبحث صلة)

آراء وافكار

—(«)—

الزبور الشريف

ذكرنا في مقالنا «خزانة الكتب الخالدية» في بيت المقدس المنشورة بمجلة المجمع العلمي العربي بدمشق^(١) ان من جملة مخطوطاتها الزبور الشريف وانه منقول عن نسخة بمقام سيدنا داود عليه السلام في بيت المقدس وقد انبج لنا اخيراً الاطلاع على النسخة الأصلية المذكورة في خزانة كتب السيد حسن صدقي الدجاني فأحببنا ان نأتي على وصفها فنقول : كتبت هذه النسخة بخط جميل وهي بالقلم الكبير وقد جاء في آخرها ما يلي بالحرف :

« قد استراح من طي تيهاء زبير زير الأولين واستباح في حبي فرهاء حبير حبر الأولين القلم الذي اقدم تاماً في كتب الكتاب المنير والمترجم من كتاب الله القدير المنزل على سيدنا داود بن ايشا بن عوبد بن باعر المثنى نسبة الشريف الى ابراهيم خليل الرحمن صلوات الله تعالى عليهم اجمعين . على يد اضعف العباد الطالب سبيل الرشاد البائس الفقير المعترف على النقصان والتقصير ملتقى شفاعته من ازل عليه الزبور يوم يبعث من في القبور من الله العزيز الغفور الحاج محمد بن يحيى بن محمد المرعشي الملقب بشاهر زاده غفر الله له ولوالديه وجميع المؤمنين والمؤمنات والمسلمين والمسلمات برحمتك يا ارحم الراحمين . في اليوم الثاني من شهر رمضان المكرم لسنة احدى وخمسين ومائة والف من هجرة من له العز والشأن في المحروسة القسطنطينية دار السلطنة العلية » اه .

وقد ذكر فيها نسب سيدنا داود كما يأتي « هو داود عليه الصلوة والسلام ابن ايشاهمزة مكسورة فثناة فتحية ساكنة لثنين معجمة مقصورة ابن عوبد بعين مهملة وبعداواو موحددة وزن جعفر ابن باعر بياض موحددة وعين مهملة مفتوحة بينهما الف وآخره راء ابن سلمون بن

يخسون بن عمنيا ذاب بن رام بن حصرون بن فارض بن يهوذا بن يعقوب بن اسحق بن ابراهيم الخليل عليهم السلام . كذا في العرائس للشعلبي والذي في فيج الباري هو داود عليه السلام بن ايشا بن عويد بن باعر بن سلمو بن يارب بن رام بن فارض بن يهوذا بن يعقوب عليهم السلام ودأبه صلى الله تعالى عليه وسلم بنام نصف الليل ويقوم ثلثه وينام سدسه ويصوم يوماً ويفطر يوماً ولا يفر اذا لاقى قال العلماء رحمهم الله تعالى لما استشهد طالوت اعطت بنو اسرائيل داود عليه السلام خزان طالوت وملكوه على انفسهم وذلك بعد قتل جالوت بسبع سنين ولم تجتمع بنو اسرائيل على ملك الا داود عليه السلام . قال اهل التاريخ وكان عمره عليه السلام مائة سنة ملكه منها اربعون سنة وقيل ولي وله من العمر ثلاث وثلاثون سنة قيل وبين خروج بني اسرائيل مع موسى عليه السلام من مصر وبين اول ملك داود عليه السلام ستمائة وستون سنة وحايته : كان داود عليه السلام أحمر الوجه سبط الرأس ايض الجسم طويل اللحية فيها جمودة حسن الصوت والخلق طاهر القلب دعاؤه الذي دعا عليه السلام به قوله : اللهم اني أسألك حبك وحب من يحبك والعمل الذي يبلغي حبك اللهم اجعل حبك احب الي من نفسي واهلي ومن الماء البارد . هكذا نقل من وسائل المبرات . وكذب بهامش الصفحة الاولى منها مانصه :

« من تفسير اسماعيل حقي » — وآتيناه داود زبوراً وهو الكتاب مأخوذ من الزبور وهو الكتابة قال القرطبي : كان فيه مائة وخمسون سورة ليس فيها حكم من الاحكام وانما هي حكم ومواعظ وتحميد وتمجيد وثناء على الله عز وجل . وكان داود يبرز الى البرية ويقرأ الزبور فيقوم معه علماء بني اسرائيل خلفه ويقوم الناس خلف العلماء ويقوم الجن خلف الناس وتحيي الدواب التي في الجبال اذا سمعت صوت داود فيتمن بين يديه تعجباً لما يسمعن من صوته وتحيي الطير حتى يظللن على داود في خلائق لا يحصيهن الا الله برفرفن على رأسه وتحيي السباع حتى تحيط بالدواب والوحش لما يسمعن . (كتبه الفقير حسن انيس الدجاني الخلو في خادم سيدنا داود عليه صلاة الملك المعبود) .

هذا وصف مختصر للزبور الشريف الذي يسميه اليهود والنصارى بـ « الزامير » ولكن تلك الزامير لا تطابق نصوصها ما في الزبور الشريف وهذه بعض سورة .

السورة الأولى

بسم الله الرحمن الرحيم • يا بني اسرائيل اذكروا نعمتي عليكم وعلى آباءكم الأقدمين •
وحملتكم في البر والبحر • ورزقتكم من الطيبات وأنا العزيز الحكيم •

السورة الثانية

بسم الله الرحمن الرحيم • يادادود قل لبني اسرائيل لا تنكثوا الصلوة في الثياب الحرام
ولتكن نيايكم طاهرة من حلس • يا عبادي كيف تعصيني وأنا أنزل عليك في كل يوم
رزقاً جديداً ولكن غركم حلمي عنكم تعاليت وتقدست ان افاس بالخلوقين • يادادود قد
جملت هذه الكتب التي انزلتها على رسلي ليزجروا بها عبادي ويحذروهم ويخوفوهم ويبشروهم
بما اعددت للمحسنين منهم دعوا العجلة وملاحاة الرجال تسلم ادبايكم ودنياكم واعمكم •

السورة الثالثة

بسم الله الرحمن الرحيم • يا بني اسرائيل البسوا لكل حين لباسه وطيبكم بالتقوى •
واكثروا من الدعاء فاني احب من يدعوني بنية خالصة • فاذا فعلتم ذلك كانت جنتي لكم
مفتوحة • يادادود ان النساء قد ملكتم نواصيهم بالامانة فاحسنوا اليهن وادبوهن • ولا تقفروا
عليهن اذا كان لكم سعة • فاني انا الله الرزاق ذو الخزائن الواسعة الخ •

سورة من نصف الزبور

بسم الله الرحمن الرحيم • يادادود قل للأفاك الكاذب القتاك الذي يُسأل في
عبادي ولم يتذكر آلائي ولم يعتبر بامثالي وأحكامي التي انزلتها على رسلي •
وعزقي وجلالي اني علم غير معام واني خبير غير مخبر فقل لمن كان في قمره وعصيانه
الم تعلم ان بطشي شديد فبئس الورد ترد وبئس المنقلب تنقلب •

سورة من آخر الزبور

بسم الله الرحمن الرحيم • يا ابن آدم اكثر من الزاد فان الطريق بعيد واجود القيام
لله فان البحر عميق وخفف الحمل فان الصراط دقيق • واخلص العمل فان التأفد بصير وآخر
نومك الى القبر وفراسك الى الميزان وشهواتك الى الجنة وراحتك الى الآخرة ولذتك

الى الحور العين وكن لي اكنف لك وثقروا الي بالاستهانة بالدنيا وتباعدوا من الدنيا
لبغض الفجار وحب الابرار فان الله لا يضيع أجر المحسنين .

نسخة أخرى من الزبور

جاء في مجلة العرفان الغراء التي تصدر بصيدا « م ٨ ص ٤٩١ » ان في مكتبة الحرم
المكي بمكة المكرمة نسخة من الزبور الذي ترجمه الامام علي بن ابي طالب — كما ذكر الفخر
الرازي — منسوخة في ٦ ربيع الاول سنة ١٢٧٧ بقلم عبد اللطيف بن عبد اللطيف
الدوي الزمزمي في ١٤٨ سورة و ١١٧ صفحة بقطع الثمن ومن آياته :
يادادو صر بني اسرائيل لا ينهروا المسكين ولا يضربوا اليتيم وليقوموا الي دجى الليل
بقلوب خائفة واعين هاكية .

استدراك على نسب أسرة الدجاني

كنت ذكرت في مقالتي المشار اليه بأول الكلام^(١) ان أسرة الدجاني يتصل نسبها بسيدنا
داود عليه السلام وهو خطأ ساقني اليه اشتهاار هذه الاسرة الكبيرة ببيت المقدس باسم
« الداودي » بحكم قيامها على خدمة مقام سيدنا داود الى الآن . لذلك رأيت ان أشير الى
هذا الخطأ غير المقصود واعتذر عنه وأقول ان هذه الأسرة قد تحدت من الشيخ الصالح
الزاهد صاحب الاوقاف المشهورة احمد الدجاني دفين تربة مامن الله ببيت المقدس ومن
مشاهير رجالاتها يحيى بن درويش بن سليمان بن محمد المترجم له في سلك الدرر في اعيان
القرن الثاني عشر للرازي « ج ٤ ص ٢٢٨ » .

كما ان والده درويش وجده سليمان ومحمد المذكورين قد ترجم لهم الهبي في خلاصة
الأثر في أعيان القرن الحادي عشر « ج ٢ ص ١٥٦ و ج ٢ ص ٢١١ و ج ٣
ص ٣٥٦ » .

وقد نعت الهبي سليمان المذكور بالداودي المقدسي مما نستدل منه على ان نسبتهم
الى الدجاني والداودي كانت جارية في الماضي كما هي جارية في الحال .

عبد الله مخلص

منصور البهوتي

ترجم الهبي في خلاصة الأثر في اعيان القرن الحادي عشر^(١) لشيخ الختابة بمصر في زمانه منصور بن يونس بن صلاح الدين بن حسن بن احمد بن علي بن ادريس البهوتي المتوفى سنة ١٠٥١ هـ ١٦٤١ م ووفاه حقه .

وقد اقتنيتُ أخيراً نسخة مخطوطة من كتاب شرح المنتهى لمنصور المذكور كُتبتُ حديثاً ختمها ناسخها بترجمة المؤلف نقلاً عن محمد السفاريني^(٢) الذي يظهر ان الهبي نقل عنه ايضاً .

وتتأثر ترجمة السفاريني بانه استقصى فيها تاريخ مولده بعد مدة و اضاف اليها وذكر بعض من أخذ عنه من العلماء الذين اغفلهم الهبي مثل محمد أبي المواهب ومحمد الخلوقي وباسين اللبدي وعبد الحق ابن عمه ويوسف الكرمي .

وشرح المنتهى هو على « منتهى الارادات » للتي الفتوح وللشارح حاشية عليه ايضاً . وقد طبع هذا الشرح بهامش كتاب كشاف القناع عن متن الانشاع للمؤلف نفسه في المطبعة الشرفية بمصر سنة ١٣١٩ هـ ١٩٠١ م .

والغريب ان يذكر في طرقة الكتاب المطبوع ان كشاف القناع عن متن الانشاع هو لشيخ مشايخ الاسلام واوحد الكبراء الفخام صاحب الانشاء والتدريس العلامة الشيخ منصور بن ادريس الحنبلي وان شرح المنتهى هو لشيخ الاسلام وقدوة الأنام وخاتمة المحققين وبقيّة المدققين الشيخ منصور بن يونس البهوتي الحنبلي كأنها لمؤلفين مختلفين في حين انها لرجل واحد هو منصور بن ادريس المذكور .

وفي نسخة مخطوطة بجزانة كتيبي من المكشوف جاء اسمه في الطرقة كشاف القناع

(١) خلاصة الأثر جزء ٤ صفحة ٤٢٦ .

(٢) هو محمد بن احمد بن سالم بن سليمان السفاريني النابلسي الحنبلي المترجم له في سلك الدرر في اعيان القرن الثاني عشر للمراي « ج ٤ ص ٣١ » وفيها انه توفي سنة ١١٨٨ هـ ١٧٧٤ م .

لشرح الاقناع بينا المؤلف بذكره في مقدمته باسم «كشاف القناع عن الاقناع» وهذه هي ترجمة السفاريني التي نقلها عنه ناسخ الكتاب :

«اقول الشيخ منصور المذكور احد اعلام علماء المذهب المتأخرين كان كثير العبادة غزير الافادة والاستفادة وصل اليه الخطاب من الديار الشامية والنواحي النجدية والاراضي المقدسية والضواحي البعلية وثلثوا بين يديه وضربت الابل اباطها اليه وعقدت عليه الخناصر وقال من حظي بنظره هل من مفاخر فاخذ عنه الشيخ يوسف البهوتي والشيخ عبد الرحمن البهوتي وسيدنا الشيخ محمد ابو المواهب والشيخ محمد الخلوئي والشيخ محمد المرادي^(١) والشيخ ياسين اللبدي والشيخ عبد الحق ابن عمه والشيخ يوسف الكرمي ومحمد بن ابي السرور في آخرين .

وشرح الاقناع في ثلاث مجلدات ضخام وكذلك المنتهى وشرح المفردات وزاد المستفنع وهو احسن شروحه وله حاشية على الاقناع وحاشية على المنتهى .

وكان سخياً جواداً له مكارم دارة وبشاشة سارة وكان في كل ليلة جمعة يصنع ضيافة ويجمع جماعة المقادسة^(٢) في داره ومن مرض منهم عاده واخذه الى داره ومرضه احسن ثم يرض الى ان يشفي وكان الناس يأتون بالصدقات فيفرقها في المجلس ولا يأخذ منها شيئاً . وكانت وفاته رضي الله عنه ضحى يوم الجمعة عاشر ربيع الثاني سنة احدى وخمسين والـ الف بمصر المحروسة ودفن بتربة المهاجرين رحمه الله تعالى ورضي عنه آمين .

والى الآن لم اعلم تاريخ مولده رضوان الله عليه قال الفقير الشيخ محمد السفاريني نطقت هذه الكلمات من ترجمة في تراجم متأخري الاصحاب التي جمعها والله يحتم بالصالحات والله سبحانه وتعالى اعلم .

ثم رأيت سنة ١١٥٨ هـ ام اخته الشيخ محمد الخلوئي ذكر في كتاب الحجر انه سأله عن مولده فأخبره انه سنة الف فكان عمره احدى وخمسين سنة رضي الله عنه^(٣) .
عبد الله مخلص

(١) في خلاصة الأثر المرادي . (٢) في الأصل المقادسة وهي من غلط الناسخ .

(٣) لم يذكر المرادي في ترجمة السفاريني مجموعه هذا المتعلق بالتراجم .

وائلة بن الأسقع

ذكر رئيسنا الأجل في مقالته «التدوين في الاسلام»^(١) ان وائلة بن الاسقع احد اصحاب الرسول صلى الله عليه وسلم الذين سمعوا منه مات في بيت المقدس وانه كان يشهد المغازي فيمير بدمشق وحمص .

والذي في كتاب الاصابة في تمييز الصحابة لابن حجر العسقلاني^(٢) انه آخر من مات بدمشق من الصحابة .

وذكر السامح المروني في كتاب الاشارات الى معرفة الزيارات^(٣) ان قبره قبلي الباب الصغير وكذلك قال ياقوت الحموي^(٤) :

وزاد اكل الدين ابن مفلح الذي ملك نسخة الاشارات المخطوطة بحاشيتها ان لوائلة مسجداً بدمشق داخل باب الشاغور قرب تربة الشنباشي يعرف به .

واكمل الدين هذا هو محمد بن ابراهيم بن عمر بن ابراهيم بن محمد بن مفلح الدمشقي المتوفى سنة ١٠١١هـ ١٦٠٣م

عبد الله مخلص



(١) مجلة المجمع العلمي العربي م ١٠ ص ٤١٠ .

(٢) الاصابة ج ٦ ص ٣١٠ .

(٣) من مخطوطات الخزانة التيمورية في القاهرة .

(٤) هم البلدان طبع ليبسك ج ٢ ص ٥٩٥ وطبع مصر ج ٤ ص ٧٩ .

نوادير المخطوطات
« في دار الكتب الظاهرية »

- ٦ -

(الرسالة الجامعة في الفلسفة) : تأليف الحكيم مسئلة بن احمد المعروف بالخرطبي القرطبي الاندلسي المتوفى سنة ٣٩٥ هـ وهي على نمط رسائل إخوان الصفا وخلان الوفا . أولها : الحمد لله الذي خلق فسوى والذي قد رفدى الخ نسخة في ٥٠٠ صفحة متوسطة القطع بخط عبد الرزاق الحموي سنة ١٠٠١ [رقم ١٥٩ قسم التصوف] .

(مفرح النفس)^(١) : تأليف شرف الدين محمد بن عمر بن أبي الفتوح البغدادي المعروف بابن المزة من أطباء القرن السابع أوله : اما بعد حمد الله تعالى خالق الداء والدواء والمنقذ من الأعراض والادواء بمفرحات النجاة والشفاء الخ . قال مؤلفه (اني لما طالعت أكثر الكتب الطبية لم اجد فيها ما يشفي القلب من ذكر الأمور المفرحة للنفس والموجبة للذائبا وراحتها وسرورها . ثم انت الشيخ الرئيس ابن سينا صنف كتابا في الأدوية القلبية ولم يستوعب اجناسها بل اقتصر على جنس واحد منها ثم جعله حاويا لأكثر المفرحات للنفس وجعل لكل حاسة بابا الخ) نسخة في ٦٦ صفحة صغيرة كتبت بخط نسخ [رقم ٣٢ قسم الطب] .

(العمل بالاسطرلاب) : تأليف علي بن عيسى (كذا) ولم يرد ذكره في كشف الظنون والذي يظهر انه لابراهيم بن حبيب الفزاري أوله : قال الشيخ الفاضل وهنا كسط ظاهر وكتب مكانه علي بن عيسى بخط جديد . ثم خطبة الكتاب التي أولها الحمد لله خير ما استفتح به واستنبح ببركته وصلى الله على الصفة من بريته وسلم وكرم وشرف وعظم الخ . وهذا الكتاب يتضمن من أبواب العمل بالاسطرلاب ما لا بد منه ولا غنى عنه وهو في تسعين بابا في ١١٤ صفحة صغيرة كتبت بخط قديم يرجع الى القرن الخامس مضبوط بالحركات [رقم : ١ : ذلك] .
حسني الكسم

(١) وذكر صاحب كشف الظنون انه لحمد الدين عبد الوهاب بن احمد الدمشقي المتوفى سنة ٦٩٤ هـ .

مطبوعات حديثة

--- (١) ---

آراء ابن خلدون الاقتصادية

Les idées économiques d'Ibn Khaldoun

« كتاب بالفرنسية في ٢١٥ صفحة من القطع المتوسط تأليف السيد صبحي
المحمصاني الدكتور في الحقوق »

بحث عدد من المستشرقين عن ابن خلدون ومؤلفاته وفلسفته وأعجبوا بمقدمة تاريخه خاصة فترجموها الى لغاتهم او خلصوها . وألف الدكتور طه حسين كتابا بالفرنسية في فلسفة ابن خلدون الاجتماعية . ثم اتى اليوم الدكتور صبحي المحمصاني ، فذكر آراء فيلسوفنا الكبير في شؤون اقتصادية مهمة ، كحاجات البشر وامتلاك العقارات ، وقانون العرض والطلب والعمل ، وتوزيع الاعمال ، وتصنيف وسائل الارتراق والكسب ، وفصائل التجارة الخارجية ، والضرائب والسكان وتأثير البيئة في إقدام الناس على العمل ، وحرية التبادل ووظيفة الدولة في الشؤون الاقتصادية ، والنقود الاسلامية وغيرها . وقد ذكر المؤلف البيئة التي عاش ابن خلدون فيها ، كما ذكر حياته ومؤلفاته ، وقواعد الاقتصاد في الاسلام ، وآراء من تقدموا ابن خلدون في الشؤون الاقتصادية كالفارابي وابن سينا والغزالي والبياض والدمشقي . فجاء الكتاب مفيداً سواء لطلاب الفائدة من العرب أم للاجانب الذين يودون الوقوف على الأعمال العقلية لرجالنا الاقدمين . ومع ذلك وجدت في تضاعيف الكتاب بعض هنات لا يصح السكوت عليها كقوله في الصفحة ٥٥ ان الخراج ايام عمر (رض) كان غير عادل وهو كلام لا يصدقه احد من العلماء وكقوله في الصفحة التاسعة ان الخراج كان يبلغ ايام العباسيين ثلث الغلة الزراعية أو نصفها . فهذا القول يجب ان لا يكتفى به على

علاته لأن الخراج في الخلافت العربية القديمة ما كان يزيد على عشر المحاصيل حتى يبلغ ثلثها أو نصفها إلا في حالات شاذة والشذوذ لا يقاس عليه (أنظر م ٧ ص ١٠٢ - ١٠٩ من هذه المجلة وانظر مقالنا في العدد التالي) .

وكقوله في الصفحة ٤٣ ان انشاء ابن خلدون ضعيف ومغلق اجمالاً وان جملة تكون متداعية في تركيبها احياناً وان بعض تعابيرها مغلوطة الخ . فهذا القول إن كان يقصد به اللغة دل على ضعف السيد صبحي المحمدي فيها لا على ضعف ابن خلدون ، لأن كل من يتذوق جودة الانشاء في الموضوعات المختلفة التي كتب فيها ابن خلدون يحكم بأنه من أئمة الكتاب الذين لا يشق لهم غبار . اما اذا كان يقصد بهذا القول العلوم التي حوتها مقدمة ابن خلدون فان لكل من يتسحر في عصر كذلك العصر كبوات يجب على علماء اليوم ان يقتفروها .

وبعد نشكر المؤلف الفاضل هديته الثمينة وحبذا لو ترجم كتابه الى العربية .
مصطفى الشهابي

قصص جديدة للأطفال

« بابا عبد الله والدرويش . ابو صير وابو قير . علي بابا . عبد الله البرية »

« وعبد الله البحري . الملك عجيب . خسرو شاه »

بقلم كامل كيلافي

مطبعة المعارف ومكتبتها بمصر

ان اشد نواحي الادب العربي فقراً ما كان منها خاصاً بالشـ الصغـ . فقد يكاد يكون هذا القسم خلواً من الكتب الصالحة لاحتقار الادياء له وانصرافهم الى ما هو اسمى وادعى للشهرة . بينا الحقيقة هي ان التأليف في هذا النوع من الأدب اصعب من التأليف في غيره لما يستلزمه من لغة وأسلوب انشاء خاص وسعة معرفة في فن التربية وعلم النفس . وقد شاء الأستاذ السيد كامل الكيلاني ان يتم من هذا النقص فاخرج عدة قصص جديدة

للأطفال اطلمنا على ست منها وهي التي جعلنا اسماءها عنوان هذه الكلمة فالفيهاها كاملة الصفات الصورية ولكنها تحتاج الى عناية خاصة من حيث الموضوع فهي معتدلة القد ، متقنة الطبع ، جيدة الورق ، جميلة الرسوم ، سهلة العبارة فصيحة الألفاظ مشكلة الحروف تستقيم بقراءتها لغة القاري فتتطبع الألفاظ في ذاكرته صحيحة خلافاً للقاص والكاتب المدرسية غير المشكولة فانها من عوامل افساد اللغة لأن القاري المبتدي يحفظ الفاظها معوجة فيتعذر عليه تقويمها في المستقبل .

اما من حيث الموضوع فانها مقتبسة من كتاب الف ليلة وليلة ولا يخفى ما في بعض موضوعات قصص هذا الكتاب من الحوادث الخيفة القائمة على الوهم والخيال التي تلذ قراءتها للصغير ولا يحمد عقبي تأنيبها في نفسه لانها تنطبع في حافظته كأنها حقائق محسوسة وتمثل له في احلامه وفي خلوته ، لاسيما في الغلظة فينشأ شديد الحروف والثقيل سريع الانفعال وهل من احد يجمل مضار ما كان يتلى على الصغار من قصص الجان والعفاريت وما كانوا يخوفون بلفظه كالبعبع وغيره ؟ فحسبي ان يعمد المؤلف في ما سيخرجه للنشء العربي من القصص المفيدة الى اختيار الموضوعات التي تتمثل فيها البطولة والشجاعة والجرأة والشهامة والكرم والاباء والفضيلة بمظاهرها الحقيقية . فانها تربى في نفسه سجايا رفيعة فيضاعف بممله هذا خدمته للغة وبنيتها .

اسعد الحكيم

القرآن

« بالحروف اللاتينية . مكتبة حلي في استانبول وانقرة ١٩٣٢ »

ليس بالغريب بعد ان الف الاتراك الحروف اللاتينية وهجروا الحروف العربية هجراً لم يبق من سابق صلتهم بها عيناً ولا أثراً ان يعمدوا الى القرآن فيكتبوه بالحروف اللاتينية لتتسنى لشعبهم المتدين قراءته دون ان يكون له مسوغ لتعلم الحروف العربية أو الاتصال بها .

وقد اطلمنا على نسخة من القرآن الكريم الذي عنيت مكتبة حلي بطبعه ونشره

بالحروف اللاتينية في السنة الحاضرة بمعرفة لجنة علمية من ذوي الكفاءة فالفيناها لاختلاف من حيث الحجم والشكل الخارجي المذهب ورسوم السجديات والاحزاب والفواصل عن النسخ القرآنية العربية . وقد اصطلح في كتابه على جملة من الحروف المركبة والاشارات تضمن قراءته بالخارج الصوتية العربية مع مراعاة الوقف والمد وغيره . مما يدل على ان الروح الاسلامي لم يزل يرفرف تحت سماء الحكم التركي الجديد .

اسعد الحكيم



الطب العربي وتأثيره في مدينة اوربا

« تأليف الدكتور علي . طيب بمستشفى القصر العيني »

« مطبعة دار الكتب المصرية بالقاهرة ١٩٣١ »

رسالة صغيرة ضمنها المؤلف كلمة عامة في نشوء الحضارة الاسلامية ومصادر الطب العربي ، وتراجم بعض من اشتهر به كابن سينا والرازي وغيرهما . وما كان لانتقال العلوم الطبية العربية الى اوربا من التأثير في نشوء مدينتها الحديثة . وذلك بصورة اجمالية موجزة . وقد ختم المؤلف رسالته بذكر المصادر التي استقى منها هذا الموضوع وليس فيها ذكر لأطروحة الدكتور السيد يوسف حريز « تأثير الطب العربي في نشوء الطب الفرنسي » التي اشرنا اليها في محاضرتنا « الطب عند العرب » التي نشرتها مجلة المجمع العلمي العربي في مجلدها السادس ص ٤٤٥ سنة ١٩٢٦ مما يدل على ان المؤلف لم يطلع عليها ولما كان في هذه الاطروحة أسانيد قيمة تدعم فكرة المؤلف رأينا من الواجب التنويه بها اتماماً للفائدة المتوخاة من هذا البحث .

اسعد الحكيم



مجموعة الرقم العربية

« طبعت باشراف أن . كومب . وج . سوقاجه وج . فييت . الجزء الثاني »
 « عدد صفحاته ٢٧٦ طبع بالقاهرة سنة ١٩٣٢ »

Répertoire Chronologique d'Epigraphie Arabe. Publié sous la direction de M. M. Et. Combe , J. Sauvaget et G. Wiet. Tome II , 276 pages. Le Caire 1932

هذه المجموعة هي من مطبوعات المعهد الافرنسي للآثار الاسلامية في القاهرة ، اشترك بجمعها نخبة من علماء المشرقيات والمحققين وقد ضم هذا الجزء ٤٠٠ كتابة رتبته بحسب قدمها وتاريخها من سنة ٢٤٣ هـ الى سنة ٢٨٥ هـ . واكثر هذه الرقم شواهد قبور وقد ترجمت جميع هذه النصوص الى الافرنسية بدون تعليق . وقد عثرت على بعض اغلاط لا ادري ان كانت في اصل المتن أو هي خطأ طرأ على قراءتها . وعلى كل حال فقد رأيت من المفيد الاشارة اليها : فقد جاء في الشهادات الآتية :

الشاهدة رقم ٤٠٦ ص : ٥ وس : ٤ (ورسم عليه) وصوابه (وترجم عليه) كما ورد في الشاهدة رقم ٤٠٩ .

الشاهدة رقم ٤١١ ص : ٩ وس : ٤ (المور) وصوابه (الميزان) .

الشاهدة رقم ٤٩٣ ص : ٦٢ وس : ١ (هذا ما تشهد به للحجاجة) وصوابه (هذا ما تشهد به للحجاجة) .

الشاهدة رقم ٥٠٧ ص : ٢٧ وس : ١ (رم) ضبطها (رثم) .

الشاهدة رقم ٦٣١ ص : ١٦٢ وس : ٤ (اخذه منها تمبا ظاهرا) وصوابه (اخذه منها نقياً ظاهراً) وفي س : ٨ (فالأساء) وصوابه (فالالسا)

الشاهدة رقم ٦٥٠ ص : ١٧٦ س : ٢ (وتحزم العباد بدلة الفناء) وصوابه (ويحرم العباد بدلة الفناء) .

الشاهدة رقم ٦٥٣ ص : ١٧٨ س : ٢ (نقل الله بها ميزانه) يراد به ميزان والدها لاميزان الله كما جاءت الترجمة الافرنسية .

وفي س : ٣ (وجعلها نوراً بين يديه رحمة الله . . .) وصوابه (وجعلها نوراً بين يديه ورحمة الله . . .)

وبعد فقد اسدى القائمون بهذا العمل خدمة جليلة للتاريخ الاسلامي واللغة العربية ، ومنى
نجز أصبح من اعظم ما قام به علماء المشرقيات نحو أبناء البلاد العربية فبارك الله بهممة القائمين
به ووفقم لاتمامه .

جعفر الحسني



أثنا عشر كوكبا^(١)

أيها السادة !

اقترح بعض الفضلاء أن ألقى على الرجال المحاضرة التي كنت ألقيتها في الاسبوع الماضي على السيدات في هذه الردهة بعنوان (اثنا عشر كوكبا) . ولقد وافق هذا الاقتراح رغبتنا اذ اننا نحب أن بطلع السادة الرجال على نموذج من المحاضرات التي نلقيها على السيدات . فيكون في ذلك زيادة اطمئنان الى المحاضرات النسائية . وإقبال عليها .

وقد اعتدت أن أراعي في المحاضرات النسائية حالة نساتنا في ملكة اللغة العربية ودرجة مقدرتهن على فهم اساليبها . فأفرغ المحاضرات لمن في قوالب سهلة الألفاظ طليهن قريصة التناول من أذهانهن . فأرجو أن لا تواءموني فيما ترون من لين العبارة . والزيادة او التكرار في توضيح الاشارة . وهذه هي المحاضرة :

محاضر في اليوم أيها السيدات تاريخية . والتاريخ الذي هو العلم بأخبار الماضين من الذل العلوم وانفعها للبشر : لاننا اذا تعلمنا التاريخ وتأملنا كيف كانت يعمل الناس الذين عاشوا قبلنا استحسننا من اعمالهم اشياء فنقلدهم فيها واستفجنا اشياء فنتركها ونعرض عنها . على أن من قرأ تاريخ الازمان الماضية كان كأنه عاش في تلك الازمان كلها على حد قول الشاعر :

(ومن درى أخبار من قبله أضاف أعماراً الى عمره)

وكتب التاريخ مختلفة في طرائقها . وكيفية تأليف أجزائها : وأشهر طرائقها أن

(١) هي المحاضرة التي القاها الأستاذ «المغربي» على النساء ثم على الرجال سنة ١٩٢٣ م

بذكر المؤرخ الأزمان الماضية سنة وراء سنة . وكلما ذكر سنة ذكر الحوادث التي جرت فيها : مثل موت فلان الملك . وقبام آخر مكانه . ومثل انه حصل حرب بين الملك الفلاني والملك الفلاني . ومات فلان وفلان من عطاء الرجال . وحصلت مجاعة او طاعون مات بها كثيرون من البشر . وظهر في السماء نجم (ابو ذئب) فذعر له الناس الخلل . ثم يقول المؤرخ . ودخلت السنة التي بعد تلك فجري فيها من الحوادث كبيت وكبت ولا يزال يسرد السنين واحدة وراء واحدة حتى بكل تاريخه .

ومن كتب التاريخ ما يسمى (التراجم) و (الطبقات) وهو ان يذكر المؤرخ تراجم مشاهير الناس الماضين . ويسرد اخبارهم . وما فيه فائدة من احوالهم من دون تفصيل زمان ولا مكان مثل تاريخ ابن خلكان ومن المؤرخين من يخصص الزمان : فيذكر الذين عاشوا مثلاً في القرن الثامن للهجرة او التاسع او العاشر . كتاريخ نجم الدين الغزي الذي سماه (الكواكب السائرة في اعيان المئة العاشرة) ولم يطبع بعد وهو من مخطوطات دار كتب الجمع العلمي .

ومن المؤرخين من يخصص المكان . فيذكر في تاريخه علماء بغداد او الحجاز او اليمن مثلاً ولا يذكر صوامم مثل تاريخ (تاج المرفق في علماء المشرق) للبلوي . ومنهم من يخصص الطبقة والصنف فيذكر علماء الحنفية وحدهم او الشافعية او الحنابلة . او الاطباء . او العبيان . كما فعل الصلاح الصفدي في كتابه (نكت الهميان) وكتاريخ طبقات الاتقياء لابن حبان . وهو مما أهداه الامير سعيد الجزائري الى مكتبة الجمع . ومن هذا القبيل كتاب (الدر المنثور في تراجم ربات الخدود) الذي ألفته السيدة (زينب فواز) العالمية الأصل المصرية الموطن والوفاء . وتاريخها المذكور طبع منذ ثلاثين سنة . وهو مجلد ضخم عدد صفحاته (٥٥٠) صفحة تضمنت ترجمة نحو (٥٠٠) سيدة من جميع أجناس النساء شريقات . وغريبات . معاصرات . وقدييات .

ندع هذه التواريخ جانباً ونرجع الى تاريخ (نجم الدين الغزي) الذي سماه (الكواكب السائرة) وهو الذي حكى لنا فيه أخبار المشاهير الذين عاشوا في القرن العاشر اي منذ (٤٠٠) سنة . وانما سماه (الكواكب) لأن كل واحد من المشاهير الذين ذكرهم في كتابه

يشبه كوكب السماء . في الرفعة والنور والبهاء . نقلب بين ورقات هذا الكتاب لنرى هل يوجد بين كواكبهم الرجال كواكب من النساء ؟ نقبنا وبحشنا فوجدنا بين أولئك الكواكب (اثني عشر كوكباً) أو اثنتي عشرة امرأة فاضلة عالمة : (ثنتان) في مصر و (خمس) في حلب و (خمس) في دمشق . هذه الكواكب من النساء هن اللواتي أريد ان اسرد تراجمهن . واذكر ما يحسن من أخبارهن . ولهذا سميت بمحاضرتي (اثني عشر كوكباً) وكواكب الناس ككواكب السماء : مختلفة الأقدار . متفاوتة في الأنوار . لذلك ترون الكلام على بعض النساء قليلاً . وعلى بعضن كثيراً .

(الكوكب الأول) (أم الهنا) المصرية . بنت القاضي (ناصر الدين البدراني) كانت شقيقة مباركة صالحة . ولها رواية في حديث الرسول صلى الله عليه وسلم . ومعنى ذلك انها كانت تتلقى حديث رسول الله عن شيوخها حتى اذا أتت هذه الأحاديث حفظاً وفعلاً سمع لها شيوخها أن تزويها للناس وتعلمهم إياها . وكانت وفاة هذه الشقيقة سنة (٩١١) للهجرة .

(الكوكب الثاني) (فرح) المصرية . بنت الامير الكبير الدوادار يشبك . و (الدوادار) لقب من القصاب الامراء في زمن ملوك مصر الجراكسة . أما أمها فهي بنت الملك المؤيد (شيخ) واسمها (خوند بدرية) . وكانت (فرح) من العابدات التاليات للقرآن العظيم . كثيرة الصدقات على الارامل واليتامى والمنقطعين . ولما أحسست بدنوا اجلها أوصت بشي كثير من أثاث قصرها . واعتقت جميع مملوكيها . وكانت وفاتها سنة (٩٢٧) .

(الكوكب الثالث) (فاطمة بنت الحنبلي) الحلبية . تلقت حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الشيخ المحدث (برهان الدين) وزارت بيت المقدس وحجت مرتين . وزهدت في الدنيا . ولبست العباءة التي يلبسها الزهاد ثم حجت مرة ثالثة فماتت بمكة سنة (٩٢٥) .

(الكوكب الرابع) (خديجة بنت البيهقي) الحلبية . كانت شقيقة صالحة

فقيهه . أجاز لها الشيخ الكمال (ابن الناسخ الطرابلسي) رواية حديث البخاري . وكان أهلها شافعية . فلما تزوجت برجل حنفي المذهب تجذعت مراعاة لزوجها . لأن زوجها كان يمس يدها أحياناً فينتقض وضوءها : كما هو حكم مذهب الإمام الشافعي رضي الله عنه . وهي رضي الله عنها ما كانت تتمصب لمذهب دون مذهب كما يفعل بعض الشيوخ . بل كانت تعلم انه لا فرق بين المذاهب . ولا يضر أن يدع المسلم مذهبه ويتبع مذهباً آخر من المذاهب الأربعة . إذ أن كلهم على هدى وهدى . ولما صارت حنفية حفظت عن ظهر قلبها كتاباً في المذهب الحنفي . وماتت سنة (٩٣٠) .

(الكوكب الخامس) (بتوران) الحلبيه بنت قاضي القضاة (محمد اثير الدين) ابن الشحنة . وبيت الشحنة في حلب بيت علم قديم ومنهم بل أشهرهم ركن الدين ابن الشحنة قاضي الحنفية في حلب وهو صاحب التصانيف المشهورة وقد توفي سنة (٨١٥) وبتوران الشحنة عاشت بعده نحو مئة سنة وكانت خيرة صالحة . حجت مرتين . وكلمة (بتوران) تركية ولعلها هي بتوران وبوران من اصل واحد فتحول احدهما الى الأخرى تخفيفاً . ودرست بتوران العلوم . ولها اثر ونظم . وكانت كثيرة الانفاق على الفقراء والمساكين . حتى إنها لما احست بالموت حمدت الله إذ لم يكن في صندوقها درهم ولا دينار . يعني انها حمدته منذ وفقها الى انفاق جميع مالها في سبل الخير ومواساة المعوزين . ومن أخبارها انها استأجرت وقفاً على مدة تسعين سنة . وكان الذي أجرها الوقف فقيراً . فلما علمت بحاله أعادت اليه وقفه من دون ان تسترد منه المالك الذي اعطته اياه . بل صاحته به . وكان مضى من مدة الإجارة زمن قليل . ولما مات اخوها محب الدين الشحنة في الشام رثته فقالت :

(دعوا دمي يوم البين يجرى فقد ذهب الأسى بمجمل صبري)

(وكيف تصبري وأخي رهين بأرض الشام في ظلمات قبر)

وكانت ولادة (بتوران) سنة (٨٦١) ووفاتها سنة (٩٣١) فتكونت عاشت نحو

سبع وسبعين سنة .

(الكوكب السادس) (باي خاتون) الحلبيه : قرأت على عمها شيخ الاسلام

(زين الدين ابن الشماح) كتاب الاحياء للغزالي . وكتاب المنهاج للنووي . وكان عمها (زين الدين) يزورها كثيراً . ومات ورأسه في حجرها . ومن أخبارها أنها تصدقت بمائتي مثقال ذهب وكانت ترفي للريح الاحمر فيبراً المريض بأذن الله تعالى . وكانت وفاتها سنة (٩٤٢) ودفنت بجوار عمها (الشيخ زين الدين المذكور) .

(الكوكب السابع) (فاطمة بنت قزمان) الحلبيّة الشيعيّة الفاضلة الصالحة كانت رئيسة للزاويتين : (الزاوية العادليّة) و (الزاوية الدجاجة) وكانت حسنة الخط : كتبت كتباً كثيرة . ولها عبارة فصيحّة . وقد غلب عليها التقشف والتعفف وملازمة الصلوات حتى في حالة المرض . وأخبرت عن نفسها قالت : أخذت العلم عن زوجي الشيخ كمال الدين الأردبيلي . وكان زوجها هذا متقناً لسته وثلاثين علماً . وعند موتها أوصتهم ان يدفنوا معها سجادة صلاتها .

وكانت ولادتها سنة (٨٧٨) ووفاتها سنة (٩٦٦) فتكون عاشت ثمانين سنة . وذكر المؤرخ (ابن الحنبلي) انه شهد جنازتها وحمل بنمشها .

فرغنا من الكلام على سبعة كواكب : مصريتين وخمس حلييات . فلنتنقل الى الكلام على الكواكب الخمسة الدمشقيات :

(الكوكب الثامن) (أمة الخالق) أم الخير الدمشقية . تلت العلم عن (الجلال الحنبلي) . وأجازها الشرف ابن الكويك . وبموتها نزل اهل الأرض درجة في رواية البخاري . وكانت ولادتها سنة (٨١١) ووفاتها (٩٠٢) فتكون عاشت إحدى وتسعين سنة .

(الكوكب التاسع) (خديجة بنت نصر الله) الدمشقية الصالحية كان للناس فيها اعتقاد عظيم . وعلى الخصوص الأتراك العثمانيون الذين كانوا قريبي عهد بالاستيلاء على بلاد الشام وبلاد مصر اي نحو عشرين سنة . حتى ان الوزير الاعظم (اياس باشا) ارسل اليها من الاستانة مبلغاً من المال لتعمير دارها . وكانت دارها من أوقاف الزاوية الداوودية . وكان اذا شاورها احد الناس في أمر ما تقول له : إصبر حتى أبيت لك النية

في هذه الليلة . ثم تصبح فنشير عليه أن يفعل كذا أو يترك كذا . وكان غالب ما تشير به يتحقق . لكن ابن عمها (الشيخ زين الدين بن نصر الله) كان ينكر عليها ذلك . ويقول لها : (هذا من فعل الكهان ولا استحسن لك يا ابنة عمي أن تشتغل بهذه الأمور) ولعمري أن الحق مع ابن عمها : لأن الغيب لا يعلمه إلا الله . وديننا الاسلامي نهانا أن نصدق الكهان الذين يدعون معرفة المغيبات . لأجل سلب المال من المغفلين والمغفلات . ثم لما عزمت الشيعة خديجة على الحج وقفت بينها على جامع الحنابلة واعتقت جارتها . وكانت الشيعة رحمها الله مقعدة : لا تقدر على الطواف حول الكعبة فحملوها في شقذوف . وطافوا بها . ولما رجعت من الحج ماتت في الطريق في المكان المسمى (هدية) : وهو أحد منازل الحج الشامي . وكانت وفاتها سنة (٩٤٦) .

(الكوكب العاشر) (خديجة بنت محمد) الدمشقية من بني الغزي المشهورين وهي الشيخة الصالحة الفاضلة الفقيهة . تلقت العلم عن ابن عمها (شيخ الاسلام رضي الدين الغزي) وصحبت البخاري والفقهاء على ابنه (شيخ الاسلام بدر الدين الغزي) وماتت سنة (٩٣٥) ولم يكن لها قريب إلا الشيخ رضي الدين الغزي فأثبت نسبها وورثها .

(الكوكب الحادي عشر) (دمشقية من بني الغزي أيضا وهي زينب بنت الشيخ رضي الدين الغزي) المذكور . وأخوها بدر الدين الغزي وابن أخيها نجم الدين الغزي . مؤلف كتاب (الكواكب السائرة) .

وبنت الغزي في دمشق بيت علم قديم . وكان نساؤهم يجارين رجالهم في الفتوى والتأليف والتصنيف : يحكى أن الفتوى كانت تصدر من دارهم وعليها توافيع عدة : الأب وزوجته وابنه الأكبر وابنته وكنته الخ .

ويحكى أن (نجم الدين الغزي) درس في الجامع الأموي وهو دون البلوغ . فكان إذا جلس للتدريس في شهر رمضان وضع قلة الماء على الكرسي بجانب الكراس وكما جف ريقه وعطش تناول القلة وشرب لأن صومه نفل . أمان شره العلم بين الناس فهو أكسد وأحب من صيامه .

وكانت عمتها (الشيخة زينب الغزية) من فضليات النساء علما ودينا وصلاحاً فخرت بها

على والدها (الشيخ رضي الدين) ثم على اخيها (الشيخ بدر الدين) وكتبت لأخيها كتباً بخطها . ومدحته بقصيدة عرضت فيها بخصومه وحسادة فقالت :

(انما الصالم الذي جمع العلم واكمل)
 (قام فيه بحقه يتبع العلم بالعمل)
 (سهر الليل كله بنشاط بلا كسل)
 (فهو في الله دأبه أبد الدهر لم يزل)
 (حاز علماً بخشية وبدنياء ما اشتغل)
 (حاسديه ا تعجبوا ليس ذا الفضل بالحيل)
 (ذاك مولاه خصه بحال من الأزل)
 (من يرم مشبهاً له في الوري عقله اختبل)
 (أو بلوغاً لفضله فله قط ما وصل)
 (فهو شيعي وسيدية وبه النفع لي حصل)

ذكر هذه الايات ابن اخيها (نجم الدين) في تاريخه (الكواكب السائرة) ثم قال :
 (ولقد أجادت فيها شادت) . ولها غير ذلك من الاشعار في الوعظ وغيره في غاية الرقة
 والسلاسة . قال ابن اخيها : (وكانت من أعاجيب المعصر . واغاريده الدهر) . وكانت
 ولادتها سنة (٩١٠) ووفاتها سنة (٩٨٠) فتكون عاشت سبعين سنة .

(الكوكب الثاني عشر) وهو نعمة الكواكب وأفضلها وأتمها نوراً واشراقاً
 فهو بينها كالثمس بين النجوم . أو كسيدنا يوسف عليه السلام بين اخوته : الأحدة
 عشر الذين رآهم في المنام . فقال لأبيه يعقوب عليه السلام (إني رأيت أحد عشر كوكباً
 والشمس والقمر رأيتهم لي ساجدين) .

هذا الكوكب هو (عائشة الباعونية) الدمشقية . أعلم نساء القرن العاشر الذي
 عاشت فيه . بل ربما لم يتم في الاسلام بعد كبار الصحايات والتابعيات من يشبهها في
 العلم والفضل . والتفنن في النظم والنثر . والاجادة في التصنيف والتأليف . كانت

كالشيخ عبد الغني النابلسي : في الجمع بين علوم الدين . وعلوم الادب . وعلوم التصوف .
وقد قال بعضهم ان الباعونية في نساء الخلف كالنساء الشاعرة رضي الله عنها في نساء
السلف .

(نسب الباعونية) هي عائشة بنت القاضي (يوسف بن احمد بن ناصر الدين) .
وكنيتها ام عبد الوهاب . وشهرة بيتها (الباعوني) نسبة الى (باعونة) وهي قرية من
قرى مجلوت .

(نشأتها وشيوخها) قالت هي تخبر عن أول نشأتها « وكان مما أنعم الله عليّ اني
بحمده تعالى لم ازل اقلب في اطوار الابدان . في رفاهية لطائف البر الجواد . الى ان
خرجت الى هذا العالم المشحون بظواهر تجلياته . الطامح بجباب قدرته وبدائع آياته .
المشوبة بوارده بالاقدار والاكدار . الموضوع بكال القدرة والحكمة للابتلاء والاختبار
دار عمر لابقاء لها الى دار القرار . فرباني اللطف الرباني في مشهد النعمة والسلامة . وغذائي
بلبان مدد التوفيق لسلوك سبيل الاستقامة . وفي بلوغ درجة التمييز . أهلني الحق لقراءة
كتابه العزيز . ومن عليّ بحفظ على التمام . ولي من العمر ثمانية أعوام . ثم لم ازل في
كنف ملاطفات اللطيف . حتى بلغت درجة التكليف » . اهـ

ويفهم من كلام (الغزي) ان اهلها أخذوها الى مصر القاهرة للتخصيل فنالت من العلم
نصيباً وافراً . واجازها شيوخها بالافتاء والتدريس ثم عادت الى وطنها دمشق الشام .
وتلقت علم الفقه والنحو والعروض عن عدة علماء منهم الشيخ (اسماعيل الحوراني) . وقال
الغزي انها تنسكت على يد السيد الجليل الشيخ (اسماعيل الخوارزمي) . ولا أحسب الا
ان شيخها المذكورين (اسماعيل الحوراني) و(اسماعيل الخوارزمي) واحد وقد تحرف احد
الاسمين الى الآخر . وبعد الشيخ اسماعيل لازمت خليفته الشيخ يحيى الارموي . وتلقى
عنها العلم طائفة من العلماء الاعلام .

(مآقوله في نعمتها) قال الغزي في الكواكب السائرة : (هي الشجعة الاربعة
العالمة العاملة الصوفية أحد افراد الدهر . ونوادير الزمان . فضلاً وعلماً وادباً وشعراً .
ودبابة وصيانة .

وقالت (زينب فواز) في تاريخها (الدر المنثور) : (كان على وجهها من الجمال لمحة
 جعلها الأدب . وحلتها بلاغة العرب . فجعلتها بغية الطالبين . ومنية الراغبين) ووصفها
 الشيخ عبد الغني النابلسي فقال : (فاضلة الزمان . وحليمة الأدب في كل مكان) .
 وقال غيره (ربة الفضل والأدب . وصاحبة الشرف والنسب) .

« مؤلفاتها »

- (١) « الفتح الخفي » - وهو يشتمل على كلمات لدنية . ومعاني سنية .
- (٢) « الملامح الشريفة والآثار المنيفة » - وهو يشتمل على انشادات صوفية . ومعارف
 ذوقية .
- (٣) « درر الغائص في بحر المعجزات والغمائن » - هي قصيدة رائية .
- (٤) « كتاب الاشارات الخفية في المنازل العلية » - وهي أرجوزة اختصرت فيها
 كتاب « منازل السائرين » للشيخ الهرودي .
- (٥) « أرجوزة » - تلخصت فيها كتاب « القول البديع سيف الصلاة على الحبيب
 الشفيع » للسفاوي .
- (٦) « المورد الأهنأ في المولد الاسفي » - وهو مطبوع وتوجد منه نسخة بخط يد
 المؤلفة الباعونية في خزانة كتب أحمد باشا تيمور في القاهرة .
- (٧) « فيض الفضل » - وهو ديوان شعرها . وتوجد منه نسخة ايضاً في خزانة
 تيمور باشا .
- (٨) « الفتح المبين في مدح الامين » - وهو شرح لها على يديها المشهورة التي
 مطلعها :

(في حسن مطلع أقدار بندي سلم أصبحت في زمرة العشاق كالعلم)
 والشرح في مجلد لطيف نحو مئة صفحة . أوله : الحمد لله على جياذ الافهام بعقود مدح
 الشفيع . ومحلي سلامة الأذواق بمكرر ذكره الرفيع الخ . وقد فرغت من تصنيفه
 سنة (٩١٩) .

ولا يخفى ان السيدة الباعونية كانت صوفية متفسكة . وطاها التصوف - وم هينوخ

الطريق — اذا ذكروا الحب والمحبوب . والمشموم والمشروب . فانما يريدون بذلك جميعه معاني تتعلق بحب الله تعالى . فالله محبوبهم . وبه وجدتم وحياتهم . واشهر الصوفية الذين أطلقوا هذه الالفاظ على هذه المعاني في مناجاتهم الآية الشيخ عمر بن الفارض . فالسيدة عائشة الباعونية انما ارادت بكلمة العشاق في قولها (اصبحت في زمرة العشاق كالعلم) عشاق الحضرة الآية .

نرجع الى بدعية الباعونية فنذكر لكم منها آياتنا على سبيل النموذج :

(الجناس المذيل والتام) .

(اقول والدمع جار جارح مقلي والجار جار بعذل فيه منهم)

(الجناس الموكب) .

(يا سعد ان ابصرت عيناك كاظمة وجئت سلعاً فسل عن اهلها القدم)

(الجناس المصحف والمطلق) .

(فتم أقارنتم طالعين على طوبلع حيتهم وانزل بهمهم)

(الجناس المخالف) :

(أحبة لم يزلوا منتهى أهلي وإن هموا بالتنائي أوجبوا أهلي)

(النزاهة) :

(عن ذم مثلك تبياني أنزه إذ أنت عندي معدود من النعم)

(الغلو) :

(وذكره كاد — لولا مئة سبقت — إذا تكررت بحني بالي الرم)

(التفريق) :

(قالوا هو الغيث قلت الغيث آونة يهي وغيث نداء لا يزال هي)

(تشبيه شيتين بشيتين) :

(كأنهم في عجاج النقع حين بدوا بدور تم بدت في حندس الظلم)

(العقد^(١)) :

(حسبي بحبك أن المرأة يُحشر مع أحبائه • فهناك غير منحسم)
 وعدد آيات هذه البدعية نحو (١٣٠) بيتاً • وقد أجادت في معظمها وربما غافت
 غيرها من أصحاب البديعات في كثير من الآيات • وقد تكفل ببيان إجادتها وتفوقها
 على غيرها الشيخ عبد الغني النابلسي في شرح بديعته الذي سماه «نحات الأزهار على
 نسبات الاسفار» وهو مطبوع •

وقالت الباعونية في مقدمة شرح بديعتها الذي سمته (الفتح المبين) مانعه :
 وبعد فهذه قصيدة صادرة عن ذات قناع • شاهدة بإسلامة الطباع • منقحة بحسن
 البيان • مبنية على أساس تقوى من الله ورضوان • سافرة عن وجوه البديع • سامية
 بمدح الحبيب الشفيع • مطلقة من قيود تسمية الأنواع • مشرقة في أفق الإبداع •
 موسومة بين القصائد النبويات • بمقتضى الإلهام الذي هو عمدة أهل الاشادات (بالفتح
 المبين • في مدح الأمين) الخ الخ •

ولم أرد أيها السيدات أن أستقصي الدلائل على مقدرتها في صناعاتي النظم والنثر وإنما
 أردت الإلماع إلى أن المرأة يمكنها أن تتعلم وتنال من العلم حظاً وافراً تنتفع به •
 وتنفع الناس • كما كان من السيدة الباعونية •

والذي يساعد النساء المسلمات على التحصيل والتفوق في العلم انقطاعهن في البيوت •
 فانهن بدل أن يقضين أوقانهن في البطالة والزينة وهو الحديث يمكنهن بسبب هذا الانقطاع
 أن يقضينها في المطالعة والدرس والتحصيل • فاليتم بالنسبة إلى المرأة المسلمة كالمدرسة
 الداخلية التي يمكن فيها التلميذ ليلاً ونهاراً • فلا يعرض له ما يلهيه ويشغله عن الدرس
 والتحصيل • وهكذا السيدة الباعونية عرفت كيف تستفيد من العزلة والانقطاع في
 الخدر • ففصرت بسم وافر من العلم وحسن الذكر •

(١) المقدم هو أن يفهم الشاعر شعره آية أو حديثاً أو حكمة وقد عقدت في هذا
 البيت حديث (يحشر المرأة مع من أحب) •

« شعرها »

وشعر الباعونية رشيق الاسلوب . سهل الالفاظ . لاغموض فيه ولا تعقيد . ومنه قولها تصف دمشق :

(نزه الطرف في دمشق ففيها كلما تشتهي وما تختار)
 (هي في الارض جنة فتأمل كيف تجري من تحتها الانهار)
 (كم سما في ربوعها كل قصر أشرقت في سمائه الأفتار)
 (وتناغيك بينها صادحات خرست عند نطقها الأوتار)
 (كلها روضة وماء زلال وقصور سكانها أبرار)

ومن شعرها البيتان المشهوران . قالوا انها نظمتهما في جسر الشريعة لما بناء الملك الظاهر برفوق وهما :

(بنى سلطاننا برفوق جسراً بأمر والانام له مطبعة)
 (مجازاً في الحقيقة للبرايا وأمرأ بالمرور على الشريعة)

لكن هنا اشكال تاريخي : وهو ان الملك (برفوق) بنى هذا الجسر سنة ٧٨٢ هـ وجعل طوله ١٢٠ ذراعاً وانتفع الناس به كما ذكر ذلك صاحب تاريخ (شذرات الذهب في أخبار من ذهب) اما عائشة الباعونية فقد توفيت سنة (٩٢٢) اي بعد بناء الجسر بمائة واربعين سنة فلا يعقل انها كانت حية حين بنائه . فلعل الجسر تهدم واعاد خلفاء برفوق بنائه في زمنها فقالت البيهقي ناسبة البناء الى برفوق لأنه اول من بنى . ومن تشبهاتها البدیعة قولها في تشبيه خال في عنق مليح .

(كأنما ^(١) الخال تحت القرط في عنق بدا لنا من محيا جل من خلفا)
 (نعيم غدا بعمود الصبح مستتراً خلف الثريا بقرب الشمس فاحترقا)
 ون شعرها :

(وصيرت بدر النتم مذغاب مؤنسي أنيسي وقلت البدر منه قريب)

(١) رأينا حين اللقاء هذه الحاضرة على السيدات ان لاندكر لمن هذين البيتين وما بعدهما من أشعار الحب والغزل لكننا ذكرناها للرجال .

(لحجبه عني الغمام بذيله فوا عجباً حتى الغمام رقيب)
ومن شعرها بلسان رجال التصوف قولها :

(حبيبي انت من قلبي قريب وعن سرّي جمالك لا يغيب)
(لبست الحسن في حال التجلي فشاهدت الجمال ولا رقيب)
(وأبدت الوصال فلا صدود ولا هجر ولا شيء يرب)
(وطفت عليّ في حان التصاي بكأس عيش شاربه يطيب)
(تسادمي وتسقيني مدامي وتحضرني لديك فلا أغيب)
(وتذكرني وتشهدني جمالاً تقدس أن يكون له ضريب)
(فلا خوف وانت أمان قلبي ولا سقم وانت لي الطيب)
(ولا حزن وانت سرور سرّي ولا سؤل وانت لي الحبيب)

وأكرر القول بأن شعرها هذا وما فيه من كلمات الحب والجمال والوصال والكأس والدمام — كله لم ترد به الباعونية إلا الحب الإلهي . ويفهم هذا المعنى جيداً من قولها في الشعر الثنائي :

(يا محبوبي يا مطلوبي . يا مقصودي يا موجودي . كن لي كن لي . واجبر كسري وأغن فقري . بالتداني والوصال) .
(حبك تيم . فيك المخرم . ولي هيم . لا بل أعدم . عقلي عقلي . قد حيرني قد شيرني . وأضتاني بالدلال) النج .

فاسمعوا كيف قالت (اجبر كسري وأغن فقري) فهل يصحكون هذا الخطاب إلا للرب سبحانه وتعالى الذي هو وحده يجبر الكسر . ويغني الفقر .

المغربي

« البقية تأتي »



العشر والخراج

« في الخلافات العربية »



أقرأ أحياناً لبعض المؤرخين والكتاب جملاً يشيرون فيها الى ثقل الخراج والضرائب الزراعية كافة في الشرع الاسلامي ، ايام الخلافات العربية القديمة . فهذا بنقل ابن المنصور العباسي جعل خراج الحنطة والشعير في السواد (العراق) مقاسمة ، وان ابنه المهدي جعل المقاسمة بالنصف في الارض التي تسقى سيجاً ، وبالثلث في الارض التي تسقى بالدوالي وبالربع في الأرض التي تسقى بالدوالي . ويستعظم الكاتب هذا المقدار ويسكت عن خراج المحاصيل الأخرى وعن الأعشار وعن اساس ضريبة الخراج والأعشار في الاسلام حتى يظن القاري ان الخلفاء السابقين كانوا ظلمة يرهقون الرعية اجمالاً .

وذاك بنقل عن الاصطخري ان خراج الجريب في شيراز حنطة او شعيراً ١٩٠ درهماً دون ثمن في هذا الخلط الذي خلطه هذا المؤرخ كما سنثبت بالأرقام . وذلك بنقل عن ابن حوقل ان القائد جوهر جبي خراج مصر سبعة دنانير على الفدان وهو يستكثر ذلك لكنه لا يذكر لنا هل دامت هذه الجباية أكثر من سنة الخ .

ولما كانت هذه القضية ذات مكانة تتعلق بأساس العدل في الشرع الاسلامي ، وفي الخلافات الاسلامية الأولى ، بحثت بهذه المقالة الموجزة مثبتاً ان العرب كانوا في الجملة عادلين في وضع الضريبة الزراعية على اشكالها ، وانهم كانوا أعدل من بعض الدول المتقدمة .

ولتراجع في هذا الصدد كتاب الخراج لأبي يوسف ، وكتاب الخراج لابن آدم القرشي ، نجد ان المسلمين عندما فتحوا الفتوح في صدر الاسلام ودوخوا الممالك وملكوا

بلاد الأكسرة والقيصرية اقروا الأكاريين على ارضهم حتى في البلاد التي فتحوها عنوة كسواد العراق مثلاً فان الشرع وقواعد الحرب في تلك الأيام كانت تبيح لم الاستيلاء على بلاد العدو التي يظهرن عليها ، ومع هذا عفت نفوسهم عن ذلك ولم يروا فيه حكمة ، فابقوا الناس قائمين على استغلال ارضهم ، على ان يدفعوا شيئاً كالخراج .

اما الارض التي صالح اصحابها ، فمن البديهي انها لبثت لم ولم يلزموا الا بخراجها او بما صولحوا عليه . واما الارض التي هجرها اصحابها لسبب من الاسباب والارض الموات فهذه وزعت على المسلمين فصاروا يدفعون عشر غلاتها الى بيت المال (وهي الصدقة او الزكاة) اذا كانت الزروع والأشجار تسقى سحياً ونصف العشر اذا كانت تسقى بالتعب ، وكل ذلك اذا كانت غلاتها فوق خمسة اوسق من الحبوب او الثمار ، اما التي غلتها دون ذلك فلا يؤخذ عنها شيء . والوسق في صدر الاسلام كما حققه المستشرق زمبور (Zambaur) في مجلة الاسلام ١٣٧ كيلو غراماً تقريباً . فكان الشرع ترك للفلاح وأمرته ٦٨٥ كيلو غراماً اي مؤنة سنة بلا ضريبة او كأنه استثناء من الضريبة مادامت غلاته من ارضه الصغيرة دون خمسة اوسق وهو منتهى العدل ، ولا أظن ان حكومة من حكومات هذه الأيام تبلغ بها البر بالفقراء هذا المبلغ حتى حكومة البلاشفة اي حكومة الصعاليك كما يسميها بعضهم .

ومن المعلوم ان الحجاز واليمن وكل جزيرة العرب كانت تدفع العشر وليس عليها خراج ، وان كل ارض أسلم عليها أهلها فهي ارض عشرايضاً ، وانه اذا أقطع مسلم ارض الخراج فللإمام ان يصير عليه خراجاً او عشرأ او عشرأ ونصفاً او عشرين لكن كثيراً من الأمثال كانت تدل على ان العشر هو ما كان يفرض في الغالب . ولما كانت الارض تقول في انحاء الممالك الاسلامية بمرور الزمن الى ايدي المسلمين لأسباب شتى صارت ارض العشر تزداد كما صارت ارض الخراج تنقص . والعشر كما لا يخفى ضريبة لا بأس بها ، خصوصاً في الاعضاء والجنوس حيث الأمطار تتفاوت مقاديرها بين سنة وسنة ، وحيث يجوز ان يحمل اقليم بكامله مرة في كل بضع سنوات . وليس استيفاء عشرة في المائة او خمسة في المائة من المحصول ضريبة كبيرة في تلك الأيام ، ولا يتأق للنصف ان يجرد هذه الضريبة ثقلية الوطء على الأكاريين واصحاب الارضين .

هذا في أرض العشر أما أرض الخراج فهي تحتاج الى قليل من الايبضاح . وتتخذ
سواد العراق مثلاً فان عمر بن الخطاب (رض) وضع على الجريب قفيزاً ودرهماً . وقال
بعضهم انه وضع على جريب الحنطة اربعة دراهم وعلى جريب الشعير درهمن . فالجريب
مساحته ٣٦٠٠ ذراع مربع اي ٩١٩ متراً مربعاً تقريباً وهو ما يسميه الترك دونماً . ويذر
في جريب من الأرض المسقوبة الجيدة كأرض السواد ١٨ كيلو غراماً من الحنطة تغل
نحو ١٥٠ كيلو غراماً ثمنها اليوم على هبوط اسعار الحبوب ٥٢٥ قرشاً سورياً اي ٨٤ قرشاً
مصرياً ذهباً .

وجاء في معلة الاسلام ان الدينار ٤٢٥ غرام من الذهب (اي بوزن حسين قرشاً
مصرياً ذهباً) وان وزن الدرهم على أصح تحقيق ٢٩٧ غرام من الفضة وان نسبة قيمة الفضة
الى قيمة الذهب في صدر الاسلام كنسبة واحد الى اربعة عشر ، فيكون الدينار مساوياً
لعشرين درهماً تماماً . وعلى هذا تكون قيمة الدرهم قرشين ونصفاً من القروش المصرية
الذهبية يمكن ان يشتري بها اليوم ٤٥٠ كيلو غرام من الحنطة . فاذا فرضنا مع كثير
من المحققين ان قيمة النقود في تلك الأيام كانت ثلاثة أمثالها في أيامنا هذه أمكن شراء
١٣٤٥ كيلو غرام من الحنطة بدرهم .

أما القفيز في صدر الاسلام فهو يعادل ٢٧٤٥ ليتر اي ٢١ كيلو غراماً ونيفاً
(وزن الليتر من الحنطة المتوسطة الجودة ١٣٧٧ كيلو غرام) . فاذا أضفنا وزن القفيز من
الحنطة وهو ٢١ كيلو غراماً الى ما كان يمكن اتياعه بدرهم وهو ١٣٤٥ كيلو غرام بلغ
المجموع ٣٤٤٥ كيلو غرام واذا نسبنا هذا المقدار (وهو الخراج اية قفيز ودرهم) الى
محصول الجريب وهو ١٥٠ كيلو غراماً من الحنطة بلغ الخراج ٢٣ في المئة من غلة الحنطة
في الجريب .

هذا ما حققناه نحن . أما اذا حسبنا مع الماوردي ان ثمن القفيز من الحنطة كان ثلاثة
دراهم يكون الدرهم ثمن سبعة كيلو غرامات من الحنطة . ويكون الخراج ٢١ + ٧ = ٢٨
كيلو غراماً اي دون ١٩ في المائة من غلة الجريب . والدرهم سبعة اعشار المثقال لكنه
جاء في كتاب الخراج لأبي يوسف (ص ٣١) ان الدرهم أيام عمر (رض) كان كبيراً
بوزن المثقال فعلى هذا يكون الدينار عند ذاك ١٤ درهماً ويكون الدرهم ٣٤٥٨ قرش

مصري ذهباً يمكن أن يشتري بها اليوم ٦٦٣ كيلو غرامات من الحنطة وفي تلك الأيام ثلاثة أمثالها أي ١٩ كيلو غراماً . ويكون مجموع الخراج من قفيز ودرهم ٤٠ كيلو غراماً أي ٢٦٤٦ في المائة من المحصول .

وإذا حسبنا الحساب نفسه لغلة جريب من الشعير ، أو لمحصول جريب من الكرم وهو يقل الفأ إلى ألفي كيلو غرام من العنب ، أو لمحصول جريب من الفجل ومتوسط ما يجويه عشرون نخلة تحمل واحدتها مائة كيلو غرام من البلح ، أو لجريب من الخضر الخ . نجد أن الخراج يختلف بين ٢٠ و ٣٠ في المائة من محاصيل هذه الأنواع النباتية .

وبعد فمما تكن نسبة الخراج إلى الغلة في الجريب ، فهذا الخراج ما كان ثقيلاً على فلاحي السواد للأسباب الآتية خاصة ، وهي كون الخراج كان مقطوعاً عن سنة كاملة على حين أن الأقاليم الحارة ، كالسواد في العراق وكالغور في الشام ، اعتادت زرع نوعين نباتيين في سنة واحدة وهذا متيسر في كل أرض حارة غزيرة المياه كثيرة الدمال فالجريب من الحنطة مثلاً كان خراجه قفيزاً من الحنطة ودرهماً في السنة لكن الفلاح كان يستغله في كثير من الأحيان ذرة أو سمسماً أو خضراً بعد حصاد الحنطة في السنة نفسها وما كان يدفع خراجاً عن تلك الزروع الصيفية التي تعقب الحنطة لأن الامام عمر نهى عن ذلك وجعل الخراج على جريب الحنطة في سنة كاملة معها استغل الأكار ذلك الجريب في تلك السنة .

والجريب من الفجل أيضاً كان خراجه ثمانية دراهم لكنه كان بالإمكان زرع زروع سنوية شتى تحت الفجل دون أن يجعل عليها بيت المال شيء . وهكذا .

فيوضح من ذلك أن الخراج في صدر الاسلام ما كان ثقيلاً في السواد البتة ، وأنه ما كان يزيد على عشر غلات الأرض الا قليلاً في الجملة . وقد جاء في كتاب الخراج لأبي يوسف (ص ٤٤) أن عمر (رض) سأل عثمان بن حنيف (وكان انتدبه للنظر في خراج السواد) : « انظر لا تكون حملت الأرض ما لا تنطبق فقال عثمان حملت الأرض امرأ في له محتملة ولو شئت لأضعفت ارضي » يريد بذلك أنه كان في وضعه مضاعفة خراج ارضه الخاصة دون أن يرهقها بثقل تلك الضريبة .

وجاء في (ص ٤٩) أن عبد الملك بن مروان جعل في الجزيرة والشام والموصل على

كل مائة جريب زرع مما قرب دبناراً وعلى كل مائتي جريب مما بعد دبناراً وعلى كل الف اصل كرم مما قرب دبناراً وعلى كل الف اصل مما بعد دبناراً . وعلى كل مائة شجرة مما قرب من الزيتون دبناراً وعلى كل مائتي شجرة مما بعد دبناراً . وكانت غاية البعد مسيرة اليوم واليومين وأكثر من ذلك . فالجريب من الأعداء في الشام يبذر فيه ١٣ كيلو غراماً^(١) ويستغل منه ٧٠ كيلو غراماً فتكون غلة مائة الجريب ٧٠٠٠ كيلو غرام . ولما كان بالامكان شراء ١٣٤٥ كيلو غرام من الحنطة بدرهم كما مر ذكره وكان الدينار ٣٠ درهماً في الفرط عادل ذلك الدينار ٢٧٠ كيلو غراماً من الحنطة اي نحو ٤ في المائة من غلة مائة الجريب . واذا فرضنا ان الفلاح استغل نصف هذه المساحة وترك نصفها ترواح ما زادت هذه الضريبة على ٨ في المائة من الغلة اي اقل من العشر . وكل ذلك حول المدن والبلدان اما على الأرض البعيدة فلم يجعل الخليفة المشار اليه الا نصف تلك الضريبة .

والف الأصل من الكرم تفرس في اربعة اجربة تقريباً وتغل ٤٠٠ — ٨٠٠ كيلو غرام من العنب . فالدينار اليوم يمكن ان يبتاع به ١٥٧ كيلو غراماً من العنب . فاذا فرضنا انه كان يمكن شراء ثلاثة امثالها في تلك الأيام اي ٤٧١ كيلو غراماً وفرضنا ان معدل غلة الف الأصل من الكرم ٦٠٠٠ كيلو غرام بلغت ضريبة الدينار ٨ في المائة من منتوج الكرم في القريب من الأرض و٤ في المائة في البعيد منها .

ويخلص ذلك بأن الضريبة الزراعية في بلاد الشام والموصل والجزيرة سواء اكانت عشور الغلات او كانت مقطوعة كما في ايام عبد الملك بن مروان فانها كانت عادلة في الجملة .

ولبت العشر والخراج في الممالك الاسلامية على ما ذكرنا الى ايام المنصور العباسي . ومن البدهي ان الحروب والفتن ايام الأمويين جعلت الخراج في السواد خاصة فاحشاً على كل ارض يضطر اصحابها الى تركها بلا زراعة في سنة من السنين . لكن هذا الحال شاذة لاتخذ دليلاً على ثقل الخراج في ذاته . ولو ان العباسيين عندما اتخذوا بغداد عاصمة لهم وجسروا نظارهم الى السواد ووطدوا فيه الأمن وكروا انهاره الكبيرة وعطفوا على اكرته

(١) جميع ارقامنا في هذه المقالة متوسطة ومن البدهي ان مقدار البذار في المساحة الواحدة يختلف يختلف كور الشام (انظر ص ٣٤١ من كتاب الزراعة العملية الحديثة) .

قلت لو انهم ابقوا الخراج عند ذلك على حاله اي بالمساحة على كل ارض مستغلة بدلاً من جعله بالمقاسمة لكانوا في عملهم اعدل . والمنصور هو الذي جعل خراج السواد بالمقاسمة . ويظهر ان المقاسمة كانت بالنصف ايام المهدي في الارض التي تسقى سيجاً اي بلا تعب وبالثلث في الأرض التي تسقى بالدوالي وبالربع في التي تسقى بالدواليب . اما النخل والاشجار السائرة فلبث خراجها بالمساحة كما كان في صدر الاسلام . ويظهر ان المأمون انزل النصف الى خمسين فيما تسقى سيجاً .

فهذا الخراج هو ما يستقله الكتاب والمؤرخون خاصة وهو في الحقيقة ثقل لكنه لم يدم طويلاً عدا ان له مبررات لا يجوز ان يضرب بها عرض الحائط وهي ان بيت المال كان ينفق وحده على حفر الأنهار واصلاحها وصنع السفينات (الأسداد) وسد البشوق ، وكان ايضاً يشاطر الأكارين نفقات كرى الأنهار العظام . ثم يجب ان لا ننسى ان مالک الأرض هو الامام ، وان الفلاحين كانوا يعدون شركاء في استغلال الأرض ، ولذلك كان الناس لا ينكروا على بيت المال استيفاء نصف الغلة او ثلثها او ربعها من غير المسلمين الذين ابقوا في ارضهم في السواد ، على حين انهم ممن ظلبوا على بلادهم . افلسنا نرى اليوم اصحاب الأرض المسقوية يسقون ربع الغلة وثلثها حتى نصفها من الفلاحين الذين يقومون بجميع نفقات استغلال الأرض وتثمينها . ومن البديهي أن صاحب الأرض هو الذي يعطي بيت المال ضريبة الأرض في جملة حصته المذكورة . ومع ذلك نعرف كثيراً من الكور ترفع فيها الضريبة من مجموع الغلة ثم يتقاسم صاحب الارض والفلاح الباقي على ثلث وثلثين .

هذه هي المعلومات التي يركن اليها في كتب الخراج وكتب التاريخ اما ما جاء به بعض المؤرخين من الخلط فشيء كثير . ويجب على الكتاب والمؤلفين ان يحصوها قبل اتخاذها دليلاً على ظلم الخلافات العربية للرعية مثال ذلك ما جاء في الصفحة ١٥٧ من المسالك والممالك للأصطخري (طبعة لندن سنة ١٨٧٠) وهو ان خراج الجريب حنطة أو شعيراً في شيراز من بلاد فارس كان ١٩٠ درهماً وان الجريب هناك كبير يساوي ثلاثة اجربة وثلثين من الجريب الصغير (الجريب الصغير ستون ذراعاً في ستين ذراعاً من ذراع الملك وهو الذي تناوله بحثنا) فاذا كان الدرهم الذي ذكره الأصطخري هو الذي عرفناه اي الذي

كل عشرين واحداً منه في الفرط تساوي ديناراً تكون المائة والتسعون درهماً كافية لشراء ٢٥٦٥ كيلو غراماً من الحنطة في تلك الأيام (١٣٦٥ كيلو غرام بدرهم) على حين ان ثلاثة الاجربة وثلاثي الجريب تنفج ٥٥٠ كيلو غراماً (غلة الجريب ١٥٠ كيلو غراماً في الأرض المسقوبة) فتكون النتيجة على رأي الأستطخري ان الخراج في شيراز يفوق اربعة أمثال ما تغله الأرض فأني عقل يقبل هذا القول . اما اذا كان الدرهم الذي ذكره الأستطخري شبيهاً لا نعرفه وكانت قيمته أدنى بكثير من قيمة الدرهم المعروف فعندئذ يزول العجب لكنه يجب في هذه الحال ان لا يتخذ قول الأستطخري حجة على ظلم العرب للأكرين .

ومثاله أيضاً ما نقل عن ابن الأثير من ان خراج الفدان في المغرب ايام عباس بن ابراهيم بن الأغلب بلغ ٨ دیناراً واستعظم الكتاب هذا المبلغ لكنهم لم يفكر احدهم بما يمكن ان تكون مساحة الفدان . فهي اذا كانت فداناً مصرياً أو فداناً خطأً دمشقياً كان كلام ابن الأثير خطأً لا يعول عليه البتة لأن الثانية عشر ديناراً في تلك الأيام تفوق ثمن مجموع غلة الفدان اضعافاً . اما اذا كان الفدان كما في اعزاء الشام اليوم اسباً أكثر من مائة جريب غالباً لا يبقى عندئذ وجه للانتقاد .

والخلاصة ان العرب في ايام مجدهم الزاهر ما كانوا يستوفون من الفلاحين ضرائب كبيرة اجمالاً . واذا ظلم بعض العمال الرعية أحياناً لحاجة الى المال في حرب عدو او اخماد فتنة ، او اذا عاقب بعض الخلفاء سكان احدى الكور بمضاعفة الخراج لعمل شائن اتوه فليس من العدل في شيء ان نتخذ ذلك ذريعة للظلم في الخلافات الاسلامية العربية في الجملة . ثم لئنعم القاري النظر في قروض الدول الأوربية الكبرى من رعاياها ومن بعضها بعضاً افلا يجد ان كثيراً من المال المقرض يذهب هدرًا أو يذهب قسم كبير من فائده على الأقل بنتيجة الحروب والازمات الاقتصادية فأني فرق من حيث النتيجة بين هذه الخسارة التي يخسرها الشعب وبين مضاعفة الخراج لأسباب قاهرة . وليبحث عن الضرائب التي تستوفيها تلك الدول من رعاياها ولا سيما الضرائب المتصاعدة افلا يجد ان ثقل مما كانت تستوفيه الدول العربية . وبعد فحبذا الانصاف في التاريخ ووفقنا شر الشعوبية والجرء .

تاريخ سورية المجوفة

لمعة تاريخية منه في أدبائها وعلمائها

بقلم مؤلفه عيسى إسكندر المعلوف عضو المجمع العلمي العربي بدمشق

— ص —

تمهيد

سبقت لي كلمة في وصف (تاريخ سورية المجوفة) الذي وضعته بتطويل ولا يزال مخطوطاً وذلك في هذه المجلة في المجلد السادس والصفحة ٢٨٩ — ٢٩٤ في سنة ١٩٢٦ م ونقلت منه قطعة مختصرة في تحليل الاعلام ونشرت اشياء منه في مجلة المقتطف والمقتبس والعرفان والآثار وجريدة البشير وغيرها من الصحف ايضاً كاملة تدل عليه وتعرفه للمطالعين ووعدت بالتخابير غير ذلك لهذه المجلة فهناك الآن لمعة عن أدباء سورية المجوفة وعلمائها أقتطفها من مباحثه المطولة فأقول :

أدباء سورية المجوفة وعلمائوها

نشأ في هذه البقعة عدد كبير من العلماء الاعلام قديماً وحديثاً . ممن استأثرت تراجمهم من كتب كثيرة مخطوطة ومطبوعة بحسب ما وصلت اليه يد البحث والتنقيب على نالة المصادر وتعتبر الكتب المخطوطة في المكاتب الشرقية والغربية ، وصعوبة الحصول على ما ضمن به مقتنوها أو حفظوه لم فلآل جهداً في التبع والاستعلام حتى حصلت على ما ربما يرويه الغليل من تلك الآثار التي تناولت بلدان وادي التيم ووادي بردى الغربي وبلاد بعلبك والبقاع الى ما يحيط بها من الأماكن . فاقصر الآن على علماء بلاد بعلبك فقط .

ادباء بعلبك

كانت هذه المدينة المشهورة بآثارها القديمة المحيية مظهرأ من مظاهر العظمة وميداناً للعبادات القديمة والأساطير الغربية فنبتع فيها المتفتنون من بنائين ونقاشين ومصورين ورياضيين وفلكيين ومهندسين ومخترعين ومؤلفين كما تشهد بذلك أعمالهم الباقية وأبنيهم الساحخة ونقوشهم الرائعة وهندستهم الفائقة وآلاتهم الشائقة .

وكانت بعلبك فوق ذلك ولاسيما في أيام العرب دار علم وحديث ومبارة للعلماء يرحلون إليها في طلب المعارف وتحقيق الدروس فقصدوها كخير منهم حصلوا فيها ما حصلوا بالدرس على علمائها ونبتع من ابنائها وما يجاورهم كثير ممن تشهد لهم آثار اقلامهم الى اليوم .
فروى المؤرخون ومنهم الحافظ ابن عساكر المشهور في تاريخ دمشق المطول^(١) عن جماعات نشأوا فيها وتخرج طليهم من قصدهم من الطلاب . وذكر غيره كثيراً من رحل الى بعلبك ومنهم الشيخ محمد بن مالك الاندلسي مؤلف الألفية في النحو الذي سكن بعلبك وقرأ عليه فيها جماعة .

(من المهندسين) كالنيكوس البعلبكي الذي كان في القرن السابع للميلاد وهو مخترع (النار اليونانية) وهي كرات خزفية رمانية الشكل او صنوبرية محشوة بالنفط والكبريت والقطران وأشباهاها من المواد المشتعلة والمنجرة تشعل بفتيل داخل فيها فتفجر وتندك الابنية والحصون وكان اول استعمالها في مهاجمة معاوية بن ابي سفيان الأموي للقسطنطينية فردته تلك النيران عن فتحها وفي متحف مجمعا العلمي في دمشق كثير منها .

وقسطا بن لوقا البعلبكي اليوناني المسيحي المشهور بالهندسة والرياضيات والفلسفة والفلك

(١) طبع من هذا التاريخ الذي هذبه المرحوم الشيخ عبد القادر بدران خمسة مجلدات قبل الحرب وطوي نشر الباقي الى ان قام بهذا العمل صديقنا الأستاذ احمد افندي عبيد الدمشقي صاحب مكتبة العرب فنشر المجلدين السادس والسابع بضبط وجودة طبع وحواش .
ومما طبع من مؤلفات قسطا (كتاب الفلاحة اليونانية) تعريبه طبع بمصر سنة ١٢٩٣ هـ (١٨٧٦ م) في ١٤٩ صفحة . وكتاب (في رفع الأثقال) صححه البارون كرويه دي فو . طبعه في باريس سنة ١٨٩٤

والموسيقى والطب وبمعرفة اللغات الكثيرة وبالبراعة في الترجمة وبجودة القريحة وطلاوة
الانشاء . وهو معاصر ليعقوب بن اسحق الكندي فيلسوف الاسلام . ذكره ابو الفرج
المطهر بقوله : «فلو قلت حقاً انه افضل من صنف كتاباً لما احتوى عليه من العلوم والفوائد
وما رزق من اختصار الالفاظ وجمع المعاني» توفي سنة ٢٩٦ هـ (٩٠٨ م) في بلاد ارمينية
ومؤلفاته أكثر من مائة بين تأليف وترجمة وتصحيح من رسائل ومجلدات في جميع الفنون
والعلوم منها (كتاب الفردوس في التاريخ) و(مراتب قراءة الكتب الطبية) و(آداب
الفلاسفة) و(الفرق بين النفس والروح) و(ترجمة ديوفنطس في الجبر والمقابلة)
و(شكوك كتاب اقليدس^(١)) وغيرها . قال عبيد الله بن جبرائيل بن بختيشوع الطبيب
النسطوري المشهور : «إن قسطا اجتذبه سفار برب الى ارمينية واقام فيها فاقترح عليه
ابو الفطريف البطريق من اهل الفضل تصنيف كتب كثيرة في اصناف العلوم فوضعا» .
ومن متأخري مهندسيها ابوبكر بن البصيص البعلبي الذي ذكره صالح بن يحيى البهري
في (تاريخ بيروت) انه استقدم سنة ٢٤٤ هـ (١٣٤٣ م) لبناء جسر الدامور وله اعمال في
بلاد طرابلس وجسر نهر الكلب القديم كان من بنائه .

«ومن شعرائها» : عماد الدين ابو الفضل حسان بن سلطان بن رافع البونيني (نسبة
الى قرية بونين من اعمال بعلبك) الفقيه الذي انشد :

لقد منعني عن سلبى ثلاثة اذا ما استعار الجو ثوباً من الحجر
ضياء محيها وجرس حليها ونفحة نشر دونه عبق العطر
هَبْ أَنْ المَحْيَا فَمَعْنَهُ يَرْقَع وحلت حلاها كيف تفعل بالنشر
وحسان بن ابان الذي كان في زمن المتوكل على الله العباسي في القرن الثالث للهجرة

والتاسع للميلاد ومن شعره قوله :

اكنسب مالا تعيش به ليس عيش المرء من نسبة
عربي لا يسار له صقلي القدر في صرّبه

(١) نشرت بعض رسائله في اوربة والشرق ووقفت على كثير من المخطوط منها وفي
خزاني رد قسطا على ابن النجم ورسالة هذا اليه وردت حنين بن اسحق على ابن النجم ورسالة
هذا اليه .

وترام خاضعين له ما بدا يختال في نشبه
 أمرا فيهم وكلهم باسط كفا الى سبيه
 طمعا في نيل فضته ليس الا ذاك أو ذهبه
 وأديب قد رثيت له ما له عيب سوى أدبه
 جاءهم فاستدفعوه كما يؤتى ذو الداء من جربه
 دع لذي جهل تماديه في الذي بدنيه من عطبه
 وتوق ما يؤساه به ان جبن الكلب في كآبه

والحسن بن جعفر بن حمزة ابو محمد الأنصاري البعلبي المعروف بابن بريك قيل انه
 من ولد النعمان بن بشير . وكان يتهم بالرفض توفي سنة ٥٥٢ هـ (١١٥٧ م) ومن شعره
 قوله في أبيات :

قابل البلوى اذا حأت بصبر ومسر
 فلعل الله أن يوليک بعد العسر يسره
 کم عهدنا نكبة حأت فالت بعد فقره

وقوله من قصيدة :

کأن صروف الدهر لم تلق منزلاً
 فاصبحت من وشک الفراق وبينهم
 سميري اذا ما الليل ارخى جرائه
 فمالی والدهر الخووف کأنما
 فليت الليالي اذ ولعن بيننا
 ابی الدهر الاشت شمل وفرقة
 واني لندو صبر على کل نكبة
 وذلك طبعي قبل ان يصدع النوى
 تحل به غيري فحلت بجاني
 من السقم اخفی من ديب بجاني
 لما بي من وجد مسير الكواكب
 جنيت فجازاني بعد الأقارب
 جعلن الردى مقرونة بالمعاطب
 وروعة معجوب بغيبة صاحب
 وقد هذبني للأمر تجاربي
 فذ صدعت سدت علي مذاهبي

وبهاء الدين العاملي صاحب الكشكول والخلافة ولد في بعلبك سنة ٩١٨ هـ (١٥١٢ م)
 وتوفي بالمصافي من قرى الجوزين سنة ٩٨٤ هـ (١٥٧٦ م) وله موشحات واشعار بليغة منها

مجلة مجمع العلماء العرب

انستت سنة ١٣٣٩ هـ الموافقة لسنة ١٩٢١ م

تنشر في دمشق مرة في اشهر

تشرين الثاني - كانون الاول سنة ١٩٣٢ م

الموافق رجب وشعبان سنة ١٣٥١ هـ

دمشق :

المجمع العلمي العربي

— «ص» —

قيمة الاشتراك السنوي في سورية ولبنان ٣٥٠ قرشاً سوريا
الدفع مقدماً وفي جميع الاقطار ٦٠ فرانكا

مجاميع المجلة عن السنين الماضية

في الداخل ٥٠٠ من السنة الاولى الى الخامسة الى كل سنة منها

٣٠٠ ٥ السادسة الى الحادية عشرة ٥

٦٠ ٥ الاولى الى الخامسة ٥ في الخارج

٣٥٠ ٥ السادسة الى الحادية عشرة ٥

ما ارسله الى والده الشيخ الحسين بن عبد الحميد العاملي الحارثي الحمداني : او الى غيره . من
أدباء عصره . فنن قوله لوالده :

بقزوين جسمي وروحي ثوث بارض المرأة وسكاتها
فهذا تغرب عن أهله وتلك اقامت بأوطانها

وقوله في الموت :

ان هذا الموت بكرهه كل من يمشي على الغبرا
وبمين العقل لو نظروا لأوده الراجة الكبرى

والأمير موسى الحرفوشي أمير بعلبك أبا عن جد^(١) توفي سنة ١٠١٦ هـ (١٦٠٧ م)
بدمشق وهو الملقب (الحراث) لمواقعه الحارة فانه جاصر خمسة باشوات مع جيشهم في
بعلبك وضواحيها وهو وحده فقاتلهم ولم ينالوا منه شيئاً ومن شعره قوله لما فتح غزيراً في لبنان :

غزير طور ونار الحرب موقدة وانث موسى وهذا اليوم مبقات
ألقي العصا تتلقف كل ما صنعوا ولا تقف ما حبال القوم جيات

ومن نظمه قوله مفتخراً :

كأن رأس جبوش الضد ليس له علم بأن بلادني موطن الأشد
ومن مهابة سيني في القلوب غدت أم العدو لغير الموت لم تلد
فلبرقبوا صدمة مني معودة أن لا تفر لها الأعداء في البلد
ألسنت نجل علي وهو من عرفوا منه الخفاة في الأحشاء والكبد
وانني انا موسى منه قد ورثت كفي سيقوا نذيب الأرض في الجلد

وامير شعراء الحرافشة هو الامير محمد بن علي الحرفوشي الحريري العاملي الدمشقي توفي
سنة ١٠٥٩ هـ (١٦٤٩ م) وله مصنفات كثيرة رأيت اكثرها في دمشق منها (اللآلي
الدرية في شرح الاجرومية) في مجلدين و (شرح التهذيب في الفحو) . و (نهج النخاة في
ما اختلف فيه النخاة) قال البديعي في ذكرى حبيب « انه كتاب لم ينسج على منواله يعرب

(١) وضعت تاريخاً مطولاً للأمراء الحرافشة ومشاهيرهم وانسابهم وقد نشرت منه
أمثلة في مجلة العرفان (في صيدا) واستنسخ ما قبيل عنهم في مكاتب اوردية وذلك لأن
أجدادي كانوا مقربين منهم ونالذي الكلمة لديهم .

عن غزارة فضله « و (طرائف النظام ولطائف الانجم) في محاسن الاشعار وغيرها وله الشعر الذي قال فيه البدعي انه : « الشعر الذي ديباجة الفاظه مصقولة • وحلاوة معانيه معسولة » وقال الهبي : وكان في الشعر مكثراً محسناً في جميع مقاصده « فن شعره قوله في الخال وله فيه مقاطيع بليغة كثيرة :

قال لي من غدا امام أولي الفض لي ورب المباحث الفلسفية
اب عندي يرهان حق على نبي الهيولى والصوزة الجسمية
قلت : ماهو (؟) فقال شامة حبي قد غدت وهي نقطة جوهرية

وقوله من قصيدة في مدح الأمير محمد المنجكي وأبدع في وصف السيف والجواد بقوله :

فدارك حيث صادفت اعتزازاً واهلك ذو الخفيضة والوداد
ولا نحب سوى غضب نجيل تمسقى مثنه ضرب الهواديه
صقيل الصمغ رقى وكاد لولا صقيل يسيل من طرف النجاد
تخال به وليس به غديراً ثرقوق او سميراً ذا انقاد
وتحسبه اذا ما استل برقاً تألق في الدجى غب العهاد
والاظهر سرحوب سليل الفحول من المظهمة الجياد
يرى عاراً مسابقة الثعاصي ويأنف نعله من الصلاد
فلو وطى القطا ما ارتعن منه نياماً وانتبهن من الرقاد
بدا كالخيزرانة من نحول من الادلاج في هجل البوادي
يمر على الغدير به غليل فيهجره لفرط الاجتهاد
تساوى عنده حزن وسهل وآكام مروعة ووادي

ومن متأخري شعراء بعلبك في القرن الثاني عشر للهجرة ابو الحسن علي بن محمد الشمعة من بيت علم وفضل فن شعره قوله في كتاب (التحفة الطريفة) للسيد حسن بن عثمان الحكيم الذي جمعه سنة ١١٨٨ هـ (١٧٧٤ م) :

ابدى لنا الحسن الشريف لطائفها قد صاغها لدوبي النعي مجموعا
كل المفرق من محاسن عصره اضفى لدى (مجموعه) مجموعا
وقوله مضمناً :

لما بفكري مرء طيف خياله وارتدُّ انظر وجنة لم تلثم
كادت تسيل لطافة الكنه «من عادة الكافور امساك الدم»
وقوله مشطراً لبعضهم :

«أحمامة الوادي بشرقي الغضا» قد طاب مفناك ولذَّ لمسمي
ورميت في قلبي تباريح الجوى «ان كنت مسعدة الكتيب فرجمي»
«أنا تقاسمنا الغضا ففصونه» لك معهد يسقى بسحّ الأدمع
وظلاله لي موطن وزهوره «في راحتك وجمره في أضلعي»
ومنهم من نبغ في هذا العصر مثل شاعر القطرين خليل بك المطران . والشيخ علي
الذي زغيب والرحوم عساف الكفوري وغيرهم .

زحلة : عيسى اسكندر المعلوف

التدوين في الاسلام



كتب سيدي عبد الحلي الكتفاني احد اعضاء مجمعنا في المغرب الأقصى مقالاً في موضوع التدوين والتصنيف في الاسلام نشره في (مجلة المغرب) فأبنا ان ننشر خلاصته في ما يلي :

ابتدأ التدوين في الاسلام بعد الهجرة فكان للنبي صلى الله عليه وسلم كتب في الصدقات والزكوات وكتابه الى أهل اليمن بانواع الفقه وكتبه الى الملوك وأمرأه الأطراف وقد أمر صلى الله عليه وسلم أن يقيدوا له في ديوان من أسلم قال وهو اصل الديوان العدي الذي صار في ما بعد أقنوماً يرجع اليه في معرفة انساب القوم وسوابقهم في الاسلام .

وجمع ابي بكر وعمر وعثمان القرآن في مصحف . وجعل عمر تابوتاً لجمع صكوكه الرسمية ومعاهداته الأهمية . وكتب ابن عباس الفتاوى التي كان يُسأل عنها . ودون ابن زيد في الفرائض والمناسك . وغير هؤلاء كثيرون من الصحابة والتابعين : منهم عبيد بن شربة الذي دون كتاب الأمثال وكتاب الملوك وأخبار الماضين بطلب من معاوية رضي الله عنه ودون (علامة بن كرم الكلابي) في عهد يزيد بن معاوية (كتاب الأمثال) في نحو خمسين ورقة . وكتاب مثله لصنار العبدي . ولأبي مخنف الأزدي من اصحاب علي رضي الله عنه كتب : سيف (الردة) و (فتوح الشام) و (فتوح العراق) و (الجل) و (صفين) و (الغبراء) و (الخوارج) ومقتل علي ومقتل محمد بن ابي بكر ومقتل الأشتر ومقتل عثمان ومقتل الحسين و (الشورى) و (وفاة معاوية وولاية يزيد) و (وقعة الحرة) و (حصار ابن الزبير) و (الختار بن ابي عبيد) و (مرج راهط وبيعة مروان ومقتل الضحاك بن قيس) و (مصعب وولاية العراق) و (مقتل عبد الله بن الزبير) و (مقتل سعيد بن العاص) و (حديث حمراء)

و(مقتل ابن الاشعث) و(بلال الخارجي) و(حديث الأزارقة) وغير ذلك من حوادث ذلك العصر وقد سرد في الفهرست أسماء عدة كتب صنفها السلف في تفسير القرآن ونزوله وأحكامه . وقال ياقوت (كان خالد بن يزيد يقول كنت معنياً بالكتب وما أنا من العلماء ولا من الجهال) ومن تصانيفه (السر البديع في الرمز المتبع) في الكيمياء و(كتاب الفزدوس) وغيرها . ويظهر أن أبا بكر رضي الله عنه أول من بدأ في التدوين بدليل ما في كتاب (التعريف) لأبي عبد الله محمد بن عبد السلام بن اسحق الأموي في ترجمة أبي بكر قال (كان عمر قاضي . وعثمان كاتبه . وسعد مولى مصاحفه) والمراد بالمصاحف عندهم الكتب فهذا يدل على أن أبا بكر كان لديه كتب كثيرة تحتاج إلى قيم يلي أمرها لكثرتها ثم ما زالت تزداد إلى زمن عمر الذي كان له صندوق أوقادوس يجمع فيه عهده مع الأمم كما في خطط المقرئ (جزء ٢ ص ٧٤) . وأمر الديوان الذي دونه عمر باسماء الناس ومراتبهم معروف . إلى أن كان زمن عثمان فبالغ الناس في الوراثة وتجويد الكتابة والاعتناء بزخرفة الكتب . وفي كتاب (البيان والتحصيل) لابن رشد (قال ابن القاسم: وأخرج البنا مالك مصحفاً لجدّه فحدثنا أنّه كتب على عهد عثمان بن عفان فوجدنا حليته فضة وأغشيتها من كسوة الكعبة) فدل ذلك على حالة الوراثة يومئذ وعلمهم بكيفية تحليل الفضة وتجليتها للكتب بها وجعل الأغشية لما حق من كسوة الكعبة . وفيه أيضاً (قال مالك كان قاضي في زمن عثمان رضي الله عنه (أو في زمن ابنه أبان^(١)) رفعت إليه كتب تقادم أمرها وانتبس الشأن فيها فأخذها (ذلك القاضي أو أبان نفسه) وأحرقها بالنار . فقيل لمالك أحسن ذلك ؟ قال نعم (إني لأراه حسناً) وكانت هذه الكتب في الخصومات التي تتادم عهدها حتى انتبس أمرها على الحكم وكان غرضه من إحراقها أن يستأنف أصحابها خصوماتهم فتسبل من دون أن يقع فيها التباس . فيستدل بهذا على أن الناس في ذلك العهد (عهد^(٢) أبان بن عثمان رضي الله عنه) بلغ بهم الأمر أن يضبطوا سجلات المرافعات

(١) [المجمع] ثم ذكر كاتب المقال حكاية يستدل منها أن (أبان بن عثمان) هذا ليس هو ابن عثمان بن عفان ثالث الخلفاء بل هو أحد فقهاء الأندلس . فحرق سجلات المرافعات والحجج والخصومات كانت في عهد ذلك الفقيه الأندلسي لكنه على كل حال كان في عهد متقدم قبل الامام مالك رضي الله عنه .

والخصوصات والحجج امام الحاكم الشرعية . وفي حسن المحاضرة ان المفضل بن فضالة اول قضاة مصر الذين طولوا كتابة الأحكام والمرافعات والوصايا والديون في السجلات وكانت قبله تكتب باختصار . اما اول من أمر بكتابة نسخة عن الكتاب قبل تبليغه فهو زياد ابن ابجر سفيان فقد أملى على كاتبه كتاباً الى معاوية بخصوص عمران بن الفضل البرجمي فلما وصل الكتاب الى معاوية كتب الى زياد (كتبت في كتابك عمران بن الفضل) ولم تذكر له ما اتصل به (كأنه يعني قوله البرجمي) فسأل زياد كاتبه فقال انت أمليت فقال حديث نس فلا تكتبوا كتاباً من بعد الآن الا جعلتم له نسخة فكات اول من وضع النسخ . وكانت لمعاوية مكتبة ولها خدمة وأعوان يتعاونون على احضارها له وقراءتها عليه يجلس لذلك في أوقات معينة لا يخطأها وجاء بعده حفيده خالد فكبرت مكتبته بالكتب العربية والعربية وجعله بعض الباحثين اول من جمعت له الكتب وجعلها في خزانة في الاسلام والحال ان الفضل في ذلك لأبي بكر ثم لعمر ثم لمعاوية قبل ان يكون خالد . فمعاوية هو الذي بنى لحفيده خالد الأساس ونجر له هذا المقياس :

ولما ظفر طارق بن زياد في الاندلس بما ظهر به من الكتب القديمة التي تنفع من الطبقات وعمل الصنعة (الكيمياء) واصباح اليواقيت ومنافع الاشجار والاحجار وغير ذلك من العلوم والصنائع والحكم ارسلها الى خليفة دمشق الوليد بن عبد الملك وذلك سنة ٩٢ للهجرة ولولا علمه بعناية الوليد بجمع الكتب ما وجهها اليه من المغرب الى المشرق . وفي آخر القرن الأول كان لعمر بن عبد العزيز خزانة كتب وقد عثر فيها على (كتاب ابن اعرين) في الطب فأخرجه الى الناس ليستفيدوا . وكتب عمر الى سالم بن عبد الله بن عمر ان يرسل اليه رسائل عمر وسيرته وقضاياه وهذا يدل على ان عمر رضي الله عنه جمع رسائل وترك آثاراً مكتوبة مدونة . ولما راجع عمر بن عبد العزيز سليمان بن عبد الملك في مسألة إرثية قال سليمان يا غلام اذهب فأتني بسجل عبد الملك الذي كتب في ذلك (اي في مسألة الارث) . وكتب عمر بن العزيز رسالة في الرد على نفاة القدر وهي مقدار كرامة متوسطة . وقال معمر كنا نرى اننا قد أكثرنا عن الزهري (يعني في الأخذ عنه) حتى قتل الوليد بن يزيد فاذا الدفاتر قد حملت على الدواب من خزائنه ويقال انها من علم الزهري (اي من الروايات المأخوذة عنه) .

وكان ابن شهاب الزهري يجلس وكتبه حوله مشتغلاً بها حتى عن زوجته ففسارت وقالت والله لهذه الكتب أشد عليّ من ثلاث ضرائر . وكان الزهري يقول : (إياك وغلول الكتب قيل له وما غلول الكتب) قال حبسها عن أصحابها اه . واصل معنى الغلول في اللغة السرقة من الغنائم قبل قسمتها بين الغانمين . ولما سعى الساعون بالزهري ضربوه بالسياط وطلقوا كتبه في عنقه .

وكتب عبد الحميد الكاتب التي كان ينشؤها مشهورة في جودتها وكبر حجمها حتى ان الكتاب الذي كتبه الى أبي مسلم الخراساني على لسان (مروان) كان يجعل على جمل من كبر حجمه فحما كانت رفوفه غلاظاً فهو في حجم مجلد على الأقل . وقولهم ان جمع الكتب في خزائن لم يهد قبل الرشيد والمأمون — فيه نظر لما ذكرناه من الحوادث الثابتة . وقد نقل القاضي عياض عن مالك انه قال : (كانت عندي صناديق كتب لو بقيت لكانت أحب اليّ من أهلي ومالي) وروي انه قال : كتبت بيدي مئة الف حديث وقال بعض أصحابه دخانا منزل مالك بعد دفنه فاذا فيه سبعة صناديق كتبت من حديث ابن شهاب وصناديق أخرى من كتب أهل المدينة فجعل الناس يقرؤون ويدعون وعن امام الحرمين أن مالكا أمل في مذهبه نحواً من مئة وخمسين مجلداً في الأحكام الشرعية وفي تدوير الأبعاد للمصنف ان محمد بن الحسن المتوفى سنة ١٨٩ هـ صنف في العلوم الشرعية ٩٩٩ كتاباً .

انتهى تلخيص مقال سيدي الكاتب وظاهره انه لم يرد من مقاله ان الأمة الاسلامية فاقت غيرها من الأمم في جمع خزائن الكتب لأن هذا أمر معروف وانما اراد أن يثبت ان عناية المسلمين بالكتابة والتدوين وجمع الكتب ابتداءً منذ عهد النبي صلى الله عليه وسلم خلافاً لمن قال انه ابتداءً في القرن الثاني للهجرة .

« في البلاد العربية »

وبعد ان استلم السلطان سليم حماة بالامان جعلت سنجقاً تابعاً لآيالة طرابلس
الشم ، ويبلغ عدد جندها حين السفر مما هو في بطانة امير لوائها ومن الجعية
الذين يقدمهم ارباب التيمار والزعامة نحو الفين (١) وفيها مشايخ المذاهب
الاسلامية الاربعة (٢) ونقيب اشراف ووجهاء واعيان وكفنداري وسردار

(١) كانت الدولة تقضى عن حقها في العشر والرسوم الاخرى الى اصحاب الخاص والزعامة والتميز أو توقفه على جهة من الجهات الخيرية وفقاً لطريقة الانقطاع التي كانت جارية في القرون الوسطى . وتنقسم الأراضي الى خاص وزعامة وتميز كان باعتبار حاصلاتها المقيمة مثال ذلك ان الارض التي غلاتها اكثر من مئة الف فجة (الف الفقة ضرب من العملة تعادل ثلث البارة) يطلق عليها خاصاً وتحال على الوزراء والامراء وغيرهم من بطانة السلطان ومقربيه والتي غلاتها من عشرين الف الفقة الى مائة الف الفقة يطلق عليها زعامة وتحال على دفتردار الخزينة في الايالة ورئيس الالاي في اللواء وقواد القلاع ومن كان في منزلهم والتي غلاتها من ثلاثة آلاف الفقة الى عشرين الف الفقة يطلق عليها تميز وتحال على المستحقين من الجنود وكان كل من صاحب الخاص والزعامة مكلفاً بان يجهز وقت الحرب عن كل خمسة آلاف الفقة جندياً بعدته الكاملة وصاحب التميز مكلف بان يجهز عن كل ثلاثة آلاف الفقة جندياً واحداً . واستمرت هذه القاعدة التي كانت سائرة في البدء سيراً حسناً الى سنة الف من الهجرة ثم شابهها سوء الاستعمال الى ان الغيت سنة ١٢٥٥ .

انكشارية (١) وجري باشي (رئيس جند) وبوز باشي (رئيس مئة) ودزدار قلعة ومحاسب ويججي قاضيه من نواحيها في كل سنة ستة أكياس ويججي امير لوائها ثلاثين كيساً . وفي حماة قلعة بنيت فوق تل صناعي على شاطئ العاصي يمكن أكثر أبراجها وأسوارها منهمة (٢) . وفي حماة كثير من القصور

(١) كانت رتب قواد جند الانكشارية تبدأ بأغلة الانكشارية ثم برئيس السكبان ثم بكفندا القول وهو معاون الاغا الكبير او رئيس اركان حربه ثم بكفندا يري وهو وكيل كفندا القول وصلة الوصل بين الاغا الكبير وجميع جند الانكشارية يبلغ اوامر الاغا بمعرفة الكتاب الى الدزدارين اي محافظي القلاع والسردارين اي قواد الجند .

(٢) قال الصابوني : بنيت قلعة حماة على صورة قلعة حلب فوق تل صناعي عال فقد كانت على هيئة من الاتقان غريبة بنظر الداخل الى الباب لها مشتمخز بجحارة عظيمة على خمسة جسور مرتفعة فوق الخندق ثم يدخل الى منعطفات الابراج فيرى البلد من النوافذ المفتوحة للحراسة الواسعة من الداخل والضيقة من الخارج ومن فوقها النوافذ الواسعة التي سدت بشبك من الحديد عظيم وبعد اجتياز المدخل بنايات عظيمة من دار الحكومة ومحل الذخائر وبيوت السكن يحيط بها سور عظيم مرتفع وفي مقابلته جامع ابي الفداء وجامع للقلعة ذي منارة شاهقة ومنه الى الجهة القبلية بمسافة واسعة حمام كبيرة جداً وفي طرفها الشرقي المطل على طريق باب الجسر بئر واسعة فيها ماء عذب جداً يأتي من مكان خفي من نهر العاصي ولها طريق تحت الارض يصل الى العاصي من جهة الشمال ماراً من تحت بستان الدواليك متصلاً ببعض البيوت وكانت مرصوفة بالحجر الاملس من اسفل الخندق الى حيطان السور لئلا يصعد اليها العدو وللقلعة خندق دائر حولها عميق جداً وكان العاصي مرتفعاً عنه ولهذا الخندق طريق الى الماء من المكان المسمى الآن جسر الهوا في مدخل محلة باب الجسر كانوا اذا ارادوا الحصار يفتحون منه ماء العاصي فيمتلئ الخندق . وقد أشار الى ذلك ابن جبير وياقوت اه . قلت وقد ظلت هذه القلعة على هذا المنوال الى ان جاء هولاء طاغية التتر في سنة ٦٥٨ هـ فخرّبوا واحرق ما فيها من الذخائر والعتاد ثم اعاد ملوك حماة الاربويون ترميمها الى ان قضى

الفخمة ذات الحدائق الغناء والأحواض والمياه الدافقة وأشهرها قصر محمد باشا الارناؤوط وهو مبني على شاطئ العاصي وفيه ثلاثمائة غرفة (١) وقاعات عديدة وحمامات وحدائق ولم أر مثل هذا القصر الا في دمشق وقد أولموا فيه لمولانا مرتضى باشا وليمة بعجز اللسان عن وصفها (١) . واشتهر ايضاً

عليها تيمورلنك في سنة ٨٠٣ القضاء الاخير وامست من ذلك الحين ليس فيها الا بعض بيوت وجدران قائمة وسجن للحكومة وانقاض الى بعد مرور ايليا جلبي في القرن الحادى عشر . وفي القرنين الماضيين جردت الاطلال ونقضت الاحجار واستعملت في بناء قصور الكيلانيين والعظميين وغيرها فأضحى سطح التل قاعاً صافئاً ليس فيه من تراث الاقدمين الا بعض كسور الاحجار وأسس جدران من الآجر الى ان جاءت منذ سنتين بعثة أثرية دانيار كية وشرعت تحفر فيه فكشفت حتى الآن من آثار العرب عدداً غير يسير من الأواني الخزفية وقطع الفيفساء والقنابل اليدوية الخزفية التي كان يستعملها العرب في حروبهم وغير ذلك وهي دائبة في ربيع كل عام على الحفر وتأمل ان تصل بعد آثار العرب الى آثار البيزنطيين والحثيين .

(١) ذكر جرجي بني مؤلف تاريخ سورية في اسم بابي هذا القصر مراراً في فصل طرابلس فما قاله ان محمد باشا الارناؤوطي دلي ايلة طرابلس في سنة ١٠٥٠ هـ وانه بنى على نهر رشعين قصراً وكلف الرعايا أموالاً ثم عزل واعيد ثلاث مرات وذلك من شدة جوره وعسفه وكان في كل مرة يعاد بعد مدة وجيزة وفي المرة الرابعة ارسل الى حماة واستقر بها . قيل ان هذا الباشا اعقب في حماة وانه لا يزال من اعقبائه بعض نساء وانه على الرغم من عسفه كان ولوعاً ببناء القصور والمساجد والحمامات فقد بنى في حماة القصر الذي ذكره الجلبي وبالغ في عدد غرفه وبظن انه هو دار الحكومة التي احترقت في حادثة حماة في سنة ١٣٤٤ هـ ويظهر من وصف الجلبي ان البناء الملاصق للدار المذكورة الذي كانت فيه مدرسة التجهيز ودور بعض السراة المحاورة كانت كلها من مشتملات هذا القصر الفخم . ومحمد باشا بنى ايضاً في حماة جامعاً قرب جسر السرايا يسمى جامع المدفن لأنه دفن فيه

في حماة قصر الشيخ ابراهيم افندي بن الشيخ عبد القادر الكيلاني (١) . اما جوامعها فكثيرة منها جامع ابو عبيدة بن الجراح فانح حماة وهو في السوق الأعلى قبل انه كان في الأصل كنيسة قديمة وانه بني بمال الخراج الذي أداه اهل حمص وقد زبرت على رخامة فيه النفقات التي صرفت في انشائه والصقت على احد جدرانها (٢) . وهناك جامع قاسم باشا المعروف بكوزلجه وهو اول

وعلى قبره تاريخ وفاته في سنة ١٠٦٨ وكان وفله عقاراً كثيراً ومن الذين اتصلوا بخدمته وخدمة ابنه علي باشا شاعر حموي اسمه حسن الدقري المعروف بابن قبقي .

(١) الشيخ ابراهيم الكيلاني جد بني الكيلاني في حماة وهو على ما قيل ابن شرف الدين ابن احمد بن طلي الهاشمي ولد في سنة ١٠٤١ وتوفي في بغداد في سنة ١٠٦٨ كان ذا ثروة ومكانة عظمتين احبتهما بتصفوه وشيخته بنى قصره الذي ذكره الجلي من انقاض قلعة حماة وبني في جانبه جامعاً ولا يزال هذا القصر عاصراً باعقاب المترجم وهم يؤلفون امرة كبيرة لبعض افرادها حظ واخر من سعة الملك ووفور الثروة والوجاهة في حماة وضواحيها . والقصر على شاطئ العاصي الأيمن في محلة تدعى جسر بيت الشيخ يقصده السياح لرؤية ما فيه من محاسن البناء العربي كالقصور والقاعات .

(٢) في حماة جوامع ومساجد كثيرة نخص بالذكر منها (الجامع الكبير) الذي ذكره الجلي وهو في محلة المدينة وجد من عهد ابي عبيدة وكان يسمى الجامع الأعلى قبل انه جدد في خلافة المهدي من خراج حمص على ما نقش على رخامة فيه ثم جاء المظفر عمر فزاد فيه وبني مدرسة بجواره ثم جاء ابراهيم الهاشمي فانشأ منارته الشمالية سنة ٨٢٥ كما زبر ذلك على رخامة فوق بابها وبني ايضاً الحرم الصغير في جانب المسجد من جهة الشرق ورواق الجامع ايضاً بناء سنة ٨٣٢ وفي غربي فناء هذا الجامع قبة صغيرة تدعى بيت المال او الخزانة تشبه قبة جامع بني أمية في دمشق بنيت على ثمانية اعمدة ذات نيجان يونانية وبقتها بحرة صغيرة وعلى الأعمدة كتابة عربية قديمة وله حرم واسع جداً وفي جانبه الغربي ضريح المظفر وابنه وليس في حماة جامع مثله في اتساعه وعظمته وله في جهة القبلة منارة مقطوعة الرأس بابها

من الحجر الأسود وكان لهذا الجامع اوقاف كثيرة اندرست ولم يبق الا القليل .
وصف الاثري هرزفيلد هذا الجامع فقال : ان اصل حرمه كان كاتدرائية للنصارى
غربية الشكل وله ثلاثة أفنية مختلفة السعة وثماني دعائم وخمس قباب ومن كل ناحية خمسة
عقود او اقبية ويظهر ان الحائط الغربي كان حائط رواق الكنيسة والحائط الجنوبي من
العهد السابق للنصرانية كما هو الحال في جامع دمشق كان معبداً ثم بيعة ثم جامعاً . والى
جهة الشرق قامت منارة قديمة منفردة وهي مربعة الزوايا زينت عليها كتابة كوفية ربما
كانت من القرن الخامس . وتحيط بصحن الجامع الجليل أروقة معقودة وهناك سدة بمجرايين
أمام الحرم وسدة أخرى لها حوض ماء ومحراب منفرد في الرواق الشمالي وخزنة قائمة على
ثمانية أعمدة قديمة وسي في الرواق الشرقي تربة ومصلى ولها نوافذ صلبة معمولة من الفخاس من
عهد المالك ومن الرواق الغربي يصل الانسان الى قبة الملك المظفر محمود وله تابوت معمول
بالخشب الجميل المنقوش وهناك منارة ثانية قامت في الخارج وسط الرواق الشمالي ؛ يستدل
من كتابته وشكله انه من عهد المالك وفي جامع حماة تجلت خاصية من هندستها تجلياً غريباً
وذلك ان ظاهر الحيطان مزين بنقوش رسمت بالوان تشبه الفسيفساء لمراوحتهم في صفها
بين حجر الحراري الأسود والحجر الكلسي الأبيض . ومن جوامع حماة (جامع الحيات)
في باب الجسر كان متسعاً وقد هدم من جهة الغرب فذهب نصفه وعدا عليه الجوار فأخذوا
من ارضه الشرقية ربعه . بناء ابو الفداء وعمل لحرمه من جهة الشرق شباكين كبيرين
بينهما عمود كبير من الرخام على شكل افاعي ملتفة ولهذا سمي جامع الحيات وعمل فيه خزانة
كتب كبيرة كانت فيها سبعة آلاف مجلد فذهبت فيما ذهب منه ونقش حرمه بالذهب
والفسيفساء والرخام الملون في جدرانه وارضه وعمل له من الغرب شباكين كما في جهة
الشرق غير انها هدموا وادخلا في البستان المجاور له . وعلى يمين مدخل الجامع الذي يتزل
اليه بدرج غرفة فيها ضريح الملك المؤيد ابي الفداء المتوفى سنة ٧٣٢ اصلحها بعد دثورها
منذ سنتين العالم المصري احمد زكي باشا . وبني رجل ايضاً حموي متوسط الحال يدعي
الاتساب الى السلطان بدر الدين حسن اخي ابي الفداء منسارة جميلة في جانب الضريح
كان المنسارة القديمة المندثرة . و (جامع السلطان) في محلة الدباغة بناء السلطان حسن

من حكم حماة من العثمانيين بعد فتح السلطان سليم (١) . وأشهر نكايها « نكية عبد القادر الكيلاني » وهي عامرة ومزخرفة وذات ايراد جزيل ونعم بالدرابش (٢) . وأسواق حماة وان لم تكن عامرة بقدر أسواق حلب لكنها حافلة بجميع أنواع البضائع القيمة وبكثرتها الصياغون والحلاقون . وحر حماة شديد لوقوعها في وسط الاقليم الرابع وغيب من بربتها ريح سموم

شقيق ابي الفداء على هيئة جامع الحيات ومشتلاته و(الجامع النوري) في محلة باب الناعورة بناء نور الدين الشهيد في سنة ٥٥٨ بعد الزلزال الكبير الذي هدمت فيه حماة واوقف له اوقافا كثيرة لم يبق منها اثر وكان له باب شاهق من الغرب درس وباب آخر من الشرق باقى حتى اليوم وبين هذين البابين تاريخ بناء الجامع محفور بخط جميل وحروف ضخمة . وصفه هرزفيلد فقال : هذا الجامع على الشاطي الأيسر من العاصي في ارض منخفضة وعلى بناء فخري عال . بني هذا الجامع على عهد نور الدين وعلى ما دخله من الترميمات الكثيرة تشاهد فيه الى اليوم اجزاء مهمة من البناء القديم ولا سيما الحرم الطويل الذي عقوده حديثة العهد بالنسبة لمجموع الجامع وكذلك القباب الثلاث من الرواق الشمالي المختلفة الأشكال . والأبنية القمائية من الجهتين الشرقية والشمالية والعائط الخارجى الشمالي من الجامع . وربما كان الجزء الأسفل من المنارة بما فيه الحجارة المنقوشة البيضاء والسوداء قديم العهد ايضا . وفي هذا الجامع بقايا منبر جميل عمل من الخشب يرد الى زمن نور الدين ثم محراب زين اجل زينة فيه اعمدة من الرخام المنحز من عهد الملك المظفر محمود (٦٢٦ - ٦٤٢) وفي مكان آخر من الشرق محراب ذو اعمدة من المرمر في نيجاتها اسم ابي الفداء . (١) هذا الجامع لم يعرفه احد ممن سألتهم في حماة ولا سمع بهذا الاسم . فن أين أتى الجلبى بذلك .

(٢) نفى الصابوني وجود النكاي الآن في حماة . اما النكية الكيلانية فقد أسماها زاوية وقال أنها من بناء بني الكيلاني القاطنين في حماة منذ القرن السابع . والذي علمته ان الايراد الذي ذكره الجلبى اندثر والدرابش لم يعد له أثر .

لذلك يكثر السمر في اهلها ويقل الجمال في نسائها (كذا) . ويلبس الرجال جيباً وغناير ملونة تكون في موسريهم من الحرير ومتوسطيهم من القطن أو الصوف وتلبس النساء في أرجلهن أحذية طويلة الساق ويلتحن بملاآت بيضاء .

ويصنع فيها شرشف ومناشف ومناديل حريرية . ولكثرة الشبان الذين يتجندون تكثر الفروسية بين اهلها ويصنع فيها سروج ولجم جميلة متقنة . اما قمحها فيمثل القمح الحورافي في الجودة . وكذا الأمر في شعيرها وقطانيها . وتكثر في حماة الخيول الاصيلة . اما حماماتها فكثيرة وعلى غاية من الحسن واتقان الخدمة أخص بالذكر حمام (١) محمد باشا الارناؤود الذي لم أر في ديار الروم ما يماثله في الإبداع الا ان يكون حمام محمد كراي في بنجه سراي عاصمة بلاد القريم .

وفي حماة نواعير عظيمة منصوبة على نهر العاصي يسمع القادمون الى هذه البلدة أنبئها من مسافات بعيدة . وهي دواليب مؤلفة من اخشاب واعمدة ومسامير حديدية على غاية من الطول والفضخامة . وتنصب المياه من هذه النواعير في قناطر تذهب بها الى قصور البلدة ودورها وحماماتها ومساجدها وخاناتها . ولكل ناعورة اوقاف ذات ايراد وخدم ونجارون مهياون لخدمتها . واذا اقترب الزائر الغريب منها تكاد آذانه تصم من شدة الضججة . والاغرب

(١) هو حمام الباشا الذي كان في جانب جامع المدفن . والحمام والجامع من بناء محمد باشا الارناؤود الذي مر ذكره . وقد اندرس هذا الحمام منذ قرن في جملة المعالم الكثيرة التي اندرست في حماة ويصمت وهي عامرة للعجارين كدار الفرح في محلة باب الجدر كانت وفقاً للأفراح فن أراد ان يتزوج مثلاً بأخذ مفتاحها من متوليها ثلاثة ايام ذكره العاصي .

من كل ذلك رؤية غلمان حماة المشردين بتعلقون بأطراف الناعورة ويدورون بدورائها حتى اذا علت بهم القوا بانفسهم الى العاصي فيغوصون فيه ويسبحون . وفي حماة مئآت من الحدائق والبساتين التي تروى من هذه النواعير . ولا يخلو كل بستان من ناعورتين او ثلاث على ان أعظم ناعورة بينها هي ناعورة المحمدية التي سارت بذكرها الركبان (١) . وفي حماة قبران لعالمين من الترك احدهما المولى حامد جلبي الشهير بطاشكوبري زاده والشافي المولى ابراهيم جلبي الآذري وكلاهما مدفون بجوار التكية الكيلانية وتاريخ وفاة الجلبي الآذري سنة ٩٩٣ هـ (٢) .

(١) نواعير حماة كثيرة وهي من صنع الرومانيين والعرب وكان منها في زمن ابي الفداء ٣٢ ناعورة . اما الآن فهي أقل من ذلك أكبرها ناعورة المحمدية التي ذكرها الجلبي وهي في باب النهر أنشئت في أيام المعز الاشراف السبيعي كافل حماة في سنة ٦٦٣ لسقي الجامع الاعلى ومنها ناعورة المأمورية قرب جسر السرايا أنشئت هي وقناةها باصر الحاج بلباك كافل حماة في سنة ٨٤٧ تسقي جهة السوق . وقد اقتبس الصليبيون فيما اقتبسوه من بلاد الشام صنع النواعير ايضاً فأوجدوا في ألمانيا في واد صغير في فرانكونيا على مقربة من بايروت نواعير كالتي في حماة لانتزال دائرة . ذكره صوبرنهايم في العملة الاسلامية .

(٢) قيل انه كانت في جوار الزاوية الكيلانية مقبرة للكيلانيين درست وبني في محلها دور ولعل هذين القبرين اللذين ذكرهما الجلبي كانا فيها . اما حامد جلبي فلم اعثر على ترجمته ولعله كان قاضياً في حماة ورث القضاء والعلم عن ابيه اوجده عصام الدين ابي الخير احمد بن مصطفى الشهير بطاشكوبري زاده مؤلف كتاب الشقائق النعمانية في علماء الدولة العثمانية وكتاب موضوعات العلوم وغيرهما وكان عصام الدين من اعظم علماء الترك العثمانيين افضل من الف منهم ونظم باللغة العربية توفي في سنة ٩٦٨ . وآذري جلبي كان على مقاله شمس الدين سامي مؤلف ناموس الاعلام — من الفضلاء المبرزين في عهد السلطان سليم الاول

كان عالماً شاعراً لطيف المعشر سلك مسلك القضاء وما زال ينتقل في قضاء مدن شتى في الاناضول حتى كانت خاتمة مطافه حمة توفي فيها سنة ٩٩٣ ودفن في خارجها وله ديوان شعر تركي سماه «نقش خيال» .

قلت ويبلغ عدد سكان حمة الآن اربعين الفا تسعة اعشارهم من المسلمين واكثر البقية من الروم الارثوذكس واقلمها من السريبات القدماء والسريان الكاثوليك والبرستانت وحمة ما برحت قاعدة لتصرفية كان يقبها افضية حمة وحص وسلمية ومصيف ثم فصلت عنها حص وجعلت متصرفية والحقت مصيف بحكومة اللاذقية ولم يبق لحمة سوى قضاءها المركزي وقضاء سلمية يتبع الاول نواحي حمة وطارالعلا والحيري والحراء ويتبع الثاني نواحي علي كاسوف ومعرشخور وعقيربات وسلمية . وحمة بلدة زراعية اكثر منها صناعية وجل علائق سكانها مع الفلاحين والبدو فاذا جادت السماء والامطار واقبلت المواسم حسنت حالتهم وان شحت حصل الجذب وعم الضيق . اما صناعاتها فهي البياض والمنسوجات الحرير وقد كان لها في الماضي القريب مكانة كبرى وكان المرتزقون منها في حمة — ومثلها في حص ودمشق وحلب وطرابلس — يعدون بالالوف ذكر في (سالنامه ولاية سورية) لعام ١٣٠٥ هـ انه كان في حمة ٥٠٠ نول يشتغل بها ٨٠٠ عامل يمنعون في كل عام ٣٠٠٠٠ من عدة الحمامات كالمناشف والفوط و٣٦٠٠٠ ثوب من البياض و١٠٠٠٠ شرف فراش مما كان يبلغ ثمنه ٧٠٠٠٠ ذهب عثماني اهـ . بدأ هذا الوارد يتضاءل منذ اليوم الذي كثر فيه اقبال الشرقيين على استعمال الثياب والفرش الافرنجية وزادت ضوولته بعد الحرب العامة على اثر فصل بلاد الشام عن الانطار المجاورة التي تروج فيها هذه المصنوعات واخصها بر الاناضول والقطر المصري وتزيد رسوم المكس عليها الى ان بطل استعمالها في الاناضول وتمذر تصديرها الى مصر فانت هذه الصناعة او كادت وساء حال مرتزقيها .

وتصدر حمة للخارج اعتاق الخيول العربية وانواع الحبوب والسمن الحديدي الفاخر المشهور والصوف والجلد . وفيها كثير من الجوامع والكنائس والمدارس الميرية . احداها مدرسة تجهيز والمدارس الخاصة كمدار العلم والتربية التي تقيم في قصر بني العظم

الاثري وفيها الصيارف والاطباء والعيدليات والحامون وتجار السلع المختلفة ومن هذه السلع ما هو خاص بالبدو . وبكثر في اهل حماة القرع وامراض العيون لكثرة الهياج وشدة الحرارة والرطوبة في الصيف وقلة العناية بالصحة . واهيج الفصول في حماة الربيع - تزدان فيه حقولها وحدائقها وازوارها بجمالها السندسية وبقمع الدجوبون آنثذ المنتزهات والمقاصف المشرفة على تلك المرتبات فيضربون الخيام ويقضون فيها اياماً واسابيع ويجلب البدو الذين يكثر وجودهم في براري حماة - اللبن الخاثر الجيد ومشتقات الحليب كاللباء والزبد والكثافة وجميعه مما تباهي حماة بوفرته وجودته . وادأ الفصول فيها الصيف والغريف فانها شديدة وطأتها . وقد انجبت حماة في العصور الفائرة علماء وأدباء كثيرين ذكروا في كتب التراجم وما برح اهلها في الجملة ذوي شغف بالدراسة وبينهم الآن لاسيما في الطبقة الوسطى عدد غير يسير من حملة الشهادات المتوسطة والعالية في مختلف المسالك . هذا وينقص حماة لتحصين جمالها الطبيعي تغيير شكلها الموروث منذ قرون وذلك بتنظيم شوارعها وتنظيفها وتشبيد المباني على الطراز الحديث والمجادل الفنادق والمطاعم والمسارح التي تجذب اليها الغرباء والسائحين وجلب الماء القراح ونور الكهرباء واصلاح بساتينها واعادة الفواكه التي ذكرها ابن بطوطة وشيخ الربوة : الى آخر ما هنالك من وسائل العمران التي قصرت فيه عن بقية مدن الشام .

« للبحث صلة »

وصفي ذكرى

كتب الادب القديمة والحديثة

- ٤ -

- وقال في ص ٦٧ — لم تخلف انامله . والصواب لم تخلف .
وفي ص ٦٨ — يمدن عداة زور . والصواب عدات .
وفي ص ٦٩ — باوصال الحسين . والصواب فأوصال .
وفي ص ٧٠ — واعلم لقد خشيت صدر اخ . والظاهر ولقد خشيت اي اوغرت .
وفي ص ٧١ — ان الضيف يخمر ما رأى . والظاهر يخبر .
وفي ص ٧٢ — من المشتريين الغدر . والصواب من المشتوين القدر .
وفي ص ٧٣ — اي بأخذون العهد الخ . والصواب ان هذا اثر وليس بشعر .
وفيها امرأة عبد الحميد . وسياق القول يقضي بان تكون أم عبد الحميد .
وفي ص ٧٣ — شعاع المولدين . والصواب اشعار .
وفيها . لا ازرها . والصواب لا ازورها .
وفي ص ٧٤ — بقول عبد الحميد . والصواب بقول .
وفيها . عمرو بن فرخ الرجعي والمعروف الرجعي .
وفيها . وايضاً لفتح مسبته . والصواب واتقاء .
وفي ص ٧٥ — لقيب اعرابياً . والصواب لقيت .
وفيها . ضخخ ضجبر عضوب . والصواب ضخخ حشجبر عضوب .
وفيها . نابض اوقار . والصواب اوتار .
وفيها . له في الغيبة بعد الغيبة عند الخليفة . والظاهر في الغيبة بعد الغيبة .
وفي ص ٧٦ — وما ادي . والصواب وما ادري .

- وفيها . فمن تيك لم اصبر . والأولى فديتك لم اصبر .
 وفي ص ٧٧ — على عتب الغمير . والصواب غيب .
 وفيها . لي ان جرى . والصواب الى ان جرى .
 وفيها . فبدل منا بمشهد بمغيب . والصواب فبدل منها مشهد بمغيب .
 وفيها . الى شر يومها قد همم . والى عارضها قد لمع . والظاهر الى شوبوها قد لمع
 والى عارضها قد همم .
 وفيها . بالوعيد قد اروي . والصواب اوري .
 وفيها . داهية نار . والظاهر نآد .
 وفي ص ٧٨ — سهلت لك الوعود . والصواب الوعود .
 وفيها . من ركن ملثم . والأولى ركن يلثم وهو جبل على مرحلتين من مكة .
 وفيها . موضع السيف من عاتقه فتمفو عن قتله . . . والظاهر من عنقه فيمنعني من
 قتله ابقائي . . .
 وفي ص ٧٩ — الحقد دالاردي . . . والصواب دالا دوي .
 وفيها . جعلت المبي كطارق السبك . والصواب كظرف . . .
 وفيها . قيس بن الكشوح . وفي امالي القاضي ابن مكشوح .
 وفيها . تمثل به على . . . راي عبد الرحمن . والصواب لما رأى .
 وفي ص ٨٠ — الا تبقي الحياء . ورواية البيت الاتقى الحياء كما في امالي القاضي .
 وفي ص ٨١ — طاط من اشرافه . والصواب طأطي .
 وفي ص ٨٣ — الى الملا . . . حاورا . والصواب الى العلى . . . حاورا
 وفيها . يعمل اثنا عشر . . . والصواب اثني عشر .
 وفي ص ٨٤ — انما طيب الثناء . والأولى طيبك الثناء .
 وفي ص ٨٥ — وموته موته لا موته الداني . والأولى وموته خزبه . . .
 وفيها . اخذ هذا البيت الراضي . والصواب الرضي .
 وفيها . البيت الشري . والصواب البيت الشري وروي هذا البيت . مكذا بنفسه
 ثرى ضاجعت .

- وفيها . بذكر بخدمة سلفها . والأولى بذكره بحرمته .
 وفي ص ٨٧ — بطيح هو الصابي . والصواب هوى . .
 وفي ص ٨٨ — قطعت الباء من ديمومة . والصواب اليك من . .
 وفيها . دمع السموع باثر . . والصواب دمع المودع نحو . .
 وفيها . مادمت انت ان تقوم . والصواب اسقاط ان .
 وفي ص ٨٩ — كايشرف غيرهم . والصواب كما يشرف .
 وفيها . قطع متن الشعراء . . والصواب متن الشعر .
 وفي ص ٩٠ — اعطاك سورة . والصواب سورة .
 وفيها . امر و ابن هند غصبة . والصواب غصبة .
 وفيها . وحقر المشارك . والأولى وحقد .
 وفي ص ٩١ — في حياتك لي عظاة . والصواب عظات .
 وفيها . تستقل ملك العباد . والصواب بملك . .
 وفي ص ٩٢ — بالسلطان الانفس خائفة والصواب بالسلطان الانفس جائعة .
 وفي ص ٩٣ — صوالح صدغيها . والصواب صوالج .
 وفي ص ٩٥ — يضيّق بالضرر وسعه . والصواب ويسعه .
 وفيها . لحياه رعدة . والصواب لحياه .
 وفيها . يا اصحاب الجدود . . المطروزة . والصواب يا اصحاب البرود . . . المطروزة .
 وفي ص ٩٦ — ويقل شبا . والصواب ويقل . .
 وفيها . وان قلباً لم ينصح . وفي الاصل لم ينصح .
 وفيها . اسفرت الخلوة عن وجه . والصواب عن وجه .
 وفي ص ٩٧ — خلعت نخيلة . والأولى خلعت .
 وفي ص ٩٧ — صار بجرأ مروج في اليندين . والصواب صار مجرى بوجه كما في الديوان .
 وفيها . تجاريا الى مدد . والصواب الى امد .
 وفي ص ٩٩ — عن في فيها لثيم وسامني . والأولى وساءني .

- وفي ص ١٠٠ - ولما احتفل القائد . والصواب القائل .
 وفيها . بلاد حل بها الشباب تمانني . والصواب بلاد بها حل . . .
 وفي ص ١٠١ - ذكر ان سكرته تعطي . والصواب ان غول سكرته يغطي .
 وفيها . مقدار فضيلته في . والظاهر في قوله .
 وفي ص ١٠٢ - فاستملت مدامي شوقي . والظاهر لشوقي .
 وفي ص ١٠٣ - باردات النوائب . قال في الذيل النوائب هنا بمعنى الانياب ولم
 اجدها بهذا المعنى ولعلها الانايب اصلها انايب جمع انياب .
 وفي ص ١٠٤ - فاحتاج معتز . والاولى فاجتاح .
 وفيها كأن ينفذاد . . . والصواب كأن ينفذاد . . . وبذلك يستقيم الوزن .
 وفي ص ١٠٤ - شوق الى وجهه وليس بصحيح الوزن . والاولى الى وجهه .
 وفي ص ١٠٥ - تحذركم دُرعا . والصواب درعا .
 وفيها . فيها منقوشة . والصواب منقوشة .
 وفي ص ١٠٦ - امتطى بالجوزاء . والصواب الجوزاء .
 وفيها . موثوقة بالوثافة . والاولى موصوفة او . وصومة . .
 وفيها . فهمي حمى . والصواب فهمي . . .
 وفيها . قبل الخط مجرى . والصواب قبل الخطو نحوها مجرى .
 وفي ص ١٠٧ - شرافته . . . شرافات . والصواب شرفاته . . . وشرفاته .
 وفي ص ١٠٨ - يقضي زمامه . والصواب ذمامه .
 وفيها . قوى الاستقلال والاضطباع . وقال في الذيل الاضطباع النهوض . والصواب
 اضطبع الشيء ادخله تحت ضبعه اي عضديه وربما كان الاصل والاضطلاع .
 وفي ص ١٠٩ - ولا بليت عذرا . والصواب ولا أبليت .
 وفيها . ولولا النعمة بالزيارة نعمة لم تزل . . . وصواب العبارة . وله . احق النعم
 بالزيادة نعمة لم تزل . . .
 وفيها . عادية احكامها . . . والصواب غادية لانها تقابل رائحة في الجملة الآتية .
 وفيها . قبض الله من الأمير . والصواب قبض . . .

وفيها . القى عصا التيار . والصواب التسيار .
وفي ص ١١٠ — فانسى به حادث الكلم . والصواب وآسى به .
وفيها . اذا تغذيت بالغذاء . والصواب تغذيت . بالغذاء وبه تحصل المجانسة
من قوله اراغ داني .

وفيها . آذى قفاه ما ذاق فاه . والظاهر اذا قفاه اذا ذاق فاه
وفيها . من عجبين زحام . والظاهر من جعبين .
وفيها . فرعى الله طويل حياة . والصواب فدعا الله طويلا يرجى .
وفيها . وافاه بعد تأبين بشر . والصواب بعد يأس بشير وحيثذ يصح المعنى .
وفيها . بدا بين ابدينا عمودا . والصواب عمود اترى بين ابدنا عموداً .
وفي ص ١١٢ — خر راسه . والصواب حز اوجذ .
وفيها . قد كسى الباطن والأولى حذف قد .
وفيها . وضفر من بنات . والصواب وضفر .
وفيها . واظهرها عواري . والصواب عوار .
وفيها . وامست تنفج . والصواب وليست .
وفيها . لكل ساري . والصواب سار .
وفي ص ١١٣ — ويزوغ عنه . والصواب ويروغ عنه .
وفيها . فبعد الترك . والظاهر فبعض الشوك .
وفي ص ١١٤ — جم الزلال . والصواب جم الزلازل .
وفيها : اذا سئلوا جادت سيوف اكفهم عرائك احدث الزمان الجلائل
وهو ملفق من يتبين وهما :

اذا سئلوا جادت سيوف اكفهم تطاير جمات التلاع السوائل
خليقون سروا ان ثلثين اكفهم عرائك احدث الزمان الجلائل

وفي ص ١١٦ — من هجته الرد . والصواب من هجته .
وفي ص ١١٧ — سيف الذيل . المتخبط هنا الثائر الهائج . والمتخبط انقهار الغلاب
الذي له جلبة من شدة غضبه ولم ارها بمعنى الثائر .

- وفيها . بيتين اهلنا والاولى يملن .
- وفيها . برباك بغدو ربنا بلدآ ففرا . والاولى برباك تمروري بنا . . .
- وفيها . الرتاج الاغلاق . والصواب هو الباب العظيم او المخلق عليه باب صغير .
- وفي ص ١١٨ - تلب جمر الفرقد . والصواب الفرقد وهو شجر عظام .
- وفيها . نذود النفوس الفاريات والاولى الصاديات .
- وفيها . في الذيل مرجحة متاوجة . والاولى ثقيلة واسعة مائلة من ثقلها .
- وفي ص ١١٩ - كقول الطرماح في النور . والصواب في النور .
- وفيها . عتبا بجهكم . طال بجهكم . والصواب بجهكم في الموضعين .
- وفي ص ١٢٠ - بوصل متى تطلبه . والصواب متى تطلبه .
- وفي ص ١٢٢ - وليس ذا حين الزيادة . والصواب حين الزيادة .
- وفيها . ما قلت للطيف الملم الا ابتعد . والبيت في الديوان هكذا :
- ما قلت للطيف المسلم لا تمعد تغشى ولا كفكت حامل كابي
- وفيها . فلم يدر نغرمادها وجيد . وفي الديوان فلم يدر نغرم .
- وفي ص ١٢٣ -
- أني اهتدي في ظل اخضر مغدق حتى نيم بالعناء وساديه
- وصوابه : اني اهتدي في ظل اخضر مغدق حتى نيم بالعراء وساديه
- وفي ص ١٢٤ - ممنونا ولا نزفا . والصواب ولا نزفا .
- وفيها . كن يعي بجعته وسط النداء . والصواب يميا . . . وسط التدي .
- وفيها . مالي ومالك شبه حين اذكره . والاولى انشده .
- وفي ص ١٢٥ - دون الخير من شر . والصواب من ستر .
- وفي ص ١٢٦ - كالشراب الرقاق . والصواب كالسراب .
- وفي ص ١٢٧ - كسوة من اعن ادرع . والصواب اعن اروع .
- وفيها . برد المضاع . والصواب برد المتاع .
- وفي ص ١٢٨ - على عقود الثروة . والصواب على حقوق .
- وفيها . في اخس رتان . والظاهر زمان .

- وفي ص ١٢٩ — موكل بحب الاجل . والصواب الاجل .
- وفي ص ١٣٠ — لبسته الخالدة . والصواب الخالدة .
- وفي ص ١٣٢ — والظافر به عزيمة . والأولى والظفر به .
وفيهما . سفائح جهله . والظاهر سفائح .
- وفي ص ١٣٣ — لايجل الفاقة ولايجل خناقة . والصواب لايجل انفاقه ولايجل خناقه
- وفي ص ١٣٣ — عوانها اذا الوحوش . والصواب عنوانها .
- وفي ص ١٣٦ — لا يقع الا في البذر . وفي رسائل البديع الا في النذر .
- وفي ص ١٣٧ — الاقصى اللفظ . وفي الرسائل الاقصى اللفظ .
- وفي ص ١٣٨ — وبفل جميع خضمه بس كتاب حكمه . والظاهر بمسكتات حكمه .
- وفي ص ١٣٩ — ومن اللغات اذا تعهد الممثل . والصواب اذا تعد وبه يستقيم الوزن .
وفيهما . كل قيمة نضيرة . والظاهر خطيرة .
- وفيهما . وتحنو على الرقة والتخفي وسياق القول يقتضي ان يقال على الرقة له والتخفي به
- وفيهما . ولم يختلط به قلب معاب . والظاهر ثلب معاب .
- وفي ص ١٤١ — في التعزية قررت عيناً أفديك . والظاهر اسقاط قررت عيناً .
- وفيهما . توجب انه ملك لا يحقق اعطاء ولا يتحصل . والأولى توجب انه ملق لا يحقق وعطاء لا يتحصل
- وفيهما . فتبل فهل فيكم له اليوم نائر . والصواب اليوم نائر .
- وفي ص ١٤٢ — ويتزرن على العوائك . قال في الذيل العوائك جمع عاتكة وهي المحمرة من الطيب والمراد هنا الارداغ . والصواب العوائك جمع عاتك وهي الرملة المنعقدة المرتفعة وهي كذلك في امالي القاضي .
- وفيهما . وبتهادين على الدوائك وقال في الذيل الدوائك جمع دونك وهو الوادي .
والصواب الدوائك جمع درنك وهي الطنافس .
- وفيهما . وعن الحياء حور . وقال في الذيل حور مترددات . والصواب وعن الخنا نور جمع نوور وهي النفور من الريبة .

- وفي ص ١٤٣ — هو داء تداوي به النفوس . والصواب تدوى به .
 وفيها . وحى مضطرم . والصواب وجهر مضطرم .
 وفي ص ١٤٤ — وقد ذكرت ابصار قلوب ابنائها والظاهر كسرت .
 وفي ص ١٤٥ — وليس بخافي . والصواب بخاف .
 وفي ص ١٤٦ — يجني بها ثمر الانام . والصواب الانام .
 وفي ص ١٤٧ — لقد جمعنا ظرفاً . والصواب جمعنا .
 وفيها . قال البهري . والصواب البهري .
 وفي ص ١٤٨ — نطافها مجرب وازارها محصب . والصواب نطافها مجذب وازارها
 محصب .
 وفيها . واستوفى ماء الحسن . والظاهر اقسام الحسن .
 وفيها . صورة تجلي الابصار . والأولى تجلو .
 وفيها . كان خده سكران من خمرة فمه . والسجع يقتضي . خمرة طرفه .
 وفي ص ١٥٠ — وتشوك رغفران خطه . والظاهر تشوك زعفرانه .
 وفيها . فارقنا خشفاً . والصواب خشفاً .
 وفيها . والاغفار حما . والظاهر حمى .
 وفي ص ١٥٣ — ويخذ خذ . والصواب خذ .
 وفي ص ١٥٤ — وزري ملكي . والظاهر وزري ملكي .
 وفي ص ١٥٧ — أتح سروره . وفي الديوان أبحث .
 وفي ص ١٥٨ — وللماء ما دارت عليه القوانس . وقال في الذيل القوانس اعالي
 الرأس . وفي الصحاح القوانس أعلى البيضة من الحديد . وبعد ذلك فرواية البيت هكذا :
 (وللماء ما دارت عليه القوانس)
 وفيها . وحكى الذهب بها فليس يبارح . والرواية وخلال الذهب .
 وفي ص ١٦٠ — يعادوني قطع . والصواب يعادوني قطع .
 « للبحث صلة »
 سليم الجندي



جامع التواريخ

— أو —

« نشوار الحاضرة وأخبار المذاكرة »

— ٦ —

وحدثني قال حدثني القاضي احمد بن سيار قال حدثني شيخ من التجار
بعمان قال كنت بالابلة أريد الخروج الى البحر فرأيت سائلاً بباب الجامع
فصيح اللسان مليح المسألة فرقت له واعطيته دراهم صالحة وخطفت في الوقت
الى عمان فاقت بها شهوراً ثم قُضي لي ان مضيت الى الصين فدخلتها سالماً فاذا
انا يوماً اطوف فاذا الرجل بعينه قائماً في السوق يتصدق فتأملته فعرفته فقلت
له ويحك سائلاً بالابلة وسائلاً بالصين فقال قد دخلت الى هذا البلد ثلاث
دفعات وهذه الرابعة لطلب المعيشة فلا اجدها الا من الكدبة فارجع الى
الابلة ثم ارجع الى هاهنا قال فعجبت من شدة حرمانه .

وحدثني قال حدثني قاضي القضاة ابو محمد بن معروف رضي الله عنه
قال حدثني بعض اهل بغداد عن ابي عبد الله بن ابي عوف انه قال ضاق
صدري في وقت من الأوقات ضيقاً شديداً لا اعرف سببه فتقدمت الى من

حمل لي طعاماً كثيراً وفاكهة وعدة من جوارٍ الى بستانٍ لي على نهر عيسى وامرت (١) غلاماني واصحابي ان لا يبيحن احد منهم بخبر يشغل قلبي ولو ذهب مالي كله ولا يكاتبوني وعملت على ان اقيم في البستان بقية اسبوعي أنفج مع أولئك الجوارى قال ور كبت حماري وقد تقدمني كلما أمرت بحمله فلما قربت من البستان استقبلني فيج (١) معه كتب فقلت له من أين وردت فقال من الرقة فتأبعت نفسي ان أقف على كتبه وأخبار الرقة وأسعارها فقلت له تعرفني فقال نعم فقلت انت قريب من بستان لي فتعال معي حتى اهب لك دنائير وأغير حالك وأطعمك وتستريح الليلة في البستان وتدخل بغداد غداً فقال نعم ومشى معي راجعاً حتى دخل البستان فأمرت من فيه ان يدخله حماماً فيه ويغير ثيابه ببعض ثياب غلاماني ويطعمه فابتدروا معه في ذلك وتقدمت (٢) الى غلام لي فاره فسرق كتبه وجاءني بها ففتحتها وقرأت جميع ما فيها وعرفت من أسرار (٣) التجار الذين يعاملوني شيئاً كثيراً وتفرجت (٤) بذلك ووجدت جميع الكتب محشوة الى التجار بان يتمسكوا بما في ايديهم من الزيت ولا يبيعوا منه شيئاً فانه قد غلا عندهم وعزّ وبوصونهم بحفظ ما في ايديهم فأنفذت الى وكلائي في الحال فاستدعيتهما فجاءوا فقلت لهم خذوا من فلان الناقد وفلان الناقد كلما عندهم من العين والورق الساعة ولا ينقضي اليوم اوبتاعوا (٥) كلما بقدر من الزيت واكتبوا اليّ عند انقضاء النهار بالصورة فمضوا فلما

(١) ناقل البريد . (٢) بالاصل : وفقدت . (٣) بالاصل : اسار بحذف الجار .

(٤) لعله : وفرحت . (٥) لعله : ولا ينقضي اليوم أو تبتاعوا الخ .

كان العشاء جاء في خبرهم بانهم قد ابتاعوا زيتاً بثلاثة آلاف دينار فكتبت اليهم بقبض الوف دنائير أخر وبشري كلما بقدرون عليه من الزيت وأصبحنا ودفعنا الى الفيج ثلاثة دنائير وقلت له ان أقت عندى دفعت اليك ثلاثة دنائير أخرى فقال أفعل وجاءتني رقعة أصحابي بانهم ابتاعوا زيتاً باربعة آلاف دينار وانه قد تحرك سعره لطلبهم إياه فكتبت بان يبتاعوا كلما بقدرون عليه وان كان قد زاد وشاغل الرسول اليوم الثالث ودفعنا اليه في اليومين ستة دنائير وأقام ثلاثة ايام وابتاع أصحابي باربعة (١) آلاف دينار أخرى وجاؤني عشياً فقالوا كان ما ابتعناه اليوم زائداً على ما قبله في كل عشرة نصف درهم ولم يبق في السوق شيء يفكر فيه فصرفت الرسول واقت في بستاني اياماً ثم عدت الى داري وقد قرأ التجار الكتب وعرفوا خبر الزيت بالركة فجاءوني بقرعون وبيذلون في الزيت زيادة اثنين في العشرة فلم أبع فبيذلوا زيادة ثلاثة في العشرة فلم أبع ومضى على ذلك نحو من شهر فجاءوني بطلبون زيادة خمسة وستة فلم أفعل فجاءوا بعد ايام فبيذلوا الواحد الواحد فقلت في نفسي ترك هذا خطأ فبعته بعشرين الف دينار فنظرت فلم يكن لضيق صدري وانفرادي في البستان ذلك اليوم سبب الا ما أحبه الله تعالى ان يوصل اليّ ربح عشرة آلاف دينار .

وحدثني قال حدثني صائغ كان يخدم في خزانة الامير معز الدولة يعرف بطاهر قال كنت أشرب يوماً في منزلي وعندى جماعة من إخواني

(١) الصواب : ثلاثة كما يظهر .

فانقطع بنا النبذ فخرجت احتال لم شيئاً من ذلك فلتيني ركابي فقال الامير يطلبك فقلت قل انك لم تجدي قال لا افعل فقلت خذمني ديناراً وقل انك لم تجدي قال لا افعل قال وانا معه اذ جاء ركابي آخر فبذلت لها دينارين فأيا وجاء الثالث فضيت وحملت معي غلاماً كان لي فحين دخلت الى الامير قال لي امض فانظر مايقول لك علي المغني في الخزانة فافعله فجئت الى الخزانة فقلت لعلي ايش تربد فاخرج اليّ مناطق كبيرة ذهباً موكدة (١) بلاسيوف مما أخذته معز الدولة من تركة اخته (٢) وكانت الاخت تشدها في اوساط الجواري وتلبسهن القراطق والخفازين وتلك المناطق فوقها ويخدمونها (٣) كذلك فلما حصلت لمعز الدولة لم يستحسنها فامر بكسرها وصياغتها بمراكب وسيوفاً ومناطق اعجمية فقال لي اجلس واقلمها حتى ننظر كم يجتمع منها وبصاغ قلت لبس معي آلي التي تستعمل فقال انفذ من يحضرها فأنفذت غلامي فأحضر بعض الآلة فما زلت اقلع واغتفل المغني واسرق واجعل ذلك في كي وتحت عمامتي وارمي الى غلامي فاذا حصل معه شيء قلت له هات المبرد (٤) هذا قد كل فامض وجثني بغيره او هات الآلة الفلانية فيمضي وحصل (٥) ماقد سرقناه ويحي بالآلة واسرق واعطيه واطلب آلة أخرى على هذا الى ان جاء المساء فجمع علي المغني تلك المناطق واخذ الوعد علي في الحضور في غد

(١) بالاصل : مولدة . (٢) بالاصل : أخيه .

(٣) الصواب يخدمها . (٤) لعله سقط : الفلاني او الآخر .

(٥) لعله : ويحصل اي يضع في البيت .

ومعي الصنائع وشريكي الموسوم (١) معي بالخدمة في الخزانة فانصرفت فوزنت ما قد حصل عندي وكان اربع مائة وثمانين مثقالاً فقلت اقبالي هذا حبات اليه كرهاً حتى اخذته بعد ان بذلت انت اعطي دينارين جملاً ولا امضي وحدثتهم (٢) بالقصة فلما كان من الغد حضر الصنائع وشريكي وجلسنا نفلك الباقي واحضرنا شيئاً آخر فما استوى لنا ان نسرق الائمة وستين مثقالاً قاسمته عليها وعجبت من رزقي في ذلك .

حدثني ابو الحسن ثابت بن ابراهيم بن هارون (٣) الحراني الصابي الطبيب قال حدثني ابي قال كنت بين يدي الموفق يوماً فقال لي يا ابراهيم انا اشتحي شهوة منذ سنتين وهو ذا استتبع ان اطلبها وقد عن لي الساعة مواضعك على طلبها قال قلت بأمر امير المؤمنين قال ويحك انا والله منذ سنين كثيرة اشتحي كبود الدجاج وقوانصها مطهجة واستتبع ان اطلبها فيظن صاحب المائدة ان نفسي قد تابعته شغماً به عليهم لان رسمهم جار بان يرتفقون (٤) بأخذه ويضعه وأريد اذا قدمت المائدة وجاست معي للاكل ان تشتهي ذلك علي وتشير به من طريق الطب لا تقدم اليهم بالتخاذشي منه بشي يسير فيصير ذلك القدر رسماً في كل يوم لا يؤثر عليهم قدره ويبيعون هم الباقي فانه كبير واكون قد قضيت شهوتي قال فعجبت من كرمه وفرط حيائه من خدمه

(١) لعله : المرسوم . (٢) لعله : ولم أحدث أحداً . (٣) العواب : زهرون

راجع عيون الانباء ١ : ٢٢٢ (٤) العواب : يرتفقوا والضمير للمستخدمين في المطبخ .

حتى يلق الحيلة في الوصول الى شهوته من غير ايجاشهم او تعرض لدمهم وقدمت
المائدة فجلس يأكل عليها وحده وجلست مع الندماء آكل على مائدة بين
يديه فلما أكل بعض أكله قلت له لم لا يأمر امير المؤمنين الناصر بان يتخذ له
شيء يسير في زبديات من كبود الدجاج المسمن وقوانصه بالببيض والمري
فيطحن (١) بعضه فيبولع منه بالشيء اليسير فان في ذلك كذا وكذا واخذت
اصف ما حضر في الوقت ونحن ايضا نشتهي ان نأكل منه فقال يصلح لنا
من غد كذا وكذا زبدية مطحن (٢) وكذا وكذا زبدية من كبود الدجاج
المسمنة وقوانصها فاصلحو ذلك وصار رسمًا جاريًا ولم يفتن احد منهم بما جرى .

* * *

حدثني عبيد الله بن احمد بن بكير قال حدثني ابو جعفر الضبي الفقيه
الحنفي وقد شاهدته انا وكان من شيوخ التجار المستورين فقيهاً يحضر مجلس
ابي للخلاف وينظر ولم اسمع منه هذه الحكاية قال حدثني شيخ من التجار
بسيراف قال كان عندنا نفسان بمشيان في طريق فرأيا صرة فيها دراهم ملقاة
في الطريق فقال احدهما للآخر خذها واحفظها لصاحبها فقال الرجل لا افعل
فقال لكني آخذها واحفظها فان وجدت صاحبها رددتها عليه قال فأخذها
ومشى فاذا برجل يصيح فقالا له مالك فقال صرة صفتها كذا وكذا فيها
دراهم لي سقطت مني الساعة فقال الذي هي معه خذها فانها هذه فسلمها اليه ثم
قال لصاحبه أليس لو كان الناس كلهم على مذهبك في ان لا يحفظوا على

(١) لعله : فيطحن . (٢) لعله : مطحن .

الناس لضاعت اموالهم فقال له الآخر أليس لو كانت الناس كلهم على مذهبي ما ضاعت الصرة ولكانت تبقى في الطريق مكانها حتى يرجع صاحبها فيأخذها .

حدثني ابو الحسين علي بن النظيف المتكلم على مذهب ابي هاشم قال كنت بمجازاً بناحية وردان مما يلي نجستان ومكران وقد كان يسكنها الخليفة من الخوارج وهي بلد لهم ودارهم فانهيت الى قرية لهم وانا عليل فرأيت قراح بطيخ فابتعت واحدة فأكلتها فحمنت في الحار ونمت يومي وبقية ليلتي (١) في قراح البطيخ ما عرض لي احد بشيء وكنت قبل ذلك قد دخلت القرية فرأيت شيخاً خياطاً في مسجد فسالت اليه رزمة ثيابي وقالت له تحفظها لي فقال دعها في المهراب فتركتها ومضيت الى القراح فلما أفتت من الغد عدت الى المسجد فوجدته مفتوحاً ولم أر الخياط ووجدت الرزمة نشرها في المهراب فقلت ما أجمل هذا الخياط ترك ثيابي وحدها وخرج ولم أشك في انه قد حملها بالليل الى بيته وردها من الغد الى المسجد انتظاراً لي فجلست أنفها وأخرج شيئاً شيئاً فاذا بالخياط فقلت له كيف خليت (٢) فقال أفتقدت منها شيئاً ؟ قلت لا فقال ما سوء لك قلت أحبيت ان أعلم (٣) قال تركتها البارحة في موضعها ومضيت الى بيتي فأقبلت أخاصمه وهو يضحك وقال أنتم

(١) لعله : بقية يومي وليلتي . (٢) لعله سقط : هذه الثياب .

(٣) قد سقط شيءٌ معناه : حقيقة الامر .

قد تعودتم اخلاق الارذال ونشأتم في بلاد الكفر التي فيها السرقة والخيانة وهذا لا نعرفه ما علمنا لو بقيت ثيابك مكانها الى ان تبلى ما أخذها احد غيرك ولو مضيت الى المشرق والمغرب ثم عدت لوجدتها مكانها فاننا نحن لا نعرف لصاً ولا فساداً ولا شيئاً مما عندكم ولكن ربما لحقك في السنين الطويلة شيء من هذا فتعلم انه من جهة غريب قد اجتاز بنا فذكر كب ورائه ولا يفوتنا فندركه فنقتله اما نتأول عليه بكفره وسعيه في الارض بالفساد أو نقطعه كما يقطع السراق عندنا من المرافق فلا ترى شيئاً من هذا قال وسألت عن سيرة أهل البلد بعد ذلك فاذا الامر كما ذكره واذا هم لا يغلقون ابوابهم بالليل وليس لاكثرهم ابواب انما هي شرائع (١) ترد الكلاب والوحوش

« للبحث صلة »



(١) الشريعة بالمهملة نوع من الستائر قال في الفرج بعد الشدة (١ : ١٢٥) رأيت شريعة مشوشة ففتحتها ودخلت ودورها كما كانت أو هي الشريعة بالمهجمة وهي باب من قصب يعمل للدكاكين .

آراء وافكار

—(١١)—

«دَر»

كلمة فارسية معناها (باب) وفي اللغة العربية (القديمة والحديثة) عدة كلمات مبدوءة بكلمة (در) مما يدل على أن أصلها انجليزي . من ذلك :

﴿ دَرَبَان ﴾ استعملها العرب بمعنى (البواب) أي حافظ الباب وحارسه وجمعوها على (درابنة) وانشد الجوهري للمثقب العبدى بدف ناقته (كدكان الدرابتة المظنين) .

(دَرَبَنْد) كلمة (بند) من مصدر (بندن) الفارسي ومعناه الربط ومنه البند والبنود لضفائر المرأة والحائل السيف والرايات . ومعنى (دربند) الباب مربوط أي المغلق الموثق فالدربند الباب الذي لا يمكن النفوذ منه بسبب خَلْقِهِ ثم سمي (الدَرَبَنْد) نفسه (دربند) والعامية تسمي خلق الدكان (دروند) بقلب الباء واواً . والعرب يسمون مضيق الجبل (دربند) وهو من الفارسية بالطبع لأن مضائق الجبال يكون فيها خَلْقٌ أو سد من العمد أو الأخشاب أو سد من الخفراء والحراس ومنه مدينة (دربند شروان) ويسمى جغرافيو العرب (باب الأبواب) وهي مدينة على بحر قزوين وراء جبال القفقاس مما يلي بلاد الروس منسوبة إلى (كسرے انوشروان) وكأنها سميت (دربند) لحصانتها أو لما أقيم فيها من الحراس والجنود ومتين الاغلاق .

﴿ درب ﴾ يطلقها المولدون على الطريق السالك ومنه قول ابن الوردي :

(لا تقل قد ذهبت أربابه كل من سار على الدرب وصل)

وأما هي في كلام فصحاء العرب فيراد بها (الباب الكبير) و (المضيق في الجبل) وقد سميت المضائق الواقعة على حدود بلاد الروم لجهة الشام والعراق (دروب) وهي الثغور

أيضاً يُدخل منها الى بلاد الاسلام ويُخرج ويقال أدرب الجند اذا سلكوا تلك الدروب واجتازوها . وتسميتها بذلك قديمة ومنه قول امرئ القيس :

(بكى صاحبي لما رأى الدرب دونه وأيقن أنا لاحقان بقبصرا)

فالدرب كلمة فصحة ولعل فعل (دربه بدربه تدريباً) جاء من الدرب اذ أن التدريب في الاصل ان يعود المرء سلوك الدروب ثم عم كل عمل آخر وسمعت بعض الاساتذة يلفت نظر تلميذه وهو يتحننه الى كلمة (الدرب) في شعر امرئ القيس ويلومه على كونه لم يزيها ولم ينتقدها من جهة انها كلمة عامية مبتذلة وقال الأستاذ كان على امرئ القيس ان يقول (بكى صاحبي لما رأى النهج دونه) فان (النهج) افصح من (الدرب) . ولا أرى الأستاذ على صواب في ما قال : (اولاً) لأن الدرب ان كانت ابتذلت في زماننا فانها لم تكن مبتذلة في الجاهلية . ولكلمات اللغة تاريخ واطوار . و (ثانياً) إن امرأ القيس لم يرد (بالدرب) ما يرده عاتنا من معنى الطريق أو الزقاق وانما أراد الثغور والمضايق المعهودة الواقعة بين بلاد الروم والعرب . فكلمة (الدرب) أو (الدروب) اصبحت اسماً عاماً لا يجوز لامرئ القيس ولا لغيره ان يبدل بها كلمة (نهج) و (مناهج) . و (درب) اعجمية كما قال صاحب المصباح فتكون مضمومة من كلمة (دربد) السابقة فان (الباس الكبير) و (المضيقي في الجبل) و (مدخل بلاد الروم) — كلها أبواب ذات اغلاق وسدود وحراس لا يمكن النفوذ منها . « راجع كتاب (الألفاظ الفارسية المعربة) لمؤلفه السيد ادبي شير الكلداني » .

﴿ درويش ﴾ معروف معناه وهو مركب من (در) بمعنى باب و (ويش) بمعنى أمام قدام فعنى الدروييش في الأصل انه فقير يقف على الأبواب لسؤال الصدقة أو على باب الله يسأل العفو والمغفرة .

﴿ درباس ﴾ هو في لغتنا الدارجة اسم للحديدة تعترض خلف الباب فلا يعود يمكن فقه . والدرباس في فصيح اللغة العربية اسم للأسد وأشد في (العباب) لرؤبة بن العجاج (كأنه ليس عرين درباس) ومن المستبعد أن يكون اسم (درباس) بمعنى الباب مأخوذاً من معنى الأسد العربي والأقرب أن يكون أعجمي الأصل من (در) بمعنى باب و (باس) محرف (باص) من مصدر (باصمق) التركي بمعنى الشد والتضييق والكبس والعصر . ولا جرم أن حديدة الدرباس يُشد بها على الباب فلا يُفتح .

﴿در ایزین﴾ يراد بها اليوم أخشاب بشكل خاص توضع حاجزاً على الدرج او حول السلطوح وهي مركبة من (در) بمعنى باب و (يزین) بمعنى تحت كذا في (كتاب الألفاظ الفارسية العربية) ومعنى (تحت) في الفارسية (خشب) فيكون معنى (در ایزین) باب خشب فلعله كان يطلق في اول استعماله على حاجز خشبي يوضع على الأبواب ثم توسعوا في اطلاقه على المعنى الذي نستعمله فيه اليوم .

﴿در فة﴾ بطلقها عامتنا اليوم على غلق الباب والشباك فهل هي معرفة عن (دبة) تأنيث درب أو مركبة من (در) بمعنى باب وكلمة أخرى مبدوءة بفاء ؟ وقد صرح صاحب التاج ان (در فة) عامية فقد قال (ودر فة البساب مصراعه ولكل باب درفتان هكذا يستعمله العوام) اه .

﴿در سعادت﴾ اسم للقسطنطينية في عهد الاتراك العثمانيين ومعناها باب السعادة . قال شمس الدين سامي وقولهم (در عليه) غلط اه . يريد ان قولهم (در سعادت) يفهم منه معنى (باب السعادة) . اما (در عليه) فلا يصح ان يفهم منه (باب العلية) إذ لا معنى له لكن يقال ان (در عليه) مختصرة مثلاً من (در سعادت عليه) اي باب السعادة العلية .

المغربي

كتاب تذكرة النوادر « من المخطوطات العربية »

— — —

عن جلالة السلطان (مير عثمان علي خان) صاحب حيدر اباد خاطر شريف في نشر العلم فأصدر أمره بتأليف كتاب يحتوي على صفوة المخطوطات العربية النادرة فتلقت جمعية دائرة المعارف أمره بالارتياح ورشحت لهذا العمل (الأستاذ هاشم الندوي) فرحل في نواحي الهند منقبا في بطون الخزان فظفر بصيب وافر مما اراده وسعى اليه واودعه كتابا سماه (تذكرة النوادر) وهو على شكل بديع : يذكر اسم الكتاب برفقه الخاص ثم اسم المؤلف وتاريخ وفاته وذكر شي من مناقبه . ثم يذكر منزلة الكتاب وتاريخ كتابته والخزانة التي عثر عليه فيها . وقد قدم كتب السلف على الخلف . ورتبه على العلوم بحسب خطورة أمرها فابتدأ بالقرآن ثم بالحديث الخ . وأول كتاب ذكره هو كتاب (إعراب القرآن لأبي عبيدة المتوفى سنة ٢١٠ هـ) وآخر كتاب ختم به كتاب (الكمالات الأتمية في الصفات الحميدة) للشيخ عبد الكريم الجيلي .

انتهى ملخصاً من مقال نشر في مجلة (الضياء) الهندية جزئها الخامس بقلم الأستاذ تقي الدين الهلالي وقد ختم الكاتب مقاله ببيان رأيه في الكتاب : من ذلك انه كان على المؤلف ان يذكر حجم كل كتاب وعدد اجزائه ليعرف الأمر من يريد استنساخه وليعرف ان كان الكتاب مطولاً أو متوسطاً أو مختصراً . وقال أن من رأيه ان يضرب الصغ عن ذكر ما لا قيمة له من مصنفات المتأخرين — وقال قد فات مصنف الكتاب ذكر كتب نادرة في اقطار العالم الاسلامي ولا سيما المغربين الأدنى والأقصى .

(المجمع) لم يجيبنا نقد الأستاذ (الهلالي) للأستاذ (الندوي) فيما يتعلق باعماله نوادر الكتب في الأقطار الاسلامية . فان هذا غير مستطاع وان استطاعه المؤلف فانه يعوزه مراجعات ومراسلات ونفقات وغير ذلك مما يثبطهم عن إنجاز المشروعات وانما كل ما نريده من الأستاذ الندوي ان ينشر لنا أخبار المخطوطات الهندية . واما الأقطار

لا تُخْرِى فلها علماء ينقبون عنها أو عليهم أن ينقبوا ثم ينشروا خبرها فالشكر للفاضل
الندوي .

وفي مجلة (الضياء) ايضاً أن (حكومة الأيالات المتحدة) في الهند نشرت تقريراً
عن المطبوعات التي طبعت في السنة الأخيرة (في الهند بالطبع) وقد جاء فيه ذكر الكتب
والصحف التي نشرت في مختلف اللغات فكانت الكتب الهندية (٢٠٥٨) والأوردية
(٥٦٠) والانكليزية (٣٠١) والسانسكريتية (١٣٠) وغير ذلك من البنغالية والكجراتية
والفارسية التي لم ينشر فيها الا تسعة كتب فقط اما لغة القرآن العربية فقد كسدت سوقها
هذه الديار على ما يظهر والصحف التي نشرت باللغة الهندية (٣٥٣) والأوردية (٢٢٥)
والانكليزية (٨٤) .



من نوادر المخطوطات
« في دار الكتب الظاهرية »

— V —

(ازهار الرياض في اخبار القاضي عياض) : تأليف أبي العباس أحمد بن محمد التلمساني المعروف بالمقري المتوفى سنة ١٠٤١ هـ في القاهرة وهو صاحب نصح الطيب . أوله : الحمد لله الذي اعلى مراتب العلماء الاعلام الخ . نسخة في ٦٤٤ صفحة كبيرة بخط محمد الخضر بن [رقم ٨٣٠ التاريخ]

(غريب القرآن) — تأليف عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري المتوفى سنة ٢٧٦ أوله : بركة الله فتمت كتابنا هذا ونذكر اسماء الله الحسنى وصفاته الخ . وهو مرتب على سور القرآن . نسخة في ٢٩٠ صفحة صغير تنتهي الى سورة اذا الشمس كورت . كتب بخط نسخ ومضبوط بالشكل يرجع الى القرن السادس [رقم ٣٣ اللغة] .

(صفوة الصفوة) : تأليف جمال الدين أبي الفرج عبد الرحمن بن أبي الحسن المعروف بابن الجوزي البغدادى المولود سنة ٥٠٨ المتوفى ٥٩٧ ببغداد . اختصرها من كتاب حلية الأولياء لابي نعم فبدأ بالحرمين الشريفين ثم عاد الى بغداد فجعلها مركزاً فذكر ما كان في شرقها من البلاد ولما انتهى منها ذكر ما كان في غربها من البلاد وختم الكتاب بعباد الجن مرتبة على الطبقات . الموجود منها نسخة في اربع مجلدات ملفقة من خطوط مختلفة ومن نسخ مختلفة ومن هذه المجلدات تتألف نسخة فيها أكثر الكتاب أوله : الحمد لله الذي يعلم ما ظهر وما خفى وما تكدر وما صفى الخ [رقم ٦٢ — ٧٠ التاريخ] .

(طبقات الحنابلة) : (١) تأليف أبي الحسين محمد بن محمد بن الحسين أبي يعلى الحنبلي الفراء الشهير سنة ٥١٦ . أوله : الحمد لله العلي العظيم السميع البصير ذي الفضل الواسع (١) اختصار شمس الدين بن عبد الله محمد بن عبد القادر النابلسي المتوفى سنة ٧٩٧ هـ

طبع بمعرفة السيد أحمد عبيد سنة ١٣٥٠ هـ .

والمنن التوابع والنعم السوابغ الخ . ورتبها على ترتيب الطبقات الأولى والثانية على حروف المعجم وما بعدهما على تقديم العمر والوفاة انتهى فيها الى سنة ٥٦٥ هـ . نسخة في ٦٤٠ صفحة كبيرة كتبت بخط نسخ سنة ٨٣٥ هـ [رقم التاريخ] .

(المفاصلة بين الصحابة رضي الله عنهم) تأليف محمد علي بن محمد بن سعيد المعروف بابن حزم الأندلسي صاحب الملل والنحل وغيرها من المؤلفات المتوفى سنة ٤٥٦ هـ وهي رسالة في ٨٠ صفحة صغيرة كتبت بخط نسخ سنة ٨٧٥ هـ . [رقم الآداب المنشورة] .

(ثمار المقاصد في ذكر المساجد) تأليف يوسف بن حسن بن عبد الهادي الحنبلي الدمشقي المتوفى سنة ٩٠٩ هـ نسخة في ٢١٠ صفحات صغيرة بخط المؤلف [رقم الآداب] .

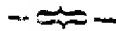
(سفر السعادة وسفير الافادة) تأليف ابي الحسن علي بن محمد السخاوي المتوفى سنة ٦٤٣ هـ . أوله : باسم الله الذي باسمه تفتتح الاوائل الخ . الموجود منه جزآن في مجلد واحد عدد صفحاته ٣٢٠ بخط عبد الملك بن يوسف سنة ٦٣٧ هـ [رقم الآداب] .

(شرح مقصورة ابن دريد المشهورة) تأليف ابي عبد الله محمد بن احمد بن هشام الطلمي المتوفى سنة ٥٥٧ هـ نسخة في ٢٨٠ صفحة صغيرة كتبت بخط نسخ سنة ١٠٣٠ هـ [رقم الآداب] .

حسني الكسم

رحلة الى القاهرة

(١٩٣١م - ١٩٣٢م)



اذا ركب قطار السكة الحجازية في محطة القنوت بدمشق فانطلق بك صاحباً
ينساب بين حدائق الغوطة الغناء تحت باسقات الادواح وبين قصيرات الحببات وطوبلات
الأنجم وخلال مخضرات البقول على انواعها ، سيراً مع نفي بردي وسواقيه التي لا تنحصر ،
وقد أدت تباشير الربيع بتفتق البراعم والعيون عن افانين الزهر ونغضى الورق ، وبدت
عن يمينك بلاس وداريا وغيرهما من القرى فذكرتك بقول المتنبي:

ونعم الدار داريا ففيها صفالي العيش تلحني والحياة الطرفة
ولي في باب جبرون طبابة اعاطبها البري طبابة كملطيفة
صفت دنيا دمشق لمصطفيا فلست اريد غير كذا في دنيا

ثم طلع بك الجبل المانع وهو يلمت تمبا فاستقبلتك الحباة بجريته السوداء ، فطواها على
عجل الى حوران حيث تذكر قول جرير في صفاتها :

هبت شمالاً فذكرى ما ذكرتك عند الصفاة التي شرقي حوران
هل يرجعن ، وليس الدهر مرتجعاً ، عيش بها طال ما حلولى ومالانا

حق اذا بلغ بك وادي البرموك فانحدر فيه قلقاً حذراً يثد في سيره ، وانت تذكر
روعة التاريخ في وقعة ذلك الوادي الشهير ، وتتمع ناظريك بأزهاره الفتانة التي تنبت
الطبيعة على انواع واصناف لاتعد ، ثم استقبلك نهر الأردن وبدت امامك بحيرة طبريا
فقف هنالك واذكر دمشق وقل مع البيهقي :

(١) محاضرة القاها الأمير مصطفى الشهابي في ردهة المجمع العلمي العربي في ٦ تشرين

الثاني « نوفمبر » سنة ١٩٣١

م : هـ

ما ذا بقلبي من دوام الخلق اذا رأيت لمعات البرق
من قبل الأردن او دمشق لأن من اهوى بذلك الأفق
ذاك الدسي يملك مني رقي ولست ابغي ما حبيت عتقي

وتبدو لك بعد قليل بيوت بيسان واشجارها وهي تنظر من عل الى غور الأردن كأنها
تدفع عنه صروف الدهر ، ومن الهيب انك لا تشاهد حولها كرمًا مع ان خمورها كانت
مضرب الأمثال فيامضى ، ولا ازال اذكر البيت الذي قاله عبدالرحمن بن سيجان بن أرملة
في سبيته بيسان اي خمرها وهو :

سبيته من قرى بيروت صافية عذراء اوسدت من ارض بيسان
وليس في مرج ابن عامر ما يلفت نظرك سوى كثرة الصبوينيين فيه ، وفي السهول
التي تقطعها في اليوم الثاني الواقعة جنوبي حيفا الا طول كرم وفلقيلة ورملة ولدت فانها حمت
نفسها منهم ولا يزال يصح فيها قول كثير :

حما منزل الأملاك من مرج راهط ورملة لدت اب تباح سهولها
وكأنني بك ذاكر قبيل الغروب وقد بلغ بك القطار غرة قول الامام الشافعي فيها :
واني لمشاقي الى ارض غرة وان خافني بعد التفرق كتمانني
سقى الله ارضاً لو ظفرت بترها كملت به من شدة الشوق اجفاني
ومنى ارضي الليل سدوله رأيت القطار بضرب من فيه صحراء التيه دون اب يتيه ،
لأن السكة امامه ممدودة تتلوى كالأرقط وهو كما قال حافظ : حديد ينساب فوق
حديد ، فلا خوف في دخوله التيه ، ان يفل كما ضل قوم موسى او يجازف بجازفة المتنبي
في قوله :

ضربت بها التيه ضرب القمار اما فلذا واما لذا

واذا ماجزت قناة السويس في المنتطرة وركبت قطار مصر فانطلق بك في دساكر
القطر ومستغلاته ، فلا تعلم بان تمتع نظرك في الليل البهيم الا بمصاييح البلدان والمدن التي
يمر بها القطار حينئذ ، او يقف بها هذبة وقفة القلق الذي لم يبلغ الغاية في سيره ، حتى اذا
بدت لك مصابيح القاهرة المشرقة حق عليك ان تحيي مصر بصرخة شبيهة بالتي خرجت من
فؤاد الشاعر الياس فياض :

سلام على مصر ولو عشت ادمراً لما كنت الا طول عمري مسلماً
 على موطن لو خير المرء موطناً من الارض لم يحتراير واكرما
 سرت في اهاليه عذوبة نيله وسال فما ان تعرف الماء منها
 ولا تخبين بعد خروجك من المحطة ليلاً لوفرة الأنوار المتألقة في ساحتها ، وفي شارع
 المملكة نازلي الطويل البديع ، ولا لروعة تلال نهضة مصر الذي يجب ان توجيهه تجمية من
 يعشق الحرية اينما كانت ، فكيف في عاصمة الفاطميين والأبويين ، ولا لازدحام السيارات
 والهجلات ومضامة الابنية ، وكثرة المارة ، ونظافة ارض الشوارع المعقولة صفلاً ، فأنت
 في مدينة ادرية في عظمتها ، شرقية في روعتها ، وهذا المزيج هو مما يستغنىك ويستمر عليك ،
 فلست في الاسكندرية ولا في بورسعيد حيث رطانات الاجانب بمختلف الألسن الأعجمية ،
 يجعلك تفتي ان تهم اذنك الى حين ، وحيث يظهر هؤلاء امامك بمظاهر تود معها لو كان
 لك عيننا المعري ريثما تنسل من بينهم بسرعة الكهرياء .

انك اينما سرت في القاهرة تجد شوارع نظيفة واسعة ، وابنية كبيرة شاذقة ، وحدائق
 مزدانة باجل اشجار البلاد الحارة ، وتجد ايضاً جوامع قديمة وحديثة ، وقصوراً مبنية على
 الطراز العربي تأخذ نقوشها وزخارفها وتطاريها بمجامع القلوب . لحدائق الأزبكية
 والبنات ، والقناطر الخيرية والحيوانات ، والأسمك والمعاديب وغيرها وهي كثر ، ثم
 جوامع السلطان حسن والرفاعي وابن طولون وسيدنا الحسين والأزهر ومحمد علي وعشرات
 غيرها من آيات الفن المنبثة في انحاء المدينة كلها ، تجعلك على الاعتقاد بأن القاهرة هي
 اروع مدينة لافي الشرق العربي وحده بل في الشرق الأدنى بلا جدال . واجل من المدينة
 سكانها فأنت لا ترتطم فيها بعدد كبير من صلفاء الأجانب ، بل الجمهور الذي تقع عليه
 عينك احد اثنين مصرعي اسمر بشوش مرح محتفظ بطربوشه القصير ، ارمصرية سمراء
 كحلاء هيفاء في الغالب لفاء في الأقل ، تحتال في الحرير الأسود صافرة الوجه اومسجلة
 عليه تقاباً أرقى من دين صاحب البيت الآتي في الخمرة وهو ابو نواس .
 عتقت في الدن حتى هي في رقة ديني

نعم لقد رقت النقب على وجه السيدات المصريات حتى طار نصفها لدى نهمهن ، واوشك
 النصف الثاني ان يلحق بأخيه ، وصرت ترى السيدة المصرية تجلس بجانب الرجل في

بجالس الأدب ، واهباء المحاضرات والحدائق والمسارح وغيرها دون ان يعد ذلك منها خروجاً على المؤلف من العادات . وولدت المدنية الاوربية هذه احال تدريجياً فالمرأة المصرية اسلم فيها عاقبة من المرأة التركية التي حملوها قسراً على أخبت ما في السفور من أمور مستقيمة . ومن المعروف ان القروبيا في مصر كالقروبيا في الشام لا يتخذن النقاب على أوجهن . وأنت اذا أردت شهباً لصور المصريات في المتاحف وعلى الستائر ، بقدودهن الحيف ، وعيونهن السود التي يشبهونها بفلقة الاوزة ، وما أوجدته الطبيعة في الأهداب من كثافة وكل ، وفي الحواجب من استقامة وقصر ، الى غير ذلك من الصفات التي تلفت نظرك في صور المرأة المصرية القديمة ، فانك واجد هذا الشبه في فتيات القرى المصرية لا فتيات المدن .

ومنى رحت تبحث في القاهرة عن كل ما يجب عليك ان تراه وتدرس بامعان كل ما يحتاج اليه درس حق عليك ان تسلمح فيها اشهرأ بل سنوات . ولو جشمت نفسك التأليف في ذلك لما خرجت بسفر بل بأسفار . وبعد فماذا تراني محدثك عما شاهدته فيها خلال أيام معدودات ، أذكر دار الآثار المصرية ، وفيها تتجلى عظمة المصريين الأقدمين فيما خلفوه من هياكل وتمائيل ونصب مصنوعة من الحجر الصلد ، واثاث ورياش وحلي مذهبة ، قرأتم عنها فيما كتب عن توت غنخ آمون خاصة الى غير ذلك مما يجعل تلك الدار لا تقل في عظمتها وغناها عما شاهدناه في اكبر المتاحف الأوربية . أم أذكر دار الآثار العربية وهي ان لم تستر دهشتك من حيث عظمة ما فيها من مخلفات الأجداد فتنتك بما تحويه من دقيق النقش والوشي والزخرف واعادت الى نفسك ذكر روعة الممالك العربية في إبانها . أم أتحدث عن اهرام الجيزة وسقارة وابوصير وغيرها . أو اكنني بهرم خوفو الأكبر في الجيزة وهو من اقدم ما بنته يد الانسان ، رسا اصله على ٢٣٣ متراً من الأرض ، وعلا جرمه فوقها حتى بلغ ١٤٧ متراً . وهناك يربض ابو الهول الجبار الذي هنأ بالدهر كاهنهم ، وصارع احدائه مثله ، حتى ناجاه امير الشعراء بقوله :

ابا الهول طال عليك العصر وبلغت في الأرض اقصى العمر

فيا لدة الدهر لا الدهر شب ولا انت جاوزت حد الصغر

ومنى ذكر ابو الهول وجب ان يتصور الانسان اسداً رابضاً من حجر طوله ٥٧ متراً

وعطوه ٢٠ متراً وله رأس آدمي تبلغ أذنه ١٠٣٧ متر ويبلغ فيه ٢٦٣٢ متر ولو وقف رجل على فرع أذنه ومد يده لما بلغت قمة رأسه . أم انتقل بك طغراً إلى مصر الجديدة حيث ترى الآيات البينات في بناء المدن الحديثة ، من قصور شاهقة ، وشوارع نظيفة واسعة ، وحدائق هي بهجة للناظرين . ولو شاهدت أجمل الأحياء في المدن الأوروبية لما تركت في نفسك أثراً يفوق الأثر الذي تطبعه فيها رؤية مصر الجديدة . أم اسير بك إلى حي الزيتون والمطرية وواحة عين شمس فتتذكر هنالك قول أمير الشعراء في قصيدته « المطرية تتكلم » .

لولا حلى زيتوني النضر ما أقسم بالزيتون رب العباد
الواحة الزهراء ذات الغنى تربى التي ما مثلها في البلاد
تربك بالصبح وحنج الدجى بدور حسن وشموس افتاد

وبين الزيتون وواحة عين شمس ترعى بيت الامام محمد عبده رحمه الله وقد أوشك يتداعى فتنبض لذلك نفسك وتود لو ان الحكومة المصرية على غناها رجمته وجماعته بيتاً من بيوت الأمة يحجج اليه أبناء الشرق العربي كافة . وكنت ادليت بهذا الرأي الى معالي وزير الزراعة حافظ حسن باشا فاستصوبه .

أم نصد الى القلعة التي كان أمر بنائها السلطان صلاح الدين يوسف بن ايوب على أحد منحدرات المقطم ، فخطى بمنظر لا تقع العين على أجمل منه لبوت القاهرة الجميلة ، وجوامع البسارزة ، وماذن الشاهقة ، وقبابها المكروبة ، وجنائها الفردوسية ، ونيلها الهادي ، تنساب مياهه بجلال وعظمة . وهنالك ندخل قصر محمد علي الكبير فتتذكر أيامه الغراء وإيقاعه بظلام الممالك ، واستئصاله شأفتهم . وندخل الجامع الذي بناه ذلك الرجل العظيم ، وأتمه الخديوي سعيد باشا على طراز جامع نور عثمانية في فروع ، بقبته البيزنطية العظيمة وماذنه الرشيقة العالية ، فنجي فيه ضريح مؤسس النهضة الحديثة باحترام وخشوع . أم نمتطي السيارة فنطلقها شمالاً الى شبرا فالقناطر الخيرية حيث نشاهد ذلك السد العظيم الذي بدأ به محمد علي ، فأقامه في وجه النيل وأتمه بعده خلفاؤه ، وحيث تقع العين في الجزيرة التي ولستها الترع على حديقة غناء من أجمل حدائق العالم تتسابق فيها بالجمال اشجار الفصيلة الصنوبرية ، وهن ملوك دوحة النبات واشجار الفصيلة النخيلية وهن أمراؤها ، دع أنواع السنط والجيز ومختلف الأزهار . وأعجب لأرض الحديقة كيف

اوجدوا فيها تلك المنعطفات والمخدرات والتلال الصناعية وكيف زينوها بتزاويق الزهر
وتعاريجه . فاذا ما اضفت الى خضرة الحديقة وزرقة النيل حمرة وجوه الحسان المرحات
فانت اذن في الجنة التي فضلها أمير الشعراء علي جنة الخلد عند ما هتف بسينيته المشهورة
في الأندلس :

وطني لو شغلت بالخلد عنه نازعتني اليه بالخلد نفسي

أم نيم الجنوب في القطار الى حلوان بلدة عبد العزيز بن مروان ، فتعبد الى الخاطر
ما كان بنى الأمير فيها من دور وقصور وما زرع من بساتين وكروم ، ثم نزور حمامها
الكبرى في الشهير فنرى بناء عريماً ضخماً بنته الحكومة يحتموي على عشرات من الغرف
والمقاصير النظيفة فيها مغاطس تملأ بالمياه الكبريتية أو المياه العادية وتؤذفات للجهاز أو
للدهاء الحار . وكأني أراك أمام هذه الوسائل الحديثة ذا كراً حالة حماماتنا الكبريتية في
طبريا والحمة وضمير والسخنة وتدسر وغيرها ، وهي كما اوجدتها الطبيعة لم تعمل بها يد انسان ،
ولم ينفق فيها دافق واحد .

أم ترانا نترك البلد الى حين فنفلت بضع ليال في شارع عماد الدين ، وما عهدنا
عماد الدين الكاتب الذي جعله صلاح الدين في خاصته ، اخالهو وطرب بل عهدناه على
حد وصف الجاحظ لأمثاله « الف تفكير وتنقير ودراسة كتب وحلف تبين » . ولو لم
يكن كذلك لما الف « خريدة القصر وجريدة العصر » في عشر مجلدات ، والبرق الشامي
وهو سبع مجلدات في التسارنج ، ودويان شعر ودويان رسائل وغيرها . فاذا صحت نسبة
الشارع المذكور اليه « ولست اعلم عماداً للدين غيره نفع فيه هذه النسبة » كان من عبث
الدهر وهزله ان تجتمع انواع الملاهي في شارع حى صار يعرف بها وصارت تعرف به .
فهناك تشاهد يوسف وهي اشهر ممثل انجته مصر ومسرحه يعرف بالجد سواء من حيث
التمثيل أم من حيث الآداب التي يشترط على المتفرجين ان يتقوها بها . فانت لا تجد هنالك
اخلاقاً بالمواعيد أو فقهة أو مسامرة أو شرب ماء أو تدخين تبغ اثناء قيام الممثلين بعملهم .
ومن فرغ المثلون من تمثيل احد الفصول جعلوا لك بينه وبين اخيه وقتاً تدخل فيه بهواً
واسعاً فتأكل وتشرب وتدخن وتطلق لسانك العنان . ويكاد يكون مسرح فاطمة
رشدي تمهيداً بالصفات المذكورة . وهو يتناز بصاحبه التي تحملت برشاقة القند وجمال

الصورة وجودة التمثيل ، فكانت أشهر ممثلات مصر على الإطلاق . ولقد أبدعت في رواية
مجنون ليل تلك الرواية التي تعد من فرائد شوقي شاعر العرب الأكبر ، كما أبدع رفيقها
أحمد علام . ولا شك أن التمثيل العربي في مصر لم يبلغ بعد مستوى التمثيل في دار الأوبرا
الملكية حيث تمثل فرق اجنبية غالباً ، وهو لا يزال بعيداً عما شاهدناه من الروايات في
أوربة . ولكن القصور على ما أرى ليس في غواة التمثيل المصريين ، ولا في وثافي الروايات
التمثيلية بل في ضيق ذات يدهم جميعاً . فلو مدتهم الحكومة بالمال الكافي لبرهن كل منهم
على أنه أخو عبقر في عمله ، ولنهضوا بالتمثيل العربي الى المستوى الذي تنوق اليه .

وفي ذلك الشارع نسمع صوت عبد الوهاب يزبته نغنين صاحب الصوت بالغناء وانتقاؤه
قصائد شوقي المتينة الحلوكة والجميلة المعنى ، ولو أعطيت أم كلثوم صناعة عبد الوهاب ثم لو
انتقت على الأقل قصائدها الغزلية من نظم غول الشعراء المتقدمين أو المتأخرين لبافت
سدره المنتهى ، ولضاعف تأثير صوتها العذب الذي ما حاكاه صوت رجل أو امرأة في
البلاد العربية على ما نعلم . ولا شك أن لحوكه القصائد ومغانيها تأثيراً كبيراً في نفس
السمتعين فستان من حيث السبك والمعنى ما بين قولك :

معي يا جميل الهيا أدرى رضاك وبذهب عنا الغضب
واني محب كما قد عهدت ولكن حبك شيء عجب

وبين قول الثاني :

ليلى تردد في سمعي وفي خلدي كما تردد في الأبك الأغر يد

أغير ليلاي نادوا أم بها هتفوا فداء ليلى الليالي الخرد الغيد

والقصيدتان أصحهما أشهر من نار على علم ، إلا أني تنشدها أم كلثوم والثانية عبد الوهاب .
وأما من حيث الفن فلا يزال ينقصنا الشيء الكثير من التنويع والتشكيل والمفاجآت فقد
مللنا من الانعام الحزنة وما فيها من نواح وعويل . ولست أقصد بذلك تقليد الفرقة بانغام
باردة كالتي أخذ بعضهم يلغونها في هذه الأيام ليست بشرقية ولا غربية وهي جذيرة
بشعب مائلة الأذن فهماً وسماجة . وبعد هذا ماذا تراك ملاقياً في شارع عماد الدين ؟ انك
ملاق في ممثلين للروايات الهزلية ودوراً للروايات السينمائية وفراقاً للرائع والخلاعة مما يجعل
عماد الدين الكاتب رحمه الله يفتنى لو كان سحبي بأي اسم آخر أو لو أنه لم يه الذين أحبوا

تخليد اسمه فخلدوه في غير هذا الشارع .

ولنعد بعد هذه الجولات الليلية الى حياة الجدد في النهار ، ولنزر على عجل ما يتاح لنا زيارته زكناً في ايامنا المعدودات . ولنبدأ بدار الكتب المصرية فهناك يلقاك مديرها العالم اسعد بك برادة بوجهه البشوش ويعرفك ببعض مساعديه ، وكل منهم استاذ فاضل بحاث عن الكتب ، تقار خلال سطورها ، يدرك منها بالعين المجردة ما لا يراه غيره بالجهر . والله ما حوته تلك الدار من نفائس الرقوق والمصاحف القديمة وغالي المخطوطات والكتب فانها ثروة في البلاد اي ثروة ، واعجب لجهود الدين بطبعون الكتب الادبية في معاينة تلك الدار فيخرجونها في تلك الحلال القشبية التي اكتسب بها كتاب الأغاني وكتاب الأصنام ودبوان مهبّار البليبي وعيون الأخبار للدبنوري ونماية الأرب في فنون الأدب للنويري وأشباهها .

وهل يجوز ان نعود من مصر دون ان نزر رجال الأدب والصحافة فيها ولا سيما الشاميين منهم وهم في ذلك البلد قوة يسب لها الف حساب . خدموا اللغة العربية بجهودهم وأناروا الأذهان بنتوجات عقولهم ، وما برحوا الى اليوم قابضين على أم الصحف اما مالكيها لها أو كتاباً فيها^(١) . وبأي يجب ان تبدأ ، وأي صحيفة أحق بالاكبار من المتقطف شحنة مجلاتنا العلمية ورأسهن ، وأي ذكرى في عالم الصحافة العربية أحق بالتخليد من ذكرى العلامة الفقيه الدكتور يعقوب صروف وهو من لم يجاره احد قبل مماته ولا بعده بسلاسة لغته العلمية وصحتها ، وسلسلة الأبحاث فيها ، حتى أصبح جميع الكتاب الذين يقام لقولهم وزن يزمون بان العلوم الطبيعية خاصة لم تكتب بقلم أصلي من قلم الدكتور يعقوب . ولئن حالت الأقدار دين رؤية الفقيه فقد متعتك بخليفته فؤاد صروف وهو يبدو لك شاباً في رزانة الشيوخ وحكمة أصحاب السياسة والادارة ، ليس له بساطة العلماء واسترسالهم في الأحاديث ، وان كان منهم بل تراه يزن كلامه كما يزن بعينه مخاطبه . وقد دل حتى اليوم على انه جدير بأن يقوم بمحمل المتقطف الثقيل خير قيام .

ونجد في تلك الدار دار المقطف والمقطم ذلك الشيخ الجميل والسياسي الاقتصادي

(١) من البديهي أننا لم نعرض للذهب السياسي الذي دان به كل رجل من رجال الأدب والصحافة الذين تناولناهم في بحثنا هذا .

المحك الدكتور فارس نمر الذي له علينا حق المواطن على ابن بلده (حاصبيا) وحق الصحافي القديم الذي ما برحت صحيفته تسير على وتيرة واحدة منذ نصف قرن تقريباً . وهناك أيضاً خليل ثابت بك رئيس تحرير المقطم ولولها الذي يسيرها بحمكته المعروفة على الخطبة التي رسمت لها .

وإذا ما انتقلنا الى دار «الاهرام» وهي أقدم الصحف اليومية الحاضرة ، دهشنا لعظمة ذلك البناء ، وظلنا أنفسنا في احدي دور الصحف الاوربية الكبرى . وهناك وجدنا شخصيتين بارزتين مشهورتين في عالم الادب والصحافة اولاهما شخصية الاستاذ داود بركات رئيس تحرير «الاهرام» بل قلبها الخفاق وصر الحياة فيها ، وهو يشجيك بدعائه وقرط ذكائه ووفرة نكاته التي يأخذ بعضها برفاق بعض . ولم اجد اقدر منه على القيام باعمال مختلفة في آن واحد . فقد كان في مكتبه يقص علينا من نكاته العذبة ، وينظر في قصيدة يمض بها احد الشعراء ، ويصحح عدة اخبار قبل نشرها ، ويتلقى وصفاً لأحدى الحفلات ، كل ذلك في آن واحد وبسرعة البرق ، وبدون ان يمل احد او يهضم حق احد ، حتى قلت لنفسي اذا كانت قوة المرء على تدوير دولاب الأعمال الصحافية تقاس بمدد الأحصنة فإن ما في دماغ الاستاذ بركات من قوة يساوي الف حصان على الأقل . . .

أما الشخصية الثانية في «الاهرام» فهي شخصية الكاتب الفذ والوطني الصادق الوطنية الأستاذ اسعد داغر وقد وجدناه على ما عرفناه منذ اثنتي عشرة سنة في دمشق لم يبدل ادنى شيء في مبدئه ومشربه . وأما دار «الهلل» فلم تعد داراً لمجلة الهلال وحدها كما تركها المؤرخ الشهير الذي خدم قراء العربية اجل خدمة المرحوم جرجي زيدان صاحب تاريخ التمدد الاسلامي وتاريخ آداب اللغة العربية وتاريخ العرب قبل الاسلام وروايات زيدان التاريخية الخ بل قام ابتداءً من بعده بعمل كبير فأصدروا مجلات «المصور» و«كل شيء» و«الحياة المصورة» و«الفكاهة» بالعربية وليزيماج (Les images) بالفرنسية حتى صرنا نجد سيف تلك المجلات رسوماً جميلة للحوادث السياسية والاجتماعية وللكائنات الغريبة مما لا عهد لقراء العربية به من قبل . وقد فقدت الهلال بعد مؤسسها مادتها التاريخية لكنها اعتاضت بها مقالات أدبية لعدد من ادباء اليوم كما ازدادت رونقاً وبهاءً بما ذكرنا فصارت مجلة طبقة من الشعب أكثر عدداً من التي كانت تقرأها فيما مضى

ذلك انه اذا شدا المرء شيئاً من مبادئ العلوم في مدارس التجهيز ودور المعلمين والمدارس الأهلية والأجنبية لذت له قراءة مجلات دار الهلال واستفاد مما فيها من معلومات ومتعة نظره بصورها وتفكه بما حوته من نكات مستلحة واحاديث لذيذة . أما اذا حملته على قراءة المقتطف بما فيها من مواد علمية جافة فسرعان ما يمل منها لأن تلك المجلة ليست مثله بل هي لمن زادت معارفهم على معارفه . ولما كانت عدد خريجي مدارس التجهيز وخريجي المدارس العالية محدوداً اذا قيس بسواد المعلمين كان قراء مجلات دارالهلال اكبر عدداً من قراء المقتطف . وانت ترى ان كلاً من مجموعة دارالهلال ومجلة المقتطف ضرورية لقرائها .

ومن الشاميين الأحمس الأستاذ محمد علي الطاهر صاحب جريدة «الشورى» المعروفة ببلاتها في سبيل القضية العربية ومن الأدباء الذين يعمل واحد منهم على الجامعة صديقنا الأستاذ محب الدين الخطيب صاحب مجلات «الزهراء» و «الفتح» الذي يصحح وطبع «ادب الكاتب» لابن قتيبة و «البيان والتبيين» للجاحظ و «خزانة الأدب» للبغدادى . وقد بدأ أخيراً بحجم لسان العرب فطبع جزءه الأول وهو مشاير على تنقيح اجزائه السائرة وطبعها . وله على الاشتغال باللغة وآدابها مهمة لا تحاكيها الاهمة الجبارة .

ومنهم شاعر دمشق الأكبر خير الدين الزركلي صاحب قاموس الأعلام في تراجم اشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين في الجاهلية والاسلام والعصر الحاضر وهو سفر ثمين سيف ثلاثة اجزاء . ومن الغريب ان عيني لم تكد تقع على عينه حتى تذكرت قصيدته التي يحن بها الى الشام حنين الشكلى الموجه الى فقيدها تلك القصيدة التي بكيت عند ما تلوتها منذ بضع سنوات ومطلعها :

العين بعد فراقها الوطن لا ساكننا ألفت ولا سكننا

وهو يختمها بقوله :

ان الغريب معذب ابدآ ان حل لم ينعم وان ظلمنا

لو مثلوا لي موطني وثناً لعممت أعبد ذلك الوثناً

رده الله الى دمشق لئلا نسمعنا صداحه الفتان في بردى والربوة والتيربين ودمر وجيرون والغرطة فكلمها له مشتاقه .

ومن الذين لم شخصيتان بارزتان الأولى علمية والثانية سياسية العلامة الدكتور شهبندر فقد ألفت جميع العلماء المصريين والشاميين يحترمون فيه غزارة المادة العلمية ولا اظن احداً غيره جمع هاتين الشخصيتين بجلي بها الا العلامة الأمير شكيب ارسلاف وهو الذي لا يضاهيه احد بين كتاب العربية بكثرة منتوجات قلته ، حتى ان الانسان ليجار كيف يجد الأمير متسعاً من الوقت لكل ما يتخطه انامله ، ويسيل به دماغه على القراطيس .

اما الآنسة التي اختارت لنفسها اسم «مي» (والله ما أعزبه اسم) فهي كبيرة أدبيات العربية في يومنا هذا بلامنازع . زرتها مع صديقي العلامة امين باشا المعلوف صاحب معهم الحيوان بعدان تلطفت واجتمعت لي مع رهنط من العلماء والادباء في فندق «كولتنتال» فاذا بي في دارها كأني في هيكل الأدب الأسمي وقدس النبوغ والعبرية . واذا باحاديثها تنم على أدق ماثلها مشاعر الانسان وقد خيل لي اني في حفرة احدى سيدات الملأ الاعلى اللواتي كنت أقرأ عنهن في كتب كبار الأدباء الفرنسيين . وما كدنا نودعها ونخرج حتى ابتدرني الصديق الأمين قائلاً : «انها شيفة» فقلت صدقت يا باشا وماذا أخافك منها قال حدة ذكائها ووفرة معلوماتها الأدبية ، قلت اما انا ففرط احساسها لدقائق الحديث حتى كدت أرى نفسي غير قادر على مجاراتها فيه .

ومن الكتاب الشاميين الذين يكتبون في الصحف المصرية الاستاذ سامي السراج والاستاذ توفيق اليازجي وهما من فحول الكتاب الصحفيين ولم يفي الجرائد المصرية تأثير أي تأثير ومنهم الكاتب نجيب شاهين والكاتب حنا خباز وكلاهما مجيد وقد اشتهر الدكتور شخاشيري بما يكتبه في المقتطف من الفصول الطيبة الطلية . كما اشتهر الاستاذ نسيم صبيحة بمقالاته السياسية والاقتصادية عن الشام . ولم أر من يعالج قضية البلاد بمثل قلته وخبرته وحفظه للوقائع والحوادث .

وهناك ترى خليل طمران شاعر القطرين بل شاعر الحياة والحقيقة واخيل معاً الذي قال فيه أخي الشهيد عارف الشهابي في تذكرته منذ ٢٤ سنة «نم ان شعره شعر المستقبل الذي ستزدهر فيه آداب اللغة العربية . ولقد كسر الشاعر قيود التكلف وهدم صروح التقليد واندفع بمامل الشعور والاحساس فهتف بماهتف وكان هتافه شعراً . ولولم يكن من فضائل دهبان اخليل سوى خلوه من المجهول والمدحج (عدا قصيدة أو قصيدتين) لكنني» انتهى .

هذه صورة صغيرة للصحافة الشامية في مصر لمن حظينا بمشاهدتهم من ارباب الانلام الشاميين فيها . ولكن كثير ممن لم تسعد بالتعرف بهم فضل كبير كالعلامة الجليل صاحب المنار والاستاذ اسكندر مكار يوس صاحب اللطائف المصورة وهي منتشرة في الشام والاستاذ المعروف اسعد خليل داغر والكاظم الفذ نقولا الحداد والاستاذ يوسف اليان سر كيس صاحب معجم المطبوعات العربية والعصرية وغيرهم . اما الصحافة المصرية فهبات ان نتسكن في ايماننا المعدودة من ابداء رأي فيها وفي رجالها الافذاذ . وكيف وقد صار لذي اخواننا المصريين جرائد ومجلات لاتقل قيمتها عن قيمة امثالها في الغرب وذلك بغزارة مادتها وتنوع حوادثها واخصاء كتابها بمختلف الموضوعات ووفرة النسخ التي تطبعها مثلها جريدة السياسة والسياسة الاسبوعية والبلاغ والبلاغ الاسبوعي والجماد والفلاح والضياء والكوكب وغيرها وهي كثير . وصار يكتب فيها ادياء وكتاب ذاع صيتهم واستفاضت شهرتهم امثال العقاد والمازني وهيكمل وعوض وذياب ولطفي جمعة وعبد الرزاق ومنصور فهمي وعنان وغيرهم . وقد كنت اتمنى ان اجتمع خاصة بالعقاد الشاعر الرقيق والاديب الكبير والوطني الصادق الوطنية فاذكره بقوله :

يا نديم الخلوات اقبل الليل فهات

فاذا به في خلوة ما كان ليرقبها ولا تلتفتا له احد سيفي العالم العربي . واذا به سجين في قضية سياسية وكأني به في محبسه يردد قوله :

ايه يادهر هات ماشئت وانظر عزيمات الرجال كيف تكون

ما تعسفت في بلانك الا هان بالصبر منه ما لا يهون

ولقد ذكرني سجنه بايائه البديعة في هذا الكون الاحرق :

يا شمس ما ضررك لو لم تشرق في ياروض ما ضررك لو لم تعبق

يا قلب ما ضررك لو لم تحفق سبان في هذا الوجود الاحرق

من كان مخلوقا ومن لم يخلق

وهل يجوز ان نعود الى الشام قبل ان نزور الجامعة المصرية ونشاهد ابييتها وحدائقها الجميلة في الجزيرة وهناك يلقانا من اساتذتها المعلمان الشهيران احمد امين وعبد الوهاب عزام ويجمعانا في اليوم الثاني برهط من الرجال الافاضل الذين تتألف منهم لجنة التأليف والترجمة

والنشر فاذا بكل منهم عالم أخصائي في فرع من العلوم واذا بهم يبسطون لنا على منصة كبيرة نحو اربعين كتاباً عربياً ألفوها أو صححوها وطبعوها طبعاً غاية في الدقة والنفاسة . وكيف نغادر القطر قبل ان نجتمع ببعض العلماء المصريين الذين تربطنا بهم رابطة العمل في موضوعات متقاربة والفضل في تعريفنا بهم يعود للصديقين الصكريين امين باشا المملوف والدكتور عبد الرحمن شهبندر فقد مهدا لنا السبيل لرؤية العلامة الحق الدكتور احمد عيسى صاحب معجم اسماء النباهات وكتاب التهذيب في أصول التعريب وكتب ورسالات شتى في ابحاث طبية خاصة . والعالم المجد الذي يناقشني من حين الى آخر وأناقره الدكتور محمد شرف صاحب معجم العلوم الطبية والطبيعية وهو أول معجم كبير في بابهِ يستحق المؤلف على ابرازه للعالم العربي كل ثناء . والدكتور الأديب الدمشقي الأَخلاق احمد زكي ابوشادي الذي نقرأ اشعاره وابجائه في ديوانه وفي المقتطف والذي اجاد في ترجمة «العاصفة» خاصة وهو من غواة احد فنوننا الزراعية اي تربية النحل وله فيه كتاب ومجلة وله اليه دعوة ونداء . والشيخ الجليل العلامة احمد زكي باشا صاحب دار العروبة (وحق على كل عربي يدخل مصر ان يزورها) الذي له على اللغة العربية وآدابها اكرام يد بما جمع ورسم من شئيت مخطوطاتها وصحج وطبع من غالي دررها القديمة . وهو ما بقي منذ عشرات من السنين يناضل عنها وعن ابنائها بقلم العالم الناضج .

ومن اجتمعنا بهم الحامي القدير والقانوني الكبير محمد علي باشا وزير الاوقاف السابق الذي له على العالم العربي يد المدافع عن البراق مدافعة البطل الغيور وله الرأي الصائب في ايجاد معلمة (موسوعة) بتوفر علمها علماء الشرق العربي كافة . ومنهم الأديب المعروف السيد علي عبد الرازق صاحب كتاب «الاسلام وأصول الحكم» وهو الكتاب الذي ترك في العالم الاسلامي دويماً لأن صاحبه توخى فيه اثبات أن لاختلافه في الدين الاسلامي . ومنهم الأديب العراقي الكبير الشيخ كاظم الدجيلي وكذا الدكتور احمد قدري قنصل العراق العام في مصر وكان رفيقنا في باريز ايام الدراسة وكنا نسميه قنصل العرب لما كان له من العطف على جميع التلامذة العرب . ومنهم طلعت باشا حرب مدير بنك مصر ومؤسس نهضة مصر الاقتصادية وهو الرجل الكبير الذي قرن العلم الى العمل فأوجد لمصريين قوة كبيرة من المال المشترك كان الأجانب يمحسون ثروة البلاد بمثلها . واذا شئت ان تعلم

مبلغ ثقة المصريين بهذا المصرف وببطله الذي صار يعد من رجال التاريخ الحاضر فسله عن مقدار الامانات اي الودائع التي سله الأهلون اياها يبنك انما كانت دون الثمانين من آلاف الجنيهات في السنة الأولى من تأسيس المصرف اما اليوم فانها بلغت تسعة ملايين من تلك الجنيهات وهو مبلغ كبير . وقد تمكن المصرف من تأسيس شركات وطنية معمة لحلج الأقطان والغزل والنسيج والنقل والملاحة وصيد الأسماك والطباعة وغيرها وأسس فروعا له في انحاء القطر المصري وفي بيروت ودمشق ، وبني داراً بدبعة للتشيل العربي في حديقة الأزبكية ، كما بنى لنفسه بناء في شارع عماد الدين جاء آية من آيات الفن . واذا شئت ان تعرف كيف توصف القصور وزخارفها فاقرأ وصف هذا البناء الرائع بقلم الاديب الكبير الشيخ عبد العزيز البشري في عدد ٦ حزيران « يونيو » سنة ١٩٢٧ من جريدة السياسة الغراء .

وحق علينا ونحن ما برحنا منذ عشرين سنة نعالج الشؤون الزراعية والاقتصادية ان لا نعود الى دمشق قبل ان نזור المعرض الزراعي الصناعي الذي أقيم في السنة الحاضرة في أرض الجمعية الزراعية الملكية في الجزيرة وقبل ان نلقي نظرة على مدرسة الزراعة العليا في الجزيرة وعلى مؤسسات وزارة الزراعة المهمة . ولقد نمت لبلوغ هذه الغاية معالي وزير الزراعة حافظ حسن باشا فاذا استقبله لي يدل على وفرة أدبه وشدة عطفه واذا به ممن زاروا الشام في الأيام الخالية ، ومن النادر ان يزورها مصري كريم دون ان تترك في نفسه اثراً جليلاً .

وتقدم الوزير المشار اليه الى السيد حلمي احمد مفتشي الوزارة بان يكون دليلنا غير مكروه فكان مثلاً للرجل الوديع من جهة وللمهندس الزراعي الخبير ببلاده من جهة ثانية فاما المعرض الزراعي الصناعي فتسد تجلت فيه جهود المصريين بحكومة وشعباً في سبيل الانتاج الزراعي والصناعي فكان اجمل صورة لذلك الشعب الشيخ الفخ والنائم المستيقظ فهناك اجود مجموعة للأقطان في دار الجمعية الملكية الزراعية ، وهناك مصنوعات ادارة السمجون من مفردشات ومناشف ومنسوجات حريرية وصابون وسجاد واحذية وكراسي ومماسح الخ كلها متقنة الصنع ، ومصنوعات المدارس الصناعية في انحاء القطر من نسج حريرية وآلات زراعية وأثاث ورياش ، ومنتوجات المدارس الزراعية ومعروضات أقسام وزارة

الزراعة كقسم الحشرات وقسم النباتات وقسم الأقطان وقسم البساتين وغيرها . وهناك أجود محاصيل القطن الزراعية على أنواعها من حبوب وفواكه وخضر ونباتات صناعية وهناك أيضاً ممنوعات الشركات التي أسسها بنك مصر والغرف المختصة بمديرية الصحة والاسعاف وهي جديرة بأن تسمى مدرسة لحفظ الصحة . وإذا أضفنا الى ذلك معروضات معامل الجلود والتبغ والصناعات الصغيرة المختلفة نكون قد ارجزنا في كلمتين ما احتجنا في زيارته الى اربعة ايام وما نحتاج في درسه الى شهر على الأقل وليس اظنر كالمعابنة .

ومما لا شك فيه ان اخواننا المصريين لم يلحقوا الشاميين بالصناعات الوطنية الحديثة وليس لسيهم اليوم امثال ما لدينا من معامل الدباغة والجوخ و « الكريب » وسائر النسيج الحريرية و « التريكو » والجوارب وقمصان السكتان وسراويله وانواع الحلويات وعود الكبريت والسمنت وغيرها مما لا أثر فيه لرؤوس المال الأجنبية لكنه ليس ثمة ما يتمتع من اللحاق بنا ومن تخطينا بمراحل ولا شك ان السباق في هذا المضمار سيكون بنك مصر بمعامله . ومن البديهي ان مصر كالشام لا يمكن ان يكون فيها صناعات كبيرة ظلوها من الفحم الحجري والحديد لكن في وضعها ان تنسج كل ما يلزم لسكانها من الألبسة القديمة والحديثة وان تصنع كل ما قلنا انه يصنع اليوم في الشام فنستغني عن دفع ملايين من الجنيهات سنوياً الى البلاد الأجنبية .

وأما مدرسة الجيزة الزراعية العليا فهي لا تقل بمخازنها ومعداتنا ووسائل التعليم فيها عما خبرناه في المدارس الأوربية الشبيهة بها . ومن بواعث السرور ان جميع الدروس تاتي فيها باللغة العربية دون غيرها . وكذا في مدارس الزراعة المتوسطة الواقعة في مشمر والمنيا و منهور وفي مدارس التجهيز كافة . وقد اخذت العربية تحل محل الانكليزية والفرنسية في سائر المدارس العليا كالتب والطب والحقوق والهندسة وغيرها .

وبعد هذه صورة جد صغيرة لما شاهدته في رحلتي القصيرة الى القاهرة . ونحن اذا رحنا لنحسها في بضعة اسطر حملنا على النتيجة الآتية وهي ان تلك المدينة الرائعة اصحت اليوم رأس مدن الشرق العربي بممراتها وبروحتها آثارها الشرقية وان فيها نهضة علمية تقبل في جماعة الجمع المصري للثقافة العلمية وفي عديد من الأشخاص بمختلف العلوم ، ونهضة

أدينة واسعة النطاق تسطع في جماعة دار الكتب المصرية ورجال لجنة التأليف والترجمة ونوابغ الشعراء ومحول الادباء من أساتذة ومؤلفين ، ونهضة وطنية وسياسية لم تتعرض لها ولكنكم تلسونها كل يوم فيما تقرأونه في الصحف المصرية ، ونهضة صحافية كبيرة لاعداد مصر بمثلها من قبل وهي قائمة بجهود عدد لا يستهان به من حملة الأقلام المصريين والشاميين ، ونهضة مالية واقتصادية لها في حياة القطر المصري الشأن الأكبر ومبعثها بنك مصر خاصة . فاذا أضفتم الى ذلك ان القاهرة عاصمة بلاد غنية يبلغ عدد سكانها ٥ مليوناً من الناطقين بالفساد ادر كنتم الأسباب التي تجعل مصر زعيمة الشرق العربي بلا منازع .

مصطفى الشهابي



اثنا عشر كوكبا

- ٢ -

(الحالة السياسية في زمن الباعونية)

قبل ان نصف أسفار الباعونية الى مصر ثم الى حلب ثم موتها نذكر مجملًا من الحالة السياسية في بلاد الشام ومصر إذ ربما كان لسفرائها علاقة بهذه الحال كما يأتي :

كان الملك سيف مصر والشام (لصالح الدين) الايوبي واولاده واولاد اخيه الملك (العادل) الذي نحن الآن في مدرسته (العادلية) ونلقي هذه المحاضرة بجانب ضريحه . ونسمى دولتهم (الدولة الايوبية) . ثم قام بالملك بعدهم بمالكهم الشراكسة واشهرهم الملك (الظاهر بيبرس) المدفون في المدرسة الظاهرية امام العادلية حيث دار الكتب العربية . ومنهم الملك (المنصور قلاوون) وابنه (الاشرف خليل) و (الظاهر برقوق) الذي بنى جسر الشريعة .

ومنهم الملك (قانصوه الغوري) وهو آخرهم . وقد استقام الملك سيف بني ايوب ومعاييرهم الشراكسة نحو اربعة قرون : القرن السادس للهجرة والسابع والثامن والتاسع ولم يستعمل القرن العاشر حتى كانت دولتهم قد هزمت وتطرق اليها الخلل والفساد وعلى العكس الدولة التركية العثمانية التي كانت تتكون يومئذ في بلاد الاناضول وتشتد وتنسج رقعة مملكتها بالتدريج .

وكان السلطان سليم العثماني معاصراً لآخر ملوك الجراكسة (قانصوه الغوري) . وفي زمن هذين السلطانين كانت عائشة الباعونية حية وقدملاً ذكر علمها وانصافها مصر والشام . حارب السلطان سليم ملك الجعم (اسماعيل شاه) وكاد يتغلب عليه ويستولي على بلاده لولا ان (قانصوه الغوري) سلطان مصر كان يساعد ملك الجعم ويده مراً . فشمع

السلطان سليم بذلك وعلم أن الاستيلاء على بلاد العجم لا يتيسر له ما لم يستول على مملكة (قانسوه الغوري) التي تعترض طريقه الى بلاد العجم فرجع الى الاستانة وجيز جيشاً عسماً زحف به على بلاد الشام حيث يترصده عدوه الألد قانسوه الغوري وجرت بينهما معركة (مراج ذائق) بقرب حلب فوقع قانسوه الغوري تحت سنابك الخيل قتيلاً . وتمزقت عساكره شذرمذ واستولى السلطان سليم على بلاد الشام ومصر من يومئذ . وذلك سنة (٩٢٢) وهي السنة التي ماتت فيها عائشة الباعونية .

(أسفار الباعونية ووفاتها)

« وهل لوفاتها علاقة بالحالة السياسية المذكورة »

مر معنا ان (الباعونية) ارسلها أهلها في صباحها الى مصر والشام لطلب العلم فنبغت هناك . وهذه اول سفرة من سفراتها وبعدها عادت فاستقرت في وطنها دمشق الشام . وفي سنة (٩١٩) (اي قبل وفاتها بثلاث سنين) سافرت الى القاهرة . وفي الطريق أصيبت بمؤلفاتها وقصائدها التي كانت تحملها معها . ولا نعلم كيف أصيبت بها : فاما ان يكون أصابها مطر أثلفها . أو أغارت على القافلة عصابة من اللصوص فكانت كتب الباعونية في جملة ما نهبوا وسلبوا . لكن لما سافرت الباعونية الى مصر في وقت تكاد تشب نار الحرب بين السلطان سليم وبين قانسوه الغوري ؟ ؟ يفهم من كلام المؤرخ (الغزي) انها ذهبت الى مصر « لتضاء مأرب لما يتعلق بولدها » . وما هو هذا المأرب ياترى ؟ ؟

ليس امامنا سوى طريق التكهّن في معرفة هذا المأرب : فاما أن ولدها كان تاجراً وله مشاكل مع عملائه في مصر فذهبت معه اليها لتساعده بجهاها عند ولاية الأمور . أو هو موظف في الحكومة وقد نسبوا اليه قصوراً أو تقصيراً فذهبت به لتثبت أهليته . أو تبرأ ساحتها . وما يدرينا ان يكون ابنها قد كلف الخدمة العسكرية فذهبت الي (قانسوه الغوري) ملك مصر تطلب منه ان يعفي ابن الشحنة من هذه الخدمة الشاقة التي لا يحسنها وقد يتعرض الى الهلاك بسببها وهي في حاجة اليه بخدمها . ويكفيها مؤونة العمل خارج بيتها ؟ كل ذلك مما يدخل تحت الامكان .

وكان مصاحباً لها في سفرها الى مصر (ابو الشناء محمود الحلبي رئيس ديوان الانشاء

في الحكومة المصرية) فلما وصلوا جميعاً الى القاهرة أنزلها ابو الثناء في داره . واكرمها
واكرم ولدها . وكانت هي من قبل مدحته بقصيدة مطلعها :

(رؤى البحر اخبار العطا عن ندا كوا ونشر الصبا عن مستطاب ثنا كوا)

ثم انت (ابا الثناء) قدمها الى شيخ الادب والادباء في الديار المصرية وهو (السيد
الشريف عبدالرحيم العباسي) وعرفه بها فأعجب بها السيد المذكور وبعث اليها بقصيدة
من بديع اظمه فأجابه بقصيدة مطلعها :

(واثت بترجم عن حبر هو البحر بدبعة زانها مع حسننها الخفر)

ثم ارسل اليها ابو الثناء قصيدة أخرى قال في مطلعها :

(ليهنك مجد طارف وتليد يمهك آباء به وجدود)

الى ان يقول مخاطباً لها :

(فياروضة العلم التي بان فضلها وليس من الفضل السري مديد)

(ففتور ما تبديه قد ضاع نشره ومنظومه فوق النور عقود)

(وورق المعاني فوق دوح يانها له بديع السجع فيه نشيد)

(اذا ماتنقى مطرباً عندليبها تميل قلوب لذة وتميد)

فأجابه الباعونية تقول :

(تسابت مرى للحاق بعيد وحسبك ما ابدعت فهو شهيد)

(حصلت على الغايات مجداً وسودداً وفضلاً مبيتاً ليس فيه جمود)

(واصبحت في روض العلوم مفكراً تجول وتجنّي ما نشأ وتنيد)

(وكم بوجيز اللفظ اشترعت منهلاً يطيب به للظالمين ورود)

(موارد آداب صفا سلسيلها وحام عليها ممتد ورشيد)

ثم رجعت الباعونية من مصر الى دمشق الشام وبقيت الى سنة (٩٢٢) .

في هذه السنة نشبت معركة (مرج دابق) بين السلطان سليم وقانصوه الغوري كما
ذكرنا وقد سافرت الباعونية الى حلب في تلك السنة .

قال المؤرخ (ابن الخطيب) : « جاءت الباعونية الى حلب سنة (٩٢٢) وكان في حلب

يومئذ (السلطان الغوري) وكان لها عنده مصلحة تريد قضاءها . فاجتمع بها من وراء حجاب

كل من (البدر السيوفي) وتلميذه (الشمس السفيري) وغيرهما . ثم عادت الى دمشق وتوفيت في السنة المذكورة . انتهى ما قاله المؤرخ ابن الحنبلي . ولم نجد طريقاً الى حل العلام عن سفرتها الى حلب في هذا الوقت العصيب سوى طريق التشكهن ايضاً فنقول : اجتمعت الباعونية وهي في حلب مع (البدر السيوفي) وغيره من الأعيان وكانها كلبتهم في المصلحة التي نال عنها ابن الحنبلي : إنما انما جاءت الى حلب من أجل قضائها . وما هي هذه المصلحة يا ترى في وقت ينتظر فيه السلطان الغوري قدوم عدوه السلطان سليم ؟ ثم جاء سليم وحارب الغوري وقتله كما مر ؟ ربما كانت مصلحة الباعونية في هذه السفارة الى حلب تتعلق بولدها ايضاً ؟؟ .

لدى الآباء والأمهات كانوا في ذلك الوقت - وقت اشتباك الحرب في وجل شديد على اولادهم . وفلذات اكبادهم . كما خافوا عليهم في عصرنا الحاضر أي منذ بضع سنين حينما كانت الحرب ناشبة بين الترك ودول الحلفاء . وكان جمال باشا يملك الثبان فيجندهم بالقهر . فكلم آباء وأمهات ماتوا حسرة على اولادهم بهذا السبب . فهل يا ترى وقع شيء من هذا القبيل للباعونية ؟ فإن المؤرخ (الغزي) قال انها رجعت من حلب الى دمشق وتوفيت وذلك في نفس السنة التي قُتل فيها الغوري في مرج دابق . أعني سنة (٩٢٢) . هكذا قالوا عن وفاة الباعونية لكنهم لم يذكرها لنا سنة ولادتها . انهم لم عاشت من العمر .

(ابن قبر الباعونية)

ماتت الباعونية في بلدها دمشق . وذلك منذ اربعائة سنة : فابن قبرها يا ترى . الفصل ربيع . والهواء طليل . والبرية برائة . وجداول الماء خراة . والأشجار مزينة بالأزهار . والأغصان ترقص على غناء الأطيار . ونزهة الصباح تنفي عن النفس المحوم والاكدار . نذهب الى النزهة في ضواحي دمشق بميدان الجسر الأبيض ومن هناك نسلك طريق الشيخ محيي الدين الجديدي مشياً على الأقدام . نصل الى نفق الطريق . نجد على يميننا زقاقاً الى البساتين . نسلك هذا الزقاق ويسمى (زقاق طاحونة الأحمر) . نمر بالطاحونة المذكورة عن يميننا . ثم بساقية ماء عن شمالنا . ثم نقف أمام باب بستان . فيقال لنا أنت اسمه (بستان الباعونية) واصحابه بيت الشلي . فتخطر ببالنا الحال شيختنا

(الباعونية) التي قرأنا تاريخها وسمعنا أخبارها فنقول في أنفسنا : ياترى هل سمي هذا البستان ببستان (الباعونية) نسبة الى شيختنا المذكورة ؟

ثم نمشي قليلاً حذاء سياج البستان فنصل الى عمارة قديمة كالمدرسة الصغيرة مبنية بالحجر المخوف وطول واجهتها نحو ١٢ ذراعاً ولها ثلاث نوافذ مسدودة بالحجر . وقد كتبت على واجهتها بحروف خط جميل هذه العبارة ؟

(هذا مقام حضرة السيدة الباعونية رضي الله عنها) . فلا يبقى عندنا شك أن في هذا البناء قبر (شيختنا الباعونية) إذ أبة باعونية غيرها لها مثل شهرتها في دمشق .

ثم نمشي قليلاً حذاء سياج البستان المتصل بالمدرسة فنجد في أسفل ذلك حجارة مخوفة وأثار بناء . وطول هذا السياج نحو اربعين ذراعاً ولا تزال نمشي حتى نصل الى طرفه أو زاويته . فنجد أثراً يلفت النظر ويستدعي الانتباه هذا الأثر هو بقية عفاة كهفادة البوابة الكبيرة مركبة من ثلاثة احمجار ضخمة وهي في ضخامتها ولونها تشبه احمجار هذه المدرسة العادلية . فمن يراها يقل انها بقية بوابة بناء كان مشيداً هناك بجانب قبر الباعونية . شيء آخر أم : قد طرح على الأرض بجانب العفاة حجر آخر كبير طوله ذراعان وعرضه ذراع عليه كتابة بحروف نافرة مخوفة في الحجر . وهي واضحة تمام الوضوح . ومقروءة كلها سوى بعض كلمات . ويظهر من نقص الكلام أن الحجر كان طويلاً فكسر من جهة رأسه نحو ثلثه وبقي ثلثاه . والكتابة التي على طول الحجر تتركب من خمسة اسطار يقرأ الباقي منها بعد انكسار الحجر هكذا :

السطر (١) رحمه ربه القدير نسل الذئلة كافور الحسامي .

السطر (٢) خاتكاه على طائفة من الصوفية المبردين باسم سكتهم .

السطر (٣) المسلمين ومنه جميع المزرعة والكرم الذين بارض .

السطر (٤) فمن بدله بعد ما سمعه . فلما ائمه على الذين يدلونه .

السطر (٥) من شهر رجب سنة ثلاث وعشرين وتسعمائة .

وخلاصة ما يفهم من هذه الكتابة أن كافور الحسامي بنى خاتكاه (أي زاوية) باسم الصوفية لتكون مسكناً لهم وأنه وقف عليها من أربعة وكرماً وذلك في شهر رجب سنة ٩٢٣ هـ بعد وفاة عائشة الباعونية بسنة واحدة .

ولكن لا يوجد في هذه الكتابة ذكر لعائشة الباعونية . وإنما تاريخها موافق فقط لتاريخ وفاة الباعونية . فلعل أحد أهل الخبر شيد هذه الزاوية على قبرها وأسكنها الوافية يقرأون القرآن ويذكرون الله ويهدون ثواب ذلك إليها .

وبينا نحن واقفون هناك نسأل الديار . ونستنطق الأحجار . إذا جماعة من أهل الجوار الساكنين في تلك المحلة أحدقوا بنا نساء ورجالا وكان بينهم امرأة ذات إزار ونقاب فقالت لنا إن البستان المدفونة فيه (الباعونية) ملك بيت الشلبي وإن أمها هي من بيت الشلبي وقد عاشت أمها نحو سبعين سنة . قالت وقد أخبرني أمي أنه كان يوجد في هذا البناء المشيد بجانب قبر الباعونية قرن وقف يجزون فيه صفيحة وشعبيبات وبفرونها على المارين من الفقراء والمساكين مجاناً من دون ثمن ثم أخبرنا بعض الرجال المسنين مؤكداً قول المرأة الشلبية وقال أنه سمع خبر الصفيحة من رجل مسن وهو سمعه من رجل مسن آخر رأى القرن يعني رأسه .

وأهل في هذا الخبر باللغة . وأن القرن إنما كان يميز الصفيحة والشعبيبات في بعض أيام السنة (كأيام رمضان والمولد النبوي) لا في كل يوم من أيام السنة . وبعد أن نشاهد القبر من واجهته البرانية نتوق أن ننظر إليه وإلى حالته الجوانية . فيقال لنا إن الدخول إليه يكون من باب بستان الشلبي . فترجع إلى البستان ويدخل إليه من ربه ثم نمشي فيه بين زريعة البصل والفول والسلق حتى نبلغ البناء الذي فيه القبر . فنزل إليه نزولاً لأن أرض البستان أعلا من أرضه . فترى في وسط المكان قبراً متناسب الشكل وهو من الحجر النحيت . وعلى طول القبر حجر واحد بشكل جمالون^(١) وأحجار القبر متزعزعة متماخلة ولولا أن هذا الجمالون الضخم قد أمسكها وحفظها والا كانت سرقت كما سرقت الأحجار الأخرى . وليس على القبر ولا في الجدران كتابة أو نقوش وليس للبناء سقف . ويظهر أنه كان له سقف بدليل وجود فتحات من حجر كانتا تحملان السقف وما زالتا قائمتين إلى اليوم . ويزعم بعض بيت الشلبي أن أجداده بنوا السقف مرة بعد المرة لكنهم كانوا كلما بنوه يصحون فيجدونه قد تهدم وفترت أحجاره . يعني بالعموبة

(١) الجمالون في اصطلاح الناس حجر مستطيل محدب على شكل سنام الجمال ولعله من هذا سمي جمالون أو جملون .

سماوية . وتزور القبر معنا سيدة أفراسية^(١) فخذ ترعى أنه لا ستف فوق قبر الباعونية وتسمع من ابن الشلبي أن أجداده كلما بنوه طار . وتعدت منه الآثار تسمع ذلك فتقول مازحة : يظهر إن السيدة الباعونية لا تريد أن يسترها عن ربها يستار . ولا يحول بينها وبين السماء سقف ولا أحجار .

هذا هو قبر (الباعونية) : نراه فلا نملك نفوسنا من رهبة الموت . وجلال الذكرى . نذكر المرأة التي اذا عد العلماء المؤلفون كانت واحداً منهم . واذا عدت الشعراء المتأدبون كانت في طليعتهم . واذا ذكر الزهاد المتنسكون كانت لها المنزلة العظمى بينهم . ان كانت الباعونية ماتت فان ذكرها لم يم . وان غاب عنا جميعها . فلم يغيب عنا فضلها وعلمها .

ان كانت الشجرة يبست وتحطمت وأصبحت تراباً فإن ثمار الشجرة مازالت غضة طرية بعد مرور أربعائة سنة عليها . وكما امرأة من النساء ذات جام وعظمة ومال وجمال ماتت ونسي ذكرها اما الباعونية فإنها ما زالت حية الى اليوم بفضلها . وثمرات عقلها . اذكرن أيتها السيدات (عائشة الباعونية) . وزرن قبرها . وقصوا على بناتكن أخبارها . وروين أشعارها . ثم لعلكن تأخذكن الغيرة عليها فترمن منارها . وتحفظن من السرقة أحجارها .

واهمري أيتها السيدات ! إن (الباعونية) تستحق منكن أكثر من هذه العناية : لأنها رفعت قدركن في الحياة . فأحيوا ذكرها ولا تضيعوا كرامتها بعد المات^(٢) .

المغربي



(١) هي مادام (مریم هري) الكاتبة القصصية المشهورة وقد أقامت في سورية وفلسطين وحوران أياماً ولها كتابات وروايات قصصية عن أهل هذه البلاد .
(٢) بلغني أن طائفة من السيدات خرجن من ردهة المحاضرة وذهبن نواً الى قبر عائشة الباعونية لزيارتها وإهداء الفواتح الى روحها .

رحلة اوليا جلبي

« في البلاد العربية »

- ٧ -

ويجدر بنا بعد اجتياز حماة ان نصف ما في براريها الشرقية من الأماكن القديمة نخص بالذكر منها سلمية ونصر ابن وردان وخربة الأندرين .

فسلمية قرية كبيرة او بليدة في شرقي حماة الى الجنوب بينها طريق غير معبدة بعد طولها ٣٢ كيلو متراً ويسير قاصدها بعد ان يخرج من حاصر حماة في نجد فيه ثلعات متموجة وأودية احدها يدعى العميق تغدر مياهها في الشتاء نحو العاصمي وليس بينها ذوبنا بيع واشجار قليلة سوى وادي عين القصارين ووادي الكفات . والساثر يرى على يمينه في غربي العاصمي جبل تقسيس « علوه ٦٨٥ متراً » وفي سفحه في منخفض العاصمي تنبثق قرى الجاجية وسريحين وجنان والجرنية وتقسيس وبينها أزوار تروى بالنواعير . ويرى على يساره سلسلة آكام وهضاب من اعضاد جبل العلا بينها وبين الطريق من الضياع الصغيرة التي يملكها امرأة حماة ام جرن وصماخ ومباركات وغيرها . وتربة هذه الأرضين تميل الى الاصفرار والبياض كما ذهبت مشرقاً . ومن غريب امر آكام جبل العلا المؤلفة من الحرات السوداء ، الموحشة لقبردها عن الاشجار والانجم بل كل اخضرار - أن امتدت في بعض منحدراتها وسفوحها الوعرة سلاسل من الأشجار من صنع الأقدمين مما يجعل على الغن بأنهم كانوا يملأون اجوافها بالفراس والكروم . ترى ، هل ضاقت هذه السهول الشاسعة في القرون الخالية بسكانها حتى اضطروا للتعليق بأذيال الجبال وكيف كان يتم لهم ذلك وهذه البقاع الفقيرة بالامطار لا سبيل لنمو الفراس والكروم الاعضاء فيها ؟ هذا

وبعد ان يجتاز السائر قرية الكافات يشاهد عن بعد قلعة شبيب يس تطل من وراء الآكام
المحيطة بها ثم قرية تل الدرة واهل هاتين القريتين اسماعيلية وبضعة طواحين في جنوبها مرج
القريم وبمين ماء كبيرة تدعى عين الزرقاء الى ان يدخل سيف سهل الفج متراحي الأطراف
جثت فيه سلمية .

وسلمية قاعد: قضاء من اعمال لواء حماة يقطنها زهاء ثمانية آلاف من الاسماعيلية بينهم
عدد ضئيل من الغرباء السنين هم موظفون أو باعة . وفي قضائها اربع نواح : معشجور
وكاسون وعقير بات وسلمية ، يتبع كلاً منها قرى وضياح عديدة تمتد شرقاً الى سفوح جبل
البلعاس حيث ينتهي العمران وشمالاً الى ما بعد محطة كوكب على سكة حديد حماة —
حلب ، يقطن أكثرها الاسماعيلية والنصيرية وقلها البدو والشركس . وهواء سلمية جاف
جيد وتشد فعل الرياح الغربية فيها لوقوعها في السهل فتثير العجاج وتحول دون نمو اثمار
الاشجار ويستخرج ماؤها من الآبار وهو قريب الغور ووسط في عذوبته وقد يصل البرد في
الشتاء الى درجة الصفر كما ان حر الصيف قد يبلغ الأربعين علي ان جفاف الهواء يخفف
وطأتها فلا يشعر بها كما في حماة وكية الأمطار السنوية قليلة لا تنيف عن الاربعائة
ميليمتر في معظم السنين . ولذا لا تخلص تربتها الرملية الكلسية العفراء الا اذا جادها الغيث
بكثرة ولا تنمو الزروع المنيقة وكذا الكروم في مستهل حياتها الا اذا رويت . وقد
اشتهرت سلمية بسعة كرومها وبساتينها وارضها الاعزاء واجل غلالها التي تصدرها الى بشدري
حمص وحماة على السواء الحنطة والشعير والقزح والبصل وصنف من العنب يدعى البياضي
بآخر نخبه حتى انتهاء الخريف . وقد ثمت في السنين الأخيرة زراعة القطن المصري
والاميركي واتسعت . وهي تصدر عدداً غير يسير من اطايب الخيول العربية . ويرجع
الفضل في عمران سلمية الى القى القديمة البيزنطية والعربية الممتدة فيها وفي ضواحيها كحيوط
الشباك مما لا نظير له في بلاد الشام الا قليلاً في اقصية منبج ودوما والعلقية . وهذه القى
من الهبات الشاهدة بمقدرة الأقدمين في نحر الصخر الصلب ورسوخهم في علم استنباط المياه
وجرها . يحتفر اهل سلمية هذه القى وقد برعوا في تتبع آثارها ونجح اسراؤها وآبارها
ويسيلونها . وبوشك اذا دامت هذه العناية ان تصبح كورة سلمية غوطة مغرة وبعود

اليها مجدها الغابر الذي ذكره جغرافيو العرب ونعموه بكثرة المياه والشجر ووفرة الخصب والرخاء .

قال يعقوبي من رجال القرن الثالث في كتاب البلدان : وسلمية وهي مدينة في البرية وكان عبد الله بن صالح بن علي بن عبد الله بن عباس بن عبد المطلب ابتناها وأجرى اليها انهاراً واستنبت ارضها حتى زرع فيها الزعفران واهلها من ولد عبد الله بن صالح الهاشمي ومواليهم واخلاق من الناس تجار وزراعيين . وقال ياقوت : سلمية بليدة في ناحية البرية من اعمال حماة بينها مسيرة يومين (كذا) وكانت تعد من اعمال حمص ، اتخذها صالح بن علي بن عبد الله بن عباس منزلاً وبني هو وولده فيها الابنية ونزلوها وبها المحاريب السبعة (١) يقال تحتها قبور السابعين ، وفي طريقها الى حمص قبر النعمان بن بشير وينسب اليها بعض اهل العلم اه . وكان يرجى من ابي الفداء — وسلمية كانت على مقربة من عاصمته — ان يصفها بتفصيل ولكنه رحمه الله اكتفى بقوله : سلمية من اعمال حمص ، بلدة تزهة ومناهاها قبي لها بساتين كثيرة ، قال ابن حوقل وسلمية الغالب على سكانها بنو هاشم وهي على طرف البادية خصبة ، قال في العريزي ومدينة سلمية على ضفة البرية كثيرة المياه والشجر رحية خصبة اه .

واسم سلمية قديماً (Salamias) — وان لم نعثر على تاريخها في العصور القديمة — الا انها كانت ولاسيما في عهد الروم البيزنطيين عامرةً بدليل العثور على كثير من الآثار والعاديات فيها وضواحيها ينبت فيها الالهولف من المباني والمدافن القديمة ويبيعونها من غواتها باثمان جيدة . وتاريخها في عهد المسلمين غامض لم يذكره المؤرخون الا القينة بعد القينة وعرضاً . والمفهوم من أقوال الجغرافيين التي نقلناها ان سلمية خربت عقيب الفتح الاسلامي لوقوعها في طرف البادية والا فما معنى قولهم « ابتناها عبد الله بن صالح وأجرى اليها أنهاراً » وقولهم « وبني هو وولده فيها الابنية ونزلوها » وما معنى وجود كثير من الأحجار والانتقاض البيزنطية في تضاعيف مبانيها العربية القديمة . واذا حسبنا ان هذه هي المرة الاولى التي خربت وعمرت فيها سلمية يثبت معنا ان عمرائها هذا دام وازدهر خلال ثلاثة قرون في عهد سكانها بني عبد الله بن صالح الهاشمي الذين ذكرهم الجغرافيون . واول

ماورد اسمها في التواريخ كان في حديث المعركة التي نشبت في مرج الأخرم الذي صار اسمه في يومنا مرج القريم غربي سلية بين عبد الله بن علي العباسي اول قائد وعامل عباسي في الشام وزباد بن عبد الله الأموي قائد جيش قنسرين الذي انتفض على العباسيين وكانت الدائرة على زياد فثبتت أقدام العباسيين وقضى على آمال الأمويين في الشام . ويظهر ان بني هاشم الذين أخفقوا مراراً في الوصول الى كرسي الخلافة في عهد الأمويين ثم العباسيين ظلوا في موطنهم سلية يحاولون ويثثون دعايتهم السياسية . وكان أخصمهم في ذلك محمد الحبيب بن جعفر الصادق بن محمد المكنوم بن اسماعيل . واسماعيل هذا هو الذي تعتقد الاسماعيلية ان الامامة انتقلت اليه من أبيه جعفر الصادق بن محمد الباقر بن زين العابدين ابن الحسين بن علي بن أبي طالب . وكان محمد الحبيب يرسل من سلية الدعاة والمبشرين لمبداءه . وقد استعان اذ ذاك بعبد الله بن ميمون القداح وكان هذا من بقايا مجوس الفرس الساعين لهدم كيان العرب والاسلام تحت ستار الدعوة الاسماعيلية يشتغل بها في اصفهان والأهواز والبصرة فوافى سلية ملياً طلب محمد الحبيب وأقام فيها الى مماته مشتغلاً بالدعوة وذلك في منتصف القرن الثالث . ويظهر ان القداح جر وراءه جمعاً من هؤلاء الدعاة فصارت سلية من ذلك الحين مركزاً لهم ولشيعتهم . منهم ابو عبد الله الشير بالشيعي نشأ في سلية وذهب الى المغرب ووفق الى إزالة دولة الأغلبة ثم لحقه عبيد الله محمد وكان ممن نشأ في سلية ابناً ثاقب بالمهدي وادعى انه من نسل فاطمة وتوصل الى تأسيس الدولة الفاطمية التي انتقلت بعد حين الى مصر ونازعت العباسيين الخلافة . وفي سنة ٢٩٠ جاء القرامطة وبظهر انهم كانوا حائقين على بني هاشم يتقصدون استئصالهم ففتكوا بهم وباهل سلية كما فتكوا في حماة والمرة . قال ابن الأثير في حوادث هذه السنة : ثم سار القرمطي الى سلية فتمعه أهلها ثم صالحهم وأعطاهم الأمان ففتحوا له بابها فبدأ فيها من بني هاشم وكانوا جماعة فقتلهم أجمعين ثم قتل البهايم والعبيدان بالمكاتب ثم خرج منها وليس بها عين تعارف وسار فيما حولها من القرى يسبي ويقتل ويخيف السبيل اه . ولم يذكر ابن الأثير ان كان القرمطي خرب سلية أم اكتفى بتفتيل سكانها وإخلائها ولم يذكر متى وكيف عاد العمران والسكان . وهل كانت حينما جاءها سيف الدولة بن حمدان في سنة

٣٤٤ أهلة أم خالية . ففي تلك السنة جرت في المروج المبتدئ شمالي سلمية بين بنيغ الدولة وأعراب البادية من بني عامر بن صعصعة وعقيل وقشير والعجلان وقد كانوا ناروا عليه فلحقهم الى تلك المروج وقتك بهم فامتدحه المتنبئ بقدة جاء فيها :

فأقبلها المروج مسومات ضواصر لاهزال ولا شيار
تثير على سلمية مسبطراً تناكر بقتبه دون الشعار

وسكنت التواريخ عن بيان شيعة السكان الذين عمروا سلمية للمرة الثانية بعد حادثة القرامطة أكانوا من الاسماعيلية أم من غيرهم . لأنه لم يرد لهم ذكر مع ساكني قلاع الدعوة اتباع راشد الدين سنان وخلفائه الذين كانوا يجندون الغدائين لاغتيال ملوك المسلمين وأمرائهم . وعادت التواريخ لذكرها في عهد الأيوبيين أبناء صلاح الدين . قيل ان الملك المعظم عيسى صاحب دمشق جاء في سنة ٦١٩ فحاصر ابن اخته الملك الناصر قنيج أرسلان صاحب حماه لاختلاف هذا بوعده في دفع مال مشروط عليه فنهبت جنوده اذ ذاك سلمية لانها من توابع حماه . ولما جاء الملك الكامل صاحب مصر في سنة ٦٢٦ ليجمع الملك الناصر ويجلس مكانه أخاه الملك المظفر حاصر حماه بعث بجيش سلم قيادته الى الملك الجهاد أسد الدين شيركوه الذي سيزد ذكره في بحث حص . ولما تم له ما أراد انتزع سلمية من المظفر وسلمها الى شيركوه فأسلطت سلمية من ذلك الحين عن حماه وظلت طلة الشحنة بين أبناء الاعمام ملوك حص وحماه لاسيا بعد أن عمر شيركوه في سنة ٦٢٧ قلعة شميس وقطع ماء القنطرة التي كانت تجري من سلمية الى بساتين حماه . ولما جاء التتار بقيادة هولاكو في سنة ٦٥٨ وغازان في سنة ٦٩٩ نالوا من سلمية كغيرها من مدن الشام فأنحط شأنها لكنها لم تحرب على ما يظن بالكلية وبهجرتها أهلها للمرة الثالثة الا في منتصف القرن الثامن في عهد المماليك حينما اختلت ادارتهم وازدادت فتن أعراب البادية ووثب بعضهم على بعض . قال في خطط الشام في حوادث سنة ٧٤٨ : « وفي هذه السنة اقتتل سيف الدين ابن فضل أمير العرب وأتباعه مع احمد فياض من الأمراء في جمع عظيم قرب سلمية فانكسر سيف ونهبت أمواله وكانت هذه الحروب ضربة قاضية على بادية حماه فطفق البدو ينهبون القرى ويغيرون على حماه والمرة ففر الفلاحون ودرست القرى اه .

وظل هذا الخراب مستمراً خمسة قرون يضرب البدو في ارجائها ويرعون انعامهم بين
اطلالها لقاء اناوات يؤدونها للحكومة العثمانية التي عدت سلمية وما حولها لواء اتبعته كحماء
وحمص بايالة طرابلس الشام وما هو بلواء حقيقي . قال كاتب جلبي في جغرافيته «جهان نما»
المطبوعة في الاستانة في سنة ١١٤٢ : ولواء سلمية هو في ايامنا في حوزة اصراء عشيرة
الموالي يأخذونه من آل عثمان اه . وظل اسماعيلية الجبال الغربية في تلك القرون يرون
نحو الشرق في لفعة وحسرة ويتربصون الفرصة ليعودوا ويعمروا سلمية احياء لمنشأ شيعتهم
وتوسعا في الارضين وتخلصا من مثل المذبحة التي ذاقوها من التصيرية في مصياف في سنة
١٨٠٧ م علي ما ذكره بروكهارت سائح تلك الايام . ولما استتب الأمن والنظام في الجملة
في العقد الأخير من القرن الماضي جاء نفر منهم الى سلمية قبيل سنة ١٢٨٠ او عقبيها
واعتمسوا بادي ذي بذه في الحصن الذي هدم وبني مكانه دار للحكومة وشرعوا يؤرغون
حوله ويدراون عن انفسهم عيش البادية ومازالوا يزدادون بالنسل ابناء جلدتهم من جهات
مصياف والقدموس والحواشي وعكار ويمتددين الى الشرق يعمرون القرى الخربة حتى كثر
عددهم . ولما استقر امرهم جمعت الحكومة سلمية في غرة قرننا الحالي قاعدة ناحية دعمتها
(مجيد آباد) ثم جعلتها بعد حين قاعدة قضاء دعي باسمها واتبعته بلواء حماه . وقد زاد
عدد الاسماعيلية في السنين الأخيرة في سلمية وغيرها من القرى الآهلة بهم واخصها تل
التوت ويري الشرقي والغربي ومفقر الشرقي والغربي وجدوعة وعقارب وسمن وسمين وذلك
بانضمام ذريهم النازحين من مواطنهم في جبال التصيرية لأنهم وجدوا الرخاء والخصب في
السهول الشرقية الواسعة والعرة التي نالها السليوني من السلطة الافرنسية لذاء تغانيهم في
خدمتها خلال ثورة الشام في سنة ١٣٤٥ هـ هي اكثر منها في قراهم الغربية الجبلية الضيقة .
ويفترق الاسماعيلية من حيث المذهب الى حجابوية وسويدانية يعتمد الأولون بالوهية
آغاخان الزعيم المهندي المعروف في نوادي انكلترا وفرنسا ببذخه وترفه ويؤدون له الزكاة
والثانون لا يشاطرون اولئك ذلك الغلو . وكل سكان سلمية وقراها القدماء وسكان
القرى المجاورة لقلعة الحواشي من الفريق الأول بينما القدموسيون والمصيافيون من الثاني .
والنفور من جراء هذا التباين سائد بين الفئتين . ويفترق الاسماعيلية ايضا بحسب الطبقات

حفلة تأبين

« حافظ بك ابراهيم »

أقام المجمع العلمي العربي يوم ٥ تشرين الاول سنة ١٩٣٢ حفلة تأبين لحافظ ابراهيم بك شاعر النيل أحد أعضائه الراحلين تحت رعاية صاحب الدولة حفي بك العظم حضرها جمهور غفير من جميع الطبقات الرسمية والعلمية والشعبية فافتتح الحفلة الاستاذ الشيخ عبد الله المخجد شيخ قراء دمشق بآيات من الذكر الحكيم ، ثم وقف صاحب الدولة حفي بك العظم فألقى خطاباً ، وجاء بعده الاستاذ فارس بك الخوري أحد أعضاء المجمع وألقى خطاباً ، ثم جاء الاستاذ محمد بك كرد علي رئيس المجمع العلمي العربي فذكر حيازة حافظ ، وجاء بعده الاستاذ الشيخ عبد القادر المغربي أحد أعضاء المجمع وألقى خطاباً ، ثم وقف الاستاذ شفيق بك جبري فألقى قصيدة ، وختم الحفلة سعادة محمد سري بك ففضل المملكة المصرية جواباً على الخطباء ، واليسكم صوراً مما قيل في تأبين فقيده اللغة والشعر رحمه الله .

﴿ خطاب صاحب الدولة حتي بك العظم ﴾ « رئيس مجلس الوزراء في الجمهورية السورية »

سادتي

ليس شاعر النيل حافظ ابراهيم بالرجل الذي يحتاج أن يعرف اليكم . أن فجيلة الآداب به عظيمة جداً على العرب والعريسة . لأن أدبه من الأدب الذي يرفع مستوى اللغة والأخلاق والاجتماع . يستظهر الناس شعره وثروته ويتلى بأعجاس في الأندية والمجالس منذ نحو أربعين سنة .

اني اذا ذكرت حافظاً أذكر عظيماً من أكبر خدام لغتي الذين أعادوا اليها بهاءها بقرائهم الوفاة وما تهم الواسعة . هو ممن أحيوا شعرنا فأحيوا شعورنا . وهل الشعر العالي الا الشعور العالي .

أذكر صديقاً باراً عاشرتة وجاورته سنين طويلة . وما شهدته ، ويشهد الله في عامة أدوار حياته الا مولعاً بخدمة مصر بل بخدمة العربية وأديها القومي بل خدمة كل قطر يتكلم أهله العربية . ومن منا ينسى قوله من قصيدة تحت عنوان « الامتان تنصالحان » ألحاهما في حفلة بمصر اذ قال :

هذي يدي عن بني مصر تصالحكم فصالحوها تصالح نفسها العرب
فسبحان من أنزل الحكمة والبلاغة على لسانه وقلمه وسبحانه أن قضى بفراقنا . والموت مصير كل حي .

ولكن مثل حافظ ياسادتي لا يموت لانه حي شعره وأثره في الأرواح على وجه الدهر . تذكره الأجيال بعد الأجيال وينم أهلها بما يقتبسون من عبقة كلامه . فهو زين الشعراء الخالدين . وما أنلهم حتى في عدة أعصار وأمصار .

حافظ بدل أسلوب الشعر العربي بديباجته النعيسة وسبكه الرائع وما تخلل قوله من الحكم والعبر والدعوة الى إصلاح النفوس والمجتمع . وما شعره الا الشعر الذي ينفع الأم ويرقي عقول أفرادها وقل ان دانا فيه احد .

أحسن المجمع العلمي العربي بإقامة هذه الحفلة لحافظ لأنه أبان عن عواطفنا نحن السوريين فهو شاعر النيل بل فهو مصر المحبوبة التي صرفت فيها شطراً من حياتي فأكرمت وفادتي في أشده أيام الحزن . يوم كنت متطوعاً صغيراً في خدمة سورية ومقاتلة الظلم والاستبداد .

إن الزواجر الكثيرة التي تربطنا معاشر أهل هذه الديار بمصر تدعونا إلى أن نتسر بشموها في كل حين . فإذا فقدت مصر رجلاً من رجالها عددناه هنا كأنه منا . وإذا أصابتها سعادة فرحنا لسعادتها . وكذلك نحن يوم تحزن وتالم .

وإني لأرجو لمصر ولرجال مصر حياة طيبة سعيدة لمكان الثقافة التي تدين بها الشعوب العربية بما لعلماء القطر الشقيق وأدبائه وشعرائه . وأسأله تعالى أن يخلق لمصر وغير مصر عشرات من فقيدها العزيز يدعون الناس إلى مكارم الأخلاق . ويلطفون من شعورهم وعواطفهم ، ويصلحون من مجتمعاتهم وعاداتهم . يعملون على كل ما فيه نهضتهم على نحو ما فعل وينفل شعراء الغرب لمهدنا . فإن الغربيين اليوم على نحو ما كان عليه أجدادنا في الدهر السالف إذا نبغ فيهم نابغة اغتبطوا وسعدوا بنبوغه ، وإذا فسدوه عدواً فقدوه خسارة دونها كل خسارة .

قال حافظ لأحد أصدقائه منذ سنين وفي هذه المدة : « إذا أنا مت لا تندم علي عيني أحد لأنني لا أخلف وراءني أمًا ولا أبًا ولا زوجًا ولا ولدًا . فأجابه صديقه . أنت إذا مت يا حافظ تبكي عليك عيون العرب كلها وكفى بهم أمرة كبيرة . وكذلك كان غلام الله وأنا إليه راجعون . »

وقال حافظ في آخر قصيدة له القاها في بيروت — وهو كما علمت حبيب الشاميّن عامة ولطالما نوه بهم وحلف عليهم في شعره الرائع .

وقد وقفت على الستين أسأله أسوفت أم أعدت حراً كفاًني

وكان أن قدر الله فرحاً لنا في الستين وبضعة أشهر رحمه الله عدد أياديهِ البيضاء على هذا الشرق العربي ولا حول ولا قوة إلا بالله .

✽ خطاب الأستاذ فارس بك الخوري ✽

هذه هي المرة الثانية التي نجتمع بها في هذا المكان لتكريم هذا الرجل الخالد والعلم الشاهق بين اعلام الشعر والأدب العربي .

اعتاد الناس ان يحتفلوا بالغزاة والفاتحين وبقبوا لهم المواسم والاعباد تذكراً لفتوحهم وتقديراً لما جلبوا القوم من المنافع والظواهر . وفي هذا العصر صارت ثروة الأمة الأدبية أعز عليها وأغلى لهيباً من الثروة المادية ، وأصبحت الاختلافات لتكريم رجال العلم والأدب أكثر رواجاً وأوسع انتشاراً وأجلب لارضى والارتياح العام من مثلها لابطال الفتح ومقادير القتال . ولا غرو ان فتوح العلوم والفنون ابقى على الدهر من فتوح السيوف والنيران فقد زال أشيل وهكتور وبقي هومر كما زال سيف الدولة ودولته وبقي المتنبي على القرون والأدهار .

المرة الاولى منذ أربعين شهراً في ١٧ حزيران سنة ١٩٢٩ اجتمعنا في دارالمجمع هذه للاحتفاء بشاعر النيل المحبوب حافظ ابراهيم عند زيارته الاولى والأخيرة لمدينة دمشق وكثيرون من شهدوا تلك الحفلة الشائقة التي أسرع اليها أمائل هذه المدينة ووفود المدن الأخرى ليرحبوا بالزائر العزيز فخطبوا برويته وكان ملقاً قلوبهم حباً ووقاراً وملقاً صدورهم تيجيلاً واحتراماً .

ومازلنا نذكر وفتنة الوقورة على منبر هذا المجمع يشكر المحفل الغفير الذي اشترك بتكريمه وأولياء الأمر الذين عرفوا كيف يكرمون وسام الاستحقاق السوري بتعليقه على صدره .

لم يكن في دمشق ولا غيرها من البلاد العربية من يجول مكانة حافظ فقد سبقه اليها من شعره الزائق رسل كرام جاءتنا عنه بالنبأ اليقين . وانما وجدنا بعد ان أسعدنا الحظ بمجالسته انه لا يقتصر على السيادة بين الشعراء والكتاب بل هو جليس لا يشق له غبار

وسمير لا يسار معه في مضماره ، محدث واسع الرواية وظريف حاضر النكتة ومتكلم نقي العبارة يستهوي جلاسه ويمسك على السامع أنفاسه . يجول في كل حديث جولة العالم المعتمد على علمه والأديب الواثق من نفسه .

في تلك الزورة القصيرة ممكن حافظ لذاته في قلوب الدمشقيين حباً صمياً وإعجاباً عظيماً وترك لنا واحدة من الذكريات الطيبة التي ما زال الدهر بها ضئينا .

وهذه هي المرة الثانية التي يقوم بها الجمع العلمي لتكريم حافظ ميتاً بعد أن أكرمه حياً . نجتمع به الأديب العربي بمنظومه ومنشوره فانه له ركن من أركانه الرائحة وتداخلى له صرح من صروحه الباذخة وفقد مجدها العلمي به تضواً من أنجب أعضائه وأضاع بهصره أباً من أبر آبائه .

الأمة العربية اليوم ليست فقيرة بشعرائها فانهم يعجزون العدة وتعباً باسمائهم الحواظ . وخزائن الأدب العربي ليست بحاجة لديوان من الشعر يضاف إليها فان فيها من الدواوين ما يجمع أكداً .

ما أكثر الشعراء في سوريا والعراق . انك لا تكاد تقرأ صحيفة أو مجلة الا تراها مزينة بقصيدة لشاعر معروف أو مجهول . ولا يحدث في البلاد حدث كبير أو صغير الا تسابق قرائح هذا الجيش من الشعراء لتدبج القصائد الجديدة في وصفه وتفصيله وبينما كان الذين يقرضون الشعر في الجبل الماضي نزرأ يسيراً صاروا اليوم جمّاً غفيراً .

بعد ان وضعت قواعد الصرف والاعراب وتعينت أوزان الشعر بالتفاعيل وصار علم العروض في متناول الجميع لم يعد نظم الشعر سليقة لا يملكها الا من من الله عليه بها كما كان امره عند العرب قبل الاسلام وفي صدره . بل أصبح صناعة يستطيعها كل من تعلمها ومارسها فأتى بالكلام الموزون المثقفي ويستعين بحفوظاته ومطالعته ليستعير المعاني ويهـ في قالب خاص منطبق على شرائط الوزن والقافية فيعد نفسه انه قال الشعر ويجد من ينعت به وينظمه في سلك الشعراء .

يبد أن الشاعرية ليست بهذه السهولة التي يتخيلها فيها دارس علم العروض فإلّا ركب وعمر السلم بعيد المدى وليس كل من نظم القصائد شاعراً كما أشار الى ذلك حافظ بقوله :
قالوا صدقت فكان الصدق ما قالوا ما كل منتسب للقول . قول

والشعراء لا يخلدون بكثرة ما ينظمون بل يخلدون بما يمازجون به من قريضهم طباع
الناس وأساليب التفكير الرجيحة وبما لجون الأدواء الاجتماعية ويحملون العواطف النفسية
باوصاف منطبقة على الحقائق الواقعة التي يشعر بها الخلق في أطوارهم المعاشية . وأنت ترى
أن الشعر الذي يثير فيك الإعجاب هو ما تجده مؤثلاً مع ما عندك من الشعور وموافقاً لما في
نفسك من فكر عميق لا تقدر على تصويره بالكلام أو مثيراً فيك عزة كائنة أو مذكراً
إياك بخلق ترضاه فإن كان ذلك من طباعك وسجياك اعتززت به وانفجرت وإن لم يكن
تدبت لو كان لك منه نصيب . وهذا مطلب صعب المرتقى كما وصفه أحدهم :

الشعر صعب وطويل سلمه إذا ارتقى فيه الذي لا يعله
زلت به إلى الخفيض قدمه يريد أن يعربه فيجعله

وهذا الذي جعل أكثر العلماء المتقدمين وأشهر الأدباء الأولين مثل ابن خلدون وابن
المقفع يجانفون عن ركوبه ويحذرون الزول في مضماره . وعند ما سئل ابن المقفع لماذا
لا تنظم الشعر قال : ما يرضيني لا يلبيني وما يلبيني لا يرضيني . فلو حذا حذوه الذين لم
يخصهم الله بحسنة الشعر وتركوا أمثال هذا العمل لأمثال حافظ من النابغين ظلت خزانة
شعرنا من توافه الكلام . أن حافظاً لم يكن مكثراً في نظمهم فكان لا يقول القصيدة
إلا إذا دعاه إليها داع وأحب التلبية فكانت قصائده متباعدة الآجال تطالع على الناس
مثل ورد الريم بغضارتها ومثل قبض النيل بجزالتها فلا تكاد تصدر عنه إلا تحتفظها العيون
والآذان وتحتويها العقول والأذهان .

قصائده الشرد السائر ت لا يختصن من الأرض دارا

إذا هن فارقت مقوله وثبن الجبال وخضن البحارا

وكم من شاعر كالسهمال أحرز مكانة في الصف الأول بين الشعراء بقصيدة واحدة
وشاعر بقي في غيابة الخمول وله مئات أو الوف من القصائد .

كثيرون من الشعراء سئموا الحياة وتكاليها أو أناخ طيهم الدهر فتمتوا الموت لينصوا
من آلام الحياة ولكن قليلون منعم وصفوا هذه الأمنية بمثل ما وصفها حافظ :

سلام على الدنيا سلام مودع رأس في ظلام القبر النساء ومغنا

أضررت به الأولى فهام بأختها وإن ساءت الأخرى فويلاه منها

فهي رياح الموت ~~تسكب~~ واطفئي
 فما عممتني في زماني فضائي
 فيا تلب لا تجزع اذا عضك الأسي
 ويا عين قد آن الجود لدمعي
 ويا يد ما كلفتك البسط مرة
 فله ما أحلاك في اغل الردى
 ويا قدمي ما سرت بي للمذلة
 فلا تبطني سيراً الى الموت واعلمي
 ويا قبر لا تبخل برد نحيبة
 علي صاحب وافي علينا وسلمما
 سراج حياقي قبل أن يقطعا
 ولكن رأيت الموت للحر أعصما
 فانك بعد اليوم لن تتألما
 فلا سيل دمع تسكين ولا دما
 لدي منة أولى الجليل وأنما
 وان كنت أحلى في الطروس واكرما
 ولم ترتقي الا الى العز سلما
 بان كريم القوم من مات ~~مكرما~~
 علي صاحب وافي علينا وسلمما

وهذا كلام يحلي مرارة الموت ويحرض النفس على انتقام غمرته بالطمانينة والحبور .
 وقع احتلال مصر منذ خمسين سنة فرافق حافظاً منذ كان صبياً الى أن أدركته
 المنية ففضى نحيبه وفي نفسه غصة على حال قومه وبلاده اظهرها في كل قصيدة من قصائده .
 وقد جرت في زمانه جميع الحوادث الخطيرة التي صاحبت هذا الاحتلال وكانت سبباً لتوليد
 الروح الوطني وانبعاث الأمانى القومية في ذلك القطر الشقيق وبسرت مجالاً فسيحاً لشعراء
 وادي النيل لبشروا باشعارهم النعرة الوطنية ويسكبوا على يزورها النامية قطرات الرحيمة
 والاربعاش ويربوا في الناشئة المصرية هاتيك الروح الوثابة التي هي أساس نهضة الأقطام
 وعليها يتوقف استقلال الشعوب .

نجد قصائد حافظ ملاءمة بنقد الحياة الاجتماعية في مصر خاصة وفي بلاد العرب عامة
 وفيها من الجراءة والمصراحة بذكر الحقائق المؤلمة مابنه القوم الى مواطن الضعف في نظامهم
 الاجتماعي وعدم كفاءته للشباب في هذا ~~الكفاح~~ العمراني الذي أوجبه تزام الشعوب
 الحديثة . فهو الى الدرس وتلافي النماص الموجودة واصلاح الفاسد من مرافق حضارتهم
 وكان هذا التعريض عاملاً قوياً لتلك النهضة الجريئة التي دشتت مصر عهدها وسبقت بها
 غيرها من الأقطار الشرقية فكانت لها قائداً ودليلاً .

انظروا الى مثال من مصارحته قومه منذ ثلاثين سنة بذكرهم بتقصيرهم في سباق
 الحياة ويمرهم على النهوض .

وهل في مصر مغفرة
 سوى الالقاء والرتب
 وذبي اربث بكائنا
 بمالك غير مكتسب
 وفي الرومي موعظة
 لشعب جد في اللعب
 ارون في بينكم رجلاً
 ركيناً واضع الحسب
 ارون في نصف غفرع
 ارون ربع محتسب
 ارون نادياً حفلاً
 باهل الفضل والأدب
 وماذا في مدارسكم
 من التعليم والكتب
 وماذا في معابدكم
 من التبيان والخطب
 وماذا في صحائفكم
 سوى التوبة والكذب
 فبهوا من مراقبكم
 فان الوقت من ذهب
 وهذي أمة اليا بان
 جازت دارة الشهب
 فهامت بالعلی شغفاً
 وهمنا باهنة العنب

فهو قد صدق قومه حين كشفهم بحقيقة حالهم والصديق من صدق لا من صدق .
 رحم الله حافظاً ونفع قومه العرب بأدبه العالي وأخلاقه السامية . وانظر الى قوله يصف
 حال مصر وحاله مع المحتلين .

فقد غدت مصر في حال اذا ذكرت
 جادت جفوني لها بالؤلؤ الرطب
 كأنني عند ذكره ما ألم بها
 قرم تردد بين الموت والحرب
 اذا نطقت ففاح السجن مكأي
 وان سكنت فان النفس لم تطب
 وهذا عين ما يشعر به ولا يستطيع وصفه بمثل هذه الديباجة الرائعة كل من رأى في
 قومه ضيقاً فهو يتردد بين الاندفاع لدفعه فيسحقه كيد الظالمين أو السكوت على الأذى
 أو الانغماس على القذى فيبقى حليف الغدّة وصريع المموم .
 بماذا يرى حافظ وهو أمير الرثاء وما هي مرأته للأفذاذ الذين خلد لهم بايات رثائه
 المثل الأعلى في الإعجاز والابداع . حتى ان أمير الشعراء تمى هذه الأمنية في مطلع
 قصيدته التي بها حافظاً حيث قال :
 قد كنت أوثر ان تقول رثائي
 يا منصف الموتى من الاحياء

ولست أجد للقول في رثاء حافظ وأصدق عليه وأحق به مما ناله هو نفسه في رثاء

الشاعر الكبير محمود سامي باشا البازدي :

| | |
|--------------------------------|------------------------------|
| يا فارس الشعر والابداع والجود | لبيك يا مؤنس الموق وموحشنا |
| على النعي والقوافي والأناشيد | لبيك يا شاعراً ضمن الزمان به |
| تحت الفصاحة جرى الماء في العود | تجري السلاسة في اثناء منطقته |
| يفار من ذكره ماء العناقيد | في كل بيت له ماء يرف به |
| غذيت عن نحيات المسك والعود | لو حنطوك بشعر أنت نائله |
| من كثر حكمته لا جوف أخذود | لو أنصفوا أودعوه جوف لؤلؤة |
| أو واضح من فيض الصبح مقدود | وكفنوه بدرج من صحائفه |
| فوق الكواكب لاحت الجلاميد | وأزلوه بأفق من مطالبه |
| للشرق والغرب والأمصاير والبيد | وناشدوا الشمس ان تنعي مناقبه |

❖ حياة حافظ ابراهيم ❖

« للاستاذ محمد بك كرد علي »

ولد حافظ ابراهيم في اليوم الرابع من شهر شباط سنة ١٨٧١ في مدينة الاسكندرية وكان والده مدير شرطة جرجا . فنشأ نشأة أبناء الموظفين ليصبح كأبيه موظفاً . وبعد ان انجز دروسه الابتدائية والثانوية في المدارس الاميرية . دخل المدرسة الحربية وخرج منها برتبة ملازم ثان في المدفعية فأرسل الى السودان في خدمة الجيش المصري .

وفي السودان تجلبى استعداداه للشعر ، وكان ينظمه وهو يافع للتسلية والتجلية . وعرف بين اقرانه بشدة عارضته ، وقوة حجته ، فكانوا يندبونه اذا حز بهم حازب للدفاع عنهم في المحاكم العسكرية ، فيرج القضايا ببلاغته وحضور ذهنه . ولذلك عدوه الصدر المقدم فيهم على صفر سنه ، لما أوتيه من خفة الروح ، وجميل النادرة ، ولعطفه على لدائه ، ولما خص به من الفصاحة التي لم يكتب مثلاً لاحد .

ووقعت في السودان مؤامرة اوشبه مؤامرة في الجيش ، فكان حافظ في جملة من اتهموا بتدبيرها ، لانه كان كبش الكتيبة ، فسرّج مع من سرّج من الخدمة ، وعاد الى مسقط رأسه ، أسفاً للظلم الذي ناله فأضاع مستقبله ، فرحاً بانقاذه من عيش قاسى فيه الامراء في بلاد الزنوج من غطوسة بعض ضباط البريطانيين ، وبري بعد حين مما اتهم به بتوسط كبير من احابيه ، ومنع رتبة رئيس ، ثم دخل الشرطة سلك ابيه فعزفت نفسه عنها ، ولم يلبث ان غادرها لعدم ملاءمتها لتوازع نفسه .

ولقد اورثته التربية العسكرية مضاً وحزماً وسلطاناً على النفوس ، وكان مما خص به جبهة الصوت ، كانه قائد بأمر جنده وقت التعبئة والمصاف ، وكأنة الأمر الأكبر على ارادته على مأموريه ، ولكن بلطف شاعر ، لا ينف آسراً . واجتمعت له رفاة الصوت الى جمال الالتقاء ، فكان تأثيره عظيماً في يوم الحفل اذا اشد . وظل حافظ منذ خرج من

الخدمة في سنة ١٩٠١ الى ان عين رئيساً للقسم الادبي في دار الكتب المصرية سنة ١٩١١ بتوفر على حرس حقول الادب يزوره ويحييه ، وهجيره مطالعة (كلية ودمنة) و (العقد الغريد) و (الاغاني) يقرأوها ثم يقرأوها ثم يقرأوها ، حتى هضم ما فيها وتمثله وتصنع دواوين الشعر واختار بيتاً فذاً لكل شاعر أصاب معنى شريفاً .

وساعده الطالع فواصل منذ كان في السودان بصلة النسبة الى الاستاذ الامام الشيخ محمد عبده ، وكان شكاً اليه بالمراسلة بشه حزنه ، وما يلقاه من جور الدهر ، ولما عاد الى مصر التي مفتي الديار المصرية في روعه من جميل حكمته ، ومحكم تجاربه ما استعدت به نفس الشاعر الى الانتقال الى طور آخر في الشعر يجرده من اوضاعه القديمة ، وبكسوه ثوباً قشيباً ، وبكسره على المطالب الوطنية العالية ، بضرب فيه على العرق الحساس في الناس ، وكانت نفوسهم سئمت مارأت من ابتذال الشعر في الغزل والمدح وما اليهما ، وهي الى بضاعة جديدة أشوق ما كانت منها الى اطار بالية .

وكان الرعيل الصالح الذي يلتف حول الاستاذ الامام صفوة أئمة الثقافة العالية في عصره وكلم من بلغ في العلم والأدب أطوره ككتفي بك ناصيف والشيخ سيد المرصني من رجال الأدب القديم ، ومحمود سامي باشا البارودي واسماعيل باشا صبري من مجددي الشعر الحديث ، وابراهيم بك المويلحي وابنه محمد بك المويلحي من الكتاب المحدثين الى عشرات أمثالهم من الأدباء والعلماء والقضاة والاجتماعيين والسياسيين أمثال قاسم بك امين وأحمد فني زغلول باشا وسعد زغلول باشا وحسن عاصم باشا وأحمد حشمت باشا وأحمد تيور باشا في نفر من أساتيد المدارس العالية ولا سيما جماعة دار العلوم . وكلم كما قال حافظ في الاستاذ المفتي (يعرف مهر الكلام ومقدار كد الافهام) هؤلاء كانوا لحافظ عشراء ومعلمين وموحين ومنشطين ، وهم من قادة الأفكار في الأمة المصرية ، اما ناشئتها المنورة فما ينقضي عجبها من شعر حافظ كلما رأت موضوع إعجاب أولئك الاعلام .

وبدأت شهرة حافظ تظم بين المصريين لان نفسه كانت تألم للظلم حل به أم بغيره ، يحس مطالب الشعب ، لأنه يعيش بين ظهريه ، ويستمتع لشكواه وبلواه ، وما فتئ منذ تطوع في خدمته ، ينطق بما يفرج عنه كربتته ، ويدعوه الى النهوض ، ويشهد منه العزائم ، يربده على اطراح سفاسف الأمور ، والتذرع بما يبقي عليه ثروته ، ويبعد اليه مجده .

ليستوي شعباً فاضلاً في المدينة الفاضلة . وكان من يشعر شعور حافظ من الشعراء قبل نبوغه قد يقع لأحدم البيتان والثلاثة في معنى الإصلاح أو الشكوى . أما الشاعر المحدد فأنشأ بنشئ القصائد نلو القصائد .

وكان العقد الذي مضى بين خروجه من الخدمة الى ان عاد اليها (١٩٠١ - ١٩١١) من أخصب أيام شاعرنا انطلق يتفنن في النظم على وجوه جديدة في أبواب الاجتماع والسياسة ، ومصر بل كل مصر لاتعدم الحين بعد الحين نهضة حوادث تفتق لسان الابهكم بالكلام ، فكيف يرب البلاغة والفصاحة ، يضاف ذلك الى ما في تلك البيئة الغنية من العظات ، ولذلك البلد الطيب الذاهب بفضل السبق بين الانظار العربية من الموقع الجغرافي المتوسط بين المشرق والمغرب .

عبر كلها الليالي ولكن أين من يفتح الكتاب ويقرأ

وكانت الأمة المصرية في تلك الحقبة من الزمن تشهد في بلوغ هدفها الاسمي في الاستقلال ، وتقوى كل يوم في بنيتها الدعوة الى الوطنية والقومية ، وكان عهد استمتاعها بحريتها في القول والعمل على صورة ما عهدت مثلها في تاريخها ، فكان للشاعر من مطالب أمته موضوع جذاب متسع الاطراف ، اتساع أفق الشاعر الذي توفر على الزهد سيفه موضوعات الشعر القديم ، خصوصاً وهو بما من مما يبعث بالحرية المدنية والوجدانية ينعم بنعمة حرية القلم واللسان .

وما اقترب مترجماً من ارباب المقامات العالية الا بالقدر الذي لا يحرق فيه نفسه ، محترقاً بما يغنيه عن الفناء فيمن هوام في الحقيقة الاحتفاظ بسلطانهم ، ولا يرضون عن الشعراء والكتاب الا اذا باعوا منهم الاستقلال الفكري بشي من حطام الدنيا ومظاهرها الخلاب . ومن كانت الأمة تصفق له ، وعلى رأسها اولئك السادة يناضلون عنه ، لتفرسهم فيه الخير ، يستوي عنده رضا الكبراء وغضبهم . لحافظ اذاً هو وليد النهضة الاخيرة ولسانها الجري ، ارتبطت مصطلحاته بمصلحة الأمة منذ عاهد ربه الشعر على الوفاء لها ، فاصبح شاعر مصر الاجتماعي والوطني غير مدافع ، لانبثق الا للادب ، ولغة العرب .

سئل المرحوم اسمعيل صبري باشا شيخ شعراء مصر عن الثلاثة المبرزين من شعراء القطر (شوقي وحافظ ومطران) فقال (شوقي ينظم ، وحافظ يبني ، ومطران يبتدع) هذا حكمه

عليهم وهم في الكهولة ، فاي حكم يصدر ياترى وهم في سن الكمال ، يبدعون هذا الابداع ويعيدون بصنيعهم الى شعرنا ما كان له من اشراق الجزالة في القرن الرابع بالبحري والرضي وابي الطيب وابي تمام .

نعم ان حافظاً في الشعر بناءً وأي بناء ، ما عهد عصرنا شاعراً بصقل شعره كصقله قبل ان يخرجه للناس ، ولا كاتباً يطيل النظر في كلامه إطالته ، ولا ادبياً اروي منه للشعائر وال اخبار ، يسقط على مناجم الأدب فيستخرج منها كنوزها الدفينة . هو بناء مُقدّر يتعذر على احذق النقاد ان يتبين الخلل في تضاعيف نسجه ، يصور فيه حالة عصره وروح اهله وعشيرته ، ويسرم وعصره ، وما ديوان شعره على اختصاره الا صورة ظاهرة للوقائع التي شغلت قلوب اهل جيله وقبيله . وليس في ايقاع ما يوقع على قيثارته من قوافيه وضروبه الا ما يفعل - في الارواح ، فتترنح له الاشباح غير متعملة ، يشدو به وينوح ، ويطرب ويعجب ، ويهز به اوتار القلوب .

ما استفاضت شهرة حافظ الاسير بشعره مع حاجة العصر ، فأثر به هذا التأثير القليل النظير ، واحتظى به هذه الخطوة عند العرب كافة . بيد انه حاول ان تكون له مثل هذه المنزلة في النثر فكتب كتاب لبالي سطح وعرب البؤساء لهوغو وخرج بها بعد اكراه السليقة مستقيمين له كما أراد لا كما يُراد . اخطأهما التوفيق الذي كان يتوقعه من نشرهما ، وجاءت عليهما سمحة من التعمل ، وهذا ما عافه الناس بعد ان ابتلوا قروناً بقراءة دواوين المتكلمين من النادرين والناظمين . اما كتابه الموجز في علم الاقتصاد الذي نقله الى العربية مع صديقه خليل مطران بك فكان من اجمل ما نقله الناقلون في العهد الاخير .

واذا كان حافظ قد تخطأ الحظ في منشوره على الجلة ، فذلك لأن من الموضوعات ما تشدد حاجته الى ضلاسة في التقرير وسلامة فن التعبير ، اكثر من رصف الالفاظ واحكام الجمل . فن ثم كان حافظ في نثره نحائلاً باهراً لا بناءً ماهراً ، ما كتب له على معانته في أجزاء بنائه ان يورث النفوس روعة اذا نظر اليه بمجموعه . والروعة في المبني تنبعث من روح الباني ولا تنأق بشعمل واجتهاد ، والبلاغة في الاسلوب اكثر ما هي في القوالب وما تعطيه من المعاني .

ولئن عصى بيان حافظ على التبريز في النثر ، فقد كان مطواعاً له اذا حدث وحاضر ،

كانت يسحر الطبقات المختلفة بما يورد عليهم من احاديثه ومروياته ، ويسقههم من معين محفوظه الذي لا ينضب ، اعذب ماظفر به من كلام القدماء والمحدثين ، وكانت بحضور ذهنه ، وغريب بديته ، على مايقدر في الادباء مثله ، يتسادر بكل ذلك بحسب المجالس التي يصير اليها ، رصيناً في الفاظه ومعانيه ، بارعاً في مختاراته ، يردفها ابدأ بما يوافيها من حاضره الوقت ، يطرب بها نفس الفرح والمكثب ، ويود جلسته لو طال مكثه في حضرته بتغنى كالبلبل الفريد ، وقل جداً في كبار الكتاب والشعراء من حيز لم يبان اللسان كحافظ ، اللهم الا ان كان ما يروى من احاديث اناطول فرانس كاتب فرنسا الاكبر الذي سارت بقصصه وافيائه الركبان ، واعجبت بمجالسه الرجال والنسوان .

اطلع حافظ على شعر الافرنج بقدر ماواتته ملكته من اللغة الافرنجية ، اطل منها على اديهم اطلال ذالسة . اما وقوفه على شعر العرب فهناك الامتاع ، وهناك الابداع . وفي الحق انا لانعرف في هذا العصر اديباً عربياً جزل قسطه من جيد المحفوظ كما جزل قسط حافظ من استظهار ادب العرب ، ولاغرض فهو حافظ الادب ، ولكل اسم من مسماه نصيب . كان حافظ يتبسط في احاديثه مع جلسائه ، يباقي على مسامعهم من كل صنف في ضاعة ما تفجده حافظه غيره عن ايراده في ايام . يلعب بالعقول والقلوب حتى ينسي سامعيه كل مهم لهم . هو جد طروب ، جد لعوب ، لا يميزن الا لقلقد حبيب ، ولذلك تراه قد جود من وراء الغاية في رثاء من رثاه من معاصريه ، وهو لا يتكلف الندب لانه شاق ممن يحب ويحب . وقل ان تنقبض نفسه الا اذا حلت بامته كارثة فيكون في طليعة من يواسيها ، ولا تنهيا له اسباب القول الا يوم تعرض للقوم كبريات المسائل فتستدعي اشتراكه بطليعة الحال . وكان لكلامه ابدأ موقع من القبول في القلوب ، لانه مؤمن حق الايمان بما يقول .

كان رحمه الله في الغاية من حسن الوفاء مع كل من عرفه ، يمثل منذ وعى على نفسه الاخلاق الفاضلة والتعاليم السامية ، وتجل في البطولة وقوة الارادة . ماعهدت فيه كرازة اليد ، ولا خطر بباله جمع المال ، فكان طول حياته كاسباً واهباً ، يسخر سخاء الاغنياء ، وهو في الواقع بائس مقتر عليه ، وربما اخرج من جيبه كل ما يملك من الدرهم فنزل عنه لطالب عطائه لا سيما اذا كان من المتأدبين ، يعطي وهو مفتبط لتلبية الطالب ،

وقيامه بالواجب ، وإن اضطرت له الحال بعد ساعة إلى أن يقتصر ديناراً ليطعم به .
كان حافظ لا يعرف الرياء والمصانعة والدس ، كذلك كان وهو يشكو بؤسه ، وكذلك
كان وهو عام من عمال المعارف موسع عليه في الجملة ، وضعف جسمه فكان في اعوامه
الآخرة لا يعمل إلا مضطراً ساعة من نهار ، أما فكره ففي شغل شاغل أبداً بإيجاد اللفظ
اللائق للمعنى البديع . وأصحت به الحال بأخرة أن لا يختلف إلى مقر عمله إلا يوم قبض
الراتب ثم يعود ادراجه . وكان لا يتأنق في لباسه ولكنه يتأنق كثيراً في طعامه
وشرا به وتدخينه .

هذا بإساذني حافظ وهذه سيرته وسيره وأدبه . لأجزم أنه رجل حس عال ، عاش
في ألم وأمل . ألمه لما أصاب قومه من الإضطهاد ، وأمله أن يرى العرب يقولون من جدم العاثر
ويستعيدون مجدم الغابر ، وما اصطنع الشعر الا فتنة بجماله ، فكان صناعته استخذه ما في أفضل
المروآت ، وأنبل الغايات . هو ضريب في بابيه ، منقطع القرين بين أترابه . ما تنهأ الحياة
كثيراً ، وما عرف سعادة البيوت ، وعطف البنين ، عاش للجمتمع ، وشقي ليسعد الناس
وما خلف إلا هذا الشعر الخالد ، الذي تغنى الأيام ولا تبلى جدته ، وما أجدرنا أن
نخطبه وقد هدأ ذلك العصب الحساس ، وسكت ذلك الجرس الفاتن ، وهو رهين حفرته
يقول أستاذنا اسماعيل صبري في راحة القبر :

| | |
|-------------------------------|---------------------------|
| ان شئت الحياة فارجع الى الارض | ضنتم آمناً من الأوصاب |
| تلك أم أحق عليك من الأمل | م التي خلقتك للأتعاب |
| لا تنجف فاللمات ليس بمباح | منك إلا ما تشتهي من عذاب |
| كل ميت باق وان خالف العند | وان ما أنص في غضون الكتاب |
| وحياة المرء اغتراب فان ما | ت فقد عاد سالماً للتراب |

✽ حافظ ابراهيم واللغة العربية ✽

« للاستاذ المغربي »

ليس احتفال بمجمعنا العلمي بتأبين (حافظ) وإكبارنا الفجيلة فيه لأنه كان صديقاً لنا : إذ ما كل صديق نحتفل بتأبينه — ولا لكونه شاعراً من شعراء أربعة أو خمسة تعقد البلاد العربية عليهم الخناصر — ولا لكونه كاتباً نديماً ظريفاً . ولا أخبارياً محدثاً — بل ولا لكونه من أعضاء مجمعنا العلمي : إذ لم يأخذ المجمع على نفسه أن يحتفل بكل واحد من أعضائه .

الفجيلة في حافظ أيها السادة هي فجيلة اللغة العربية فيه ولم ينشأ المجمع العلمي الا لخدمة هذه اللغة . والحرص على إرضائها : فإذا بكت اللغة بكى المجمع . وإذا صاحت اللغة : وانكلاه واوحيداه صاح المجمع صباحها : وانكلاه واوحيداه ! وهذه لغة الضاد في موت (حافظ) أقامت مأتماً عاماً شمل بلاد العرب كلها : من طنجة الى السلجمانية : تبكي في مأتماها هذا حافظاً وتندبه .

(أُنبتان^(١) يبيكيه . وتبكي الضاد من حلب الى النجف الى صنعاء)
وان اجتماعنا هذا أيها السادة صورة مصغرة للمأتم الكبير الذي أقامته اللغة لتأبين حافظ . وأقولنا في هذه الحفلة إنما هي صدى نديها وعويلها :

(لقد^(٢) رزئت أم اللغات وحيدها فان لم تكنه فالأب البرء والجداً)
(ممت تتلوى خلف نعشك كلما دعا باسمها الداعي أجداً لها وجداً)
(فلما بلفت القبر خرت لوجهها تضج وتشكو من تباريحها الجهدا)
حافظ أيها السادة هو الشاعر الشاعر . وهو فوق ذلك أخوي وأخباري .

(١) من مرثية احمد شوقي في حافظ .

(٢) من مرثية احمد محرم في حافظ .

أما كونه شاعراً فأمر لا يجهله أحد . ومن يجهل أن « حافظاً » كان إذا قال شعراً لا يلبث أن تنناقله الأفواه . وتتلطّط بحلاوته الشفاء ؟

شعرُ حافظ يمتزج بالمعاطفة فيولد فيها رقة الشعور . ويمتزج بالنفس فيولد فيها ذوق اللغة . ويمتزج باللسان . فيفرس فيه ملكة الفصاحة .

مدارسه كتب الأدب . واستظهارُ الفصح من نوادر اللغة لا يمتخ النفس واللسان ملكة الفصاحة بقدر ما ينحها شعرُ كـ شعر حافظ : تقي اللفظ منسجماً الأسلوب مشرق الديباجة . يُعبر عن خواج النفس الوطنية الثائرة فيعجزها نحو مطامعها العظمى . ويُبهر أمامها الطريق إلى مثلها الأعلى .

شعر حافظ كالمصباح يمشي نورُهُ بين أيدي أبناء أُمته . فيهديهم الطريق . لا بعيداً عنهم يمشي وحده . ويتركهم في ظلمات لا يبصرون .

شعرٌ مثل شعر « حافظ » يحبي لغتنا . ويحكي قوميتنا . ويثبت أقدامنا في أوطاننا . كان (حافظ) رحمه الله يقول الشعر لخدمة أُمته . لا لخدمة شهرته .

وإن فني عريباً أو فتاة عربية تحفظ من شعر حافظ قصيدة (غادة اليابان) أو قصيدة : (خرج الغواني بحبيبي - نوبت أرقب جهمته)

فتستفيد منها ملكة في اللغة الفصحى . وحمية في حب الوطن . أكثر من مئة قصيدة غامضة المعنى . أعجمية الأسلوب .

ولولا أني أتكلم عن (حافظ) من ناحيته اللغوية لسردت لكم شواهد تؤيد ما ذكرت . على أن أحداً منكم قلما يجهل ذلك من أمره . ومطلبكم يستظهر الكثير الطيب من شعره .

نحن معشر العرب أصبحنا منذ سنين نهاجم في عقائدنا وفي تقاليدنا وسائر أوضاع اجتماعنا . ولم نخجل لغتنا المحبوبة من هذه المهاجمة العنيفة أيضاً : لم نخجل من تنجس هائل بوائها . ويحاول القضاء عليها . ذلك التنجس هو فكرة مشؤومة ترمي إلى إحياء اللغة العامية وإماتة اللغة الفصحى .

ها هي اللغة العربية في حدود سنة (١٩٠٠) أي منذ ثلاثين سنة تقف على ضفاف النيل . شاحبة اللون . مرتجفة الأعضاء والهة ذاهلة : تندب نفسها . وتبكو مصائبها :

(يا ويح أهلي أبلّ تحت أعينهم على الفراش ولا يدرون ماداني)
 داؤها أيها السادة هو ما خامر نفوس أبنائها من زهدهم فيها . وانصرافهم عنها الى
 غيرها من اللغات الأجنبية . والى نصرة الفكرة المشؤومة : فكرة إحياء اللغة العامية .
 تلك الفكرة الممثلة في أحد دهاة الانكليز (المسترويلور) .

هبط (المسترويلور) مصر في ذلك الحين . وقام بدعاية واسعة النطاق للغة العامية
 المصرية . وخطب في الموضوع وكتب . وحاور وناظر . وألف كتاباً نشره على
 المصريين . بدعوم الى فكرته . وبقنعم بصحة نظريته .

ومما يؤسف له أيها السادة أن يجد (ويلور) أنصاراً له من الشعوبيين . شايموه على
 رأيه . وأقاموا ضجة في القطر المصري اهتزت لها البلاد العربية قاطبة . وكادت تكون
 لويلور ولا شيناعه الغلبة لولم تصدمهم نهضة حمة اللغة الفصحى . وفي طلبهم فقيدنا بالأمس
 (حافظ ابراهيم) فيرفع صوته في وسط تلك الضجة . منشداً قصيدته الخالدة . على لسان
 اللغة الفصحى : تخاطب أبناءها وتسألهم أغائتها . فتقول :

(أيطربكم من جانب الغرب ناعب ينادي بوادي في ربيع حياتي)

(ولونزجروك الطير يوماً علموا بما تحبته من فرقة وشتات)

ثم تلوم الصحف على خوضها في هذا الموضوع فتقول :

(أرى كل يوم في الجرائد مزلقاً من القبر يدينني بغير أناة)

(وأسمع للكتاب في مصر ضجة فأعلم أن الصائحين أحماني)

ثم تحضهم على الأخذ بالحزم في دفع الضر عنها :

(فيا ويحكم أبلّ وتبلى محاسني ومنكم اذا عزّ الدواه أساني)

(فلا تكوني للزمان فاحشي أخاف عليكم أن تحين وفاتي)

ثم ذكرتهم بجدودهم أبطال الجزيرة الذين كانوا يغارون عليها :

(سقى الله في بطن الجزيرة أعظماً يعضّ عليها أن تلين نفاتي)

(أحفظن ودادي في البلى وحفظته لمن يقلب دائم الحسرات)

وعاتبهم على ميلهم الى اللغة العامية المزوجة بالألفاظ الأفرنجية .

(أبهجني قومي عفا الله عنهم الى نسف لم تتصل برواف)

(سرت لوثة الافرنج فيها كما سرى لعاب' الافاعي في مسيل فرات)
 (لجئات كنوب ضم سبعين رقعة مشككة الألوان مختلفات)
 وعادت اللغة الفصحى الى وصف مزايها والتساؤل لماذا عفا بها بنوها . وهي لم تقصر في
 خدمة دينهم وحضارتهم . فقالت :

(ورسعت كتاب الله لفظاً وغايةً وما رضقتُ عن آي به دغطات)
 (فكيف أضيّق اليوم عن وصف آلفي وتنسيق اسماء المختبرات)
 (أنا الهجرُ في أحشائه الدركامنُ فهل سألوا الغواص عن صدقاتي)

ثم عبرت أبناءها بالغريبين الذين عزوا لما عزت لغاتهم فقالت :

(أرى لرجال الغرب عزراً ومنعةً وكم عزراً أقوامٌ بعزّ لغات)
 (أتوا أهلهم بالعجزات تفندُّنا فياليتكم تأتون بالكلمات)

ثم ختمت شكواها بتقديم إنذارٍ مخيف الى الكتاب الحسني الغن بلفسات الافرنج
 وآداب الافرنج . فنانا :

(الو معشر الكتاب والجمع حافلٌ بسطت رجائي بعد بسطه شكائي)
 (فلما حياة تبعت الميت في البرلى وتذبت في تلك الروس رفاي)
 (وإما ممات لا قيامة بعده ممات لعمري لم يبقس بمات)
 كانت هذه القصيدة من شعر (حافظ) من أخصى الأسلحة التي شهرت في وجه
 (المستوريلور) فأخفقت دعوته . وطويت رايته . ونكص على عقبيه الى بلاده .
 وكان أمير الشعراء (احمد شوقي بك) يشير الى هذا الموقف المحمود الذي وقفه
 (حافظ) في وجه دعوة (ويلور) فقال في رثائه له :

(يا حافظ الفصحى وحارس مجدها وإمام من تجلت من البلفاء)
 (ما زلت تهتفُ بالفصحى وفضله حتى حيت أمانة القدمات)
 وكما حنق (حافظ) على (ويلور) حنق أيضاً على المستر (بلنت) الانكليزي الذي
 اشتهر في الدفاع عن القضية المصرية ضد قومه الانكليز : فان هذا المستر كان يرفع من
 شأن القصص العربية السخيفة العبارة ويقول عن قصة (بني هلال) انها نوع من القصص
 المسمى (إبيك) وانها وليادة عربية صغيرة .

فما كان قوله هذا لِيَسُرَّ (حافظاً) بل كان يحسبه خدعةً ودعوةً الى اللغة العامية .

ثم إن فوز (حافظ) في هذه المعارك نشطه الى متابعة العمل في نصرة اللغة . فاستمرَّ يُجيبُ فصيحاً . ويُنثر الدرّ من كلماتها الى آخر نسمة من حياته . بل كان في مجالسه . وبين طلاب الأدب المطيعين به — وكأنه (استاذٌ سيّار) يصحح أغلاطهم . ويرشدهم الى الفصح من القول . والصحيح من الأساليب :

قال الدكتور (زكي مبارك) ما ملخصه :

استنشدني (حافظ) يوماً شيئاً من شعري فأنشدته قولي :

(يا من يَعْزُّ علينا أن نجازيهم صدّاً بصدّة وإغضاءً بإغضاء)

ونظمت (يَعْزُّ) بكسر العين فقال (حافظ) يظهر يا مبارك أنه يحسن أن تقول (يَعْزُّ) بفتح العين لأن (يَعْزُّ) هنا بمعنى (يَشْقُّ) لا بمعنى (صار عزيزاً) حتى تكسر العين ومع هذا أرجوك أن تراجع القاموس . قال فراجعته فوجدته يقول بجواز الوجهين : الكسر كما قلت أنا . والفتح كما قال حافظ . قال الدكتور : ومع هذا فقد استفدت من حافظ فائدتين : (١) اللطف في تصحيح أغلاط الإخوان . و (٢) الشعور بقيمة الدقة في نطق كلمات اللغة : إذ كان من رأي حافظ أن نخص (يَعْزُّ) المفتوح العين لمعنى يشقّ والمكسور العين لمعنى صار عزيزاً .

ولا يخفى عليكم أيها السادة أن الجامعات العلمية اللغوية إذا كانت إنما أنشئت لغرض حماية لغة الوطن — فإن (حافظ ابراهيم) عضو من أعضاء مجامعنا اللغوية بفطرتة . وبنايل من غيرته على لغته .

قال الدكتور (حسين هيكل) « إن لحافظ ميلاً شديداً الى أن يظهر اللغة العربية في كمال قوتها . وأنها تضاهي أحدث اللغات صقلاً وحياة . وهو يهزأ بالزاعم التي كانت توجه اليها من أنها لغة قديمة عاجزة عن أن تجاري الحياة الحديثة اهـ) .

وقال الشيخ عبد العزيز البشري في مرآته :

(ولا ننس لحافظ بدأ جليلة على اللغة العربية : فلقد طالما استخراج من بحثة واللغة

صيفاً طريقةً بليغةً أدت كثيراً من المعاني التي تتحرك في أنفس الناس . ويعني أدائها على
الاقلام) .

أما مقدرة (حافظ) اللغوية العملية فتجلى لنا في الالفاظ الفصيحة التي كان يودعها
نصائده ومصنفاته . وقد شهد له بهذه المقدرة (الشيخ ابراهيم اليازجي) : فقد كان يستعيد
ذوق حافظ في اللغة . واختيار فصيح كلماتها .

وقال الشيخ عبد العزيز البشري أيضاً :

« إن (حافظاً) لا يرى جلال الشعر وبهاءه في التعلق بدقائق المعاني : لأن هذه المعاني
تقع للدهاء والعامه . وانما جلال الشعر وبهاؤه في إشراق الديباجة . ونصاعة القول » .
وقال خليل بك مطران :

« لحافظ غرام باللفظ لا يقلُّ عن الغرام بالمعنى : وهو يؤثر البيت الذي جاد لفظه على
البيت الذي جاد معناه . فاذا فاتته الابتكار في تصور المعنى . لا يفوته الابتكار في تصويره
باجزئ الالفاظ . وأبلغ الأساليب » .

إذن يمكننا القول بأن (حافظاً) كان لغوياً من الوجهة العملية التطبيقية كما كان
لغوياً من الوجهة العاطفية القومية .

وكثيرون من نقاد الأدب المعاصرين حمّدوا الله على أن كان أسلوب (حافظ) في
شعره . غير أسلوبه في نثره : فقد كان رحمه الله يتأنق في شعره مع مراعاة السهولة
والسلاسة . أما في نثره فأمره على العكس : كان يتأنق فيه وينصب نفسه في انتقاء
كلماته . لكنه لم يوفق الى جعله سهلاً سلساً . فلم يعد نثره مقبولاً الا لدى الخاصة
وجهازة الأدب .

على أن بعضهم مهّد لحافظ طريق العذر : كالدكتور لطفي جمعة فانه قال :
« ان (حافظاً) على كلِّ قد أحسن الى قراء العربية وكتابتها : وذلك لأنه أنعش
أسلوب الكتابة . وحفز الحمم للبحث عن الالفاظ الجذولة . وأثر في كتابة الصعب
أثراً نافعا » .

ثم إن عنابة (حافظ) باستعمال غريب اللغة كان على أشدّه في ترجمة (البؤساء) فلم يُرض ذلك أنصار الأدب الحديث . وإنما أَرْضَى أنصار الأدب القديم كالشيخ محمد عبده فإنه رحمه الله كان يُحِبُّ بكتابة حافظ وما تضمنته من الألفاظ الجزلة وكان يقول : « ان كان بؤس حافظ هو الذي أدّى الى استخراج كتاب (البؤساء) فندعو الله أن يريده بؤساً حتى يزيدنا من هذا الأدب الجميل » .

ولا غرو أن يرحب بجمعنا العلمي بنثر (حافظ) كما رحب به الاستاذ الامام الشيخ محمد عبده . لأننا معشر أعضاء المجمع أول ما يهمننا من الآثار الأدبية ان تكون لغتها صحيحة . وأن تستوعب من روائع كلمات اللغة ما كاد يمتته الجهل . ويطمس عليه شيطان الشعوبية .

واللغات أيها السادة ! كما تنمو باضافة كلمات أجنبية اليها تنمو بأحياء القديم الفصيح من كلماتها .

وتد تظن (حافظ) الى هذا فأودع مصنفاته الكثير الطيب من تلك الكلمات . فكتابه (الاقتصاد السياسي) ألفه أو ترجمه (مع صديقه خليل بك مطران) ليثقف الطلاب على هذا العلم . ويقرر لهم قواعد . لكنه أودعه من (الألفاظ الكتابية) ما جعله كتاب أدب ولغة . أكثر مما هو كتاب دلم واقتصاد .

وكذلك شأنه في كتابه (سليح) الذي نقد فيه أحوال المصريين وأفرغ حوادثه في قالب قصة نسب روايتها الى من سماه (سليحاً) . فالكتاب إذن رواية قصصية وكانت ينبغي ان تستجمع شرائط القصة وليس من شرائطها أن تكون بهذه الأساليب الفخمة . وأن تحتوي هذا القدر من الألفاظ الجزلة .

وهذا كتابه (البؤساء) الذي نقل فيه الى العربية بؤساء (فيكتور هيغو) . وفيكتور هيغو جعل أبطال بؤسائه من طبقات مختلفة . وجعل كل بطل منهم يتكلم باللهجة التي اعتادها طبقته . فالسوقي العائياً مثلاً لا يتكلم بلغة العالم الأدب . ولا العكس . وطريقة (هيغو) هذه مطابقة للمبدأ الذي قرره أديب العرب الأكبر (الجاحظ) في كتابه الحيوان : من أن الواجب في نقل عبارات السوق وألفاظ العامة أن تُروى كما هي

أي مغلوطة "لحونة" والا ذهب رونقها وضعف تأثيرها .

وشاعرنا (حافظ) رحمه الله كان كافه بفصح اللغة وجزل ألفاظها يحمله على أن يترجم كلام السوقة من أبطال البؤساء بعبارة نفحة الألفاظ لا ينطق بها عادة إلا النحماء . فالبناء الذي يبني رصيف الشارع إذا أراد أن يتكلم هل ينطق بكلمات (تيا من ثم تياسر) و (ركب الحجّة) و (ما أخلقك يا فلان بكذا) . هكذا (حافظ) ترجم لنا كلام البناء الافرنسي .

وصف لنا فرساً بأنه (سمير . عذلب . أهنع . أدك . مفتوح اللبان) و (فلان لبث . علفاً يحيط من الأجل تحت شقي متصّ الفناء) . وكذلك استعمل كلمة (أجرة) بمعنى أدركه الفجر و (بسل) بمعنى حرام و (انتعل أديم الأرض) أي سار بلا حذاء . و (تنابل تنابل) بمعنى جماعات جماعات . الى غير ذلك مما حمله ولوعه به على استعماله في غير مواطنه . مواطن هذه الكلمات كذب الأدب و (المقامات) . لا القصص والروايات . لحافظ بهذا الاعتبار مخطئ لغوياً كاتباً . بل كاتباً مقاماتياً قديماً . لا كاتباً روائياً حديثاً .

أما هو في الشعر فعلى العكس : اذ كان لا يستعمل غريب اللغة بكثرة تدل على شره زحره . فن ثم لم يكن لغوياً في شعره . كما كان لغوياً في نثره . ولكن هذا الشره الى غريب اللغة في النثر إن كان ساء أقواماً فإنه لم يكن ليسوء جمعنا العلمي الذي يحرص على أن تجي اللغة العربية بالوحيا النصيب من كتابتها . والقديم الرائع من تعابرها .

لذلك كانت فجعة الجامع اللغوية بحافظ من جهة لغته ونثره . تعادل بل تفوق فجعة الأمة العربية به من جهة لغته وشعره .

وصفنا لكم أيها السادة (حافظاً) العذو في جامع اللغة والأدب . أما (حافظ) العذو في مجالس الأئس والطرب فاليكم طرفاً مما يتسع له المقام :
يظهر أن أهل (حافظ) تذبذباً وبوم ولادته بأن سيكون ولودهم كثير الحفظ لأخبار العرب وأشعارهم ومستلم نواذرهم فسموه (حافظاً) .

روى أصدقاؤه (حافظ) أنه كان يعمل على وضع مصنفه في المرقص من شعر العرب : يختار فيه لكل شاعر بيتاً من أروع أبياته وقد جمع مواد ذلك الكتاب . حتى بلغ نصفه . فاختار لبعض الشعراء مثلاً قوله :

(ولا بدّ لي من جهلة في وصاله فهل من كريم أودع الحلم عنده)
واختار لغيره غيره وهكذا .

وان اتساع (حافظ) في حفظ بليغ أشعار العرب على هذه الصورة أثر فيه . ذوقاً في اللغة العربية . فكان أنقى الشعراء المعاصرين عبارة . وأصحهم تركيباً . وأكثرهم تدقيقاً في اختيار النصيح الرائع من الألفاظ .

وليس هذا فقط بل إن حفظه لأخبار العرب جعله ندباً طريفاً : غير مملول المجلس . ولا مأجوم الحديث .

وقد استحسن الدكتور (زكي مبارك) أن نطلق على (حافظ) ومن كان على شاكلته من حفاظ أخبار العرب — كلمة (محدث) قال : وهو الذي يسميه الفرنسيون (Causeur) وأنا لا أوافق الدكتور على ما قال : لأن لقب (المحدث) غلب في لغة الاسلام على راوي أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم وان في آدابنا العربية كلمة أخرى أحق بالقبول وأجدر وهي كلمة (أخباري) نسبة الى التبحر في الأخبار . والاتساع في الرواية .

وقد كان (الحافظ) أكبر (أخباري) قام في الاسلام . وبعده المسموعي والمحسن التنوخي صاحب نشوار المحاصرة وغيرهم كثيرون .

وسمّي (الحافظ) هذا العلم (علم الخبر) وأثر عنه أنه قال (علم الخبر هو علم الملوك) . وعى هذا يمكننا أن نقول : إن حافظاً كان أكبر المعاصرين في (علم الملوك) عندنا . كما كان (أناؤول فرانس) أكبر أستاذ في هذا العلم عند الفرنسيين .

وكان (حافظ) رحمه الله يعرف من نفسه التفوّق في هذا العلم : استأذن يوماً على المغفور له (سعد زغلول) وكتب اليه هذين البيتين :

(قل للرئيس جزاء الله صالحة بأن شاعره بالباب ينتظر)
(إن شاء حدّة أو شاء اتفهف بكلّ نادرة تروى وتُبشكر)

وقد اتفقت كلمة من ترجم لحافظ كما اتفقت كلمة فضلاء دمشق الذين حضروا مجالسه

في زيارته الأخيرة للبلد — أنه أبرع أخباري وأخرف نديم عرفوه في حياتهم .
ولولا وقارُ (مآثم التأبين) لروينا لحضراتكم شيئاً من مُلحه الأديسة مما يبدلُ على
شدّة ذكائه . وقوة حفظه .

على أنني مهما أغفلتُ ذكر خبرٍ من أخبار حفظه . لا أحب أن يفوتني ذكر خبرٍ
مستغربٍ اتفق له مرة في نسيانه :

ذلك أن (حافظاً) يحفظ أخبار الأولين والآخرين ويروي ما يحفظه بكل دقة
وتنبؤ . ولكنه مع هذا ذهلَ مرة عن خبر (قصر الجزيرة) الذي كان للغديوي
امماعيل ثم اتخذ فندقاً لكبار السباح ثم صار قصراً لآل لطف الله — فروى لنا (حافظ)
أن هذا القصر أصبح (بستان حيوان) . وذلك قوله من قصيدة^(١) وصف فيها ذلك القصر :

(كنت بالأمس جنة الحوريات — مر فأصبحت جنة الحيوانات)

مع أن الذي تحول إلى (جنة حيوان) إنما هو (قصر الجزيرة) لا (قصر الجزيرة) .
والعمرى إن نسيان (حافظ) لخبر هذين القصرين اللذين هما على مرمى سهم من
نظراته . وطالما لهما في غدواته وروحاته — أمرٌ مستغربٌ جداً نردبه في غرائب أخباره
بعد ماته . كما كان رحمه الله يروي غرائب أخبار من كان قبله في حياته .

وهذا النسيان من (حافظ) يُشبه ما روي عن الأستاذ الامام الشيخ محمد عبده أنه
استأذن يوماً على بعض إخوانه . فسأله الحاجب عن اسمه . فأطرق بتذكر .
رحم الله (الشيخ عبده) ورحم (حافظاً) . وهل ترون الزمان . أيها الإخوان .
يُخالف علينا مثلها في العلماء والشعراء ؟ إن فعل نكح حقاً من السعداء .



(١) هذه القصيدة منشورة في ديوان حافظ المطبوع سنة (١٩٠٧) ولم أجدها في

ديوانه الذي طبع سنة (١٩٢٢) .

قصيدة الاستاذ شفيق بك جهري

- - -

| | |
|------------------------------|--|
| سنتون عاماً على كره تعانيتها | هدأت عنها ولم تهدأ ليلاتها |
| ما زلت منها على بأس تغالبه | حتى طوالت على الأثبات طاولها |
| فاطرح شدائدك عن كاهل دمت | من جانبك ولم تهدم عوادها |
| ياؤفة لك سيف أياها المنحدرت | عنك العواطف مغنيتها وشجيتها ^(١) |
| ناجيت فيها صبراً ولت نواعمه | بدلت شيوخه منه تناجيتها |
| فتوة ملأت بؤساً نفاذتها | وكبرة أقمعت سقماً حواسيتها |
| أهبت بالموت من سقم ومن شين | كأنما الموت آمال تناعيتها |
| فمن دنيئاً فلا جسم ترازحه | تلك الشجون ولا تنس تغاديتها |

* * *

| | |
|------------------------------|------------------------------|
| غنت قوافيك بالاحزان مألجة | تكاد تنطق عن بؤس اغانيها |
| على قريضك من أناثها أثر | أراه يفصح عن أقصى مرامها |
| ما في اغاريدك ان ناح نائمها | الا نياويل من شكوى تزجيتها |
| تجهتك الليالي في تصرفها | ففاض شعرك في الافاق تأويلها |
| فما تمليت في يوم مضاحكها | ولا تمليت الا في مباكها |
| أعنت في طلب الدنيا فما ابتست | لك الحياة ولا هشت امانها |
| سعت بك القدم المشؤم طالعها | فلم تؤد الى نجيح مساعيها |
| على نعالك من تبريحها دفع | من نافي الدم لم تذشف جوارحها |

(١) إشارة الى قوله رحمه الله :

وقد وقفت على الستين أسألتها
أسوفت أم أعدت حرا كنفاني

حتى وددت لو ان النفس عاديها
أو كان في مسبح الحيتان مازحها
المانوية لم نعتق مذاهيها
لله شعرك كم حاجت هواجيها
قذفت منه على السوداء طائفة
لوحنوا البؤس في شعر نرده
ودعت دنياك تودعاً ترقده
فما لعينيك في الألائها انس
كأنما قبرك المانوس متسع
العبرية ما زالت معذبة
من قبل أن تسام الأشجان بارحها
أو في مسارج من ملك مأويها
على قوافيك رهم من أماليها
بضيقة في حواشي النفس تغنيها
صورت بلوك تصويراً يجلها
لكان بؤسك ألمانا تغنيها
شكوى يذوب على الآلام شاكها
وانما الأنس في أدجى دياجيها
لعينك المر من جلى تقاسيها
في الشرق ما حدث يوماً ما قها

* * *

لكن نفسك لم تصرع جوانبها
هزأت بالمر لم تعباً بغمت
داويت بالكأس آلام الحياة وهل
لقبتها ضرة الأحزان زاكية
الكأس والطاس والصبياء مائلة
شئت شمل الليالي في تناولها
لئن نظرت إلى الدنيا وبهجتها
لقد خلعت على الأحزان مشرقة
وما الحياة إذا اسودت جوانبها
خير من العمر ممدوداً سرادقه
لله مجلسك المحشوك كم طربت
فقد تكون حزين البال متعبه
تلك الأحاديث قد ذقنا حلوتها
ظلماء من خيبة الآمال تبرها
وعشتها عيشة طلقاً نواحيها
بغير اشراقها قلب بداويها
غراسها مستطابات مجانيها
في شعرك الطلق تزهى في مزاجها
على رخي من الأنغام تحييها
بقلة ما رأت إلا مساويها
من الجبور طوت من شجو شاجيها
دما الليالي إذا لم يصف صافيها
على الأمل لحظة تجلو ثوانها
فيه القلوب وكل بشت بواكيها
وقد نراك صحوك العين ساجيها
في كل نادرة سحر يحلمها

تزداد حسناً اذا ازدادت روايتها رقيقة سكبت من روح راودها

* * *

لكن روحك ان جدت وان هزلت
غنت بوادي الحى في فجر نهضته
قد كنت بلبلها الغريد هيمه
أحببت مصر وسارت في محبتها
يجول فيها هوى الفسطاط مزدحماً
أبقت منها غفاة في مضاجعهم
كم أمة رسفت في القيد أطلقها
أمضك الجرح في احشاء عترتها
أردتها حرة لا التير يثقلها
فما نخوفت الا لعب لاعبيها
فكم بكيت على مصر وحاضرها
جادت لها عينك الربا محاجرها
اذا سكنت فلم تأمن هواتها
آسيتها يوم دنشواي وروعه
جلد وشنق وفي الامرين مهزلة
كشفت عنها غطاء كان يسترها
ضحوا بشعب بديلاً من قتلهم
ويح الحضارة كم راقظ ظواهرها
في طيها الموت خفاق سبائه
ذئب تلفف في جلد الشياة وهل
خير من العلم جبل لا يشنعه

لم تنس مصر ولم تهمل مغانيها
وخاضت النهضة المحمر وادبها
غول على مصر محتل روايتها
قصائد من عباب النيل ترونها
على فؤاد عناء خطب أهلها
والشر يوقظ في الأقوام غافها
من القيود فلم تملك نواصيها
فكنت في شعرك الريان آسيتها
اذا تهادت ولا الأصفاة توهيها
ولا تحشيت الا لحو لاهيها
وكم حنوت على مصر وباقيها
بالؤلؤ الرطب من حال تعانيتها
وان نطقت فلم تأمن منافيتها
يايوم دنشواي ما أبقي الأذى فيها
تلك الجنائيات باسم العدل جانيتها
حقى تمثل للعينين قاسيتها
تلك الجراحات لم تضمد دواميتها
هذي العيون وكم ساءت خوافيتها
مكشوفة عن غصاياه محاييتها
يخفي الذئاب طلاء في مفاطيتها
عسف الشعوب وهزم من اضاحيتها

* * *

ماكان شعرك الا وحي عاطفة ظل الجزيرة والاهرام موحيا
عليه من مضر الحمراء منزعجة محبوكة الوشي مرصوص مبانيها
لئن جفت مصر ارض الشام واطرححت هوى العروبة كم انبت جافها
صالححت جلق لم تنقض موافقها على البعاد ولم تنكث اواخها
فان بكثك على جرح تعالجه فقد رأتك على الاهرام تبكيها



خطاب قنصل مصر

« في حفلة تأبين حافظ »

ألقى سعادة قنصل مصر في بيروت في الحفلة التأبينية لشاعر النيل المرحوم حافظ بك
ابراهيم الخطاب الآتي :

دولة رئيس الوزراء — سادتي

ليس هذا يوم مصر فقد قامت مصر بقسطها من واجب التأبين واحياء ذكرى الراحل
العظيم ولم يبق فيها صغير ولا كبير الا اشتبك بقلبه أو لسانه في تمجيد شاعر النيل بل
شاعر الشرق المغفور له حافظ بك ابراهيم . وانما اليوم يومكم . يوم سوريا الخالدة ورجالها
الأنجاد ، يوم حماة العربية اتمجيد ذكرى شاعر العربية . وعلم النهضة الفكرية . وحامل
لواء الشعر في البلاد العربية . . . اليوم يومكم فليس لي ان اطيل الكلام بينكم وقد وفي
خطباؤكم المقام حقه فأجادوا وأبدعوا . وانما وقفت لاعبر لكم عن خالص شكري
وتقديري لشعوركم واغتيباطي لما تظهروه سوريا دائما نحو شقيقتها مصر من العطف والود
والاخلاص . ويزيد اغتيباطي وسروري ان هذه المظاهرة لا تبدو في ناحية واحدة من
نواحي الحياة بل تبدو في جميع الظروف والمناسبات فلا تمر فرصة أدبية كانت أو عملية

اقتصادية أو تجارية ، اجتماعية أو سياسية لا تظهر فيها تلك العواطف بأجلى وضوح . . .
ولا شك ان هذا الود المتبادل هو أكبر عامل من عوامل التقارب بين البلادين كما ان مثل
ما نحن مجتمعون له اليوم لداثره الفعال في زيادة الروابط الروحية والنفسية بين الشعبين الشقيقين
شعب سوريا وشعب مصر . . . عاشا صديقين تؤلف بين قلوبهما عواطف الولاء والحب
والإخلاص .

ولا يفوتني ان اسديء اجمل الشكر لحضرات رئيس واعضاء المجمع العلمي الذين
يكرمون في الراحل الكبير لاهن مصر فقط ولاشاعرها الفذ بل يكرمون فيه فقيده اللغة
العربية وفقيده الشرق باجمعه كما واني أشكر حضرة صاحب الدولة حقي بك المعظم رئيس
الوزارة السورية على تعطفه بوضع هذه الحفلة التاريخية تحت رعايته السامية .

قراران في تأليف
«المجمع العلمي العربي»
(١)

قرار (١٢٥)

بوضع القانون الأساسي للمجمع العلمي العربي والمكتبة الوطنية
في دولة سورية

ان رئيس مجلس الوزراء
بناء على القرار رقم ٢٩٨٠ بتاريخ ٥ كانون الأول سنة ١٩٢٤ القاضي بتأسيس دولة سورية
وبناء على قرار تعيينه رقم ١٨١٢ بتاريخ ١٤ شباط سنة ١٩٢٨ .
وبناء على قرار صلاحيته رقم ١٨٢٤ بتاريخ ١٥ شباط سنة ١٩٢٨ .
وبناء على القرار رقم ٢٨٣ بتاريخ ١٥ آذار سنة ١٩٢٦ القاضي بوضع نظام الجامعة
السورية وفصل المجمع العلمي العربي عنها .
وبناء على اقتراح وزير المعارف .

« يقرر »

المادة الاولى المجمع العلمي العربي جمعية علماء غابتها وممتهها حفظ اللغة العربية
وترقيتها والتدقيق في البحث عن تاريخ سورية وتاريخ اللغة العربية .
المادة الثانية مركز المجمع العلمي العربي في دمشق ويمكن ان يكون له شعبة في
حلب واعضاء مراسلون في البلاد المشمولة بالانتداب والبلاد الأجنبية .
المادة الثالثة يشرف المجمع العلمي العربي على دور الآثار في دولة سورية من
الوجهة العلمية .
المادة الرابعة يربط المجمع العلمي العربي ادارة وزارة المعارف .

ان وزير المعارف مكلف بدرس الأمور المتعلقة بالمجمع العلمي ولا سيما الأمور التي يجب ان تعرض على رئيس الدولة أو المفوض السامي (فن هذه الأمور) .
 (١) يهيئ الوزير جميع قرارات رئيس الدولة المتعلقة بنظام المجمع أو تعيين رئيسه واعضائه . وهذه القرارات تعرض على المفوض السامي للمصادقة عليها .
 (٢) يدقق في مطالب رئيس المجمع العلمي بشأن الاعانات ويرسلها الى رئيس الدولة مشفوعة بملاحظاته .

المادة الخامسة بدبر المجمع العلمي رئيس ينتخب بالتصويت السري لمدة ثلاث سنوات من بين الأعضاء وبناء على اقتراح زملائه يجوز تجديد انتخاب الرئيس .
 المادة السادسة يساعد رئيس المجمع العلمي مجلس مؤلف من جميع الأعضاء .
 أعضاء المجمع العلمي عشرون .
 وعند ما يتوفى أحد الأعضاء أو يقدم استقالته ينتخب مجلس المجمع خلفه ولا يصح هذا التعيين مبرماً الا بعد موافقة رئيس الدولة وتصديق من المفوض السامي .
 يجتمع مجلس المجمع العلمي مرة في السنة بجلسة اعتيادية بناء على دعوة الرئيس الذي يمكنه ان يدعوه ايضاً للاجتماع في جلسة غير اعتيادية .
 وعدا ذلك فانه يساعد الرئيس عضوان اداريان دائمان ينتخبهما المجمع ضمن الشروط نفسها التي ينتخب بها الرئيس .

المادة السابعة يدرس المجمع العلمي جميع المسائل المتعلقة بالمجمع لئلا يندمها الى وزارة المعارف فن هذه المسائل تهيئة الموازنة والنظام الداخلي وبرناج مباحث التاريخ والالسنه والنشر والمطبوعات التي يجب القيام بها وادارة المكتبة الوطنية في دولة سورية الخ . . .
 يبدى المجمع العلمي امانيه ومطالبه المتعلقة بالحفر أو بالمباحث الأثرية التي تظهر له ضرورة القيام بها وبالتثليل والاشتراك في المؤتمرات العلمية الدولية .

المادة الثامنة تحدد فيما بعد بقرار خاص الشروط التي يجب بموجبها على المؤلفين والناشرين وأصحاب المطابع والمكاتب أن يقدموا الى المكتبة الوطنية ثلاث نسخ من كل كتاب أو صحيفة أو جريدة أو مجلة مطبوعة في دولة سورية أو من تأليف وطني سورية ومعدة للبيع في دولة سورية .

المادة التاسعة يتمتع المجمع العلمي بالشفعية المعنوية وله زيادة على ذلك استقلال في ميزانيته وتتكون واردات موازنة المجمع العلمي من محصول العطايا والاعانات التي تجود بها دولة سورية .

أما النفقات فانها تشمل ما يأتي :

راتب الرئيس والعضوين الاداريين .

راتب موظفي الادارة والخدمة الذين يدخل في عدادهم موظفو المكتبة .

التعويضات الخاصة التي تعطى بعد قرار وزاري الى الأعضاء للأبحاث والمحاضرات التي يكلفهم بها المجمع .

حفظ المفروشات والأماكن والأجرة والتنوير والتدفئة وفرش الأماكن المعينة للمجمع ولشعبه والمكتبة الوطنية .

نفقات نشر الكتب والمخطوطات القديمة مع اعمال المجمع . نفقات المراسلات والاشتراك والنشریات .

نفقات اشتراك وتمثيل المجمع العلمي في المؤتمرات الدولية العلمية وذلك بعد موافقة وزير المعارف وقرار رئيس الدولة .

ايجاد جوائز لمكافأة اعمال اللغة والتاريخ وتاريخ اللغة والآثار .

شراء كتب مطبوعة ومخطوطة للمكتبة الوطنية . والعناية بتجليدها وحفظها ووضع فهرس عام للمكتبة .

ينفذ تنظيم هذه الموازنة التي يصدقها رئيس الدولة بناء على اقتراح وزير المعارف طبقاً لقواعد المحاسبة العامة .

يقوم رئيس محاسبة وزارة المعارف بدون راتب اضافي بوظيفة محاسب المجمع العلمي العربي
أحكام التطبيق

المادة العاشرة ان جميع موافقات رئيس الدولة المنوه بها في هذا النص تصدر بصورة قرار .

المادة الحادية عشرة ان الرئيس والعضوين الاداريين الدائمين الموجودين الآن في وظائفهم يبقون على رأس وظائفهم مدة ثلاث سنوات اعتباراً من نشر هذا القرار .

المادة الثانية عشرة تنفي أحكام النصوص النظامية المتعلقة بإدارة المجمع العلمي الخالفة لهذا القرار وعلى الأخص القرار رقم ١٣٢ المؤرخ في ١٥ حزيران سنة ١٩٢٣ .
 المادة الثالثة عشرة ان وزير المعارف ووزير المالية مكلفان بتنفيذ هذا القرار الذي يطبق اعتباراً من يوم نشره للأعمال الادارية ومن ابتداء كانون الثاني سنة ١٩٢٨ من الوجهة المالية .
 دمشق : في ٨ أيار سنة ١٩٢٨ .

وزير المعارف شوهد مندوب المفوض السامي رئيس مجلس الوزراء
 محمد كرد علي دبايله دبلوج محمد تاج الدين الحسيني
 شوهد وصدق في ٨ أيار سنة ١٩٢٨ تحت رقم (٦٧٠)
 المفوض السامي (بونسو)

- ٣ -

قرار رقم (١٤٠٩)

ان رئيس مجلس الوزراء بدولة سورية
 بناءً على قرار تأسيسها تاريخ ٥ كانون الاول سنة ١٩٢٤ رقم ٢٩٨٠
 وعلى قرار تعيينه رقم ١٨١٣ بتاريخ ١٤ شباط سنة ١٩٢٨
 وعلى قرار صلاحيته رقم ١٨٢٤ بتاريخ ١٥ شباط سنة ١٩٢٨
 وعلى القرار رقم ٢٨٣ القاضي بوضع نظام الجامعة السورية
 وعلى القرار رقم ١٣٥ تاريخ ٨ أيار سنة ١٩٢٨ القاضي بوضع نظام المجمع العلمي
 وعلى القرار رقم ١١٣ القاضي بوضع ملاك التعليم العالي . وحيث ان الانتقال في ادارات
 المعاهد العلمية الكبرى يحول دون رقيها .
 وبناءً على اقتراح وزير المعارف

« بقر »

الماد، الاولى تبديل المادة الثالثة من القرار رقم ٢٨٣ تاريخ ١٥ آذار سنة ١٩٢٦
 بالأحكام الآتية :

المادة (٣) يدير الجامعة السورية رئيس يعين بقرار من رئيس الدولة بناءً على اقتراح وزير المعارف وينتخب من أساتذة التعليم العالي ولا يجوز ان يجمع بين وظائف أخرى ذات راتب يدفع من موازنة الدولة أو موازنة ملحقة بها .

المادة الثانية تبدل المادة التاسعة من القرار رقم ٢٨٣ تاريخ ١٥ آذار سنة ١٩٢٦ بالأحكام الآتية :

المادة (٩) يدير كلاً من معهدي الطب والحقوق رئيس ينتدبه رئيس الدولة بقرار الى مدة خمس سنوات بناءً على اقتراح وزير المعارف .

ينتخب رئيس لكل معهد حتماً من بين المرشحين الذين يقترحهم مجلس المعهد ذي العلاقة من جهة ومجلس الجامعة من جهة أخرى . وكل من هذين المجلسين ينظم هذا الشأن لائحة تحتوي على ثلاثة أسماء مرشحين من بين الاساتذة القائمين على رأس العمل في المعهد ومن الممكن تجديد مهلة رئيس المعهد .

المادة الثالثة يعين رئيس المجمع العلمي بقرار من رئيس الدولة بناءً على اقتراح وزير المعارف الى مدة خمس سنوات . وينتخب من لائحة تحتوي ثلاثة أعضاء في المجمع يهيئها المجمع المذكور باجتماع عام . ومن الممكن تجديد مدة رئيس المجمع العلمي .

المادة الرابعة يمكن انهاء مهلة رئيسي المعهدين ورئيس المجمع العلمي العربي بناءً على اقتراح وزير المعارف بموجب قرار من رئيس الدولة تبين فيه الاسباب الموجبة . كل رئيس معهد أو رئيس مجمع علمي يعزل من مهنته لا يمكن ان يكون فيما بعد موضوع انتخاب رئيس الدولة الا بعد مضي خمس سنوات .

المادة الخامسة يتقاضى رئيس الجامعة السورية ورئيس المجمع العلمي الراتب المنصوص عليه بالقرار رقم ١١٣ ويتقاضيان ايضاً باسم نفقات تمثيل تمويضاً شهرياً قدره خمسون ليرة سورية لبنانية .

ويتقاضى رئيسا معهدي الحقوق والطب عدا الراتب الخاص بكرسيها المنصوص عليه بالقرار رقم ١١٣ تمويضاً شهرياً قدره خمسون ليرة سورية لبنانية .

المادة السادسة تلغى أحكام القرارات رقم ٢٨٣ و ١٣٥ و ١١٣ فيما هو مخالف لهذا

القرار .

المادة السابعة وزير المعارف والمالية مكلفان كل بما يخصه بتنفيذ هذا القرار .
دمشق : في ايلول سنة ١٩٢٩

وزير المعارف وزير المالية شوهد - المندوب رئيس مجلس الوزراء
محمد كرد علي محمد جميل الاشقي (بروير) محمد تاج الدين الحسني
شوهد وصدق بتاريخ ٧ ايلول سنة ١٩٢٩ تحت رقم (١٢١٤)
عن المفوض السامي
التوقيع (تيترو)

قرار رقم ٣٣٧٦

ان رئيس مجلس الوزراء

بناء على القرار رقم ٣٩٨٠ بتاريخ ٥ كانون الاول سنة ١٩٢٤ القاضي بتأسيس دولة سورية
وبناء على قرار تعيينه رقم ١٨١٢ في ١٤ شباط ١٩٢٨ .
وعلى قرار صلاحيته رقم ١٨١٤ في ١٥ شباط سنة ١٩٢٨ .
وبناء على قرار رقم ١٣٥ القاضي بوضع نظام المجمع العلمي . وبناء على اقتراح وزير
المعارف وبعد استطلاع وزير العدلية .

« يقرر »

المادة الاولى عندما ينتهي طبع كل مطبوع سواء اكان هذا المطبوع يصدر في
وقت معين ام لا وكل قطعة موسيقية وكل رسم مصور الخ - على صاحب المطبعة أن
يودع المكتبة الوطنية في الدولة السورية نسختين منها والا كان عرضة لجزاء بتراوح بين
١٠ و ٥٠ ابرة ورقاً وتحتوي وثيقة الابداع على اسم صاحب المطبعة وعنوانه واسم المطبوع
وعدد نسخه ويعطى بالنسختين وصل مرقم مؤرخ . يستثنى من ذلك اوراق الانتخاب . رسائل
وطايف الدعوات وبيانات العنوان وعنوان الفواتير والاسهم المالية والعهود والاذاعات
التجارية والصناعية .

المادة الثانية يجري الابداع الاجباري المنصوص عليه في المادة السابقة .

- اما رأساً في المكتبة الوطنية (الجمع العلمي) بدمشق .
- واما رأساً في مصلحة المعارف بجلاب .
- واما بموجب كتاب مفهون باسم محافظ المكتبة الوطنية (الجمع العلمي) بدمشق .
- عند ما يجري الابداع رأساً يعطى الوصول فوراً وعندما يرسل بواسطة البريد يعطى الوصول بالطريقة نفسها .
- وعلى كل الأحوال يوضع رقم الوصول بالحبر على المستندين المودعتين بجانب اسم صاحب المطبعة يستعمل سجل خاص حسب تتابع الأيام مرقم من (١) الى (١٠) في المكتبة الوطنية وسجل آخر في مصلحة المعارف بجلاب لتسجيل الابداعات .
- المادة الثالثة تجري التعقيبات من قبل النيابة العامة في المركز الموجودة فيه المطبعة المخالف صاحبها وهذه التعقيبات تجري اما من قبل النيابة العامة مباشرة واما بناء على طلب رئيس الجمع العلمي أو رئيس مصلحة المعارف بجلاب .
- المادة الرابعة تلغى جميع الأحكام المخالفة لهذا القرار وأحكام القوانين السابقة التي تتعلق بابداع نسخة واحدة من بعض المؤلفات الى مصلحة المعارف .
- المادة الخامسة وزير المعارف والعدلية مكلفان كل بما يخصه بتنفيذ هذا القرار .
- دمشق : في ٢٦ آب سنة ١٩٣٠

وزير المعارف شوهد وزير العدلية رئيس مجلس الوزراء

التوقيع (محمد كرد علي) التوقيع (صبيح النبال) التوقيع (محمد تاج الدين الحسيني)

شوهد وصدق بتاريخ ٦ ايلول سنة ١٩٣٠ تحت رقم ٨٨٧٦

المنسوب

التوقيع (بروير)

رياسة المجمع العلمي العربي

انتهت مدة رياسة المجمع العلمي العربي فكتب معالي وزير المعارف مظهر باشا رسلان الى رياسة المجمع كتابا بتاريخ ٢٨ حزيران ١٩٣٢ هذا نصه :

« نرجوا ان تأمروا بجمع اعضاء المجمع العلمي لانتخاب رئيس له بحسب الاصول وتفضلوا باعلامنا النتيجة وقبول فائق الاحترام سيدي . »

فانتخب المجمع ثلاثة من اعضائه عملاً بقرار رقم ١٤٠٩ وم الاساتذة محمد بك كرد علي والدكتور اسعد الحكيم والامير مصطفى الشهابي فاختارت وزارة المعارف الرئيس الاول وكتبت الى المجمع بتاريخ ٢٢ آب سنة ١٩٣٢ الكتاب الآتي :

« لمعالي رئيس المجمع العلمي العربي الانعم

هيا نأمر سوماً بتجديد انتخاب معاليكم لرياسة المجمع العلمي العربي وسنرسله اليكم متى صدق فنأمل أن يستمر المجمع في رياستكم الجديدة في سبيل التقدم والترقي وان يزداد ازدهاراً وتفضلوا بقبول فائق الاحترام سيدي . »

وهذه صورة المرسوم العالي الوارد بتجديد تعيين الرئيس

« ان رئيس الجمهورية السورية

بناءً على الدستور المنشور في ١٤ أيار سنة ١٩٣٠

وبناءً على القرار رقم ١٣٥ بتاريخ ٨ أيار ١٩٢٨ القاضي بوضع نظام المجمع العلمي

وبناءً على القرار رقم ١٤٠٩ بتاريخ ١٤ أيلول ١٩٢٩ القاضي بوضع نظام تعيين رؤساء المعاهد

وبناءً على قرار المجمع العلمي بتاريخ ٢٤ آب سنة ١٩٣٢

وبناءً على اقتراح وزير المعارف

« يرسم مايلي »

المادة ١ :- يحدد تعيين الاساتذة محمد بك كرد علي رئيساً للمجمع العلمي العربي لمدة

المادة ٢ - يذاع هذا المرسوم ويبلغ الى من يجب .

١٣ جمادى الاولى سنة ١٣٥١ هـ و ١٣ ايلول سنة ١٩٣٢ م

وزير المعارف رئيس مجلس الوزراء

—30804—

آراء وافكار



« جامع أو جامعة القرويين »

ان فاخر المشرق بالازهر و يقدم الازهر فان المغرب الأوسط جدير بان يباهي بجامع الزيتونة . والمغرب الأقصى بجامع او جامعة القرويين . وان هذا الأخير أسبق زمناً من رفيقيه بل ربما كان أقدم مدرسة جامعة في العالم .

أسست جامعة القرويين امرأة وهي فاطمة أم البنين سنة ٢٤٥ هـ وما زالت تلك الجامعة منذ ذاك التاريخ الى الآن تهدي الى مختلف الأنظار في الشرق والغرب حفاً من ثمار رجالها الذين خدموا العلم بنشاط و إخلاص ونثروا في كل جهة يزور الفنون المختلفة سواء منها ما يتعلق بالدين أو الدنيا . وما كان تعجب هؤلاء الرجال لديهم بالذي يمنهم ان يفتخروا صدرهم لقبول كل شيء يدرس كل ما من شأنه ترقية الفكر و اصلاح الضمير . ولنسرد على سبيل المثال طائفة من هؤلاء الرجال :

- (١) عبد الله بن حجاج صاحب الأرجوزة في الجبر والمقابلة (توفي سنة ٦٠١ هـ) .
- (٢) الإمام ابن البنا الفلكي المهندس الفيلسوف (نيف و ٧٢٠ هـ) .
- (٣) احمد بن شعيب الجزنائي الطبيب الأديب (٥٧٤ هـ) .
- (٤) محمد بن عمر الفلكي (٧٩٤ هـ) .
- (٥) ابو زيد الجادري الفلكي الشهير (٨١٨ هـ) .
- (٦) عبد الله اليفرني اليحسوبي الكبير (٨٥٦ هـ) .
- (٧) ابو عمران بن العقدة موسى السلمتاني (٩١١ هـ) .
- (٨) ابو العباس احمد المطرفي المعدل (١٠٠١ هـ) .

(٩) أبو زيد البعقلي الفلكي (١٠٠٦ هـ) .

(١٠) محمد بن أبي القاسم بن القاسمي الرياضي (١٠٤٠ هـ) .

(١١) أبو الحسن بن عبد الواحد صاحب المؤلفات في الطب والتشريح والفلك (١٠٥٢ هـ) .

(١٢) عبد الوهاب بن أبي حامد الميقاتي المهندس (١٠٧٩ هـ) .

(١٣) محمد بن سليمان الروائي مخترع كرة الدوائر الفلكية الشهيرة به المتوفى بالشام (١٠٩٥ هـ) .

(١٤) أبو زيد عبد الرحمن القاسمي اسنوطي زمانه الذي قيل فيه أنه أعرف بكل فن من أهل كل فن مؤلف كتاب الأقسام ومخطط الخرائط الجغرافية والفلكية الخالدة (١٠٩٦ هـ) .

هذه طائفة ممن اشتهر بعلوم الدنيا اما علماء الدين فانهم يفوقون الحصر . وكانت جامعة القرويين على اختلاف الاعمار مثابة لطلاب الاقطار يفدونها اليها رغبة في التزود من معينها والكروع من ينابيع رجالها فقد قبلت عديداً من طلبة مصر وأفريقية والاندلس وانكثروا وروما وغيرها وقد نال بعض علماء الروسية (ان أقدم كلية في العالم ليس في اوروبا كما كان يظهر بل في افريقية في مدينة فاس عاصمة بلاد المغرب سابقاً اذ تقق بالشواهد التاريخية ان هذه المدرسة كانت تدعى (كلية القيروان) وقد أسست في القرن التاسع للميلاد (أي الثالث للهجرة) وعليه فهي ليست فقط أقدم كليات العالم بل هي الكلية الوحيدة التي كانت تتلقى فيها الطلبة العلوم السامية في تلك الأزمنة وقت ان لم تكن سكنى بباريس واكسفورد وباردو وبولونيا يعرفون من الكليات الا الاسم ولذلك كانت الطلبة تتوارد على (كلية القيروان) من انحاء اوروبا وانكثروا فضلاً عن بلاد العرب الواسعة للائطراط في سلك طلابها وتلقى العلوم السامية باللغة العربية مع الطلبة الافريقيين والمصريين والاندلسيين وغيرهم ومن جملة من تلقى علومه في هذه الكلية من الأوربيين البابا (سلفستر) وهو اول من ادخل الى اوروبا الأرقام العربية وطريقة الأعداد المألوفة بعد أن اتقنها جيداً في هذه الكلية كما يظهر من رسالته الى الامبراطور (أنون) مساعده التي أفي فيها على ذكر الصفر بقوله : إني اشبهك بالرقم الأخير من الأعداد البسيطة العشرية التي تزداد قيمته بوضع اعداد

أخرى عن يساره اه . وقول هذا الكاتب الروسي ان اسم تلك الكلية (كلية قيروان)
تغيير في الترجمة وصوابه (كلية القرويين) وقد رأى القاري من اسماء العلماء السابقين انهم
كانوا يحدوا في علوم الدنيا كالطب والفلك والهندسة وهذا في القرن الثالث عشر الذي
بعد بحق عصر الاسفاف في الافكار والانحطاط في العلم وقد أشار الى ذلك كثيرون ممن
تعرضوا للغرب في كتاباتهم من الأوربيين أمثال الموسيو (بونه مورو) مؤلف كتاب
الاسلام والنصرانية في افريقية . ومن العلماء المعاصرين الذين تلقوا العلوم الحديثة في جامعة
القرويين .

(١) - الطبيب سيدي عبدالسلام العلمي وله مصنف في البواسير ومصنف آخر سماه

(ضوء النبراس . في حل الفاظ الانطاكي بلغة فاس) وقد ذكر في آخر هذا الكتاب انه
شرع في وضع معجم للمصطلحات الطبية الجديدة ومقابلاتها بالمفردات العربية واللهجة المغربية
ولا نعلم ان كان أتمه او حالت المنية دون الاتمام .

(٢) - ابو عبد الله الأغزاوي المهندس .

(٣) - سيدي ادريس الباغيثي الفلكي .

(٤) - السيد محمد الابرارسي الموسيقي البارع الذي استمر يدرس الموسيقى بظهر

صومعة القرويين الى آخر العقد الثالث من هذا القرن .

ولسنا ننكر ان في هذه الجماعة فوضى تحتاج الى اصلاح ونظام متين ولعل هذا في

جملة الاسباب التي دعت جلاله السلطان مولاي الحسن الى إيفاد البعثات العلمية .

رغبة في الاستفادة من العلوم الحديثة وتطبيق برنامج ثابت في جامعة القرويين تنال من ورائه الفائدة

المبتغاة ان شاء الله . انتهى ملخصاً من مقال لسيدي محمد علال الفاسي نشره في (مجلة المغرب) .

«المغربي»

« الفهرس العام »

(لما في هذا المجلد من المواد والموضوعات مرتباً على حروف الهجاء)

| صفحة | حرف الهذرة (الف) | صفحة |
|---|---|------|
| ٢٤٩ استنهام (عن كلمات لغوية) | ٢٥٢ آداب المعلمين (كتاب) | |
| ٣١٦ الاسلام (كتاب) | ١١٠ ابن اسحاق (سيرته . كتاب) | |
| ١٧٥ الاسماء العربية للتجار النباتية | ٢٦ ابن خفاجة الاندلسي (٢) | |
| ٣٩٨ اصطلاحات النباتات الدنيا | ٦٣٥ ابن خلدون (آراؤه الاقتصادية . | |
| ٦٣ الاعلام العربية والفارسية عند السريان | كتاب بالافرنسية) | |
| (كتاب) | ٥٤ ابن العديم (بشأن تاريخه) | |
| ٤٣٩ الفاظ عربية في اللغة الارمنية | ٥٧١ ابن عساكر (طبع الجزء السابع من | |
| ٢٩ و٢٠٤ و٢٨٢ الف ليلة وليلة (محاضرة | تاريخه) | |
| فيها) | ٣١٧ الانبىة الاثرية في حلب (احصاؤها . | |
| ٣٧٦ أمراء الشعر العربي (في العصر العباسي . | كتاب) | |
| (كتاب) | ٤٤٤ انجم اعلام الناس (تاريخ مكناس . | |
| ٢١٦ و٤١٦ و٤٧٨ و٥٤٨ { اولياجلبي (رحلته | كتاب) | |
| ٧٠٧ و٦٠٧ و٦٧٢ و٧٣٨ | | |
| حرف الباء | ٧٢١ و٦٤١ اثنا عشر كوكبا (محاضرة) | |
| ٤٤٨ البيت الشامي في حوران وغيرها | ٣١٥ أحاديث الزواج في مصر (كتاب) | |
| (كتاب بالافرنسية) | ٣١٧ اخبار دمشق عن الصليبيين (كتاب) | |
| حرف التاء | ٥١٣ اخوان الصفا (العلوم الطبيعية عندهم) | |
| ٦٠٣ تاريخ الفقه الاسلامي (كتاب فيه) | ٢٥٧ و٤٠٣ و٦٨٢ الادب (كتبه القديمة | |
| ٣٢٦ و٣٥٢ التبصر بالقجارة (كتاب . ونقطة | والحدیثة) | |
| ناشره) | ١٢٢ الادب والبيان (مقالات فيهما) | |
| | ٤٣٩ الارمن (الفاظ عربية في لغتهم) | |

| صفحة | صفحة |
|---|---|
| ٦٦٨ التدوين في الاسلام (تلخيص مقال) | ٥٧٤ الحديث (ثلاث رسائل في مصطلحه) |
| ٧٠١ تذكرة النوادر (كتاب مخطوطات بالهند) | ٢١ حروف التاج |
| ١٠٦ التكملة والصلة والفيل للقاموس | ٥٧ الحسبة (آدابها . كتاب) |
| ٣٥٦ نوم الميث حياً (بحث لغوي . تابع) | ١٨٩ الحلاج (ترجمة ديوانه) |
| مقالات قاعدة نوم اصالة الحرف (| ٣٠٩ حلب (اصل بنائها) |
| ١٢٦ تهذيب الاخلاق والتعليم الاجتماعي | حرف الحاء |
| الوطني (كتاب) | ٤٤٧ الخزف الشامي العراقي (كتاب |
| حرف الهاء | بالافرنسية) |
| ٤٤٩ الثقالة والفقلاء (محاضرة) | ٣٨٢ الخطرات (مقالات في كتاب) |
| حرف الجيم | ١٨٠ الخط العربي (تلاخيص من كتاب فيه) |
| ٤٥ و ٤٠ الجاحظ (تهكمه) | ٣٧٨ الخيام (رباعياته) |
| ٢٣٣ = (عبقريته) | حرف الدال |
| ٢٩٩ و ٣٦٢ = (فنه) | ٦٩٨ در (كلمة فارسية في الكلمات العربية) |
| ٣٢١ = (كتاب من مصنفاته) | حرف الراء |
| ١٥٢ = (مذهبه في الأدب) | ١٩١ الراء (بحث لغوي فيها) |
| ٩٧ و ٨٩ = مذهبه في النقد | ٣٧٨ رباعيات الخيام |
| ١٢٥ الجزائر (كتاب في شعرائها المعاصرين) | ٧٠٥ رحلة الى القاهرة (محاضرة) |
| ٣١٢ الجزائر (كتاب نفيس فيها) | ٦٥ الرسالة النباتية |
| ٧٧٤ جامع القرويين (تلخيص مقال فيه) | ٢٥٥ الرسالة النباتية (تقريظها) |
| ٣٨٤ الجيش العرسم (كتاب) | ٦٣ رياحين الأرواح (كتاب) |
| حرف الحاء | حروف الزاي |
| ٧٣٥ حافظ ابراهيم (حفلة تأييده والخطب | ٦٢٧ الزبور الشريف (مخطوط) |
| التي القيت فيها): | |

صفحة

صفحة

١١١ زكي مقامز (ترجمة حياته)

٣١٥ الزواج (احاديث فيه)

حرف السين

٥٨ السريان (اعلامهم . كتاب)

٥٨٩ سورية (شعوبها وآثارها . محاضرة)

٦٦١ سورية الجوفية (تاريخها)

حرف الشين

٥٦٨ شنطه (أي كلمة عربية تقوم مقامها ؟)

حرف الصاد

٦٤ الصابون (تأليف فيه)

٣١٤ الصبح المنبي (كتاب)

٢٤٣ و٢٩٢ صفي الدين الحلي (ترجمته)

٣١٧ الصليبيون (كتاب عنهم)

٥٠٣ الصليبيون (كلماتهم الدخيلة في العربية)

٥٢ الصنوبري (الشاعر)

٥٦٨ (صوت) مكان (شنطه)

٣١٦ الصبونية (منابتها)

حرف الطاء

٦٣٨ الطب العربي (كتاب)

٢٥٥ طوق الحمامة (كتاب)

حرف العين

٦٤١ و٧٢١ عائشة الباعونية (في محاضرة)

اثنا عشر كوكبا)

٣٧٩ العبرات الملتمة (ديوان شعر)

٥٣٣ عرب البادية (القضاء عندهم)

٦٥٤ العشر والخراج في اختلافات العربية

حرف الفاء

٣٨٥ الفارابي (ترجمته)

١٦١ الفراسة (قصيدة)

٦٠٣ الفقه (معنف في تاريخه)

٦٠٣ الفكر السامي (جزء الثالث والرابع)

(راجع مجلد ٩ ص ٥٠٦)

حرف القاف

٦٣٧ القرآن (بالحروف اللاتينية)

١٢٠ القرآن (ترجمته الى الالمانية)

٧٦٥ قارات تتعلق بالجمع العلمي العربي

٧٧٤ القرويون (جامعته)

٦٣٦ قصص جديدة للأطفال (كتاب)

٥٣٣ القضاء عند عرب البادية (محاضرة)

حرف الكاف

٣٧٨ كتابان في النكاح والطلاق والحيات

والوصايا والفرائض (مترجم عن العربية

الى الفرنسية)

٥٧ و٣ و٤٠٣ و٦٨٢ مكتب الادب القديمة

والحديثة

| صفحة | صفحة |
|--|--|
| ١٤٣ الكلمات الایویة | ١٠٦ و ٥٥٥ مخطوطات (تکلمة القاموس وغيرها) |
| ٥٧٧ و ٥٢١ الكلمات غیر القلموسیة (تکلمة | ٥٠٦ و ٦٢٤ و ٧٠٣ مخطوطات دار الكتب |
| الایویة فیها) | الظاهریة (نوادرها) |
| ٥٦٨ کلمة مکان کلمة | ٤٧٠ مخطوطات المدرسة الثمانيه بحلب |
| ١٢٤ الكنائس الشرقیة البیزنطیة (کتاب) | ٧٠١ المکتاتب الهندیة |
| ٦ الکوکائین (محاضرة) | ٥٧٥ المسک الازفر (کتاب) |
| حرف المیم | ٥٧٤ مصطلح الحدیث (ثلاث رسائل فیہ) |
| ١٢٦ المبشرون (کتاب فہم) | ١٩٣ و ٢٧٠ مصطلحات عملیة (مقال مسهب |
| ٥١١ مجلة الابحاث الشرقیة (بالفرنسیة) | فیہا) |
| ٥٠٨ مجلة الضیاء الهندیة | ٦٠ المقصد (کتاب) |
| ٤٤٢ مجلس اعیاء المعارف الثمانيه فی الهند | ٤٤٤ مکناس (کتاب فی تاریخها) |
| ١ المجمع العلمی (جدولان باسماء اعضاءه | ٤٩٧ ملاحظات لغویة |
| الاحیاء والراحلین) | ٢٥٠ ملاحظات (فی نقد مقال) |
| ٧٦٥ المجمع العلمی (قرارات فیہ) | ٣١٦ منابت الصیونیة (کتاب) |
| ٣١٩ مخطوطاته التي اقتناها | ٦١ المنتخب من ادب العرب (کتاب) |
| حدیقا) | ٦٣١ منصور البهوتی (ترجمته) |
| ١٢٣ المجمع المصری (کتابه السنوی) | ١٩٠ الموجز التاریخی (کتاب مدرسی) |
| ٥٩ مجموعة الرقم العربیة (جزءه الأول) | حرف النون |
| ٦٣٩ مجموعة الرقم العربیة (جزءه الثاني) | ١١٥ النثر الجاهلی (تلخیص مقال عنه) |
| ٣٧٩ المخطوطات المختارة والموجز فی علم المنطق | ٤٨٩ و ٤٣١ و ٣٦٧ نشر اراخامسة (جزؤه |
| (ومما کتابان مدرسیان) | الثانی مخطوط بنشر |
| ٢٥٣ محمد هبندو (کتاب فی تاریخ حیاته) | ٦٩٠ و ٦١٨ و ٥٥٩ و ٦١٠ تباعا) |
| ٣١٩ مخطوطات (اقتناها المجمع العلمی) | ٥٧٦ نصوص علی خبرین لما سکین مصریین |
| | ٤٤٦ نظرات الشوری (کتاب) |

| صفحة | حرف الهاء |
|-----------|--|
| ٢٤٩ | نقيد لغوي (استنباط) |
| ٢٥٠ | نقد مقال (حول الخلاص) |
| ٥٠٣ | نموذج من الكلمات الصليبية |
| ٨١ | نهاية الأرب (تمت جمع أغلاط جزئه الثامن) |
| | حرف الواو |
| ٦٣٣ | وائلة ابن الاسمع (حول وفاته وقبره) |
| | صفحة |
| ٥١١ و ١٢٧ | هدايا كتب |
| ٧٠١ | الهند (كتاب في مخطوطاتها) |
| ٥٠٨ | الهند (مجلتها • الضياء) |
| ٤٤٣ | الهند (مجلس لطبع كتب الساجدة الحنفية فيها) |
| ٥٧٣ | الهند (مبصرتها • رسول الوحدة) |

فهرست الاعلام

« اي اسماء كتاب المقالات المنشورة في هذا المجلد مرتبة على حروف المعجم »

| صفحة | حرف الالف | صفحة |
|--|---|------|
| شفيق جبري { ٣٦٢ و ٣١٤ و ٢٩٩ و ٢٣٣ و ٢٧٦ و ٣٧٨ و ٣٧٩ و ٧٦٠ | أ... أبيان | ٤٣٩ |
| شكيب ارسلان ٢٤٩٠ | ابوالوفاء (الهندي) | ٤٤٢ |
| حرف الغين | احمد الاشكندري ٢٩٢ و ٢٤٣ و ٢٦ | |
| عبد الرحمن جوخدار ٣١٧ | احمد حسن الزيات ٢٨٢ و ٢٠٤ و ١٢٩ | |
| عبد القادر المبارك ٣٨٤ | اسعد الحكيم ٦٣٨ و ٦٣٧ و ٦٣٦ و ٢٥٥ و ٦ | |
| عبد الله رعد { ١٢٤ و ١٢٣ و ٦٤ و ٦٣ و ٣١٥ و ٣١٦ و ٥٣٣ و ٥٧٥ | حرف الجيم | |
| عبد الله مخلص ٦٣٣ و ٦٣١ و ٦٢٧ | جبرائيل رباط ٣٠٩ | |
| عبد الهادي بن محمد السلاوي ٥٥ | جعفر الحسني { ٤٤٨ و ٤٤٧ و ٣١٧ و ٣١٦ و ٥١١ و ٥٧٦ و ٥٨٩ و ٦٣٩ | |
| عيسى اسكندر معلوف ٦٦١ | حرف الحاء | |
| حرف القاء | حيب غزالة ٢١ | |
| فارس الخوري ٧٣٨ | حسن حسني عبد الوهاب ٣٢١ | |
| حرف الكاف | حسني الكسم ٧٠٣ و ٦٣٤ و ٥٠٦ | |
| كامل الغزي ١٦١ | حمي العظم ٧٣٦ | |
| حرف الميم | حرف السين | |
| محمد احمد دهمان ٢٥٠ | سليم الجندي ٦٨٢ و ٤٠٣ و ٣٧٩ و ٢٥٧ | |
| محمد بهجة الاثري ٤٩٧ | حرف الشين | |
| محمد جميل الخاني ٢٧٠ و ١٩٣ | شفيق جبري { ١٢٢ و ١٢٠ و ٨٩ و ٦١ و ٤٠ و ٥٢ و ٨٩ و ١٩٠ و ١٩١ | |
| محمد الجعوي ١١٠ و ١٠٦ | | |

| صفحة | صفحة |
|---|--|
| ٨١ و ٢ و ٣ و ٦ و ٢٧ و ٤٣ و ٩ و ٣١ | ٤٧٠ و ٥٢ محمد راغب الطباخ |
| ٥٠٨ و ٥٠٣ و ٤٤٩ و ٤٤٤ و ٣٥٦ و | ٧٦٣ محمد سري (أنصل مصر) |
| المغربي { ٥٧٤ و ٥٧٢ و ٥٦٨ و ٥٢١ و ٥١١ و | ٥٧ و ٥٨ و ٥٩ و ٦٠ و ٢٥٢ { |
| ٦٩٨ و ٦٦٨ و ٦٤١ و ٦٠٣ و ٥٧٧ و | محمد كرد علي { ٥٧١ و ٣١٢ و ٢٥٥ و ٢٥٣ و |
| ٧٧٤ و ٧٥٠ و ٧٢١ و | ٧٤٤ و |
| نحرف الواو | ٥١٣ محمد يحيى الهاشمي |
| وصفي زكريا { ٥٤٨ و ٤٧٨ و ٤١٦ و ٢١٦ و | ٦٣ و ٦٥ و ٧٥ و ١٧٥ و ٣٨٢ { |
| ٧٢٨ و ٦٧٢ و ٦٠٧ و | ٣٩٨ و ٤٤٦ و ٦٣٥ { مصطفى الشهابي |
| | ٧٠٥ و ٦٥٤ و |
| | ٣٨٥ مصطفى عبد الرازقي |

جدول الخطأ والصواب

ورد في اجزاء هذا المجلد اغلاط مطبعية نهبنا اليها فيما يلي :

جاء في ص ٢٣ من ١ اهو صوابها هو . وفيها س ٢ للغة صوابها اللغة . وص ٢٦
 س ٤ بوجه صوابها نبوغه . وص ٣٩ س ٦ لظية صوابها لظبية . وص ٤٩ س ٥ من ا
 صوابها من أن . وص ٥٨ س ١٣ الحبة صوابها الحسبة . وص ٦٦ س ١١ يكركف
 صوابها يكون . وص ٧٢ س ٩ زهرة الجريس صوابها زهرة الجملجل . وص ٨٧ س ٦
 conte صوابها comte . وفيها س ١٠ مة صوابها مقاية . وص ٩٥ س ٢٣ بلاد
 صوابها بيلاد . وص ١١٣ س ١٨ بعده صوابها بعدها . وص ١٢٥ س ٦ ويتذقون
 صوابها ويتذوقون . وص ١٥١ س ٢ فصل صوابها فصل . وفيها س ٧ والفصل صوابها
 والفصل . وص ١٥٤ س ٢٠ فظا صوابها لفظاً . وص ١٥٧ س ٨ يقذفها صوابها يقذفها
 وص ١٥٩ س ١٥ الاستكره صوابها الاستكره . وص ١٧٨ س ١٤ التذحية صوابها التفاحية .
 وص ١٨١ س ٢٢ بالنقط صوابها بالنقط . وص ١٩٢ س ٨ - ١١ صوابها واوآ . وص ١٩٥
 س ٦ ولاخر صوابها والآخر . وص ٢٣٠ س ١٣ القطلب صوابها القبس . وص ٢٤٥
 س ١٠ هاملة صوابها معاملة . وفيها س ١٣ بعدي صوابها لبعدي . وص ٢٤٧ س ١٩
 بترضى صوابها فيترضى . وص ٢٥٩ س ٧ وفي صوابها وفي . وص ٢٦٢ س ١٢ ف صوابها
 في . وص ٢٩٥ س ١٤ - ويا صوابها قويا . وص ٣٠٠ س ٢٢ الممدد صوابها الممدود .
 وص ٣٠٣ س ٨ نزله صوابها منزله . وص ٣٠٤ س ٧ خلقه صوابها خلقه . وص ٣٢٧
 س ١٢ خادة صوابها خامدة . وص ٣٨٤ س ٢٠ المفاخرة صوابها المعاصرة . وص ٣٩١
 س ١ الاشار صوابها لأشار . وص ٣٩٩ س ١٠ الطلح صوابها الطلح . وص ٤٠١
 س ٢ وعارها صوابها وعاءها . وص ٤٠٩ س ٨ (١) صوابها ١٠ . وص ٤١٨ س ٢ ضرب
 صوابها تركان . وفيها س ٣ سراة التركان صوابها سراتهم . وفيها س ٥ في زهاء صوابها
 وزهاء . وفيها س ١٥ (١٣٥) صوابها ١٣٥١ . وص ٤٤٤ س ٤ في صوابها في . وص
 ٤٤٦ س ٦ وضعه صوابها وضمنه . وص ٤٤٨ س ١٥ (٤) صوابها (٠) . وص ٤٥٤ س ١
 رجوع صوابها نرجع . وص ٤٦١ س ٢٠ تم صوابها ثم . وص ٤٦٤ س ١٩ و وى صوابها

وروى . وص ٤٧٤ س ١١ يقتض صوابها ينقص . وص ٤٧٩ س ٢٢ وربما صوابها وبما .
 وص ٤٨٠ س ١٢ الحرار صوابها الحرى . وفيها س ١٨ طمى الحرات صوابها العلمى الحرى .
 وفيها س ٢٠ تعميق صوابها بتعميق . وص ٤٨٥ س ١ متعددة صوابها متعددة . وفيها س ١
 مقعرة وثلاثة صوابها مقعرة أو ثلاثة . وص ٥١٧ العنوان محمد يحيى الاثرى صوابها محمد يحيى
 الهاشمي . وص ٥٢٣ س ٢٠ تحتاج صوابها تحتاج . وص ٥٢٦ س ١٧ المترددة صوابها المترددة .
 وص ٥٥٠ س ٢٢ (٤٩) — ٥٠ صوابها ٤٠ — ٥٠ . وص ٥٥٣ س ٣ البيان صوابها البيان .
 وص ٥٥٦ س ٦ (٦٣) صوابها ٦٣٠ . وفيها س ٧ (٦٨٩) صوابها ٦٧٩ . وص ٥٥٩ س ١٣
 اربع صوابها اربع . وص ٥٦٧ س ١٠ قلت الصواب قلت . وص ٥٧٢ س ٨ التي تعادته
 الصواب التي تعادته . وص ٥٨٦ س ٢٠ لكلمات الصواب الكلمات . وفيها س ٢١ — حاجة
 الصواب حاجة . وص ٥٩٥ س ١١ أصبح الصواب فأصبح . وص ٥٩٧ س ١٠ يحى الصواب
 يحى . وص ٦١٠ س ٨ الدابة اى الفرسان الميككين — الصواب الاسبان اى فرسان
 مستغنى ماربوحنا . وص ٦١٣ س ١٦ الزادات صوابها الزيارات . وص ٦١٥ س ٢٤ له
 صوابها عليه . وص ٦١٦ س ١٨ يمثل صوابها يمثل . وص ٦١٩ س ١٨ منكسراً — صوابها
 منكسراً . وص ٦٢٨ س ٢ في فتح صوابها في فتح . وص ٦٥٦ س ٨ حسين صوابها حسين .
 وص ٦٥٧ س ٤ جري صوابها جريب . وفيها س ١١ نيابين صوابها نيابين . وص ٦٧٤
 س ١٤ في اسم صوابها اسم . وص ٦٧٥ س ١٤ كلقصور صوابها كلقصور . وص ٦٧٦
 س ٢١ رجل ايضاً صوابها ايضاً رجل . وص ٦٧٨ س ٢ غنايير صوابها غنايير . وص ٧٠٠
 س ٦ دبة صوابها دربة . وص ٧٠٢ س ١ — لأخرى صوابها الأخرى . وفيها س ٩ هذه
 صوابها في هذه . وص ٧٠٨ س ١٥ توت غنخ صوابها غنخ . وص ٧١٦ س ١ مصر لمن
 صوابها مصر لمن . وص ٧٢٣ س ٦ غمه صوابها نغمه . وفيها س ١٠ محاطباً صوابها محاطباً .
 وص ٧٢٥ سطر ٢٥ ي صوابها أي . وصفحة ٧٢٨ سطر ١٢ الحرات السوداء صوابها حمارة
 الحرار السود . وصفحة ٧٣٢ سطر ١ جرت في صوابها جرت معركة في . وصفحة ٧٤٩ سطر
 ١٤ نخاطبه صوابها نخاطبه . وصفحة ٧٥٢ سطر ١ باويج صوابها باويج . وصفحة ٧٥٦ سطر
 ١١ الفصيح صوابها الفصح .

